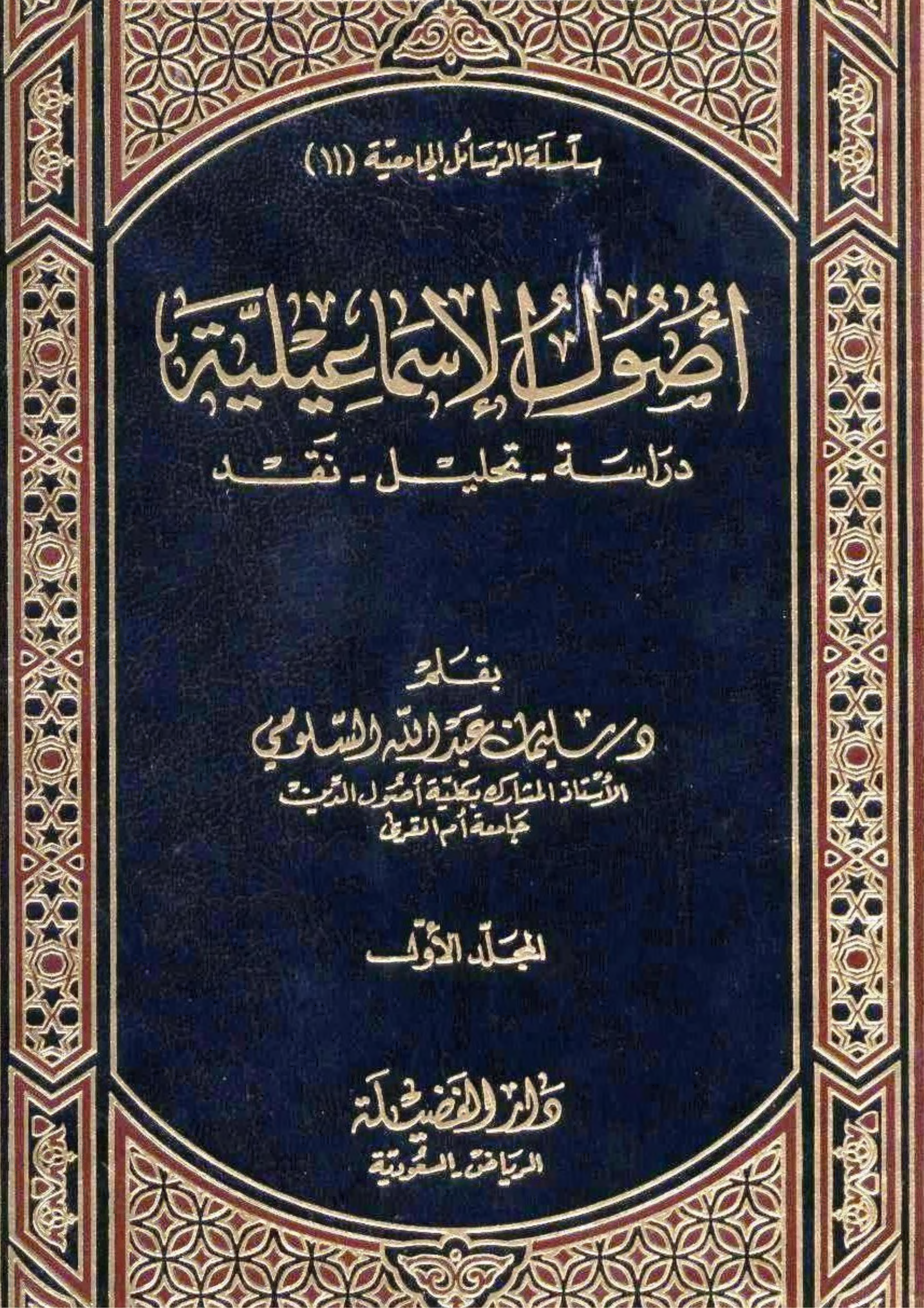

سلسلة الرسائل الجامعية (١١)
أصول الإسماعيلية
دراسة - تحليل - نقد
بقلم
د. سليمان عبد الله السلومي
الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين
جامعة أم القرى
المجلد الأول
دار الفضيلة
الرياض - السعودية

أصول الإسماعيلية

دراسة - تحليل - نقد

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الفضيلة
الرياض - السعودية
ص ب : ١٠٣٨٧ الرياض ١١٤٣٣ - تلفاكس : ٢٣٣٣٠٦٣

سلسلة الرسائل الجامعية (١١)

أصول الإسماعيلية

دراسة - تحليل - نقد

بقلم
د. سليمان عبد الله السلومي
الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين
جامعة أم القرى

المجلد الأول

دار الفضيلة
الرياض - السعودية

أصل هذا البحث يمثل أطروحة لرسالة الدكتوراه التي تقدم بها المؤلف إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى، ونال بها درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة.

وذلـك فـي عـام ١٤٠٩ هجـريـة بـإشـراف الدكتور/ عثمان عبد المنعم يوسف.

* * * * * *

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾[١].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾[٣].[٤]

أما بعد:

فإن من أشرف العلوم وأجلها العلم الشرعي الذي به سعادة الدارين علمًا وعملاً. ومن نعم الله وتوفيقه عليّ أن انتظمت بهذا التخصص ـ ولا سيما في أصول الدين ـ الذي يعتبر أشرف العلوم وهو الفقه الأكبر بالنسبة لفقه الفروع.

ومما أوجب الله على أمة الإسلام ـ ولا سيما العلماء وطلبة العلم ـ أن يقوموا بهذا الدين أمرًا ونهيًا فيدعوا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ببيان مزاياه وفضائله وحقوق الله على عباده بالتعبد والتأله له وحده لا شريك له ولا ند ولا مثيل له في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠.

(٤) هذه الخطبة تسمى في السنة المطهرة خطبة الحاجة وهي من سنن المصطفى ﷺ يبدأ فيها في كل خطبه وأمر ذي بال. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الألباني ١/ ٣.

كما أوجب عليهم - وهذا جزء كبير من الدعوة - أن ينفوا عن هذا الدين غلوا الغالين وتحريف الضالين وأن يبطلوا شبهات الأعداء والملبسين.

ومما خاطب الله عز وجل بهذا الأمر أنبياءه ورسله من لدن نوح عليه السلام إلى نبينا محمد بن عبدالله خاتم النبيين والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه كما قال تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ . . . إلخ الآيات[1].

وقال تعالى مخاطبًا نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ . . . ﴾[2] ثم بعد ذلك ذم الله من خالف ذلك بقوله: ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ﴾[3] وبعدها بآيات أمر الله بنفس الأمر فقال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ . . . ﴾[4].

فمن هذه الآيات وغيرها من النصوص الشرعية (القرآن والسنة) نستلهم الواجب ونتبين الأمانة التي حملها الله عباده من إيضاح للحق وأمر به وإبطال للباطل ونهي عنه وما يتبع ذلك من كشف للدسائس والمؤ مرات التي تحاك وتدبر ضد الإسلام وأهله في كل بقعة وبكل زمان.

ومما تعبدنا الله به عز وجل في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن أمرنا بكشف الأعداء وتوضيح مكائدهم وتعريتهم أمام الحق ليتميز بعد ذلك دعاة الحق الصادقون المخلصون من دعاة الهدم والشر الملبسين نلمس ذلك في آيات كثيرة بل سور عظيمة أنزلت على نبي هذه الأمة فاضحة لأقوام هم من بني جلدتنا ويتحدثون بلغتنا ويحملون أسمائنا وليس لهم من الانتساب إلى الإسلام وأهله - والله أعلم - إلا ذلك ومما نزل في

---

(١) سورة الشورى: ١٣.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

(٣) سورة الروم: ٣٢.

(٤) سورة الروم: ٤٣.

هؤلاء سور قرآنية معظمها وأكثرها يبين خطر هذه الفئة وذلك كسورة التوبة والأحزاب والقتال والمنافقين وغيرهن من السور والآيات. وما الفرق الغالية وحركات الزنادقة في مختلف الأزمان والأماكن إلا أمثلة واقعية لتلك الفئة في العصر النبوي بل امتداد لها وسير على أصولها ومنهجها.

ومما نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ** (٥٥)﴾[1]، وكان ذلك في الفترة الأولى من الدعوة. المرحلة المكية. يقول سيد قطب رحمه الله مبينًا دلالة هذه الآية وعظيم معناها في كشف أعداء الله:

أما ختام هذه الآية القصيرة فهو شأن عجيب. أنه يكشف عن خطة المنهج القرآني في العقيدة والحركة بهذه العقيدة. إن هذا المنهج لا يُعنى ببيان الحق وإظهاره حتى تستبين سبيل المؤمنين الصالحين فحسب. إنما يُعنى كذلك ببيان الباطل وكشفه حتى تستبين سبيل الضالين المجرمين أيضًا. إن استبانة سبيل المجرمين ضرورية لاستبانة سبيل المؤمنين وذلك كالخط الفاصل يرسم عند مفرق الطريق.

إن هذا المنهج هو المنهج الذي قرره الله - سبحانه - ليتعامل مع النفوس البشرية. ذلك أن الله سبحانه يعلم أن إنشاء اليقين الاعتقادي بالحق والخير يقتضي رؤية الجانب المضاد من الباطل والشر والتأكد من أن هذا باطل محض وشر خالص. وإن ذلك حق محض وخير خالص كما أن قوة الاندفاع بالحق لا تنشأ فقط من شعور صاحب الحق أنه على الحق ولكن كذلك من شعوره بأن الذي يحاده ويحاربه إنما هو على الباطل وانه يسلك سبيل المجرمين الذين يذكر الله في آية أخرى أنه جعل لكل نبي عدواً منهم كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ**﴾[2] ليستقر في نفس النبي ونفوس المؤمنين ان الذين يعادونهم إنما هم المجرمون عن ثقة وفي وضوح وعن يقين.

إن سفور الكفر والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح.

---

(١) سور الأنعام: ٥٥.

(٢) الفرقان: ٣١.

واستبانة سبيل المجرمين هدف من أهداف التفصيل الرباني للآيات. ذلك أن أي غبش أو شبهة في موقف المجرمين وفي سبيلهم يرتد غبشًا وشبهة في موقف المؤمنين وفي سبيلهم فهما صفحتان متقابلتان وطريقان مفترقتان ولابد من وضوح الألوان والخطوط[1].

وانطلاقًا من هذه الأهداف القرآنية التي يجب عليّ وعلىٰ غيري من طلبة العلم امتثالها والقيام بها حسب الاستطاعة والقدرة اخترت فرقة من الفرق التي نشأت وظهرت في منتصف القرن الثاني الهجري ولا زالت إلىٰ يومنا هذا تظهر وتنتشر وتستتر وتخبو حسب قوة الحق وأهله أو ضعفهم في كل زمان ومكان، هذه الفرقة هي (فرقة الاسماعيلية) إحدىٰ الفرق الشيعية الباطنية التي يعلن أتباعها الإسلام ظاهراً وحقيقة أمرها الكفر المحض كما قرر ذلك الغزالي من خلال دراسته الفريدة عنها في كتابه فضائح الباطنية[2].

إذن فتعرية هذه الفرقة وكشف مخططاتها واستبانة معتقداتها وإيضاح أهدافها يعتبر قيامها بالواجب وأداءً للنصيحة ومعذرةً إلىٰ ربنا عز وجل ولعل المغرورين والجاهلين ومن لبس عليهم لعلهم بعد ذلك يتقون.

ذلك ـ علم الله عز وجل ـ أنه السبب الرئيس لاختيار هذا الموضوع أطروحة للدكتوراه، ولا يمنع أن يكون هناك بعض أسباب ودوافع أخرىٰ تعتبر مكملة ومتممة لهذا السبب منها:

(١) إن هذه الفرقة يعيش أفرادها وأتباعها بين ظهراني المسلمين وفي بلادهم علىٰ اعتبار أنهم مسلمون. ولهم نشاطهم الواسع في مجالات التعليم والاقتصاد بل والتوجيه في بعض الأقطار الإسلامية.

ومن هنا فالدراسة لهذه الفرقة تعتبر دراسة واقعية تعالج أمرًا موجودًا وملموسًا بعيدًا عن الترف الفكري أو الدراسة التاريخية لفرق وملل ظهرت ثم بادت وطواها الزمن منذ أمد بعيد.

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٣/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٢) انظر فضائح الباطنية للغزالي ص٣٧.

(٢) المتتبع لحركة النشر ودور الطباعة في العالم الإسلامي يجد نشاطًا واسعًا وبعثًا لكتب الشيعة سواء في ذلك الشيعة الاسماعيليون أو الشيعة الإماميون وعند التأمل في هذا النشاط الفكر والثقافي نرىٰ أنه لا يخلو من أحد أمرين :

أولهما: نشر وبعث المؤلفات القديمة لهذه الفرقة وذلك مثل مؤلفات قاضي الاسماعيلية في عهد المعز العبيدي[١] ، فإنها لم تطبع ولم تنتشر إلا في هذا العصر حيث طبع منها علىٰ سبيل المثال كتاب المجالس والمسايرات في تاريخ الاسماعيلية وعقائدهم ، وكتاب دعائم الإسلام وتأويل الدعائم في ستة مجلدات ، وكتاب افتتاح الدعوة ، وكتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة ، وكتاب الاقتصار وغيرها من كتبه الكثيرة بل أنه عقد لهذا المؤلف الاسماعيلي ندوة علمية في تونس كان من آثارها التعريف به وبمؤلفاته المخطوطة ومن ثم طبع الكثير منها .

ومثل مؤلفات الداعي الاسماعيلي السجستاني الذي طبعت له مجموعة من الكتب من أشهرها كتاب إثبات النبوات وكتاب الينابيع وكتاب الافتخار . ومن بعده تلميذه الكرماني الذي ألف الموسوعة العقدية للإسماعيلية وهي : راحة العقل حيث حقق وطبع عدة مرات ، وكتاب الرياض ، وكتاب المصابيح في إثبات الإمامة .

والحقيقة أن كتب الاسماعيلية القديمة التي طبعت ونشرت في العصر الحاضر كثيرة جداً ولا سبيل إلىٰ حصرها[٢] ، وهذا يعطي دلالة علىٰ نشاط هذه الفئة في نشر تراثها ومذهبها الخطير وحسبنا رجوعًا إلىٰ قائمة من قوائمَ دار الأندلس للطباعة والنشر في بيروت فسنجد العجب العجاب حيث إن هذه الدار نذرت علىٰ نفسها نشر تراث الاسماعيلية . انظر علىٰ سبيل المثال قائمة مطبوعات دار الأندلس عام ١٩٨١م .

ثانيهما: مؤلفات جديدة لكتاب معاصرين إما اسماعليين أو متعاطفين معهم ويجمعهم الإشادة بفرقة الاسماعيلية والثناء علىٰ معتقداتها حتىٰ ان القارئ والمطلع

---

(١) يلقب القاضي بأبي حنيفة المغربي واسمه محمد بن منصور بن حيون توفي عام ٣٦٣هـ. أما المعز فستأتي ترجمته مفصلة إن شاء الله عند الحديث عن أئمة الاسماعيلية في الباب الثاني .

(٢) ذكر الدكتور محمد كامل حسين في كتابه طائفة الاسماعيلية مجموعة من كتب الاسماعيلية طبعت ونشرت تصل إلىٰ أربعين كتابًا . انظر كتابه طائفة الاسماعيلية ص١٨٠ ـ ١٨٥ .

على مثل هذه المؤلفات يشعر بمغالطة هؤلاء وقلبهم الحقائق ففرقة الاسماعيلية عندهم فرقة إسلامية وتطالب كذلك بحق الإمامة لزعمائها ومن أشهر القائمين بهذا النوع من التأليف:

(أ) مستشرقون متعصبون للاسماعيلية ندروا أقلامهم في نشر وخدمة هذه الفرقة وغيرها من الفرق المنحرفة تحت مظلة البحث العلمي لكنه لا يخفى على القارئ لأمثال هؤلاء دسهم وأهدافهم السيئة ومن أكثر هؤلاء كتابة وإشادة بهذه الفرقة المستشرق الروسي ي. ايفانوف الذي أصدر مجموعة من الرسائل والكتب عن الاسماعيلية ونشر كثيراً من مخطوطاتهم ويصفه الدكتور النشار بالتعصب والتحيز للاسماعيلية، يقول عنه: «إنه يقف دائمًا بجوار الفكرة الاسماعيلية ويجعل نفسه أسيراً لها ولا يرى سواها»[1].

وكذلك المستشرق الانجليزي برنارد لويس حيث كتب عن الاسماعيلي كثيراً وأفرد لها مؤلفين خاصين هما كتابه المشهور أصول الاسماعيلية وكتابه عن الاسماعيلية الشرقية «الحشاشين». كما كتب عنهم المستشرق الفرنسي لويس ماسينون وذلك في دائرة المعارف الإسلامية. وغير هؤلاء كثير.

(ب) كتاب اسماعيليون معاصرون حجب التعصب الشديد أبصارهم وبصائرهم حتى أنهم لا يرون إلا باطلهم وضلالهم ووصل بهم الأمر إلى القول بأن الاسماعيلية بتاريخها وعقائدها انما تعبر عن الإسلام الصحيح وعن واقعه وتطبيقه.

ومن أشهر هذه الفئة عارف تامر[2]

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي ٢/ ٣٨٢.

(٢) اسماعيلي نزاري متعصب لفكره الباطني تعصباً أعمى يقلب الحقائق ويموه الأحداث تمتاز كتاباته بخلوها من المراجع وعدم العزو إليها سواء في ثنايا الكتاب أو في آخره حيث لا يتضح كلامه من كلام غيره، وهذه بلية عظيمة صاحبها خلو من الأمانة العلمية. من مؤلفاته: الإمامة في الإسلام، وكتاب القرامطة أصلهم وتاريخهم ونشأتهم، وأربع رسائل اسماعيلية وغيرها من الكتب الأخرى. جند نفسه لنشر تراث الاسماعيلية حيث نشر الكتب التالية: ثلاث رسائل اسماعيلية، وأربع رسائل اسماعيلية، وخمس رسائل اسماعيلية، وكتاب الهفت والأطلة، كتاب الرياض للكرماني وكتاب الإيضاح لأبي فراس، وكتاب الميزان لعبدان الكاتب ـ كما يزعم ـ.

ومصطفى غالب[١]. وتمتاز كتاباتهما بكثرتها مع قلة الفائدة منها لخلوها من الأصول العلمية المتفق عليها بين الباحثين والكتاب، فهما مثلاً لا يشيران البتة إلى مصادر معلوماتهما لا في ثنايا البحث ولا في آخره مع مافي أسلوبهما من التعمية والتمويه للحقائق البينة. وقد فضح كل واحد منهما الآخر من خلال خلاف بينهما حيث إن لكل واحد منهما رأيًا يختلف عن الآخر في تفسير بعض المسائل الاعتقادية الباطنية[٢].

والحق الذي لا مرية فيه أن هؤلاء الكتّاب مغرضون وإن ورائهم أهدافًا خطيرة فترويج الباطل والضلال على أنه هو الإسلام نوع واسع من أنواع الصد عن دين الله وشرعه المطهر بل هو في حقيقة الأمر افتراء على الله وعلى رسوله ﷺ والواجب في مقابل هذا الطوفان الفكري مجابهته وكشف زيفه وبطلانه ومن ثم صد دعاته والحذر منهم بشتى الطرق والأساليب الشرعية.

أما الدافع الثالث والأخير لكتابتي عن الاسماعيلية فهو أن ما كتب عن الاسماعيلية - حسب علمي واطلاعي المحدودين - لا يسد الثغرة المطلوبة. وذلك ان الكتابات والمؤلفات عن هذه الفرقة تأريخًا لها ونقدًا لمذهبها وكشفًا لنظمها ومخططاتها. أما أن تكون مهتمة بالجانب التاريخي مغفلة للجانب العقدي. أو تكون مهتمة بالجانب التنظيمي مغفلة الجوانب الأخرى. أو تكون مهتمة بالجانب الفلسفي مع إغفال الجوانب التاريخية والتنظيمية وفي كلٍ قصور لا يخفى على مطلع. كما أن من جوانب النقص في بعض الكتابات عدم رجوع أصحابها إلى مصادر القوم الأولى مباشرة مع التحليل والنقد لها وتفصيل ذلك حسب الاستقراء والاطلاع كالآتي:

---

(١) اسماعيلي معاصر عاش في لبنان وسوريا ودرس في جامعاتها. نذر حياته لنشر مذهب الاسماعيلية والدعوة إليها وفي مؤلفاته ما يدل على تعصبه الشديد وقلب الحقائق والتلاعب بالألفاظ مع استغفال القارئ بأسلوب إنشائي مطاط. من مؤلفاته: أعلام الاسماعيلية، وتاريخ الدعوة الاسماعيلية، وكتاب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، والثائر الحميري الحسن الصباح، وكتاب عن شيخ الجبل سنان راشد الدين وغيرها.
ومن كتب الاسماعيلية القديمة التي نشرها كتاب راحة العقل للكرماني وكتاب الينابيع للسجستاني والمجالس المؤيدية للشيرازي، واختلاف أصول المذاهب للقاضي بن حيون وغيرها كثير.

(٢) لمزيد من التفصيل عن شخصية الرجلين وقصة حصولهما على شهادة الدكتوراه يرجع إلى كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد لإحسان الهي ص٧ - ٨ لا سيما التعلبق في الحاشية.

(أ) الكتابات التاريخية ومن أشهرها مؤلفات الدكتور حسن ابراهيم حسن حيث ألف كتاب تاريخ الدولة الفاطمية.

وكتاب في أدب مصر الفاطمية. وكتاب عبيد الله المهدي إمام الشيعة الاسماعيلية. وكتاب المعز لدين الله والأخيران اشترك معه في تأليفهما الدكتور طه أحمد شرف وعلى نفس المنهاج كتابا محمد جمال الدين سرور وهما سياسة الفاطميين الخارجية، والنفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، وكذلك كتابا الدكتور محمد عبدالله عنان وهما الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمة وتاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة. والذي يؤخذ على هذه المؤلفات والكتابات أمران مهمان:

الأول: النهج التاريخي الذي يحفل بالأحداث والوقائع أكثر مما يحفل بالعقائد والأفكار. ومن المسلم به أن العقائد والتاريخ - ولا سيما فيما يتعلق بالفرق والمذاهب - أمران مرتبطان أحدهما نتيجة الآخر ولا يجوز الفصل بينهما فتاريخ كل فرقة هو النتيجة التطبيقية العملية لمعتقداتها وآرائها وما خروج الخوارج وتاريخهم المليء بالصراع الدموي والحروب الطاحنة إلا نتيجة من نتائج معتقداتهم وأفكارهم فالفصل بين عقيدة الفرقة وتاريخها خطأ علمي ومنهجي يصير البحث والموضوع في نقص وخلل.

الثاني: أن هذه الكتب والمؤلفات التاريخية تتحدث عن تاريخ الاسماعيلية ودولها وأئمتها كما تتحدث عن الدولة الأموية أو الدولة العباسية وأن الخلافة الفاطمية - كما يسمونها - شرعية ودولتها دولة إسلامية وحسبنا في هذا المقام قول الإمام الذهبي عن دولة الاسماعيلية (الفاطميين) يقول عن صلاح الدين الأيوبي رحمه الله: واستأصل شأفة بني عبيد ومحق دولة الرفض وكانوا أربعة عشر متخلفًا لا خليفة[1].

وحينما تحدث الإمام السيوطي عن دول الخلافة الإسلامية في العالم الإسلامي لم يتحدث عن أحد من الفاطميين معللاً ذلك بقوله: ولم أورد أحداً من الخلفاء العبيديين؛ لأن إمامتهم غير صحيحة لأمور منها:

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ٢١٢.

انهم غير قرشيين وإنما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام وإلا فجدهم مجوسي.

ومنها: ان أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام ومنهم من أظهر سب الأنبياء ومنهم من أباح الخمر ومنهم من أمر بالسجود له والخير منهم رافضي خبيث لئيم يأمر بسبب الصحابة رضي الله عنهم ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة ولا تصح لهم إمامة[١].

وحينما سأل الإمام ابن تيمية عن أحد حكام الدولة العبيدية (الفاطميين) وهو المعز معد بن تميم قال ما خلاصه إن ذرية عبدالله بن ميمون القداح وسيرة أئمتهم من بعده من أكثر سير الملوك ظلماً وانتهاكاً للمحرمات وأبعدها عن إقامة الواجبات وأعظم إظهاراً للبدع المخالفة للكتاب والسنة وإعانة لأهل النفاق والبدعة فهم من أفسق الناس ومن أكفر الناس.

أما نسبتهم فجمهور الأمة تطعن فيه ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود وهذا مشهور من شهادة علماء الطوائف الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وأهل الحديث وأهل الكلام وعلماء النسب والعامة وغيرهم.

كما صنف القاضي أبو بكر الباقلاني كتابه المشهور في كشف أسرارهم وهتك أستارهم وذكر أنهم من ذرية المجوس وذكر من مذاهبهم ما بين فيه أن مذاهبهم شر من مذاهب اليهود والنصارىٰ[٢].

إن هذه الأحكام غيض من فيض وقليل من كثير فيما يتعلق بالنظرة الواقعية والحكم علىٰ دولة الاسماعيلية هل هي خلافة إسلامية أو كافرة وهل سلطتها شرعية أو كافرة[٣].

وهذه المسألة المهمة طالما أغفلها المؤرخون ـ ولا سيما المعاصرين منهم ـ ولم يبنوا عليها وذلك بلا شك يعتبر قصوراً ونقصاً في بيان حقيقة تلك الدولة وأئمتها.

(ب) هناك من الكتاب المعاصرين من كتب عن الاسماعيلية كتابات مقتضبة

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٤ ـ ٥.

(٢) الفتاوىٰ لابن تيمية ٣٥/ ١٢٠ ـ ١٢٩.

(٣) سوف نتعرض إن شاء الله للحكم علىٰ الاسماعيلية في آخر فصل من فصول البحث في الباب الثالث.

مجملة ضمن كتاباتهم عن فرق أخرىٰ متعددة وذلك كالدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه مذاهب الإسلاميين الجزء الثاني والدكتور علي سامي النشار في كتابه نشأة الفكر الفلسفي الجزء الثاني، والدكتور محمد أحمد الخطيب في كتابه الحركات الباطنية في العالم الإسلامي وهؤلاء جميعًا تحدثوا عن طائفة الاسماعيلية ضمن طوائف كثيرة فهم لم يفردوها بمؤلف خاص مع أهمية ذلك واعتبارها الحركة الأم لسائر الفرق الباطنية الأخرىٰ.

مع ما يضاف إلىٰ أنهم ـ ولا سيما عبد الرحمن بدوي ـ ينقلون نصوص الاسماعيلية من غير تحليل لها تارة أو رد ومناقشة تارة أخرىٰ.

(ج) هناك كتابات ومؤلفات لها قيمتها وأهميتها العلمية ـ في نظري ـ حيث أفردت هذه الطائفة بمؤلف خاص وعرضت لجوانب مهمة عنها، ومن هذه المؤلفات:

(١) كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد للشيخ إحسان الهي ظهير رحمه الله تعالىٰ.

حيث ظهر كتابه هذا قريبًا وبالتحديد في عام ١٤٠٦هـ الطبعة الأولىٰ حيث كشف هذه الفرقة وبين خطرها وما تحمله معتقداتهم من غلو وإلحاد ولذلك ـ والله أعلم ـ كانت حياته ثمنًا لهذا الجهاد ـ جهاد القلم واللسان ـ فاغتيل في عام ١٤٠٧هـ علىٰ يد أحد الشيعة الباطنية ـ كما هو تاريخهم في الماضي والحاضر ـ حيث وضع مادة متفجرة داخل باقة من الزهور أمام المنصة التي يلقىٰ عليها خطابًا في اجتماع حاشد لعلماء الحديث في باكستان[1].

والكتاب جوانبه الإيجابية كثيرة ومنها علىٰ سبيل المثال رجوعه إلىٰ مصادر القوم مباشرة. والجمع بين الجانب التاريخي والجانب العقدي مع ما للمؤلف من اتجاه سلفي في الدراسة والحكم. ولكنه في عرضه لمعتقداتهم وقع في أمرين أخلا بأهمية الكتاب والهدف من تأليفه:

أولهما: حشد نصوص الاسماعيلية مجتمعة وبكثرة في بعض المواضع من دون

---

(١) انظر مقال بمجلة المجتمع الكويتية عدد ٨١٢ في شعبان لعام ١٤٠٧هـ ـ ص٢٢ ـ ٢٣.

ترتيب لأهمية الكتاب والمؤلف[١] ومن غير تحليل للنصوص الاسماعيلية واستنباط المعتقدات منها بل ينقل النصوص مجتمعة وقبل ذلك يحكم[٢] مسبقًا. والترتيب العلمي ـ كما هو معروف ـ نقل أصول المخالف ونصوصه ثم بعد ذلك بيان مخالفتها لمنهج الحق والصواب بيانًا قائمًا على الأدلة الصحيحة وبعد ذلك الحكم النهائي وهو البطلان والفساد.

ثانيهما: في نصوص الاسماعيلية تناقض واضطراب وكشفه وبيانه يعتبر ردًا محكمًا فلسفتهم عن الله وإطلاق الأسماء والصفات عليه وهذا لم يقم به البته مع العلم أنه نقل نصوصًا لابن تيمية تكشف عن تناقضهم[٣].

وعلى كل حال فالكتاب صرخة عالم من علماء أهل السند في عصر كثرت فيه الفتن وانتشرت الفرق ـ ولا سيما في شبه القارة الهندية ـ منذرة بخطرها فأراد تبيين ذلك الخطر بكتابه هذا وسائر كتبه الأخرى عن الفرق[٤].

كما أنه رحمه الله لم يتعرض لأمر أساسي عن طائفة الاسماعيلية وهو الحديث عن فرقهم المعاصرة (الأغاخانية ـ والبهرة) وبيان خطورة نشاطهم وانتشارهم في العصر الحاضر. وفي آخر الكتاب وعد رحمه الله بأفراد ذلك بمؤلف مستقل، ولكن يد المنون اخترمته قبل إخراج ذلك[٥].

(٢) طائفة الاسماعيلية تاريخها ونظمها وعقائدها للدكتور محمد كامل حسين.

ألف هذا الكتاب وطبع الطبعة الأولى في عام ١٩٥٩م والكتاب يعتبر جهدًا علميًا مختصراً عن هذه الفرقة وللمؤلف طريقة متباينة بالنظر إلى موقفه من الاسماعيلية، فهو

---

(١) انظر ص١٧٧ ـ ٢٧٨، ٢٨١ من كتابه الاسماعيلية تاريخ وعقائد.

(٢) انظر الفصل الأول تحت عنوان عقيدتهم في الله ص٢٧٣ المرجع السابق.

(٣) انظر على سبيل المثال ص٢٨٣ من المرجع السابق.

(٤) للمؤلف رحمه الله كتب كثيرة عن الفرق منها الشيعة والسنة، والشيعة والقرآن، والبابية والبهائية، ودراسات عن القاديانية، وكتاب البريلوية عقائد وتاريخ وغيرها من الكتب عن الملل والفرق التي تصل إلى حوالي عشر مؤلفات باللغة العربية.

(٥) انظر كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد، الصفحة الأخيرة.

حينًا يدافع عن الاسماعيلية وينشر تراثهم[١]، وحينًا يسخر بهم ومعتقداتهم[٢]. وعمومًا فإنه يعتبر الاسماعيلية فرقة من الفرق الإسلامية لها حضارة ينبغي الإشادة بها كما يصر على صحة نسب الأئمة وأنهم من نسل فاطمة الزهراء رضي الله عنها[٣]، وعلى كل حال فكتابه هذا لا يحقق الأمل المنشود والمطلوب في منهج أهل السنة والجماعة بل هو في حقيقة الأمر على خلاف ذلك[٤].

(٣) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين للدكتور أحمد محمد جلي.

وقد طبع الطبعة الأولى في عام ١٤٠٦هـ ونهج المؤلف منهجًا جيدًا في عرضه للفرق التي تحدث عنها والكتاب بحق يعتبر المرجع الوحيد لهذه الفرق على مستوى الطلبة في المرحلة الجامعية لسهولة أسلوبه وحسن عرضه ونهجه منهج أهل السنة والجماعة. ولعل المؤلف إن شاء الله أن يضيف إليه نقاطًا هي في نظري لها أهمية بالغة:

(أ) بيان خطورة كل فرقة على حدة وذلك بإيضاح نشاطهم على مستوى العالم

---

(١) انظر على سبيل المثال ما ذكر عن نفسه في وسط الكتاب ومن خلاله يتبين عدد الكتب التي نشرها وهي تزيد عن العشرة من كتب الاسماعيلية الأساسية ص٥٥ ـ ٥٦ من كتابه طائفة الاسماعيلية. وأما دفاعه عن الاسماعيلية فهو يتمثل في إصراره على تسميتهم بالفاطميين والترحم على أئمتهم والإشادة ببعض نظم هؤلاء الأئمة والإعجاب بها وأخيرًا اعتبار الاسماعيلية فرقة من الفرق الإسلامية وذلك مبثوث في مواضع كثيرة من الكتاب. وللمؤلف اهتمام ملحوظ بتراث الاسماعيلية حيث يوجد لديه الكثير من مخطوطاتهم. انظر قائمة المراجع في آخر كتابه.

(٢) انظر ص٦٠، ١٢٦ ـ ١٢٧ على سبيل المثال.

(٣) للمؤلف كتاب آخر عن الاسماعيلية ولكنه يتحدث عن الجانب الأدبي لدى الفاطميين ـ كما يسميهم ـ واسم هذا الكتاب «في أدب مصر الفاطمية» ونشير إلى نصين لبيان رأي المؤلف في الدفاع عنهم:
أولهما: قوله في ص٣٠: «والفاطميون لم يعملوا على طرح الأديان وإبطال العبادة كما فهم الكتاب والمؤرخون».
وثانيهما: قوله في ص٣٣: «فالاسماعيليون لم يقولوا بالإباحة المطلقة وبالتناسخ والحلول».

(٤) لأنه خطأ علماء المسلمين القدامى من كتاب الفرق والمقالات والذين أجمعوا على باطنية الاسماعيليين وطرحهم للشرائع والأديان فهو يقول في كتابه هذا ص١٤٨ «ولذلك أخطأ القدامى في إطلاق لقب الباطنية على فرقة الاسماعيلية» وفي آخر الصفحة يقول: «فالاسماعيلية لا يقولون بالباطن فقط كما وهم القدماء» وفي ص١٥٠ وما بعدها يسوق قصصًا وحكايات لنفي الغلو والإدعاءات الثابتة عند أئمة الاسماعيلية مخطئًا ونافيًا لما أثبته علماء أهل السنة والجماعة عن الاسماعيليين.

الإسلامي وبيان ما يخططونه لأهل السنة من كيد ومكر.

(ب) بيان الصلات والتداخل بين فرق الشيعة وصلة كل فرقة بالأخرىٰ ولا سيما الاسماعيلية مع الإمامية.

(ج) نقل نصوص علماء السلف في هذه الفرق وزعمائها من حيث الحكم عليهم مع عرض معتقداتهم علىٰ الكتاب والسنة ومن ثم الحكم عليهم بالإسلام أو الكفر.

(د) حركة القرامطة تعتبر فرقة مستقلة رغم ما لزعماء القرامطة من علاقة وتأثر بأئمة الاسماعيلية إلا أنهم خالفوا الأئمة ونهجوا منهجًا ثوريًا علىٰ ضوئه اعتبروا منشقين عن حركتهم الأم الاسماعيلية وبعد ذلك أصبحوا كالدروز تمامًا حينما ألهوا الحاكم العبيدي واختلفوا مع الاسماعيليين فيحسن بعد ذلك اعتبار القرامطة فرقة باطنية مستقلة مثل سائر الفرق الباطنية الأخرىٰ.

(هـ) ومما لا شك فيه أن لعلمائنا المتقدمين جهوداً في التأليف والمناقشة والرد علىٰ الفرق الباطنية عمومًا ومنها فرقة الاسماعيلية.

وأول ما يطالعنا في هذا المقام ما كتبه علماء الفرق والمقالات كأبي الحسن الأشعري والملطي والبغدادي وابن حزم والشهرستاني والرازي[1] وجميع هؤلاء تحدثوا عن الاسماعيلية ضمن فرق كثيرة فأوجز بعضهم كالملطي والأشعري والبعض الآخر تحدث عن الاسماعيلية الشرقية كالشهرستاني وبعضهم تحدث عنها مفرقة ومختصرة من دون ترتيب كابن حزم وأكثرهم عنها حديثًا البغدادي حيث أفرد لهم فصلاً خاصًا ولكنه تحدث عن الباطنية عمومًا والاسماعيلية ـ كما هو معروف ـ فرقة من فرقها.

وممن كتب عن الاسماعيلية من العلماء المتقدمين الإمام ابن تيمية وذلك ضمن كتبه

---

(١) وكتبهم علىٰ الترتيب وحسب الوفيات لكل واحد منهم كالآتي:
(أ) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.
(ب) التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع.
(ج) الفرق بين الفرق.
(د) الفصل في الملل والأهواء والنحل.
(هـ) الملل والنحل.
(و) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.

الثلاثة المشهورة:

(١) الفتاوىٰ والحديث عنهم مفرق في أجزائها العديدة وقد أكثر من الحديث عنهم في المجلد الخامس والثلاثين في باب حكم المرتد.

(٢) كتابه العظيم منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية حيث تحدث عنهم استطراداً في مواضع متفرقة من الكتاب لأن الكتاب في أصله رد علىٰ الرافضي الإمامي ابن المطهر الحلىٰ فموضوعه الأساسي الشيعة الإمامية.

(٣) في مخطوطة عنوانها بغية المرتاد في الرد علىٰ المتفلسفة والباطنية والقرامطة والجهمية أهل الحلي والاتحاد تحدث عن الاسماعيلية في مواضع متفرقة حسب الموضوعات. وقد حققت هذه المخطوطة أخيراً في جامعة الإمام محمد بن سعود وفي مكتبتي الخاصة نسخة منها مخطوطة وظهرت مطبوعة بعد ذلك بمجلدين.

وأخيراً فإننا حينما نرجع إلىٰ تلك الكتابات لهؤلاء العلماء الأعلام فسنجد أنها ـ مع قيمتها العلمية واستفادتنا منها ـ قليلة المادة بالنسبة لوفرة المصادر الاسماعيلية. كما نجد أن مباحثها عن الاسماعيلية مفرقة في مواضع متعددة مما يصعب معه الاستفادة منها بسهولة ويسر. كما أنها غير مختصة ومقتصرة علىٰ طائفة الاسماعيلية.

(هـ) كتب الردود علىٰ الباطنية وفرقها ـ ومنها الاسماعيلية ـ وهذ النوع من الكتابات والمؤلفات كثير جداً وهي علىٰ قسمين:

القسم الأول: مفقود ولكنه ثابت حيث أشار إليه مؤلفه في كتاب من كتبه الأخرىٰ أو ذكره من تحدث عن ذلك العالم وترجم له. ومن الأمثلة علىٰ ذلك كتاب أبي بكر الباقلاني وعنوانه كما نقل لنا: «كشف الأسرار وهتك الأستار» حيث ذكره ابن حزم ونقل نصوصاً منه[١]. كما أشار إليه السبكي في طبقاته وذكر أن الباقلاني كشف عن بطلان نسب الفاطميين فيه[٢].

(١) انظر الفصل لابن حزم ٥/ ٢ الطبعة الأخيرة المحققة.

(٢) طبقات الشافعية للسبكي.

وقال عنه ابن تيمية: إن القاضي الباقلاني صنف كتابه المشهور في كشف أسرار الاسماعيلية وهتك أستارهم[١].

ومثله كتاب ثابت بن أسلم النحوي الشيعي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٠هـ وهو كتاب كشف فيه عن بداية الدعوة الاسماعيلية وقبائحها لكن الاسماعيليين ـ كما يقول الدكتور بدوي ـ انتقموا منه فاختطفوه إلى مصر حيث صلبوه ومات صبراً[٢].

القسم الثاني: موجود متداول ومن أشهره كتاب الإمام الغزالي «فضائح الباطنية» حيث طبع عدة طبعات بتحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوي. وهو صخرة عالم في وجه المد الباطني الذي انتشر في بلاد فارس وبلاد الشام بقيادة أصحاب القلاع والحصون في الألموت ومثله كتاب محمد بن الحسن الديلمي وهو «بيان مذهب الباطنية وبطلانه» وكذلك للعالم الزيدي يحيى بن حمزة العلوي كتابان في الرد على الباطنية أحدهما «الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام»[٣] بتحقيق النشار وفيصل عون، والثاني بعنوان «مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار» بتحقيق محمد الجليند.

وهذه الكتب الأربعة مليئة بالردود بأسلوب إنشائي عاطفي، كما أنها مبنية على السماع عن الباطنية وليس الرجوع إلى مصادرهم وكتبهم في معظم الأحيان إلا نتفًا بسيطةً أشار إليها الديلمي في مواضع من كتابه. والرد على فرقة أو فئة ضالة يكون قاطعًا ومحكمًا إذا حوكموا إلى نصوصهم ومؤلفاتهم التي لا يسعهم إنكارها أو التبرؤ منها بحال من الأحوال.

ومما له أهمية بالغة وقيمة علمية ما كتبه محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي في رسالته «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» وتأتي أهميته مما ذكر المؤلف في مقدمته: أنه دخل في مذهب الصليحي ليتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه وليطلع على

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ٣٥/ ١٢٩.

(٢) مقدمة الدكتور بدوي على كتاب الغزالي فضائح الباطنية ص ج.

(٣) هذا الكتاب يعتبر من أصول كتب الزيدية وهو بجانب ذلك رد على الباطنية، والصراع بين الزيدية والباطنية قائم منذ وجود الفرقتين في القرن الثالث الهجري حتى عصرنا الحاضر.

أسرار المذهب وكتبه. يقول عن هذه التجربة: ولما تصفحت ما فيه وعرفت معانيه رأيت أن أبرهن على ذلك نصيحة لله وللمسلمين فألفت هذا الكتاب بعنوان كشف أسرار الباطنية، والكتاب كما هو واضح من موضوعاته والباعث على تأليفه خاص بالصليحيين اسماعيلية اليمن والذين يتبعون الاسماعيلية المستعلية[1].

هذه هي أهم الكتب وأشهرها - حسب علمي واطلاعي - عن الباطنية عمومًا والاسماعيلية بوجه خاص. وتظل الحاجة قائمة ويبقى الدافع قويًا إلى إفراد هذه الفرقة (الاسماعيلية) بكتابة خاصة تشتمل على الجوانب الرئيسة الثلاثة وهي:

الجانب التاريخي - الجانب التنظيمي - الجانب العقدي الذي لم أجد - حسب علمي المحدود - من كتب فيها أو ولجها بهذه الجوانب الرئيسة الثلاثة مجتمعة حسب المنهج العلمي المتفق عليه وذلك بتصوير مذهبم كما هو من كتبهم ومصادرهم مباشرة ومن ثم تحليل نصوصهم والرد عليها بموضوعية ونقدها حسب منهج أهل السنة والجماعة القائم على العدل والإنصاف حتى مع الخصوم. لهذه الأسباب عزمت على دراسة هذه الفرقة واستبانة أمرها بعنوان «**أصول الاسماعيلية دراسة وتحليل ونقد**».

وكانت خطتي في البحث كالآتي:

الباب الأول: وعنوانه «التشيع وأثره في الإسماعيلية» ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التشيع تعريفه ونشأته وفرق الشيعة.

ثم تحدثت في هذا الفصل عن تعريف التشيع لغة واصطلاحًا وبينت المراحل التي مر بها مصطلح الشيعة ومن ثم رجحت التعريف الجامع لفرقة الشيعة.

ثم تحدثت عن نشأة الشيعة ونقلت الأقوال والآراء في ذلك ورجحت بالأدلة ما اتضح لي أنه القول الصحيح في نشأتها وظهورها.

---

(١) انقسمت الطائفة الاسماعيلية بعد المستنصر أحد حكام الدولة العبيدية إلى فرقتين، إحداهما تسمى بالمستعلية نسبة إلى المستعلي والأخرى تسمى بالنزارية نسبة إلى نزار بن المستنصر، وإن شاء الله سوف نتحدث عن هذا الانقسام وسببه في آخر الباب الثاني عند الحديث عن أئمة الاسماعيلية، وعند الحديث عن فرق الاسماعيلية.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن فرق الشيعة ونقل أقوال وآراء علماء الفرق والمقالات عن حصر أصول هذه الفرق ورجحت بعد ذلك ما اتضح لي من خلال الأدلة والواقع أنه القول الراجح.

الفصل الثاني: أصول التشيع الأولى.

ومهدت لهذا الفصل بذكر بعض مزاعم الشيعة عن أصالة مذهبهم وبينت تهافت تلك المزاعم. ثم أوضحت بعد ذلك بدء ظهور أصول التشيع على يد ابن سبأ. وحيث إن الشيعة ـ ولا سيما في العصر الحاضر ـ يحاولون نقض ما أجمع عليه المتقدمون من ثبوت شخصية ابن سبأ، إما بنفي الصلة بينهم وبينه تارة أو بإنكار شخصية ابن سبأ تارة أخرى فقد تحدثت بشيء من التفصيل عن إثبات ابن سبأ ودوره في مذهب الشيعة ومن ثم بينت واستنبطت العوامل الخارجية والمصادر الأجنبية في مذهب الشيعة وأثرها في أصول الشيعة. ثم بعد ذلك تحدثت بالتفصيل عن أصول التشيع على النحو الآتي:

الأصل الأول: الإمامة.

الأصل الثاني: الغيبة.

الأصل الثالث: الرجعة.

الأصل الرابع: التقية.

الأصل الخامس: الوقيعة في الصحابة رضي الله عنهم وسبهم.

الأصل السادس: دعوى تحريف القرآن.

وفي **الفصل الثالث:** وعنوانه: «أثر التشيع في فرقة الاسماعيلية نشأة وعقيدة»: بينت دور الشيعة الإمامية وأثرهم في ظهور التشيع الباطني سواء فيما يتعلق بأصول الفرقتين واتكاء احداهما على الأخرى أو فيما يتعلق بالأحداث التاريخية للشيعة الإمامية واستغلال الاسماعيليين لها وأثبت ذلك بنصوص العلماء والاتفاق على معظم الأصول.

أما **الباب الثاني** فعنوانه: **«الجانب التاريخي لفرقة الاسماعيلية»** ويشتمل على

خمسة فصول هي :

الفصل الأول: تعريف الاسماعيلية ونشأتها .

الفصل الثاني: جذور الاسماعيلية حيث إنها مسبوقة بحركتين تعتبران أساسًا وأصلاً للاسماعيلية وهما الخطابية والباطنية وبينت من خلال عرض أصول هاتين الفرقتين وآرائهما التوافق التام بينهما وبين الاسماعيلية كما بينت صلة زعمائها ودعاتها بأئمة الاسماعيلية ودعاتهم .

وقد فصلت القول في هاتين الطائفتين بتعريفهما وبيان آرائهما وزعمائهما ومدى التأويل الباطني في كل منهما وأخيراً دورهما في تأسيس وتأصيل الطائفة الاسماعيلية . ثم بعد ذلك انتقلت إلى **الفصل الثالث** وعنوانه : «**أئمة الاسماعيلية**» وقسمت الحديث عنهم على النحو الآتي :

(أ) الأئمة الأوائل .

(ب) أئمة دور الستر بعد محمد بن اسماعيل .

(ج) أئمة دور الظهور .

وقد أفردت لكل إمام ترجمة خاصة ابتداء من مؤسس الدولة العبيدية (عبيد الله المهدي) حتى آخر حاكم منهم وهو العاضد ، مركزاً على الجوانب الفكرية وما يتعلق بالجانب المذهبي لطائفة الاسماعيلية .

(د) ثم الحديث عن انقسام الاسماعيلية حول الأئمة وسبب ذلك وقيام طائفتين للاسماعيلية إلى يومنا هذا .

(هـ) ثم بعد ذلك الحديث عن أئمة الطائفة الأولى (المستعلية) .

(و) ثم الحديث عن أئمة الطائفة الثانية (الاسماعيلية النزارية) .

(ز) وختمت هذا الفصل بنهاية الدولة العبيدية .

أما **الفصل الرابع** وعنوانه «نظم الدعوة الاسماعيلية» فقد قسمت الحديث عن هذه النظم إلى ثلاثة جوانب :

الجانب الأول: ويتعلق بالدعوة ذاتها وعنوانه «مراحل الدعوة».

والجانب الثاني: يتعلق بالأئمة وبيان مراتبهم وعنوانه «مراتب الأئمة».

أما **الجانب الثالث:** فيتعلق بدعاة المذهب دون الأئمة ودرجاتهم وخاصية كل درجة والعمل الذي يزاوله صاحبها وعنوانه «درجات الدعاة».

أما **الفصل الخامس** فكان عن فرق الاسماعيلية ثم عن الدول التي قامت لهذه الطائفة وعنوانه: فرق الاسماعيلية ودولها.

وبنهاية هذا الفصل انتقلت إلىٰ القسم الثاني من الرسالة وهو الباب الرئيس في هذا البحث ـ وكانت ترتيبه العددي **الباب الثالث** وعنوانه «**أصول الاسماعيلية وعقائدهم**». ويشتمل علىٰ سبعة فصول هي:

الفصل الأول: «الأصول العامة لمعتقداتهم». وفيه تحدثت عن أصلين أساسيين لهما أثر كبير علىٰ جميع معتقدات الاسماعيلية وهما:

(أ) الإمامة.

(**ب**) التأويل الباطني أو الظاهر والباطن.

وفي **الفصل الثاني:** انتقلت إلىٰ معتقد الاسماعيلية عن الله سبحانه وتعالىٰ. وبينت ما تؤول إليه ألفاظهم المعقدة وعباراتهم الغريبة من سلب ونفي محض وما فيها كذلك من تناقض واضطراب. وحاولت جاهداً عرض أفكارهم في هذا الأصل بأسلوب أقرب إلىٰ متناول القارئ والمطلع. ومن ثم تتبعت مزاعمهم مبيناً بطلانها واضطرابها ومخالتها للفطرة البشرية.

أما **الفصل الثالث:** فكان عن معتقد الاسماعيلية في النبوات. ويشتمل النبوة نفسها كما يشمل الأنبياء والرسل ومعتقدهم عن أولي العزم. وعن قائمهم محمد بن إسماعيل الذي يعبرون عنه بالناطق السابع. وقد بينت بعد ذلك ضلال هذه المعتقدات بعد عرضها وتحليلها.

أما **الفصل الرابع**: فهو عن معتقد الاسماعيلية في القيامة والمعاد وعنوانه: «معتقد

الاسماعيلية في الآخرة» بينت فيه معنىٰ القيامة عندهم وارتباط ذلك بقائم القيامة، وقد تتبعت أوهامهم في هذا الأصل وعرضتها بأسلوب يشعر بتفاهتها ومن ثم نقدها.

وفي **الفصل الخامس:** بينت معتقدهم في المصادر الأساسية للمسلمين وهما كتاب الله تعالىٰ الوحي الأول وسنة نبيه ﷺ الوحي الثاني، وبينت خلاصة مذهبهم عن هذين المصدرين وأنه لا يخرج عن إحدىٰ حالتين: إما الإنكار التام والصريح ولا سيما للمصدر الثاني، أو التأويل والتلاعب بألفاظهما حتىٰ يصل في نهاية الأمر إلىٰ إنكارهما أو إنكار ما يدلان عليه.

أما **الفصل السادس:** فكان عن تأويلات الاسماعيلية للتكاليف الشرعية وفيه بيان أهمية التكاليف وأنها هي الصورة العملية لعقيدة المسلم فلا إسلام إلا بأداء الصلاة والزكاة والصوم والحج أداء وفق ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ وبينت من خلال مصادرهم نهاية هذه الأركان وإبطالها عن طريق تأويلها.

وفي **الفصل السابع والأخير:** بينت حكم الإسلام في طائفة الاسماعيلية من خلال معتقداتهم آنفة الذكر مع حكم علماء الإسلام فيهم قديمًا وحديثًا.

وأخيراً ختمت الرسالة بخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث مع عدة ملاحق لحقائق أساسية ووثائق مهمة لها ارتباط تاريخي أو عقدي بفرقة الاسماعيلية.

هذه هي بضاعتي في هذا البحث وهذا هو جهدي أرجو من الله العلي القدير أن أكون وفيته بعض حقه وقدمت للباحثين والدارسين في علم الفرق خدمة متواضعة في كشف هذه الفرقة وغيرها من الفرق المنحرفة وبيان مواطن خطرهم علىٰ الأمة الإسلامية. وأنني مع ذلك أقول كما قال بعض السلف الصالح «فأما سائر ما تكلمنا عليه فإنا أحقاء بألا نزكيه وألا نؤكد الثقة به وكل من عثر منه علىٰ حرف أو معنىٰ يجب تغييره فنحن نناشده الله في إصلاحه وأداء حق النصيحة فيه فإن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه ونحن نسأل الله ذلك ونرغب إليه في دركه إنه

جواد وهوب».

وختامًا أشكر الله عز وجل وأحمده أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا على نعمة وآلائه التي لا تعد ولا تحصى ﴿...وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾[1].

ثم بعد ذلك امتثالاً للأمر النبوي[2] أشكر أستاذي المشرف الأول على الرسالة الدكتور سليمان دنيا رحمه الله سائلاً الله عز وجل أن يحسن مثوبته ويغفر له ويجزل له الأجر والثواب.

كما أشكر أستاذي المشرف الحالي على الرسالة الدكتور عثمان بن عبد المنعم يوسف على ما بذل لي من جهد وتوجيه ووقت لا حد له وأسأل الله عز وجل أن يجزيه عني خير الجزاء ويجمع له بين الصحة وطول العمر وحسن العمل انه على ما يشاء قدير.

كما أشكر جميع الاخوة والأساتذة الذين قدموا لي توجيهًا ونصحًا.

ولا يفتوتني أن أشكر عمادتي كلية الشريعة وكلية الدعوة على اهتمامهم بالعلوم الشرعية وطلابها سائلاً الله عز وجل أن يجزيهم خير الجزاء وأن يسدد خطاهم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه

د / سليمان بن عبدالله السلومي

---

(١) سورة ابراهيم: ٣٤.

(٢) ورد في الحديث الصحيح قوله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ: **«لا يشكر الله من لا يشكر الناس»**

رواه أبو داود ٥/ ١٥٧، والترمذي ٦/ ٨٧، والإمام أحمد في المسندة ١٩/ ٩٤ من كتاب الفتح الرباني.

منهج السلف
في
محاربة البدع والأهواء والفرق

للسلف رضوان الله عليهم منهج عظيم في محاربة البدع والفرق يتمثل في بيان الحق ونشره وتعلمه وتعليمه بعيداً عن الخوض في المسائل الاعتقادية أو ذكر الشبه ومعتقدات الفرق ومن ثم الرد عليها حتى لا يكون ذلك سببًا في ظهورها ونشرها وتوجيه الأنظار لها. ولذا نجد أن التأليف والكتابة في فن المقالات والفرق تأخر حتى بداية القرن الثالث الهجري[1].

وحينما استأذن رجل أحمد بن حنبل في أن يضع كتابًا يقوم فيه بالرد على أهل البدع وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم، كتب إليه أبو عبد الله كتابًا فيه: الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ وإنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم فإنهم يلبسون عليك، وهم لا يرجعون فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم[2].

ومن الآثار الواردة عن السلف في ذلك ما رُوي عن عبد الله السري قوله: «ليس السنة عندنا أن يرد على أهل الأهواء ولكن السنة عندنا أن لا نكلم أحداً منهم».

وروى البغوي عن سفيان الثوري أنه قال: من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه لا

---

(١) وذلك كأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠هـ وأبي الحسين الملطي المتوفى سنة ٣٧٧هـ ومن جاء بعدهم كالبغدادي وابن حزم والشهرستاني وغيرهم.

(٢) الإبانة لابن بطة ١/ ٤٤، أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ٥٦ ـ ٥٧.

يلقيها في قلوبهم[١].

والنصوص لأهل السنة والجماعة في هذه المسألة كثيرة جداً وحسبنا أن نرجع فيها إلى شرح السنة للبغوي أو الإبانتين الكبرى والصغرى لابن بطة أو شرح أصول الاعتقاد للالكائي[٢].

وخلاصة القول أن علماء المسلمين يكرهون مناظرة أهل البدع والجلوس معهم بل ونهوا عن نقل شبهاتهم أو عرضها على المسلمين خوفًا من ضعف الناقل لها وعجزه عن إبطالها وتزييفها فيفتتن بها بعض من سمعها أو قرأها. كان هذا هو موقف السلف في الفترة الأولى لظهور المبتدعة وهي الفترة التي لم يكن لهؤلاء المبتدعة فيها كتب كثيرة ولا تلاميذ ينشرون بدعهم وأهوائهم وشبهاتهم فكان منهج أهل السنة أن لا يسهموا بنشر هذه الآراء بين الناس على نطاق واسع عن طريق المناقشة والرد شفاها أو كتابة.

أما الفترة الثانية التي انتشرت آراء المبتدعة ومذاهبهم فيها على نطاق واسع وكان لهم فيها كتب وتلاميذ فلم يعد من الممكن تجاهل هذه الآراء الضالة بعد انتشارها على هذا النحو بين الناس. وأصبح من الواجب مجاهدة هذه الفرق والأهواء بمعارضتها وملاحقة أصحابها في كل مكان، وهذا ما انتهى إليه أمر علماء أهل السنة والجماعة حيث قام الكثير منهم ببيان حالهم وتحذير الأمة منهم مع إظهار السنة وتعريف المسلمين بها ثم قمع البدع ودفع بغي وعدوان أهلها كل ذلك في إطار الانضباط بالعدل والاحتكام للكتاب والسنة فهناك ضابطان شرعيان أساسيان لدى أهل السنة في كشف المبتدعة وأهل الأهواء وبيان أمرهم وهما:

(١) ان هذا البيان وذلك الإنكار دافعه الإخلاص لله عز وجل والطاعة له وموافقة أمره والأمل في الإصلاح لا أن يكون لهوى النفس أو استيفاء من أحد أو عداوة دنيوية له.

---

(١) المرجع السابق ١/ ٥٦.

(٢) حققت الكتب الثلاثة الأخيرة في جامعة أم القرى وبعد ذلك طبعت وكلها بإشراف الدكتور عثمان بن عبدالمنعم يوسف الأستاذ في قسم العقيدة بجامعة أم القرى.

(٢) أن يكون ذلك كله من خلال عمل شرعي مأمور به بحيث يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة حسب الأحوال والظروف المختلفة وإلا لم يكن العمل مشروعًا ولا مأموراً به. وحسبنا في هذا المقام نص عظيم لابن تيمية يقول فيه:

«أهل السنة يستعملون مع الروافض العدل والإنصاف ولا يظلمونهم فإن الظلم حرام مطلقًا. بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء ـ يعني طوائف البدع ـ خير من بعضهم لبعض بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض وهذا ما يعترفون هم به[١] ويقولون أنتم تنصفونا ما لا ينصف بعضنا بعضا»[٢].

وفي موضع آخر قال: «وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة فيجتمع له من هذا وهذا»[٣].

وبالجملة فأهل السنة خير من يتمثل هذه الآية ويطبقها وهي قوله تعالى: ﴿ ... **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ... ﴾[٤].

وحينما ننتقل من هذا الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي فإن رؤوس الفرق الضالة[٥] ظهروا في أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم بعد الفتنة الكبرى[٦] وكان

---

(١) جاء في كتاب الكافي للكليني أن أحد الشيعة ويسمى عبدالله بن كيسان قال لإمامهم: اني نشأت في أرض فارس وانني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك فأخالط الرجل فأرى له حسن السمت وحسن الخلق وكثرة أمانة ثم أفتشه فأتبينه من عداواتكم ـ يعني من أهل السنة ـ وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وذعارة ثم أفتشه فأتبينه من ولايتكم ـ يعني من الشيعة ـ انظر كتاب الكافي للكليني ٢/ ٤.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ٣٩.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨/ ٢٠٩.

(٤) سورة المائدة: ٨.

(٥) عين السلف هذه الفرق وحددوها بأربع فرق تعتبر أساس الفرق كلها ومما نقل عن الإمامين الجليلين يوسف بن أسباط وعبد الله بن المبارك أنهما قالا: «أصول البدع أربعة: الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة». انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣٥٠.

الكبرى[1] وكان الحكم في هذه الفرق كالآتي :

(١) الخوارج حكموا عليهم بالمروق من الدين وتفريق كلمة المسلمين .

وعالج الصحابة ذلك أولاً بالمناظرة والإقناع بالحجة حيث ثبت أن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه أرسل إليهم حبر الأمة وترجمانها لمناظرتهم وبيان الحق لهم فيما خالفوا فيه فرجع أكثرهم وأما من عاند وكابر وحمل السيف لنصرة بدعته فإن حكمةُ القتال والقتل حيث وردت الأحاديث بفضل الطائفة التي تقاتل هؤلاء المبتدعة[2] [3] .

(٢) الشيعة وهؤلاء كانوا ثلاث طوائف :

(أ) طائفة تؤله عليًا ولما تبين لعلي رضي الله عنه قبح مقالتهم وكفرهم أحرقهم بالنار حيث خد لهم أخاديد عند باب مسجد بني كنده فمن تاب ورجع خلا سبيله ومن أصر على بدعته الشنعاء قذف فيها .

(ب) وطائفة أخرى تسمى السابة وهم الذين يتعرضون بالسب والشتم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكان علي رأس هؤلاء ابن سبأ ولما بلغ علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذا عن ابن سبأ طلبه ليقتله ولكنه هرب وفي رواية أنه نفاه إلى المدائن .

(ج) وطائفة ثالثة وتسمى المفضلة وهم الذين يفضلون عليًا على أبي بكر وعمر رضوان الله عليهم وثبت عن علي في أمر هؤلاء أنه نهاهم وتوعدهم بل إنه كما في صحيح البخاري قال : والله لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى[4] .

(٣) القدرية :

---

(١) المقصود بهذه الفتنة ما فعله الثوار بقيادة ابن سبأ اليهودي سنة ٣٥هـ من حصار المدينة وقتل الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين في بيته صبرا وهو يقرأ القرآن وكان ذلك ايذانًا بفتن عظيمة ومجازر كثيرة بين المسلمين يقتل بعضهم بعضا وكان من آثار ذلك ظهور الفرق والبدع التي لا عهد للمسلمين بها .

(٢) انظر هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب دراسة عن الفرق للأستاذ أحمد محمد جلي ص٤٠ ـ ٤٦ .

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب استتابة المرتدين ٨/ ٥١ ـ ٥٢ ، صحيح مسلم باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٣/ ١١١ .

(٤) انظر كتاب معالم الانطلاقة الكبرى لمحمد عبدالهادي ص١٢٧ ، والحديث رواه البخاري . انظر فتح الباري ٧/ ٣٣ .

وهؤلاء أعلن الصحابة رضوان الله عليهم البراءة منهم وأخبروا أنهم مجوس هذه الأمة فلا يعاملون معاملة المسلمين[١].

وثبت عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال حينما ذكرت له أقوال هذه الفئة: أخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبدالله بن عمر. لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر.

قال النووي في شرحه للحديث: هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنهما ظاهر في تكفيره القدرية. وقال القاضي عياض: والقائل بهذا كافر بلا خلاف وهؤلاء الذين ينكرون القدر هم الفلاسفة في الحقيقة[٢].

وفي بعض الروايات: إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تتبعوهم.

(٤) وأما الطائفة الرابعة فهم المرجئة الذين تصدىٰ لهم علماء السلف بالرد والتفنيد لبدعتهم وبيان فسادها مع العلم أن الإرجاء في عهد الصحابة رضي الله عنهم كان أخف وأقل مخالفة فيما بعد ذلك حيث انضم إلىٰ البدعة الأولىٰ إرجاء العمل عن الإيمان.

وللسلف حكمهم في رؤوس البدع وزعماء الفرق حيث حكموا بكفر بعضهم وقتل البعض الآخر. فالجعد بن درهم قتله خالد بن عبدالله القسري والجهم بن صفوان قتله مسلم بن أحوز.

وأما واصل بن عطاء رأس المعتزلة فقد طرده الحسن البصري من مجلسه. وبالجملة فإن علماء أهل السنة ومعظم الخلفاء تصدىٰ لهؤلاء المبتدعة فطاردوهم وتتبعوهم وهذا المنهج وتلك الأحكام إنما كانت عند ظهور الفرق وانتشارها بحيث ظهر أن الرد والتفنيد لا يكفي في إيقاف مثل هذه الأهواء والضلالات. وما أحوج عصرنا

(١) حديث القدرية مجوس هذه الأمة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ. وأخرجه أبو داود في سننه والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر. صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٤.

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٥ ـ ١٥٦.

الحاضر إلى مواقف السلف الأولى حيث كثرت البدع والفرق ونشط أتباعها وزعماؤها. ومن أخطر هذه البدع وأشدها فتكًا بالأمة الإسلامية حركة الباطنية التي يندرج تحتها مسميات وفرق عديدة كالنصيرية والاسماعيلية والدروز والرافضة. والواجب على أولي الأمر من المسلمين سواء كانوا علماء أو أصحاب سلطة شرعية أن يجاهدوا هذه الفرق بكشفها وبيان أمرها وتحذير الناس منها والإنكار على أصحابها باللسان والهجر واليد بل والجهاد بالسيف إذا اقتضى الأمر ذلك.

ولعل كتابتي إن شاء الله عن الاسماعيلية ببيان أمرها وكشف خطرها مساهمة متواضعة لنوع من أنواع الجهاد المأمورين به وهي جهد مقل وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والآن إلى أبواب الرسالة وفصولها ابتداء بالباب الأول عن كشف أثر ودور الشيعة الإمامية في طائفة الاسماعيلية الشيعية الباطنية.

* * * * *

الباب الأول
التشيع وأثره في فرقة الاسماعيلية

يشتمل هذا الباب على تمهيد وفصول ثلاثة هي:

الفصل الأول: التشيع تعريفه ونشأته وفرق الشيعة.

(١) تعريف التشيع لغة واصطلاحًا.

(٢) نشأة التشيع.

(٣) فرق الشيعة.

الفصل الثاني: أصول التشيع الأولى.

(١) تمهيد.

(٢) بدء ظهور وأصول التشيع على يد ابن سبأ.

(٣) المصادر الأجنبية لأصول التشيع.

(٤) تفصيل القول في أصول التشيع.

الأصل الأول : الإمامية.

الأصل الثاني : الغيبة.

الأصل الرابع : التقية.

الأصل الخامس : الوقيعة في الصحابة وسبهم.

الأصل السادس : دعوى تحريف القرآن.

الفصل الثالث: أثر التشيع في الاسماعيلية نشأة وعقيدة.

* * * * *

الفصل الأول
التشـيع تعريفـه ونشـأتـه
وفـرق الشـيعـة

تمهـيـد:

ظهر التشيع كمبدأ ومذهب على يد ابن سبأ وهو تيار بدعي ظهر في مقابل بدعة الخوارج ومذهبهم حيث أن كلا البدعتان انحراف في مقابل انحراف آخر.

فالخوارج جفوا عليًا رضي الله عنه ومن رضي بالتحكيم حتى كفروهم ففرطوا والشيعة ـ بزعمهم ـ يقدسون عليًا وذريته تقديسًا يخرج بهم عن بشريتهم فأفرطوا.

فلفظ الشيعة إذا أطلق فإنما يراد به الفرقة التي خالفت أهل السنة والجماعة في معتقداتها عن الإمام وترتيب الأئمة المهديين الخلفاء الراشدين فيقال عن من يقول بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بهذا الترتيب سني ومن يخالف ذلك يقال عنه شيعي. وهذا مظهر وصفة ظهر واتصف بها مدعو التشيع في أول أمره وعليه تعريف الأشعري الذي يقول عن سبب تسميتهم بالشيعة: «وإنما قيل لهم الشيعة؛ لأنهم شايعوا عليًا رضي الله عنه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ»[1].

فالشيعة بناء على هذا التعريف يتصفون بصفتين:

الأولى: المناصرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهذه صفة لا تميز الشيعة عن غيرهم فإن تلك الصفة ثابتة لمعظم الصحابة بعد مبايعتهم له بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فهؤلاء يرون أحقيته للخلافة في تلك الفترة؛ لأنه أفضل الصحابة بعد استشهاد ذي النورين، كما أنه أحق بالأمر من معاوية رضي الله عنه

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/ ٦٥.

بأدلة شرعية ثابتة[١].

وعلىٰ هذا من قاتل مع علي وانضم إليه في معاركه الأولىٰ أن يقال عنهم أصحابه وأنصاره ولا يطلق عليهم شيعته إلا بالمعنىٰ اللغوي ضبطًا لهذا المصطلح ومن ينطبق عليه وإبعادًا لتوهم إطلاق لفظ التشيع علىٰ الصحابة الذين ناصروه وحاربوا من لم يبايعه باعتبار أنه هو الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين رضوا الله عليهم أجمعين[٢].

الصفة الثانية: تقديم علي رضي الله عنه علىٰ سائر الصحابة رضوا الله عليهم. وهذا هو رأي المفضلة من الشيعة وهم الذين يفضلونه علىٰ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ووقف علىٰ من هؤلاء موقفًا واضحًا ثابتًا حيث تواتر عنه أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وروىٰ البخاري في صحيحه عن محمد ابن الحنفية أنه سأل أباه: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ فقال: أبو بكر. قال ثم من؟ فقال عمر[٣]. بل إن عليًا رضي الله عنه صعد علىٰ منبر الكوفة فقال: والله لا أوتي برجل يفضلني علىٰ أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترىٰ[٤].

وإذا تأملنا في هاتين الصفتين المتقدمتين فإنه ليس فيهما معتقدات ومباديء مما اشتهرت بها الشيعة فيما بعد. وعلىٰ هذا فتعريف الأشعري إنما ينطبق علىٰ الشيعة في أول أمرها قبل مجاهرتهم بعقائدهم وأفكارهم من الرجعة والوصية والتقية والسب

---

(١) منها حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قوله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» بل نقل ابن حجر تواتر ذلك عن النبي ﷺ. انظر الإصابة لابن حجر ٧/ ٦٥.

وفي ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: وظهر بقتل عمار أن الصواب كان مع علي واتفق علىٰ ذلك أهل السنة بعد اختلاف كان في القديم ولله الحمد. الإصابة ٧/ ٥٨.

كذلك قوله ﷺ عن مجاهدة الخوارج وقتالهم: «تقتلهم أولىٰ الطائفتين بالحق» وقد ثبت أن عليًا رضي الله عنه هو الذي قاتلهم ووجد علامتهم وسجد شكراً لله. الفتاوىٰ ١٣/ ٣٢.

(٢) ذكر ابن حبيب في كتابه المحبر أن الصحابة الذين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ممن بايع تحت الشجرة (بيعة الرضوان) ثمانمائة صحابة. فكيف بالصحابة الآخرين لا شك أن العدد منهم كثير. انظر الدولة الأموية ليوسف العشىٰ ص١٠٧.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧/ ٢٠.

(٤) المنتقىٰ من منهاج الاعتدال للذهبي ص٣٦١ ـ ٣٦٢.

وغيرها.

ومن المسلم به بل والمجمع عليه عند الشيعة الإمامية أن تقديم علي على سائر الصحابة في الخلافة غير كاف في التشيع له بل لابد من الاعتقاد بأن إمامته ثابتة بالنص الصريح على التعيين وأنها بدأت بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة إلى استشهاده رضي الله عنه. وعن ذلك يقول أحد علمائهم: وكانت إمامة أمير المؤمنين بعد النبي ﷺ ثلاثين سنة منها أربع وعشرون سنة وستة أشهر كان ممنوعًا من التصرف في أحكامها مستعملاً للتقية والمداراة[1] ومنها خمس سنين وستة أشهر ممتحنًا بجهاد المنافقين من الناكثين والقاسطين والمارقين ومضطهداً بفتن الضالين كما كان رسول الله ﷺ ثلاثة عشرة سنة من نبوته ممنوعًا من أحكامها خائفًا ومحبوسًا وهاربًا ومطروداً لا يتمكن من جهاد الكافرين ولا يستطيع دفعًا عن المؤمنين ثم هاجر وأقام بعد الهجرة عشر سنين كمجاهد للمشركين ممتحنًا بالمنافقين إلى أن قبضه الله جل اسمه إليه وأسكنه جنات النعيم[2].

وإذا كان الأمر كذلك فإن تعريف الأشعري للشيعة غير منطبق عليهم جميعًا. ومن المسلم به أيضًا أن الشيعة تتعدد فرقهم وتختلف آراؤهم حسب الزمان والمكان. فهم قد امتدت بهم العصور وكان لهم في كل عصر ظروف وأحوال مما يصعب معه تحديد معنى واحداً للتشيع ولابد من اللجوء إلى أن التشيع مر بمراحل متعددة كل مرحلة ينطبق عليها تعريف معين.

ونبدأ بتعريف الشيعة لغة واصطلاحًا مع محاولة تحليل هذه التعاريف وتطبيقها على نشوء التشيع ومراحله التي مر بها.

* * * * *

---

(١) يقصد هذا الرافضي بهذه الفترة خلافة الخلفاء الراشدين الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم.

(٢) كتاب الإرشاد للشيخ المفيد ص١٢.

تعريف التشيع

الشيعة في اللغة هم الأتباع والأنصار. جاء في القاموس شيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره. والفرقة على حده ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه أشياع وشيع. وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليًا وأهل بيته حتى صار اسمًا لهم خاصًا[١].

وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة. وكل من عاون إنسانًا وتحزب له فهو له شيعة[٢].

قال الأزهري: «معنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضًا وليس كلهم متفقين»[٣].

فالتشيع بمعناه اللغوي هنا يعني المناصرة والمتابعة أو الاجتماع على أمر أو التحزب لشخص. ويضيف الأزهري معنى لغويًا مهمًا وهو عدم وجود الوفاق التام بين هؤلاء المتشيعين وهو هنا لا يحدد فرقة بيعنها ولكنه غلب فيما بعد ـ كما يقول صاحب القاموس ـ على كل من يتولى عليًا وأهل بيته حتى صار اسمًا لهم خاصًا فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم.

وأما تعريف الشيعة في الاصطلاح فيعرفها المفيد بقوله: «إن لفظ الشيعة يطلق على أتباع أمير المؤمنين على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة وجعله في الاعتقاد متبوعًا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء»[٤].

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣/ ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) تاج العروس مادة شاع ٨/ ٤٠٥.

(٣) تهذيب اللغة مادة شاع ٣/ ٦٢.

(٤) أوائل المقالات للشيخ المفيد ص٣٩.

ومما يلاحظ على هذا التعريف الأمور التالية:

(أ) لم يشر إلىٰ اعتبار الإمام في أبنائه من بعده مع أنهم يقولون بأن من لم يؤمن بالأئمة بعد علي فليس من الشيعة .

(ب) أنه لم يذكر في تعريفه مسألة النص علىٰ علي من الله ورسوله ـ كما يعتقدون ـ ومن لم يؤمن بالأئمة وبالنص عليهم فليس من الشيعة عندهم .

(جـ) أنه في تعريفه يخرج بعض فرق الشيعة كالزيدية الذين يقرون بإمامة الشيخين علىٰ أساس جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل[١] .

وعلىٰ هذا فإن تعريف المفيد للشيعة ليس بجامع لمعنىٰ التشيع . وإذا تأملنا في كتب المقالات والفرق الشيعية القديمة كفرق الشيعة للنوبختي والمقالات والفرق للقمي فإنها لا تعطي كذلك التعريف الجامع والدقيق وتكتفي بالقول : بأنهم أتباع علي بن أبي طالب .

وخالص القول أنه عند التأمل لمصطلح الشيعة عندهم فإن لباب التشيع وأساسه هو الإيمان بالنص علىٰ إمامة علي ، لهذا نجد شيعياً معاصراً يعرف الشيعة علىٰ هذا النحو فيقول : «إن لفظ الشيعة علم علىٰ من يؤمن بأن علياً هو الخليفة بنص النبي»[٢] .

مع العلم أن في ذلك إغفالاً لإمامة الأئمة بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه والنص لهم وهو من أساسيات مذهبهم[٣] .

لهذا نرىٰ بعض كتاب الشيعة المعاصرين يولي وجهه تعاريف أهل السنة للشيعة

---

(١) بل انه بعد التعريف مباشرة نص علىٰ خروج فرق الزيدية سوىٰ الجارودية من التشيع وقال عنهم إن هؤلاء لا تشملهم سمة التشيع وليسوا من الشيعة .
انظر أوائل المقالات ص٣٩ للمفيد.

(٢) الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ص١٥ .

(٣) انظر كتاب غاية المرام ففيه باب بهذا العنوان «باب في نص رسول الله علىٰ علي أمير المؤمنين بأنه الإمام بعده وبنيه الأحد عشر هم الأئمة الاثني عشر وخلفاؤه وأوصياؤه» وفيه ١٩ حديثاً من طرق الشيعة .

ويختار تعريف ابن حزم لهم ويعتبره من أكثر التعاريف شمولاً وأقربها إلى التدقيق[١].

يقول ابن حزم: ومن وافق الشيعة في أن عليًا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فليس شيعيًا[٢].

ويعلل اختياره لهذا التعريف بقوله: ومما حدانا إلى تفضيل هذا التعريف هو الاعتراف بأفضلية الإمام علي على الناس بعد رسول الله ﷺ وأنه الإمام والخليفة بعده وأن الإمام في ذريته من نسل فاطمة رضي الله عنها هو أس التشيع وجوهره[٣].

وانه مع التأمل لبعض نصوص الشيعة عن عقائدهم وأصولهم كالعصمة والتقية والرجعة وغيرها نجد فيها ربطًا للتشيع ووصف من يقول به بالإيمان بمثل هذه العقائد كقولهم:

«من لم يؤمن بكرتنا ويقل بمتعتنا فليس منا». وغيره ـ مما سيأتي إن شاء الله عند ذكر أصول التشيع ـ مما يتضمن نفي صفة التشيع عمن لم يؤمن بتلك العقائد بحيث إن من لم تتوفر فيه لا يعتبر شيعيًا أو لا ينطبق التعريف عليه.

وقريب من تعريف ابن حزم السابق تعريف الجرجاني الذي قال إن الشيعة: هم الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه وقالوا إنه الإمامة بعد رسول الله واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده[٤].

ومن أكثر تعاريف علماء الفرق شمولاً لفرق الشيعة ومعتقداتها تعريف الشهرستاني الذي يقول فيه: «الشيعة هم الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية أما جليًا وأما خفيًا واعتقدوا أن الإمامة لا

---

(١) تاريخ الإمامية لعبد الله فياض ص٣٣.

(٢) الفصل لابن حزم ٢/ ١٠٧.

(٣) تاريخ الإمامية لعبدالله فياض ص٣٤.

(٤) التعريفات للجرجاني ص١٣٥.

تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلهم يكون من غيره أو بتقية من عنده»[١].

وحينما نتأمل تعريفات الشيعة آنفة الذكر نجد أن بعضها يختص بالشيعة الأولىٰ وهو أول سلم التشيع وذلك كتعريف الأشعري والبعض الآخر ينطبق علىٰ الزيدية فقط وذلك كالتعريفات العامة للتشيع من غير نص علىٰ مسألة السب أو التفضيل فيما يتعلق بالشيخين رضي الله عنهما.

وبعضها يضيف قيوداً جديرة بالاعتبار في تحديد مصطلح الشيعة لكنها لا تشمل جميع سمات الشيعة وفرقهم وذلك كتعريف ابن حزم والجرجاني.

ويظل تعريف الشهرستاني ـ فيما وصل إلينا من كتب الفرق والمقالات ـ أكثرها شمولاً وأدقها ضوابط حيث اشتمل علىٰ أمور خمسة تعتبر جميعًا معالم بارزة لفرق الشيعة كلها سوىٰ بعض فرق الزيدية[٢] حيث يقولون ببعضها كالأمر الأول والثالث والرابع وهذه الأمور هي:

(١) مناصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومشايعته خاصة من بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

(٢) وجوب إمامته وخلافته بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة.

(٣) إن هذه الإمامة صريحة وثبتت بطريقين:

(أ) نصوص واردة في تعيينه جلية أو خفية.

(ب) وصايا تناقلوها في تعيين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جلية أو خفية.

(٤) إن الإمامة بعده في أولاده باقية وتنتقل من أب إلىٰ ابنه نصًا واجبًا غير اختيار أو مشورة.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤٦ـ١٤٧.

(٢) هناك من فرق الزيدية غلاة يعتقدون معتقدات الإمامة وذلك كفرقة الجارودية منهم وهناك بعض فرقهم خفيف التشيع كالبترية ولكل فرقة حكمها حسب المعتقدات والآراء. ومما يدل علىٰ ما ذكرت أن الشيخ المفيد أحد علماء الرافضة ينظم الجارودية في سلك التشيع ويخرج ما عداهم من فرق الزيدية بحيث أن اسم التشيع عنده لا يشملهم.
انظر كتابه أوائل المقالات ص٤٠.

(٥) الاعتقاد بالتقية والوصية.

ومع ترجيحنا لتعريف الشهرستاني وكونه أشملها فإن هناك بعض تعريفات لعلماء العقيدة وأهل الحديث تضيف مادة علمية وتحدد مصطلح الشيعة حسب أصولهم ومعتقداتهم وموقف أهل السنة والجماعة منهم. وبعد البحث والتحري تجمع لدي ثلاثة نصوص في هذا الأمر وهي:

النص الأول: للإمام الذهبي يقول في كتابه ميزان الاعتدال في نقد الرجال ما نصه:

«أن البدعة على ضربين:

بدعة صغرى كالتشيع بلا غلو ولا تحرق فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة.

وبدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة».

ثم يضيف الذهبي مبينًا صفات هؤلاء بقوله:

«فما استحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقًا ولا مأمونًا بل الكذب شعارهم والتقية والنفاق دثارهم فكيف يقبل نقل من هذا حاله حاشًا وكلاً.

فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليًا رضي الله عنهم وتعرض لسبهم.

والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضًا فهذا ضال مفتر[1]».

والنص الثاني: لابن تيمية وفيه يقول:

«إن الشيعة الأولى لا يتنازعون في تفضيل أبي بكر وعمر وإنما كان النزاع في علي

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٥ ـ ٦.

وعثمان ولهذا قال شريك[١] بن عبدالله: أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبوبكر وعمر فقيل له: تقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقال: كل الشيعة كانوا على هذا»[٢].

النص الثالث: لابن حجر العسقلاني يقول في مقدمة كتابه فتح الباري:

«أن من أسباب الطعن في الرواة من ضعفه بسبب الاعتقاد وذكر التشيع وقال هو: محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلق عليه رافضي وإلا فشيعي فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغال في الرفض وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو»[٣].

إنه مع التأمل لهذه النصوص الثلاثة نستحصل على حقيقتين مهمتين:

أولاهما: أن التشيع في أول الأمر إنما يقصد به المعنى اللغوي فقط حيث أن من انضم إلى علي وطائفته وحارب معه في معركتي الجمل وصفين[٤] هم شيعته الحقيقيين

---

(١) شريك بن عبدالله القرشي يلقب بأبي عبدالله المدني توفي في المدينة عام ١٤٠هـ وأخرج له البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث.
انظر تقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٣٥١.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ٣٤.

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر ص٤٥٩.

(٤) معركة الجمل من المعارك التي أخبر بوقوعها الصادق المصدوق ﷺ وهي من الفتن التي وقعت بين المسلمين في عام سبع وثلاثين للهجرة في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث سارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومعها الزبير وطلحة رضي الله عنهما مطالبين بالقصاص من قتلة عثمان إلى البصرة والتقى معهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه مطالبًا بجمع الكلمة وضم جميع الأمصار ولكن في الجيشين من أنشب المعركة وكان ما وقع بقدر وقضاء من الله عز وجل حيث نشبت المعركة وقتل جمع من الطرفين.
أما معركة صفين فكانت بينه وبين معاوية رضي الله عنهما وكلاهما يطالب بأمر شرعي حيث يطالب علي رضي الله عنه بالمبايعة واجتماع الكلمة ويطالب معاوية رضي الله عنه بالقصاص أولاً من قتلة عثمان رضي الله عنه وكان هؤلاء ممن حملوا لواء التشيع لعلي وانضموا إلى جيشه وصفه فيطالب معاوية بتسليم هؤلاء أو إقامة القصاص عليهم ويطالب علي بالبيعة واجتماع الكلمة ومن ثم إقامة الحد على من يجب عليه ولما لم يقتنع أحدهما بحجة الآخر وقعت المعركة بموضوع يسمى صفين بين أهل العراق بقيادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين أهل الشام بقيادة معاوية رضي الله عنه.
وعن هاتين المعركتين يرجع إلى تاريخ الطبري وتاريخ ابن كثير البداية والنهاية أحداث عام ٣٧هـ.

الصادقين وأما الفرقة التي تذكر في مقابل أهل السنة دائماً فيقال عن الرجل هذا سني وذاك شيعي فليس معه أحد من هؤلاء البتة فأصحاب علي رضي الله عنه يسمون شيعته بمعنى صحبه وأنصاره وهم من حيث العقيدة من سلف هذه الأمة وأهل السنة والجماعة وهؤلاء لا مذمة فيهم البتة كيف لا ومعظمهم من الصحابة رضوان الله عليهم.

يقول صاحب مختصر التحفة:

«إن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير كرم الله[1] وجهه من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان كلهم عرفوا له حقه وأحلوه من الفضل محله ولم ينتقصوا أحداً من إخوانه أصحاب رسول الله ﷺ فضلاً عن إكفاره وسبه بيد أن منهم من قاتل معه على تأويل القرآن كما قاتلوا مع رسول الله ﷺ على تنزيله فقد كان معه رضي الله عنه في حرب صفين من أصحاب بيعة الرضوان ثمانمائة صحابي وقد استشهد منهم تحت رايته هناك ثلاثمائة»[2].

أما الشيعة الذين يخالفون أهل السنة في معتقداتهم فهم في الحقيقة أعداء علي بن أبي طالب الذين غدروا به وتقاعسوا عنه وتخاذلوا عن مناصرته.

الحقيقة الثانية: أن التشيع البدعي والمخالف لأهل السنة يطلق على الرافضة أو غلاة الشيعة، ويتميز هؤلاء بصفة واحدة قريب أن تكون كالإجماع عند علماء أهل السنة والجماعة وهي التعرض للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما سواء بتقديم علي عليهما في الإمامة أو الفضل أو بغضهما وسبهما وأقول بكل صراحة إن مذهب الشيعة هذا لا صلة له البتة بعلي بن أبي طالب ولا بآل بيته ونسله من بعده فهو منه براء. ومما قال الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه للحسين رضي الله عنهما حين هم بالسفر إلى العراق: يا أبا عبدالله إني لك ناصح وعليك مشفق وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم فلا تخرج إليهم فإني سمعت أباك

---

(١) والأولى قول: رضي الله عنه.

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية ص٣.

يقول بالكوفة : والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملوني وأبغضوني وما يكون منهم وفاء قط ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ولا صبر على السيف[١] .

وحينما تحدث البغدادي عن الشيعة قال: إن روافض الكوفة موصوفون بالغدر والمشهور من غدرهم ثلاثة أشياء:

أحدها: أنهم بعد قتل علي رضي الله عنه بايعوا ابنه الحسن فلما توجه لقتال معاوية غدروا به في ساباط المدائن فطعنه الجعفي في جنبه فصرعه عن فرسه وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية رضي الله عنه .

الثاني: أنهم كاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنهما ودعوه إلى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاغتر بهم وخرج إليهم فلما بلغ كربلاء غدروا به وصاروا مع عبيد الله بن زياد يداً واحدة عليه حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء .

والثالث: غدرهم يزيد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر ثم نكثوا بيعته وأسلموه عند اشتداد القتال حتى قتل[٢] .

ومما تؤيده النصوص المنقولة أن مصطلح الشيعة الأولى الذي ذكره ابن تيمية لا يدل إلا على مذهب الزيدية القائلين بإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بل إن عالمين من علماء الزيدية جزما بذلك . ويقول الحميري وابن المرتضى : «أنه لا يسمى في الصدر الأول شيعياً إلا من قدم علياً على عثمان ولذلك قيل شيعي وعثماني فالشيعي من قدم علياً على عثمان . والعثماني من قدم عثمان على علي»[٣] .

وقال ليث بن أبي سليم : «أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً»[٤] .

---

(١) استشهاد الحسين لابن كثير ص٤٩ .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٦ .

(٣) انظر الحور العين لنشوان الحميري ص١٧٩ ، وابن المرتضى في المنية والأمل ص٨١ .

(٤) المنتقى ص٣٦٠ ـ ٣٦١ .

وروىٰ ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق حدثنا محمد بن حميد حدثنا جرير عن سفيان عن عبدالله بن زياد بن جرير قال: قدم أبو اسحاق السبيعي[١] الكوفة فقال لنا شمر بن عطية: قوموا إليه فجلسنا إليه فتحدثوا فقال أبو اسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ولا والله ما أدري ما يقولون[٢].

ويعلق محب الدين الخطيب علىٰ هذا النص وأهميته ومدلوله بقوله:

«هذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع فإن أبا اسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه قبل شهادته بثلاث سنين وعمر حتىٰ توفىٰ سنة ١٢٧هـ وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علىٰ رضي الله عنه وهو يقول عن نفسه: رفعني أبي حتىٰ رأيت علي بن أبي طالب يخطب أبيض الرأس واللحية. ولو عرفنا متىٰ فارق الكوفة ثم عاد فزارها لتوصلنا إلىٰ معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة علويين يرون ما يراه أمامهم من تفضيل أبي بكر وعمر. ومتىٰ أخذوا يفارقون علياً ويخالفونه فيما كان يؤمن به ويعلنه علىٰ منبر الكوفة من أفضلية أخوية صاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه علىٰ أمته في أنقىٰ وأطهر أزمانها[٣]».

والخلاصة أن تعريفات الشيعة علىٰ كثرتها لا تحدد وتجمع جميع الفرق والمعالم الأساسية لمذهبهم فلا بد والحالة هذه أن يكون للشيعة الغلاة تعريف[٤] وللشيعة الإمامية

---

(١) أبو اسحاق السبيعي عالم من علماء الكوفة روىٰ عن الصحابي سليمان بن صرد رضي الله عنه. انظر الإصابة لابن حجر ٤/ ٢٤٠ توفي عام ١٢٧هـ وهو ممن عرف بالتشيع المعتدل. انظر ترجمته في رسالة ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة ص٢٨٥.

(٢) التتقىٰ من منهاج الاعتدال للذهبي ص٣٦٠.

(٣) حاشية المرجع السابق لمحب الدين الخطيب ص٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٤) عرف الشهرستاني الغلاة بأنهم: هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتىٰ أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بالأحكام الإلهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق وهم علىٰ طرفي الغلو والتقصير.
الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٣.
ويعرفهم الأشعري بقوله: هم الذين غلوا في علي وقالوا فيه قولاً عظيماً.
مقالات الإسلاميين ١/ ٦٦.

تعريف وهي معظم تعاريف علماء الفرق وللزيدية تعريف وهو ما ينطبق عليه تعريف الأشعري.

وأما ما ذكره الذهبي وابن تيمية وابن حجر فإنها زيادة بيان وإيضاح حول بعض معتقداتهم وغلو البعض فيها واعتدال البعض الاخر تضم إلىٰ تعريف الشهرستاني الذي ينطبق علىٰ الإمامية لتكون بعد ذلك تعريفًا وبيانًا شاملاً لفرق الشيعة ومعظم أصولهم.

ومما يستنبط ويستفاد من التعريفات اللغوية والاصطلاحية السابقة أن هناك نتيجة شرعية مهمة تستقرئ استقراء من هذه التعريفات وتدل عليها الأحداث التاريخية وبعض نصوص العلماء هذه الحقيقة هي:

أن التشيع بالمعنىٰ اللغوي موجود في أفاضل الصحابة وكبار التابعين فكما يقال شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقال شيعة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. وهناك حقيقة شرعية يجب بيانها والتذكير بها وهي: أن أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين هم في الحقيقة أصحاب علي وأنصاره ومحبيه بحق وصدق وهؤلاء هم المشايعون حقيقة لأهل البيت الموالون لهم في السراء والضراء، يدل علىٰ ذلك ما نقل لنا في كتب التاريخ والسير: أن معظم الصحابة كانوا في معسكره وأن في جيشه ممن بايع تحت الشجرة ثمانمائة صحابي رضي الله عنهم[1]. فكيف بغيرهم من سائر الصحابة. مما لا شك فيه أن العدد مع علي رضي الله عنه من إخوانه الصحابة عدد كثير.

كما أن من أصحاب علي طائفة من كبار التابعين من العلماء والفقهاء والعباد وحملة القرآن وجميع هؤلاء سواء من الصحابة، والتابعين ينطلقون في مناصرة علي والانضمام إليه من منطلق شرعي حيث رأوا أحقيته وأفضليته علىٰ جميع الصحابة في عصره ومن ثم بايعوه وقالوا بخلافته بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة فهو رابع الخلفاء

(١) المحبر لابن حبيب القرشي نقلاً من كتاب الدولة الأموية ليوسف العشي ص١٠٧.

الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة. فكانت مشايعة هؤلاء لعلي ومناصرته ومحبته وطاعتهم له مبنية على أمر شرعي لا يجوز معه الخروج عليه من غير دليل.

وإذا جاز لنا من الناحية الاصطلاحية إطلاق شيعة علي على فئة أو أقوام فإننا نطلق على التشيع المنسوب إلى شريك بن عبدالله النخعي الذي كان يفضل أبا بكر وعمر فقيل له أنت من شيعة علي وأنت تفضل أبا بكر وعمر فقال: كل شيعة علي على هذا هو يقول على أعواد هذه المنبر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر أفكنا نكذبه والله ما كان كذابا[١].

وعلى التشيع المنسوب إلى أبي اسحاق السبيعي القائل خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ولا والله ما أدري ما يقولون[٢].

وعلى التشيع الذي قام به سليمان بن صرد الخزاعي[٣] الذي كان يسمى بأمير التوابين فإن تشيعه وقتاله لقتلة الحسين بن علي رضي الله عنهما انتصاراً وندمًا على تقصير شعر به فقام بهذه الحركة التي تسمى بحركة التوابين[٤].

وعلى ما نسب إلى زيد بن علي بن الحسين الذي نفى عن نفسه وشيعة علي الحقيقيين سبهم وتعرضهم للشيخين. فبينما كانت المعارك دائرة بين زيد وجيوش الخلافة سأله الشيعة عن رأيه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال زيد: غفر الله لهما

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ٣٣-٣٦، النبوات لابن تيمية ص١٣٢.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص٣٦٠.

(٣) صحابي جليل وصف بالعبادة والنبل والزهد روى عن النبي ﷺ أحاديث في الصحيحين وغيرهما وشهد مع علي بن أبي طالب معركة صفين. قتل في معركة التوابين عام ٦٥هـ.
انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر ٤/ ٢٥٠، سير أعلام النبلاء للذهبي ٣/ ٣٩٤.

(٤) راجع الحديث بالتفصيل عن هذه الحركة تاريخ الطبري ٥/ ٥١، البداية والنهاية لابن كير ٨/ ٢٥٠.

ما سمعت أحداً من أهلي تبرأ منهما وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا[١]. هؤلاء الصحابة الأجلاء والعلماء الفضلاء يقال عنهم وعن أمثالهم أنهم شيعة علي الحقيقيين من غير فرقة أو ابتداع أو هوىٰ مع ابتعادهم عن لوثة فرقة الشيعة وخطلها وزللها فليس عندهم رأي أو معتقد يختلف عن أصول أهل السنة والجماعة. ولذا يقول ابن تيمية:

إن الشيعة المتقدمين الذين صحبوا عليًا أو كانوا في ذلك الزمان لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر حتىٰ ذكر مثل ذلك أبو القاسم البلخي قال: سأل سائل شريك بن عبدالله ابن أبي نمر فقال له: أيما أفضل أبو بكر أو علي فقال له: أبو بكر فقال له السائل تقول هذا وأنت شيعي. فقال له: نعم من لم يقل هذا فليس شيعيًا والله لقد رقىٰ علي هذه الأعواد فقال إلا أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر فكيف نرد قوله وكيف نكذبه والله ما كان كذابا[٢].

كما يدل علىٰ ذلك ما ذكره الحميري - وهو شيعي - أن الشيعة الذين شايعوا عليًا عليه السلام في حياته كانوا ثلاث فرق:

(أ) فرقة منهم وهم الجمهور الأعظم الكثير يرون إمامة أبي بكر وعمر وعثمان إلىٰ أن غير السيرة وأحدث الأحداث.

(ب) وفرقة منهم أقل من أولئك عدداً يرون الإمام بعد رسول الله ﷺ أبا بكر ثم عمر ثم عليًا ولا يرون لعثمان إمامة.

(ج) وفرقة منهم يسيرة العدد جداً يرون عليًا أولىٰ بالإمامة بعد رسول الله ﷺ ويرون إمامة أبي بكر وعمر كانت من الناس علىٰ وجه الرأي والمشورة ويصوبونهم في رأيهم ولا يخطئونهم إلا أنهم يقولون: إن إمامة علي كانت أصوب وأصلح وكانت

---

(١) الفتاوىٰ لابن تيمية ١٣/ ٣٥.

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ١/ ٧-٨.

الشيعة كذلك حتى مقتل الحسين[١].

وقريب من هذا التقسيم ذكره النوبختي على الرغم من تشيعه[٢].

وحكى الجاحظ أنه كان في الصدر الأول لا يسمى شيعيًا إلا من قدم عليًا على عثمان ولذلك قيل شيعي وعثماني. فالشيعي من قدم عليًا على عثمان والعثماني من قدم عثمان على علي. وكان واصل بن عطاء ينسب إلى الشيعة في ذلك الزمان؛ لأنه كان يقدم عليًا على عثمان[٣].

ويشير المقدسي إلى أن التشيع الأول تشيعًا حسنًا لا مطعن في القائلين به.

يقول: «إعلم أن الشيعة أتوا في حياة علي بن أبي طالب ثلاث فرق:

(١) فرقة على جملة أمرها في الاختصاص به والموالاة مثل عمار بن ياسر وسلمان والمقداد وجابر وأبي ذر الغفاري وعبدالله بن العباس وعبد الله بن عمر وجرير بن عبدالله البجلي ودحية بن خليفة ونظرائهم من الصحابة وهؤلاء لا يظن بهم غير الحق ولا نجد للطعن فيهم موضعا.

(٢) وفرقة تغالوا قليلاً في أمر عثمان مع ميلهم إلى الشيخين رضوان الله عليهما بعض الميل مثل عمرو بن الحمق ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر وكانوا يظهرون هذا المقدار في زمن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم[٤].

إن هذه النصوص والوقائع كفيلة بثبوت التشيع الحسن القائم على الحق والشرعية لعلي رضي الله عنه مع الإقرار بأفضلية وأحقية من سبقه من الخلفاء الراشدين وهذا كما ذكرنا سابقًا يصح أن نطلق عليه تشيع حسب المدلول اللغوي.

---

(١) الحور العين لنشوان الحميري ص١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص٣٧ ـ ٣٨.

(٣) الحور العين للحميري ص١٨١.

(٤) البدء والتاريخ للمقدسي ٥/ ١٢٤ ـ ١٢٥.

ولذا يصف أحد المستشرقين حركة الشيعة حسب هذا المدلول بأنها كانت خلال عهدها الأول عربية تفصح عن مطامع شرعية ولم تتأثر بأفكار اجتماعية ودينية ولا بمشاكل عالم الشرقي الأدنى. كما أن التشيع في هذه المرحلة قد حافظ على هذه الطبيعة غير الدينية ولم يختلف أنصار علي والعلويون عن سائر الأمة من حيث المعتقدات الدينية بوجه من الوجوه. ولذلك فقد اعتبرت الناس هذا تشيعًا حسنًا[1].

أما منتحلي التشيع لعلي ومدعي محبته ـ وهم الذين غلب عليهم هذا اللقب فيما بعد ـ فهم في الحقيقة والواقع أعداءه الذين غدروا به وغدروا بأبنائه من بعده[2]. وهؤلاء أصحاب أهداف سيئة ومطامع عاجلة ومروجي فتنة استغلوا الأحداث والفتن بعد مقتل عثمان رضي الله عنه في تأصيل هذا المذهب ونشره متترسين ومستترين بمحبة آل البيت والتشيع لهم وأطلقوا على هذا المذهب أو تلك الطائفة «الشيعة» وهو إطلاق ومصطلح لا يعبر في كل حال عن واقعهم وتاريخهم مع علي بن أبي طالب وآل بيته من بعده ولذلك فإن التشيع بالمعنى الاصطلاحي انصرف إلى هؤلاء وأصبح علمًا عليهم مع اعتقادي جازمًا بأن هذا المصطلح لا ينطبق على هؤلاء بالمعنى اللغوي بل إن تاريخهم وواقعهم على طرفي نقيض مع هذا المعنى. وأول مظاهر هذه الفئة حركة الثوار بقيادة ابن سبأ حينما حركوا الفتنة ونشروا النقمة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وآل الأمر إلى قتله رضي الله عنه في بيته صبرًا. ومن ثم أخذ هذا التيار يقوى ويزداد وينتشر بدعوى محبة علي بن أبي طالب والتشيع لآل بيته مستغلاً الفرقة والاختلاف بين المسلمين ومن أشهر هذه الفتن التي استغلها منتحلو التشيع وسيروها لنشر مذهبهم الفتن التالية:

(١) مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه والتظاهر بمبايعة علي بن أبي طالب من بعده. فمن الثابت تاريخيًا أن الثوار وعلى رأسهم ابن سبأ لما قتلوا عثمان

---

(١) انظر أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص٥٨.

(٢) ذكرت بعض الوقائع التاريخية عن غدر الشيعة بعلي بن أبي طالب وآل بيته في ص٤٩ ـ ٥٠ من البحث فليراجع.

رضي الله عنه بقيت المدينة خمسة أيام بأيديهم فيلتمسون علياً للخلافة فيردهم ويقول لهم: ليس ذلك إليكم وإنما هو لأهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة فلم يبق أحد من أولئك إلا أتى إليه يطلبون بيعته[1].

(٢) معركة الجمل. دلت الأحداث التاريخية على دور بارز لمدعي التشيع ورافعي رايته ولا سيما السبأية الذين لا ينكر بأي حال من الأحوال أثرهم في انشاب المعركة بعدما كادت راية الصلح ترفرف على الفريقين[2].

(٣) مقتل واستشهاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث برزت بعض المعتقدات والآراء للسبأية صارت فيما بعد أصولاً للشيعة وذلك كالرجعة والغيبة حيث جاهر بها ابن سبأ وقال فيهما أقوالاً مشهورة مستغلاً بذلك هذه الفتنة التي أودت بحياة الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين[3].

(٤) مقتل واستشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما.

فلقد استغل الشيعة هذا الحادث وسخروه لتأصيل مذهبهم على الرغم من تخاذلهم بل واشتراكهم في قتل الحسين كما تذكر بعض الروايات[4]. وما حركة التوابين إلا دليل قاطع على غدرهم وتخاذلهم. ولأهمية وفجاعة هذا الحدث ودور الشيعة في

(١) انظر كتاب الثقات لابن حبان ٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨، تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٢.

(٢) لمزيد من التفصيل عن سبب نشوب المعركة ودور السبأية في ذلك يرجع إلى تاريخ الطبري ٤/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤، البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٦٠.

(٣) عن ظهور بعض معتقدات الشيعة بعد مقتل علي رضي الله عنه يراجع الفصل الثاني من الباب الأول ففيه تفصيل لها وبيان استغلال الشيعة لهذا الحدث في تأصيل هذه المعتقدات.

(٤) يؤكد المسعودي ـ مع تشيعه ـ دور أهل الكوفة في قتل الحسين فيقول: وكان جميع من حضر مقتله من العساكر وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة ولم يحضرهم شامي.
مروج الذهب للمسعودي ٣/ ٧٤.
وعن غدر الشيعة وتخاذلهم عن الحسين يرجع إلى كتاب استشهاد الحسين لابن كثير ص٤٥ ـ ٤٩.

استغلاله فقد جزم بعض المستشرقين[١] وبعض الكتاب المعاصرين[٢] على أن بداية التشيع بداية حقيقية ترجع إلى مقتل الحسين ابن علي رضي الله عنه واستشهاده على يد الأعراب الظلمة في كربلاء عام إحدى وستين هجرية[٣].

إن هذه الفتن والأحداث التي وقعت بقضاء الله وقدره استغلها الشيعة وتظاهروا بمناصرة آل البيت والوقوف معهم ربان حدوثها وهذا بطبيعة الحال يصعب معه تحديد مصطلح الشيعة الذي يعبر عن فرقة تتكيف مع مقتضى المقام والحال. فالشيعة ـ كما قال أحد الباحثين المعاصرين ـ لم تولد كفكرة وعقيدة فجأة بل انها أخذت طوراً زمنياً. ولكن طلائع العقيدة الشيعية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من أشهر القول بفرض إمامة علي. وهذه عقيدة النص على علي بالإمامة وهي أساس التشيع. وان عبدالله بن سبأ أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله ﷺ وأرحامه والصحابة ـ كما قال النوبختي وغيره ـ وهذه عقيدة الشيعة في الصحابة وانه لما بلغه نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا انه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض وهذه عقيدة الرجعة.

---

(١) وذلك كشتروتمان القائل: إن دم الحسين يعتبر البذرة الأولى للتشيع كعقيدة. انظر دائرة المعارف الإسلامية ١٤/ ٥٩.
ويقول المستشرق ول ديورانت: ونشأت طائفة الشيعة على أثر مقتل الحسين وأسرته. قصة الحضارة ٢/ ٣٢.

(٢) وذلك كالدكتور النشار الذي قال: إن الشيعة تكونت حقًا في هذه الفترة وأصبحت فرقة دينية تدبر الأمر.
نشأة الفكر الفلسفي ٢/ ٥١.
ويقول الخربوطلي أيضًا: إن حركة الشيعية بدأ ظهورها في العاشر من المحرم وصبغت مباديء الشيعة بصبغة دينية... إلخ. كتاب تاريخ العراق في ظل الأمويين ص١٢٣.

(٣) عن مسير الحسين بن علي رضي الله عنهما وقصة خروجه ومن ثم وصوله إلى العراق واستشهاده يرجع إلى ما ذكره الإمام ابن حجر في كتابه الإصابة ٢/ ٢٤٨ ـ ٢٥٣ ففي ما ذكره ابن حجر غنية عن روايات الشيعة وحماقاتهم.

وأما عقيدة الشيعة في أن الرسول ﷺ استودع عليًا شيئًا غير ما في أيدي الناس فقد وُجدت هذه المقالة في عهد علي رضي الله عنه وسئل عن ذلك فنفى هذه الدعوى نفيًا قاطعًا كما ثبت ذلك في صحيح البخاري[1].

هذه بعض أصول الشيعة وقد وُجدت أثر مقتل عثمان وفي عهد علي ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معينة بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها علي رضي الله عنه ولكن ما تلا ذلك من أحداث خلق جواً صالحًا لظهور هذه العقائد كمعركة صفين وحادثة التحكيم التي أعقبتها ومقتل علي وابنه الحسين رضي الله عنهما كل هذه الأحداث خلقت جواً صالحًا لدخول الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلي وآل بيته[2] مع براءتهم من أفكار الشيعة وآرائهم.

* * * * *

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم ١/ ٣٦.

(٢) فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة للدكتور ناصر القفاري ص١٢٧، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٢هـ.

نشـــأة التشـــيع

اختلف الباحثون لفرقة الشيعة حول نشأتها وبدايتها وتحديد الفترة الزمنية التي ظهرت فيها هذه البدعة الكبرى.

(١) فالشيعة يحرصون أشد الحرص بل ويستميتون في إقرار وتأكيد زعمهم المتمثل في أن أول من وضع بذرة التشيع هو الرسول ﷺ وأن فرقة التشيع إنما تكونت حقًا في العهد النبوي وهذه نصوصهم على هذا الرأي.

يقول العاملي نقلاً عن أبي حاتم الرازي:

«إن أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة وهم أبو ذر وسلمان والمقداد وعمار وأن لفظة شيعة كانت تقال على من شايع عليًا قبل موت النبي وبعده»[١].

ويقول شيعي آخر من المعاصرين: «ان النبي هو الذي بعث عقيدة التشيع وأوجدها ودعا إلى حب علي وولائه وأول من أطلق لفظ الشيعة على أتباعه ومريديه ولولاه لم يكن للشيعة والتشيع عين ولا أثر»[٢].

وبمثل ذلك زعم آل كاشف الغطاء حتى أنه عنون الفصل في كتابه أصل الشيعة وأصولها بقوله: فصل بدء نشأة التشيع وتكونه وأنه كان عهد النبي ﷺ وإثبات ذلك بالدليل من الكتاب والسنة ومما قال: «إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية يعني أن بذرة التشيع وضعت جنبًا إلى جنب مع بذرة الإسلام. ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والرعي حتى نمت وازدهرت في حياته ثم أثمرت بعد وفاته»[٣].

---

(١) كتاب الشيعة في التاريخ للعاملي ص٢٥ ـ ٢٦.

(٢) كتاب الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ص١٧.

(٣) أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص٤٣ ـ ٥٣.

وهذا الرأي ـ على فداحته وخطورته ـ يمثل اتجاه الشيعة ورأيهم حتى زمننا الحاضر. بيد أن هذا الرأي على خطله ووضوح زلله موجود ومسطر في مؤلفات متقدمي الشيعة فالنوبختي والقمي ـ من علماء الشيعة في القرن الثالث الهجري ـ اعتبرا الشيعة فرقة من أوائل الفرق الإسلامية في العهد النبوي!!

فمما قالا: «إن أول الفرق الشيعية وهم فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمان النبي ﷺ وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته»[1].

ومع التتبع لكتب الشيعة نجد لديهم الحرص الشديد على رد أصل التشيع إلى عهد النبي ﷺ والذي دفعهم إلى ذلك أمران:

الأول: إضفاء الصبغة الشرعية والإسلامية على مذهبهم وأنه من تعاليم الرسول ﷺ وتوجيهاته وبالتالي يصبح التشيع بذرة إسلامية خالصة.

الثاني: إبعاد الفكرة القائلة أن أصل التشيع يرجع إلى جذور ومؤثرات أجنبية يهودية كانت أم مجوسية أم نصرانية ولذا يقول المظفري أحد علماء الشيعة المعاصرين: «وأما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن أصل مذهب التشيع من بدعة ابن سبأ المعروف بابن السوداء فهذا يعتبر وهم وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم»[2].

ورأي الشيعة هذا ينطوي على كذب وبهتان ليس على المسلمين فحسب بل على الهادي البشير محمد ﷺ الذي جمع الله به القلوب وأزال به العداوة والبغضاء بين قبائل العرب وأحزابهم المتناحرة. فإن الله عز وجل أرسل رسوله ليجمع القلوب ويؤلفها على الإيمان والتقوى لا ليفرقها شيعًا وأحزابًا. قال تعالى: ﴿ ...**هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ...**﴾[3].

وقال تعالى في وصف صحابته الكرام: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ**

---

(١) كتاب الفرق للنوبختي ص٣٦، كتاب المقالات والفرق لسعد القمي ص١٥.

(٢) تاريخ الشيعة للمظفري.

(٣) سورة الأنفال: ٦١ ـ ٦٢.

أَثَرِ السُّجُودِ...﴾[١] الآية.

كما قال تعالىٰ عن صفة المؤمنين وبعدهم عن الخلاف مع وجوب التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا (٣٦)﴾[٢].

فلا خلاف علىٰ عهد رسول الله ﷺ ـ كما يزعم الشيعة ـ ولا جماعات ولا أحزاب وقد وقع في هذا الخطأ الأكبر أحمد أمين حيث وافق الشيعة علىٰ اعتبار أن التشيع ظهر في حياة النبي نفسه وان نواة الشيعة من الصحابة سلمان وأبو ذر والمقداد[٣].

والخطأ الأكبر ـ كما يقول النشار ـ في محاولة الشيعة إرجاع مذهبهم إلىٰ عهد الرسول ﷺ ينتج منها أنه بين يدي الرسول ﷺ شيعة وسنة ولم يكن بين يديه سوىٰ الإسلام الذي أعلن عنه القرآن بقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ...﴾[٤] لا التشيع ولا التسنن ولم يكن هناك شيعة لا روحية ولا سياسية بين يدي النبوة ولم تظهر كلمة الشيعة كمصطلح علىٰ الإطلاق إبان ذلك الوقت[٥].

(٢) ويذهب الوراق الشيعي ابن النديم إلىٰ أن التشيع إنما نشأ مع معركة الجمل وصفين وذلك حينما اختلف المسلمون حول بعض مسائل اجتهادية فمن كان مع علي فهو شيعي ومن كان مخالفًا له ومحاربًا فليس بشيعي.

يقول ابن النديم في الفهرست:

«لما خالف طلحة والزبير علىٰ علي رضي الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان بن عفان وقصدهما علي عليه السلام ليقاتلهما حتىٰ يفيئا إلىٰ أمر الله جل اسمه تسمىٰ من

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٣) انظر ضحىٰ الإسلام لأمين ٣/ ٢٠٩.

(٤) سورة آل عمران: ١٩.

(٥) انظر نشأة الفكر الفلسفي للنشار ٢/ ٢٥.

اتبعه على ذلك الشيعة وكان يقول: هؤلاء شيعتي»[١].

ويكفي رداً لهذا الرأي أن جيش علي رضي الله عنه فيه جمع كثير من أفاضل الصحابة كابن عباس وأبي موسى الأشعري وعمار بن ياسر وحجر بن عدي وغيرهم من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم فهؤلاء لا يجوز بحال من الأحوال اعتبارهم شيعة بالمعنى الاصطلاحي.

ويقول الاستاذ أحمد جلي في معرض رده على هذا القول: «إن الجماعات التي ضمها معسكر الخليفة علي رضي الله عنه إبان حروبه مع خصومه لا تكون حزباً منتظماً يدين بالطاعة المطلقة لعلي ولا تجمعهم عقيدة مشتركة في آل البيت فإذا ما أطلقت كلمة شيعة على هذه الجماعات فإنها لا تخرج في دلالاتها عن معناها اللغوي العام الذي يشير إلى الأتباع والأنصار، ويؤيد هذا ما ورد في الصحيفة التي كانت في التحكيم حيث ذكر فيها شيعة علي إلى جانب شيعة معاوية مما يدل على أن شيعة علي لا تشير إلى المعنى الاصطلاحي لهذا اللفظ والذي اكتسب مدلولاً خاصاً فيما بعد[٢]. كما أن إطلاق لفظ شيعة لا يفهم منه دائماً فرقة الشيعة الذين رسموا لهم معتقداً يختلف عن معتقد أهل السنة والجماعة في أصوله حيث يقال شيعة عثمان وشيعة معاوية أي أنصارهما ومما قال معاوية لبسر بن أرطأة حين وجهه إلى اليمن: امض حتى تأتي صنعاء فإن لنا بها شيعة»[٣].

(٣) وهناك رأي ثالث وخلاصته أن دلالة الاصطلاح (شيعة) إنما ظهرت سنة ٦١هـ أي بعد مقتل الحسين رضي الله عنه ومن جراء ذلك ظهرت الحركة التي تسمى أصحابه بالتوابين أو الترابيين[٤].

---

(١) الفهرست لابن النيم ص٢٢٣.

(٢) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٩٦ ـ ٩٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٤/ ١٧٣.

(٤) اللقب الأول نسبة إلى التوبة والندم ودافع الحركة كما زعم أصحابها توبتهم وندمهم من تخاذلهم وتقاعسهم عن نصرة الحسين. أما اللقب الثاني فهو نسبة إلى لقب من ألقاب أمير المؤمنين علي بن أبي=

ويحدثنا المسعودي ـ وهو شيعي ـ عن هذه الحركة فيقول: «إنه في سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاؤم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ورأوا أنهم قد أخطأوا خطأ كبيراً بدعاء الحسين إياهم ولم يجيبوه ولمقتله إلى جانبهم فلم ينصروه ورأوا أنه لا يغسل عنهم ذلك الجرم إلا قتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا إلى خمسة نفر منهم وتحركوا إلى القتال حتى وصلوا موضعاً يسمى عين الوردة ودارت بينهم وبين عبيد الله بن زياد معركة حامية قتل فيها معظمهم ولحق باقيهم بالكوفة والبصرة وكان قائد الحركة يلقب بشيخ الشيعة»[١].

وممن قال بهذا الرأي البلاذري في كتابه أنساب الأشراف[٢] ومن الكتاب المحدثين الدكتور النشار حيث قال: «إن الشيعة تكونت حقاً في هذه الفترة وأصبحت فرقة دينية تتدبر الأمر»[٣].

وذهب إلى هذا الرأي الشيبي الذي يقول: «إن اصطلاح ودلالة شيعة إنما بدأ وظهر بحركة التوابين حيث استقل هذا اللفظ لوضوح مدلوله ورسوخه في الميدان السياسي[٤].

ويحلوا لبعض المستشرقين أن يتبنى هذا الرأي ويعتبره نقطة واضحة لنبات مذهب الشيعة. يقول شتروتمان: «وكان مقتل الحسين الذي لقى مصرعه بسيوف جند الدولة أكثر مما كان دم علي الذي اغتاله فرد من الخوارج هو بذرة مذهب الشيعة»[٥].

=طالب رضي الله عنه حيث لقبه الرسول ﷺ بأبي تراب حينما دخل عليه المسجد وهو نائم وقد لصق التراب بظهره فقال له قم أبا تراب.
انظر فتح الباري ٧/ ٧٠.

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣/ ١٠٠ ـ ١٠٢.

(٢) انظر أنساب الأشراف ٥/ ٢٠٦.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي للنشار ٢/ ٢١.

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي ص١٨.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ١٤/ ٥٩.

ومع تمحيص هذ الرأي والنظر فيه فإنه ينظر إلىٰ الجانب العسكري فقط مع إهمال الجانب الفكري والمذهبي للشيعة، كما أنه يهمل أحداثًا كبرىٰ كان لها الأثر في ظهور نزعة التشيع وذلك كقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وما تلىٰ ذلك من فتن متعددة كمعركة الجمل وصفين ثم حادثة التحكيم وما تلىٰ ذلك من قتل علي بن أبي طالب علىٰ يد أحد الخوارج بل إن معظم كتاب المقالات والفرق يذكرون أن أكثر معتقدات الشيعة إنما برزت وظهرت بموت علي بن أبي طالب واستشهاده رضي الله عنه ولا سيما معتقدات السبأية من القول بالرجعة والغيبة[1].

(٤) ويذهب جمع من علماء أهل السنة والجماعة في القديم والحديث إلىٰ القول بأن التشيع بدت بوادره تحت حركة الثوار في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه علىٰ يد عبدالله بن سبأ الذي تمكن من زرع بذور الفتنة وتهييجها حتىٰ وصل الأمر إلىٰ قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه في بيته صبراً ومن ثم أصبح ابن سبأ ومن معه يمثلون كيانًا وأصلاً للتشيع بجانبيه الفكري والسياسي كما أن فرقة السبأية هي النواة الأولىٰ للتشيع. وهذه نصوص العلماء علىٰ هذا الرأي:

يقول الملطي عند حديثه عن الرافضة من الشيعة: «إن أهل الضلالة الرافضة ثماني عشرة فرقة يلقبون بالإمامية وأولهم السبأية حيث نشأ التشيع علىٰ يد عبدالله بن سبأ»[2].

ويقول الشهرستاني: «إن عبدالله بن سبأ هو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه ومنه تشعبت أصناف الغلاة»[3].

ويحدد ابن تيمية بداية التشيع بقوله: «لما وقعت الفتنة وقتل عثمان رضي الله عنه حدثت بدع التشيع كالغلاة المدعين الإلهية في علي رضي الله عنه والمدعين النص عليه

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ص٨٦، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٢٣ ـ ٢٢٤، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٤.

(٢) التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع للملطي ص١٨.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٤.

السابين لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما»[١].

أما أصل مذهب الشيعة فيقول عنه: «إنه من إحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم علي رضي الله عنه في حياته فحرق منهم طائفة بالنار وطلب قتل بعضهم ففروا»[٢]. ،

ويرى ابن حزم هذا الرأي أيضاً مع تحديده لبداية التشيع تحديداً دقيقاً يقول: «إن الروافض فرق حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة أي السنة التي قتل فيها عثمان رضي الله عنه»[٣].

كما أوضح أن مبدأ التشيع وأصله يرجع إلى ابن سبأ اليهودي يقول: وكان مبدأ فرق الرفض على يد طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر وهم القائلون بإلهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبإلهية جماعة معه[٤].

وهذا الرأي ـ المتمثل في إرجاع التشيع إلى آخر خلافة عثمان على يد ابن سبأ ـ أكده جمع من المتأخرين وهذه نصوصهم على ذلك.

يقول الذهبي: «إن مبدأ ظهور المذهب الشيعي كان في آخر عهد عثمان رضي الله عنه ثم نما واتسع على عهد علي رضي الله عنه»[٥].

ويقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: «أن عبد الله بن سبأ اليهودي أراد مزاحمة الدين الإسلامي بالتظاهر والنفاق فخطط هو وجمع ممن وافقه على أهدافه في عصر كان الخليفة فيه ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه فأثاروا الفتن وفرقوا المسلمين

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/ ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٢) المرجع السابق ص٦/ ٧.

(٣) توفي الرسول ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة وعند إضافة هذه السنوات العشر إلى خمس وعشرين سنة نجدها توافق سنة ٣٥هـ وهي السنة التي قتل فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد الثوار بزعامة عبدالله بن سبأ.

(٤) الفصل لابن حزم ٢/ ٧٨.

(٥) التفسير والمفسرون ٢/ ٣.

وجعلوا عليًا ترسًا لهم يتولونه ويتشيعون به ويتظاهرون بحبه والولاء له ومن هناك ويومئذ تكونت طائفة سمت نفسها الشيعة لعلي»[١].

كما يقول أبو زهرة: «وكان الطاغوت الأكبر عبد الله ابن سبأ الذي دعا إلىٰ ولاية علي بن أبي طالب ووصايته وإلىٰ رجعة النبي وأنه في ظل هذه الفتن نشأ المذهب الشيعي»[٢].

ويقول محيي الدين عبد الحميد: «وعن هذه الآراء الفاسدة التي نفث سمومها عبدالله بن سبأ تفرعت آراء كثيرة من الفرق ومن تعاليمه تشعبت أصناف الغلاة من الشيعة والرافضة»[٣]

كما يقول عبد الله القصيمي في كتابه الصراع بين الإسلام والوثنية: «إن أول أمر هذه الطائفة ـ أي الشيعة ـ رجل يهودي يقال له عبدالله بن سبأ تظاهر بالإسلام وأضمر خلافه وادعىٰ أن عليًا مظلوم من قبل أصحاب رسول الله ﷺ وأخذ يدعو إلىٰ هذا المبدأ أولاً ثم غلا فيه وادعىٰ ألوهيته. . . ثم يقول: إن هذه الحادثة تعتبر أساسًا من الأسس التي قام عليها المذهب الشيعي بل إنها الحجر الأول في بنائه وتفرعت بعد ذلك حماقات الشيعة وعقائدهم الباطلة»[٤].

إن نظرة فاحصة في هذه النصوص المتعددة لهذا الرأي تبين لنا رجحان الرأي الرابع المتضمن إرجاع التشيع إلىٰ ابن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في آخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وحينما أرجح هذا الرأي فإن هناك ما أستند إليه من أدلة إضافة إلىٰ نصوص العلماء المتقدمين والمتأخرين. وأجمل هذه الأدلة في الجوانب الآتية:

(١) إن هذا الرأي ينظر إلىٰ التشيع نظرة شاملة تشمل التشيع كعقيدة (وذلك كآراء

(١) انظر الشيعة واسنة ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ص٤٦.

(٣) مقالات الإسلاميين ص٥٩ شرح وتعليق محيي الدين عبدالحميد.

(٤) الصراع بين الإسلام والوثنية ص٤٠ ـ ٤١.

ابن سبأ عن الرجعة والوصية) كما تشمله كنظام من حيث القول بإمامة علي وأحقيته دون سواه.

(٢) أن ابن سبأ يعتبر أول من هاجم الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم واعتبرهم مغتصبين الإمامة من علي بن أبي طالب وفي نص النوبختي - وهو شيعي - ما يؤكد ذلك يقول: «إن ابن سبأ يعتبر أول من قال بالغلو وأظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم»(١).

(٣) إن عبدالله بن سبأ أول من ابتدع عقيدة الشيعة في علي رضي الله عنه من حيث تقديسه كشخصية من أقارب الرسول ﷺ ومن حيث فكرة وصايته عن النبي ﷺ بعد موته وبالرجوع إلى مصادر الشيعة نجد هذه الحقيقة.

فمما نقل الماقماني في كتابه تنقيح المقال ما نصه: «وذكر أهل العلم أن عبدالله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًا وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى فقال في إسلامه مثل ذلك في علي بن أبي طالب رضي الله عنه»(٢).

كما يقول الكشي: «وكان ابن سبأ أول من أشهر القول بفرض إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه»(٣)

ويؤكد النوبختي ذلك بقوله: «إن ابن سبأ أول من أشهر القول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه»(٤).

(٤) أنه قال برجعة علي ونادى بأن عليًا لم يمت ولم يقتل وأنه رفع إلى السماء وسيرجع حتى يملك الأرض ويقود الأمة بل إن السبأية لا يخصون الرجعة بعلي وحده

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي ص٤٠.

(٢) المنتقى للذهبي ص٣٠٧ حاشية رقم ٢ من تعليق محب الدين الخطيب.

(٣) الشيعة والسنة لإحسان الهي ص٦٠.

(٤) فرق الشيعة للنوبختي ص٤.

ويقولون أن جميع الأموات سيرجعون إلى الدنيا[(١)] .

كما يقول القمي : «أنه لما بلغ عبدالله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه : كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه»[(٢)] .

وهذه الجوانب الأربع تشتمل على الأصول الأساسية والمعتقدات الأولى للتشيع مما نكاد نجزم معه بأن التشيع بدايته وظهوره ارتبط بشخصية ابن سبأ وتحركاته وآرائه التي بدأ بقذفها في المجتمع حينما تحرك الثوار والناقمون على الخليفة عثمان رضي الله عنه حتى وصل الأمر بهم إلى قتله في بيته صبراً ومن ثم بذر البذرة الأولى للتشيع بالتظاهر في حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه والتترس بالتشيع لآل البيت .

وقد أثار ربط التشيع بابن سبأ ـ كما يقول الأستاذ جلي ـ من علماء الشيعة وباحثيهم ـ ومن ثم حرصوا على إبعاد هذه الفئة عنهم وشنوا هجوماً عنيفًا على السبئية محاولين إخراجها من دائرتهم فذهبوا إلى أن شخصية ابن سبأ من اختلاف خصوم الشيعة لإظهارهم بمظهر الخارجين على الإسلام والمارقين من الدين ويقولون إن شخصية ابن سبأ شخصية متوهمة لا أثر لها ولا وجود[(٣)] .

وسوف نتحدث بالتفصيل إن شاء الله عن حقيقة ابن سبأ ودوره في نزعة التشيع في الفصل القادم[(٤)] .

* * * * *

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ص٨٦ .

(٢) المقالات والفرق للقمي ص٢٠ ـ ٢١ .

(٣) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٩٤ .

(٤) انظر الفصل الثاني من الباب الأول .

فرق الشيعة

اشتهرت الشيعة من بين سائر الفرق الأخرىٰ بكثرة التفرق والاختلاف فتسمت بأسماء عديدة وألقاب شتىٰ.

فمنها ما انتسب إلىٰ شخص كالسبأية والكيسانية والجعفرية والزيدية والموسوية والاسماعيلية.

ومنها ما انتسب إلىٰ عقيدة وعمل كالرافضة والباطنية والغالية والإمامية والاثني عشرية. يقول أحمد بن حمدان الرازي الشيعي الباطني: «إنه انشعب من الشيعة فرق كثيرة سميت بأسماء متفرقة وألقاب شتىٰ وكلهم داخلون في جملة هذا اللقب الواحد الذي يسمىٰ الشيعة علىٰ تباينهم في المذاهب وتفرقهم في الآراء»[١].

وحينما نستعرض كتب الشيعة القديمة ـ ولا سيما ـ المقالات والفرق للقمي وفرق الشيعة للنوبختي نجد أنهما يتضمنان أسماء لكثير من فرق الشيعة قد تصل إلىٰ الخمسين فرقة[٢]، وبعدهما نشأت فرق عديدة وولدت طوائف كثيرة جميعها تنتمي للتشيع.

وحاول بعض مؤرخي الشيعة أن يطبق حديث الافتراق علىٰ طوائف الشيعة فالمسعودي قال إن طوائف الشيعة بلغت ثلاثًا وسبعين فرقة[٣]، ونقل الشهرستاني ما يدلل علىٰ هذا الأساس فقال: «إن اختلافات الشيعة أكثر من اختلافات الفرق كلها حتىٰ قال بعضهم أن نيفًا وسبعين فرقة من الفرق المذكورة في الخبر هو في الشيعة خاصة ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة[٤].

ومن مزاعم أحد شيوخ الرافضة قوله: «إن جميع الفرق المذكورة في الحديث

(١) كتاب الزينة للرازي ص٢٥٩ ضمن كتاب الغلو للسامرائي.

(٢) ينظر إلىٰ مقدمة الكتابين وإلىٰ سرد الفرق بداخلهما إجمالاً في مواضع متفرقة من الكتابين.

(٣) مروج الذهب للمسعودي.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٦٥.

(حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة) أنها فرق الشيعة وأن الناجية منهم فرقة الإمامية وأما أهل السنة والمعتزلة وغيرهم من سائر الفرق فجعلهم من أمة الدعوة الذين لم يدخلوا في الإسلام»[١].

والذي يهمنا هو حصر أصول الشيعة وذكر فرقهم الأساسية فكتاب المقالات والفرق غير الشيعية تتعدد اتجاهاتهم وآراؤهم إلى أربعة آراء في ذكر هذه الفرق أصولها وفروعها:

فالرأي الأول: ما ذكره أبو الحسين الملطي في كتابه التنبيه حيث جمع فرق الشيعة كلها سواء وسماهم الرافضة ولقبهم بالإمامية وقال: إنهم منقسمون إلى ثماني عشرة فرقة واعتبر الاسماعيلية الفرقة الثالثة عشرة من فرق الإمامية[٢].

الرأي الثاني: اعتبار فرق الشيعة وإرجاع أصولهم إلى ثلاث فرق هي:

(أ) غلاة.

(ب) زيدية.

(ج) رافضة إمامية.

واتفق على هذا التقسيم كل من أبي الحسن الأشعري والإيجي وصاحب الفرق الإسلامية إلا أنهم اختلفوا في تفريعات هذه الفرق. فالغلاة عند الأشعري خمس عشرة فرقة والزيدية ستة أصناف جارودية وسليمانية وبترية ونعيمية ويعقوبية ولا يسمي السادسة بل يقول عنها: أنهم يتبرؤون من أبي بكر وعمر ولا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة والإمامية اعتبرهم أربعًا وعشرين فرقة[٣].

أما فرقة الاسماعيلية فاعتبرها الصنف التاسع من أصناف الرافضة الإمامية إلا أنه

---

(١) هذا القول لمحمد باقر الاستربادي من علماء وشيوخ الشيعة في القرن الحادي عشر الهجري ومن ألقابه مير باقر الداماد ونص هذا القول في تعليقات الأفغاني على شرح الدواني للعقائد العضدية ضمن كتاب الأعمال الكاملة للأفغاني ١/ ٢١٥.

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص١٨ ـ ٣٤.

(٣) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ص٦٥، ١٠٥، ص١٣٦ ـ ١٤٥.

يسميهم بالمباركية نسبة إلى رئيس لهم يقال له المبارك[١].

أما الإيجي فإنه يذكر أن فرق الشيعة اثنتان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضًا ولكن أصولهم ثلاث فرق غلاة وزيدية وإمامية[٢].

أما صاحب الفرق الإسلامية فقد اعتبر الغلاة ثماني عشرة فرقة والزيدية ثلاثة أصناف جارودية وسليمانية وبترية. أما الإمامية فقد اعتبرهم فرقة واحدة ساقوا الإمامة من علي بن أبي طالب إلى جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم في أئمتهم الاثنى عشر وآخرهم محمد بن الحسن والمسمى بالإمام المنتظر[٣].

ويرى ابن حزم هذا الرأي من حيث تقسيم فرق الشيعة إلى ثلاث فرق فيقول: «إن أهل الشنع من هذه الفرقة ـ أي الشيعة ثلاث طوائف. زيدية وإمامية ثم الغالية[٤].

ويقسم الغلاة إلى قسمين:

قسم أوجب النبوة بعد النبي ﷺ لغيره وهم فرقة متعددة.

والقسم الثاني من فرق الغالية الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل. فأولهم أصحاب عبدالله بن سبأ اليهودي الذين ألهوا عليًا. واعتبر ابن حزم الاسماعيلية من هذا القسم حيث أنهم قالوا بإلهية محمد بن اسماعيل بن جعفر[٥].

والخلاصة في هذا الرأي أنه اتفق أربعة من العلماء على اعتبار فرق الشيعة الكبرى ثلاث فرق: زيدية وإمامية وغلاة.

الرأي الثالث: أن فرق الشيعة (الرافضة) افترقت إلى أربعة أصناف وهذا الرأي هو رأي البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق وهذه الأصناف الأربعة هي:

---

(١) المرجع السابق ص١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) شرح المواقف للإيجي ٨/ ٣٨٥.

(٣) مخطوطة الفرق الإسلامية ورقة ٦٦ ـ ٦٨ ـ ٧٠ ـ ٧١.

(٤) الفصل لابن حزم ٤/ ١٧٩.

(٥) المرجع السابق ٤/ ١٨٣ ـ ١٨٦.

(١) **الزيدية:** وهم ثلاث فرق جارودية وسليمانية وبترية.

ويجمع هذه الفرق القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين.

(٢) **الإمامية:** وعددهم خمس عشرة فرقة ويقول إن فرق الزيدية وفرق الإمامية معدودن في فرق الأمة.

(٣) **الكيسانية**[١]: وهم فرق كثيرة ولكنهم عند التحصيل يرجعون إلى فرقتين:

إحداهما: تزعم أن محمد بن الحنفية حي لم يمت وهم على انتظاره وأنه المهدي المنتظر.

والثانية: مقرون بإمامة محمد بن الحنفية ولكنهم يقولون بموته وأن الإمامة انتقلت إلى غيره مع خلاف بينهم في المنقول إليه.

ولا يذكر حكمه على الكيسانية كما حكم على الإمامية والزيدية غير أنه يجمع فرق الروافضة ويضم الكيسانية إليهم فيقول: فهذه عشرون فرقة من فرق الروافض منها ثلاث زيدية وفرقتان من الكيسانية وخمس عشرة فرقة من الإمامية.

(٤) الغلاة: وهم الذين قالوا بإلهية الأئمة وأباحوا محرمات الشريعة وأسقطوا الفرائض ولا يحصر فرقهم وإنما يذكر أصنافًا لهذه الفرقة ويحكم عليها بأنها ليست من فرق الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه[٢].

الرأي الرابع: رأي الشهرستاني الذي حصر فرق الشيعة وبين أن أصولها يرجع إلى خمس فرق وهي:

(١) الكيسانية وهم منقسمون إلى أربع فرق وهي: المختارية والهاشمية، والبيانية، والرزامية.

---

(١) سموا كيسانية لأن المختار الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له كيسان ويقال انه مولى لعلي بن أبي طالب.
انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ص٩١.

(٢) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص١٥ ـ ١٧.

(٢) الزيدية وهم أصناف ثلاثة: جارودية وسليمانية وبترية أو صالحية.

(٣) الإمامية وقسمهم إلى سبع فرق وهي:

(أ) الباقرية والجعفرية الواقفة.

(ب) الناووسية.

(ج) الأفطمية.

(د) الشميطية.

(هـ) الاسماعيلية الواقفة.

(و) الموسوية والمفضلية.

(ز) الاثنا عشرية.

(٤) الغالية: وهم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية وهم أحد عشر صنفًا وجميع هذه الأصناف مخالفة للاثنين والسبعين فرقة.

(٥) الإسماعيلية وهم الذين أثبتوا الإمامة لإسماعيل بن جعفر وأشهر ألقابهم الباطنية والقرامطة والمزدكية والتعليمية والملحدة[1].

إننا حينما نستعرض هذه الآراء الأربعة نجد أن أرجحها ما ذهب إليه الإمام البغدادي والذي اعتبر فرق الشيعة أربعًا فقط: زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة وبيان ذلك من وجوه ثلاثة:

الأول: أن ما ذهب إليه الشهرستاني من اعتبار الاسماعيلية فرقة قائمة وحدها يعتبر خطأ حيث أن الاسماعيلية فرقة ضمن فرق الغلاة وهي تمثل الغلو بكل حال في فرق الشيعة فهي فرقة من فرق الغلاة لا سيما إذا تذكرنا أن جذورها يرجع إلى حركتي

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤٧ ـ ١٩٢.

الخطابية والباطنية[١].

فالاسماعيلية بهذا لا تعتبر فرقة قائمة لوحدها ولم تنشأ الاسماعيلية أو تظهر إلا بعد موت جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ حينما تجمع فلول الخطابية والتفوا حول اسماعيل بن جعفر الذي كان له صلة بأبي الخطاب ومن ثم نادوا بإمامته فأصبح الشيعة في سوق الإمامة حزبان حزب ينادي ويتبنى إمامة اسماعيل. وحزب يقول بإمامة موسى الكاظم وهم الإمامية الاثنى عشرية.

الوجه الثاني: أن ما ذهب إليه أصحاب الرأي الثاني من تحديد فرق الشيعة بثلاث فرق زيدية وإمامية وغلاة وأن الكيسانية بفرقها المتعددة داخلة ضمن الرافضة الإمامية إن هذا الرأي فيه قصور مع ما يقع القائلون به من خلط واضطراب. فمن المعروف أن الكيسانية يختلفون كثيراً عن فرق الشيعة الأخرى سواء في شخصيات الأئمة أو في بعض المعتقدات ولذا لابد من اعتبارهم فرقة قائمة لوحدها. فآراء الكيسانية مثلاً في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليست كآراء الرافضة.

كما أن من آراء الكيسانية القول بإمامة محمد ابن الحنفية وعَقِبَهُ من بعده بينما الإمامية الرافضة لا يرون إمام له مع وجود الحسين بن علي ونسله من بعده.

ويتضح اضطراب أصحاب هذا الرأي حينما نجد الأشعري يذكر بعض فرق الكيسانية مرة مع فرق الغلاة ومرة مع فرق الرافضة الإمامية[٢].

فلابد والحالة هذه من اعتبار الكيسانية فرقة قائمة بذاتها من فرق الشيعة المتعددة لأن لها مباديء تختلف بها مع الغلاة والرافضة الإمامية وهذا ما فعله البغدادي حيث اعتبرها فرقة رابعة من فرق الشيعة.

الوجه الثالث: أن الرأي الأول وهو اعتبار الشيعة فرقة واحدة فيه تسوية بين المتضادات وجمع بين المختلفات فالشيعة الغلاة ليسوا كالشيعة الزيدية والشيعة الإمامية

---

(١) سوف نفصل القول في ذلك إن شاء الله في الباب الثاني الفصل الثاني.

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري ص٦٨، ٩١ ـ ٩٢.

ليسوا كالشيعة الكيسانية فالاختلاف بين هذه الفرق واضح كل الوضوح لا يخفى على مطلع سواء أكان هذا الاختلاف في المعتقدات أو في سوق الإمامة وشخصيات الأئمة.

وقد وقع الملطي من جراء هذا الرأي في اضطراب حيث ذكر أن فرقة من السبأية تقول بإمامة محمد ابن الحنفية ثم ذكر بعض معتقداتهم التي تتصل بالكيسانية(١) وهذا لم يقله أحد البتة سواء من علماء الفرق والمقالات أو غيرهم.

كما يتضح الاضطراب بدرجة أكثر عنده حينما ذكر الفرقة الثالثة عشرة من الإمامية فقال عنهم أنهم الاسماعيلية والزمهم بآراء ومعتقدات عرفت للشيعة الاثنى عشرية المخالفين للشيعة الاسماعيلية(٢).

والذي أوقعه في هذا الاضطراب منهجه في عرض فرق الشيعة واعتبارها فرقة واحدة.

ومن الجدير بالذكر أن تسمية الشيعة بالرافضة كانت في أوائل القرن الثاني للهجرة إبان خلافة هشام بن عبدالملك على اختلاف بين علماء الفرق في سبب ذلك(٣). وهذا واضح الدلالة على أن هذا المصطلح إنما نشأ فيما بعد ولا يجوز بحال إطلاقه على جميع فرق الشيعة كالزيدية مثلاً فمما يدل على خطأ هذا الرأي وعدم انطباقه على فرق الشيعة. وعلى هذا فإن أقرب الآراء إلى الحقيقة والواقع ما ذهب إليه البغدادي لجمعه أصول فرق الشيعة وانطباقه على واقع الشيعة وتاريخهم.

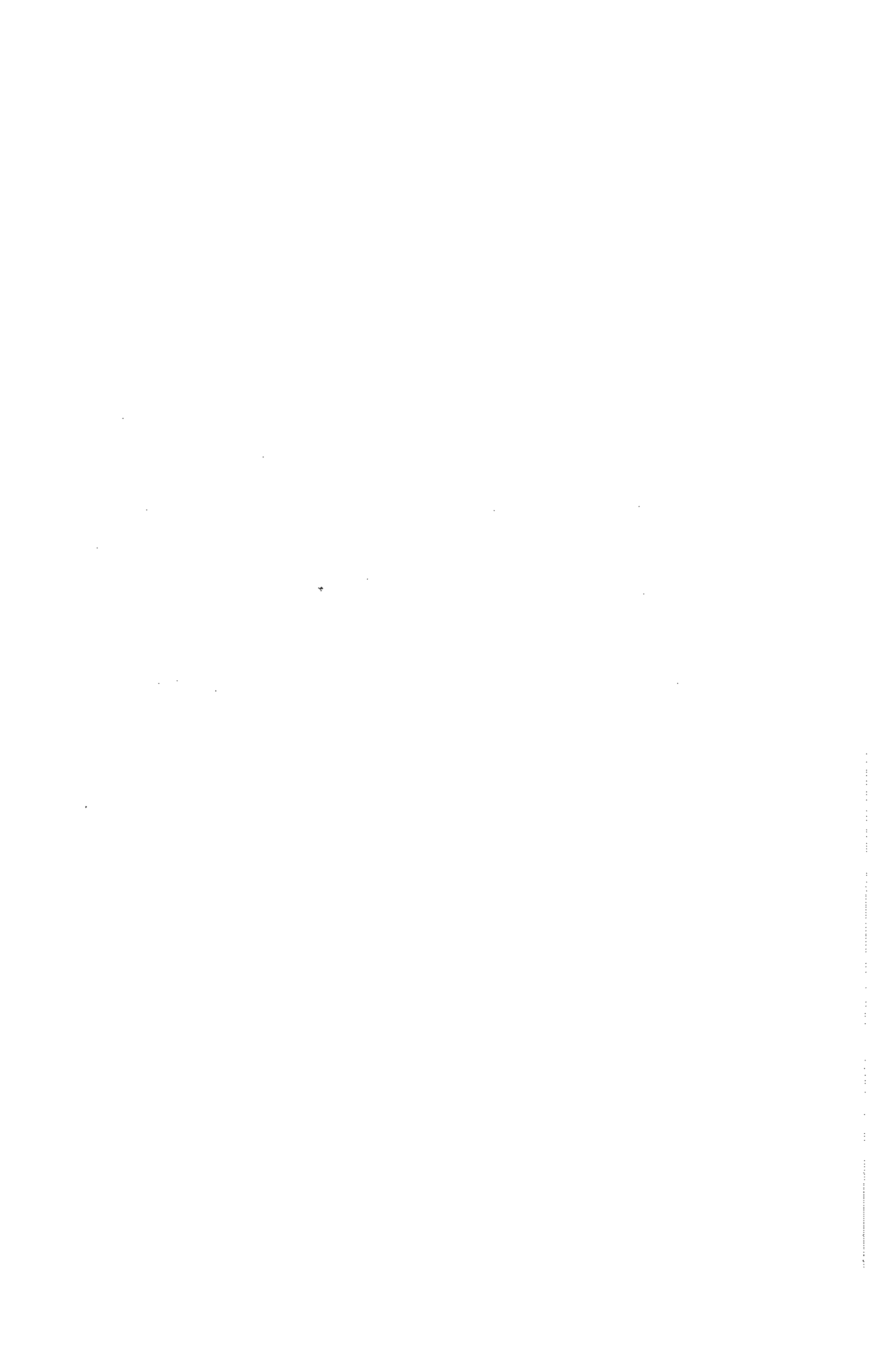
* * * * *

---

(١) انظر التنبيه للملطي ص١٩.

(٢) الرجع السابق ص٣٢.

(٣) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ص٨٩، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٥٥، التبصير في الدين للاسفرائيني ص٢٩ ـ ٣٠، الفتاوىٰ لابن تيمية ١٣/ ٣٣ـ٣٦.



الفصل الثاني
أصول التشيع الأولى

(١) تمهـيـد.

دأب الشيعة قديمًا وحديثًا يكررون القول بأن التشيع ما هو إلا بذرة نبوية تولى الرسول ﷺ وضعها في تربة الإسلام بيده وتولاها بالرعاية والنماء وزعموا دليلاً لذلك أنه عليه الصلاة والسلام اختار جمعًا من الصحابة لموالاة علي ومحبته أكثر من غيره من الصحابة. وعن هذا الزعم يقول القمي ـ أحد علماء الشيعة القدامى ـ: «فأول الفرق الشيعية فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعته في زمان النبي ﷺ وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته منهم المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر. وأن لفظ شيعة كانت تقال على من شايع عليًا قبل موت النبي وبعده»[١].

وبمثل ذلك قال النوبختي في كتابه «فرق الشيعة»[٢].

كما نقل العاملي عن أبي حاتم الرازي قوله: «إن أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة وهم أبو ذر وسلمان والمقداد وعمار وأن لفظ شيعة كانت تقال على من شايع عليًا قبل موت النبي وبعده»[٣].

ومن المعاصرين آل كاشف الغطاء يقول مرددًا هذا الزعم «أن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية مع بذرة الإسلام جنبًا إلى جنب وسواء بسواء ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والرعي حتى نمت وازدهرت

---

(١) المقالات والفرق للقمي ص١٥.

(٢) الفرق للنوبختي ص٣٦.

(٣) الشيعة في التاريخ للعاملي ص٢٥ ـ ٢٦.

في حياته ثم أثمرت بعد وفاته»[١].

ويقول المظفري: «إن الدعوة إلى التشيع ابتدأت من اليوم الذي هتف فيه المنقذ الأعظم محمد صلوات الله عليه صارخًا بكلمة لا إله إلا الله».

ثم يضيف قائلاً: «فكانت الدعوة إلى التشيع لأبي الحسن من صاحب الرسالة تمشي مع جنبًا إلى جنب مع الدعوة للشهادتين ومن ثم كان أبو ذر الغفاري من شيعة علي عليه السلام»[٢].

وهكذا يحرص متكلموا الشيعة وعلماؤهم قديمًا وحديثًا على هذه الفرية وهي رد أصل التشيع إلى عهد النبي ﷺ ليجعلوا بدعتهم بذرة إسلامية خالصة.

ويعلل الدكتور صبحي هذه المغالطة الفاحشة من الشيعة بأنها ليست إلا محاولة من جانب متكلمي الشيعة لنقض دعوى خصومهم القائمة على رد معتقدات الشيعة إلى أصول أجنبية[٣].

كما يرد عليهم بقوله: «إن عهد النبي ﷺ خير وصف دقيق له قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾[٤] فلم يكن ثمة خلاف على عهد رسول الله وبالتالي لا جماعات ولا أحزاب[٥].

وحينما ذكر الدكتور النشار محاولة الشيعة الجاهدة أو حيلتهم ـ كما يسميها ـ قال: «والخطأ الأكبر في هذه المحاولة أنه لم يكن بين يدي الرسول شيعة وسنة وقد أعلن

---

(١) أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص٤٣.

(٢) تاريخ الشيعة للمظفري.

(٣) ومما يدل على هدف الشيعة هذا ما نقل عن بعض كتابهم ولا سيما المعاصرين منهم. يقول أحدهم: «وأما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن أصل مذهب التشيع من بدعة ابن سبأ المعروف بابن السوداء فهو وهم وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم».
تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفري ١٠ نقلاً من كتاب نظرية الإمامة لأحمد صبحي ص٣٠ ـ ٣١.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٥) انظر نظرية الإمام لأحمد محمود صبحي ص٣١.

القرآن ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ...﴾[١] لا التشيع ولا التسنن وأتى الإسلام لكي يرفع الحجز بين الناس. وأخيراً لم تظهر كلمة الشيعة كمصطلح على الإطلاق إبان ذلك الوقت كما لم يكن هناك شيعة لا روحية ولا سياسية بين يدي النبوة»[٢].

ويوجز أحد علماء السنة المعاصرين الرد على هذه الفرية بقوله:

«إن هذه المقالة من الشيعة مغالطة فاحشة خرجت عن حدود كل أدب وأنها افتراء على النبي ﷺ وتحريف للآيات ولعب بالكلمات ويتعجب من قول آل كاشف الغطاء إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة فيقول: أي حبة بذر النبي حتى أنبتت سنابل اللعن والتكفير للصحابة وخيار الأمة وسنابل الاعتقاد بأن القرآن محرف بأيدي منافقي الصحابة وأن وفاق الأمة ضلال وأن الرشاد في خلافها حتى توارت العقيدة الحقة في لج من ضلال الشيعة جم»[٣].

وخلاصة القول: إن رأي الشيعة هذا ينطوي على كذب وبهتان ليس على المسلمين فحسب بل على هادي البشرية وجامع كلمتها وموحدها بعد فرقة محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام. ومن المعاني العظيمة والأهداف النبيلة التي أرسله الله بها جمع القلوب وتأليفها على الإيمان والتوحيد الخالص لا تفريقها وتشتيتها شيعًا وأحزاب كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[٤]، فعهد الرسول ﷺ خير العهود وأصفاها وأبعدها عن التفرق والتشتت فلم يكن ثمة خلاف أو جماعات وأحزاب في حياته ﷺ وحتى بعد وفاته إلى أن ظهرت الفرق وكثرت البدع والأهواء بعد انقراض معظم الجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم.

(٢) ابن سبأ وبدء ظهور أصول التشيع.

مما يتعلق بأصول الشيعة الأولى ارتباط التشيع بظهور ابن سبأ الذي دعا إلى ولاية

---

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار ٢/ ١٤ـ ١٥.

(٣) كتاب الوشيعة للشيخ موسى جار الله.

(٤) سورة الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣.

علي ووصايته ومن ثم المناداة والمجاهرة برجعته. ودأب الشيعة كثيراً ـ ولا سيما متأخروهم على قطع أي صلة بينه وبين الشيعة حينًا أو إنكاره حينًا آخر أو الزعم بأن شخصيته إنما هي شخصية الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه مما يتطلب دراسة وبيانًا لهذه الشخصية وارتباط التشيع بها تاريخًا واعتقاداً وبالتالي يتضح لنا الدور الأجنبي في أصول الشيعة الأولى.

فأقدم المصادر التي تتحدث عن ابن سبأ وطائفته ما جاء في كتاب الحسن بن محمد ابن الحنفية والذي أمر بقراءته على الناس وفيه: ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا. أن يقولوا هدينا لوحي ضل عنه الناس.

كما أن ابن حبيب البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥هـ ذكر ابن سبأ باسمه واعتبره أحد أبناء الحبشيات.

بل أن ابن عساكر ذكر في تاريخه رواية أقدم حيث نقل عن الشعبي المتوفى عام ١٠٣هـ أن أول من كذب عبدالله بن سبأ.

أما البلاذري فيذكر ابن سبأ في جملة من آتوا إلى علي يسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر وحينما كتب على الكتاب الذي أمر بقراءته على شيعته كان عند ابن سبأ نسخة منه وقد حرفها.

أما الطبري فقد أفاض في ذكر أخبار ابن سبأ وآثاره معتمداً في الغالب على روايات سيف بن عمر وخلاصة ما ذكره عن ابن سبأ أنه رأس الفتنة وأساس البلاء.

ومما ذكر ابن عساكر عن تعريف ابن سبأ قوله: «عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية وهم الغلاة من الرافضة أصله من اليمن كان يهوديًا وأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان ويروي ابن كثير أن من أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ وصيرورته إلى مصر وإذاعته على الملأ كلامًا اخترعه من عند نفسه فيقول:

أليس قد ثبت أن عيسى سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل نعم فيقول له: فرسول الله أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا وهو أشرف من عيسى ثم يقول

وقد كان أوصىٰ إلىٰ علي فمحمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء. ثم يقول فهو أحق بالأمر من عثمان. وعثمان معتد في ولايته ما ليس له فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فافتتن به بشر كثير من أهل مصر»[١].

هذه كتب التاريخ منذ القرن الأول الهجري تتحدث عن السبأية كطائفة وتتحدث عن ابن سبأ كزعيم لها وهي أدلة قوية تشهر بوجوده حقيقة وتبين دوره في نشر آراء ومعتقدات أصبحت فيما بعد أصولاً للتشيع.

ويتأكد الأمر بدرجة أكثر إذا رجعنا إلىٰ كتب علم الرجال عند المحدثين حيث نجد له ذكراً علىٰ النحو التالي:

يقول ابن حبان صاحب كتاب المجروحين: «وكان الكلبي[٢] سبئيًا من أصحاب عبدالله بن سبأ من أولئك الذين يقولون أن عليًا لم يمت وأنه راجع إلىٰ الدنيا قبل قيام الساعة فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها».

وقال أيضًا في ترجمة جابر بن يزيد الجعفي: «وكان سبئيًا من أصحاب عبدالله بن سبأ وكان يقول إن عليًا عليه السلام يرجع إلىٰ الدنيا».

ويقول عنه الذهبي: «عبدالله بن سبأ من غلاة الشيعة ضال مضل». بل في موضع آخر قال عنه: «أنه من غلاة الزنادقة ضال مضل أحسب أن عليًا حرقه بالنار. كما أنه المهيج للفتنة بمصر وباذر بذور الشقاق والنقمة علىٰ الولاة ثم علىٰ الإمام فيها».

أما ابن حجر فقال: «إن أخبار عبدالله بن سبأ شهيرة في التواريخ وليست له رواية والحمد لله»[٣].

ويقول ابن تيمية عن عبدالله بن سبأ: «وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض انما كان

---

(١) انظر كتاب عبدالله بن سبأ للعودة ص٥٣ ـ ٥٥.

(٢) هو محمد بن السائب الكلبي صاحب التفسير والنسابة المشهور من أهل الكوفة توفىٰ سنة ١٤٦هـ أجمع علىٰ سبأيته معظم كتب التراجم والرجال.
انظر كتاب عبدالله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة للعودة ص٢٢٧.

(٣) هذه النصوص منقولة من كتاب عبدالله بن سبأ ص٥٥ ـ ٥٦.

من الزنديق عبدالله بن سبأ فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل بولس النصراني الذي كان يهودياً في إفساد دين النصارىٰ»[١].

ويتفق مشاهير العلماء من أصحاب الفرق والمقالات علىٰ ذكر عبدالله بن سبأ وأنه شخصية خبيثة ظهرت في مجتمع المسلمين بعقائد وأفكار ليلفت المسلمين عن دينهم ثم اجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكونت بهم طائفة السبأية المشهورة مع اختلاف بينهم في عرض أخباره وذلك كالأشعري والملطي والبغدادي وابن حزم الأندلسي والاسفرائيني والشهرستاني والرازي.

وخلاصة القول أن هذه النصوص من المحدثين والمؤرخين وكتاب الفرق والمقالات تأكيدات واضحة وإجماع لا يقبل النقض أو الإنكار بشأن ثبوت شخصية ابن سبأ ودوره في نشر الأصول الشيعية الأولىٰ.

ومن باب التنزل مع الخصم وإلجامه ننتقل إلىٰ نصوص الشيعة المتقدمين ففيها رد واضح ونقض لمزاعم متأخري الشيعة المنكرين لشخصية ابن سبأ.

فمما أورد الناشيء الأكبر عن ابن سبأ والسبئية ما نصه «وفرقة زعموا أن علياً عليه السلام حي لم يمت وإنه لا يموت حتىٰ يسوق العرب بعصاه وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ وكان عبدالله بن سبأ رجلاً من أهل صنعاء يهودياً أسلم علىٰ يد علي وسكن المدائن»[٢].

وذكر القمي ـ من مشاهير علماء الشيعة في آخر القرن الثالث الهجري ـ أن عبدالله ابن سبأ أول من أظهر الطعن علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وادعىٰ أن علياً أمره بذلك وأن التقية لا تجوز[٣] فأخبر علي فسأله عن ذلك فأقربه وأمر بقتله فصاح الناس إليه من كل ناحية: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلىٰ حبكم أهل

(١) الفتاوىٰ لابن تيمية ٢٨/ ٤٨٣.

(٢) مسائل الإمامة ص٢٢ ـ ٢٣ للناشيء الأكبر المتوفىٰ سنة ٢٩٣هـ.

(٣) لم تكن التقية قد أصبحت مبدأ شيعياً علىٰ نحو ما صارت عليه فيما بعد عند الشيعة.

البيت وإلىٰ ولايتك والبراءة من أعدائك فسيره إلىٰ المدائن[١].

وبمثل ذلك قال النوبختي ونقل الرواية التي تنص علىٰ تكذيب ابن سبأ لمن قال بموت علي، فمما قال للذي نعىٰ له علي بن أبي طالب: «كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت علىٰ قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتىٰ يملك الأرض»[٢].

ومما ذكر الكشي في كتابه عن رجال الشيعة روايات عدة بأسانيدها تؤكد حقيقة ابن سبأ وتبين شيئًا من معتقداته وأخباره قال: «حدثني محمد بن قلويه القمي قال حدثني سعد بن عبدالله بن أبي خلف القمي قال حدثني محمد بن عثمان العبدي عن يونس بن عبدالرحمن بن سنان قال حدثني أبو جعفر عليه السلام: أن عبدالله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وسأله فأقر بذلك وقال نعم أنت هو. وقد كان ألقىٰ في روعي أنك أنت الله وأني نبي فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب فأبىٰ فحبسه واستتاب ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار وقال إن الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك».

وعن أبان بن عثمان قال سمعت أبا عبدالله يقول لعن الله ابن سبأ أنه ادعىٰ الربوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبدالله طائعًا الويل لمن كذب علينا وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا نبرأ إلىٰ الله منهم نبرأ إلىٰ الله منهم»[٣].

أما رئيس المحدثين عند الشيعة أبو جعفر الصدوق فقد ذكر في الحديث الثامن من باب التعقيب ما نصه: «وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلىٰ السماء ولينصب في الدعاء فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين أليس الله عز وجل بكل مكان قال بلىٰ قال فلم يرفع يديه إلىٰ السماء قال أو ما تقرأ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ

---

(١) المقالات والفرق ص٢٠.

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص٢٣.

(٣) معرفة أخبار الرجال ص٧٠، رجال الكشي ص٩٨ ـ ١٠٠.

رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ [1]، فمن أين يطلب الرزق إلا من موضعه وموضع الرزق وما وعد الله عز وجل السماء»[2].

وخلاصة القول أن هذه نصوص شيعية تدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار ابن سبأ أو التشكيك في أخباره وبمقارنة منطقية بين مصادر الشيعة الأولى والمتأخرة من حيث التوثيق والأقرب إلى الواقع فلا شك أن الأولى هي المقدمة والمعتبرة ـ فيما يتعلق بمسألة من مثل هذه ـ لقربها من الأحداث أولاً ولأنها مسنده ولكثرة الكذب عند متأخري الشيعة أكثر من متقدميهم.

أما الزعم بأن ابن سبأ هو شخصية رمزية لعمار بن ياسر فإنه زعم خال من الأدلة وترده كتب الجرح والتعديل وكتب التراجم والتاريخ عند أهل السنة. وكذلك كتب الرجال الموثقة عند الشيعة فهي تذكر عمار بن ياسر رضي الله عنه ضمن أصحاب علي والرواة عنه وهو أحد الأركان الأربعة عندهم[3]. ثم هي تذكر في موضع آخر ترجمة ابن سبأ في معرض السب واللعنة فهل يمكن اعتبار الرجلين شخصية واحدة.

وكيف التوفيق بين صحابي جليل له قدم راسخة في الإسلام شهد له الرسول ﷺ ولأسرته بالجنة مع شخص يهودي تظاهر بالإسلام نفاقًا واشتهر بعقيدة الرجعة والوصية. ويشتد العجب بدرجة أكثر حينما نرجع إلى تاريخ عمار رضي الله عنه فإنه ثبت نصًا أنه استشهد في معركة صفين[4] بينما معظم الأخبار التاريخية والأحداث التي قام بها ابن سبأ ـ ولا سيما معتقدات السبأية ـ بعد معركة صفين وفي آخر حياة علي رضي الله عنه وبعد وفاته.

---

(١) سورة الذاريات: ٢١.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١/ ٢١٣.

(٣) المقصود بالأركان الأربعة عند الشيعة عدد أربعة من الصحابة اختارهم الشيعة وزعموا أنهم النواة الأولى للتشيع من الصحابة وهم أبو ذر وسلمان والمقداد وعمار.

(٤) الإصابة لابن حجر ٧/ ٦٥ ونص عبارة ابن حجر «وأجمعوا على أن عمار قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين للهجرة».

وبالجملة فإن هذا الزعم دافعه هوىٰ في نفوس أصحابه وهو محاولة تبرئة التشيع مما يتهم به من أن أصله رجل يهودي لم يكن له من الإسلام نصيب[١] .

ومن كل ما سبق نخلص إلىٰ أن عبد الله بن سبأ شخصية تاريخية واقعة تؤكدها المصادر والمراجع قديمها ومعظم حديثها سنية أو شيعية وبعد ذلك لا يعزر أحد بإنكارها أو التشكيك فيها .

ويبقىٰ بعد ذلك السؤال . ما صلة ابن سبأ بالتشيع والشيعة؟

وللإجابة علىٰ ذلك لابد من بيان المعتقدات التي نادىٰ بها ابن سبأ واشتهر بها مع ما يضاف إلىٰ معتقدات فرقة السبأية المنسوبة إليه .

(١) فمما اشتهر به ابن سبأ بل إنه أول من ابتدع ذلك وتابعه عليه الشيعة وأصبح شعاراً لهم مهاجمة الخلفاء الراشدين الثلاثة قبل علي رضي الله عنهم جميعًا وسبهم بل ولعنهم وتكفيرهم ورميهم بالنفاق والردة .

ومما ذكر القمي والنوبختي ـ وهما من مشاهير علماء الشيعة المتقدمين ـ أن أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة والبراءة منهم عبدالله بن سبأ[٢] .

وأصبح ذلك فيما بعد دينًا للسبأية والرافضة وفرق الباطنية حتىٰ أن علماء السلف من التابعين ومن تبعهم بإحسان يستدلون علىٰ كون الرجل سبأيًا أو شيعيًا رافضيًا بسبه وشتمه لأحد من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ففي طبقات ابن سعد أن رجلاً كان يأتي لإبراهيم النخعي فيتعلم منه فيسمع قومًا يذكرون أمر عثمان وعلي فقال : أنا أتعلم من هذا الرجل وأرىٰ الناس مختلفين في أمر علي وعثمان فسأل ابراهيم النخعي عن ذلك فقال : ما أنا بسبأي ولا مرجيء[٣] .

---

(١) انظر عبدالله بن سبأ لسليمان العودة وقد أطال في عرض آراء الخصوم والرد عليها بما فيه الكفاية ص٥٣ ـ ١١٠ .

(٢) فرق الشيعة ص٤٤ ، المقالات والفرق ص٢٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ١٩٦ .

وذكر ابن حجر أن سويد بن غفلة دخل على علي في إمارته فقال إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم عبدالله بن سبأ ـ وهو أول من أظهر ذلك ـ فقال علي: وما لي ولهذا الخبيث الأسود ثم قال معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل ثم أرسل إلى ابن سبأ فسيره إلى المدائن ونهض إلى المنبر حتى إذا اجتمع الناس أثنى عليهما خيراً ثم قال ألا لا يبغلني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفترى[1].

ويقول ابن تيمية: «أنه روي عن علي بأسانيد جيدة أنه قال لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري وقد طلب ابن سبأ كما بلغه عنه ذلك ليقتله فهرب منه»[2].

وفي الصواعق المحرقة: «أن السبأية كانوا يسبون أصحاب رسول الله ﷺ إلا قليلاً وينسبونهم إلى الكفر والنفاق ويتبرأون منهم ولذا سموا أيضًا بالتبرئية»[3].

ويقرر هذا المبدأ لدى ابن سبأ أحد علماء الشيعة المعاصرين بقوله: «لا شك أن هذا الذي لقنه ابن سبأ وأوصى به كان تطوراً خطيراً في النظر إلى السابقين الأولين وهم الصحابة جلة المسلمين وأن تجريحهم إنما كان تشجيعًا وحضًا على تمزيق لباس الهيبة والجلال الذي أضفاه عليهم تاريخهم في الإسلام وكان فتحًا للطريق وتمهيداً لمن لم يتمكن الإسلام في قلبه ليمرق منه وذلك ما نلحظه في هذه الطائفة التي اتبعت تعاليمه ونسبت إليه وسميت السبأية»[4].

(٢) كما أن ابن سبأ أول من ابتدع عقيدة الشيعة في علي رضي الله عنه من حيث تقديسه كشخصية من أقارب الرسول ﷺ ومن حيث فكرة وصايته عن النبي ﷺ بعد موته وكتب الشيعة أنفسهم تؤكد ذلك ومما نقل المامقاني ـ وهو شيعي ـ في كتابه تنقيح

---

(١) لسان الميزان ٣/ ٢٩٠.

(٢) الفتاوى ٢٨/ ٤٧٥.

(٣) الصواعق المحرقة ص٦.

(٤) حركات الشيعة المتطرفين لمحمد جابر عبدالعال ص٢٢.

المقال ما نصه:

«وذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًا وكان يقول ـ وهو على يهوديته ـ في يوشع ان نون وصي موسى فقال في إسلامه مثل ذلك في علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[1].

ويؤكد النوبختي ذلك ـ وهو شيعي أيضًا ـ بقوله: «أن ابن سبأ أول من أشهر القول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه»[2].

كما يقول الكشي: «وكان ابن سبأ أول من أشهر القول بفرض إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[3].

بل أن الغلو والانحراف عند ابن سبأ وأتباعه من السبأية لم يقف عند هذا الحد في علي بن أبي طالب وآله حيث تعتقد السبأية ألوهية علي والقول بأنه هو الإله وهذا من أشد الغلو وأقبح الانحراف بل إنه هو الكفر الصراح الذي لا يقبل تأويلاً أو اعتذاراً وهذا ما دفع بعلي رضي الله عنه إلى عقوبة المتفوهين بذلك تحريقًا بالنار لخطورة هذه المقالة وعظم هذه الفرية وخطرها[4].

---

(١) حاشية المنتقى للذهبي ص٣٠٧. رقم ٢.

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص٤١.

(٣) الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص ٦٠.

(٤) إن خبر إحراق علي رضي الله عنه لطائفة السبأية المدعين ألوهيته تؤكده الروايات الصحيحة في أمهات كتب الحديث. فمما جاء في صحيح البخاري عن عكرمة رحمه الله: أنا عليًا رضي الله عنه حرق قومًا فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺ قال لاتعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ من بدل دينه فاقتلوه.
وفي كتاب استتابة المرتدين عن عكرمة أيضًا قال أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي ﷺ «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: من بدل دينه فاقتلوه. وممن روى حادثة الإحراق أبو داود في سننه في كتاب الحدود ورواها النسائي في سننه والترمذي في جامعة كما روى خبر الإحراق أبو حفص بن شاهين بسنده عن الشعبي أن عليًا حرق جماعة من غلاة الشيعة ونفى بعضهم ومن المنفيين عبدالله بن سبأ.
وقبل هؤلاء ذكر ابن قتيبة خبر الإحراق في أكثر من موضع ففي المعارف السبأية من الرافضة ينسبون =

وقد أجمعت معظم المصادر في التاريخ والفرق والتراجم علىٰ بدعة السبأية هذه[١]. ومما ذكروا أنه جاء إلىٰ علي بن أبي طالب جمع من السبأية وقالوا له أنت أنت قال ومن أنا قالوا الخالق البارىء فاستتابهم فلم يرجعوا فأوقد لهم ناراً عظيمة وأحرقهم.

(٣) ظهرت عقيدة الرجعة مع ظهور آراء السبأية ومعتقداتها فلم تكن هذه العقيدة معروفة لدىٰ المسلمين البتة حتىٰ نقلها ابن سبأ من دينه إلىٰ مجتمع المسلمين ومن تقريره لها أنه زعم أن عليًا لم يمت ولم يقتل وأنه رفع إلىٰ السماء وسيرجع حتىٰ يملك الأرض ويقود الأمة. ومما نقل القمي عن ابن سبأ قوله:

«أنه لما بلغه نعي علي بن أبي طالب وهو في المدائن قال للذي نعاه كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت علىٰ قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتىٰ يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه»[٢].

ونقل الطبري قول ابن سبأ: «العجب ممن يزعم أن عيسىٰ يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله عز وجل: ﴿نَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ...﴾[٣] فمحمد أحق بالرجوع من عيسىٰ قال فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها[٤].

=إلىٰ عبدالله ابن سبأ وكان أول من كفر من الرافضة وقال: علىٰ رب العالمين فأحرق علي أصحابه في النار.

ومعظم كتاب الفرق والمقالات يؤكدون خبر الإحراق كالاسفراييني والملطي وابن تيمية والبغدادي وابن حزم وغيرهم.

وهذه نصوص كثيرة ترد علىٰ من زعم بأن خبر الإحراق أمر مخترع ومزعوم وأنه لم يرد في كتاب معتبر وموثوق كما قال ذلك الشيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع ص٩٠.

انظر كتاب عبدالله بن سبأ للعودة ص٢١٤ ـ ٢١٥ ـ ٢١٧.

(١) وذلك كالطبري وابن قتيبة وأبي الحسن الأشعري والملطي والشهرستاني وابن عساكر وابن حجر.

(٢) المقالات والفرق للقمي ص٢٠ ـ ٢١.

(٣) سورة القصص: ٨٥.

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٠.

ونجد في عقد الجمان للعيني: «أن ابن سبأ دخل مصر وطاف في كورها وأظهر الأمر بالمعروف وتكلم في الرجعة وقررها في قلوب المصريين»[١].

ويقرر السكسكي في كتابه البرهان أن ابن سبأ وفرقته يقولون بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت وهو أول من قال بذلك[٢] وهذه العقيدة لدى ابن سبأ انتقلت إلى تلامذته والفرق الغالية من بعده حتى أن أحد السبأية وهو رشيد الهجري[٣] يدخل على علي بعد موته وهو مسجى فيسلم ويقول لأصحابه: إنه ليفهم الكلام ويرد السلام ويتنفس نفس الحي ويعرق تحت الدثار الوثير وإنه الإمام الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت جوراً وظلماً[٤].

(٤) كما أن معتقدات السبأية زعمهم بتحريف القرآن الكريم وأن نبي الله ﷺ كتم عن الأمة تسعة أعشار القرآن ومن النصوص التي أبانت عن هذه العقيدة لدى السبأية ما كتبه الحسن بن محمد ابن الحنفية في رسالته الإرجاء ومما جاء فيها:

«ومن خصومة هذه السبأية التي أدركنا أن يقولوا هدينا لوحي ضل عنه الناس وعلم خفي ويزعمون أن نبي الله كتم تسعة أعشار القرآن ولو كان نبي الله كاتمًا شيئًا مما أنزل الله لكتم شأن امرأة زيد ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ**﴾[٥] الآية وقوله: ﴿**لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**﴾[٦] الآية. وقوله: ﴿**لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ**﴾[٧].

---

(١) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٥٠.

(٢) من مشاهير السبأية الذين كانوا يجاهرون بآرائهم من التأليه لعلي والقول برجعته. عاصر الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخباره ورواياته التي يرويها ليست بشيء كما ذكر ذلك علماء الجرح والتعديل. قال عنه الجوزجاني: «كذاب غير ثقة».
ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٥١.

(٣) مسائل الإمامة للناشيء الأكبر ص٢٢ ـ ٢٣.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٧.

(٥) سورة التحريم: ١.

(٦) سورة الإسراء: ٧٤.

كما نقل الجوزجاني قوله: «إن هذه الفرية ـ وهي اعتقاد تحريف القرآن ـ ترجع أصولها إلى ابن سبأ الذي زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي فضربه علي ونفاه بعد ما كان هم به»(١).

ولذا فإن الإمام المفسر قتادة رحمه الله كان إذا قرأ هذه الآية ﴿... **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**...﴾(٢) قال: «إن لم يكونوا الحرورية والسبأية فلا أدري من هم وكان يقول: والله إن اليهودية لبدعة وأن النصرانية لبدعة وإن الحرورية لبدعة وإن السبأية لبدعة ما نزل بهن كتاب ولا سنهن نبي»(٣).

تلك هي أهم المباديء والمعتقدات التي نادى بها وابتدعها ابن سبأ في المجتمع الإسلامي الذي لم يكن يعرف لهذه الأفكار وجوداً قبله حتى بمجرد التلفظ والعبارة. وبالرجوع إلى كتب الشيعة ومصادرهم الأولى نجد هذه المباديء والأصول التي ابتدعها ابن سبأ وجاهر بها أصبحت فيما بعد ولا زالت أصولاً للشيعة ومعتقدات لهم وذلك كالوصية والرجعة والتقديس لآل البيت مع سب الصحابة رضوان الله عليهم والزعم بتحريف القرآن وحينما نقلب النظر في كتب أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين نجد أن هذه الحقيقة عندهم واضحة كل الوضوح حتى لتكاد أن تكون مسألة إجماعية.

وهذه بعض النصوص التي تدل وتؤكد على هذه الحقيقة:

يقول أبو الحسين الملطي: «إن أهل الضلال من الرافضة ثماني عشرة فرقة يلقبون بالإمامية وأولهم السبأية حيث نشأ التشيع على يد عبدالله بن سبأ».

ويقول الشهرستاني: «إن عبدالله بن سبأ هو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه ومنه انشعب أصناف الغلاة»(٤).

---

(٧) كتاب الضعفاء مخطوطة ورقة ٣/ ب.

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) تفسير الطبري ٦/ ١٨٧ ـ ١٨٩.

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهوء والبدع للملطي ص١٨.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٤.

ويحدد ابن تيمية بداية التشيع بقوله: «لما وقعت الفتنة وقتل عثمان رضي الله عنه حدثت بدع التشيع كالغلاة المدعين الإلهية في علي رضي الله عنه والمدعين النص عليه السابين لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما»(١).

وعن أصل مذهب الشيعة يقول: «إنه من أحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم علي رضي الله عنه في حياته فحرق منهم طائفة بالنار وطلب قتل بعضهم ففروا»(٢).

وفي موضع آخر ينقل ابن تيمية أقوال أهل العلم بأن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبدالله بن سبأ.

ويقول ابن قتيبة: «وكان ابن سبأ أول من كفر من الرافضة والسبأية من الرافضة ينسبون إلىٰ عبدالله بن سبأ»(٣).

ويحدد ابن حزم بداية التشيع تحديداً دقيقًا من حيث بدايته وواضعه فيقول: «إن الروافض فرق حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة ـ أي السنة التي استشهد فيها عثمان رضي الله عنه ـ وكان مبدأ هذه الفرق علىٰ يد طائفة تجري مجرىٰ اليهود والنصارىٰ في الكذب والكفر وهم القائلون بإلهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإلهية جماعة معه»(٤).

ومن نصوص علماء أهل السنة المتأخرين ما ذكره الشيخ أبو زهرة في كتابه المذاهب الإسلامية بقوله: «وكان الطاغوت الأكبر عبدالله بن سبأ الذي دعا إلىٰ ولاية علي بن أبي طالب ووصايته وإلىٰ رجعة النبي وأنه في ظل هذه الفتن نشأ المذهب الشيعي»(٥).

---

(١) المرجع السابق ص٦ ـ ٧.

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٢٨/ ٤٨٣.

(٣) المعارف لابن قتيبة ص٢٦٧.

(٤) الفصل لابن حزم ٢/ ٧٨.

(٥) المذاهب الإسلامية ص٤٦.

ويقول القصيمي في كتابه الصراع بين الإسلام والوثنية:

«إن أول أمر هذه الطائفة ـ أي الشيعة ـ رجل يهودي يقال له عبدالله بن سبأ تظاهر بالإسلام وأضمر خلافه وادعى أن عليًا مظلوم من قبل أصحاب رسول الله ﷺ وأخذ يدعو إلى هذا المبدأ أولاً ثم غلا فيه وادعى ألوهيته . . . » .

ثم يقول: «إن هذه الحادثة تعتبر أساسًا من الأسس التي قام عليها المذهب الشيعي بل إنها الحجر الأول في بنائه وتفرعت بعد ذلك حماقات الشيعة وعقائدهم الباطلة»[١] .

كما يقول الأستاذ إحسان ظهير: «إن عبدالله بن سبأ اليهودي أراد مزاحمة الدين الإسلامي بالتظاهر والنفاق فخطط هو وجمع ممن وافقه على أهدافه في عصر كان الخليفة فيه ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه فأثاروا الفتن وفرقوا المسلمين وجعلوا عليًا ترسًا لهم يتولونه ويتشيعون به ويتظاهرون بحبه والولاء له ومن هناك ويومئذ تكونت طائفة سمت نفسها الشيعة لعلي»[٢] .

إن هذه النصوص كافية في بيان علاقة الشيعة بالسبأية وابن سبأ. وعند التأمل في كتب المتقدمين من الشيعة نجد أنهم يقرون بهذه الحقيقة ونجدها مسطورة في بعض كتبهم. فالقمي ـ وهو من متقدمي الشيعة ـ عند حديثه عن ابن سبأ وما جاهر به من معتقدات يقول: «فمن هنا قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية». وأقر بذلك حيث لم ينفه أو يرد عليه[٣] ومثل ذلك فعل النوبختي في كتابه فرق الشيعة[٤] .

ويربط ابن المرتضى ـ وهو من أئمة الشيعة الزيدية ـ مباشرة بين التشيع وظهوره بعبد الله بن سبأ فيقول: «وأما الرافضة فحدث مذهبهم بعد مضي الصدر الأول ولم يسمع عن أحد من الصحابة من يذكر أن النص في علي جلي متواتر ولا في اثنى

---

(١) الصراع بين الإسلام والوثنية ١/ ٤٠ ـ ٤١ .

(٢) انظر الشيعة السنة ص١٩ ـ ٢٠ .

(٣) المقالات والفرق للقمي ص٢٠ .

(٤) فرق الشيعة للنوبختي ص٢٠ .

عشر كما زعموا وقد مر أن أول من أحدث هذا القول عبدالله بن سبأ ولم يظهر قبله»[١].

وأخيراً فإنه حتى بعض المستشرقين أكد هذه الحقيقة بقوله: «إن مذهب الشيعة الذي ينسب إلى عبدالله بن سبأ مؤسسة إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين»[٢].

وخلاصة الأمر أن أصول السبئية ومعتقداتها أصبحت فيما بعد أصولاً للشيعة إمامية كانوا أم باطنية.

يهودية ابن سبأ:

على ضوء ما ثبت لنا من نصوص وأدلة سابقة عن صلة ابن سبأ بالتشيع وأثره في تأصيل وتأسيس مذهب الشيعة يبقى لنا ما يدلل على يهوديته سواء قبل تظاهره بالإسلام أو بعده لنصل بعد ذلك إلى أثر العوامل الخارجية والجذور الأجنبية لمذهب الشيعة.

فالمصادر السنية أو الشيعية تثبت يهودية ابن سبأ وتكاد هذه المصادر تجمع عليها وهذه نماذج من تلك النصوص:

روى الطبري بسنده أنه قال: «كان عبدالله بن سبأ يهوديًا من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم...»[٣].

ويقول البغدادي: «إن ابن السوداء في الأصل يهودي من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصي وأنا عليًا رضي الله عنه وصى محمد ﷺ وأنه خير الأوصياء كما أن محمداً ﷺ خير الأنبياء.

---

(١) فرق وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص١٣.

(٢) كتاب الشيعة والخوارج لفلهوزن ص١٧٠ ـ ١٧١.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٠.

ثم بعد ذلك ينقل البغدادي رأي محققي أهل السنة في ابن سبأ بقوله: «وقال المحققون من أهل السنة: إن ابن السوداء كان على هوىٰ دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده كي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام»[١].

ويتحدث الشهرستاني عن ابن سبأ فيقول: «إنه كان يهوديًا فأسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسىٰ بن عمران عليهما السلام مثل ما قال في علي رضي الله عنه وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه ومنه انشعبت أصناف الغلاة»[٢].

كما يوضح ابن حزم أثر اليهودية في طائفة عبدالله بن سبأ بقوله: «وكان مبدأ فرق الرفض علىٰ يد طائفة تجري مجرىٰ اليهود والنصارىٰ في الكذب والكفر وهم القائلون بإلهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإلهية جماعة معه»[٣].

وكتب الشيعة ـ ولا سيما المتقدمين منهم ـ تثبت يهودية ابن سبأ وتؤكد عليها بما هو أكثر من ذلك. فمما ذكر النوبختي: «أن جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام حكوا أن عبدالله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالىٰ عليًا عليه السلام وكان يقول علىٰ يهوديته في يوشع بن نون بعد موسىٰ عليه السلام بمثل ذلك. وهو أول من أشهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه فمن هنا قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهود»[٤].

وبنفس النص والعبارات نقل القمي مما يرجح القول بأن أحدهما نقل من الآخر[٥].

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٢٥.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٨/ ١٧٤.

(٣) الفصل لابن حزم ٢/ ٧٨.

(٤) فرق الشيعة ص٤٠ ـ ٤١.

(٥) كتاب المقالات والفرق للقمي ص٢٠ ـ ٢١.

ويقول ابن أبي الحديد ـ وهو شيعي ـ: «ثم ظهر عبدالله بن سبأ وكان يهوديًا يتستر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فأظهر مقالته ـ تأليه علي ـ واتبعه قوم فسموا بالسبأية»[١].

وبعد أن ينقل الأستاذ إحسان إلهي ظهير هذه النصوص الشيعية وغيرها يقول: «فهذه هي شهادات الشيعة أنفسهم يشهدون بها عليهم ويتلخص منها أشياء[٢]:

(١) تكوين اليهود فئة باسم الإسلام تحت قيادة عبدالله بن سبأ يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الكفر وينشرون بين المسلمين عقائد وآراء يهودية كافرة.

(٢) ترويج العقيدة اليهودية بين المسلمين ألا وهي عقيدة الوصاية والولاية التي لم يأت بها القرآن ولا السنة الصحيحة الثابتة بل اختلقتها اليهود من وصاية يوشع بن نون لموسىٰ ونشروها بين المسلمين باسم وصاية علي لرسول الله كذبًا زورًا كي يتمكنوا من زرع بذور الفساد فيهم وشب نيران الحروب والفتنة فيما بينهم حتىٰ تنقلب مساعيهم عن الجهاد في سبيل الله ضد الكفرة والمشركين من اليهود والمجوس إلىٰ القتال بين أنفسهم، وهذا واضح من نص النبوختي الذي قال عن ابن سبأ:

«وكان يقول وهو علىٰ يهوديته في يوشع بن نون بعد موسىٰ عليه السلام بهذه المقالة قال في إسلامه بعد وفاة النبي ﷺ بمثل ذلك»[٣].

ويقرر ابن تيمية يهودية ابن سبأ حتىٰ بعد إسلامه مستدلاً علىٰ ذلك بمعتقداته وأفعاله يقول: «وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبدالله بن سبأ فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية وطلب أن يفسر الإسلام كما فعل بولص النصراني الذي كان يهوديًا في إفساد دين النصارىٰ»[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٣٠٩.

(٢) ذكر إحسان ستة أمور تستخلص من النصوص التي نقلها عن علماء الشيعة المتقدمين في ثبوت شخصية ابن سبأ وثبوت يهوديته نذكر منها أمرين لأنهما موضع الاستشهاد ومناسبتها للمقام أمر واضح.

(٣) انظر الشيعة والسنة لإحسان ظهير ص٢٤ ـ ٢٧.

(٤) الفتاوىٰ ٢٨/ ٤٨٣.

وهكذا فإن يهودية ابن سبأ لم تكن محل خلاف في الروايات التاريخية أو لدىٰ كتب الفرق وفي آراء المتقدمين سنة كانوا أم شيعة ولذا يقول الدكتور بدوي عن يهودية ابن سبأ: «إن ذلك هو ما تكاد تجمع عليه المصادر العربية واعتماداً عليها وعلىٰ غيرها ساق المستشرق فريد لينذر الحجج العديدة في دراسته المشهورة بعنوان: «عبدالله ابن سبأ مؤسس الشيعة وأصله اليهودي»[1].

ويزداد الأمر وضوحًا ـ إضافة إلىٰ هذه المصادر المثبتة ليهودية ابن سبأ إذا ما لحظنا أن ما ظهر به ونادىٰ عليه من أقوال ومعتقدات تفصح عن يهوديتها.

(٣) المصادر الأجنبية لأصول التشيع:

علىٰ ضوء هذه النصوص وتلك المعلومات السابقة نصل إلىٰ حقائق مهمة تتصل بموضوعنا الأساسي أصول التشيع الأولىٰ. وهذه الحقائق نجملها في النقاط التالية:

(١) إن زعم الشيعة بأصالة مذهبهم وأنه بذرة نبوية بدأ غرسها في عهد الرسول ﷺ زعم خال من الأدلة أو شبه الأدلة، بل هو فرية عظيمة يتحمل وزرها من ابتدعها أو قال بها.

(٢) إن شخصية ابن سبأ شخصية حقيقية قامت بأحداث معينة واشتهرت بآراء ومعتقدات كان لها وما زال أثر كبير فيما بعد علىٰ كثير من الفرق الشيعية.

(٣) إن معتقدات ابن سبأ وفرقة السبأية من بعده أصبحت أصولاً للتشيع علىٰ تعدد فرقه وتشعبها.

(٤) وأخيراً مع ثبوت يهودية ابن سبأ من مصادر شتىٰ تصبح التعاليم اليهودية مصدراً من مصادر التشيع ورافداً من روافده الأساسية.

وقد تتبع ابن تيمية في كتابه الفريد منهاج السنة بعضًا من تعاليم ومعتقدات الشيعة وبين أصلها اليهودي[2].

---

(١) مذاهب الإسلاميين ٢/ ١٧.

(٢) انظر علىٰ سبيل المثال منهاج السنة ٢/ ٢٢ ـ ٣٥ ـ ٤٥، ٥٠٤. وفي ص١٤ وما بعدها من الجزء الأول تفصيل واسع لمشابهة الرافضة باليهود.

بل إنه نقل عن الشعبي[١] قوله: «إن محنة الرافضة محنة اليهود قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود وقالت الرافضة لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي وقالت اليهود لا جهاد في سبيل الله حتىٰ يخرج المسيح الدجال وينزل سيد من السماء وقالت الرافضة لا جهاد في سبيل الله حتىٰ يخرج المهدي وينادي مناد من السماء واليهود يؤخرون الصلاة إلىٰ اشتباك النجوم وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلىٰ اشتباك النجوم... إلخ» ما ذكره رحمه الله من أوجه المشابهة الكثيرة، إلىٰ أن قال: «وفضلت اليهود والنصارىٰ علىٰ الرافضة بخصلتين: سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسىٰ.

وسئلت النصارىٰ من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسىٰ.

وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم».

بل إنه رحمه الله ذكر في موضع آخر: «أن طائفة السامرة ـ وهم أخبث فرق اليهود ـ هم رافضة اليهود وهم في اليهود كالرافضة في المسلمين والرافضة تشابههم من وجوه كثيرة ثم ذكر أوجه المشابهة بين طائفة الرافضة وطائفة السامرة في جوانب كثيرة ومتعددة»[٢].

كما أفرد الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في رسالته «الرد علىٰ الرافضة» مطلبًا خاصًا بعنوان: «مشابهة الرافضة لليهود» وذكر كثيراً من قبائحهم التي شابهوا فيها اليهود[٣].

كما تتبع أحد علماء أهل السنة المعاصرين مشابهتم لليهود في أمور كثيرة قارنًا كل

---

(١) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم قال عنه ابن تيمية «هو من أخبر الناس بالرافضة». انظر منهاج السنة لابن تيمية ١/ ١٣ والهامش رقم ٣ تحقيق محمد رشاد سالم.

(٢) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٧، ٥/ ١٧٤، ١٧٥.

(٣) انظر رسالة في الرد علىٰ الرافضة تأليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تحقيق الدكتور ناصر الرشيد ص٤٣ ـ ٤٦.

شبه بدليله وخلاصة هذه الأمور هي:

أولاً: الغلو فأهل الكتاب بنص الآيات القرآنية غلاة[١] سواء في الأنبياء أو الذين كما أن الشيعة غلاة في أئمتهم كاعتقادهم عصمتهم أو رجوعهم بعد موتهم أو علمهم للغيب.

ثانيًا: خذلان أئمتهم فاليهود خذلوا أنبيائهم كما ذكر الله تعالىٰ عنهم[٢]. كذلك الرافضة خذلت علي بن أبي طالب والحسن والحسين كما هو معروف وثابت في كتب السير والتاريخ[٣].

ثالثًا: الافتراء علىٰ الله وعلىٰ عباده المؤمنين وهذا واضح في الآيات القرآنية بالنسبة لليهود[٤]. وبالنسبة للرافضة فحسبنا كتابهم فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب[٥] لأحد علمائهم. وأما الافتراء علىٰ عباده المؤمنين فاليهود رموا مريم عليها السلام بالفاحشة والرافضة رمت عائشة رضي الله عنها بالفاحشة وهذا يعتبر كفراً[٦].

إن ما تقدم من أدلة ونصوص كفيلة بثبوت حقيقة لها أهميتها عند الحديث عن أصول التشيع.

هذه الحقيقة نستخلصها بالآتي: لليهود وعقائدهم أثر واضح ملموس علىٰ أصول التشيع الأولىٰ مهما نفىٰ المتشيعون وكابر المكابرون أو أحسن الظن واعتذر بعض العاطفيين.

---

(١) من الآيات التي تنص علىٰ ذلك آية ٧٧ من سورة المائدة وآية ١٧١ من سورة النساء وآية ٣٠ ـ ٣١ من سورة التوبة.

(٢) سورة المائدة: ٢٠ ـ ٢٦.

(٣) سبق أن ذكرنا هذه الأحداث التاريخية في ص٤٩ ـ ٥٠ من البحث.

(٤) من الآيات سورة آل عمران آية ٧٨.

(٥) سوف نتحدث إن شاء الله عن هذا الكتاب ومؤلفه بالتفصيل في الصفحات القادمة عند دعوىٰ تحريف القرآن عند الشيعة.

(٦) انظر كتاب الإلحاد الخميني في أرض الحرمين للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ص١٥٥ ـ ١٧٨.

ويبقى بعد ذلك سؤال خلاصته هل هناك مؤثرات وروافد أخرى على الفكر الشيعي غيرما تقدم؟

وللإجابة على ذلك نقول:

إن مما لفت نظر بعض الكتاب - ولا سيما المعاصرين - الأثر الفارسي أو المجوسي في مذهب الشيعة سواء من خلال الأشخاص الذين تزعموا بعض الحركات الشيعية أو بعض الآراء والأفكار التي هي في أصلها فكر مجوسي وأخذت عن طريق الفرس الذين اندمجوا في المجتمع الإسلامي طوعًا أو كرها.

وأول فكرة - أتقن الشيعة استغلالها كذبًا وزوراً - الدعوة لآل البيت فهي ورقة رابحة تجد رواجًا لدى جميع الناس وخاصة عند العامة وأصحاب العواطف الهوجاء.

وفي التشيع لآل البيت إحياء لفكرة مجوسية خلاصتها أنه لابد من عائلة مقدسة - وكانت في الماضي تتمثل في قبيلة من القبائل كالميديا والمغان[1] لهما الزعامة الدينية حتى أن الحاكم يجب أن يكون من هذه القبيلة وتتجسد فيه الذات الإلهية وتتولى هذه العائلة شرف سدانة بيت النار. إن هذه الفكرة نقلت إلى المجتمع الإسلامي حيث استبدل الشيعة آل البيت بهذه القبائل المقدسة عند الفرس قديمًا. وعمقوا هذه الفكرة بدرجة أكثر باستغلالهم زواج الحسين بن علي رضي الله عنهما من شهر بانو ابنة يزدجرد الفارسي.

ومما قالوا عن ذلك: «أن الدم الذي يجري في عروق علي بن الحسين وفي أولاده دم إيراني من قبل أمه «شهر بانو» ابنة يزدجرد ملك إيران من سلالة الساسانيين المقدسين عندهم. وإذن ففي تشيعهم لآل البيت إحياء لعقيدة المجوس ووقوفهم مع الحسين بن علي بن أبي طالب نابع من عصبيتهم الفارسية لأولاد شهر بانو الساسانية»[2].

---

(١) قبيلتان فارسيتان من القبائل والأسر المقدسة عند الفرس وكانت لهما الزعامة الدينية والسياسية على الفرس قبل الإسلام.

(٢) انظر كتاب وجاء دور المجوس ص٣٢ - ٥٦ - ٥٧ بتصرف.

ويستخلص كاتب معاصر رأي جمع من المستشرقين حول النزعة الفارسية لدىٰ الشيعة فيقول:

«وقد أدىٰ كلف الفرس بالتشيع الذي يضفي صفة قدسية علىٰ الإمام إلىٰ ظهور الوهم القائل بأن التشيع في منشئه ومراحل نموه يمثل الأثر التعديلي الذي أحدثته أفكار الفرس بعد اعتناقهم للإسلام فقد قال دوزي في كتابه «مقالة في تاريخ الإسلام» كانت الشيعة في حقيقتها فرقة فارسية لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبي أمراً غير معهود ولأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة في الحكم لهذا اعتقدوا أنه مادام محمد ﷺ لم يترك ولداً يرثه فإن علياً هو الذي كان يجب أن يخلفه. وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية في آل علي ومن هنا فإن جميع الخلفاء ـ ما عدا علياً ـ كانوا في نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة وقوىٰ هذا الاعتقاد عندهم كراهيتهم للحكومة وللسيطرة العربية فكانوا في الوقت نفسه يلقون بأنظارهم النهمة إلىٰ ثروات سادتهم وهم قد اعتادوا أيضاً أن يروا في ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا فنقلوا هذا التوقير الوثني إلىٰ علي وذريته.

فالطاعة المطلقة للإمام الذي من نسل علي كانت في نظرتهم الواجب الأعلىٰ حتىٰ إذا ما أدىٰ المرء هذا الواجب استطاع بغير لائمة ضمير أن يفسر سائر الواجبات والتكاليف تفسيراً رمزياً وأن يتجاوزها. ولقد كان الإمام عندهم هو كل شيء إن الله قد صار بشراً فالخضوع الأعمىٰ المقرون بانتهاك الحرمات ذلك هو الأساس في مذهبهم[1].

ويذهب براون[2] إلىٰ أن العقيدة المتعلقة بالحق الإلهي التي أودعت في الأسرة الساسانية كانت ذات أثر عظيم في تاريخ الفرس والتشيع فلقد جاءت فكرة انتخاب الخليفة متمشية مع ديمقراطية العرب غير أنها لا يمكن أن تظهر في نظر الفرس إلا بمظهر

---

(١) دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد جمال الدين ص٩.

(٢) مستشرق انجليزي سكن إيران مدة طويلة ودرس تاريخها دراسة وافية ضافية من أهم كتبه في هذا المجال تاريخ الأدب في إيران أو تاريخ أدبيات إيران، طبع بالإنجليزية والفارسية والأردية.

ثوري غير مطابق لطبيعة الأشياء.

ويعتقد الفرس أن الحسين بن علي رضي الله عنهما وهو أصغر ولدي فاطمة رضي الله عنها قد تزوج شهر بانو ابنة يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين واستناداً إلى هذا أصبح الأئمة من الشيعة بقسميها (الاثني عشرية والاسماعيلية) لا يمثلون حق أهل بيت النبوة وخصائصها فحسب بل يمثلون حق الملك وفضائله أيضًا من حيث كونهم يتمتعون بانحدارهم من أصل مزدوج من بيت الرسالة ومن أسرة ساسان ومن هنا نشأت هذه العقيدة السياسية[1].

بل إن هذا المستشرق يقول صراحة: «إن من أهم أسباب عداوة أهل إيران للخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه فتح إيران وقضى على الأسرة الساسانية وليس لأنه ـ كما زعموا ـ غصب عليًا وفاطمة حقوقهم غير أن الإيرانيين أعطوا لعدائهم صبغة دينية مذهبية[2].

ويستخلص الأستاذ أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام أثر الفرس ومذاهبهم السابقة على الإسلام بقوله: «هذه مذاهب الفرس الدينية وقد ذابت في المملكة الإسلامية بعد الفتح وكثير منهم أسلموا ولم يتجردوا من كل عقائدهم التي توارثوها أجيالاً وبمرور الزمان صبغوا آرائهم القديمة بصبغة إسلامية فنظرة الشيعة في علي وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين من الملوك الساسانيين وثنوية الفرس كانت منبعًا يستقي منه الرافضة في الإسلام.

أضف إلى ذلك أن تعاليم زردشت وماني ومزدك[3] كانت تظهر من حين لآخر من

---

(١) تاريخ الأدب في إيران لبراون نقلاً من كتاب دولة الاسماعيلية في إيران ص٨.

(٢) تاريخ أدبيات إيران لبراون نقلاً من كتاب الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص٥٦.

(٣) هؤلاء الأشخاص تنتسب لهم ديانات ومذاهب فارسية وجدت قبل الإسلام فرزدشت تنسب إليه الزرادشتية وماني تنسب إليه المانوية القائلين بالأصلين، ومزدك المزدكية القائلين بالإباحية والاشتراكية.

المسلمين في أشكال شتىٰ في أواخر الدولة الأموية والدولة العباسية[١]، واضطر المسلمون أن يجادلوهم ويدفعوا حججهم ويؤيدوا دينهم بالمنطق والبرهان»[٢].

وفي موضع آخر قال: «والحق أن التشيع كان مأوي يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام بعداوة أو حقد ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج علىٰ مملكته. كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم. فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة. والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم: إن نسبة الإمام إلىٰ الله كنسبة المسيح إليه وقالوا إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام وأن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي. وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام.

وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعي لاستقلالهم»[٣].

ويخلص الأستاذ أحمد أمين إلىٰ أن التشيع كان في أول أمره بسيطًا ولكنه أخذ صبغة جديدة بمرور الزمن وبالمطاعن في عثمان رضي الله عنه حينما دخلت فيه عناصر أخرىٰ من يهودية ونصرانية ومجوسية وكل قوم من هؤلاء يصبغون التشيع بصبغة دينهم فاليهود تصبغ الشيعة يهودية والنصارىٰ نصرانية وهكذا وإذا كان أكبر عنصر في الإسلام هو العنصر الفارسي كان أكبر الأثر في التشيع إنما هو الفرس[٤].

---

(١) مثل الحركات الشيعية التي أقضت مضاجع الدولة العباسية كالخرمية وأصحاب الزنج وحركة القرامطة والراوندية وغيرهم.

(٢) انظر فجر الإسلام لأحمد أمين ص١١٢.

(٣) المرجع السابق انظر ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٤) انظر المرجع السابق ص٢٧٨.

ويقول عالم من أهل السنة له تجربته ومعرفته بمذهب الشيعة[١]: «إن المسلم يقف مذهولاً من هذه الجرأة البالغة على رسول الله ﷺ لولا أن يعلم أن هؤلاء الرافضة أكثرهم من الفرس الذين تستروا بالتشيع لينقضوا عرى الإسلام أو ممن أسلموا ولم يستطيعوا أن يتخلوا عن كل آثار ديانتهم القديمة فانتقلوا إلى الإسلام بعقلية وثنية لا يهمها أن تكذب على صاحب الرسالة لتؤيد حبًا ثاويًا في أعماق أفئدتها وهكذا يصنع الجهال والأطفال حين يحبون وحين يكرهون»[٢].

أنه مع التأمل لهذه النصوص الدالة على تأثير الفرس على معتقدات الشيعة نجد أنها صدرت عن جمع من المعاصرين:

(أ) أما من العلماء والمفكرين الذين عايشوا الشيعة وعرفوا أسرار مذهبهم.

(ب) أو من المستشرقين الذين اهتموا بهذه الفرقة وعاشوا بين ظهرانيهم وكتبوا عما رأوا وسمعوا.

وأيًا كان ذلك فهي نتيجة لها أهميتها واعتبارها وإذا ما تصفحنا في كتب العلماء المتقدمين فإن هذه النتيجة تبدو من البيان والوضوح بمكان وحسبنا أن نشير إلى بعض من هذه النصوص.

فأبو الحسين الملطي في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع حينما تحدث عن فرق الشيعة الإمامية ذكر أن من فرقهم من يقول بمقالات اليهود الذين سماهم بأخوة القردة وذكر بعض هذه المعتقدات وترك البعض الآخر؛ لأنه يقبح ذكرها من مذاهبهم مذاهب السفلة العمى أخوة القردة بل أخوة القرة أفضل منهم[٣].

---

(١) هو الشيخ مصطفى السباعي أحد العلماء الدعاة المعاصرين وهو واحد من علماء أهل السنة الذين سعوا إلى التقريب بين السنة والشيعة ولكن لما تبين له الخلاف بيننا وبينهم من الأصول رجع عن ذلك وأدرك أن هذه الفكرة الهدف منها تنازل أهل السنة عن بعض أصولهم وبقاء الشيعة على معتقداتهم.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص٩٥.

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص٣٣.

أما ابن تيمية في كتابه الفريد منهاج السنة فإنه ذكر تأثر الشيعة باليهودية والنصرانية وغيرهما وفصل القول في مشابهة الشيعة لليهود[1].

كما أن المقريزي ـ وهو ممن عاصر الدولة العبيدية وانتصر لنسبهم ـ يقول: «واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانت في سعة من الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسها بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب. وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى وفي كل ذلك يظهر الله الحق فرأوا أن كيده على الحيلة أنجح فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم علي ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى[2].

وحينما يعرض الشهرستاني لمذاهب الشيعة وفرقها يسطر هذه النتيجة المهمة مرجعاً كل فكرة وعقيدة إلى أصلها يقول: «وإنما نشأت شبهات الشيعة الغلاة من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بإحكام الإلهية في حق بعض الأئمة»[3].

ومما روى صاحب مختصر التحفة قوله: «إن بعض الأئمة قالوا عن مذهب الشيعة وفي حقهم: أنهم مجوس هذه الأمة وذلك للتشابه بينهم وبين المجوس في الإلهيات»[4].

---

(١) انظر على سبيل المثال منهاج السنة ١/ ١٤ ـ ١٦، ٢/ ٤٥، ٥٠٤، ٥/ ١٧٣ ـ ١٧٧.

(٢) فجر الإسلام لأحمد أمين مختصراً من الخطط للمقريزي ١/ ٣٦٢.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٣.

(٤) مختصر التحفة الاثنى عشرية للألوسي ص٣٠٠.

وحينما رد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الشيعة في كتابه رسالة في الرد على الرافضة عقد ثلاثة فصول هي :

الأول: في مشابهة الشيعة لليهود.

الثاني: في مشابهة الشيعة للنصارى.

الثالث: في مشابهة الشيعة للمجوس.

وقال: «إن من مشابهتم للمجوس أنهم قالوا بإلهين النور والظلمة وهؤلاء يقولون: الله خالق الخير والشيطان خالق الشر.

ومنها أن المجوس ينكحون المحارم كذلك غلاة الشيعة يفعلون ذلك.

ومنها المجوس تناسخيون وكذلك في غلاة الشيعة تناسخيون»[١].

إن ما تقدم من نصوص متعددة يؤكد ويدل على حقيقة لها وزنها واعتبارها وأثرها كذلك في كشف أصول الشيعة وإرجاعها إلى منابعها الأساسية وبالتالي الحكم عليها هل هي فكر ناشيء من داخل المجتمع الإسلامي أم من خارجه؟

والجواب على ذلك لا يحتاج إلى بيان وتحديد حيث الأثر الأجنبي في الفكر الشيعي مما لا ينكر ولا يخفى على مطلع. ويبقى بعد ذلك مغالطة فاحشة من الشيعة أو ممن تجاهل أساس مذهبهم أو تعاطف معهم بجهل وهو الزعم بأصالة مذهبهم أو القول بأن الخلاف بينهم وبين أهل السنة خلاف فرعي اللهم إلا اللافتة الكاذبة[٢] التي يستترون بها ويرفعونها بهدف نصرة مذهبهم وبقاءه داخل المجتمع الإسلامي.

وخلاصة القول أن أصول التشيع وروافده منها ما هو يهودي ومنها ما هو مجوسي ومنها ما هو نصراني وإن شاء الله ومن خلال عرض أصول التشيع الأولى سأشير إلى الأثر الأجنبي ومصدره في الفكر الشيعي حتى نصل بعد ذلك إلى إرجاع كل عقيدة إلى منبعها وأصلها.

---

(١) انظر رسالة الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص٤٣ ـ ٤٦.

(٢) المقصود منها محبة آل البيت والانتصار والمناصرة لهم.

(٤) أصول التشيع تفصيلاً.

الأصل الأول من أصول التشيع : الإمامة.

أصل من أصول الشيعة على اختلاف فرقها وتشعبها وأس من أسس دينها تشبث بها ودعا إليها وتبناها مؤسسو مذهب الشيعة ودعاتها على مختلف العصور والأزمان وأصبحت بعد ذلك معلماً من معالم التشيع بل إن بعض كتاب الفرق والمقالات يعرف الشيعة بها دون سواها[١].

وهي من بين أصول الشيعة ألف فيها الكثير وأفردت بمصنفات يصعب حصرها لكثرتها[٢].

بل إن لقبًا من ألقاب الشيعة يحمل لفظها فيسمون الإمامية لاعتقاداتهم المتعددة عن الإمامة وعن الإمام علي والأئمة من بعده فهي نسبة إلى معتقد وشخص في آن واحد.

يقول الأمين: «سموا بالإمامية لأنهم قالوا بأن الإمام ليس من تمتع بأوصاف الإمام كما قال الإمام زيد بل الإمام هو الإمام علي بالذات؛ لأنه عين بوصية من رسول الله ﷺ وأن الأئمة من بعده هم أولاده من فاطمة رضي الله عنها»[٣].

والإمامة لدى الشيعة أول من نادى بها وابتدعها هو اليهودي عبدالله بن سبأ الذي

---

(١) وذلك كالأشعري في مقالات الإسلاميين ١/ ٦٥، وابن حزم في الفصل ٢/ ١٠٧، ومن كتب الشيعة أوائل المقالات للمفيد ص٣٩، وتلخيص الشافي للطوسي ٢/ ٥٦، والشيعة في الميزان لمغنيه ص١٥، وتاريخ الإمامية لعبد الله فياض ص٣٤.

(٢) ومن الأمثلة على ذلك منهاج الكرامة في إثبات الإمامة لابن المطهر الحلي. الأصول المهمة في أصول الأئمة للعاملي. دلائل الإمامة لابن رستم الطبري الشيعي. مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات للناشيء الأكبر. بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار لمحمد باقر المجلسي. تلخيص الشافي في الإمامة للطوسي المسمى عندهم بشيخ الطائفة. الإمامة عند الجعفرية لعلي السالوس. أثر الإمامة في الفقه الجعفري للسالوس أيضًا. نظرية الإمامة لأحمد صبحي. الإمامة في الإسلام لعارف تامر. طوق الحمامة في مباحث الإمامة ليحيى بن حمزة الزيدي... الخ المؤلفات.

(٣) دراسات في الفرق والمذاهب لعبد الله الأمين ص١١.

قال قولته المبتدعة التي لم تكن عرفت من قبل عند المسلمين.

فمما نقله الأشعري القمي - وهو شيعي من القرن الثالث الهجري - عن جماعة من أهل العلم قولهم عن ابن سبأ: «إن عبدالله بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالىٰ عليًا وكان يقول وهو علىٰ يهوديته في يوشع بن نون وصي موسىٰ بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله في علي بمثل ذلك. وهو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم فمن ها هنا قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية»[١].

وقال النوبختي - وهو من مشاهير علماء الشيعة في القرن الثالث - مثل هذا النص المتقدم وأسنده إلىٰ جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام[٢].

وهذان النصان صريحان في أن أول من تفوه بالقول بفرض إمامة علي هو ابن سبأ اليهودي فكانت هذه المقولة أول بذرة للشيعة في أمر الإمامة لا سيما وصاحبا هذا النص شيعيان معتبران لدىٰ الشيعة مع ما يضاف إلىٰ تقدمهما وقربهما من أحداث وبدع ابن سبأ.

ويسوق لنا البغدادي نصًا يبين فيه كيف أدخل ابن سبأ آرائه في علي وإمامته لدىٰ أصحابه متسترًا بمحبة علي والتشيع له بقوله: «إن ابن السوداء أظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيًا وأن عليًا رضي الله عنه وصي محمد ﷺ وأنه خير الأوصياء كما أن محمدًا خير الأنبياء. فلما سمع ذلك منه شيعة علي قالوا لعلي أنه من محبيك فرفع علي قدره وأجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه غلوه فيهم فهم بقتله فنهاه ابن عباس رضي الله عنهما . . . ثم نفاه إلىٰ المدائن فافتتن به الرعاع بعد قتل علي رضي الله عنه ومما قال لهم: «والله لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلاً والأخرىٰ سمنًا ويغترف منها شيعته»[٣].

---

(١) المقالات والفرق للقمي ص٢٠ ـ ٢١.

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص٤٠ ـ ٤١.

(٣) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٢٣ ـ ٢٢٥.

ثم يضيف البغدادي أن المحققين من أهل السنة قالوا عن ابن سبأ أنه كان على هو دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده كي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام ـ وكان أسلوب ابن سبأ في نشر ذلك كما يقول البغدادي ـ أن دلس ضلالته في تأويلاته[1].

وينص الشهرستاني على أن ابن سبأ أول متبدع لعقيدة الإمامة في علي بقوله: «وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه ومنه اشتعبت أصناف الغلاة»[2].

إن هذه النصوص وغيرها تدل دلالة واضحة على أمرين:

أولهما: أن السبأية بزعامة ابن سبأ هي التي ابتدعت وجاهرت بهذه العقيدة الجديدة في الإمامة والوصاية.

ثانيهما: إن هذه العقيدة في الإمامة والوصاية لم تعرف البتة في البيئة الإسلامية آنذاك. وقد نص أحد الشيعة الباطنيين على ذلك بما لا يدع مجالاً لمتوهم أو متشكك حول سبأية هذه الفكرة ويهوديتها يقول: فباعتقادي أنّ أول بذرة وضعت في حقل الإمامة كانت البذرة التي غرسها عبدالله بن سبأ[3]. ويكفي الأمر بيانًا أن ابن سبأ شبه في معظم الروايات عنه وصاية النبي ﷺ بعلي بوصاية موسى ليوشع بن نون مما يدل على أن أصل الوصاية بالإمامة موجود في الفكر اليهودي ومن نصوص العهد القديم نستنبط أصل هذه الفكرة من هذه القصة وخلاصتها: فدعا موسى يوشع وقال له أمام أعين جميع إسرائيل تشدد وتشجع لأنك أنت تدخل مع هذا الشعب الأرض التي أقسم الرب لآبائهما أن يعطيهم إياها وأنت تقسمها لهم. . . وقال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكي تموت ادع يوشع وقفًا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه[4].

---

(١) المرجع السابق ص٢٢٥.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٤.

(٣) الإمامة في الإسلام لعارف تامر ص٦٢.

(٤) التوراة السامرية ص٣٣٦ الإصحاح الحادي والثلاثون رقم سبعة ورقم أربعة عشر.

ومما ورد كذلك في العهد القديم ما يأتي: «وفي تلك الليلة كان كلام الله إلىٰ ناثان قائلاً اذهب وقل لداود عبدي هكذا قال الرب ويكون متىٰ كملت أيامك لتذهب مع آبائك أني أقيم بعدك نسلك الذي يكون من بنيك وأثبت مملكته»[١].

إن وجود النص علىٰ يوشع بن نون أو ذرية داود بهذه الصورة الواضحة في العهد القديم يحتم القول بأن أصل الوصاية مبدأ يهودي لا سيما وأنها ليس لها ذكر صريح أو مؤول في مصادر المسلمين (الكتاب والسنة) بهذه الصورة لدىٰ الشيعة فثبت بذلك أن أصل الفكرة ومنبعها من التراث اليهودي.

انتقلت عقيدة الإمامة من السبأية إلىٰ الفرق الشيعية المتشعبة بعضها يحمل علواً وإطراء يصل إلىٰ تأليه الأئمة كالفرق الباطنية وغلاة الرافضة وبعضها يصف الأئمة بأصواف الأنبياء كالإمامية والبعض الآخر أقل من ذلك كالزيدية لكن هناك أصول مشتركة بين فرق الشيعة حول معتقد الإمامة وأهمها:

أولاً: أن الإمامة عندهم أحد أركان الدين بل هي الإيمان بعينه.

يقول أحد دعاتهم: «إن الإمامة أحد أركان الدين ودعائمه بل هي الإيمان بعينه وهي أفضل الدعائم وأقواها لا يقوم الدين إلا بها كما أن الدائرة التي تدور عليها الفرائض لا تصح إلا بوجودها»[٢].

ويقول آخر: «إن الإمامة تعتبر أفضل دعائم الدين وأقواها ولا يستقيم الدين إلا بها فهي مركز تدور عليه دائرة الفرائض فلا يصح وجودها إلا بوجوده وهي تستمر مدىٰ الدهر وأنه لو فقد الإمام ساعة واحدة لماد الكون وتبدد»[٣].

ولتعميق هذا المعتقد لديهم فإن كتاباتهم كثيرة نقتصر علىٰ نصين منها:

أولهما: ما رواه الكليني ونسبه كذبًا إلىٰ أبي جعفر أنه قال: بني الإسلام علىٰ

---

(١) دور اليهود في الفرق الباطنية ص ٢٣٥.

(٢) المصابيح في إثبات الإمامة لكرماني ص١٢.

(٣) الإمامة لعارف تامر ص٦٥ ـ ٦٦.

خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ـ يعني الإمامة ـ فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه يعني الولاية[١].

ثانيهما: ما قاله عميد كليه الفقه في النجف الأشراف في كتابه عقائد الإمامية ونصه: «ونعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها ولا يجوز فيها تقليد الأباء والأهل والمربين بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة»[٢].

ومما انفردوا به عن سائر الفرق الإسلامية وغيرها من الإمامة اعتقادهم:

ثانيًا: أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة فكما أن الله سبحانه وتعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إمامًا للناس من بعده[٣].

وعند الرجوع إلى نصوص القوم نجد التصريح بأن الإمام كالنبي بل كالرسول فكلهم يوحى إليه ولا اختلاف بينهم سوى الطريقة والوسيلة إلى وصول الوحي لكل واحد منهم روى صاحب الكافي أنه سئل إمامهم الرضا ما الفرق بينه الرسول والنبي والإمام؟ فكتب أو قال: «الفرق بين الرسول والنبي والإمام أن الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام.

والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع. والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص»[٤].

وهذا النص صريح في تساوي الرسول والنبي والإمام سوى أن الإمام يوحى إليه

---

(١) الكافي للكليني ٢/ ١٨ في باب دعائم الإسلام.

(٢) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ص٤٩.

(٣) أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص٥٨.

(٤) الكافي للكليني كتاب الحجة باب الفرق بين النبي والرسول والمحدث ١/ ١٧٦.

سماعًا مع عدم رؤيا الملك. ومع تتبع روايات القوم في مصادر أخرىٰ نجد أن هذا الاستثناء قد نفاه بعضهم وأثبت أن الأئمة يرون الملك. فالمجلس في بحاره عقد بابًا وعنوانه: «باب أن الملائكة تأتيهم وتطأ فرشهم وأنهم يرونهم» وذكر في هذا الباب ستة وعشرين حديثًا منها ما ذكره عن الصادق قال: «إن الملائكة لتنزل علينا في رحالنا وتتقلب علىٰ فرشنا وتحضر موائدنا وتأتينا في وقت كل صلاة لتصليها معنا وما من يوم يأتي إلا وأخبار أهل الأرض عندنا وما يحدث فيها»[1].

وفي موضع آخر من كتابه بعد ذكر روايات عن الإمامة وعظم منزلتها قال: «ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة»[2].

ثالثًا: ونتيجة للغلو عند الشيعة في الإمامة فإنهم أحاطوا أئمتهم بهالة من التعظيم والتقديس حتىٰ أصبحت مؤلفاتهم طافحة بالأحاديث والروايات المكذوبة علىٰ الرسول ﷺ. وأحاديث الشيعة عن أئمتهم ومنزلتهم وأوصافهم لا سبيل البتة إلىٰ حصرها لكثرتها وغثائها وسقمها.

وحسبنا أن نشير إلىٰ عناوين الأبواب الموجودة وعدد الأحاديث تحت كل باب وذلك من خلال مصدرين معتمدين لديهم وهما الكافي للكليني والبحار للمجلس ليتبين بعد ذلك غرابة معتقد الإمامة لديهم وأنه فكر أجنبي ابتدعه ابن سبأ وغذته الشيعة فيما بعد علىٰ اختلاف فرقها وتعددها حتىٰ أصبح هذا المعتقد أصلاً من أصولهم وركنًا من أركان الدين. فمن الأبواب في هذيه المصدرين ما يأتي:

(١) باب أن الأئمة أعلم من الأنبياء عليهم السلام.

وفي هذا الباب ثلاثة عشر حديثًا منها ما روىٰ عن عبد الله التمار قال كنا مع أبي عبدالله عليه السلام في الحجر فقال علينا عين فالتفتنا يمنة ويسرة وقلنا ليس علينا عين فقال ورب الكعبة ثلاث مرات أن لو كنت بين موسىٰ والخضر لأخبرتهما أني أعلم

---

(١) البحار للمجلسي ٢٦/ ٣٥٥-٣٥٦.

(٢) المرجع السابق ٢٦/ ٨٢.

منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما[١].

(٢) باب تفضيلهم ـ أي الأئمة ـ على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم.

وفيه ثمان وثمانون حديثًا[٢].

(٣) باب أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بالأئمة.

وفيه ستة عشر حديثًا منها ما رواه المجلس عن علي بن الحسن عن فضال عن أبيه عن الرضا قال: لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق ولما رمى ابراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه بردًا وسلامًا وأن موسى لما ضرب طريقًا في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبسًا وأن عيسى لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنجي من القتل فرفعه إليه[٣].

(٤) باب أنهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء.

وفيه أربعة أحاديث[٤].

(٥) باب أنهم لا يحجب عنهم معلم السماء والأرض والجنة والنار وأنه عرض عليهم ملكوت السموات والأرض ويعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

وفيه ٢٢ حديثًا[٥].

وفي الكافي بعنوان باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى

---

(١) البحار للمجلسي ٢٦/ ١٦٩، الكافي للكليني ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٢) البحار للمجلسي ٢٦/ ٢٦٧ ـ ٣١٨.

(٣) المرجع السابق ص٣٢٥.

(٤) المرجع السبق ٢٧/ ٢٩ ـ ٣١.

(٥) المرجع السابق ٢٦٥/ ١٠٩ ـ ١١١.

عليهم الشيء صلوات الله عليهم. وفيه ستة أحاديث ومنها ما رواه الكليني عن أبي عبدالله قال: إني لأعلم ما في السموات وأعلم ما في الأرضين وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون[١].

(٦) باب أنهم يعرفون الناس بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق وعندهم كتاب فيه أسماء أهل الجنة وأسماء شيعتهم وأعدائهم وأنه لا يزيلهم خبر مخبر عما يعلمون من أحوالهم.

وفيه أربعون حديثًا[٢].

وفي الكافي باب أن الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امريء بما له وعليه. وفيه حديثان[٣].

(٧) باب أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا.

وفيه ثلاثة أحاديث ومنها ما رواه الكليني عن أبي عبدالله قال إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم[٤].

(٨) باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.

وفيه خمسة أحاديث منها حديث قتل ابن ملجم لعلي عليه السلام وأنه علم بذلك[٥].

(٩) باب أنهم لا يحجب عنهم شيء من أحوال شيعتهم وما تحتاج إليه الأمة من جميع العلوم وأنهم يعلمون ما يصيبهم من البلايا ويصبرون عليها ولو دعوا الله في

(١) الكافي للكليني ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦٣.

(٢) البحار للمجلسي ٢٦/ ١١٧ ـ ١٣٢.

(٣) الكافي للكليني ١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٨.

(٤) المرجع السابق ١/ ٢٥.

(٥) المرجع السابق ١/ ٢٥٨ ـ ٢٦٠.

دفعها لأجيبوا وأنهم يعلمون ما في الضمائر وعلم المنايا والبلايا وفصل الخطاب والمواليد.

وفيه ثلاثة وأربعون حديثًا[١].

(١٠) باب أن عندهم الاسم الأعظم وبه يظهر منهم الغرائب.

وفيه عشرة أحاديث منها ما رواه المجلسي عن جابر الجعفي عن أبي جعفر قال: إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفًا وإنما عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالرض ما بينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين وعندنا نحن من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفًا وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٢].

هذه أمثلة قليلة جدًا من ذلك الغثاء والركام الهائل في مصادرهم والتي ترفع الأئمة إلى مراتب خيالية يستحيل الوصول إليها والوصف بها لأي مخلوق من المخلوقات. وهذا في حقيقة الأمر فتح لباب الزندقة والإلحاد حيث أتى الباطنيون فبنوا على هذه الروايات وغيرها تأليه الأئمة والغلو فيهم إلى درجة لم تصلها فرقة من الفرق ولنا أن نسأل بعد ذلك ماذا بقي لله عز وجل عندهم من خصائص الألوهية حين يوردون عشرات الروايات عندهم تقول أن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون وأنهم لا يخفى عليهم شيء وكيف يتجرأون على القول بأن الأئمة عندهم ٧٢ حرفًا من الاسم الأعظم والله عنده حرف واحد؟! سبحانه هذا بهتان عظيم[٣].

ولتأكيد هذه الأوصاف والمقامات للأئمة كفروا من لم يؤمن بهم أو حتى بواحد منهم وشبهوا ذلك بمن يجحد أو يكفر بنبي واحد من الأنبياء فمما افتروا على جعفر

---

(١) البحار للمجلسي ٢٦/ ١٣٧ ـ ١٥٣.

(٢) البحار للمجلسي ٢٧/ ٢٥ ـ ٢٨.

(٣) استفدت في حصر الأبواب وترتيبها على رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة القسم الأول ص٢٦٨ ـ ٢٧٥.

الصادق أنه قال: «الجاحد لولاية علي كعابد الوثن»[١].

وقال ابن بابويه القمي في رسالته في الاعتقادات:

«واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده أنه بمنزلة من جحد نبوة الأنبياء.

واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء ثم أنكر نبوة محمد ﷺ».

ثم استدل القمي افتراء وكذباً بأن النبي ﷺ قال: «الأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي فمن أنكر واحداً منهم فقد أنكرني[٢].

وقال شيخهم الطوسي: «ودفع الإمامة كفر كما أن دفع النبوة كفر؛ لأن الجهل بهما على حد واحد»[٣].

ومن أحكامهم الاتفاقية ما قاله مفيدهم: «بأن الإمامية اتفقت على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار»[٤].

ومن أجمع نصوص الشيعة عن أصل الإمامة ما ورد في الكافي منسوباً إلى علي الرضا أحد أئمة الشيعة ونصه:

«الإمامة منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء. الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ﷺ. والإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين. الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي وبالإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج وتوفير الفيء

(١) البحار للمجلسي ٢٧/ ١٩٧.

(٢) الاعتقادات لابن بابويه القمي ص١١١ ـ ١١٤.

(٣) البحار للمجلسي ٨/ ٣٦٨.

(٤) المرجع السابق ٨/ ٣٦٦.

والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف. الإمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله. الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب المخصوص بالعلم المرسوم بالحلم الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب بل اختصاص من المتفضل الوهاب. لقد راموا صعبًا وقالوا إفكًا إذ تركوا أهل بيته عن بصيرة ورغبوا عن اختيار الله ورسوله إلىٰ اختيارهم والقرآن ينادي ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...﴾[1].

فكيف لهم اختيار الإمام؟ عالم لا يجهل وداع لا ينكل مخصوص بدعوة الرسول. إن العبد إذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهامًا فلم يعي بجواب ولا يحيد فيه عن الصواب فهو معصوم قد أمن من الخطأ والزلل والعار يخصه الله بذلك ليكون حجته علىٰ عباده وشاهداً علىٰ خلقه والله أمر بطاعتهم ونهىٰ عن معصيتهم وهم بمنزلة رسول الله إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للأنبياء فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله»[2].

إن هذه التصورات والمعتقدات للإمامة والأئمة ظلت أصولاً يتناقلها علماء الشيعة ويرسمون من خلالها وعلىٰ ضوئها أصلهم الأخرىٰ وما عقيدة التحريف ونقصان سورة الولاية إلا لدعم هذا الأصل والتدليل عليه.

إن الشيعة المعاصرين لم يغيروا أو يتنازلوا عما ورد في كتبهم القديمة عن هذا الأصل ـ كما يظن ـ رغم ما فيه من غلو وإلحاد وشطط لأن قوام المذهب وبقاءه علىٰ هذا الغلو يكفينا دليلاً علىٰ ذلك ما ثبت عن أحد أئمتهم المعاصرين يقول «وثبوت الولاية والحاكمية للإمام لا يعني تجرده من منزلته التي هي له عند الله ولا تجعله مثل من عداه من الحكام فإن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا

(١) سورة القصص: ٦٨.

(٢) نظرية الإمامة لأحمد صبحي ص٢٥.

لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلية والزلفى ما لا يعلمه إلا الله وقد قال جبرائيل كما ورد في روايات المعراج لو دنوت أنملة لاحترقت وقد ورد عنهم أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل»[1].

وفي موضع آخر قال عن علي: «إنه الحاكم المهيمن الشرعي على شؤون البلاد والعباد وإن الملائكة تخضع له ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم؛ لأنهم يخضعون للحق في قيامه وقعوده وفي كلامه وصمته وفي خطبه وصلواته وحروبه»[2].

بل يذهب هذا الشيعي المعاصر إلى اعتبار أن الرسول ﷺ غير مبلغ للرسالة لو لم يعين علياً خليفة من بعده يقول: «إن الرسول الكريم قد كلمه الله وحياً أن يبلغ ما أنزل إليه فيمن يخلفه في الناس وبحكم هذا الزر فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين علياً للخلافة»[3].

وفي موضع آخر يقول: «وكان تعيين خليفة من بعده ينفذ القوانين ويحميها ويعدل بين الناس عاملاً متمماً ومكملاً لرسالته»[4].

وبالرغم من أن هذا الكم الهائل من الروايات التي تصف الأئمة بالأوصاف الإلهية لا سند لها ولا أساس البتة فإنها أصبحت محل التهكم والتندر من بعض مثقفي الشيعة المعاصرين الذي قال عنها: «إن المتتبع المنصف للروايات التي جاء بها رواة الشيعة في الكتب التي ألفوها بين القرن الرابع والخامس الهجري يصل إلى نتيجة محزنة جداً وهي أن الجهد الذي بذله بعض رواة الشيعة في الإساءة إلى الإسلام لهو جهد يعادل

---

(١) الحكومة الإسلامية للخميني ص٥٢.

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني ص١٤١.

(٣) المرجع السابق ص٤٢ ـ ٤٣.

(٤) المرجع السابق ص١٩.

السموات والأرض في ثقله. ويخيل إلي أن أولئك لم يقصدوا من رواياتهم ترسيخ عقائد الشيعة في القلوب بل قصدوا منها الإساءة إلى الإسلام وكل ما يتصل بالإسلام وعندما نمعن النظر في الروايات التي رووها عن أئمة الشيعة وفي الأبحاث التي نشروها في الخلافة وفي تجريحهم لكل صحابة الرسول ﷺ ونسفهم لعصر الرسالة والمجتمع الإسلامي الذي كان يعيش في ظل النبوة لكي يثبتوا أحقية علي وأهل بيته بالخلافة ويثبتوا علو شأنهم وعظيم مقامهم نرى أن هؤلاء الرواة أساءوا للإمام علي وأهل بيته بصورة هي أشد وأنكى مما قالوه ورووه في الخلفاء والصحابة وهكذا تشويه كل شيء يتصل بالرسول الكريم ﷺ وبعصره مبتدئًا بأهل بيته ومنتهيًا بالصحابة. وهنا تأخذني القشعريرة تمتلكني الحيرة وأتساءل: أليس هؤلاء الرواة من الشيعة ومحدثيها قد أخذوا على عاتقهم هدم الإسلام تحت غطاء حبهم لأهل البيت؟

ماذا تعني هذه الروايات التي نسبها هؤلاء إلى أئمة الشيعة وهم صناديد الإسلام (كذا) وفقهاء أهل البيت؟ وماذا تعني هذه الروايات التي نسبوها إلى أئمة الشيعة وهي تتناقض مع سيرة الإمام علي وأولاده الأئمة وكثير منها يتناقض مع العقل المدرك والفطرة السليمة. وإنني لا أشك أن بعضًا من رواة الشيعة ومحدثيها ومن ورائهم بعض فقهاء الشيعة قد أمعنوا في هذا التطاول على أئمة الشيعة وفي وضع روايات عنهم...» إلى أن يقول: «ولكي أكون واضحًا أود أن أضع النقاط على الحروف وأبدأ بالخلافة لكي نرى أن ما رووه في حق الخلفاء وصحابة الرسول ﷺ يصطدم اصطدامًا كبيراً بسيرة الإمام علي وأهل بيته ونرى بعد ذلك كيف أن هؤلاء الرواة وبعض علماء الشيعة لتعزيز آرائهم ولتفنيد مواقف الإمام الصريحة وأهل بيته التي تفند ما نسبوه إليهم ناقضوا مواقف الإمام علي والأئمة من بعده بصورة ملتوية ظاهرها مليح وباطنها قبيح لكي يثبتوا آرائهم حسب أهوائهم»(١).

إن هذا النص مهم جداً وله مدلولاته واعتباراته لأنه:

---

(١) الشيعة والتصحيح لموسى الموسوي ص١٥ ـ ١٦.

(١) صدر من أحد علماء الشيعة ومفكريها في العصر الحاضر[١].

وهو مهتم ـ كما يظهر من كتابه هذا ـ بتصحيح بعض مفاهيم الشيعة الغلاة.

(٢) إن هذا النص يدل دلالة ظاهرة على الإقرار والاعتراف بعقائد الآباء والأجداد من واحد من تلاميذ الأئمة لديهم وكما دل عليه المثل رب الدار أعرف بها وأهل مكة أعرف بشعابها.

(٣) أن هذا المفكر الشيعي يثبت لنا حقيقة مهمة سبق لعلماء الجرح والتعديل من أهل السنة بيانها وكشفها وملخصها أن هذه الروايات الهائلة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وآل بيته تشينه وتؤذيه أكثر مما تذكر فضائله ومناقبه ومزاياه.

يقول الإمام ابن الجوزي: «إن غلو الرافضة حملهم على وضع الأحاديث الكثيرة في فضائل علي بن أبي طالب أكثرها تشينه وتؤذيه وقد ذكرت جملة منها في كتاب الموضوعات»[٢].

وفي كتاب له آخر قال: «إن فضائل علي الصحيحة كثيرة غير أن الرافضة لم تقنع فوضعت له ما يضع ولا يرفع»[٣].

---

(١) وهو الدكتور موسى الموسوي الأصبهاني المولود في النجف عام ١٩٣٠م جده من كبار أئمة الشيعة ويسمونه بالإمام الأكبر أكمل دراسته التقليدية على مشايخ النجف حتى حصل منهم على رتبة الاجتهاد في الفقه.

وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة طهران عام ١٩٥٥ وعلى شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون في باريس عام ١٩٥٩م.

تقلد عدة مناصب في عدد من الجامعات كجامعة طهران وجامعة بغداد وجامعة طرابلس بليبيا وجامعة هارفارد بأمريكا وأخيراً انتخب رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى في غرب أمريكا منذ عام ١٩٧٩م إلى يومنا هذا.

حضر العام الماضي ١٤٠٨هـ المؤتمر الإسلامي الذي عقد بمكة المكرمة وأشادت به بعض الصحف السعودية وكانت له عدة مقابلات فيها.

له مؤلفات مطبوعة تربو على الثمانية وكان من آخرها هذا الكتاب والذي عنون له بالشيعة والتصحيح وهو في ظاهره ثورة على كثير من معتقدات الشيعة ولا سيما الغالية منها.

(٢) تلبيس ابليس لابن الجوزي ص٩٩.

(٣) المنار المنيف لابن القيم ص١١٦.

ويقول ابن القيم رحمه الله أن ما وضعه الرافضة في فضائل علي رضي الله عنه أكثر من أن تعد. ونقل عن الحافظ أبي يعلى قوله: إن الرافضة وضعت في فضائل علي رضي الله عنه وأهل البيت نحو ثلاث مئة ألف حديث. ويعلق ابن القيم على قول أبي يعلى بأن ذلك لا يستبعد حيث لو تتبعنا ما عندهم من ذلك لوجدنا الأمر كما قال أبويعلى»[١].

ولذا فإن ضلالات الشيعة حول هذا الأصل كثيرة ومروياتهم في أصل الإمامة لا خطام لها ولا زمام وعلى الرغم من رداءة الحجة وضعف الدليل وخطأ الاستدلال في أدلة الشيعة فإن لعلماء السنة قديمًا وحديثًا تتبعًا لحجج الشيعة وخطأ استنتاجهم وتكذيبهم في كثير من رواياتهم ولا أدل على ذلك من السفر العظيم منهاج السنة لابن تيمية رحمه الله ومن بعده العلامة شاه عبدالعزيز الدهلوي في كتابه القيم التحفة الاثنى عشرية ومختصرها للعلامة الألوسي وغيرها من مؤلفات علماء أهل السنة في عصرنا الحاضر[٢].

وإجمالاً فإن الأدلة الصحيحة والوقائع الثابتة في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين تدل على خلاف ما أورده الشيعة من مرويات حول وصاية علي وإمامته والنص عليه ومنها:

(١) النفي القاطع من أهل السنة على أن عليًا رضي الله عنه لم يكتم حديثًا أو أمرًا عن رسول الله ﷺ يتعلق بوصايته والنص عليه ولو كان لديه دليل واحد لاستشهد به حين انتخاب الصديق رضي الله عنه وحاشاه أن يكتم علمًا علمه من رسول الله ﷺ.

(٢) ثبت أن عليًا رضي الله عنه تقدم لانتخاب الصديق رضي الله عنه ومن بعده صاحبيه عمر وعثمان رضي الله عنهما فهل فعله ذلك مع وجود نص له بالإمامة جائز شرعًا؟

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي ١/٣٣٨.

(٢) وذلك كرسالة الرد على الرافضة للإمام محمد بن عبد الوهاب، وبطلان عقائد الشيعة للتونسوي، والخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، والشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير، وتبديد الظالم للجبهان وغيرها مما تحفل به مكتب أهل السنة والجماعة.

إن ذلك لو ثبت دليل على النص عليه يعتبر مخالفة واضحة لقول الرسول ﷺ وأمره وفي ذلك الهلكة وحاشًا لعليَ رضي الله عنه أن يفعل ذلك. بل كيف يكون هناك نص على إمامة علي وخلافته بعد رسول الله وهو القائل: «دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطيعكم من وليتموه أمركم وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا»[١].

(٣) حين مرض الرسول ﷺ مرض الموت عرف ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وجهه عليه الصلاة والسلام ونقل ذلك إلى العباس رضي الله عنه فأشار عليه العباس أن يسأل الرسول ﷺ أين يجعل هذا الأمر هل في أقاربه أم في غيرهم فأجابه علي رضي الله عنه: «والله لو منعنا إياها لا يعطينا الناس إياها أبدًا فوالله لا أسأله»[٢].

فهذا نص يدل دلالة صريحة على عدم الوصاية له ولو كان الأمر كما زعم الشيعة لسارع علي بن أبي طالب ومعه العباس رضي الله عنهما إلى الرسول ﷺ وأشهد على الوصاياة له.

كيف وقد ثبت بسند صحيح إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء فقال: «ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم الناس به كافة»[٣].

وأختم الحديث عن هذا الأصل من أصول الشيعة الأولى بكلمة موجزة جيدة للمؤرخ ابن خلدون مبينًا فيه منهج الشيعة في ذكر أدلتهم وطريقة استدلالهم يقول: «إن ما استدل به الشيعة من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤلونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة»[٤].

---

(١) نهج البلاغة ١/ ١٨٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٦٣ ورواه البخاري ٨/ ١٤٢ من فتح الباري.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص١٤٧ ـ ١٤٨.

رابعًا: ومن الأصول المشتركة بين فرق الشيعة في معتقد الإمامة القول بعصمة الأئمة[١]. وهو رأي لجميع فرقهم[٢]. كما أنه يعد أحد المباديء الأساسية والأصول الإيمانية في الإسلام الشيعي. كما يقول شيخهم المفيد[٣] ويقول الأمين في كتابه دراسات في الفرق: «إن علماء الشيعة أجمعوا على عصمة الأئمة وأنهم مطهرون من كل دنس وأنهم لايذنبون ذنبًا كبيراً أو صغيراً موصوفون بالكمال والتمام والعلم في كل أمورهم ولا يوصفون بنقص أو جهل ولم يشذ عن هذا الرأي سوى ابن بابويه القمي الذي قال بجواز صدور الخطأ عن الإمام سهواً»[٤].

وينقل الإجماع على ذلك أيضًا أحد علمائهم بقوله: «إعلم أن إجماع علماء الإمامية قد انعقد على أن الإمام معصوم من جميع الذنوب صغيرة كانت أم كبيرة من أول العمر إلى آخره فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسيانًا ولا سهواً ولا غير ذلك»[٥].

وفكرة العصمة اختلف في نشأتها ومن ابتدعها على ثلاثة آراء:

الأول: ما ذكره ابن تيمية رحمه الله من أنها من آراء ومعتقدات ابن سبأ[٦]. وهذا الرأي ـ والله أعلم ـ من ابن تيمية على اعتبار أنها جزء من معتقد الإمامة المتفق على أن أول من نادى بإمامة علي بن أبي طالب هو ابن سبأ.

الثاني: ما ذكره الشيخ محب الدين الخطيب بقوله: «إن أول من اخترع للشيعة هذه

---

(١) وتعريفها عند الشيعة كما يقول الحلي: «إنها لطف يفعله الله تعالى بالمكلف لا يكون له مع ذلك داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك».
ويقول الطوسي: «العصمة هي ما يمتنع المكلف معه من المعصية متمكنًا فيها».
نظرية الإمامة لأحمد صبحي ص١٠٧.

(٢) في أدب مصر الفاطمية للدكتور محمد كامل حسين ص٢٥.

(٣) أوائل المقالات في المذاهب المختارات ص٩٧.

(٤) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة لعبد الله الأمين ص٢٢.

(٥) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص١٤٥ نقلاً من حياة القلوب للمجلسي ٧/ ٢٧.

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/ ٥١٨.

العقيدة الضالة خبيث يسميه المسلمون شيطان الطاق وتسميه الشيعة مؤمن آل محمد واسمه محمد بن علي الأحول ويزعمون أنه من أصحاب جعفر الصادق توفي في عام ١٦٠هـ»[١].

الثالث: رأى الدكتور كامل الشيبي الذي يقول: «إن أول شيعي قال بعصمة جعفر الصادق هو المتكلم الشيعي الكوفي هشام بن الحكم المتوفى عام ١٩٩هـ وأنه رأى أن الإمام أحوج إلى العصمة من النبي لأنه - كما ذكر - أن الإمام لا يوحى إليه ولذلك احتاج إلى العصمة بخلاف النبي فإنه يوحى إليه فيسدد الله خطاه»[٢].

وعلى كل حال فإن العصمة فكرة شيعية أصيلة لها ارتباط بالإمامة وما أسبغ على الأئمة من أوصاف فلذا لها أهمية كبرى أفردوا لها أبوابًا في كتبهم الحديثية[٣].

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة.

ففي **الطور الأول** كان علماء الشيعة السابقين يقولون بالعصمة ولكنها ليست عصمة مطلقة حيث جوزوا السهو عليهم. وعلى ذلك ابن بابويه القمي والطبرسي بل إنهم نقلوا عن إمامهم الثامن علي الرضا قوله عمن يقول بالعصمة المطلقة: «كذبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو»[٤].

أما الطور الثاني: فهو يمثل الغلو في هذه العقيدة حيث أن الإمام يجب أن يكون معصومًا حتى من السهو وهذه منزلة لم يصل إليها الأنبياء والمرسلون وهي في حقيقة الأمر تأليه للأئمة؛ لأن الذي لا يسهو هو الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. وهذه نصوصهم على ذلك:

يقول المامقاني: «إن نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي».

---

(١) مجلة الفتح المجلد ١٨/ ٢٧٧.

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي ص٣٨٥.

(٣) انظر على سبيل المثالب أصول الكافي للكليني كتاب الحجة ص١٦٥، ١٧٧.

(٤) البحار للمجلسي ٢٥/ ٣٥٠.

ويقر بأن هذا كان غلواً لدى علماء شيعته السابقين لكنه يقول: «إن ما يعتبر غلواً في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعي»[١].

ويقرر هذا الغلو شيخ شيعي معاصر بقوله: «إن من عقائد الإمامية أن الإمام يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان»[٢].

بل إن جماعة من الشيعة يزعمون أن الرسول ﷺ جائز عليه أن يعصى الله وأن النبي قد عصى في أخذ الفداء يوم بدر أما الأئمة فلا يجوز ذلك عليهم لأنه لا يوحى إليهم وهم من أجل ذلك معصومون لا يجوز أن يسهوا أو يغلطوا وإن جاز على الرسول العصيان[٣].

ولنا بعد ذلك أن نسأل القائلين بهذا الأصل الغريب ما قولكم فيما ثبت عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من الأئمة من اعتراف بخطأ أو تقصير أو استغفار من ذنب.

ففي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أن علياً رضي الله عنه قال لأصحابه: «لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست آمن من أن أخطئ»[٤].

وجاء في الصحيفة السجادية أن من دعاء علي بن الحسين قوله: «اللهم لك الحمد على سترك بعد علمك فكلنا قد اقترف العائبة فلم تشهره، وارتكب الفاحشة فلم تفضحه كم نهي لك أتيناه وأمر قد وقفتنا عليه فتعديناه وسيئة اكتسبناها وخطيئة ارتكبناها... إلخ الدعاء»[٥].

وهذا أبو عبدالله جعفر الصادق رحمه الله يقول: «لما ذكر له السهو أو ينفلت من

---

(١) تنقيح المقال للمامقاني ٣/ ٢٤٠.

(٢) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ص٦٧.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١/

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١/ ١٠٢.

(٥) الصحيفة السجادية ص١٨٤.

ذلك أحد ربما أقعدت الخادم خلفي يحفظ علي صلاتي»[١].

وقد أقر المجلسي ـ أحد علماء الشيعة المعتبرين ـ في بحاره بوجود أخبار تناقض دعوىٰ نفي السهو عن الأئمة وقال بعد ذلك: «إن المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير من الأخبار والآيات علىٰ صدور السهو عنهم وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم علىٰ عدم الجواز»[٢].

ولخطورة هذا المعتقد وكونه صيغ لهدف بعيد وأغراض شتىٰ[٣] نجد أن كتاب الشيعة في العصر الحاضر ـ ولا سيما دعاة التقريب ـ يتنازلون ويتظاهرون بنفي ذلك عن الشيعة حتىٰ قال أحدهم: «إن الاعتقاد بأن الأئمة يسهون هو مذهب جميع الشيعة»[٤].

وأختم الحديث عن معتقد الشيعة بعصمة الأئمة بقول الأستاذ أحمد جلي: «إن العصمة بهذا المفهوم الشيعي غريبة علىٰ التصور الإسلامي بعيدة عن تعاليم القرآن الذي لم ينسب العصمة إلا للأنبياء لأن العصمة المطلقة بعيدة عن الطبائع البشرية التي ركبت فيها الشهوات وركب فيها الخير والشر والذي يبدو (بل المؤكد) أن الأئمة الأولين كعلي والحسن والحسين لم تعرف لديهم العصمة التي ادعاها الشيعة ونسبوها لهم كما

---

(١) البحار للمجلسي ٢٥/ ٣٥١.

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٣) فمن أخطر الآثار العملية لدعوىٰ العصمة ـ كما يقول أحد الباحثين ـ اعتبارهم أن ما يصدر عن أئمتهم الاثنىٰ عشر هو كقول الله ورسوله ولذلك فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدها إلىٰ أحد الأئمة ولا تصل إلىٰ رسول الله ﷺ.
انظر رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ص٢٩٨ ومن أغراض الشيعة في تقرير العصمة تقبل كل ما يروىٰ عن أئمتهم بلا تردد أو مناقشة لصدوره عن إمام معصوم عن الخطأ حتىٰ السهو والنسيان.
ومن أغراضهم كذلك أن أفعال الإمام وأقواله لا يسأل عنها مهما ظهر فيها من أخطاء أمام أنظار الآخرين ويجب قبولها كما يجب تصديقه في كل ما يأتي وما يذر لأن عنده من العلم والمعرفة ما لا يصل إليه أحد من سائر البشر... إلخ الأهداف والأغراض التي يظهر بعضها ويخفىٰ البعض تحت ستار التقية والباطنية.

(٤) الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنيه ص٢٧٢.

يتضح من أقوالهم التي سبق شيء منها»[١] . ومما له صلة وارتباط بهذا الأصل عند الشيعة ـ ولا سيما الإمامية منهم ـ غيبة الإمام وانتظار رجوعه وهذا هو موضوع الأصل الثاني من أصول التشيع .

الأصل الثاني من أصول التشيع: الغيبة.

تتميز كثير من أصول الشيعة عن غيرها من سائر الفرق بأنها وليدة الحاجة فكلما ضاقت بهم السبل في ضلالاتهم اخترعوا عقيدة تلم شعثهم وتجمع شتاتهم وتؤمن البقاء والاستمرار لدعاويهم الزائفة ومصالحهم الكثيرة كما قال المعري واصفًا كثرة الأئمة وادعاء كل واحد منهم الإمامة . وحدثني من سافر إلى تلك الناحية (ويقصد به اليمن) أن به اليوم جماعة كلهم يزعم أنه القائم المنتظر فلا يعدم جباية من مال يصل بها إلى خسيس الآمال[٢] .

ومن هذه الأصول المخترعة ـ بل من أشهرها لدى الشيعة ـ ما يسمى عندهم بعقيدة الغيبة المرتبطة ارتباطًا مباشرًا بأصل الإمامة فما دام أن الإمام ـ حسب معتقدهم ـ لا يجوز أن تخلو منه الأرض ؛ لأنه لو خلت منه الأرض ـ بزعمهم ـ لخربت وماجت وسخات . وحيث أن إمامهم الحادي عشر مات عقيمًا سنة ٢٦٠هـ لا عقب له ولا ولد[٣]

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص١٤٨ وما بين القوسين عبارة للطالب .

(٢) رسال الغفران لأبي العلاء المعري ٢/ ٣٤ .

(٣) أبلغ الأدلة على ذلك شهادة علماء الشيعة ولا سيما متقدموهم . يقول القمي أحد علماءهم المتقدمين : «توفي الحسن العسكري ولم ير له خلف ولم يعرف له ولد ظاهر» .
المقالات والفرق للقمي ص١٠٢ .
ويقول النوبختي من علمائهم في القرن الثالث الهجري : «وولد الحسن بن علي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وتوفي بسر من رأى سنة ستين ومائتين ودفن في داره وهو ابن ثمان وعشرين سنة وكانت إمامته خمس سنين وأشهر وحين توفي لم ير له أثر ولم يعرف له ولد ظاهر فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه» .
الفرق للنوبختي ص١٠٥ .
ويقول شيعي آخر : «إن الحسن العسكري لما توفي قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وادعت أمه وصيته وثبت ذلك عند القاضي والسلطان» . =

فكيف يغطون هذه الثغرة ويسترون هذه العورة إلا بأصل يبنون عليه بنيانهم السابق من القول بإمامة أئمة معينين ورجعتهم بعد موتهم الذي أوشك على الإنهيار فاستحدثوا ما سموه بعقيدة (الغيبة) ويعنون بها أن إمامهم الثاني عشر وهو محمد القائم ابن الحسن العسكري تغيب عن الأنظار وما زال حيًا حتى اليوم وينتظرون رجعته وغاب غيبتين :

الصغرى: وذلك حينما كان يتصل به نواب الإمام فيأخذون توقيعاته ويجتمعون معه في مكان ما أو أماكن وكان ذلك من عام ٢٦٠هـ حتى عام ٣٢٩هـ حينما توفى آخر نواب الإمام ومدتها تسع وستون سنة[١] .

أما الغيبة الكبرى: فإنها ابتدأت من حين انتهت الصغرى ويعنون بها انقطاع الاتصال جملة وتفصيلاً مع الإمام مع انتظار خروجه وعودته منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا يقول الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية : «وقد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر»[٢] .

أما مكان غيبته فإن علماء الشيعة كتموا عنا ذلك إبان الغيبة الصغرى ويعللون ذلك بالخوف من القتل[٣] . والقتل كما هو معروف لا يقع إلا على الموجودات . أما المعدومات فلا يتصور وقوعه ولو ذهنيًا ومع فرض الوجود فإن للأئمة ـ عندهم ـ منزلة وكشف للمغيب يعرفون من سيقتلهم ومتى وأين فيتقون ذلك ولكن لله في خلقه شؤون .

= إكمال الدين لابن بابويه القمي ص٤٢ .

وكتب الشيعة التي تزعم وجود طفل للحسن العسكري تعترف بأنه لم يظهر في حياة أبيه ولا عرفه الجمهور بعد وفاته انظر الإرشاد للمفيد ص٣٤٥ .

وأما كتب النسابين فإنها تؤكد انقطاع النسل بعد الحسن العسكري الإمام الحادي عشر . فذكر محمد بن جرير الطبري وعبدالباقي بن قانع وغيرهما أن الحسن بن علي العسكري مات ولم يعقب .

المنتقى للذهبي ص٣١ .

(١) انظر كتاب الشيعة والتصحيح للموسوي ص٦١ .

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني ص٤٦ .

(٣) كتاب روح الإسلام للشيعي أمير علي .

أما في الغيبة الكبرىٰ فإنهم صرحوا بمكانه وحددوه بسرداب في مدينة سامراء في جامع من جوامعها الكبيرة ولا زال الشيعة يجتمعون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب السرداب يهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتىٰ تشتبك النجوم ثم ينفضون إلىٰ بيوتهم بعد طول الانتظار وهم يشعرون بخيبة الأمل والحزن(١). والحمد لله علىٰ نعمة العقل والتفكير السوي وقديمًا قال عنهم ابن حجر الهيثمي ساخرًا من عقولهم:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلمتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا(٢)

وبداية هذه العقيدة أنه لما مات الحسن العسكري الإمام الحادي عشر ولم يعقب أحدًا تحيرت الشيعة بعده وافترقوا فمنهم من قال انقطعت الإمامة ومنهم من قال إن الحسن بن علي توفي ولا عقب له والإمام بعده أخوه جعفر بن علي ومنهم من قال إن الحسن لم يمت وهو القائم وله يغبتان. ومنهم من قال إن الحسن مات ولكن يحيا وهو القائم ومنهم من قال صحت وفاة الحسن وصح أن لا ولد له وبطل ما ادعىٰ من الحيل في سرية له فثبت أن الإمام بعد الحسن غير موجود وهو جائز في المعقولات أن يرفع الله الحجة عن أهل الأرض لمعاصيهم... إلخ الفرق التي حصرها الشهرستاني بإحدىٰ عشرة فرقة ثم قال عنهم أنهم متحيرين تائهين أعاذنا الله من الحيرة(٣).

أمام هذه الحيرة وذلك الاضطراب الذي كاد أن ينسف مذهب الإمامية من أساسه ظهر رجل بفكرة أنقذت الموقف فادعىٰ بدعوىٰ في غاية الغرابة ملخصها:

أن للحسن العسكري ـ الإمام الحادي عشر ـ ولد في الخامسة من عمره مختف عن الناس لا يظهر لأحد غيره وهو الإمام بعد أبيه الحسن وأن هذا الطفل الإمام قد

---

(١) فمن أكاذيبهم وطاماتهم أن الرسول ﷺ قال: «لابد للغلام من غيبة فقيل له ولم يا رسول الله قال يخاف القتل».
انظر دراسات في الفرق والمذاهب للأمين نقلاً من كتاب علل الشرائع ص٢٤٣.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ص١٦٨.

(٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ١٧٠ ـ ١٧٢.

اتخذه وكيلاً عنه في قبض الأموال ونائبًا يجيب عنه في المسائل الدينية وكان ذلك سنة ٢٦٠هـ ولما مات عثمان عام ٢٨٠هـ ادعى ابنه محمد بن عثمان نفس دعوى أبيه وبعد وفاته عام ٣٠٥هـ خلفه الحسين النوبختي في نفس الدعوى ولما توفي عام ٣٢٦هـ خلفه أبي الحسن السمري حتى توفي عام ٣٢٩هـ وكان آخرهم وبوفاته انقطع الاتصال بالطفل الإمام ووقعت الغيبة الكبرى وكان هؤلاء الأربعة يسمون نواب الإمام[١] يتلقون أسئلة الناس وأموالهم ومن ثم يعرضونها على الإمام في مخبئه وغيبته؟ ويأتون بأجوبتها وتوقيعاته ويسمونها بحكايات الرقاع والتوقيعات الصادرة من الإمام وهي كثيرة ذكر الطوسي في كتابه الغيبة طرفًا منها[٢].

ولذا استماتت الشيعة وأجهدوا أنفسهم في إثباتها فسقوطها وبطلانها نسف لمذهب الشيعة الإمامية من أساسه فهي التي تبقى أصل التشيع وجوهره (الإمام) ويقول أحد الباحثين «إن فكرة غيبة الإمام كانت هي القاعدة التي جمعت كيان الشيعة من التصدع وأمسكت ببنيانه عن الانهيار لهذا أصبح الإيمان بغيبة ابن للحسن العسكري هو المحور الذي تدور عليه العقائد الشيعية ولذا دان بها أكثر الشيعة بعد تخبط واضطراب فلم يكن لهم ملجأ إلا ذلك[٣].

أصبحت فكرة الغيبة بعد ذلك أصلاً من أصول الشيعة أفردوا لها مؤلفات كثيرة: ذكر مؤلف كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة أنها تبلغ أربعة وخمسين كتابًا لشيوخهم وذكر شيعي آخر أنه ألف في الغيبة عندهم ستة وثلاثون كتابًا[٤].

ومن أهم هذه الكتب الغيبة لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي والغيبة لمحمد

---

(١) لهؤلاء النواب منزلة عظيمة عند الشيعة لأنهم الواسطة بين الإمام المختفي الغائب وعامة الناس ولذا تحدث عنهم جمع من علماء الشيعة كالطوسي في كتابه الغيبة ص٢١٤ وما بعدها، والطبرسي في كتابه الاحتجاج ٢/٢٩٦، ومحمد باقر الصدر شيعي معاصر في كتابه تاريخ الغيبة الصغرى ص٣٩٦.

(٢) انظر رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة للدكتور ناصر القفاري ص٢٤٣.

(٣) المرجع السابق ص٣٢٣.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

ابن ابراهيم النعماني وتاريخ الغيبة الصغرىٰ لشيعي معاصر هو محمد باقر الصدر.

وكتبهم الحديثية المعتبرة لم تغفل هذا الأصل بل ذكرت الأحاديث الدالة بزعمهم علىٰ الغيبة وعلىٰ فضل انتظار قائمهم ففي الكافي عن أبي جعفر أنه قال لمن سأله عن دينه الذي يدين الله به فقال والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي ندين الله به شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وانتظار قائمنا[١].

ومما نسبوه إلىٰ جعفر الصادق كذبًا أنه سئل عمن أقر بالأئمة جميعًا وجحد الإمام الغائب فقال: «كمن أقر بعيسىٰ وجحد محمداً أو أقر بمحمد وجحد عيسىٰ نعوذ بالله من جحد حجة من حججه»[٢].

وذكروا أحاديث كثيرة عن جزاء انتظار المهدي في غيبته حتىٰ يخرج فهو في أحاديثهم كالمجاهد في سبيل الله بل إنه يعتبر شهيداً ولكثرتها فإنه الشيعي المعاصر لطف الله الصافي جزم بتواترها يقول: «والأخبار الواردة في فضيلة الانتظار كثيرة متواترة»[٣]. ووصل بهم الأمر في تأصيل الغيبة أن زعموا أن رسول الله ﷺ قال عن منتظرهم: «من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني»[٤].

وفي الكافي عن أبي عبدالله الصالحي قال سألت أصحابنا بعد مضي أبي محمد (الحسن العسكري) أن أسأل عن الاسم والمكان فخرج الجواب: إن دللتهم علىٰ الاسم أذاعوه وإن عرفوا المكان دلوا عليه بل ورد عندهم أن صاحب هذا الأمر لا يسميه باسمه إلا كافر»[٥].

وذكر صاحب الاحتجاج بسنده عن الكليني عن اسحاق بن يعقوب قال سألت

---

(١) الكافي عن منتخب الأثر ص٤٩٩.

(٢) الغيبة للنعماني ص٥٥.

(٣) حاشية منتخب الأثر للصافي ص٤٩٩.

(٤) إكمال الدين لابن بابويه القمي ص٣٩٠.

(٥) الكافي للكليني ١/ ٣٣٣. لكنهم يذكرونه بأحد ألقابه المتعددة ومنها المهدي والقائم والحجة والمنتظر وصاحب العصر وصاحب الزمان وصاحب الأمر والإمام الثاني عشر.

محمد بن عثمان (النائب الثاني من نواب القائم في الغيبة الصغرىٰ) أن يوصل لي كتابًا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان: أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك ووقاك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا. فاعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح وأما سبيل ابن عمي جعفر وولده سبيل أخوة يوسف وأما أموالكم فلا نقبلها إلا لتطهروا فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع . . . الخ[1].

ومن ثمرات الغيبة وفوائدها ما يسمىٰ لديهم (بالرقاع) والتي يدعون أنها صادرة عن الإمام وعليها توقيعه حال غيبته ووصلت إليهم عن طريق نوابه الأربعة. وما فيها يعتبرونه دينًا يدينون الله به بل إنها كقول الله تعالىٰ وقول رسوله عليه الصلاة والسلام.

يقول الشيخ محمود الألوسي عن تعبد الشيعة بهذه الرقاع: «إنهم أخذوا دينهم من الرقاع المزورة التي لا يشك عاقل أنها افتراء علىٰ الله تعالىٰ ولا يصدق بها إلا من أعمىٰ الله بصره وبصيرته وهذه الرقاع عند الرافضة من أقوىٰ دلائلهم وأوثق حججهم فتبًا لقوم أثبتوا أحكام دينهم بمثل هذه الترهات واستبطلوا الحلال والحرام من نظائر هذه الخزعبلات ومع ذلك يقولون نحن أتباع أهل البيت كلا بل هم أتباع الشياطين وأهل البيت بريئون منهم»[2].

ومن ثمرات الغيبة سقوط كثير من التكاليف الشرعية فلا جمعة ولا جماعة ولا جهاد في سبيل الله ولا بيعة شرعية حتىٰ يخرج القائم وواضح كما ذكر أحد الكتاب أن وراء هذه العقيدة هدف ماكر يتلخص في تجميد نشاط المسلمين في كل شيء حتىٰ تنحسر دعوتهم فيتوقف جهادهم وأخيراً يجعلهم في موقف الانتظار ريثما يحضر الإمام النظر فيملأ الأرض عدلاً[3].

إن هذا الأصل من أصول الشيعة مثار حيرة واضطراب وتشكك حتىٰ من الشيعة

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢/ ٢٨٣.

(٢) كشف غياهب الجهالات للألوسي رقم ١٢ مخطوط.

(٣) دراسات في الفرق والمذاهب ص١٩.

أنفسهم الذين بحثوا عن أخبار إمامهم فلم يجدوا ما يشفي الغلة ويروي الظمأ وانتظروا خروجه فطالت الغيبة وتوالت الأعوام ثم القرون ولم يروا بشراً أو يسمعوا بخبر اللهم إلا الروايات التي تدنس البياض ويضحك منها الجهال.

يقول ابن بويه القمي: «رجعت إلى نيسابور وأقمت فيها فوجدت أكثر المختلفين على من الشيعة قد حيرتهم الغيبة ودخلت عليهم في أمر القائم عليه السلام الشبهة»[١].

ومن الملاحظ أن هذه الحقيقة التي اعترف بها القمي في أواخر القرن الرابع الهجري فكيف يكون الأمر بعده بقرون. فها هو الإمام الشهرستاني ينعى عليهم عقولهم وأفكارهم التي تصدق بالأقاصيص والأساطير بعد ذكره لاختلافاتهم يقول: «ومن العجب أن القائلين بإمامة المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم الذي بينت لا يستحيون فيدعون فيه أحكام إلهية ويتأولون قوله تعالى عليه: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...﴾[٢].

قالوا هو الإمام المنتظر الذي يرد إليه علم الساعة ويدعون أنه لايغيب عنا وسيخبرنا بأحوال الناجين يحاسب الخلق إلى تحكمات وكلمات عن العقول شاردة:

لقط طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعًا كفه حائر ... على ذقن قارعاش نادم[٣]

ومن بعده الإمام ابن تيمية رحمه الله حيث يذكر سفاهة عقولهم واختلافهم في أمر غائبهم فهم يقولون بإمام منتظر موجود غائب لا يعرف له عين ولا أثر ولا يعلم بحس ولا خبر لا يتم الإيمان إلا به. وفي معرض التهكم بعقولهم ومعتقدهم السخيف يقول أيضًا: «ومنتهى الإمام عندهم الإيمان بأنه معصوم غائب عن الأبصار كائن في الأمصار سيخرج الدينار من قعر البحار يطبع الحصى ويورق العصا دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين وله من العمر إما سنتان وإما ثلاث وإما خمس أو نحو ذلك فإنهم

---

(١) إكمال الدين لابن بابويه القمي ص٢.

(٢) سورة التوبة: ١٠٥.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣.

مختلفون في قدر عمره ثم إلىٰ الآن لم يعرف له خبر[١] ودين الخلق مسلم إليه فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ولم ينتفع به أحد من عباد الله[٢].

ويتبجح عالم من علماء الشيعة في العصر الحاضر بعقيدة الغيبة ويصر عليها رغم محاولة بعض آيات الشيعة المعاصرين إنقاذ الموقف مرة أخرىٰ بالقول بأن الفقيه يحل محل الإمام[٣].

ففي كتاب الموسوي الزنجاني «عقائد الإمامية الاثنىٰ عشرية» يتحدث عن طول عمر المهدي وأن غيبته مما قام عليها البرهان ودلت عليها الأدلة القطعية من العقل والنقل! كما عنون لمن رأىٰ المهدي في أيام أبيه وعددهم أربعون رجلاً.

وفي عنوان آخر ذكر من فاز برؤيته في الغيبة الصغرىٰ ثم بعد ذلك ذكر عدد من رأىٰ الحجة وأوصلهم إلىٰ مائتين وخمسة وستين شخصًا وأخيراً وبلا حياء ولا خجل ذكر علامات ظهور الحجة صاحب الزمان ومنها:

تخريب قبور الأئمة وتمايل الناس إلىٰ مذهب مزدك. وتخريب سد النيل وهو المعروف في عصرنا بسد أسوان و منها اختراع الطيارة. ومنها اختراع الراديو ومنها اختراع التلفزيون. ومنها تقسيم الصين ومنها هجوم السوفيات علىٰ المسلمين. ومنها

(١) يقصد ابن تيمية عصره الذي عاش فيه وهو القرن السابع الهجري ومن حقنا نحن أيضًا بعد ابن تيمية بثمانية قرون أن نقول وحتىٰ الآن لم نعرف له خبر ولا آثر.

(٢) منهاج السنة النبوية ٥/ ١٧٦.

(٣) وذلك هو ما فعله الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية والذي يدور علىٰ نظرية أن الفقهاء كالأئمة ولذا فإن الفقيه يحل محل الإمام ويقوم مقامه حتىٰ في الأمور الشرعية التي ربطوها بظهور القائم من غيبته وخروجه من سردابه ومن أسماء هذا الكتاب أيضًا ولاية الفقيه وهو عنوان له مدلوله.
ومما قال في هذا الكتاب: «فالفقهاء العدول هم وحدهم المؤهلون لتنفيذ أحكام الإسلام وإقرار نظمه وإقامة حدود الله وحراسة ثغور المسلمين وعلىٰ كل فقد فوض إليهم الأنبياء ـ أي الفقهاء ـ جميع ما فوض إليهم وائتمنوهم علىٰ ما ائتمونهم عليه».
ص٧٠ من الحكومة الإسلامية.
وفي ص٧٦ قال: «وقد حصر الإمام علىٰ القضاء بمن كان نبيًا أو وصي نبي وبما أن الفقيه ليس نبيًا فهو إذن وصي نبي وفي عصر الغيبة يكون هو إمام المسلمين وقائدهم والقاضي بينهم بالقسط دون سواه».

جرىٰ الماء في النجف والنار في الحجاز. ومنها أخبار الصادق عن أوضاع طهران ومنها قراءة القرآن في الراديو. . . إلخ العلامات التي أوصلها إلىٰ واحد وخمسين علامة[١].

وبالجملة فإن الشيعة ـ كما قال الإمام ابن حزم ـ ذوو أديان فاسدة وعقول مدخولة وعديموا الحياء[٢].

وإلىٰ هنا تنتهي قصة الأئمة الاثني عشر وهي نهاية اسطورية تثير العجب والسخرية لا سيما أنه وجد مجموعة من البشرة يدافعون عنها وينافحون في سبيل بقائها علىٰ اعتبار أنها عقيدة حتىٰ في عصرنا الحاضر عصر العلم والاكتشاف والذرة وويل للمضللين والمشعوذين والدجالين.

الأصل الثالث من أصول التشيع: الرجعة.

يفسرها الأشعري بقوله: «إن الأموات يرجعون إلىٰ الدنيا»[٣].

ويعرفها المفيد: «أحد شيوخ الشيعة ـ بأنها رجعة كثير من الأموات إلىٰ الدنيا قبل يوم القيامة»[٤].

وهي عقيدة شيعية ابتدعها ابن سبأ وجذورها ترجع إلىٰ اليهودية والنصرانية فلا رجعة في الإسلام سوىٰ البعث والنشور يوم القيامة يوم الجزاء والحساب في الدار الآخرة.

ويشير الشهرستاني عند حديثه عن اليهود إلىٰ أن من مسائلهم تجويز الرجعة واستمالتها يقول: «وأما جواز الرجعة فإنما وقع لهم من أمرين:

أحدهما: حديث عزير عليه السلام إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه.

والثاني: حديث هارون عليه السلام إذ مات في التيه وقد نسبوا موسىٰ إلىٰ قتله

---

(١) انظر كتاب عقائد الإمامية الاثنىٰ عشرية للرافضي المعاصر ابراهيم الموسوي الزنجاني ص٢٣٤ ـ ٢٧٠.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤/ ١٨١.

(٣) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/ ٨٦.

(٤) أوائل المقالات للمفيد ص٥١.

بألواحه قالوا حسده؛ لأن اليهود كانوا أميل إليه منهم إلىٰ موسىٰ واختلفوا في حال موته فمنهم من قال إنه مات وسيرجع ومنهم من قال غاب وسيرجع[١].

والرجعة عند النصارىٰ نشأت من قولهم بصلب المسيح وقتله المزعوم فإنهم زعموا أن الصلب والقتل إنما وقع علىٰ جزئه الناسوتي دون اللاهوتي وأنه قام بعد ثلاثة أيام من صلبه وصعد إلىٰ السماء وأنه سيعود مرة ثانية للقضاء بين الأموات والأحياء[٢].

ويذهب إلىٰ ذلك أيضًا أحمد أمين فهو يرىٰ أن الفكرة أجنبية تسربت إلىٰ المجتمع الإسلامي عن طريق ابن سبأ يقول: «وفكرة الرجعة هذه أخذها ابن سبأ من اليهودية فعندهم أن النبي (الياس) صعد إلىٰ السماء وسيعود فيعيد الدين والقانون ووجدت الفكرة في النصرانية أيضًا في عصورها الأولىٰ وتطورت هذه الفكرة عند الشيعة إلىٰ العقيدة باختفاء الأئمة وأن الإمام المختفي سيعود فيملأ الأرض عدلاً ومنها نبعت فكرة المهدي المنتظر[٣] وإلىٰ ذلك ذهب أيضًا المستشرق اليهودي جولد تسيهر حيث اعتبرها عقيدة دينية تسربت إلىٰ المجتمع الإسلامي عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية؛ لأنهم يرون أن النبي إيليا قد رفع إلىٰ السماء وأنه سيعود إلىٰ الأرض»[٤].

ظهرت فكرة الرجعة لأول مرة في المجتمع الإسلامي عن طريق التشيع علىٰ يد ابن سبأ الذي نادىٰ برجعة النبي ﷺ ثم زعم رجعة علي قائلاً أنه لم يقتل بل رفع إلىٰ السماء كما رفع عيسىٰ وأنه سيعود إلىٰ الأرض مرة أخرىٰ.

ويوضح الطبري طريقة ابن سبأ وأسلوبه في عرضها وتقريرها بقوله: «إن ابن سبأ قال لعجب ممن يزعم أن عيسىٰ يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسىٰ قال فقبل

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٢/١٦ ـ ١٧.

(٢) محاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة ص١٠٦ ـ ١١٩.

(٣) فجر الإسلام لأحمد أمين ص٢٧٠.

(٤) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص٢١٥.

(٥) سورة القصص: ٨٥.

ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها»[١].

وفي البرهان يقول السكسكي: «إن ابن سبأ وفرقته يقولون بالرجعة إلىٰ الدنيا بعد الموت وهو أول من قال ذلك»[٢].

وفي عقد الجمان للعيني قوله: «إن ابن سبأ دخل مصر وطاف في كورها وأظهر الأمر بالمعروف وتكلم في الرجعة وقررها في قلوب المصريين»[٣].

ومن مقتضيات عقيدة الرجعة عندهم القول بأن عليًا حي لم يمت والسبئية يعتقدون هذا ويقولون بأن عليًا لم يقتل ولم يمت ولا يموت حتىٰ يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه[٤].

وحينما بلغهم خبر موته قالوا للذي نعاه إليهم كذبت يا عدو الله لو جئتنا بدماغه في صرة وأقمت علىٰ قتله سبعين عدلاً ما صدقناك ولا يموت حتىٰ يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض[٥].

ويقارن ابن سبأ بين اليهود والنصارىٰ وبين الخوارج والنواصب ووجه المقارنة كذب كل منهما سواء في قتل عيسىٰ أو في قتل علي وذلك لدعم عقيدة رجوع علي مرة أخرىٰ ليحكم الناس ويملك الأرض[٦]. انتقلت هذه العقيدة أولاً إلىٰ تلامذته وفرقته السبأية. نستوضح ذلك من حادثة الهجري الذي دخل علىٰ علي بعد موته وهو مسجىٰ فيسلم عليه ويقول لأصحابه: إنه ليفهم الكلام ويرد السلام ويتنفس نفس الحي ويعرق تحت الدثار الوثير وإنه الإمام الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت ظلمًا

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٠.

(٢) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص٥٠.

(٣) عقد الجمان للعيني ٩/ ١٦٨ القسم الأول.

(٤) المقالات والفرق لسعد القمي ص١٩.

(٥) المرجع السابق ص٢١.

(٦) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٢٣ ـ ٢٢٤.

وجوراً[1].

ثم انتقلت ثانياً إلى الشيعة وفرقها سوى الزيدية[2].

وبمراجعة كتب الفرق نجد أن كثيراً من فرق الشيعة تزعم رجعة إمامها بعد موته أو اختفاءه فالكيسانية ينتظرون رجعة محمد ابن الحنفية والمحمدية ينتظرون محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي والرافضة ينتظرون مهديهم والفرق الشيعية الباطنية على ذلك المنهج. ومن ضل الطريق لم يبال الله به في أي واد هلك.

ويؤكد الشهرستاني أن من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم القول بالرجعة وهي مما تبرأ منه الإمام جعفر الصادق رحمه الله.

وفي موضع آخر يقول: «إن العودة بعد الغيبة حكم به الشيعة حتى اعتقدوه ديناً وركناً من أركان التشيع»[3].

ولأهمية هذا الأصل لدى الشيعة تلقب به فرقة من فرقهم فقد ذكر ابن الجوزي والألوسي أن من فرق الشيعة من تسمى بالرجعية[4].

كما أنها خصت هذه العقيدة بمؤلفات كثيرة منها كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة للقمي وكتاب الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي والشيعة والرجعة لمحمد رضا النجفي وهو كتاب لأحد مشايخ الشيعة في العصر الحاضر، وفحوى هذا الكتاب إثبات رجوع الأئمة إلى هذه الدنيا[5].

---

(١) مسائل الإمامة للناشئ الأكبر ص٢٣.

(٢) يذكر ذلك صاحب مختصر التحفة بقوله: «والزيدية كافة ينكرون الرجعة إنكاراً شديداً وقد ذكر في كتبهم رد هذه العقيدة بروايات الأئمة».
انظر مختصر التحفة للألوسي ص٢٠٢.

(٣) انظر الملل والنحلل للشهرستاني ١/ ١٦٦، ١٥٠.

(٤) تلبيس ابليس لابن الجوزي ص٢٢، مختصر التحفة الاثني عشرية ص٢٠.

(٥) انظر عن هذا الكتاب الأخير كتاب الشيعة والتصحيح لموسى الموسوي ص١٤٣، وفيه محاورة لطيفة مفحمة لمؤلف كتاب الرجعة من الموسوي.

ويذكر صاحب كتاب الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة أنه ألف في هذه العقيدة تسعة وعشرون كتابًا.

كما أحصىٰ بعض مؤلفيهم رواياتهم في الرجعة وأنها أكثر من مائتي حديث في أكثر من خمسين كتابًا من كتبهم المعتبرة(١).

ومن هذه الروايات قولهم: «ليس منا من لم يؤمن بكرتنا» وفي رواية أخرىٰ: «ليس منا من لم يؤمن برجعتنا»(٢).

ونقل علماؤهم المعتبرون الإجماع علىٰ الاعتقاد بها وأنها من ضروريات مذهبهم.

يقول المفيد: «واتفقت الإمامية علىٰ وجوب رجعة كثير من الأموات»(٣).

كما يقول العاملي أنها موضع إجماع جميع الشيعة الإمامية.

وفي موضع آخر يقول: «إننا مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كما أننا مأمورون بالإقرار في كثير من الأوقات بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة»(٤).

ومن فقرات زيارة الجامعة الكبيرة ـ والتي قال عنها الموسوي أنها من أهم الزيارات وتعتبر موثوقة عند الشيعة وفيها عبارات صريحة في الرجعة ـ هذه العبارة: «مؤمن بإيابكم مصدق برجعتكم منتظر لأمركم مرتقب لدولتكم»(٥).

ومن عبارات الشيعة في نداء إمامهم الغائب والتوسل إليه بالظهور قولهم: «اللهم أرنا وجه إمامك في حياتنا وبعد المنون اللهم إني أدين لك بالرجعة بين يدي صاحب

---

(١) حق اليقين لعبد الله شبر ٢/٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي ٢/١٢٨، الوسائل للحر العاملي ٧/٤٣٨.

(٣) أوائل المقالات للمفيد ص٥١.

(٤) الإيقاظ من الهجعة للحر العاملي ص٣٣ ـ ٦٤.

(٥) الشيعة والتصحيح لموسىٰ الموسوي ص١٤٤.

هذه البقعة الغوث الغوث الغوث»[1].

ويروون عن إمامهم محمد الباقر كما ذكره القمي والعياش في تفسيريهما أن المراد من الآخرة في بعض الآيات هي الرجعة ومعناها أنه يأتي رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام وخاصة من المؤمنين وخاصة من الكفار قبل قيام الساعة إلىٰ الدنيا لكي يعلي الخير والإيمان ويقضي علىٰ الكفر والعصيان[2].

ويقسم الشيعة الراجعون إلىٰ الدنيا قسمين: قسم علت درجته في الإيمان. وقسم بلغ الغاية في الفساد. وزمن الرجعة عند قيام مهدي آل محمد عليهم السلام[3].

أما الهدف منها فيوضحه الموسوي بقوله: «إن الرجعة تعني في المذهب الشيعي أن أئمتهم ابتداء بعلي بن أبي طالب وانتهاء بالحسن العسكري الذي هو الإمام الحادي عشر عند الإمامية سيرجعون إلىٰ هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أرسىٰ قواعده بالعدل والقسط الإمام المهدي الذي يظهر قبل رجعة الأئمة ويملأ الأرض قسطًا وعدلاً ويمهد الطريق لرجعة أجداده وتسلمهم الحكم وأن كل واحد من الأئمة حسب التسلسل الموجود في إمامتهم سيحكم الأرض ردحًا من الزمن ثم يتوفىٰ مرة أخرىٰ ليخلفه ابنه في الحكم حتىٰ ينتهي إلىٰ الحسن العسكري وسيكون بعد ذلك يوم القيامة. (هذا بالنسبة للقسم الأول من الراجعين إلىٰ الدنيا أما القسم الثاني فعبر عنه بقوله) وتشمل الرجعة كذلك أسماء نفر قليل من صحابة الرسول ﷺ زعموا أنهم من أعداء الأئمة والذين منعوهم من الوصول إلىٰ حقهم في الحكم كل هذا حتىٰ يتسنىٰ للأئمة الانتقام منهم في هذه الدنيا»[4].

ثم يرجح الموسوي أن الهدف منها أكثر رجعة أهل القسم الثاني لتفجير المجازر الدموية والانتقام من الأعداء يقول: «ويخيل إلي أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار ٢/ ٣٠٥.

(٢) بطلان عقائد الشيعة للتونسوي ص١٠١.

(٣) انظر أوائل المقالات للمفيد ص٩٥.

(٤) الشيعة والتصحيح ص١٤١ ـ ١٤٢ وما بين القوسين عبارة للطالب.

ووضعوا الروايات لإثباتها لم يقصدوها منها رجعة الأئمة بقدر ما كانوا يقصدون رجعة الأعداء حسب زعمهم وذلك للانتقام منهم»[1].

ومن أساطيرهم التي يعتبرونها روايات ما ورد بسنده عن أبي عبدالله قال: إذا قام القائم من آل محمد صلوات الله عليهم أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم ثم خمسمائة أخرىٰ حتىٰ يفعل ذلك ست مرات قلت (أي الراوي) ويبلغ عدد هؤلاء هذا قال نعم منهم ومن مواليهم[2].

ولحقدهم الدفين علىٰ صاحبي رسول الله وخليفتيه من بعده فإنهما يعتبران من الراجعين إلىٰ الدنيا لينالا جزاءهما يقول رافضي مجوسي يدعي عبدالحسين الرشتي في كتاب له سماه كشف الاشتباه: «وأما مسألة نبش القبر لصاحبي رسول الله وإخراجهما حيين وهما طريان وصلبهما علىٰ خشبة وإحراقهما؛ لأن جميع ما ارتكبه البشر من المظالم والجنايات والآثام من آدم إلىٰ يوم القيامة منهما فأوزارها عليهما فمسألة عويصة جداً وليس عندي شيء يرفع هذا الإشكال وقد صح عن أئمتنا أن أحاديثنا صعب مستصعب»[3].

وذكر المجلسي في كتاب له سماه (حق اليقين) فيه مثل هذا الافتراء بل أشد منه أنزه القلم والورق أن يسود بها[4] وكما قال تعالىٰ: ﴿ ... **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴿٤٦﴾ ﴾[5].

ولرداءة هذه العقيدة ومخالفتها لما هو معلوم من الدين بالضرورة فإن بعض الشيعة المعاصرين يحاول تبرئة بني قومه منها وتخليهم عنها فزعم أن الشيعة المعاصرين عدلوا عنها وتراجعوا عن القول بها. ولكن يدحض هذا الزعم ما ذكره أحد مؤلفيهم في كتاب

---

(١) المرجع السابق ص١٤٢.

(٢) الإرشاد للمفيد ص٤١١، الغيبة للنعماني ص١٢٣.

(٣) كشف الاشتباه للرشتي ص١٣١.

(٤) بطلان عقائد الشيعة للتونسوي ص١٠٢.

(٥) سورة الحج آية ٤٦.

له صدر أخيراً عن الرجعة وإنها من العقائد التي تذهب الإمامية إليها أخذاً بالروايات الواردة عن آل البيت فيها ومما قال: «إن الله تعالىٰ يعيد قوماً من الأموات إلىٰ الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعز فريقاً ويذل فريقاً آخر . . . إلخ ما ذكر[1].

ويذكر الموسوي حواراً طريفاً جرىٰ بينه وبين أحد مشايخ الشيعة المعاصرين ألف كتاباً عن الرجعة وسماه (الشيعة والرجع) لإثبات رجوع الأئمة إلىٰ هذه الدنيا[2].

وهذا دليل واضح ملموس علىٰ بقاء الشيعة وتمسكها بهذه الخرافة المزعومة إلىٰ يومنا هذا ومما قاله الموسوي ناعيـاً بني قومه مثل هذه الأساطير: «وعندما تمتزج الأسطورة بالعقيدة والأوهام بالحقائق تظهر البدع التي تضحك وتبكي في آن واحد»[3].

الأصل الرابع من أصول التشيع: التقية.

تعريفها:

التقية في المعنىٰ اللغوي مصدر توقىٰ واتقىٰ وتوقيت الشيء أي حذرته وفي معجم الرائد: التقية هي التستر في الدين عند بعض المذاهب.

وأما معناه الاصطلاحي فهي مجاملة المخالفين في العقيدة وإيهامهم بموافقتهم في عقائدهم بإظهار غير الحقيقة سواء كان ذلك بالكذب أم بغيره إتقاء الأذىٰ وخوف الضرر[4] وتعريفها عن الشيعة كما يقول المفيد: «كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك «مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا»[5].

كما يعرفها أحد علمائهم المعاصرين بقوله: «التقية هي أن تقول أو تفعل غير ما

---

(١) عقائدة الإمامية لمحمد رضا المظفر ص٨٠.

(٢) الشيعة والتصحيح لموسىٰ الموسوي ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٣) المرجع السابق ص١٤٠.

(٤) دراسات في الفرق والمذاهب للأمين ص٣٠ ـ ٣١.

(٥) شرح عقائد الصدوق ص٦٦.

تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك»[١].

ولكن أحد كتاب الشيعة المعاصرين يعارض هذا التعريف الأخير ويدلل على أن التقية عند بني قومه ليست لحاجة طارئة أو أمر اضطراري بل هي دين وعقيدة في السراء والضراء وحال القوة والضعف يقول: «إن التقية التي يتحدث عنها علماء الشيعة وأملتها عليها بعض زعاماتها ليست بهذا المعنى إطلاقًا (أي التقية للضرورة) إنها تعني أن تقول شيئًا وتضمر شيئًا آخر أو تقوم بعمل عبادي أمام سائر الفرق الإسلامية وأنت لا تعتقد به ثم تؤديه بالصورة التي تعتقد به في بيتك[٢].

وسوف يتضح لنا إن شاء الله من خلال نصوصهم ومروياتهم عن التقية ما يؤكد على أن تقيتهم أصل من أصولهم يلتزمون بها في جميع الحالات حتى مع أتباعهم ومع بعضهم البعض.

نصوصهم عن التقية:

اهتم الشيعة بهذا الأصل فرووا فيها الأحاديث المكذوبة والروايات المنسوبة ما لا يحصى كثرة حتى أن مؤلف كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ذكر ستة عشر كتابًا لهم باسم التقية[٣].

فمن مروياتهم المنسوبة إلى جعفر الصادق ما نقله الكليني عن ابن عمير الأعجمي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين وفي رواية لهم أخرى عن أبي عبدالله أنه قال: «اتقوا على دينكم وأحجبوه بالتقية فإنه لا إيمان لمن لا تقية له[٤].

---

(١) الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنيه ص٤٨.

(٢) الشيعة والتصحيح للموسوي ص٥٢.

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة للطهراني ٤/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥.

(٤) بطلان عقائد الشيعة للتونسوي ص٧٧.

ونسب الكليني إلىٰ أبي جعفر أنه قال: التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له.

كما نسب إلىٰ أبي عبدالله جعفر أنه قال: إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له[1].

وفي سبيل تأصيل التقية في الفكر الشيعي أولوا الآيات القرآنية وفسروها حسب معتقدهم عن التقية، ففي تفسيرهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ...﴾[2] نسب الكليني إلىٰ أبي عبدالله أنه قال: «إن الحسنة هي التقية وإن السيئة هي الإذاعة وإن قوله عز وجل في آخر الآية: ﴿... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ قال: التي هي أحسن هي التقية. وقالوا عن أصحاب الكهف الذين فروا بدينهم وجاهروا بعداوة قومهم الضالين أنهم أصحاب تقية فمما نقله الكليني عن درست الواسطي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف إن كانوا يشهروا الأعياد ويشدون الزنانير فأعطاهم الله أجرهم مرتين»[3].

وللتقية منزلة عظيمة لدىٰ الشيعة حتىٰ قرنوها بالصلاة يقول شيخهم الصدوق في رسالة الاعتقادات: «التقية واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة». وقال: «التقية واجبة لا يجوز رفعها إلىٰ أن يخرج القائم فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالىٰ وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة» ثم نقل: «وسئل الصادق عن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ قال أعملكم بالتقية»[4].

ومن نصوصهم عن التقية ما كذبوا به علىٰ الأئمة حيث أنهم نسبوا إلىٰ كل إمام نصًا أو نصين أو مجموعة نصوص لتأصيل هذا المبدأ واعتقاده دينًا ملازمًا لهم في كل

---

(١) الكافي للكليني ٢/ ٢١٧.

(٢) سورة فصلت: ٣٤.

(٣) أصول الكافي للكليني نقلاً من كتاب بطلان عقائد الشيعة للتونسوي ص٧٧ ـ ٧٨.

(٤) الاعتقادات للصدوق فصل التقية نقلاً من كتاب الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص١٥٧. الآية ١٣ من سورة الحجرات.

مكان وزمان وهذه أمثلة لما ألصقوا به كل إمام.

فنسبوا إلىٰ علي بن أبي طالب أنه قال: «التقية من أفضل أعمال المؤمن يصون بها نفسه وإخوانه من الفاجرين».

ونسبوا إلىٰ ابنه الحسين أنه قال: «لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا فهي المعيار لمعرفة الشيعة».

ونسبوا إلىٰ علي بن الحسين أنه قال: «يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين ترك التقية وترك حقوق الإخوان»[1].

ونسبوا إلىٰ محمد بن علي بن الحسين الباقر أنه قال: «وأي شيء أقر لعيني من التقية إن التقية جنة المؤمن».

ومن مضحكاتهم التي نسبوها للباقر أنه قال: «خالطوهم بالبرانية وخالفهم بالجوانية إذا كانت الإمرة صبيانية».

وعن الإمام السادس جعفر الصادق ـ الذي كما يقول ابن تيمية ما كذب علىٰ أحد مثل ما كذب عليه ـ أنه قال: «لا والله ما علىٰ وجه الأرض شيء أحب إلي من التقية. إنه من كانت له تقية رفعه الله ومن لم تكن له تقية وضعه الله».

ونسبوا إلىٰ موسىٰ بن جعفر الإمام السابع لهم أنه كتب إلىٰ أحد مريديه علي بن سويد قائلاً: «ولا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا هذا باطل وإن كنت تعرف خلافه فإنك لا تدري لم قلناه وعلىٰ أي وجه وضعناه آمن بما أخبرتك ولا تفش ما استكتمتك».

ونسبوا إلىٰ الإمام الثامن علي بن موسىٰ أنه قال: «لا دين لمن لا ورع له ولا إيمان لمن لا تقية له وإن أكرمكم عند الله أتقاكم فقيل له يا ابن رسول الله إلىٰ متىٰ؟ قال إلىٰ يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس

---

(١) تفسير العسكري ص١٦٢ ـ ١٦٤ نقلاً من كتاب الشيعة والسنة لإحسان الهي ظهير ص١٥٧ ـ ١٥٨.

منا»[١].

وحينما نتتبع نصوصهم في التقية نجد الاهتمام البالغ وتكثير النصوص والروايات عنها حتى أن الكليني عقد بابًا خاصًا بعنوان باب التقية ووضعه ضمن كتاب الإيمان والكفر. والدافع له إلى ذلك الوصول إلى الحكم التالي: إن ترك التقية كفر كما أن فعلها إيمان. وعدد الأحاديث التي ذكرها ضمن هذا الباب ثلاثة وعشرين حديثًا. وبعد باب التقية عنون بباب آخر كالمكمل لما قبله وهو باب الكتمان وذكر فيه ستة عشر حديثًا ومن أحاديثه ما نسب كذبًا وافتراء إلى أبي عبدالله أنه قال لسليمان بن خالد: يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله. ومن أحاديثه كذلك هذه الوصية ونصها: «قال أبو عبدالله يا معلى اكتم أمرنا ولا تذعه فإنه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به في الدنيا وجعله نورًا بين عينيه في الآخرة يقوده إلى الجنة. يا معلى من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذله الله به في الدنيا ونزع النور من بين عينيه في الآخرة وجعله ظلمة تقوده إلى النار. يا معلى إن التقية من ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له. يا معلى إن المذيع لأمرنا كالجاحد له.

ثم عقد بابًا ثالثًا في موضوع التقية في موضع آخر من كتابه الكافي بعنوان باب الإذاعة وضمنه اثنى عشر حديثًا من أحاديثهم وتدور حول التحذير من إذاعة أمرهم ووجوب الكتمان والتقية، ومن هذه الأحاديث ما نسبوه إلى أبي عبدالله أنه قال: «من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الإيمان»[٢].

وفي سبل تأصيل عقيدة التقية فسروا مواقف الأئمة التي تختلف مع أصولهم بأنها ليست على ظاهرها وأنها مخرجة مخرج التقية فمما افتروا على علي بن أبي طالب أن فسروا بيعته لإخوانه الخلفاء الثلاثة قبله بأنها كانت على سبيل التقية. يقول مفيدهم:

---

(١) الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص١٥٩ - ١٦١ نقلاً من كتب الشيعة التالية: الكافي في الأصول ورجال الكشي وكشف الغمة.

(٢) الكافي للكليني ٢/ ٢١٧ - ٢٢٦ وفي آخر الجزء الثاني ص٣٦٩ - ٣٧٢، وانظر رسالة فكرة التقريب بين السنة والشيعة للقفاري ص٣٠٥ - ٣٠٦.

«وكانت إمامة أمير المؤمنين بعد النبي ﷺ ثلاثين سنة منها أربع وعشرون سنة وستة أشهر كان ممنوعًا من التصرف في أحكامها مستعملاً للتقية والمداراة. . . كما كان رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة من نبوته ممنوعًا من أحكامها خائفًا ومحبوسًا وهاربًا ومطرودًا»[١].

ومن دقة الإمام الشهرستاني في حديثه عن الشيعة أن أشار إلى مثل هذا النص وغيره بقوله: «إن الشيعة قالوا بإمامة علي وخلافته نصًا ووصيه وولده من بعده وإن خروجها منهم ظلم من الغير وتقية منه أو من الأئمة من نسله». كما ذكر أن من الأصول التي تجتمع عليها الشيعة على تعدد فرقها «القول بالتبري والتولي قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية»[٢].

ويزداد افتراءهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن نسبوا إليه العمل بالتقية والمداراة حتى في خلافته. يقول الرافضي الجزائري: «ولما جلس أمير المؤمنين علي عليه السلام على كرسي الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن[٣] وإخفاء هذا لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه كما لم يقدر على النهي عن صلاة الضحى وكما لم يقدر على إجراء متعة النساء وكما لم يقدر على عزل شريح عن القضاء ومعاوية عن الإمارة»[٤].

كما قالوا عن تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه أن ذلك لم يكن على ظاهره بل تقية[٥].

ومما افتروه على جعفر الصادق ـ كما نقل علماؤهم عن أحد ثقاتهم ـ أنه قال: إن جعفر نام ليلة عندنا في خلوته الخاصة ولم يكن عنده إلا من لم نشك في تشيعه فقام

---

(١) الإرشاد للمفيد ص١٢.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤٦.

(٣) المقصود من القرآن هنا هو القرآن المزعوم والمنسوب لعلي بن أبي طالب وحاشاه ذلك وإن شاء الله سنتحدث عن ذلك في الأصل الأخير من أصولهم وهو بعنوان دعوى تحريف القرآن.

(٤) الأنوار النعمانية للجزائري ٢/ ٣٦٢.

(٥) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص١٥٤.

للتهجد فتوضأ ماسحًا أذنية غاسلاً رجليه وصلى ساجداً على اللبد عاقداً يديه فكنا نقول: لعل الحق ذلك حتى سمعنا صيحة فرأينا رجلاً ألقى بنفسه علي قدميه يقبلهما ويبكي ويعتذر فسئل عن حاله فقال: كان الخليفة وأركان دولته يشكون فيك وأنا كنت من جملتهم فتعمدت بالفحص عن مذهبك وقد انتهزت الفرصة مدة مديدة حتى ظفرت هذه الليلة بأن دخلت الدار واختفيت ولم يطلع علي أحد فالحمد لله الذي أذهب ذلك عني وحسن اعتقادي يا ابن بنت رسول الله ﷺ ولم يبقني على سوء ظني. قال الشيخ: فعلمنا أن الله لايخفي عن المعصوم شيئًا وعلمنا أن هذه كانت تقية منه[1].

بل نقل الكليني فرية على جعفر الصادق أعظم من ذلك ونصها: «عن موسى بن أشيم قال كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر الأول فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبي يشرح بالسكاكين فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ في الواو وشبهه وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كله فبينا أنا كذلك إذا دخل آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي فسكنت وعلمت أن ذلك منه تقية»[2].

إن هذه النصوص والوقائع تدل على أن التقية عند الشيعة ليست للحاجة والضرورة وإنما هي دين واصل تلازم القوم في سرائهم وضرائهم وقوتهم وضعفهم ومع التتبع لمروياتهم نجد أنها عمل من الأعمال الفاضلة التي يؤجر عليها بل إنها من المناقب والمزايا.

يقول التونسوي عن التقية وفضلها وآثارها عندهم: «إن الأئمة عند الشيعة معصومون وهم أولوا الأمر أيضًا من قبل الله يجب طاعتهم في كل صغيرة وكبيرة عندهم فما دام أن التقية لها هذه المناقب عندهم فإنه سيشتبه في كل قول من أقوالهم أو فعل من أفعالهم أن يكون صدر عنهم على سبيل التقية ومن الذي سيفصل حتما أن هذا

---

(١) رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٢) الكافي للكليني ١/ ١٦٣، الشيعة والسنة لإحسان ظهير ص١٦٥ ـ ١٦٦.

القول من أقوال الإمام كان تقية وذلك بدون تقية وما يدرينا لعل هذه الأقوال والروايات الموجودة في كتب الشيعة هي أيضًا على سبيل التقية؟

وبما أن كل قول أو فعل منهم يحتمل التقية لذا لزم أن لا يكون أي أمر من أوامرهم يجب العمل بمقتضاها فتسقط نتيجة لذلك جميع الأقوال والأفعال الصادرة منهم بسبب احتمال التقية[1].

ونقل الإمام الشهرستاني عن سليمان بن جرير ـ زعيم فرقة السليمانية من فرق الزيدية ـ قوله: «إن أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظهر أحد قط عليهم.

أحدهما: القول بالبراء فإذا أظهروا قولاً إنه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لا يكون الأمر على ما أظهروه قالوا: بدا الله تعالى في ذلك.

والثانية: التقية فكل ما أرادوا تكلموا به فإذا قيل لهم في ذلك أنه ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا: إنما قلناه تقية وفعلناه تقية[2].

ولذا لا يستطيع المسلم الذي يعيش مع الشيعة أو يحتك معهم أن يطمئن إلى أي عهد عاهدوه أو إلى أي وعد قطعوه على أنفسهم أو إلى أي رأي أيدوه لاحتمال أن تكون موافقتهم من قبيل التقية وحقًا إن هذه العقيدة تعتبر من أخطر أصولهم وأشدها أثرًا على سائر المعتقدات الأخرى. حتى أن مستشرقًا يهوديًا حينما ذكر مذهب الشيعة ندد بهذه الخصلة المدمرة والصفة الدنيئة بقوله: «لقد انفرد الشيعة بالقول بالتقية وأنها صارت نظرة خلقية خاصة بهم أفردتهم بصفة بارزة وطبعت روحهم بطابع خاص معين وغدت عندهم مدرسة للمخاتلة والغدر ووسيلة لإنشاء الجمعيات السرية والتبشير الباطني الهدام»[3].

ويقول أحد كتاب الشيعة المعاصرين: «إنني أعتقد جازمًا أنه لا توجد أمة في

---

(١) بطلان عقائد الشيعة للتونسوي ص٧٩.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٦٠ وهذه المقالة مفصلة في مرجع سابق على الشهرستاني وهو النوبختي في كتابه الفرق ص٧٦ ـ ٧٧.

(٣) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص٢٠٣.

العالم أذلت نفسها وأهانتها بقدر ما أذلت الشيعة نفسها في قبولها لفكرة التقية والعمل بها وها أنا أدعو الله مخلصاً وأتطلع إلى ذلك اليوم الذي تربأ الشيعة حتى عن التفكير بالتقية ناهيك عن العمل بها»[١].

كما يقول أحد علماء أهل السنة ممن خبر مذهب الشيعة وعرفهم: «وأول موانع التجاوب الصادق بإخلاص بيننا وبينهم ما يسمونه التقية فإنها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفاهم والتقارب وهم لا يريدون ذلك ولا يرضون به ولا يعلمون به»[٢].

هذا وللتقية آثار وأخطار عملية في حياة الشيعة لا زالت تؤدي دورها حتى عصرنا الحاضر وقد قام أحد الباحثين من أهل السنة باستقراء هذه الآثار ونستخلص من ذلك الآثار الآتية:

الأثر الأول: أن عقيدة التقية استغلها دعاة التفرقة بين الأمة والزنادقة المتسترون بالتشيع استغلوها لإبقاء الخلاف بين المسلمين وذلك برد الأحاديث الصحيحة في معناها التي وردت عن الأئمة ووافقت ما عند الأمة وروتها كتب الشيعة نفسها ردوها بحجة أنها تقية لموافقتها لما عند أهل السنة فإذا جاء حديث يثني على الصحابة قالوا إن هذا تقية. وإقرار أئمتهم بالخلافة القائمة في عصرهم يقولون إنه تقية وصلح الحسن بن علي رضي الله عنهما يعتبر تقية وهكذا.

ومن الأمثلة لتأثير التقية العملي عندهم أنهم قالوا عن تزويج علي رضي الله عنه ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه والتي هي من أقوى الدلائل على كمال الحب والولاء بين الصحب والآل قالوا إن هذا من باب التقية. وفي كتاب وسائل الشيعة للعاملي باب بعنوان: «باب جواز مناكحة الناصب عند الضرورة والتقية» ومما جاء فيه عن أبي عبدالله عليه السلام في تزويج أم كلثوم قال: «إن ذلك فرج غصبناه».

---

(١) الشيعة والتصحيح لموسوي ص٥١.

(٢) الخطوط العريضة للشيخ محب الدين الخطيب ص٩ ـ ١٠.

كما أورد أيضًا في هذا الباب تزويج رسول الله ابنتيه لعثمان بن عفان رضي الله عنه واعتبرها من باب التقية[1].

وهكذا جعلوا عقيدة التقية منفذًا للغلو والغلاة ووسيلة وضعها أعداء الأمة للنأي بالشيعة عن جماعة المسلمين. وإذا قدر أن ظهر بينهم صوت معتدل يبتعد عن هذا الغلو في أصولهم فسروا ذلك بأنه من باب التقية. ومثال ذلك ما صدر من بعض شيوخهم كالمرتضي والطبرسي والصدوق من إنكار على بني قومهم حول فرية القول بتحريف القرآن وهنا انبرى الرافضي الجزائري بالقول بأن هذا الإنكار من هؤلاء ليس على ظاهره بل هو من باب التقية.

الأثر الثاني: إن عقيدة التقية جعلوها هي المخرج من الاختلاف والتناقض في أخبارهم وأحاديثهم. وهذه الظاهرة من أقوى الدلائل على البطلان حتى إن ذلك صار سببًا في ترك بعض الشيعة للتشيع كما اعترف بذلك الطوسي بقوله: «ذاكرني بعض الأصدقاء... بأحاديث أصحابنا وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد حتى لا يكاد يوجد خبر إلا وبإزائه ما يضاده و لا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا ولم يجد تخريجًا لذلك سوى القول بأن ذلك التضاد والتناقض إنما ورد على سبيل التقية.

الأثر الثالث: إنهم قالوا بعصمة الأئمة وإنهم لا ينسون ولا يسهون ولا يخطئون مع أن الناس حفظوا عنهم ما يخالف ذلك وينافي عصمتهم فقالوا بالتقية للمحافظة على دعوى عصمة الأئمة والتي بسقوطها تسقط قيمة أقوالهم وبالتالي يسقط مذهب الشيعة وهذا هو الذي جعل سليمان بن جرير - كما ذكرنا قبل قليل - يقول: إن أئمة الرافضة وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظهر أحد قط عليهم وهما القول بالبداء والتقية.

الأثر الرابع: جعلت التقية وسيلة للكذب على الأئمة فنجد مثلاً كلام الإمام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذي سمعه مجموعة من الناس بحجة أنه قد حضره

---

(١) وسائل الشيعة للعاملي ٧/ ٤٣٣ - ٤٣٤ وانظر الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص١٩٥.

بعض السنة يعتبر تقية أما ما ينقله الكذبة أمثال جابر الجعفي بحجة أنه لم يحضر مجلسه أحد يتقيه فهو مقبول عندهم فما ينقله الرافضة عن أئمة أهل البيت مقبول عندهم وما ينقله العدول من المسلمين مردود بدعوىٰ التقية .

فمثلاً الإمام زيد بن علي وهو من أهل البيت يروي عن علي رضي الله عنه ـ كما تذكره كتب الشيعة نفسها ـ أنه غسل رجليه في الوضوء ولكن عالم الشيعة الطوسي يرد هذه الرواية ويزعم أنها من باب التقية فعن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: جلست أتوضأ فأقبل رسول الله ﷺ حين ابتدأت الوضوء فقال لي تمضمض واستنشق واستن ثم غسلت ثلاثًا فقال قد يجزيك من ذلك المرتان فغسلت ذراعي ومسحت برأسي مرتين فقال قد يجزيك من ذلك المرة وغسلت قدمي فقال لي يا علي خلل بين الأصابع لا تخلل بالنار .

قال الطوسي: هذا الخبر موافق للعامة (يعني أهل السنة؛ لأن مذهبهم غسل الرجلين) وقد ورد مورد التقية؛ لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا عليهم السلام القول بالمسح علىٰ الرجلين ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة ورجال الزيدية وما يختصون بروايته لا يعمل به .

الأثر الخامس: انبثق من خلال عقيدة التقية مبدأ أن ما خالف العامة ـ أي أهل السنة ـ هو الحق حتىٰ أنهم جعلوا من معالم التعرف إلىٰ الحق في نظرهم عند اختلاف رواياتهم معرفة ما عليه أهل السنة وأن يكون مجتهدهم علىٰ دراية بذلك ليتسنىٰ له الأخذ بخلافه فإذا اختلفت أحاديثهم فالحق هو ما فيه خلاف العامة وإذا أفتىٰ عالم أهل السنة بفتوىٰ فالحق في خلافها .

ففي البحار عن علي بن أسباط قال: قلت للرضا يحدث الأمر لا أجد بدًا من معرفته وليس في البلد الذي أنا فيه أحد استفتيه من مواليك قال فقال عليه السلام ائت فقيه البلد (يعني من أهل السنة) فاستفته في أمرك فإن أفتاك بشيء فخذ بخلافه فإن الحق فيه . وفي البحار أيضًا قال أبو عبدالله: «إذا ورد عندكم حديثان مختلفان فخذوا بما

خالف القوم»[١].

وبالجملة فإن تقية الشيعة كما أكدتها نصوصهم هي عين النفاق والكذب[٢]. كما أنها كتمان للحق وإظهار للباطل من غير مبرر شرعي والآيات القرآنية والأحاديث النبوية بينت بيانًا شافيًا كافيًا حكم من يتصف بهذه الأوصاف أو يتخلق بهذه الأخلاق فكيف بمن يتدين بها ويعتبرها أصلاً من أصول معتقداته لا شك أن الأمر أشد وأنكى.

ومع الاختلاف الشديد والفرق الشاسع بين تقية الشيعة والتقية التي رخص الله بها عند الضرورة في المجتمع الكافر خوفًا على النفس إلا أن التمسك بالعزيمة أفضل لما في ذلك من إعزاز لدين الله وغيظ للكافرين لذلك امتنع عنها أولو العزيمة من المسلمين وعدوها من النفاق.

أما تقية الشيعة فإنها ـ كما قال الشيخ موسى جار الله[٣] ـ روحها النفاق وثمرتها كفر التهود (قالوا سمعنا وعصينا) إذا تقررت التقية أدبًا دينيًا فقلب كل شيعي في غلاف التشيع يكون مستوراً وراء التقية لا يبقي لقوله قيمة ولا يبقي لعمله صدق ولا لوعده وعهده وفاء ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾[٤].

(١) انظر رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة للدكتور القفاري ص٣٠٨ ـ ٣١١ وكذلك ص٤٦٥ ـ ٤٦٦. وانظر الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير فصل لم قالوا بالتقية ص١٧٩ ـ ١٨٩ ففي هذه الصفحات إشارات واستنباطات لأغلب هذه الأمور الخمسة.

(٢) يقول ابن تيمية عن الرافضة: «إن أصل بدعتهم عن زندقة وإلحاد وتعمد الكذب فيهم كثير وهم يقرون بذلك حيث يقولون ديننا التقية وهو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف ما في قلبه وهذا هو الكذب والنفاق ويدعون مع هذا أنهم هم المؤمنون دون غيرهم من أهل الملة ويصفون السابقين الأولين بالردة والنفاق فهم في ذلك كما قيل «رمتني بدائها وانسلت» إذ ليس في المظهرين للإسلام أقرب إلى النفاق والردة منهم ولا يوجد المرتدون والمنافقون في طائفة أكثر مما يوجد فيهم».
منهاج السنة ١/ ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) في كتابه الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص٨٥.

(٤) سورة التوبة: ٥٦.

الأصل الخامس من أصول التشيع: الوقيعة في الصحابة رضوان الله عليهم وسبهم[١].

من نافلة القول ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن للصحابة رضوان الله عليهم منزلة عظيمة بينها الله في كتابه وفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام شهد الله لهم بحقيقة الإيمان وبشرهم برحمته وجنته ورضوانه وتوفي عليه الصلاة والسلام وهو عنهم راض. والعلم بهذه القضية من الإنتشار والذيوع يعرفها علماء المسلمين وعامتهم ويدينون الله عز وجل بحبهم واحترامهم وذكرهم في معرض الخير والثناء ولا يتعرضون لما شجر بينهم؛ لأنهم جميعًا وبلا استثناء لا يخرجون عن القاعدة الإسلامية دائرة الاجتهاد فمن اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

هذا ما كان معلومًا وواجبًا حتى نبتت نابتة خرجت عن إجماع الأمة فبدأت تتعرض للصحابة وتذكرهم في معرض الذم والطعن حتى وصل بهم الأمر إلى التفوه بما يتحرج منه المسلم من حكم على أخيه المسلم فضلاً عن أفاضل الأمة وخير قرن عاش على ظهر الأرض.

إن المصادر التي بين أيدينا سنية[٢] وشيعية[٣] تجمع على القول بأن أول من

---

(١) من الملاحظ أن هذا الأصل من أصول الشيعة انحراف ناتج عن الانحراف في الأصل الأول وهو: معتقدهم في الإمامة فإنهم حينما استماتوا في الاعتقاد بإمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ وأنه الأحق بها انتقلوا بعد ذلك إلى الوقيعة بالخلفاء الثلاثة وسبهم لإبطال إمامتهم وأحقية علي بذلك - على حد زعمهم - فلم يكتفوا بالقول بإمامة علي والسكوت عن الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم. وقد تنبه الشهرستاني إلى مراحل الانحراف هذه لديهم فقال: «ثم إن الإمامية تخطت عن هذه الدرجة (أي القول بتعيين إمامة علي بعد الرسول ﷺ) إلى الوقيعة في كبار الصحابة طعنًا وتكفيرًا وأقله ظلمًا وعدوانًا وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عن جملتهم ثم ذكر بعضًا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في فضلهم والشهادة لهم بالرضى والجنة. . .» إلى أن قال: «فليت شعري كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر إليهم!!».
انظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٦٤.

(٢) وذلك كمنهاج السنة ومجموع الفتاوى كلاهما لابن تيمية في مواضع متعددة وكثيرة ولسان الميزان لابن حجر ٣/ ٢٩٠ والمنتقى للذهبي وغيرها كثير ومن المتأخرين الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير.

(٣) وذلك كالمقالات والفرق للقمي ص٢٠ وفرق الشيعة للنوبختي ص٤٤ ومن المتأخرين محمد جابر

أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة رضي الله عنهم إلا قليلا منهم هو عبدالله بن سبأ وإن من أساليبه المدسوسة أن أخذ يتنقل في الأمصار ذاكراً مثالب عثمان رضي الله عنه ومؤججًا نار الفتنة حتىٰ وصلت المؤامرة ذروتها بقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه في بيته علىٰ يد جمع من الهمج والرعاع.

وتدين السبأية بهذه العقيدة فمما ذكره ابن حجر أن سويد بن غفلة دخل علىٰ علي في إمارته فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم عبدالله بن سبأ وهو أول من أظهر ذلك. فقال علي: مالي ولهذا الخبيث الأسود ثم قال معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل ثم أرسل إلىٰ ابن سبأ فسيره إلىٰ المدائن ونهض إلىٰ المنبر حتىٰ إذا اجتمع الناس أثنىٰ عليهما خيراً ثم قال: ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري[١].

وروىٰ المؤيد ـ أحد الأئمة الزيدية ـ مثل هذه القصة[٢].

ومن أساليبه في الطعن دخوله إلىٰ الناس بمحبة علي وتعظيمه ـ فيما يزعم ـ مع الدس ومما كان يقول: «إن محمداً خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء (وبعد أن يقرر ذلك) يقول ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ويثب علىٰ وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة»[٣].

وذكر القاضي عبدالجبار المعتزلي أيضًا مثل هذا الأسلوب في الطعن علىٰ الخلفاء الثلاثة حيث لم يجاهر بذلك في أول الأمر بل كان كما قال القاضي: «يظهر تعظيم أمير المؤمنين بما لا يرضاه ويستغوي بذلك من ليست له صحبة ولافقه في الدين

عبدالعال في كتابه حركات الشيعة المتطرفين ص٢٢.

(١) لسان الميزان لابن حجر ٣/ ٢٩٠.

(٢) في كتابه طوق الحمامة في مباحث الإمامة في آخره نقلاً من مختصر التحفة الاثني عشرية ص٦. وفي آخر القصة أن عليًا رضي الله عنه تعوذ بالله من شر مقالة ابن سبأ هذه وجمع الناس ثم خطب فقال: ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله ﷺ ووزيريه وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين وأنا بريء مما يذكرون وعليه معاقب... إلخ.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٠.

وكالبوادي وأهل السواد ويتحدث بينهم وربما استقصر عندهم فعل أبي بكر وعمر وعثمان ويقدم أمير المؤمنين عليهم في الفضل»[١].

كانت هذه هي البداية التي سلكها ابن سبأ في سب الصحابة ـ ولا سيما أفضلهم ـ ولكنه لما جاهر بذلك وعلم به علي بن أبي طالب طلبه ليقتله فهرب منه[٢].

ولمجاهرة السبئي بهذه العقيدة واتصافهم بها دون سواهم يطلق عليهم أحيانًا بالسابه لسبهم أبي بكر وعمر. يقول ابن تيمية إن الشيعة في زمن علي رضي الله عنه ثلاث طوائف: الأولى: المؤلهة. والطائفة الثانية: السابة. وكان قد بلغه عن ابن السوداء أنه كان يسب أبا بكر وعمر فطلبه ليقتله فهرب منه[٣].

كما يطلق عليهم أحيانًا (بالتبرئية) يقول ابن حجر الهيثمي: «إن السبئية كانوا يسبون أصحاب رسول الله ﷺ إلا قليلاً وينسبونهم إلى الكفر والنفاق ويتبرأون منهم ولذا سموا أيضًا (بالتبرئية)»[٤].

انتقلت هذه العقيدة من السبئية إلى كثير من فرق الشيعة ولا سيما الرافضة الذين اشتهروا بهذا اللقب لرفضهم إمامة الشيخين رضي الله عنهما. يقول أبو موسى الأشعري عن الشيعة الإمامية: «وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر»[٥].

ويقول الشهرستاني: «ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه (أي الترضي على أبي بكر وعمر من الإمام زيد) وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة»[٦].

---

(١) تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار ص٥٤٦.

(٢) الفتاوى لابن تيمية ٢٨/ ٤٧٥.

(٣) المرجع السابق ١٣/ ٣٣.

(٤) الصواعق المحرقة للهيثمي ص٦.

(٥) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/ ٨٩.

(٦) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٥٥.

وحينما نقلب النظر في تراث الشيعة فإننا ـ مع شديد الأسف ـ نجد أقبح الأوصاف وأقذع الألفاظ في حق أفضل الأجيال وأنزهها فلم يقتصروا على ما نقل عن ابن سبأ فقط[1] بل زادوا على ذلك وتجنوا أعظم التجني وهذا ما جعل أئمة الإسلام وجهابذته يحكمون بكفر الرافضة استنباطًا من قوله تعالى: ﴿ **ليغيظ بهم الكفار** ﴾[2].

وهذه أمثلة لهذه العقيدة ـ وهي سب الصحابة ـ من كتبهم ومصادرهم الأساسية المعتمدة:

أولاً: كتب التفسير:

ومن أشهرها تفسير العياشي وتفسير القمي وتفسير البرهان وما رووا فيها عن زرارة عن أبي جعفر في قول الله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ...** ﴾[3] أن المراد من الشيطان هو الثاني (ويعنون به نعوذ بالله عمر بن الخطاب) وليس في القرآن لفظ وقال الشيطان إلا المقصود به هو الثاني[4]. وعن زرارة عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿ **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩)** ﴾[5] قال يا زرارة أو لم تركب هذه الأمة بعد نبيها طبقًا عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان (يعنون الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم) وركوب طبقاتهم كناية عن نصبهم إياهم للخلافة واحداً بعد واحد[6].

(١) ما فعله ابن سبأ وما تفوه به في حق الصحابة رضوان الله عليهم هو القاعدة والبداية للشيعة ولكنه لم يتمكن من التصريح بكل شيء وهذا ما صرح به تلامذته من بعده إمامية كانوا أو باطنية.

(٢) يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة الفتح: «إن الإمام مالك انتزع منها في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية» ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. تفسير ابن كثير ٧/ ٣٤٣.

(٣) سورة ابراهيم: ٢٢.

(٤) انظر التفاسير الآتية: تفسير العياشي ٢/ ٢٢٣، البرهان في تفسير القرآن للبحراني ٢/ ٣٠٩، تفسير القمي عن الصافي ١/ ٨٨٥.

(٥) سورة الإنشقاق: ١٩.

(٦) الوافي للفيض الكاشاني كتاب الحجة باب ما نزل في الأئمة وفي أعدائهم ١/ ٣١٤.

وتحت قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧)﴾[١] يروي القمي في تفسيرها عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر قال: يبعث الله يوم القيامة قومًا بين أيديهم نور كالقباطي ثم يقال له كن هبأ منثوراً ثم قال أما والله يا أبا حمزة كانوا ليعرفون ويعلمون ولكن كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه وإذا عرض لهم شيء من فضل أمير المؤمنين أنكروه وقوله: ﴿يوم يعض الظالم على يديه﴾ هو الأول ـ يعني أبا بكر ـ يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول عليًا وليا. وقوله: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨)﴾ يعني الثاني[٢] ـ أي عمر رضي الله عنه ـ ويذكر القمي في تفسيره أن معنى قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾[٣] إن معنى النقض هو نقض عهد أمير المؤمنين ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ هم من نحى أمير المؤمنين عن موضعه. ويدلل على ذلك بأن الكلمة في قوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية﴾ إنما هي إمامة أمير المؤمنين[٤].

ومن تفاسيرهم الإلحادية ما ذكره العياشي في تفسيره والبحراني في برهانه والصافي في تفسيره من أن الجبت والطاغوت في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ...﴾[٥] إنما هما صاحبي رسول الله ﷺ وخليفتيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٦].

وعند قوله تعالى عن النار: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤)﴾[٧]

---

(١) سورة الفرقان: ٢٧.

(٢) تفسير القمي ٥/ ١١٣.

(٣) سورة المائدة: ١٣.

(٤) تفسير القمي ١/ ١٦٤.

(٥) سورة النساء: ٥١.

(٦) انظر تفسير العياشي ٢/ ٧٧ـ٧٨، تفسير البرهان ٢/ ١٠٧، تفسير الصافي ١/ ٦٨٥.

(٧) سورة الحجر: ٤٤.

بأن معنىٰ ذلك كما روىٰ العياشي عن أبي بصير عن جعفر بن محمد قال: يؤتىٰ بجهنم لها سبعة أبواب بابها الأول للظالم وهو زريق وبابها الثاني لحبتر والباب الثالث والرابع لمعاوية والباب الخامس لعبد الملك والباب السادس لعسكر بن هوسر والباب السابع لأبي سلامة فهم أبواب لمن اتبعهم(١).

وفسر المجلسي هذه الرموز والمصطلحات في بحاره بأن زريق هو أبو بكر وحبتر هو عمر والثالث هو عثمان وعسكر بن هوسر كناية عن عائشة وسائر أهل الجمل إذ كان اسم جمل عائشة عسكرا(٢).

ومن بهت الشيعة وافتراءاتهم علىٰ أبي عبدالله جعفر زعمهم بأنه قال في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا...﴾(٣) إنها نزلت في فلان وفلان (أبي بكر وعمر) آمنوا برسول الله ﷺ في أول الأمر ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية حيث قال من كنت مولاه فعلي مولاه. ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه ثم كفروا حيث مضىٰ رسول الله ﷺ فلم يقروا بالبيعة ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم فهؤلاء لم يبق منهم من الإيمان شيء(٤).

ويفسرون الفحشاء والمنكر والبغي في قوله تعالىٰ: ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ بأن المقصود من ذلك ولاية أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم فالفحشاء ولاية الأول والمنكر ولاية الثاني والبغي ولاية الثالث(٥).

وهذه التأويلات الساقطة كشف لعوراتهم وإظهار لحقدهم الدفين في ما تكنه نفوسهم من سوء قصد وخبث طوية لأفضل الأجيال جيل الصحابة الكرام أولي

---

(١) تفسير العياشي ٢/ ٢٤٣، البرهان ٢/ ٣٤٥.

(٢) البحار للمجلسي ٤/ ٣٧٨، ٨/ ٢٢٠.

(٣) سورة النساء: ١٣٧.

(٤) تفسير العياشي ١/ ٥٨١، تفسير الصافي ١/ ٤٠٤، تفسير البرهان ١/ ٤٢٢، البحار ٨/ ٢١٨.

(٥) تفسير العياشي ٤/ ٢٦٨، البرهان ٢/ ٣٨١، البحار ٧/ ١٣٠.

الأحلام والنهى.

والمتأمل حقًا في تعسفهم وتأويلهم للآيات وتنزيلها على الصحابة يجزم جزمًا قاطعًا بأن سب الصحابة ورميهم بالكفر أحيانًا وبالنفاق أحيانًا إنما هو عقيدة ودين لدى الشيعة.

فأغلب الآيات الواردة في الكفار والمنافقين ينزلونها على الصحابة ويركبونها عليهم.

ثانيًا: كتب الحديث:

ومن أشهرها الكافي للكليني والبحار للمجلسي والاختصاص للمفيد ورجال الكشي. إن هذه الكتب الحديثية المعتبرة لديهم طافحة بالروايات المشتملة على السب والطعن والتكفير والردة للصحابة جميعًا سوى سبعة منهم وللخلفاء الثلاثة الراشدين النصيب الأوفى في ذلك. فمن أكاذيبهم ما يروونه عن أبي عبدالله أنه قال ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم من ادعى إمامة من الله ليست له ومن جحد إمامًا من الله ومن زعم أن لهما (أي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما) في الإسلام نصيبا[1].

وفي رواية أخرى للكليني عن حمران بن أعين قال قلت لأبي جعفر جعلت فداك ما أقلنا لوا اجتمعنا على شاة ما أفنيناها فقال ألا أحدثك بأعجب من ذلك. المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا ـ وأشار بيده ـ ثلاثة[2].

وفيه رواية أخرى تعيين هؤلاء الثلاثة بما نسبوه كذبًا إلى أبي جعفر أنه قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة فقلت ومن الثلاثة فقال: المقداد بن الأسود وأبوذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم ثم عرف أناس بعد

---

(١) الكافي للكليني باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ١/ ٣٧٣.

(٢) الكافي باب في قلة عدد المؤمنين ٢/ ٢٤٤.

يسير»[١].

وفي روضة الكافي: «إن الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٢].

وفي روايات خاصة - كما يسميها الرافضي نعمة الله الجزائري - أحكام يحار المسلم من قراءتها فضلاً عن تسطيرها وكتابتها وكلها صب لجام غضبهم تجاه الخليفتين الراشدين اللذين ملأ الدنيا عدلاً ونورا وأطفأ نار المجوسية في بلاد فارس وطردا اليهود من جزيرة العرب[٣].

وإذا كانت هذه النصوص من مصادرهم المعتبرة تركز على الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فإن بقية الصحابة رضي الله عنهم لم يسلموا من سب الشيعة وقدحهم ومع التتبع لمروياتهم عن بقية الصحابة فإنهم يذكرون معظمهم بعبارات شنيعة وألفاظ مبتذلة وأحكام سيئة وحسبنا مراجعة كتبهم وتفاسيرهم وقد تتبع جمع من علماء أهل السنة ضلالاتهم في هذا الأصل بالنقل حرفيًا من مصادرهم مكتفين بذكرها من غير مناقشة أو رد؛ لأنها من التهافت والسقوط والظلم بما لا تحتاج معه إلى بيان أو رد ومناقشة[٤].

ولنا بعد ذلك أن نتساءل هل لا زال الشيعة متمسكين بهذا الأصل أم أنهم خففوا

---

(١) المرجع السابق كتاب الروضة ١٢/ ٣٢١ - ٣٢٢.

(٢) المرجع السابق ١٢/ ٣٢٣.

(٣) انظر لمثل هذه الروايات كتاب الأنوار النعمانية للنقمة الجزائري ١/ ٨١ - ٨٢، ٢/ ١١١ وغيرهما من المواضع ولا سيما ما فيه حديث عن الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
وكتاب رجال الكشي ٤/ ١٣٥ ترجمة كميت بن زيد الأسدي، ص٦٠ - ٦١ عند قصة مبايعة محمد بن أبي بكر لعلي بن أبي طالب.

(٤) انظر على سبيل المثال كتاب الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص٣٢ - ٥٠.
وبطلان عقائد الشيعة للتونسوي ص٤٧ - ٧١ وكتاب مختصر التحفة الاثني عشرية وقد أفرد له بابًا خاصًا بعنوان الباب الثامن مطاعنهم في الخلفاء الراشدين والصحابة وأم المؤمنين عائشة [رضي الله عنها] ص٢٣٧ - ٢٧٤ وكذلك في آخر الكتاب ص٢٨٥ - ٢٩٧.

من غلوائهم وحقدهم تجاه الصحب الكرام؟ وللإجابة على ذلك ننقل ما سطره بعض آياتهم في العصر الحاضر. يقول أحدهم ويدعي بحسين الخراساني في كتاب له سماه الإسلام على ضوء التشيع: إن تجويز الشيعة لعن الشيخين أبي بكر وعمر وأتباعهما أسوة لرسول الله واقتفاء لأثره؟ فإنهم ولا شك قد أصبحوا مطرودين من الحضرة النبوية وملعونين من الله تعالى بواسطة سفيره ﷺ.

ثم يضيف قائلاً: إنا لا نعهد لهؤلاء الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان أي نبوغ في العلم أو تقدم في جهاد أو تبرز في الأخلاق أو ثبات على مبدأ أو تهالك في العبادة أو تفان في العمل أو إخلاص في سبيل الدعوة الإسلامية»[1].

ورافضي آخر يقول عن الخلفاء الثلاثة ومن بعدهم من خلفاء المسلمين: «فما صدر عن الخلفاء من الظلم والفواحش تجاوز عن حد الإحصاء فما بقي حق إلا وقد أشاعوه ولا موبقة إلا وفعلوها»[2].

ومن أشهر مؤلفي الشيعة في العصر الحاضر محمد رضا المظفر صاحب كتاب عقائد الإمامية. يقول في كتابه السقيفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يستطيع الباحث أن ينكر من عمر بن الخطاب تمالؤه على علي بن أبي طالب وكذلك جماعته الذين شاهدنا منهم التعاضد والتكاتف في أكثر الحوادث كأبي بكر وأبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأضرابهم»[3].

ويقول معرضاً بجميع الصحابة: «مات النبي ﷺ ولابد أن يكون المسلمون كلهم قد انقلبوا على أعقابهم»[4].

ومن آياتهم في العصر الحاضر مؤلف كتاب الحكومة الإسلامية فإنه بأسلوب ماكر عرض لقيام الخلافة الإسلامية في عهد النبي ﷺ ومباشرة انتقل إلى خلافة علي بن أبي

---

(١) الإسلام على ضوء الشتيع للخراساني ص٨٨.

(٢) تعليقات النجفي على إحقاق الحق للتستري ٢/ ٢٩١.

(٣) السقيفة ص٨٥.

(٤) المرجع السابق ص١٩.

طالب متجاهلاً خلافة الخلفاء الثلاثة ويرمز من بعد إلىٰ اعتبار أن خلافتهم غير شرعية ثم يعرض بمعاوية رضي الله عنه ويصفه بالظلم حينًا وبالجور حينًا آخر[١].

ومن عجيب المفارقات أنه في آخر كتابه الحكومة الإسلامية ـ مع موقفه هذا من صحابة رسول الله ـ يثني علىٰ علي نصير الدين الطوسي ويترحم عليه ويدافع عنه ويعتبره من الدعاة المكافحين المجاهدين[٢] مع العلم أن علماء السلف يلقبونه بنصير الشرك والكفر والإلحاد[٣]. بل أفرد بعض علمائهم مصنفًا خاصًا لأبي هريرة رضي الله عنه مليء بالسب والشتم وخلاصة ما فيه: أن أبا هريرة كان منافقًا كافرًا وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار.

يقول السباعي رحمه الله عن هذا الكتاب مع الإشارة إلىٰ دعوة التقريب: «ولكن كتابًا ككتاب عبدالحسين شرف الدين الموسوي في الطعن بأكبر صحابي موثوق في روايته للأحاديث في نظر أهل السنة لا يراه أولئك العائبون أو الغاضبون عملاً معرقلاً لجهود الساعين إلىٰ التقريب».

ثم يقول: «ولست أحصر المثال بكتاب أبي هريرة المذكور فهنالك كتب تطبع في إيران والعراق فيها من التشنيع علىٰ جمهور الصحابة ما لا يحتمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير مما يؤجج نيران التفرقة من جديد»[٤].

ويبقىٰ أن نشير إلىٰ أن الشيعة قديمًا وحديثًا لهم تأصيل وتعميق لهذا المبدأ في نفوس أتباعهم ليتربىٰ علىٰ ذلك الصغير ويقلد العامي من غير بصيرة وذلك عن طريق الأدعية والمختارات التي نسجوها لأتباعهم يرددونها كالببغاوات ولا يفهمون ما فيها من دس وكفر وضلال ومن أشهر هذه الأدعية ما يسمونه (بدعاء صنمي قريش) والذي

---

(١) انظر كتاب دروس في الجهاد والرفض في مواضع متعددة وكتاب الحكومة الإسلامية في صفحاته الأولىٰ.

(٢) انظر الحكومة الإسلامية ص١٢٨.

(٣) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٢٦٣.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص٩ ـ ١٠.

طبع ضمن كتاب تحفة العوام بلا هور وعليه توقيعات مجموعة من آياتهم كالخميني وشريعتمداري ص٤٢٢ ـ ٤٢٣[(١)].

كما جمع بعض معاصريهم من أمهات كتبهم أدعية مليئة باللعن والسب والتكفير للصحابة ومن ذلك :

كتاب ضياء الصالحين للشيعي محمد الجوهري وكتاب مفاتيح الجنات للشيعي عباس القمي وغيرهما من كتب الأدعية التي تزخر بها مكتباتهم ومزاراتهم .

إن هذا الأصل من أصول الشيعة له مخاطره وأبعاده فهو :

(١) تشكيك في مصادر الإسلام الأساسية فمن نقل لنا القرآن إلا الصحابة الكرام ولا روىٰ لنا الأحاديث إلا الصحابة العدول فإذا جرح أي واحد من الصحابة فهو تجريح لمصادرنا الأساسية ؛ لأنهم رضي الله عنهم نقلتها وحفاظها .

(٢) إن الطعن في الصحابة رضي الله عنهم طعن في الرسول ﷺ القائل فيهم : «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[(٢)].

والقائل فيهم كما أخرجه الترمذي عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يبلغ الحاضر الغائب الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله ومن آذىٰ الله فيوشك أن يأخذه ومن يأخذه الله فيوشك أن لا يفلته» . رواه الترمذي[(٣)].

وخير وصف لهم بعد كتاب الله[(٤)] وسنة نبيه ﷺ[(٥)] ما رواه الإمام أحمد بسنده إلىٰ

---

(١) انظر كتاب الشيعة لعبد المنعم النمر ص١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٢) فتح الباري ٧/ ٢١ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٩٢ ـ ٩٣ .

(٣) سنن الترمذي بشرحه تحفة الأحوذي ١٠/ ٣٦٥ ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٥٤ ـ ٥٥ .

(٤) جمع أحد الفضلاء الآيات الواردة في الصحابة رضوان الله عليهم في كتاب بعنوان «منزلة الصحابة في القرآن» لمحمد صلاح الصاوي .

ابن مسعود رضي الله عنه قال: من كان متأسيًا فليتأسىٰ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا وأقومهم هديًا وأحسنهم حالاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا علىٰ الهدي المستقيم[1].

(٣) ومن بين المقاصد والمآرب لهذا الأصل فتح باب الطعن والدس من جانب الكفار والمشركين في الصحابة فكم وجد المستشرقون من هذه النصوص الشيعية مادة غزيرة للدس والتشويه وما سطره المستشرق اليهودي جولد تسيهر وغيره في أبي هريرة رضي الله عنه إلا مثالاً واضحًا لهذا الهدف الخطير.

(٤) كما أن من بين أهداف الطعن في الصحابة لدىٰ الشيعة رد كثير من الأحاديث الثابتة للطعن في رواتها، فمنهج الشيعة المعتبر عدم قبول الأحاديث الواردة سوىٰ طريق الأئمة من آل البيت أو ممن نسبوهم كذبًا وزورًا إلىٰ التشيع كسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود رضي الله عنهم.

وهكذا ـ وكما يقول الأستاذ أحمد جلي ـ إن الشيعة وضعوا صورة قاتمة لحياة الصحابة فيها كثير من التجني والتجريح لشخصياتهم واستخدموا في ذلك أقبح الأوصاف وأقذع الألفاظ مما يعف اللسان عن ذكره. فاتهموا الصحابة بأنهم تآمروا علىٰ إبعاد علي عن الخلافة بل وتآمروا علىٰ قتله والتخلص منه وإنهم حاربوا فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكادوا يحرقون عليها منزلها. وهموا بنبش قبرها بعد وفاتها ودفنها إلىٰ غير ذلك من الترهات والأباطيل. ولا شك أن هذا كله من نسج خيال مرض سيطرت عليه فكرة معينة فأعمته عن كل حق وحقيقة وإن هذه القصص والأساطير التي يرددها بعض الشيعة في هذا الصدد وليدة الصراع الذي دار بين الشيعة وخصومهم في عصور متأخرة وعملت بعض الأيدي المتآمرة علىٰ الإسلام عملها سعيًا إلىٰ هدم الإسلام

---

(٥) الأحاديث الواردة والثابتة في فضائل الصحابة ومناقبهم كثيرة جدًا وحسبنا في ذلك الصحيحان والسنن والمسانيد فما منها إلا وفيه أبواب وفصول عن فضائل الصحابة ومناقبهم فرادىٰ ومجتمعين.

(١) المسند للإمام أحمد وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

وتشويه صورة من حملوه إلىٰ الدنيا بأسرها[١].

ولإيضاح الصورة المشوهة التي عرضها الشيعة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه تجاه إخوانه السابقين له في الخلافة فإني أنقل بعض ما ثبت عنه من كتاب معتمد لدىٰ القوم ينسف جميع أقاصيصهم وترهاتهم التي يطلقون عليها روايات وأحاديث.

يقول الإمام علي رضي الله عنه عن أخيه وصاحبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لله بلاء عمر فقد قوم الأمد وداوىٰ العمد خلف الفتنة وأقام السنة ذهب نقي الثوب قليل العيب أصاب خيرها وسبق شرها أدىٰ إلىٰ الله طاعته وأتقاها بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي»[٢].

ولأمية هذا النص وقوة الاستدلال به في الرد علىٰ مزاعم الشيعة عمدوا إلىٰ تحريفه من نهج البلاغة فحذفوا الاسم سواء أبي بكر أم عمر وأثبتوا بدله فلانًا فصار النص هكذا «لله بلاء فلان» وزعموا أن فلانًا هذا رجل من الصحابة مات في عهد النبي ﷺ[٣].

واللعب من الشيعة بألفاظ هذا النص واضح ومع ذلك لا ننسىٰ أن لهم أصلاً وهو الاعتقاد بتحريف القرآن سنتحدث عنه إن شاء الله بعد هذا الأصل. ونقل شراح نهج البلاغة أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتب كتابًا إلىٰ معاوية رضي الله عنه في الثناء علىٰ الشيخين رضي الله عنهما فقال بعد الدعاء لهما: «لعمري إن مكانهما لعظيم وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد رحمهما الله تعالىٰ وجزاهما بأحسن ما عملا»[٤].

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) نهج البلاغة ٢/ ٢٢٢ وفي مختصر التحفة الاثنىٰ عشرية أن هذا النص في الثناء علىٰ أبي بكر. انظر مختصر التحفة ص١٣٢ ولا فرق فالنتيجة واحدة والاستدلال بهذا النص قائم سواء كان أبي بكر أم عمر.

(٣) انظر مختصر التحفة الاثنىٰ عشرية للألوسي ص١٣٢ ـ ١٣٣.

(٤) المرجع السابق ص١٣٧.

وفي كتاب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بعثه إلىٰ الأمصار يقص فيه ما جرىٰ بينه وبين أخيه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يقول: «وكان بدء أمرنا أنا التقينا بالقوم من أهل الشام والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا والأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء»[١].

يقوم الأستاذ أحمد جلي معلقًا علىٰ هذا النص وغيره من كلام الإمام علي رضي الله عنه: «فأين هذه الروح العالية والنظرة السامية التي يمثلها علي رضي الله عنه تجاه الصحابة رضوان الله عليهم من تلك النظرة الضيقة والروح الخبيثة التي شاعت فيما بعد بين من ادعوا التشيع لعلي وتلبسوا به واتخذوه ساترًا للهجوم علىٰ أئمة الإسلام وصالحي المسلمين[٢].

وأختم الحديث عن هذا الأصل لدىٰ الشيعة بتوجيه ونصح من أحد كتاب الشيعة الحاملين لواء التصحيح لمذهبهم ينعي فيه علي بني قومه الإسفاف في الروايات في قذع الصحابة ومنهم الإمام علي يقول: «ولا يجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذيء الذي نجده في أكثر كتب الشيعة. الكلام الذي يغاير كل الموازين الإسلامية والأخلاقية ويناقض حتىٰ كلام الإمام علي ومدحه وتمجيده في حقهم.

ويجب علىٰ الشيعة أن تحترم الخلفاء الراشدين وتقدر منزلتهم من الرسول فالنبي ﷺ صاهر أبًا بكر وعمراً وعثمان صاهر النبي مرتين وعمر بن الخطاب صاهر عليًا وتزوج من ابنته أم كلثوم ولا أطلب من الشيعة أن تقول وتعتقد في الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الإمام عليًا أكثر مما قاله الإمام في حقهم فلو التزمت الشيعة بعمل الإمام علي لانتهىٰ الخلاف وساد الأمة الإسلامية سلام فكري عميق فيه ضمان الوحدة الإسلامية الكبرىٰ»[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/ ١٤١.

(٢) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص١٧٧.

(٣) الشيعة والتصحيح للموسوي ص٤٨.

وفي موضع آخر قال: «إني أعتقد جازمًا أن بين هؤلاء الأكثرية توجد فئة غير قليلة ساهمت في تغيير مسار الفكر الإسلامي الموحد إلى طريق الشقاق والنفاق ولضرب الإسلام والمسلمين بما فيهم علي وعمر مع أنهم في ظاهر الأمر كانوا يظهرون بمظهر حماة المذهب الشيعي إلا أن الغرض كان هدم المذاهب كلها وإن شئت فقل الطعن في الإسلام».

ثم بين هذا الكاتب: أن مسلك الشيعة في تجريح الخلفاء وذمهم إنما كان مستندًا على الروايات التي وضعها الشيعة الرواة على لسان أئمة الشيعة مخلفة وراءها من الخراب والدمار ما لا يحصيه إلا الله[1].

أما أثر هذه العقيدة على نفوس أصحابها فليخلصه لنا الشيخ موسى جار الله بقوله: «ولا ريب أن لعن الشيعة على العصر الأول لا يزيد في قلب اللاعن إلا مرضا على مرض وعداء على عداء واللاعن في قلبه على المؤمنين مرض كلما لعن زاده اللعن مرضا على مرض لا دواء له ولا زوال»[2].

الأصل السادس من أصول التشيع: دعوى تحريف القرآن.

من أوائل النصوص عن هذه العقيدة لدى الشيعة ما جاهر به مؤسس مذهب الشيعة ابن سبأ ونقله لنا الحسن بن محمد ابن الحنفية المتوفى سنة ١٠٠ للهجرة في رسالته الإرجاء ومما جاء فيها: «ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا إذ يقولوا هدينا لوحي ضل عنه الناس وعلم خفي ويزعمون أن نبي كتم تسعة أعشار القرآن»[3].

وسرت هذه العقيدة إلى فرق الشيعة ولا سيما الغلاة منهم وأول كتاب للشيعة يسجل فيه هذا الافتراء هو كتاب سليم بن قيس الذي يعتبرونه أول كتاب ظهر

(١) المرجع السابق ص٣٨.

(٢) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص٢٢.

(٣) انظر كتاب الإيمان مخطوط ورقة ٢٤٩ لمحمد بن يحيى العدني، نهج البلاغة ص٣٠٩.

للشيعة[١].

ومن نصوصه: «أنه زعم أن عليًا ألف القرآن كما أنزل وأن أبا بكر وعمر ردوه وقالوا لا حاجة لنا فيه وانهما حرفا القرآن»[٢].

ومما روىٰ الكليني في كتابه الكافي ـ والذي يعتبر لدىٰ القوم كالبخاري لدىٰ أهل السنة ـ عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام «أن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلىٰ محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية» وآيات القرآن ـ كما هو معروف ـ لا تتجاوز ستة آلاف آية[٣] إلا قليلاً. فالنتيجة أن ما زاد علىٰ ذلك إنما سقط بالتحريف.

وقد حكم جمع من علماء الشيعة المعتبرين المتقدمين علىٰ صحة هذه الرواية لدىٰ الكليني.

فقال المجلسي: «إن هذا الخبر صحيح ثم أكد علىٰ أن كثيراً من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره»[٤].

وقال المازندراني: «إن آي القرآن ستة آلاف وخمسمائة والزائد علىٰ ذلك مما

---

(١) يسمىٰ هذا الكتاب كتاب سليم بن قيس وللكتاب قيمة عند الشيعة الإمامية فيذكر الطهراني في كتابه الذريعة بأن علماء الشيعة القدامىٰ يروون عن أبي عبدالله أنه قال فيه: «من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم بن قيس الهلالي فليس عنده من أمرنا شيء ولا يعلم من أسبابنا شيئا وهو أبجد الشيعة وهو سر من أسرار آل محمد ﷺ».
انظر الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة لأغا بزرك الطهراني ٢/ ١٥٢.
وقال المجلسي عنه: «وهو أصل من أصول الشيعة وأقدم كتاب صنف في الإسلام».
انظر البحار ١/ ١٥٨.
أما سليم بن قيس مؤلف الكتاب فيزعم الشيعة أنه مصنف أول كتاب في الإسلام وأنه أدرك عليًا والحسن والحسين وعلي بن الحسين والباقر وأنه توفىٰ في أيام علي بن الحسين متتراً عن الحجاج أيام ولايته سنة ٩٠هـ».
انظر الفهرست للطوسي ص١٠٧.

(٢) انظر كتاب سليم بن قيس ص٦٦.

(٣) أصول الكافي للكليني ٢/ ٦٣٤.

(٤) مرآة العقول شرح الأصول والفروع ٢/ ٥٣٦.

سقط بالتحريف»[١].

وترد روايات كثيرة عندهم تتحدث عن مصحف لعلي يغاير المصحف الموجود جمعه بنفسه ومن أبواب كتاب الكليني ما سماه بباب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام ويذكر ست روايات من رواياتهم منها ما يرويه أحمد بن جابر الجعفي أنه سمع أبا جعفر يقول: «ما ادعىٰ أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب وما جمعه وحفظه كما نزله تعالىٰ إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده»[٢].

وهناك رواية ـ ساقطة متهافتة ـ لكن لها عند القوم اعتبار ومدلول ونصها كما سطرها وتفوه بها عالمهم الطبرسي في كتابه الاحتجاج يقول زعمًا: «وفي رواية أبي ذر الغفاري أنه قال لما توفي رسول الله ﷺ جمع علي عليه السلام القرآن وجاء به إلىٰ المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ وآله فلما فتحه أبوبكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر وقال يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه فأخذه عليه السلام وانصرف ثم أحضروا زيد بن ثابت ـ وكان قارئًا للقرآن ـ فقال له عمر إن عليًا جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار فأجابه زيد إلىٰ ذلك ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن علىٰ ما سألتم وأظهر علىٰ القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم قال عمر فما الحيلة؟ قال زيد أنتم أعلم بالحيلة فقال عمر: وما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه فدبر في قتله علىٰ يد خالد بن الوليد فلم يقدر علىٰ ذلك فلما استخلف عمر سأل عليًا عليه السلام أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم فقال يا أبا الحسن: إن جئت بالقرآن الذي قد كنت جئت به إلىٰ أبي بكر حتىٰ نجتمع عليه فقال عليه السلام هيهات ليس إلىٰ ذلك سبيل إنما جئت به إلىٰ أبي بكر حتىٰ نجتمع عليه فقال عليه السلام هيهات ليس إلىٰ ذلك سبيل إنما جئت به إلىٰ أبي بكر لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا ما جئتنا به إن القرآن الذي عندي لايمسه إلا المطهرين والأوصياء من ولدي.

---

(١) شرح جامع علي الكافي ١١/ ٧٦.

(٢) الكافي للكليني ١/ ٢٣٨.

قال عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم فقال عليه السلام نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجري الألسنة به صلوات الله عليه[١].

ولا حاجة إلى التعليق على هذا النص الثابت لديهم فمدلولاته ناطقة بنفسها كما أنه لا حاجة إلى استنباط الكفريات الواردة فيه ورضي الله عنه الإمام علي القائل: «أعظم الناس أجراً في المصحف أبو بكر رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع بين اللوحين»[٢].

ورضي الله عن علي الثابت عنه كما في صحيح البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: «قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر»[٣].

وتدعوا أساطيرهم ـ التي تركز على عقيدة التحريف لديهم ـ إلى إهمال حفظ القرآن؛ لأنه محرف في زعمهم ومن حفظه على تحريفه يصعب عليه حفظه إذا جاء به منتظرهم غير محرف فروى مفيدهم بإسنادهم إلى جابر الجعفي عن أبي جعفر أنه قال: إذا قام قائم آل محمد ﷺ وآله ضرب فساطيط ويعلم الناس القرآن على ما أنزل الله عز وجل فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم؛ لأنه يخالف فيه التأليف.

ولهذه النصوص والروايات ـ بزعمهم ـ أثر عملي في حياة الشيعة واهتمامهم بالقرآن حفظًا وتلاوة وأداء. وقد تجول أحد علماء أهل السنة في العصر الحاضر في بلاد الشيعة وعاش بينهم وسجل هذه الحقيقة قائلاً تحت عنوان لا حافظ ولا قارىء بين

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٨، ونقلها كذلك المجلسي في بحار أنواره محتجًا بها على التحريف ٨/ ٤٦٣.

ونقل النص أيضًا إحسان إلهي ظهير عن طبعة طهران لكتاب الاحتجاج ص٧٠ ـ ٧٧، وانظر الشيعة والسنة لظهير ص٨٤ ـ ٨٥.

(٢) كتاب المصاحب للسجستاني ١/ ٥ نقلاً من كتاب دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص١٦٧.

(٣) فتح الباري باب فكاك الأسير ٨/ ٤٧.

الشيعة: لم أر بين علماء الشيعة ولا بين أولاد الشيعة لا في العراق ولا في إيران من يحفظ القرآن ولا من يقيم القرآن بعض الإقامة بلسانه ولا من يعرف وجوه القرآن الأدائية.

ثم تساءل المؤلف ما السبب في الذلك؟ هل هذا أثر من آثار عقيدة الشيعة في القرآن الكريم أثر انتظار الشيعة مصحف علي الذي غاب بيد قائم آل محمد.

ثم يعقب قائلاً: «وأخف ما رأيته للشيعة في القرآن الكريم أن جميع ما بين الدفتين في المصحف كلام الله إلا أنه بعض ما نزل والباقي مما نزل عند المستحفظ لم يضع منه شيء وإذا قام القائم يقرئه الناس كما أنزله الله على ما جمعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[1].

ومن الأحداث التاريخية التي لها مساس بهذه العقيدة لدى الشيعة ما ذكره ابن الجوزي في كتابه المنتظم في أحداث سنة ٣٩٨هـ وكذلك السبكي في طبقات الشافعية قالا: «إن الشيعة أخرجوا مصحفًا وقالوا أنه مصحف ابن مسعود وهو يخالف المصاحف كلها فحكمت المحكمة الإسلامية التي تألفت من جمع من العلماء والقضاة برئاسة الشيخ أبي حامد الاسفراييني وحكمت بتحريقه وتم ذلك»[2].

ومما يؤيد عقيدة التحريف لدى الشيعة ما نقل عن إمامهم في الحديث (الكليني) ومدلول روايته العمل بالمصحف الموجود حتى يخرج قرآنهم وذلك إبان ظهور إمامهم المنتظر ونص الرواية بهذا اللفظ: يروي الكليني بإسناده إلى محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم فقال: لا اقرأووا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم[3].

ويبين أحد شراح الكافي بأن المقصود من الذي سيأتي ليعلمهم هو المهدي

---

(١) كتاب الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ص٣٧.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٧/ ٢٣٧، طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٥٦٣.

(٣) الكافي للكليني كتاب فضل القرآن باب أن القرآن يرفع كما أنزل ٢/ ٦١٩.

المنتظر[١].

ولعظم هذه الفرية وفداحتها فإن الشيعة انقسموا حولها إلى فئتين :

فئة آثروا عدم البوح بها وإظهارها للملأ بل إنهم لشدة تسترهم أظهروا موافقة أهل السنة بالقطع بعدم تحريف القرآن وهذه الفئة تشمل بعض علماء الشيعة المتقدمين وذلك كابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق ت ٣٨١هـ ومما نقل عنه أنه أنكر نسبة الاعتقاد بالتحريف إلى الشيعة وتبعه على ذلك المرتضى ت ٤٣٦هـ والطوسي ت٤٥٠هـ والطبرسي من القرن السادس الهجري[٢].

كما تشمل بعضاً من المتأخرين وذلك كالموسوي الزنجاني الذي قال في كتابه عقائد الإمامية : «إن علماءهم أجمعوا طرا على عدم وقوع التحريف في القرآن وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم ثم ذكر بعضاً من أعلامهم المتقدمين الذين قالوا بعدم التحريف»[٣].

ولكنه لما عدد هؤلاء الأعلام ـ كما يزعم ـ قال عبارتين تفحصان عن عدم الجزم بنفي ذلك عن علماء الشيعة كلهم وهما :

العبارة الأولى: قوله وقد نسب جماعة القول بعدم التحريف إلى كثير من الأعاظم منهم شيخ المشايخ المفيد . . . إلخ .

العبارة الثانية: قوله : وممن يظهر منه القول بعدم التحريف كل من كتب في الإمامة من علماء الشيعة وذكر فيه المثالب ولم يتعرض للتحريف، فلو كان هؤلاء قائلين بالتحريف لكان ذلك أولى بالذكر من إحراق المصحف وغيره[٤].

ومن المتأخرين أيضاً لطف الله الصافي الذي رد على محب الدين الخطيب بحماس

(١) المرجع السابق في الحاشية بنفس الصفحة السابقة.

(٢) انظر الشيعة لمحسن الأمين ص١٦١ .

(٣) عقائد الإمامية الاثنى عشرية للموسوي ص٥٤ .

(٤) المرجع السابق ص٥٥ .

وشدة وأنكر اعتقاد الشيعة بتحريف القرآن وتغييره وذلك في كتابه مع الخطيب في خطوطه العريضة وقد رد الأستاذ إحسان إلهي ظهير على الصافي وبين أن إنكاره لا يستند إلى دليل وبرهان وذكر أربعة أوجه في الرد عليه[١].

كذلك من المتأخرين الدكتور موسى الموسوي الذي ظهر في العصر الحاضر بفكرة الشيعة والتصحيح ومما قال: «إن القول بتحريف القرآن يناقض الإيمان به»[٢].

أما الفئة الثانية: فهم الذين صرحوا وجاهروا بعقيدة التحريف وكان أول من تفوه بذلك ابن سبأ وأتباعه من الشيعة السبأية وسرى ذلك في فرق الشيعة وسطره بعض مؤلفيهم ومن أشهرهم سليم بن قيس الذي جاهر بهذه العقيدة وأهمية الكتاب ومنزلته لدى الشيعة يلخصها لنا المجلسي بقوله: «إن هذا الكتاب أصل من أصول الشيعة وأقدم كتاب صنف في الإسلام»[٣].

ثم جاء من بعده إمامهم في الحديث (الكليني ت٣٢٨هـ) والملقب عندهم بثقة الإسلام وقد جاهر بهذه العقيدة في كتابه الكافي وسبق أن نقلنا نصوصًا منه واضحة الدلالة على اعتقاده واعتقاد شيعته بهذه الفرية العظيمة. ولذا يقول الشيخ أبو زهرة معلقًا على الروايات القادحة في القرآن وحفظه من الكليني وغيره: «ولنا أن نقول إن رأينا فيمن ينقل هذا ويؤمن به أنه لا يعد من أهل القبلة»[٤].

وممن جاهر بهذه الفرية أيضًا مفسر الشيعة المشهور علي بن ابراهيم القمي الذي يقول عنه الخوئي. ونحكم بوثاقة جميع مشايخ علي بن ابراهيم الذين روى عنهم في تفسيره مع انتهاء السند إلى أحد المعصومين[٥] ففي تفسيره تصريح بهذا المعتقد وله غلو

---

(١) حاشية الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص٧٨ ـ ٧٩.

(٢) الصراع بين الشيعة والتشيع ص١٣٠.

(٣) البحار للمجلسي ١/١٥٨.

(٤) جعفر الصادق لمحمد أبي زهرة ص٤٤٠.

(٥) معجم رجال الحديث للخوئي ص٦٣.

في القول بالتحريف[١].

ومن مشاهير مفسريهم الذين جاهروا بهذه الفرية أيضًا محمد بن الحسن العياشي صاحب التفسير المشهور لديهم بتفسير العياشي[٢]. فذكر روايات عديدة تطعن في كتاب الله المحفوظ وتدل على تحريفه وذلك في مواضع متعددة من تفسيره[٣]. ولتأكيد هذه العقيدة وأصالتها لديهم أفرد متقدموهم كتب خاصة عنها وتدور عناوينها على هذه العبارات (التغيير التحريف. التبديل. التنزيل. قراءة أمير المؤمنين. قراءة أهل البيت) وقد قام بحصرها ـ مشكوراً ـ أحد طلبة العلم من أهل السنة في رسالته القيمة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة وعدد هذه الكتب تصل إلى عشرة[٤].

ظلت هذه العقيدة في كتب الشيعة جيلاً بعد جيل يعرضها علماؤهم تصريحًا حينًا وتلميحًا أحيانًا حتى تجرؤ رافضي مجوسي وسطر هذه العقيدة مفردًا لها مؤلفه الخاص وسماه «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب» ولابد من وقفة متأنية عند هذا الكتاب ليتبين لنا عمق هذه العقيدة لدى الشيعة فمن هذا المؤلف؟ وما منزلته عند الشيعة؟ ثم بعد ذلك ما الغرض من هذا الكتاب؟ ثم ماذا يحوي هذا الكتاب؟ وأخيراً ما هو موقف الشيعة من هذا الكتاب؟

(١) للإجابة على السؤال الأول فإن مؤلف هذا الكتاب يدعى حسين النوري

---

(١) انظر على سبيل المثال روايات القمي في الطعن في كتاب الله في تفسيره في المواضع التالية: ١/ ٣٦٠، ٣٨٩، ٢١١، ٢١٧ وغيرها.

(٢) ومنزلة هذا التفسير لديهم يلخصها الطباطبائي بقوله: «أحسن كتاب ألف قديمًا في بابه وأوثق ما ورثناه من قدماء مشايخنا من كتب التفسير بالمأثور فقد تلقاه علماء هذا الشأن منذ ألف إلى يومنا هذا بالقبول من غير أن يذكر بقدح أو يغمض فيه بطرف».
انظر مقدمة التفسير للطباطبائي ص٤٠.
وأما المؤلف فيقول عنه الطوسي: «جليل القدر واسع الأخبار بصير بالروايات».
انظر الفهرست للطوسي ص١٦٣ ـ ١٦٥.
هذه هي منزلة صاحب هذا المعتقد الباطل وكتابه عند القوم وفي ذلك عبرة وكفاية ودلالة.

(٣) انظر على سبيل المثال تفسير العياشي ١/ ١٣، ٢٠٦، ١٦٨، ١٦٩ وغيرها.

(٤) فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة للطالب ناصر بن عبدالله القفاري القسم الأول ص١٧١.

الطبرسي من علماء القرن الرابع عشر لدىٰ الشيعة ويصفه أحدهم بقوله:

«إمام أئمة الحديث والرجال في الأعصار المتأخرة ومن أعاظم علماء الشيعة في هذا القرن توفىٰ عام ١٣٢٠هـ ويحظىٰ المؤلف بتعظيم الشيعة له حتىٰ اعتبروا كتابه مستدرك الوسائل مرجعًا من مراجعهم في الحديث وقالوا عن هذا الكتاب: وأصبح في الاعتبار كسائر المجاميع الحديثية المتأخرة. وبعد أن مات هذا الطبرسي وضعوه في أشرف بقعة عندهم بين العترة والكتاب يعني في الايوان الثالث عن يمين الداخل إلىٰ الصحن الشريف ـ كما زعموا ـ من باب القبلة في النجف»[1]. وقد طبع هذا الكتاب علىٰ الحجر في إيران وعليه خاتم الدولة الإيرانية الرسمي.

(٢) أما الغرض من هذا الكتاب:

فيتبين من مقدمة الكتاب التي سطرها مؤلفه يقول عن نفسه بأسلوب وقح خبيث: «وبعد فيقول العبد المذنب المسيء حسين بن محمد تقي الدين الطبرسي جعله الله من الواقفين ببابه المتمسكين بكتابه!! هذا كتاب لطيف وسفر شريف عملته في إثبات تحريف القرآن وفضائح أهل الجور والعدوان وسميته فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عين وأرجو ممن ينتظر رحمته المسيئون أن ينفعني يوم لا ينفع مال ولا بنون»[2] فهو ألفه كما يقول ليثبت من كتب الشيعة أن القرآن محرف وهذا هو الغرض الأساسي للكتاب ولكي يدلل علىٰ غرضه هذا نقل فيه مجموعة كبيرة من أخبارهم التي تطعن في القرآن وجمعها كما يقول: «من الكتب المعتبرة التي عليها المعول وإليها المرجع عند الأصحاب» وقال في موضع آخر: «واعلم أن تلك الأخبار منقولة عن الكتب المعتبرة التي عليها معول أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية»[3].

---

(١) أعلام الشيعة لأغا بزرك الطهراني ص٥٥٣ وانظر أيضًا رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ص١٦٥، ١٧٢ وانظر أيضًا الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص١٠.

(٢) فصل الخطاب الورقة أ.

(٣) المرجع السابق ورقة ١١٧ وورقة ١٢٦.

كما أن من أغراض الكتاب الطعن في إمامة الصحابة رضوان الله عليهم ورميهم بالبهتان فهم ـ أي الشيعة ـ نعوذ بالله يصرحون على لسان صاحب هذا الكتاب بأن الذي قام بتحريف القرآن أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت وهذا نص عالمهم الطبرسي ناطق بنفسه دال على غرض من أغراضه المجوسية يقول «والذين باشروا هذا الأمر الجسيم هم أصحاب الصحيفة أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف واستعانوا بزيد بن ثابت»[١].

وهكذا فالغرض من تأليف هذا الكتاب واضح وهو الطعن في كتاب الله عز وجل والطعن في الجيل الأول من الصحابة.

(٣) أما ماذا يحوي هذا الكتاب؟

فإنه يشتمل على نصوص كثيرة نقلها عن أئمة الشيعة قديمًا وحديثًا تدل ـ كما يزعم ـ على أن القرآن زيد فيه ونقص منه حتى أنه يورد في كتابه سورة كاملة يسميها سورة الولاية حذفت بكاملها من القرآن ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ وأول عباراتها قوله: يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم[٢]

ولم يقف المؤلف عند حد الاحتجاج على عقيدة التحريف بكلام علمائهم فحسب بل تعدى ذلك إلى الزعم كذبًا وبهتانًا بأن لديه أحاديث صريحة بهذه العقيدة يقول وهو يعدد من قال بالتحريف من علمائهم: «والشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج وقد ضمن ألا ينقل فيه إلا ما وافق الإجماع واشتهر بين المخالف والمؤلف ودلت عليه العقول وقد روى في التحريف أزيد من عشرة أحاديث صريحة في ذلك»[٣]

كما أن الكتاب يشتمل على حصر من خالف من الشيعة حول التسليم بهذه العقيدة والرد عليه أو تخريج كلامه وتأويله ليصل بعد ذلك المؤلف إلى أن عقيدة

(١) المرجع السابق ورقة ٧٣.

(٢) المرجع السابق ورقة ١٨٠.

(٣) فصل الخطاب ورقة ٣٢.

التحريف عقيدة إجماعية لم يخالف فيها أحد من علمائهم سوىٰ ما أظهره بعضهم من باب التقية.

فبعد أن يذكر رواياته وأحاديثه في التحريف يقول: «إن إجماع الشيعة قائم علىٰ هذا ـ أي التحريف ـ إلىٰ أن جاء ابن بابويه القمي فخالف ذلك وهو أول من أحدث هذا القول في الشيعة في عقائده وتبعه الثلاثة الآخرون»[١].

ويذكر النووي الطبرسي صاحب هذا الكتاب: «أنه لا يوجد في القرون المتقدمة من القرن الرابع إلىٰ السادس خافس لهؤلاء أنكر التحريف وأن جميع الشيعة في هاتيك القرون متسالمون علىٰ القول بالتحريف ويؤكد أنه لم يعرف الخلاف صريحًا إلا من هؤلاء الأربعة»[٢].

ويفسر أحد علماء الشيعة المتأخرين[٣] إنكار هؤلاء الأربعة للتحريف إنما هو من باب التقية. فبعد تأكيده أن أصحابه قد أطبقوا علىٰ صحة أخبار التحريف والتصديق بها يقول: «نعم قد خالف فيها المرتضىٰ والصدوق والشيخ الطبرسي وحكموا بأن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن المنزل لا غير ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل.. والظاهر أن هذا القول إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها سد باب الطعن عليها بأنه إذا جاز هذا في القرآن فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه مع جواز لحوق التحريف لها. وكيف وهؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخبارًا كثيرة تشتمل علىٰ وقوع تلك الأمور في القرآن وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلىٰ هذا»[٤].

فالخلاصة أن هذا الكتاب المجوسي يشتمل علىٰ مئات النصوص عن علماء

---

(١) المقصود بهم المرتضىٰ المتوفىٰ ٤٣٦هـ والطوسي المتوفىٰ سنة ٤٥٠هـ والطبرسي من علمائهم في القرن السادس وقبلهم شيخهم القمي الملقب بالصدوق المتوفىٰ سنة ٣٨١هـ.

(٢) انظر فصل الخطاب ص١١١، ١٥٠.

(٣) وهو نعمة الله بن عبدالله الحسيني الجزائري المتوفىٰ سنة ١١١٢هـ قال عنه الخرنساري كان من أعاظم علمائنا المتأخرين وأفاضل فضلائنا المتبحرين ومن كتبه الأنوار النعمانية.

(٤) الأنوار النعمانية ٢/ ٣٥٧ـ٣٥٨.

الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور على أن القرآن محرف وزيد فيه ونقص منه على يد أفاضل الخلق بعد الأنبياء وهم صحابة رسول الله رضوان الله عليهم؟

وبالنظر إلى صفحات الكتاب فإنه يشتمل على ما يقرب من أربعمائة صفحة مقسمة على ثلاث مقدمات وبابين:

المقدمة الأولى: من أول الكتاب إلى ص٢٤ في الأخبار الواردة عن الشيعة في جمع القرآن وجامعه وسبب جمعه وكونه في معرض النقص بالنظر إلى كيفية الجمع.

المقدمة الثانية: من ص٢٤ إلى ٢٦ في أقسام التغيير الممكن حصوله والممتنع دخوله في القرآن.

المقدمة الثالثة: في ذكر أقوال علماء الشيعة في تغيير القرآن وعدمه من ص٢٦ إلى ٣٦.

أما الباب الأول: من ص٣٦ إلى ٣٦٠ فأدلة هذا المجوسي وأهل ملته على وقوع التغيير والنقص في القرآن.

أما الباب الثاني: ففي ذكر أدلة القائلين بعدم تطرق التغيير إلى القرآن وجوابه عنها واشتمل ذلك من ص٣٦٠ إلى ٣٩٨ آخر الكتاب[١].

(٤) أما الإجابة على السؤال الرابع وهو موقف الشيعة من هذا الكتاب:

فإن هذا الكتاب له قيمة واعتبار عند الشيعة سواء فيما يتعلق بالأكاذيب والمزاعم التي بين دفتي الكتاب فهي في أصلها نصوص مبعثرة بين كتب الشيعة ومؤلفيها في مختلف الأعصار والأماكن.

وفيما يتعلق بالمؤلف الذي يحظى بتعظيم الشيعة له وتقديرهم الذي دفعهم إلى دفنه في بناء المشهد المرتضوي بالنجف الأشرف والذي يعتبر من الأماكن المقدسة لديهم حيث لا يدفن فيه إلا خاصة القوم[٢].

---

(١) رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة القسم الثاني ص٣٦٩.

(٢) انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص١٠.

ولخطورة الكتاب وأثره على المذهب الشيعي فقد حصل - كما يذكر الخطيب - ضجة حوله عند طبعه في إيران عام ١٢٩٨هـ لأنهم - أي الشيعة - يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصوراً بين خاصتهم ومتفرقًا في مئات الكتب المعتبرة عندهم وأن لا يجمع ذلك كله في كتاب واحد تطبع منه ألوف من النسخ ويطلع عليه خصومهم فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع. ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه وألف كتابًا آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وقد كتب هذا الدفاع في أواخر حياته قبل موته بنحو سنتين وكافئوه على مجهوده في إثبات تحريف القرآن أن دفنوه في بناء المشهد العلوي في النجف والذي لا يدفن فيه إلا خاصة القوم[1].

ومما يدل على مكانته وعدم النكير عليه لدى شيعة اليوم أن الخميني يتلقى معلوماته عن بعض كتبه ويترحم عليه فيقول مثلاً عن بعض الأحاديث التي ينقلها عنه: «وقد رواه المرحوم النوري في مستدرك الوسائل». ويجمع عموم الشيعة على الثناء عليه ومما قالوا عنه: «إنه من أعظم علماء الشيعة وكبار رجال هذا القرن»[2].

والخلاصة أن هذا الكتاب وثيقة مهمة مشتملة على عقيدة الشيعة في المصدر الأول من مصادر المسلمين قاطبة على اختلاف آرائهم وتعدد فرقهم. وقديمًا كان الإمام ابن حزم يناظر بعض النصارى في نصوص كتبهم ويقيم لهم الحجج على تحريفها بل ضياع أصولها فكان أولئك القسس من النصارى يحتجون عليه بأن الشيعة قرروا أن القرآن أيضًا محرف فأجابهم بأن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ولا على المسلمين؛ لأن الشيعة غير مسلمين[3].

وقد قام أحد الكتاب المعاصرين بجهد مشكور حيث وضع جدولاً خاصًا للآيات المحرفة عند الشيعة وتتبعهم سورة سورة وآية آية وأمام كل سورة وآية المرجع أو المراجع

---

(١) المرجع السابق ص١١.

(٢) وجاء دور المجوس للدكتور عبدالله الغريب ص١٦٢.

(٣) الفصل في الملل والنحل لابن حزم.

من كتب الشيعة الأصيلة والتي تنص صراحة على القول بالتحريف ومن الجدير بالذكر أن المراجع التي أوردها هي الأصول المعتبرة لدى الشيعة وذلك على سبيل المثال:

(١) تفسير القمي.

(٢) الأصول من الكافي.

(٣) تفسير البرهان للعياشي.

(٤) مجمع البيان للطبرسي.

(٥) فصل الخطاب.

مبينًا ذلك بالنقل من هذه الكتب بأجزائها وأرقام صفحاتها مما لا يدع مجالاً للشك أو الجدل في نسبة هذه العقيدة إلى الشيعة[١].

وهذه العقيدة الباطلة أصبحت لدى الشيعة من العقائد التي ترتبط بالمعتقدات الأخرى مثل الإمامة والمهدي المنتظر والغيبة، فالإمام المنتظر والذي طالت غيبته هو الذي سيظهر القرآن الكامل وهو الذي سيحمل الناس على حفظ هذا القرآن والاهتمام به لأنه كامل غير محرف؟؟

إن هذه العقيدة الباطلة الفادحة الخطورة قد يتوهم متوهم أو يظن ظان أنها من تراث الشيعة القديم وقد انتهت في عصر العلم والاكتشافات إلا أن أحد علماء الشيعة ومثقفيهم في العصر الحاضر يسوق لنا هذا الخبر ونصه:

«لقد سمع العالم قبل أكثر من عام[٢] زعيمًا من زعماء المذهب الشيعي يخطب أمام الجماهير الشيعية في طهران وينقل كلامه عبر الأثير وهو يقول: إن جبرائيل كان ينزل على السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاة أبيها ويحدثها عن قضايا كثيرة ويعلق المؤلف على هذا الخبر قال: ولا أدهى من ذلك أن كلامًا كهذا لم يلق مجابهة من قبل نظراء ذلك الفقيه وأقرانه بل أذعنوا بصحة هذه الرواية بالسكوت الذي هو من علائم

---

(١) انظر كتاب الشيعة تاريخ ووثائق للدكتور عبدالمنعم النمر ص٣٣٣ـ٣٤٨.

(٢) طبع هذا الكتاب عام ١٩٨٧م أي ١٤٠٧هـ.

الرضى»[١].

كما يذكر الأستاذ إحسان إلهي ظهير أن المتأخرين من علماء الشيعة صنفوا في هذه العقيدة الباطلة كتبًا كثيرة بلغات متعددة فألف شخص يدعى ميرزا سلطان أحمد الدهلوي كتابًا بعنوان: «تصحيف كاتبين ونقص آيات كتاب مبين» كما ألف شخص آخر يدعى محمد مجتهد اللكنوي كتابًا آخر بعنوان: «ضربة حيدرية» وغير ذلك من الكتب الكثيرة التي ألفت في اللغة الفارسية والعربية والأردية»[٢].

ويقول الدكتور عبدالمنعم النمر: «إن الخميني لا يذكر هذه العقيدة صراحة كغيره من علماء الشيعة وإنما يراوغ ويستعمل التقية لكنه في دعاء صنمي قريش المعروف عنه يذكر عن أبي بكر وعمر أنهما وغيرهما حرفوا الكتاب وأن القرآن المعتمد هو الذي جمعه الإمام على حيث جاء في حيثيات اللعن وصفهما أنهما «قلبا دينك وحرفا كتابك» ويريد بالصنمين أبا بكر وعمر»[٣].

وهكذا ومن خلال هذه النصوص الموثقة المنقولة من مصادرهم في القديم والحديث نجزم بأن هذه العقيدة لديهم أصل يعول عليه ويرتبط ارتباطًا مباشرًا بأصولهم وفروعهم وبذلك تكون فرقة الشيعة هي التي اشتهرت بهذه المقالة والفرية العظيمة أكثر وأظهر من غيره من الفرق الضالة المنحرفة.

إن هذه العقيدة لدى الشيعة ليست نبتة إسلامية سواء في مظهرها أو منبتها بل هي عقيدة أجنبية لها جذور غريبة تسللت على حين غفلة ـ تحت ستار التشيع على يد اليهودي عبدالله بن سبأ والذي ثبت عنه قولته: «هدينا لوحي ضل عنه الناس وعلم خفي وأن نبي الله كتم تسعة أعشار القرآن»[٤].

ومن خصال اليهود وطباعهم أنهم فرسان التحريف والتبديل والتغيير

---

(١) الصراع بين الشيعة والتشيع للدكتور موسى الموسوي.

(٢) الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص١٤٩ ـ ١٥٠.

(٣) الشيعة تاريخ ووثائق لعبد المنعم النمر ص١٢١.

(٤) سبق أن نقلنا هذا النص ومصدره عند الحديث عن ابن سبأ وإثبات وجوده ص

استحفظهم الله على كتابه المنزل عليهم فحرفوه وبدلوه وأخفوا منه ما لا يلائم رغباتهم وشهواتهم قال تعالى مخاطبًا المؤمنين: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾[١]. والضمير في يحرفونه. كما نقل ابن كثير عن السدي هي التوراة حرفها اليهود. وعن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: «التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حرامًا والحرام فيها حلالاً والحق فيها باطلاً والباطل فيها حقا»[٢].

وقال تعالى محذراً من أعمال اليهود وأخلاقهم: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ...﴾[٣].

كما أخبر الله تعالى أنه أنزل التوراة على الذين هادوا واستحفظهم عليها أي وكل حفظها إليهم ولكنهم حرفوا وبدلوا قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[٤].

ففي هذه الآية ثناء ومدح على الذين أسلموا والربانيون والأحبار حيث أنهم كما قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «لا يخرجون عن حكم التوراة ولا يبدلونها ولا يحرفونها حيث أن الله عز وجل استودعهم كتابًا من كتبه (التوراة) أمروا أن يظهروه ويعملوا به»[٥].

ولكنهم خانوا الأمانة التي ائتمنهم الله عليها فحرفوها ما بين تبديل أو نقص أو زيادة. قال تعالى عنهم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ

(١) سورة البقرة: ٧٥.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١/ ١٦٥.

(٣) سورة النساء: ٤٦.

(٤) سورة المائدة: ٤٤.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٩.

عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ . . .﴾[١] إلخ .

وقال تعالىٰ عنهم أيضًا : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥)﴾[٢] .

يقول ابن كثير رحمه الله علىٰ هذه الآية : «إن الله أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدىٰ ودين الحق إلىٰ جميع أهل الأرض عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم وأنه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل كما أمره الله عز وجل أن يبين ما بدله اليهود في التوراة وما حرفوه وأولوه وافتروا علىٰ الله فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه»[٣] .

وثبت في السنة النبوية من صحيح البخاري حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : أن اليهود جاءوا إلىٰ رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون . قال عبدالله بن سلام رضي الله عنه كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده علىٰ آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبدالله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا آية الرجم . . . إلخ الحديث[٤] .

وفي رواية أخرىٰ للبخاري قول أحد اليهود للنبي ﷺ يا محمد إن فيها آية الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فأمر بهما ورجما[٥] . ثم بعد ذلك نزل قوله تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[٦] .

---

(١) سورة المائدة : ١٣ .

(٢) سورة المائدة : ١٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٣ .

(٤) فتح الباري ٨/ ٢٢٤ .

(٥) فتح الباري ١٣/ ٥١٦ .

(٦) سورة المائدة : ٤١ .

وفي هذه الآيات التي تقدمت دلالة على أن اليهود هم أول من حرف وبدل في الكتب الإلهية ومن فعل ذلك فإنه لابد متأثر بهم وعلى نهجهم أومتشبه بأفكارهم وتعاليمهم ولا مناص للشيعة القائلين بتحريف القرآن من أحدهما إن لم يكن الأمران جميعًا.

وأخيراً فهذه الأصول الستة هي أهم أصول التشيع وأسسه التي دانت بها الشيعة وأصبحت علائم مميزة لمذهبهم مع ما لهم من معتقدات أخرى مع خلاف بينهم وليست في حجم هذه الأصول وأهميتها وذلك كالقول في البداء والمتعة والحلول والتناسخ والتشبيه. وجميع فرق الشيعة سواء كانوا إمامية أو باطنية أو غلاة استمدوا هذه الأصول إما بكاملها أو بعضها أو أخذوا بأصولها وأضافوا لها آراء ومعتقدات جديدة لكنها مرتبطة بها.

وأختم هذا الفصل بنصوص لبعض علماء الفرق والمقالات موجزة ولكنها جامعة تتضمن معالم عامة لأصول التشيع.

يقول الشهرستاني عن الشيعة عامة: «ويجمعهم القول بوجود التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية».

أما عن تأثر الشيعة بالفرق الأخرى فيقول: «إن أصول الشيعة بعضها يميل إلى الاعتزال وذلك كمذهب الإمامية وبعضها يميل إلى التشبيه كالغلاة وبعضها يميل إلى السنة كالزيدية»[١].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: «إن مذهب الرافضة ـ ولا سيما متأخروهم ـ جمعوا أخس المذاهب. مذهب الجهمية في الصفات ومذهب القدرية في أفعال العباد. ومذهب الرافضة في الإمامة والتفضيل»[٢].

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) المنتقى للذهبي ص٥٠٣.

إن عمدة الرافضة في الشرعيات على ما نقل لهم عن بعض أهل البيت وذلك النقل منه ما هو صدق ومنه ما هو كذب عمداً أو خطأ ولا يعتمدون على القرآن ولا على الحديث ولا على الإجماع إلا لكون المعصوم منهم. وأما عمدتهم في النظر والعقليات فقد اعتمد متأخروهم على كتب المعتزلة ووافقوهم في مسائل الصفات والقدر بل إن متكلمي الشيعة ابتدعوا الغلو في الإثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل فأول من عرف عنه في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم الشيعي الإمامي.

بل نقل ابن تيمية عن الجاحظ أنه قال في كتابه الحجج في النبوة:

«ليس على ظهرها رافضي إلا ويزعم أن ربه مثله وأن البداوات تعرض له وأنه لا يعلم الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه»[1].

* * * * *

(١) منهاج السنة لابن تيمية ١/ ١٤٤ ـ ١٤٧.

الفصل الثالث
أثر التشيع في الاسماعيلية
نشأة وعقيدة

مما لا شك فيه أن حركة التشيع تضم فرقًا عدة منها الغالي ومنها المنحرف المخالف لطريق الحق ومنها خفيف البدعة بالنسبة للفرق الأخرىٰ ولما حدث بعد ذلك[(١)] .

وإذا تأملنا نشوء حركة الاسماعيلية فإنها انبثقت وظهرت تحت لواء التشيع وانتشر دعاتها وكثر نشاطها تحت شعار محبة آل البيت ودعوىٰ إمامتهم كسائر الفرق الشيعية الأخرىٰ. ومن المغالطة اعتبار فرق الغلاة مقطوعة الصلاة بالفرق الشيعية الأخرىٰ فكتاب الفرق والمقالات صنفوا الغلاة واعتبروهم من فرق الشيعة المتشعبة علىٰ اختلاف بينهم في فرقها الكبرىٰ[(٢)] .

ومن أشر الغلاة فرقة الاسماعيلية خاصة والفرقة الباطنية الأخرىٰ عامة .

وهكذا فمذهب الشيعة يندرج تحت لوائه فرق كثيرة بعضها ظهر في عهد علي رضي الله عنه كالسبأية وبعضها بعده كالمختارية والكيسانية . وبعضها في عهد جعفر الصادقة كالخطابية وبعضها بعد وفاته كالاسماعيلية والإمامية الاثنا عشرية وبعضها بعد ذلك كالنصيرية والقرامطة والدروز وجميع هذه الفرق تندرج تحت مسمىٰ التشيع والشيعة .

---

(١) وذلك كتشيع شريك بن عبدالله الذي قيل له : أنت من شيعة علي وأنت تفضل أبا بكر وعمر فقال : كل شيعة علي علىٰ هذا هو يقول علىٰ أعواد هذا المنبر : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمرا فكنا نكذبه والله ما كان كذابًا . كتاب النبوات لابن تيمية ص١٣٢ .
وكذلك كتشيع الذين يقدمون عليًا علىٰ عثمان كما حكىٰ الجاحظ : أنه كان في الصدر الأول لا يسمىٰ شيعيًا إلا من قدم عليًا علىٰ عثمان ولذلك قيل شيعي وعثماني فالشيعي من قدم عليًا علىٰ عثمان والعثماني من قدم عثمان علىٰ علي . انظر الحور العين للحميري ص١٨٠ ـ ١٨١ . فهذا هو التشيع الخفيف ويدخل في ذلك أيضًا تشيع الزيدية سوىٰ فرقة الجارودية منهم .

(٢) سبق الحديث عن ذلك بالتفصيل في الفصل الأول من الباب الأول عند الحديث عن فرق الشيعة .

ويصف الأستاذ أحمد جلي هذه الظاهرة في فرق الشيعة بقوله: «إن التشيع لم يكن مذهبًا واحدًا بل إنه اتخذ أطوارًا مختلفة ومر بمراحل عديدة فقد كان لكل عصر نوع من التشيع ولكل طائفة شيعية لون من التشيع. فقد وجد المعاصرون لعلي الذين أبرزوا فضائله وكفاءته كما ظهر في عهده من فضل عليًا على عثمان فقط وظهر بعد ذلك الرافضة الذين رفضوا ولايتي أبي بكر وعمر ثم ظهر الغلاة الذين كفروا الصحابة وتعددت الطوائف من إمامية اثنى عشرية وزيدية واسماعيلية واتصل التشيع الاسماعيلي ببعض الفلسفات الغنوصية والأديان والمذاهب واتخذ أشكالاً وتبنى عقائد تنوعت بتنوع المصادر التي استقت منها هذه الجماعة أو تلك»[1].

أما ارتباط التشيع الاسماعيلي بالتشيع الإمامي فهذا ما كان واقعًا وملموسًا في تاريخ التشيع حتى وفاة الإمام جعفر عام ١٤٨هـ وانشق الشيعة إلى فرقتين كبيرتين لكل فرقة إمام معتبر فالأئمة قبل ذلك عند الاسماعيلية والإمامية سواء هذا على اعتبار أن الاسماعيلية نشأت ووجدت قبل هذا الاختلاف. أما على القول بنشأتها وظهورها بعد هذا الاختلاف فهي لا تعدو أن تكون ثمرة من ثمرات التشيع الإمامي وغصن من أغصانها.

ومع النظر والتأمل لأصول الفرقتين ومعتقداتهما فإن أصول الإمامية التي سبق عرضها في الفصل الثاني هي في الحقيقة أساس وبداية أصول الاسماعيلية فمنها انطلق دعاة الاسماعيلية وعليها بنوا أساسيات مذهبهم ولا خلاف بينهم حول الأصول والمعتقدات سوى شخصيات الأئمة بعد وفاة جعفر رحمه الله فالغلو الثابت في كتب الإمامية لا يقل عن الغلو الظاهر في كتب الاسماعيلية. ولنأخذ بعض أصول الفرقتين كأمثلة على هذه الحقيقة. فمن أصول الاسماعيلية الإيمان بأن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل يقابله عند الإمامية التأويل وتعسف النصوص الشرعية. وبنظرة سريعة إلى أدلة الإمامية من القرآن والسنة على إمامة علي والنص عليه يتبين التشابه بل والاتفاق بين الإمامية والاسماعيلية حول أصل الظاهر والباطن أو التأويل.

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص١٠١.

ومن أصول الاسماعيلية الغلو في شخصيات الأئمة ورفعهم فوق منزلتهم البشرية إلى القول بإلهيتهم أو تشبيههم بالإله ويقابله عند الإمامية الأوصاف العظيمة والمنازل الرفيعة التي أحاطوا بها الأئمة فنفوا عنهم السهو والنسيان وادعوا علمهم للغيب والمكنون ثم القول بعصمتهم. وعند التأمل حقًا في تراث الفئتين نجدهما في هذا الأصل سواء ومن أصول الاسماعيلية الاستتار والسرية للأئمة أو في المعتقدات ويقابل ذلك عند الإمامية عقيدة التقية. أما الرجعة والوصية فهما عقيدتان معتبرتان في الفكر الإمامي والاسماعيلي ورثوهما عن مؤسس مذهبهم وداعيتهم الأول ابن سبأ اليهودي. ولا فرق بينهما في أصل هاتين العقيدتين ووجوب الإيمان بهما.

وأما عقيدة الغيبة عند الإمامية فيقابلها عند الباطنية استتار الأئمة ودور سترهم عدا عن أن بعض الاسماعيليين يقولون بغيبة بعض أئمتهم ورجوعهم مرة أخرى إلى الدنيا في صورة ما يسمونه بقائم القيامة ويعنون به إمامهم السابع محمد بن اسماعيل بن جعفر(١).

إن حقيقة التأثر والتشابه بين الإمامية والاسماعيلية لم تعد مجال جدال أو نقاش منها هي نصوص أئمة من علماء الإسلام تؤكد هذه الحقيقة وتعرض هاتين الفرقتين على اعتبار أن أصلهما سواء.

يقول ابن تيمية ـ وهو من أكثر علماء أهل السنة معرفة بالشيعة اسماعيلية كانوا أم إمامية(٢) ـ إن من أعظم ما دخل به القرامطة والاسماعيلية على المسلمين من إفساد الدين هو طريق الشيعة لفرط جهلهم وأهوائهم وبعدهم عن دين الإسلام ولهذا وصوا دعاتهم

---

(١) سوف إن شاء الله نتحدث بالتفصيل عن هذا المعتقد وغيره من المعتقدات في الباب الثالث من البحث.

(٢) ومع التتبع لمؤلفاته نجد أنه أفرد الإمامية بكتابه النفيس منهاج السنة النبوية الذي يبلغ عشر مجلدات بطبعته الأخيرة المحققة وأفرد الباطنية بكتابه تحفة المرتاد في الرد على الباطنية والقرامطة والجهمية أهل الحلو والاتحاد وقد طبع بمجلدين وكذلك رسالته في الظاهر والباطن ضمن مجموعة الرسائل المنيرية وتحدث عنهما أيضًا في سائر كتبه الأخرى كالفتاوى ولا سيما الجزء الخامس والثلاثين وفي الرسالة التدمرية والرسالة العرشية وجهود ابن تيمية في الرد على الإمامية وجهوده كذلك في الرد على الباطنية تحتاج إلى بحث مستقل ولعل الله أن يقيض طالب علم من أهل السنة بكتابة ذلك.

أن يدخلوا على المسلمين من باب التشيع وصاروا يستعينون بما عند الشيعة من الأكاذيب والأهواء ويزيدون هم على ذلك ما ناسبهم من الافتراء وأول دعوتهم التشيع وآخرها الانسلاخ من الإسلام بل من الملل كلها ومن عرف أحوال الإسلام وتقلب الناس فيه فلابد أنه قد عرف شيئًا من هذا[١].

ويقول أيضًا: «وقد دخل من الرافضة على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد. والنصيرية والاسماعيلية والباطنية من بابهم دخلوا والكفار والمرتدة بطريقتهم وصلوا فاستولوا على بلاد الإسلام وسبوا الحريم وسفكوا الدم الحرام»[٢].

وفي موضع آخر يوضح لنا الإمام ابن تيمية العلاقة بين الباطنية والرافضة وأوجه الشبه بينهما قوله: «إن بينهم اقتران واشتباه ويجمعهم أمور منها: الطعن في خيار هذه الأمة وفيما عليه أهل السنة والجماعة وفيما استقر من أصول الملة وقواعد الدين ويدعون باطنًا امتازوا به واختصوا به عمن سواهم. كما أن لكثرة كذب الرافضة وادعاءهم علوم الأسرار والحقائق انتسبت إليهم الباطنية والقرامطة»[٣].

كما أن ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر يبين أثر الشيعة الإمامية وتشيعهم في دخول مذهب الاسماعيلية على المسلمين وانتشاره بينهم بدعوى التشيع ودخول غيرهم من الزنادقة والكفار يقول عن ذلك: ومن وصايا الاسماعيليين في الناموس الأكبر والبلاغ الأعظم أنهم يدخلون على المسلمين من باب التشيع وذلك لعلمهم بأن الشيعة من أجهل الطوائف وأضعفها عقلاً وعلمًا وأبعدها عن دين الإسلام علمًا وعملاً. ولهذا دخلت الزنادقة على الإسلام من باب المتشيعة قديمًا وحديثًا كما دخل الكفار المحاربون مدائن الإسلام بغداد بمعاونة الشيعة فهم يظهرون التشيع لمن يدعونه وإذا استجاب لهم نقلوه إلى الرفض والقدح في الصحابة فإن رأوه قابلاً نقلوه إلى الطعن في علي وغيره ثم نقلوه إلى القدح في نبينا وسائر الأنبياء وقالوا: إن الأنبياء

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤/ ١٤٧.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص١٩.

(٣) انظر الفتاوى لابن تيمية ٤/ ٧٧، ١٠٣ ـ ١٠٤.

لهم بواطن وأسرار تخالف ما عليه أمتهم[١].

ويقول الديلمي ـ وهو ممن فضح الباطنية وكشف أستارهم ـ إن أصول مذهب الغلاة والباطنية والاسماعيلية والإمامة الاثنى عشرية مختلطة بعضها ببعض في كثير من المسائل ولذلك قيل الإمامية دهليز الباطنية لأن الكل دخلوا في الشيعة من جهتهم وكلهم يدعون التشيع ويغلون في الدين ويخرجون من طريق المسلمين[٢].

وكتاب الفرق الإسلامية جميعًا وبلا استثناء كالملطي وأبو الحسن الأشعري والبغدادي وابن حزم والشهرستاني والرازي يثبتون علاقة وطيدة بين الاسماعيلية وسائر فرق الغلاة من جهة وبين التشيع الإمامي من جهة أخرىٰ وما تحدث واحد من هؤلاء عن الغلاة إلا واعتبر أنهم فرقة من فرق الشيعة الإمامية أو الرافضة.

ومن علماء أهل السنة المعاصرين محب الدين الخطيب حيث بين هذه الحقيقة بقوله: «إن الاسماعيلية مثل الإمامية في مخالفتهم المسلمين في الأصول ولا فرق بينهما إلا في تعيين بعض أسماء آل البيت الذين يوالونهم. فالإمامية توالي كل الذين يواليهم الاسماعيليون إلىٰ جعفر الصادق ويفترقون بعده. فالإمامية توالي موسىٰ بن جعفر ومن تسلسلوا عنه. والاسماعيلية توالي اسماعيل بن جعفر فمن تسلسل عنه. والغلو الذي جنحت إليه الاسماعيلية من اسماعيل فمن بعده قد حسدتها عليه الإمامية من أيام الدولة الصفوية فانحدرت في هوته بأيدي المجلسي وأعوانه والمسولين لهم. فبعد أن كان غلاتهم في العصور السالفة أقلية صاروا بعد ذلك إلىٰ هذا اليوم كلهم غلاة بلا استثناء وقد اعترف بذلك أكبر علمائهم في الجرح والتعديل آية الله المامقاني[٣] في كل ترجمة كتبها للغلاة الأقدمين منهم فأعلن في كل موضع تناول فيه هذا البحث من كتابه. بأن ما كان به الغلاة الأقدمون غلاة أصبح الآن عند جميع الشيعة الإمامية من

(١) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ٣٥/ ١٣٦.

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٢.

(٣) من كبار شيوخ الشيعة الإمامية المعاصرين ولد في النجف عام ١٢٩٠هـ وتوفي بها سنة ١٣٥١هـ واسمه عبدالله بن محمد بن حسن المامقاني ومن أشهر كتبه تنقيح المقال في علم الرجال طبع في ثلاثة مجلدات.

ضروريات المذهب إذن فالغلو الذي كانت تفترق به الاسماعيلية عن الشيعة الإمامية صاروا به سواء لا فرق بينهما إلا في الشخصيات التي يؤلهها كل منهم ويرفعها فوق منزلة النبي ﷺ[١].

ومع شهادة المامقاني هذه نجد عالمًا من علماء الشيعة المعاصرين المعتبرين لديهم يعترف بالصلة بين الاسماعيلية والإمامية بقوله: إن الاثنى عشرية والاسماعيلية وإن اختلفوا من جهات فإنهم يتلقون في هذه الشعائر وخاصة في تدريهم علوم آل البيت وللثقة فيهم وحمل الناس عليها[٢].

كما يقول أحد الكتاب المعاصرين عن تقسيم الشيعة إلى فرقتين كبريين إمامية وباطنية: بأن هذه التفريقة لا وجه لها فكلهم إمامية حيث يجمعهم القول بالإمام وكلهم باطنية حيث لا تسلم طائفة منهم من الإيمان بالباطن وكلهم روافض؛ لأنهم رافضون لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وما عليه أهل السنة والجماعة[٣].

ومع تلك الصلة والاندماج بين الفرقتين فإن المتتبع لمدونات وكتب الاسماعيلية والإمامية يجد تشابهًا واستقاء لإحداهما عن الأخرى فكتاب الاسماعيلية ومرجعها كتاب دعائم الإسلام وتأويله لقاضيهم النعمان لا يبعد عن كتاب الإمامية ومرجعها الكافي للكليني في موضوعاته وأسانيده ورجاله ومنتهي معظم هذه الأسانيد إلى الإمام جعفر كما زعم الفريقان.

وليس من قبيل المصادفة أن يرجع عالم الشيعة وآيتها الخميني إلى كتاب دعائم الإسلام ويحيل إليه في تقرير بعض عقائد الإمامية[٤].

ومما جاء في دائرة المعارف الإسلامية هذا القول: على أن الحدود للشيعة الإمامية

---

(١) تنقيح المقال للمامقاني ٣/ ٢٤٠.

(٢) الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية.

(٣) مجلة التوحيد مقالة لعبدالرحمن عبدالسلام يعقوب، العدد السادس ١٣٩٩هـ.

(٤) انظر كتاب الحكومة الإسلامية للخميني ص٦٧.

لم تقفل أمام الغلاة يدل على ذلك التقدير الذي دام طويلاً للكتاب الأكبر للاسماعيلية وهو كتاب دعائم الإسلام[1].

إن هذه الصلة والتأثر بين الطائفتين سبب حرجًا شديدًا لبعض علماء الشيعة الإمامية قديمًا[2] وحديثًا[3] فحاولوا جاهدين إخفاء هذه الصلة سواء بالتبرأ منهم أو فضحهم ولعنهم أو إسقاط دعواهم الإمامة بحجة أنهم ـ أي الغلاة ـ خالفوا النص وادعوا إمامة من ليس بإمام أو لا يستحق ذلك كما حصل من الإمامية حينما قالوا ببطلان إمامة اسماعيل لموته في حياة أبيه وببطلان إمامه ابنه محمد بن اسماعيل من بعده

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية للمجموعة ١٤/ ٧٢.

(٢) وذلك كالقمي الذي قال في كتابه المقالات والفرق عن فرق الغلاة: «فهذه فرق أهل الغلو ممن انتحل التشيع وإلى الخردمينية والمزكية والزنديقية والدهرية مرجعهم جميعًا لعنهم الله وكلهم متفقون على نفي الربوبية عن الله الجليل الخالق تبارك وتعالى عما يصفون علوًا كبيرًا وإثباتها في بدن مخلوق». المقالات والفرق ص٦٤.
وبمثل ذلك قال النوبختي من علماء الإمامية في القرن الثالث في كتابه فرق الشيعة ص٦٠ ـ ٦١.

(٣) وذلك كمحمد صادق بحر العلوم محقق كتاب فرق الشيعة الذي قال في آخر الكتاب تحت عنوان تنبيه أن فرق الغلاة وجدت في كتب لا اعتبار لها وأن الموجود منها انقرض وتطابقت كلمات علمائنا ـ ويقصد علماء الإمامية ـ ومعهم التأريخ على انقراضها وتسالموا على الرد عليها وتفنيدها وعلى تقدير وجود شيء من هذه الفرق فالإمامية لا تشك في بطلانها وكفر كثير منها.
ولكنه في آخر تنبيهه أقر بوجود ثلاث فرق الإمامية وزعم أنهم متشرون في أرجاء العالم والزيدية والاسماعيلية ثم قال وأما الغلاة فهم عندنا كفار فهو بهذه العبارة الأخيرة يخرج الإمامية والاسماعيلية من الغلاة. فرق الشيعة للنوبختي تعليق بحر العلوم ص١٢١.
وكمحمد جواد مغنية في كتابه الشيعة في الميزان ص٢٩١ ـ ٢٩٤ وكذلك محمد حسين آل كاشف الغطا الذي حكم على جميع فرق الشيعة الموجودة اليوم بعدم الغلو وزعم أن جميع فرق الشيعة الموجودة اليوم بعدم الغلو وزعم أن جميع الفرقة الغالية قد بادت ولا يوجد منها اليوم نافخ ضرمه. انظر أصل الشيعة وأصولها ص٣٨. وهذا مغالطة مكشوفة فالنصيرية والدروز والاسماعيلية موجودة قائمة على أرض الواقع. وقد علق الدكتور سليمان دنيا على هذا الزعم بقوله: فما يكون الأغاخانية أليسوا قائلين بالحلول أم ليسوا مع قولهم هذا ملاحدة أم ليسوا منتسبين إلى الشيعة ثم أليسوا على رقعة الأرض اليوم. مقدمة بين السنة والشيعة ص٣٧.

وانتقلت بذلك الإمامة إلىٰ موسىٰ الكاظم أحد أبناء جعفر[1] ذلك خلافًا أو تبرؤًا فهو لا يعدو أن يكون أمرًا ظاهريًا غير ذي بال أمام الأمور التالية التي نستخلصها من النصوص السابقة:

أولاً: الاتفاق في كثير من المعتقدات فما هو موجود في كتب الإمامية موجود مثله في كتب الاسماعيلية كالقول بالتحريف والاعتقاد بالرجعة والإيمان بالتقية والغلو في الإمامة والأئمة.

ثانيًا: أئمة الإمامية وأئمة الاسماعيلية ـ كما زعموا ـ متفقين حول شخصياتهم وأعيانهم حتىٰ الإمام السادس جعفر الصادق.

ثالثًا: أساس مذهب الطائفتين ومظلته واحدة وهو دعوىٰ محبة آل البيت والتشيع لهم فما انتشر وظهر مذهب أي طائفة منهما إلا من خلال التستر والتترس بهذه الدعوىٰ.

رابعًا: اعتراف بعض أئمتهم وعلمائهم بأن الغلو الذي يفصل الإمامية عن غيرها من الغلاة أصبح من ضروريات مذهب الإمامية وأصبح لا فرق بينهم وبين تلك الفرق سوىٰ الاختلاف في الأسماء والمسميات ومن أهم النصوص الشيعية التي وقعت عليها لدعم هذه الحقيقة المهمة ما سطره أحد علماء الإمامية المعاصرين بقوله: ويجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن ما مر بنا من أفكار الشيعة مما كان خاصًا بفرقة بعينها لم يلبث أن دخل كله في التشيع الاثنا عشري ودعم بالحجج العقلية وبالنصوص والتشيع الحالي إنما هو زبدة الحركات الشيعية كلها من عمار إلىٰ حجر بن عدي إلىٰ المختار وكيسان إلىٰ محمد ابن الحنفية وأبي هاشم إلىٰ بيان بن سمعان والغلاة الكوفيين إلىٰ الغلاة من أنصار عبدالله بن الحارث إلىٰ الزيديين والاسماعيليين ثم الإمامية التي صارت اثنا عشرية وقد قام بعملية المزج متكلموا الشيعة ومصنفوهم[2].

---

(١) سوف نتحدث إن شاء الله عن اختلاف الإمامية والاسماعيلية بالتفصيل عن الإمام بعد جعفر الصادق في الباب القادم.

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل الشيبي ص٢٣٥.

هذه شهادة شيعي إمامي معاصر وبالمقابل يعترف شيعي باطني معاصر بأن الشيعة الفاطميين والشيعة الاثنا عشريين يتفقون فيما بينهم على المسائل العامة في الفقه؛ لأنهم يروون جميعًا عن طريق آل البيت واستثنى مما تختلف فيه الطائفتان ثلاث مسائل فقهية هي مواقيت الصيام والفطر وجواز نكاح المتعة.

وعند حديث هذا الباطني عن انتشار الشيعة حاول جاهدًا إثبات أكثرية الشيعة وزيادة عددها مدمجًا الشيعة الإمامية مع الشيعة الاسماعيلية؛ لأنهم جميعًا شيعة ولأنهم ينهلون من منهل واحد وما خلص إليه أنهم يمثلون الآن خمس المسلمين أو أكثر على الكرة الأرضية[1].

خامسًا: وأخيرًا وكما قال الأستاذ أحمد جلي فإن كتاب الفرق الإسلامية جميعًا يثبتون علاقة وطيدة بين هذه الفرق الغالية وبين التيار الشيعي العام وإذا لم يكن لهؤلاء الغلاة صلة بالتشيع في صورته المعتدلة فإنهم ولا شك اتخذوا من التشيع ستارًا ومن حب آل البيت وسيلة إلى نشر أفكارهم المنحرفة وعقائدهم الباطلة ومن ثم أصبح التشيع كما يقول أحمد أمين مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارًا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم[2].

في ختام هذا الباب أجمل النتائج التي تحدثت عنها تفصيليًا مع ربط الباب السابق بالباب اللاحق فأقول:

(١) إن بذور التشيع كلها بذور أجنبية نمت وظهرت على يد من تظاهر بالإسلام نفاقًا ولا صلة لها البتة بآل البيت فهم بريئون منها ومن مدعيها.

(٢) إن الصحابة رضوان الله عليهم - ولا سيما الأربعة [3]- بريئون مما نسبه إليهم

---

(١) الحقائق الخفية للأعظمي ص١٦، ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص١٠١ - ١٠٢، ونص أحمد أمين من كتابه فجر الإسلام ص٢٧٦.

(٣) وهم - كما يدعي الشيعة - سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر رضوان الله عليهم. وسبق أن ذكرت ذلك في الفصل الأول من الباب الأول.

الكذابون من مدعي التشيع بأنهم النواة الأولى لهذه الفرقة الضالة ومشايعة الصحابة لعلي بن أبي طالب باعتبار أنه خليفة شرعي بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه ولا صلة لذلك بمباديء ومعتقدات الشيعة وإذا ما أطلقت عبارة شيعة على مناصري علي بن أبي طالب فلا تخرج في مضمونها ودلالتها عن المعنى اللغوي فقط الذي يدل على المناصرة والمصاحبة.

(٣) إن فرقة الشيعة مناطة ومربوطة بشخصية يهودية حقيقية ثابتة وهو عبدالله بن سبأ الذي ادعى التشيع وأثار الفتن وفي ظل هذه الأجواء نبتت نابتة الشيعة وظهرت بمظاهر متعددة.

(٤) إن معظم معتقدات الشيعة وأصولهم تتصل اتصالاً واضحًا بأفكار ومعتقدات أجنبية سواء كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية وكل ذلك مما نقله ابن سبأ تحت مظلة التشيع لآل البيت.

(٥) إن فرق الشيعة تمثل سلسلة وحلقة متصلة بعضها ببعض تلتقي هذه الفرق بأصول واحدة مشتركة وقد تختلف في بعض مسائل وجوانب جزئية ولكن تبقى هذه الفرق على تعددها يجمعها أصل واحد أو جملة أصول مشتركة.

(٦) وأخيراً فإن فرق الباطنية ـ والاسماعيلية واحدة منها ـ ما هي إلا أثر من آثار التشيع السبأي وامتداد للسبأية وسير على أصولها.

*****

الباب الثاني

الجانب التاريخي لفرقة الاسماعيلية

الفصل الأول: تعريف الاسماعيلية ونشأتها.

الفصل الثاني: جذور الاسماعيلية (الخطابية والباطنية).

(أ) الخطابية:

(١) أبو الخطاب ونشأة الخطابية.

(٢) آراء الخطابية.

(٣) دور الخطابية في فرقة الاسماعيلية.

(ب) الباطنية:

(١) تعريفها وبدايتها.

(٢) فرق الباطنية.

(٣) التأويل الباطني.

(٤) زعماء الباطنية.

(٥) دور الباطنية في فرقة الاسماعيلية.

الفصل الثالث: أئمة الاسماعيلية.

(أ) الأئمة الأوائل.

(ب) أئمة دور الستر.

(ج) أئمة دور الظهور.

(د) انقسام الاسماعيلية حول الأئمة.

(هـ) الاسماعيلية المستعلية.

(و) الاسماعيلية النزارية.

(ز) نهاية الدولة العبيدية.

الفصل الرابع: نظم الدعوة الاسماعيلية.

(أ) مراحل الدعوة.

(ب) مراتب الأئمة.

(ج) درجات الدعاة.

الفصل الخامس: فرق الاسماعيلية ودولها.

(أ) فرق الاسماعيلية.

(ب) دول الاسماعيلية.

* * * * *

الفصل الأول
تعريف الاسماعيلية ونشأتها

تعتبر طائفة الاسماعيلية فرقة من الفرق الكبرى التي انتسبت إلى التشيع وانتشرت بدعواه وأصبحت فيما بعد فرقة كبرى تنافس الشيعة الإمامية الاثنى عشرية بل تتخطاهم في بعض الفترات التاريخية انتشاراً وكثرة وقوة .

وهي كبرى الفرق الشيعية التي تمثل الغلو الباطني في التشيع وتمثل كذلك فرق الغلاة الخارجة عن فرق الأمة الإسلامية وسميت بالاسماعيلية لانتسابها إلى إمامها الأول على اختلاف بين علماء الفرقة في تعيين هذا الإمام على قولين :

أولهما: قول ابن الأثير وابن الجوزي والرازي والشهرستاني إن إطلاق لفظ الاسماعيلية لانتسابهم إلى اسماعيل بن جعفر الصادق وتوليهم له والقول بإمامته بعد أبيه سواء مات في حياة أبيه أو بعده[١] .

الثاني: قول الغزالي وابن الجوزي في رأي له غير ما تقدم أن ذلك نسبة إلى الإمام السابع محمد بن اسماعيل الذي يقول الاسماعيلية أن أدوار الإمامة انتهت به ولذا يقول الغزالي : «إن هذه التسمية ـ أي الاسماعيلية ـ نسبة إلى زعيمهم محمد بن اسماعيل بن جعفر الذي يزعمون أن أدوار الإمامة انتهت به»[٢] .

كما يقول ابن الجوزي : «إنهم نسبوا إلى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل بن جعفر ويزعمون أن دور الإمامة انتهى إليه»[٣] .

وحينما ننظر إلى هذين القولين نجد أن لكل منهما سبباً فهما مبنيان على خلاف

---

(١) اللباب لابن الأثير ١/ ٥٩، القرامطة لابن الجوزي ص٣٦، الزينة للرازي ص٢٨٧ ضمن كتاب الغلو والفرق الغالية للسامرائي، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩١ .

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص١٦ .

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٢ .

الاسماعيليين أنفسهم. **فمنهم** من قطع بموت اسماعيل في حياة أبيه ولكنهم قالوا إن جعفراً نص عليه في حياته؛ لأنه ابنه الأكبر وفائدة النص انتقال الإمامة منه إلىٰ أولاده خاصة كما نص موسىٰ علىٰ هارون عليهما السلام ثم مات هارون في حال حياة أخيه وإنما فائدة النص انتقال الإمامة منه إلىٰ أولاده فإن النص لا يرجع القهقهرىٰ والقول بالبداء محال ولا ينص الإمام علىٰ واحد من أولاده إلا بعد السماع من آبائه.

ومنهم من قال: إنه لم يمت في حياة أبيه جعفر ولكنه أظهر موته تقية عليه حتىٰ لا يقصد بالقتل[١].

فالقائلون بموت اسماعيل في حياة أبيه نسبوا الاسماعيلية إلىٰ إمامهم محمد بن اسماعيل. والنافون لذلك نسبوا الاسماعيلية إلىٰ اسماعيل بن جعفر إمامهم الأول. وعلىٰ كل حال فإن تسمية الفرق غالبًا ما تشتق من أسماء أصحابها وزعمائها. فالاسماعيلية نسبة إلىٰ اسماعيل بن جعفر حتىٰ علىٰ رأي القائلين بموته في حياة أبيه؛ لأن إمامة ابنه محمد بن اسماعيل ثابتة عن طريق ثبوت إمامة اسماعيل والنص عليه من قبل أبيه جعفر الصادق ولذا يقول الاسماعيلية عن أنفسهم ـ كما نقل الشهرستاني ـ نحن الاسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص ـ أي إسماعيل بن جعفر ـ كما يعلل تسميتهم بالاسماعيلية بقوله: «إن الاسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثنىٰ عشرية بإثبات الإمامة لاسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر»[٢].

وللاسماعيلية ألقاب كثيرة حصرها بعض العلماء المتقدمين في ثمانية وحصرها بعضهم في عشرة وبعضهم في خمسة عشر وزاد عليها بعض المتأخرين ألقابًا جديدة وفرقًا حديثة وسنذكر هذه الأقوال ثم نبين ما تدل عليه:

فالغزالي ذكر أن لهم ألقابًا عشرة هي:

(١) الباطنية. **(٢)** القرامطة.

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩١.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٩١ ـ ١٩٢.

(٣) القرمطية . (٤) الخرمية .

(٥) الخرمدينية . (٦) الاسماعيلية .

(٧) السبعية . (٨) البابكية .

(٩) المحمرة . (١٠) التعليمية .

ولكل لقب سبب[١] .

وجاء بعده ابن الجوزي فذكر أن لهم ألقابًا ثمانية[٢] هي التي ذكرها الغزال بعد أن أسقط منها لقبين هما القرمطية والخرمدينية وعلل محقق الكتاب ترك ابن الجوزي لهذين اللقبين بأنه اعتبرهما لهجة في نطق الخرمية والقرامطة[٣] .

وجاء بعدهما الديلمي فذكر أن للاسماعيلية خمسة عشر لقبًا منها العشرة الماضية وخمسة هي : المباركية والإباحية والملاحدة والزنادقة والمزدكية[٤] .

أما الشهرستاني فذكر لهم ألقابًا ستة لا تخرج عما ذكر في الأقوال السابقة إلا أنه اعتبر أشهر ألقابهم الباطنية معللاً ذلك بقوله : «وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا ولكل تنزيل تأويلا»[٥] .

ومن العلماء المعاصرين من ذكر ألقابًا جديدة للاسماعيلية إضافة إلى ما ذكره المتقدمون قال : «ومن أسمائهم في خراسان الميمونية نسبة إلى ميمون أخي قرمط . ويدعون في مصر بالعبيدية نسبة إلى عبيد الله المعروف[٦] وفي الشام بالنصيرية والدروز

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص١١ ـ ١٧ .

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٦ ، وكذلك كتاب القرامطة لابن الجوزي أيضًا ص٣٥ .

(٣) المرجع السابق هامش ص٣٥ من رسالة القرامطة تحقيق محمد الصباغ .

(٤) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٣٤ .

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢ .

(٦) وهو عبيد الله المهدي مؤسس دولة العبيديين وأول أئمة دور الظهور . وستأتي ترجمته بالتفصيل في الفصل الثالث من هذا الباب .

والتيامنة. وفي فلسطين بالبهائية وفي الهند بالبهرة وفي اليمن باليامية نسبة إلى القبيلة المعروفة. وفي بلاد الأكراد بالبكداشية والقزلباشية على اختلاف منازعهم. وفي بلاد العجم بالبابية ولهم فروع إلى يومنا هذا تلبس لكل قرن لبوسه وتظهر لكل قوم بمظهر تقضي به البيئة وقدماؤهم كانوا يسمون أنفسهم بالاسماعيلية باعتبار تميزهم عن فرق الشيعة بهذا الاسم»[1].

ومع التأمل لهذه الألقاب العديدة أو الأسماء الكثيرة فإنها لا تخرج عن أمور أربعة كلها ترجع إلى طائفة الاسماعيلية بزعمائها وفرقها ومعتقداتها.

فالأمر الأول: إن بعض هذه الألقاب مستمدة من معتقدات للاسماعيلية اشتهروا بها دون سواهم وذلك كالباطنية والسبعية والتعليمية والخرمية. فالباطنية لاعتقادهم في جميع النصوص أن لها ظاهراً وباطنًا والمراد باطنها والسبعية لأهمية العدد السابع وارتباطه بمعتقدات للاسماعيلية عن الكون والأئمة.

والتعليمية بناء على أصلهم القائل بإبطال الرأي وإغلاق باب الاجتهاد اكتفاء بالتعلم من الإمام المعصوم. والخرمية نسبة إلى حاصل المذهب الخرمي وزبدت نهايته وهو التحلل من الواجبات وإباحة المحرمات.

الأمر الثاني: إن بعض هذه الألقاب ترجع إلى أشخاص بروزا في نشر المذهب والدعوة إليه سواء كانوا أئمة أو زعماء أو قادة وذلك كالاسماعيلية نسبة إلى اسماعيل بن جعفر أو القرامطة والقرمطية نسبة إلى زعيمهم حمدان قرمط أو المباركية نسبة إلى مولى من موالي اسماعيل بن جعفر يسمى المبارك أو المزدكية نسبة إلى مزدك الذي دعا إلى شيوعية الأموال والنساء وأصبحت تعاليمه جزءاً من مذهب الاسماعيلية أو البابكية نسبة إلى بابك الذي مهد بثورته وهيأ المجتمع لقيام وظهور الطائفة الاسماعيلية. أو الميمونية نسبة إلى زعيم من زعماء الحركة القرمطية المتفرعة من الحركة الاسماعيلية ويدعى بميمون. أو العبيدية نسبة إلى مؤسس دولة العبيديين (الفاطميين) وهو من أئمة الاسماعيلية ويسمى بعبيد الله المهدي.

---

(١) مقدمة كتاب كشف أسرار الباطنية للحمادي ص٨ وصاحب المقدمة هو محمد زاهد الكوثري.

الأمر الثالث: أن بعض هذه الألقاب ترجع إلى فرق انشقت من الاسماعيلية وأصبحت فيما بعد فرقًا قائمة بذاتها مع الاحتفاظ بالأصول الاسماعيلية وذلك كالقرامطة والنصيرية والدروز والبهرة والبابية والبهائية.

الأمر الرابع: أن بعض هذه الألقاب يرجع إلى وصف المذهب وخلاصته أو الحكم على أصحابه وذلك كالخرمدينية والإباحية والملحدة أو الملاحدة والزنادقة. وبقي من هذا الألقاب لقبًا المحرمة واليامية وهما لقبان يرجع الأول منهما إلى لون من الثياب اشتهروا بلبسها حيث كانوا يلبسون ثيابًا مصبوغة بحمرة أما اللقب الثاني فهو نسبة إلى قبيلة يام اليمنية المشتهرة بباطنيتها.

ومن الملاحظ أن هناك تداخلاً واشتراكًا بين هذه الفرق سواء من ناحية المعتقدات أو الأئمة فهذه الألقاب والأسماء في حقيقتها مذهب واحد تلتقي عليها جميعًا وهو مذهب الباطنية الذي يندرج تحت لوائه طوائف متعددة ومذاهب متشعبة[1].

ومن دقة علماء السلف عرضهم لهذه الفرق على اعتبار أن عقائدها متماثلة وأفكارها متقاربة وأهدافها ومصادرها واحدة[2].

نشأة الاسماعيلية:

تعددت الآراء واختلفت الأقوال حول نشأة هذه الفرقة وظهورها بعد ذلك. فالمصادر الباطنية تتحدث عن ظهورها بأسلوب متناقض غامض ملفق ومرد ذلك ـ والله أعلم ـ إلى اختلافهم وتناقضهم في إمامهم اسماعيل فمن قائل أنه مات في حياة أبيه

---

(١) سوف إن شاء الله نتحدث عن الباطنية وزعمائها في آخر هذا الفصل باعتبار أنها من أصول وجذور الطائفة الاسماعيلية.

(٢) وذلك كالإمام ابن تيمية رحمه الله فإنه كثيراً ما يعبر عن هذه الفرق بألقاب ومسميات كثيرة مع اعتبار أن مذهبها واحد وأصلها واحد وعلى سبيل المثال فتوى الشيخ المشهورة في النصيرية. الفتاوى ٣٥/ ١٣١، ١٥٢، الفتاوى ٤/ ٧٧، وكتابه بغية المرتاد في الرد على القرامطة والباطنية في مواضع متعددة من الكتاب، وكالإمام الذهبي في كتابه المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٩، وكالإمام ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان ٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

ومن قائل أنه اشهد على موته تقيه وبقى حيًا بعد والده[1].

كما أن من أسباب ذلك أيضًا غموض الدعوة وباطنيتها مما جعلهم يدعون دعاوى يحيطونها بهالة من التعظيم والتقديس وليس لها خطام أو زمام. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الباطني (غالب):

(١) بأن علماء الحركة الاسماعيلية يرون في كتبهم الباطنية الفلسفية أن دعوتهم قديمة قدم هذا الوجود. ويضيف قائلاً: أنهم دعموا هذا القول بنظريات علمية وتأويلات باطنية فلسفية وفي نفس هذه الصفحة في كتاب هذا الباطني يقول:

(٢) ويذهب قسم آخر منهم إلى القول بأن حركتهم بدأت في عهد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ويستدلون على ذلك بآراء تأويلية عقائدية[2].

وحينما نقلب النظر في كتب الحقيقة عندهم والتي تتحدث عن المعتقدات فإن فيها بالنسبة للإمامة والأئمة ما يسمى بالأكوار والأدوار والنطقاء والصامتين بدءًا بآدم أبو البشر وانتهاء بقائمهم محمد بن اسماعيل مما يدل على زعمهم قدم دعوتهم وأنها ابتدأت مع آدم عليه الصلاة والسلام[3].

---

(١) هذه المزاعم والمقولات نتحدث عنها إن شاء الله في الفصل الثالث الخاص بأئمة الاسماعيلية.

(٢) الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص٧١.

(٣) انظر لمثل هذه المعتقدات إثبات النبوات للسجستاني ص١٨٣ ـ ١٩٣، الرياض للكرماني ص١٧٦ ـ ١٧٩.

وهناك قصة باطنية لابني آدم قابيل وهابيل يرددونها في كتبهم الباطنية يستنبط منها زعمهم وخرافاتهم قدم دعوتهم ونص هذه القصة قولهم: أنزل الله على آدم كتابًا وأنطقه بشريعة فكان ناطقًا أول النطقاء ثم أمره تعالى باختيار حجته ووصية من ولده فكان ولده هابيل كثير الخير والاجتهاد في السعي في طاعة الله فنظر إليه آدم وأشار إليه بحجته ووصيه ثم قرب هو وأخوه قابيل فقبل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل فعلم قابيل أن الإشارة تصح إلى هابيل فقتله في الظاهر فخرج من الدنيا وقتله بالباطن بالطعن عليه والكسر لمقامه ونسب الأمر إلى نفسه وادعى على آدم ما لم يسنده إليه واختار الله لآدم من ولده غيره وهو شيث بن آدم فكان حجته وموضع اختياره فكتم أمره شفقة عليه من أخيه ودعا إليه سراً بالعهد والميثاق وكان ذلك أول ما سنه الله من ستر الحق وصاحب الحق بالدعوة إليه سراً بالعهود المواثيق في أوقات غلبة الظلمة.

=

ومع غرابة هذين الرأيين وبعدهما عن الواقع والأحداث التاريخية:

(٣) فإن لبعض من كتب عن الاسماعيلية رأيًا ثالثًا يقابلهما فيذكر ظهور الاسماعيلية ويؤخرها إلى حين دخول آخر إمام من أئمة الشيعة الموسوية السرداب عام ٢٦٠هـ أي بعد وفاة جعفر الصادق بأكثر من قرن كامل.

يقول محمد حسين في كتابه طائفة الاسماعيلية: «لم نسمع شيئًا عن الاسماعيلية إلا بعد دخول آخر إمام من أئمة الفرقة الموسوية وهو الإمام محمد بن الحسن العسكري السرداب ثم يتساءل قائلاً فأين كانت طائفة الاسماعيلية طوال هذه المدة؟ ويجيب بقوله: هذا ما لانستطيع الإجابة عنه لأننا لم نجد ما نستطيع الاعتماد عليه أو الوثوق به في الكتب التاريخية أو كتب الدعوة الاسماعيلية نفسها. ويخيل إلي أن بعض الشيعة من الاثنى عشرية صدموا لاختفاء الإمام الثاني عشر في السرداب ولم يكن له أولاد فتطلعوا إلى الفرع الآخر من أبناء جعفر الصادق المتسلسل من محمد بن اسماعيل فقاموا بالاعتراف بإمامهم والدعوة لهم بعد أن ظل أبناء محمد بن اسماعيل بعيدين كل البعد عن أي نشاط للدعوة لأنفسهم بالإمامة طوال هذه المدة. هذا ما نرجحه إلى أن نطمئن إلى نصوص نثق بها تفسر لنا هذا الغموض الشديد الذي يحيط بالاسماعيلية قبل سنة ٢٦٠هـ ولا سيما أن كتب التاريخ بين أيدينا لا تشير من قريب ولا من بعيد إلى أي نشاط من فرقة الاسماعيلية قبل هذه السنة أي سنة ٢٦٠هـ[1].

وهذا رأي يخالف الحقيقة والواقع لأن الاسماعيلية نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الذي عاش في منتصف القرن الثاني الهجري كما أنه يلغي أحداثًا جسامًا وفرقًا كثيرة وجدت وظهرت من طائفة الاسماعيلية قبل هذا الوقت.

= مخطوطة الشواهد والبيان لجعفر بن منصور اليمني ورقة ٢٥ ـ ٢٦، الأنوار اللطيفة للداعي طاهر الحارثي ضمن كتاب الحقائق الخفية ص١٢١، وقد أسهب في القصة حيث استعرض جميع الأنبياء واحد منهم ناطق والآخر صامت. فالناطق للتنزيل والصامت للتأويل حتى وصلوا إلى محمد ﷺ وعلي بن أبي طالب وكنوا عنهما ـ قبحهم الله ـ أن محمداً ﷺ إمام التنزيل وعلي إمام التأويل.

انظر ص١٢١ ـ ١٢٥ من الكتاب المذكور.

(١) طائفة الاسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين ص٢١ ـ ٢٢.

(٤) ويذهب اسماعيلي معاصر إلى القول بأن الاسماعيلية نشأتها الأولى سنة ١٢٨ هـ وذلك في مدينة الكوفة بالعراق وأن جعفر الصادق هو الذي خطط لها ونظمها[١].

وهذا الرأي ظاهر البطلان من وجوه أربعة:

أولها: ما اشتهر عن جعفر الصادق رحمه الله من الصدق والفضل فهو من أجلاء التابعين وله منزلة رفيعة في العلم حتى إن بعض الأئمة الكبار من علماء السلف أخذوا عنه كأبي حنيفة ومالك ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط وكان جريئًا على الخلفاء صداعًا بالحق[٢]. ووصفه الشهرستاني بأوصاف دقيقة تعتبر ردًا ضمنيًا على جميع مزاعم فرق الشيعة ودعاويهم فيه. يقول: «وهو ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات ما تعرض للإمامة قط ولا نازع أحدًا في الخلافة قط»[٣].

كما وصفه الإمام أبو حنيفة بقوله: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد. وجعله الإمام مالك في صف واحد مع نفسه وابن جريج[٤].

ومن هذه أوصاف وثناء علماء السلف عليه كيف ينسب إليه التخطيط والتنظيم لحركة من حركات الغلو المنتسبة إلى الإسلام انتسابًا ولذا يقول ابن تيمية رحمه الله مبرئًا جعفر من هذه المزاعم والأكاذيب: «وأما الكذب والأسرار التي يدعونها عن جعفر الصادق فمن أكبر الأشياء كذبًا حتى يقال ما كذب على أحد مثل ما كذب على جعفر رضي الله عنه»[٥].

ومما روي عن جعفر الصادق أنه قال: «إنا أهل بيت صادقون لا نخلوا من كذاب

---

(١) الحركات الباطنية لغالب ص٧١.

(٢) الأعلام للزركلي ٢/ ١٢١.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٦٦.

(٤) انظر كتاب الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل الشيبي ص١٧٨.

(٥) الفتاوى لابن تيمية ٤/ ٧٨.

يكذب علينا عند الناس يريد أن يسقط صدقنا بكذبه علينا ثم ذكر المغيرة وبزيغ الحائك والسري وأبا الخطاب ومعمر وبشار الأشعري وحمزة اليزيدي وصاير النهدي وغيرهم. فقال لعنهم الله أجمع وكفانا مئونة كل كذاب»[١].

وعلل أحد علماء الشيعة الإمامية تضعيف بعض أحاديث جعفر بقوله: «كان جعفر رجلاً صالحًا مسلمًا ورعً فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده ويقولون: حدثنا جعفر بن محمد ويحدثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر يستأكلون الناس بذلك ويأخذون منه الدراهم... إلخ» النص[٢].

الوجه الثاني: إن الشيعة عمومًا كانوا مجتمعين على إمامة جعفر الصادق ولم يقع بينهم أي اختلاف أوفرقة إلا بعد موته حيث ظهرت بعض الأسماء التي تشعر بالاختلاف ومن أبرز هذه الأسماء الاسماعيلية وهم الذين تمسكوا بإمامة اسماعيل وأبنائه من بعده ولذلك نسبوا إليه وعن ذلك يقول الرازي: «إن الشيعة كانوا مجتمعين على القول بإمامة علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد فهذا ما اجتمعت عليه الرافضة وهو أصل لجميعهم ثم بعد مضي جعفر تفرقوا فرقًا كثيرة وسموا بألقاب شتى[٣].

الوجه الثالث: أن الألقاب والأسماء للفرق والطوائف تستمد وتستنبط ـ غالبًا ـ من أسماء أصحابها وتنسب إليهم وهذا واضح جداً في فرق الشيعة التي تتسمى بأسماء أئمتها وزعمائها ومن الأمثلة على ذلك الموسوية نسبة إلى موسى الكاظم والزيدية نسبة إلى زيد بن علي والكيسانية نسبة إلى كيسان والقرامطة نسبة إلى حمدان قرمط والخطابية نسبة إلى أبي الخطاب والمختارية نسبة إلى المختار الثقفي وهكذا. وأنه على زعم من قال إن مؤسس مذهب الاسماعيلية هو جعفر ينبغي أن نسمي الاسماعيلية بالجعفرية وهذا لم يقله أحد البتة سواء من علماء الفرق أو من أصحاب التاريخ. ومن

(١) كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد لإحسان إلهي ص٧٥ نقلاً من كتاب منهج المقال للاسترباذي ص٦٧.

(٢) معرفة أخبار الرجال للكشي ص٢٠٨.

(٣) الزينة للرازي الاسماعيلي ضمن كتاب الغلو للسامرائي ص٢٨٦.

المجمع عليه بين العلماء أن الاسماعيلية علم على فرقة من غلاة الشيعة تنتسب إلى اسماعيل بن جعفر إمامها وزعيمها والمخطط لها مع دعاته الآخرين.

الوجه الرابع: إن فرقة الاسماعيلية من الغلاة وقد ثبت عن جعفر الصادق رحمه الله تبرأه من الغلاة وطرده بعض أشخاصهم من مجلسه بل وغضبه على ابنه اسماعيل وعزله عن الإمامة في بعض الروايات حينما علم باتصاله معهم. يقول الشهرستاني عن أبي الخطاب: «فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبري منه واللعن عليه فلما اعتزل عنه ادعى الإمامة لنفسه»[١].

وفي نص مهم للكشي قال: «إن جعفر الصادق قال للمفضل بن عمر الجعفي - وهو من الغلاة الخطابية - يا كافر يا مشرك مالك ولا بني أتريد أن تقتله»[٢].

وهذا ما جعل مؤلف كتاب أصول الاسماعيلية يجزم بأن جعفر خلع إمامة ابنه اسماعيل بسبب هذه الصلة[٣].

ويقول النشار استناداً إلى رواية الكشي: «وكان جعفر يكره صلات ابنه اسماعيل بالغلاة مما جعله يفكر في عزله عن إمامة الشيعة بعده وحينما مات اسماعيل وقتل أبي الخطاب سرعان ما انضم الخطابية إلى محمد بن اسماعيل»[٤].

وإذا كان هذا ثابتًا في حق جعفر رحمه الله فكيف ينسب إليه القول بأنه مؤسس هذه الفرقة الباطنية وهي نتاج وأثر من غلو الخطابية كما سنبين ذلك إن شاء الله في الفصل القادم.

وهكذا فإن بطلان هذا الرأي وخطله واضح في كل وجه من هذه الوجوه التي

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٩.

(٢) كتاب الرجال للكشي انظر دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد السعيد ص٢٢.

(٣) انظر أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١١١.

(٤) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار ٢/ ٣١٧.

أشرنا إليها. وصاحب هذا الرأي قد رد على نفسه وتناقض شعراً ولم يشعر حينما قال بعبارات محددة وصريحة: «إننا نذهب مع أكثر الباحثين والمؤرخين فنبدأ ببحث حركة الاسماعيلية منذ وفاة جعفر الصادق وانشقاق شيعته إلى قسمين»[١].

(٥) ويذهب معظم المؤرخين وكتاب الفرق والمقالات من سنة وشيعة اثنى عشرية إلى أن فرقة الاسماعيلية إنما نشأت ثم ظهرت وانتشرت بعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ وأن روافدها وجذورها الفكرية سبقت هذا التاريخ من غير تحديد لسنة بعينها لأن تلك الروافد والجذور ترجع إلى الحركة الباطنية وإلى فرقة الخطابية الغامضتين تاريخًا ودعوة وفكراً وأصحاب هذا الرأي يقولون إن الشيعة إمامية كانوا أو باطنية مجتمعون على القول بإمامة جعفر الصادق وحينما توفى عام ١٤٨هـ حصل التفرق وتعددت السبل بالشيعة إلى فرق عديدة أوصلها الشهرستاني إلى سبعة فرق وهي بمجملها ترجع إلى فرق أربع هي:

(أ) فرقة تسمى بالجعفرية الواقفة وهم الذين وقفوا على إمامة جعفر وما ساقوا الإمامة في أحد من أولاده وزعموا رجعته بعد موته ولذا سموا بالجعفرية نسبة إليه وبالواقفة نسبة إلى توقفهم في إمامة من بعده.

(ب) وفرقة يسيرة قالوا: بإمامة أسن أولاد جعفر وهو عبدالله الملقب بالأفطح وسموا «بالأفطحية» نسبة إليه وزعموا عن جعفر أنه قال: «الإمامة في أكبر أولاد الإمام».

وقال: الإمام من يجلس مجلسي وهو الذي جلس مجلسه.

ولكن هذه الفرقة تلاشت واضمحلت نتيجة امتحان لعبد الله في بعض مسائل علمية لم يجدوا لديه علمًا بها فانصرفوا إلى أخيه موسى الكاظم ومع ذلك ما عاش بعد أبيه إلا سبعين يومًا ومات ولم يعقب ولداً ذكرا[٢].

---

(١) الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص٧١.

(٢) المقالات والفرق للقمي ص٨٧، فرق الشيعة للنوبختي ص٨٨، كتاب الزينة للرازي ضمن كتاب الغلو للسامرائي ص٢٨٧.

(ج) وفرقة قالوا إن الإمام بعد جعفر ابنه اسماعيل وأنه نص عليه في حياته باتفاق من أولاده وأن الإمامة ظلت في أبنائه من بعده على اختلاف بينهم في موته في حياة أبيه أو بعده[١].

ومن هؤلاء بقي القائلون بإمامة اسماعيل وبعد موته انتقلت لابنه محمد بن اسماعيل وبعدهما انتقلت الإمامة إلى الأئمة المستورين ثم في الظاهرين القائمين بعدهم وهم الباطنية بفرقهم المتعددة.

(د) وفرقة قالوا إن الإمام بعد جعفر ابنه موسى الكاظم وساقوا الإمامة بعده في أولاده حتى الحسن العسكري الحادي عشر ثم ابنه محمد القائم المنتظر الذي اختفى في السرداب بسر من رأى وهو الإمام الثاني عشر وهؤلاء يسمون الإمامية الاثنى عشرية[٢].

أما الفرقتان الأوليان فقد انتهتا وانضم أتباعهما إما إلى الإمامية الاثنى عشرية وإما إلى الشيعة الاسماعيلية وهكذا فلم يبق من الفرق بعد جعفر الصادق سوى هاتين الفرقتين الكبريين اللتين تمثلان الشيعة حتى يومنا هذا وما ظهر من الفرق بعد ذلك يندرج تحت إحداهما سوى الزيدية الذين لهم كيان مستقل وهم أخف غلواً من هاتين الفرقتين.

وعلى هذا فلم تظهر فرقة الاسماعيلية ويصبح لها أتباع متميزون وإمام يخصهم إلا بعد موت جعفر الصادق وانتقال الإمامة إلى اسماعيل وعقبه من بعده والذي تنسب الحركة الاسماعيلية إليه. ولذا يقول باطني معاصر: «إننا نذهب مع أكثر الباحثين والمؤرخين فنبدأ ببحث حركة الاسماعيلية منذ وفاة الإمام جعفر الصادق وانشقاق

---

(١) سوف نتحدث إن شاء الله بالتفصيل عن موت اسماعيل في حياة أبيه أو بعده في الفصل الثالث (أئمة الاسماعيلية).

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٦٥ ـ ١٦٩ مختصراً، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٤٦؛ فرق الشيعة للنوبختي ص٧٨ ـ ٨٩.

شيعته إلى قسمين إمامية واسماعيلية»[١].

كما يقول أحد المستشرقين المهتمين بالدراسات الاسماعيلية: «إن الحركة الاسماعيلية ابتدأت بجماعة اسماعيل بن جعفر بمؤازرة فعالة من اسماعيل نفسه وابنه محمد وكان بين جماعة اسماعيل ومحمد منظموا الفرقة الأولون أبو الخطاب وميمون القداح وعبدالله بن ميمون»[٢].

ولما لهؤلاء الثلاثة من أثر في تأسيس مذهب الاسماعيلية والدعوة إليه وتحديد البداية الحقيقية لنشأة الاسماعيلية كان لابد من عرض آرائهم ودعوتهم متمثلاً ذلك في فرقتين اشتهرتا بالغلو والباطنية وهما:

(١) الخطابية.

(٢) الباطنية.

وذلك في الفصل الآتي.

*****

---

(١) الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص٧١ ويقصد بالإمامية الاثنى عشرية.

(٢) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص٨٢.

الفصل الثاني
جذور الاسماعيلية (الخطابية والباطنية)

(١) الخطابية:

فرقة من فرق الغلاه[1] ادعت التشيع وانتشرت بدعواه ويرجع تأسيسها إلى شخص يدعى بأبي الخطاب واسمه محمد بن أبي زينب مقلاص الأجدع الأسدي الكوفي أو محمد بن أبي ثور ويكنى بأبي الظبيان وبأبي اسماعيل وبأبي الخطاب وهي أشهر ألقابه[2]. وقد نشأ بالكوفة وعاصر الإمام جعفر الصادق وقبله محمد الباقر وكان يتردد عليهما ويأخذ عنهما على اعتبار أنه أحد الشيعة ومن دعاويه في أول أمره أن أبا عبد الله جعفر جعله قيمه ووصية من بعده وأنه علمه اسم الله الأعظم[3].

وتتحدث عنه مصادر الشيعة الاثنا عشرية بأنه من رواة جعفر حتى أنهم يصفونه بالاستقامة في أول أمره؟ ومما قال المافغاني عنه وعن مروياته: «واعتمدوا على مروياته حال استقامته ولأجل ذلك عملت الطائفة بما رواه أبو الخطاب حال استقامته وتركوا ما

---

(١) الغلاة هم الذين تجاوزوا حد العقل والإيمان بالقول بألوهية الأئمة إما على أنهم بشر اتصفوا بالصفات الخاصة بالإله أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية. مقدمة ابن خلدون ص١٤٨ ـ ١٤٩.
وعرفهم الشهرستاني بقوله: هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير. الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٣.
وورد لفظ الغلو في القرآن مرتين في سورة النساء آية (١٧١) وفي سورة المائدة آية (٧٧) وكلا الآيتين تنهيان عن تجاوز الحد إما بالإفراط أو التفريط. فمن الإفراط غلو النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام حتى جعلوه رباً. ومن التفريط غلو اليهود في عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام حتى جعلوه لغير رشده. فتح القدير للشوكاني ١/ ٥٤٠.

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص٥٧، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٩. وانظر الاسماعيلية تاريخ وعقائد لإحسان إلهي ظهير ص٤٦.

(٣) المقالات والفرق للقمي ص٥١، فرق الشيعة للنوبختي ص٥٧.

رواه في حال تخليطه»[١].

وقد جاهر أبو الخطاب بمعتقدات الغلاة مما حمل الصادق على التبرأ منه وطرده من مجلسه. ومما قال الشهرستاني عن الخطابية وأبي الخطاب: «فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول بذلك وبالغ في التبرئ منه واللعن عليه فلما اعتزل عنه ادعى الإمام لنفسه»[٢].

وتذكر كتب الشيعة عدداً من الروايات عن معتقدات أبي الخطاب وتبرأ جعفر منها ومن ذلك ما رواه الكشي عن بشير الدهان أنه قال: «كتب أبو عبدالله عليه السلام إلى أبي الخطاب: بلغني أنك تزعم أن الزنا رجل وأن الخمر رجل وأن الصلاة رجل والصيام رجل والفواحش رجل وليس هو كما تقول». وفي رواية فقال: «ما قام الله عز وجل ليخاطب خلقه بما لا يعلمون»[٣].

وعن عنبسة بن مصعب قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام أي شيء سمعت من أبي الخطاب؟ قال سمعته يقول إنك وضعت يدك على صدره وقلت له: رعه ولا تنس وإنك تعلم الغيب وإنك قلت له: هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا قال لا والله ما مس شيء من جسدي جسده إلا يده.

وأما قوله إني قلت «اعلم الغيب» فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب ولا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له... ولقد قاسمت مع عبدالله بن الحسن حائطاً بيني وبينه فأصابه السهل والشرب وأصابني الجبل فلو كنت أعلم الغيب لأصابني السهل والشرب وأصابه الجبل.

وأما قوله إني قلت: «هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا» فلا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له شيئًا من هذا قط.

---

(١) تنقيح المقال للمامقاني ٣/ ١٨٩.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٩.

(٣) انظر كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد لإحسان ص٤٩؛ نقلاً من كتاب رجال الكشي.

ولكثرة ادعاءات أبي الخطاب الباطلة ونسبتها إلى جعفر الصادق ـ وهو منها براء ـ فإننا نجد كتب الشيعة الاثني عشرية طافحة بالروايات في ذمه والبراءة منه ولعنه. ومما نقلوا عن جعفر أنه قال: «اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوفني قائمًا وقاعدًا وعلى فراشي اللهم أذقه حر الحديد»[1].

وقد أورد الكشي في رجاله روايات كثيرة غير هذه صريحة في ذمه بل وطرده ولعنه والبراءة منه من قبل جعفر الصادق. وبعد طرده والبراءة منه تجمع أتباعه الخطابية في الكوفة بزعامته وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الألوف وأخذوا ينشرون آرائهم ويجاهرون بها. فلما بلغ أمرهم والي الكوفة عيسى بن موسى حاربهم وقتل منهم سبعين رجلاً وأخيراً قبض على زعيمهم أبي الخطاب وقتله ثم صلبه في سبخة الكوفة وكان ذلك سنة ١٣٨هـ[2].

ولما مات أبو الخطاب تحول الباقي من أتباعه إلى محمد بن اسماعيل وأعلنوا ولاءهم له وكانت فرقة الاسماعيلية هي الخطابية نفسها.

أما آراء الخطابية ومزاعمهم فنستخلصها من كتب الفرق عند أهل السنة[3] والشيعة[4] وغيرهم من المؤرخين[5].

---

(١) المرجع السابق ص٤٩، معرفة الرجال للكشي ص١٨٧ ـ ١٨٩.

(٢) الفصل لابن حزم ٤/ ١٨٧، أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص٩٩.

(٣) ذكر الخطابية وأفكارها أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين ١/ ٧٦ ـ ٧٧، والملطي في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص١٦٢، والبغدادي في كتابه الفرق بين الفرق ص٢٣٩ ـ ٢٤٢ ـ ٢٥٥، وابن حزم في كتابه الفصل ٤/ ١٨٧، ١٨٣، والشهرستاني في كتابه الملل والنحل ١/ ١٧٩ ـ ١٨١، والاسفراييني في كتابه التبصير في الدين ص٧٣، والرازي في كتابه اعتقادات فرق المسلمين ص٥٨.

(٤) وذلك في كتابي الفرق المشهورين المقالات والفرق للقمي ص٥١ ـ ٥٦ وفرق الشيعة للنوبختي ص٥٧ ـ ٦٠.

وكذلك كتاب دعائم الإسلام لقاضي الاسماعيلية النعمان بن محمد ١/ ٤٩ ـ ٥٠.

(٥) كالنويري في نهاية الأرب، والمقريزي في كتابه الخطط والآثار، والجويني في كتابه تاريخ جهانكشاي ص١٥٩، وقد أفاض محقق الكتاب في الحديث عن أبي الخطاب في مقدمته ص ٢٠ ـ ٢٤.

آراء الخطابية:

مرت آراء الخطابية كما تتمثل في أقوال أبي الخطاب بثلاثة أدوار هي:

(١) الدور الأول:

ادعاء النبوة للأئمة حيث يزعم أن الأئمة أنبياء محدثون ورسل الله وحججه على خلقه لا يزال منهم رسولان واحد ناطق والآخر صامت. فالناطق محمد ﷺ والصامت علي بن أبي طالب وأن رسل الله تترى أي اثنان في كل وقت. ورسولا زمن الخطابية جعفر الصادق وأبو الخطاب الأسدي[١].

وقد ادعى أبو الخطاب النبوة أولاً ثم ادعى الرسالة ثم ادعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم[٢].

(٢) الدور الثاني:

تدرج أبو الخطاب صعداً في الكذب والمخرقة فادعى أن روح الله عز وجل حلت في جعفر الصادق وبعده في نفسه[٣]. ومن منطلق هذه الحلولية زعم أن جعفراً ليس هو المحسوس الذي يرونه ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها وادعى مع ذلك أن جعفرا يتصور في أي صورة شاء[٤].

ومما قال الخطابية عن الحسن والحسين وأولادهما وشيعتهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ثم قالوا ذلك في أنفسهم ويقولون أنهم لا يموتون ولكنهم يرفعون إلى السماء[٥].

(٣) الدور الثالث:

ويمثل المرتبة الأخيرة في غلو أبي الخطاب حيث ادعى إلهيته وإلهية الأئمة. أما

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ص٧٦ ـ ٧٧، الحور العين للحميري ص١٦٦، المقالات للقمي ص٥١.

(٢) فرقة الشيعة للنوبختي ص٥٧، المقالات والفرق للقمي ص٥١.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٤٢.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٨٠، المقالات والفرق لسعد القمي ص٥١.

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٤٢، مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص٧٧، الحور العين للحميري ص١٦٦، الفصل لابن حزم ٤/ ١٨٧.

أتباعه فقد عبدوه وقالوا إنه إلههم وأن جعفر بن محمد إلههم أيضًا إلا أن أبا الخطاب أعظم من جعفر ومن علي بن أبي طالب[١].

ومع عظم هذه الفرية وخطورة دعواها فقد تأولوا آيات قرآنية في دعواهم الهابطة وقالوا إن قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)﴾[٢] دليل علىٰ دعوىٰ الألوهية للأئمة حيث إن هذه الآية في آدم ونحن ولده[٣].

ويوضح الشهرستاني مسلكه الذي سلكه حول دعواه ألوهية الأئمة بأنه قال: «والإلهية نور في النبوة والنبوة نور في الإمامة ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار»[٤].

وكان لهذا التأليه أثر بالغ علىٰ أتباعه حيث انتهىٰ الأمر بهم إلىٰ التحلل من الشريعة ومما قالوا: خفف الله عنا بأبي الخطاب ووضع عنا الأغلال والآصار ويعنون بذلك الصلاة والزكاة والصوم والحج. وكان أصحابه كلما ثقل عليهم أداء فريضة أتوه وقالوا: يا أبا الخطاب خفف علينا فيأمرهم بتركها حتىٰ تركوا جميع الفرائض واستحلوا جميع المحارم وارتكبوا المحظورات وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور وقال: من عرف الإمام فقد حل له كل شيء كان حرم عله. ومن عرف الرسول النبي الإمام ـ أي أبا الخطاب ـ فليصنع ما أحب[٥].

ومما اشتهرت به فرقة الخطابية خصلة ذميمة اعتبروها عقيدة يتدينون بها ويزاولونها في حياتهم وهي الكذب علىٰ مخالفيهم واستحلال شهادة الزور لمن وافقهم في دينهم علىٰ من خالفهم في الأموال والدماء والفروج وتجاوزوا في ذلك حتىٰ قالوا: إن دماء

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ص٧٧ ـ ٧٨، الحور العين ص١٦٦.

(٢) سورة ص: ٧٢.

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ص٧٧.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٨٠.

(٥) فرق الشيعة للنوبختي ص٥٨، دعائم الإسلام للقاضي النعمان الاسماعيلي ١/ ٤٩ ـ ٥٠.

مخالفيهم وأموالهم ونساءهم لهم حلال[١].

ومن أصولهم أيضًا إنكار الجزاء والجنة والنار وتأويلهم لها تأويلات باطنية فمما زعموا: أن الجنة هي ما ينالهم من خير في الدنيا ونعيم فيها وإن النار هي ما يصيبهم فيها من المشاق والهدم واستباحوا المحرمات وترك الفرائض[٢].

ولا شك أن خبث دعوة أبي الخطاب وغلوه المتناهي دفع بالشيعة الإمامية إلى التبرؤ منه والحكم عليه بالمروق والزندقة على الرغم من إدعاءه التشيع. يقول النوبختي عن الخطابية وغيرها من فرق الغلاة: «فهذه فرق أهل الغلو ممن انتحل التشيع وإلى الخرمدينية والمزدكية والزنديقية والدهرية مرجعهم جميعًا لعنهم الله وكلهم متفقون على نفي الربوبية عن الجليل الخالق تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً وإثباتها في بدن مخلوق وإن الله تعالى نور وروح ينتقل في هذه الأبدان»[٣].

وبعبارات جامعة مختصرة، يحكم عليهم الشهرستاني بقوله: «إن القوم كلهم حيارى ضالون جاهلون بحال الأئمة تائهون»[٤].

دور الخطابية في حركة الاسماعيلية:

مما يميز حركات الغلو عن غيرها من الحركات والفرق الأخرى التداخل والتشابه في العقيدة والأهداف هذا من جانب ومن الجانب الآخر ظاهرة التسلسل الزمني لتلك الحركات الغالية حيث أن كل حركة تأخذ بزمام الأخرى فما تكاد تختفي حركة إلا وتظهر أخرى تجمع فلول أتباع من قبلها مع التغيير في العناوين والأسماء والألقاب. وإن حركتي الخطابية والاسماعيلية من أبرز الأمثلة على ذلك. فالتشابه بينهما حقيقة ملموسة لا يسع القارئ والمطلع على فكر هاتين الحركتين وتاريخهما إلا الجزم بذلك بل إن قولنا بوحدة الحركتين هو الأقرب والأمثل وأدلة ذلك

---

(١) الحور العين للحميري ص١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) مختصر التحفة للألوسي ص١٢.

(٣) فرق الشيعة للنوبختي ص٦٠ ـ ٦١.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٨١.

كثيرة جداً نقتصر منها على جانبين :

الجانب الأول:

التشابه التام بين العقائد والأفكار لكل منهما . فالخطابية ابتدعوا عقيدة الإمام الصامت والإمام الناطق وقالوا إن الناطق هو محمد ﷺ والصامت علي بن أبي طالب[١] . وهي عقيدة اختصت بها الاسماعيلية .

كما أن من آراء الخطابية التي جهروا بها دعوى النبوة للأئمة وهي عقيدة ثابتة عند الاسماعيليين لا سيما في إمامهم محمد بن اسماعيل الذي يعتبرونه بمنزلة أولي العزم من الرسل كما هو مدون في كتب الحقيقة لديهم[٢] .

أما دعوى الألوهية لأئمتهم وزعمائهم فإن الخطابية في مرحلتها الأخيرة ـ كما بينا ـ ادعوا ألوهية جعفر وألوهية أبي الخطاب والاسماعيلية كانوا يعتقدون في إمامهم محمد بن اسماعيل مثل هذه العقيدة . ويوضح الإمام ابن حزم اتفاق الخطابية والاسماعيلية في ذلك بقوله : «إن غلالة الشيعة قسمان قسم أوجب النبوة بعد النبي ﷺ لغيره . وقسم أوجب الإلهية لغير الله ومن القسم الثاني الاسماعيلية الذين ألهوا محمد بن اسماعيل والخطابية الذين ألهوا أبا الخطاب»[٣] .

كما أن أصول التأويل الاسماعيلي لآيات القرآن من المبادئ التي استخدمتها الخطابية للتدليل على بعض مزعمهم وأكاذيبهم[٤] .

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص٧٧، أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٠١ ، دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد السعيد ص٢٢ .

(٢) انظر كتاب الحقائق الخفية للأعظمي ص١٢٦ .

(٣) الفصل لابن حزم ٤/ ١٨٣ ـ ١٨٧ .

(٤) ومن الأمثلة على ذلك تأويلهم الباطني لقوله تعالى عن أصحاب الكهف ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها** ﴾ فإنهم يقولون إن السفينة أبو الخطاب وإن المساكين أصحابه وإن الملك الذي وراءهم عيسى بن موسى وهو الذي قتل أبا الخطاب وإن أبا عبد الله أراد أن يصيبنا بلعنه إيانا في الظاهر وفي الباطن عنا ـ بمعنى أراد ـ أضدادنا ومن خالفنا .
المقالات والفرق للقمي ص٥٤ ـ ٥٥ .
وذكر القمي نماذج كثيرة من تأويلهم الباطني كالاسماعيلية تماماً . انظر ص٥٦ ـ ٥٩ المقالات والفرق .

وقد بين ذلك ابن حزم والأشعري والشهرستاني[١].

ولذا يقول النشار: «ولا شك أن الكثير من أصول الخطابية قد دخلت في عقائد الاسماعيلية فيما بعد ولكن تم هذا بعد مقتل أبي الخطا ب واعتناق كثير من أتباعه للاسماعيلية في عهد عبدالله بن ميمون القداح»[٢].

كما يقول برنارد لويس: «إن ما ذكره أهل السنة من عقائد الخطابية يؤيد ما ذهب إليه النوبختي في وحدة هاتين الحركتين ومن ذلك عقيدة الإمام الصامت والناطق التي اختصت بها الاسماعيلية وكذلك طريقة التأويل الاسماعيلي الذي استخدمته الخطابية لنشر مبادئها وعقيدتها»[٣].

كما يقول إحسان ظهير بعد نقله لمجموعة من معتقدات الخطابية: «وهذه كلها نصوص خطيرة تنبئ وتخبر عن علاقة الاسماعيلية بأبي الخطاب بوساطة ميمون القداح وابنه عبدالله كما تزيل اللثام عن العقائد التي بثتها الخطابية بفروعها المختلفة وهي عين العقائد التي اعتنقها الاسماعيلية وتولت نشرها بين الناس»[٤].

بل إن بعض الكتاب المعاصرين يرى أن أبا الخطاب ودعوته أصل جميع الفرق الباطنية يقول الأمين: «سار أبو الخطاب شوطًا كبيراً ورئيسًا في أفكار الغلو فقد كان أستاذاً لكل أصحاب الفرق الباطنية بعد ذلك فهو أستاذ المفضل الجعفي الذي كان وراء محمد بن نصير في أفكاره الضالة والتي أسس عليها فرقته النصيرية. وكان أيضًا أستاذاً لاسماعيل بن جعفر ولابنه محمد وزميلاً مخلصًا لميمون القداح وابنه الذين بلوروا بشكل فعال الحركة الباطنية بثوبها الاسماعيلي التي انبعثت عنها الحركات الباطنية الأخرى كالقرامطة والدروز وإخوان الصفا والحشاشين وعندما يتحدث النوبختي عن

---

(١) الفصل لابن حزم ٤/ ١٨٧، مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص٧٧ـ٧٨، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٨٠.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار ٢/ ٣٧٦.

(٣) انظر أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٠٠ ـ ١٠١.

(٤) الاسماعيلية تاريخ وعقائد لإحسان إلهي ظهير ص٥٤.

الاسماعيلية لا يصفهم إلا بالخطابية لارتباطهما معًا في الأفكار والأهداف[1].

الجانب الثاني:

الروايات التاريخية التي تنص أو تشير إلى علاقة قوية بين الحركتين وزعمائهما. فمما أورده الكشي في كتابه معرفة الرجال رواية ملخصها نهي جعفر الصادق لأحد زعماء الخطابية عن مخالطة ابنه والتأثير عليه وعبارة الكشي هي: «قال جعفر للمفضل ابن عمر الجعفي وهو من الخطابية يا كافر يا مشرك مالك ولابين أتريد أن تقتله»[2].

ويرى النشار استناداً إلى الخلاف بين جعفر وأبي الخطاب حول صلته بابنه اسماعيل إلى أن أبا الخطاب كان من محبي اسماعيل بن جعفر وكان جعفر يكره صلات ابنه اسماعيل بالغلاة مما جعله يفكر في عزله عن إمامة الشيعة بعده وحينما مات اسماعيل وقتل أبو الخطاب وحدث الانقسام سرعان ما انضم الخطابية إلى محمد بن اسماعيل[3].

ويستنبط برنارد لويس من هذه الرواية ومن كنية أبي الخطاب بأبي اسماعيل أن هذا ينبئ عن صلة وثيقة بين اسماعيل والخطابيين وتبين كذلك حنق جعفر على أولئك الذين أضلوا ولده وزجوه في المروق والأخطار. ومن هذا كله نستطيع أن نستنتج مؤيدات قوية للفرضية القائلة بأن اسماعيل كان ذا صلة وثيقة بالأوساط المتطرفة والثورية التي أوجدت الفرقة المسماة باسمه وبأن عزل جعفر له كان لهذه الصلة[4].

والمصادر التاريخية التي تحدثت عن أبي الخطاب تثبت أن جميع دعاة المذهب الاسماعيلي المشهورين هم في حقيقتهم تلاميذ لأبي الخطاب فابن رزام يقول: «إن

---

(١) دراسات في الفرق والمذاهب لعبد الله الأمين ص٧٣ ـ ٧٤ وانظر كتاب الحركات الباطنية في العالم الإلام للخطيب ص٢٥ ـ ٢٦، ومن الجدير بالذكر أن أحدهما نقل من الآخر ولعل الأمين هو الناقل كما يستنبط من سنوات الطبع لكتابيهما فيحسن والحالة هذه من الأمين ذكر ذلك.

(٢) انظر دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد السعيد ص٢٢.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي للنشار ٢/ ٣١٧.

(٤) انظر أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١١٠ ـ ١١١.

الميمونية أتابع ميمون القادح كانوا تلاميذ لأبي الخطاب وحوارييه»[١].

ويذكر عطا الجويني دعاة الاسماعيلية المشهورين الذين ظهروا وعرفوا وهم ميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون الذي يعد من كبار علماء هذه الطائفة وعبدان الكاتب[٢] وظهر منهم في زمن جعفر الصادق أبو الخطاب الذي ادعىٰ ألوهية جعفر وقد قال جعفر عنه: «ملعون هو وأصحابه: «وأمثال هؤلاء كثيرون[٣].

كما يذكر ابن الأثير في تاريخه عند حديثه عن ميمون القادح أنه من أتباع وتلاميذ أبي الخطاب[٤] مع العلم أن ميمون القداح من كبار الدعاة إلىٰ مذهب الاسماعيلية ووصل إلىٰ درجة الحجة والإمام المستودع.

أما النويري فيقول: إن ميمون القداح من أصحاب أبي الخطاب وكانوا يقولون بالتأويل والباطن وبأن الحركة التي بثها ميمون وابنه كانت في جوهرها حركة أبي الخطاب نفسه»[٥].

إضافة إلىٰ ما مضىٰ فإن بعض كتب الفرق والمقالات تنص علىٰ أن الاسماعيلية هم الخطابية وأن فرقة أبي الخطاب بعد القضاء عليه أقرت بموت اسماعيل في حياة أبيه وساقوا الإمامة في ابنه محمد بن اسماعيل وولده من بعده[٦].

---

(١) المرجع السابق ص١٠٢.

(٢) ميمون وعبدالله ستتحدث عنهما بالتفصيل عند الحديث عن الباطنية وأما عبدان الكاتب فهو من كبار دعاة المذهب القرمطي بل إنه صاحب التأليف والتصنيف فيه وقد ذكر له ابن النديم جمعًا من الكتب كان آخرها البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر. وعبدان صهر حمدان قرمط زعيم القرامطة.

(٣) تاريخ جهانكشاي لعطا ملك الجويني ص١٥٩.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير.

(٥) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٠٢.

(٦) انظر كتاب المقالات والفرق للقمي ص٨١ ـ ٨٣، فرق الشيعة للنوبختي ص٨٠ وينص الدكتور محمد السعيد في كتابه دولة الاسماعيلية في إيران ص٢٠ إلىٰ أن النوبختي يذهب إلىٰ القول بوحدة الحركتين الخطابية والاسماعيلية.

كما ينص الكشي على ذلك بقوله: «إن فرقة الاسماعيلية هي الخطابية نفسها»[١].

ويقول القمي: «إن أتباع أبي الخطاب لما قتل معظمهم خرج الجماعة الباقون ممن قال بمقالة أبي الخطاب إلى محمد بن اسماعيل فقالوا بإمامته وأقاموا عليها»[٢].

ويؤكد كاتب شيعي معاصر هذه الحقيقة ببراعة واستنباط جيد من نصوص سلفه ـ كالقمي والنوبختي ـ قائلاً: «وبإضافة الإمامة إلى محمد بن اسماعيل بدأت الاسماعيلية الباطنية وليست هذه التسمية إلا اصطلاحًا جديداً وهي ـ في الواقع ـ تنطبق على فرق الغلاة الذين شتتهم المنصور أولاً ثم المهدي بعده فانصب أنصار أبي الخطاب وأتباعه في هذه الفرقة الجديدة التي دبت فيها الحياة فقالت فرقة منهم: إن روح جعفر بن محمد حلت في أبي الخطاب ثم تحولت بعد غيبة أبي الخطاب في محمد بن اسماعيل بن جعفر ثم ساقوا الإمامة في ولد محمد بن اسماعيل[٣].

وحينما نقلب النظر في مصادر الاسماعيلية فإننا نجد ذكر لأبي الخطاب ومنزلته عندهم في كتاب سري مقدس عند الاسماعيليين واسمه «أم الكتب» وهذا الكتاب يجعل لأبي الخطاب مقامًا خطيراً في هذه الحركة فيعتبره مؤسس المذهب الاسماعيلي ويقرنه بالصحابي سلمان رضي الله عنه في عظيم أهميته وعبارته في ذلك واضحة صريحة إذ يقول: «إن المذهب الاسماعيلي هو ما أوجدته ذرية أبي الخطاب ـ أي أتباعه ـ الذين شروا أنفسهم بحب أحفاد جعفر الصادق واسماعيل لكي يبقى مذهبهم ويدوم»[٤].

---

(١) معرفة الرجال للكشي ص١٨٩.

(٢) المقالات والفرق للقمي ص٨٣.

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي ص١٩٦.

(٤) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٠٤، الاسماعيلية لإحسان إلهي ص٥٤ ـ ٥٥.

كذلك ذكر الداعي الاسماعيلي أبو حاتم الرازي: «أن أبا الخطاب كان يقول بإمامة اسماعيل بن جعفر»[1].

ومن خلال ما قدمنا من نصوص وأدلة ومقارنة بين معتقدات الفرقتين الخطابية والاسماعيلية نصل إلى النتائج التالية:

(١) إن الحركة الخطابية فرقة من فرق الشيعة جاهرت بالغلو وسلكت مسلكًا ذا طابع باطني خاص ولا سيما في تأويل الآيات القرآنية.

(٢) نتج من ذلك ظهور الاسماعيلية بعدها بالغلو والنهج الباطني وهي بذلك تعتبر قاعدة أساسية للحركة الاسماعيلية بعدها.

(٣) إن الاسماعيلية استوعبت واستفادت من الخطابية أمرين أساسيين كان لهما الأثر في ظهور وانتشار طائفة الاسماعيلية:

أولهما: مباديء ومعتقدات الخطابية التي جاهروا بها ومن ثم قضي عليهم بسببها فتلقفها الاسماعيليون ودعوا إليها بأسلوب السرية والباطن وظهرت بعد ذلك في فترة تمكنهم وقوتهم.

ثانيهما: اتباع أبي الخطاب وتلاميذه الذين انضموا إلى اسماعيل ودعوا إلى إمامته بعد وفاة أبي الخطاب وأصبحوا بعد ذلك المؤسسين الحقيقيين لمذهب الاسماعيلية بزعامة اسماعيل.

فالاسماعيلية بهذين الأمرين تكون قد استوعبت جميع مباديء الخطابية وبالتالي ضمت جميع أتباع أبي الخطاب إليها وأصبحوا بعد ذلك اسماعيليون دعوة وعقيدة واتباعًا.

(٤) وأخيراً أرى بل أجزم ـ بحكم المصادر التي قدمنا ـ بأن المؤسس الأول لمذهب الاسماعيلية هو أبو الخطاب واسماعيل متعاونين لكن غلو الأول وافتضاحه أمام الملأ سرعان ما قضى عليه وحل محله صاحبه اسماعيل بن جعفر وبالتالي توجه الاتباع

---

(١) الزينة للرازي ضمن كتاب الغلو للسامرائي ص٢٨٩.

والتلاميذ من الخطابية إلى القول بإمامة اسماعيل فأصبح الخطابية هم الاسماعيلية الخالصة[١].

وأما ميمون القداح فإنه ـ كما يقول إحسان إلهي ـ أحد الخطابيين أو ممن هضم آراء الخطابية وتبناها كاملة مع دهائه ومكره ويقظته وبعد نظره ومحافظته على سره حيث استطاع أن يبقي نفسه في حاشية جعفر بن الباقر تلميذاً مجتهداً وخادماً مخلصاً كما كان لأبيه محمد الباقر أيامه حتى استطاع أن يكون هو وابنه عبدالله بن ميمون كفلين لابن جعفر اسماعيل وابنه محمد بن اسماعيل عكس أبي الخطاب فإنه تجاهر بالقول حتى تبرأ منه جعفر ولعنه على رؤوس الأشهاد[٢].

وخلاصة القول فإن حركة أبي الخطاب في ظاهرها فرقة شيعية غالية تتسمى بالخطابية وفي حقيقتها وباطنها فرقة باطنية اسماعيلية غذت الحركة الاسماعيلية وأسستها في الستر والخفاء ومن ثم ساعدتها ودفعتها للظهور إلى عالم الأحداث فيما بعد تحت اسم جديد هو الاسماعيلية وزعيم آخر هو اسماعيل بن جعفر.

(٢) حركة الباطنية.

(أ) تعريفها وبدايتها:

لفظ الباطنية مأخوذ من بطن خفي فهو باطن جمعه بواطن واستبطن أمره وقف على دخلته والبطانة بالكسر السريرة والباطن داخل كل شيء ومن الأرض ما غمض[٣].

---

(١) يطلق بعض علماء الفرق على فرع من فروع الاسماعيلية بالاسماعيلية الخالصة وهذا تمييزاً لهم عن القائلين بموت اسماعيل في حياة أبيه من الاسماعيليين أنفسهم. فإن الاسماعيلية الخالصة هم الذين لم يقروا بموت اسماعيل في حياة أبيه وما حصل من أشهاد والده جعفر على موت ابنه اسماعيل إنما كان على جهة التلبيس لأنه خاف عليه فغيبه عنهم وزعموا أن اسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض وهؤلاء هم الاسماعيلية الخالصة.
انظر فرق الشيعة للنوبختي ص٧٩، المقالات والفرق للقمي ص٨٠.

(٢) الاسماعيلية تاريخ وعقائد لإحسان إلهي ظهير ص٥٥.

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي ٤/ ٢٠٢.

وسمي الباطنية بذلك الاسم لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر[1].

ومما قال الشهرستاني عن سبب تلقيب الباطنية بهذا اللقب: «إنه لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا ولكل تنزيل تأويلاً»[2].

والباطنية اصطلاح عام يطلق على جمع من الطوائف المتعددة والمذاهب المتشعبة وبينها قاسم مشترك هو الاعتقاد بالظاهر والباطن وتأويل النصوص الظاهرة إلى معان باطنية اختصوا بها وزعموا معرفتها دون سواهم. وبهذا فالباطنية ليست فرقة واحدة معينة وإنما هي وصف مشترك لكل من يعتقد بالظاهر والباطن ويندرج تحت هذا فرق متعددة.

أما بدايتها: فيزعم أحد الباطنيين المعاصرين أنها ابتدأت مع الرسالة الإسلامية ومع بعثة الرسول ﷺ وعن ذلك يقول: «ولعل الحدث التاريخي الهام الذي بلغت فيه الفكرة الباطنية حد الوضوح الكامل من حيث الشكل والمبنى يعود إلى بعث النبي الهادي محمد ﷺ رسولاً إلى العالمين».

ويرى عطا ملك الجويني أن ظهور الباطنية إنما كان في صدر الإسلام وبعد أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم يقول «وفي صدر الإسلام بعد أيام الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين[3] ظهر من بين المسلمين جماعة لم تأتلف ضمائرهم مع دين الإسلام فقد رسخت عصبية المجوس في قلوب هذه الطائفة ولكي يشيعوا بين الناس الشك والضلال أذاعوا أقوالاً مؤداها أن لظاهر الشريعة باطنًا ستر على أكثر الناس ودعموا هذه الأباطيل بالأقوال التي وصلت إلهم عن فلاسفة اليونان كما اقتبسوا

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص١١ ـ ١٢.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢.

(٣) كذا ورد في الأصل والأولى بالنسبة للصحابة هو الترضي أما الصلاة والسلام فهو دعاء خاص بالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. [ويجوز الصلاة والسلام تبعًا لذكر الأنبياء بمعنى أنه إذا ذكر بعض الصحابة ثم ذكر الرسول فيجوز الصلاة والسلام على الجميع، وقد ثبت في البخاري وغيره قول النبي ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى»] [عادل].

بعض المباديء من مذاهب المجوس ولكن لا يشنع عليهم أهل الإسلام بل لكي يشيعوهم كانوا ينكرون على طوائف فرق المؤمنين إنهم لم ينصروا آل بيت الرسول صلوات الله عليهم خاصة عندما جهر بظلمهم يزيد وأتباعه[١].

أما الديلمي فيرى أن ابتداء وضع مذهب الباطنية في سنة خمسين ومائتين من الهجرة النبوية وضعه قوم من الفلاسفة والملحدة والمجوس واليهود تطابق هؤلاء على بغض الإسلام وبغض نبيه ﷺ[٢].

ويرى البغدادي والاسفراييني والسمعاني أن دعوة الباطنية ظهرت في أيام المأمون[٣] على يد حمدان قرمط وعبد الله بن ميمون القداح وأن هذه الدعوة انتشرت في زمان المعتصم[٤]. أما نشأتها وتنظيم مبادئها فعلى يد جماعة من الثوريين الملاحدة وأنهم اجتمعوا في سجن المهدي[٥]. وفي داخله نظموا الدعوة وقسموا الدنيا إلى أربعة أقاليم واختاروا أربعة من الرجال وبعثوا كل واحد منهم إلى إقليم وهؤلاء الأربعة هم أحمد بن الحسين وعبدالله بن ميمون القداح والدنداني وحمدان قرمط[٦].

---

(١) تاريخ جهانكشاي للجويني ضمن كتاب دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد السعيد جمال الدين ص١٥٠.

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٣.

(٣) هو الخليفة السابع من خلفاء بني العباس تولى الخلافة سنة ١٩٨هـ وبقي خليفة لمدة عشرين عامًا حيث توفي عام ٢١٨هـ وفي فترة خلافته قويت حركة الترجمة للكتب الفلسفية من يونانية وهندية وغيرهما كما حصل في عهده محن ومصائب كثيرة لأهل السنة والجماعة ومن أشهرها محنة وتعذيب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله وبدعة المعتزلة «القول بخلق القرآن» وغيرها من البدع.

(٤) المعتصم هو الخليفة الثامن من خلفاء بني العباس ولي الخلافة بعد وفاة أخيه المأمون عام ٢١٨هـ وبقي خليفة ثمان سنوات حيث توفي عام ٢٢٧هـ.

(٥) الخليفة الثالث من خلفاء بني العباس تولى الخلافة بعد وفاة والده أبو جعفر المنصور عام ١٥٨هـ وكان المهدي رحمه الله قويًا في حرب الزنادقة وتتبعهم حتى أنه أنشأ هيئة مهمتها تتبع الحركات السرية والباطنية ورؤوس الزنادقة والقضاء عليهم. ومن حرصه رحمه الله على محاربة الزندقة والبدع أن أوصى ابنه الهادي من بعده بتتبع الزنادقة والبطش بهم.

(٦) مخطوطة الأنساب للسمعاني ورقة ٤٤٨، والبغدادي في كتابه الفرق بين الفرق ص١٦، ٢٦٦، ٢٦٨، والاسفراييني في كتابه التبصير في الدين ص٨٣.

وهكذا ومن خلال تعدد هذه الآراء نجد أنه من المستحيل تحديد سنة بعينها لظهور حركة الباطنية لا سيما وأنها ليست فرقة واحدة بعينها وإنما هي فرق ومذاهب شتى يجمعها منطلق الاعتقاد بالظاهر والباطن كما أنها مع ذلك مذهب خفي اتخذ مؤسسوه السرية والكتمان وسيلة من وسائل الحفاظ على حياة دعاتها وما يدعون إليه وغاية ما يمكن أن نقوله: إن نشاط هذه الفئة لم يظهر بشكل منظم ومرسوم إلا على يد ميمون القداح الذي كان له دور التنظيم لهذه الفرقة وتعليم الدعاة وإرسالهم إلى أقطار متعددة[1].

(ب) فرق الباطنية:

يشترك الغزالي وابن الجوزي في ذكر ألقاب الباطنية الثمانية وهي: الباطنية والتعليمية والسبعية والقرامطة والاسماعيلية والخرمية والبابكية والمحمرة[2].

والملاحظ على هذه الألقاب أن بعضها يدل على فرق الباطنية وبعضها يدل على أصولهم ومعتقداتهم، والبعض الآخر يدل على الحركات الثورية التي تعتبر كالممهد والبداية لظهور التيار الباطني في العالم الإسلامي وتفصيل ذلك كالآتي:

فالباطنية لقب عام تشترك فيه عدة فرق وينضوي تحت لوائه طوائف متعددة القاسم المشترك بينها تأويل النصوص الشرعية عن معناها الظاهر إلى معان باطنية غير معهودة ومعروف لدى المسلمين شرعاً أو لغة أو عقلاً ومن أشهر هذه الفرق طائفتا الاسماعيلية والقرامطة وقد اقتصر ابن الجوزي والغزالي عليهما ولم يتعرضا لبقية الفرق الأخرى والسبب في ذلك ـ والله أعلم ـ أن الفرق الأخرى عندهما كالنصيرية أو الدروز إما أنها في أصلها ترجع إلى الشيعة الإمامية كالنصيرية[3] أو أنها تعتبر فرعاً من فروع إحدى

---

(١) مقدمة مشكاة الأنوار لمحمد الجنيد ص٧.

(٢) انظر فضائح الباطنية للغزالي ص١١ ـ ١٧، تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٢ ـ ١٠٦.

(٣) تعتبر النصيرية فرقة من فرق الشيعة الغلاة ولكن في أصلها ومعتقداتها ما جعل الخلاف قائم بين علماء الفرق حول ضمها إلى فرق الشيعة الاثنى عشرية أو الفرق الباطنية فمن نظر إلى مؤسسها وهو أبو شعيب محمد بن نصير النميري اعتبرها من فرق الشيعة الاثنى عشرية لأن هذا الرجل من أصحاب الحسن العسكري الإمام الحادي عشر للشيعة الإمامية بل ادعى بعد موت الحسن أنه وكيل لابن الحسن الإمام الثاني عشر أو باب له وهم يدعون الانتماء إلى الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ومن نظر إلى =

الفرق الباطنية التي ذكروها كالاسماعيلية فإن الدروز من الفرق التي انشعبت من الاسماعيلية[١].

وأما لقب التعليمية فيعبر عن أصل من أصول الباطنية والمراد منه ـ كما ذكر الغزالي ـ إبطال الرأي وإغلاق باب الاجتهاد والتعلم من الإمام المعصوم[٢].

ولقب السبعية يدل على بعض معتقداتهم عن الكون والأئمة مع تقديس هذا العدد لديهم حتى أن بعض علماء الفرق لقب بعض الاسماعيلية بالسبعية[٣].

أما لقب الخرمية والبابكية والمحمرة فإنها جميعًا ترجع إلى حركة ثورية قامت في العصر العباسي وكان قيامها سنة ٢٠١هـ ومن آثارها وأهدافها في آن واحد إنهاك وإضعاف الدولة العباسية وذلك من خلال المعارك الدامية ليتسنى للحركات الباطنية الأخرى الظهور والمقاومة وأخيراً تم القضاء عليها عام ٢٢٣هـ ولكل لقب سبب فالخرمية نسبة إلى حاصل المذهب وزبدته، والبابكية نسبة إلى بابك والمحمرة نسبة إلى لبسهم ثيابًا مصبوغة بحمرة[٤].

وبقي من هذه الألقاب لقبا القرامطة والاسماعيلية وهما فرقتان من أكبر الفرق

=باطنية هذه الفرقة ومعتقداتها واعتبارهم التأويل الباطني اعتبرها ولا شك من فرق الباطنية الكبرى والحقيقة أنهم في واقع الأمر ونهايته يعدون من غلاة الشيعة الباطنية الذين تبنوا آراء ومعتقدات منحرفة باطلة انتهت بهم إلى الخروج من الإسلام.
انظر كتاب دراسة عن الفرق لأحمد محمد جلي ص٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(١) فرقة الدروز طائفة من طوائف الباطنية في أصلها ترجع إلى الاسماعيلية وقد تكونت هذه الفرقة بعد موت الحاكم العبيدي سنة ٤١١هـ أما بدايتها وأساسها فهو اعتقاد ألوهية الحاكم عام ٤٠٨هـ ومعظم أصولهم ومعتقداتهم في حقيقتها اسماعيلية فمنهم نشأوا وبأئمتهم اعتقدوا ولذا فإن الدروز بهذا الاعتبار يرجعون إلى فرقة الاسماعيلية.

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص١٧.

(٣) اللباب لابن الأثير ١/ ٥٣١ وانظر نشأة الفكر الفلسفي ٢/ ٤٠٦، الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي ص٢٠٠.

(٤) فضائح الباطنية للغزالي ص١٤، تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٥ ـ ١٠٦، القرامطة لابن الجوزي ص٤٨.

الباطنية وأقدمها ظهوراً ونشأ بعدهما الفرقتان الأخريان وهما :

(١) النصيرية نسبة إلىٰ ابن نصير مؤسس الفرقة وظهروا في جبال الشام وسواحله وكان لابن تيمية رحمه الله مواقف جهادية معهم بالسيف والقلم ولا زالت الفرقة موجودة إلىٰ يومنا هذا حيث دعمهم وقواهم الاستعمار الفرنسي وبالتالي صار لهم قوة وسلطة وسماهم بالعلويين[١] .

(٢) الدروز . نسبة إلىٰ محمد بن اسماعيل الدرزي أحد المؤلهين للحاكم العبيدي وهي طائفة من طوائف الباطنية انشقت عن الاسماعيلية في عهد الحاكم واتخذت لها مبادئ في ظاهرها مخالفة لمباديء الإسماعيلية وفي حقيقتها وجوهرها موافقة ومؤيدة لها[٢] .

ولذا فإن فرق الباطنية الكبرىٰ أربع فرق هي :

(١) الاسماعيلية .

(٢) القرامطة .

(٣) النصيرية .

(٤) الدروز .

وجميع هذه الفرق تندرج تحت ستار التشيع لآل البيت ويعمها القول بالباطن . ويضيف بعض الكتاب المعاصرين[٣] فرقًا أخرىٰ للباطنية لا تزال منتشرة بين المسلمين إلىٰ يومنا هذا ولكل فرقة رأي ونصيب من التأويل الباطني وذلك كالبابية والبهائية والقاديانية . والحقيقة أن فرق الباطنية كثيرة ومتجددة ومن الصعب حصرها واعتبارها

---

(١) هامش المنتقىٰ لمحب الدين الخطيب ص٩٩، كتاب دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٥٨ .

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي لمحمد الخطيب ص١٩٩ .

(٣) كالدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون ٢/ ٢٥٣ وكالشيخ الكوثري في مقدمته علىٰ كتاب كشف أسرار الباطنية للحمادي س٨، وكالأستاذ محمد الجليند في مقدمته لكتاب مشكاة الأنوار ص٧ ويقول الدكتور الذهبي عن القاديانية : «إنها فرقة من الباطنية وهي أحدث فرقهم عهداً وأقربها ظهوراً» .

محددة ومعدودة؛ لأن لهم ـ كما يقول الشهرستاني ـ دعوة في كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان[١]. كما أن لهم فروعًا في عصرنا الحاضر تظهر لكل قوم بمظهر تقضي به البيئة التي يعشون فيها وما فرقة القرآنيين في الباكستان أو الجمهوريين في السودان أو البلاليين في الولايات المتحدة إلا نماذج واقعية على استمرار التيار الباطني على خلاف الأزمان والأمصار[٢].

وحسبنا في حصر فرق الباطنية القاعدة المشهورة عند علماء الفرق والمقالات وخلاصتها: أن القائل لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل. وإن الظاهر بمنزلة القشر والباطن بمنزلة اللب كل قائل لذلك يعتبر باطنيًا[٣].

وهناك منهج آخر لتقسيم فرق الباطنية انفرد به العلوي ـ حسب اطلاعي ـ وذلك بناء على اعتقادهم عن الظاهر والباطن يقول يحيى العلوي: إن الباطنية فرق كثيرة ولكنهم بالإضافة إلى اعتقاد الباطن فريقان:

الفريق الأول: يذهبون إلى بطلان الظواهر وأنه لا عبرة بها ولا تعويل عليها وإنما المعتمد عندهم الأمور الباطنية التي تضمنتها ظواهر الشريعة.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢.

(٢) كتب عن هذه الفرق الثلاث كتابات مبسوطة حيث أفردت كل فرقة بكتاب فالفرقة الأولى رسالة بعنوان فرقة أهل القرآن بالباكستان رسالة ماجستير في جامعة أم القرى إعداد الطالب خادم حسين إلهي بخش عام ١٤٠٠هـ، والفرقة الثانية أيضًا رسالة بعنوان فرقة الجمهوريين بالسودان رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى إعداد الطالب شوقي بشير عبدالمجيد عام ١٤٠٣هـ/ ١٤٠٤هـ، والفرقة الثالث كتاب للدكتور عبدالوهاب أبو سليمان بعنوان: منظمة الإيجا محمد الأمريكية دراسة وتحليل.
وهذه الرسائل أو الكتب ذكرت لكل فرقة طريقة في التأويل الباطني وصرف النصوص الشرعية عن معناها الظاهر مما يدل على أنها فرق باطنية أو متأثرة بالباطنية.

(٣) كالشهرستاني انظر الملل والنحل ١/ ١٩٢، والغزالي في كتابه فضائح الباطنية ص١١ ـ ١٢، والحمادي في كتابه كشف أسرار الباطنية ص١٧، وابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس ص١٠٢، والديلمي في كتابه بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٢١، والعلوي في كتابه مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار ص٦٥ ـ ٦٦، والإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ص٢٢... إلخ كتب التي تتحدث عن تأويل الفرق الباطنية.

وأما الفريق الثاني: فلا يرون إبطال ظواهر الشريعة بالكلية ويأنفون من مقالة الفريق الأول ويقولون إن ظواهر الشريعة معمول بها في ظاهرها ولها أيضًا بواطن هي سرها ولبابها فيعملون بزعمهم عليهما جميعًا[١].

ولأهمية التأويل الباطني عند فرق الباطنية جميعًا بل إنه هو السمة البارزة والقاسم المشترك لها جميعًا فلابد والحالة هذه من إفراده بالحديث مفصلاً ببيان معناه وأصله وكيف دخل على المسلمين.

(ج) التأويل الباطني:

مع تعدد الفرق الباطنية وانشقاقاتها ـ في الظاهر ـ إلى شيع وأحزاب إلا أنه يجمعها هذا التأويل الذي يكاد أن يكون مرجع العقائد الباطنية وأصولها فما من فرقة من فرقها إلا وتتكأ عليه وتستحدث أصولها ومعتقداتها من خلاله وعن طريقه ولذا أصبح فيصلاً ودلالة على فرق الباطنية ومميزاً لها من سائر الفرق الضالة الأخرى. وقد تقدم قبل قليل القاعدة التي تدل على ذلك عند علماء الفرق والمقالات.

وتعريف التأويل هو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به[٢] وإذا لم يكن اللفظ محتملاً للمعنى الذي حمل عليه ولم يبين المتأول الدليل الذي حمله على ذلك كان تأويلاً فاسداً بل تلاعبًا بالنصوص[٣].

وعرف صاحب كتاب المعجم التأويل الباطني بأنه: مشتق من الأول وهو الرجوع يقال آل إليه أي رجع. وعند علماء اللاهوت هو: تفسير الكتب المقدسة تفسيراً رمزيًا أو مجازيًا يكشف عن عانيها. وعند الباطنيين: إخراج النص من دلالته الظاهرية إلى دلالته الباطنية بطريق التأويل. فالظاهر عندهم هو الصور والأمثال المضروبة والباطن

---

(١) مشكاة الأنوار ليحيى العلوي ص٦٥ ـ ٦٦.

(٢) وهذا الشق من التعريف قاصر على مجرد تعريف التأويل بدون اعتبار كونه تأويلاً باطنيًا. أما الشق الثاني من التعريف فالمقصود منه هو التأويل الباطني.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ١٨.

هو المعاني الخفية التي لا تتجلى إلا لأهل البرهان[١].

فتأويل الباطنية يختلف عن تأويل غيرهم بأمرين:

أولهما: عدم وجود دليل يقتضي صرف اللفظ عن ظاهره.

وثانيهما: عدم وجود رابطة بين اللفظ والمعنى التأويلي الذي قصدوه مما يشعر بالتعسف والهوى والهدف الباطل ومما يمس هذا الأصل عندهم ويبينه على حقيقته الخطيرة بيان منشأ التأويل وأصله وهل هو فكر إسلامي أصيل أم فكر دخيل مستورد تسلل على حين غفلة؟ وللإجابة على ذلك فإن أحد المهتمين بالفرق والمذاهب بحثه بحثًا مؤصلاً مع تأييد ذلك بالأدلة والنصوص. يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي: إن التأويل مر بمراحل عديدة من حيث استحداثه لحين دخوله إلى المسلمين وكان ذلك على النحو الآتي:

(١) أن أول من فكر بالتأويل الرمزي المفكرون اليونانيون للتخلص من شعر هوميروس الذي أصبح نصًا ذا سلطة وكان ذلك في القرن الخامس قبل الميلاد ووسيلتهم في ذلك التفريق بين الظن والحقيقة.

(٢) انتقل التأويل الرمزي إلى اليهودية على يد فيلون[٢] اليهودي في القرن الأول الميلادي الذي يعد من أكبر ممثلي النزعة إلى التأويل في العصر القديم حيث جعل من

---

(١) انظر المعجم الفلسفي لجميل صليبا ١/ ٢٣٤.

(٢) فيلسوف يهودي عاش في مملكة مصر القديمة (الاسكندرية) وفي سنة ٤٠ بعد المسيح كان زعيمًا لبعثة يهودية أرسلت إلى جاليجولا وكانت مهمة هذه البعثة التوقف عن ملاحقة الدين اليهودي واليهود وقد تعلم التوراة المترجمة إلى اليونانية حيث أنه لم يكن على اطلاع على اللغة العبرية. وكان شديد الاطلاع على كتب الفلاسفة الكلاسيكيين كما كانت لديه معرفة كافية في الحساب وعلم الطبيعة.
انظر رسالة الباحث أحمد مغربي عن دور اليهود في الفرق الباطنية ص١٨٣ ـ١٨٤ نقلاً من دائرة المعارف اليهودية. ومما يستنبط من هذا التعريف بفيلون. أثر الفكر اليوناني وتأثره الشديد به حتى أنه ـ كما ذكر من ترجم له ـ لا يقرأ التوراة بلغتها الأصلية إنما يقرأها بترجمتها اليونانية ومن الطبيعي ـ والحالة هذه ـ إن التأويل الرمزي الموجود عند اليونان انتقل مباشرة إلى اليهودية عن طريق فيلون اليهودي دينًا واسمًا اليوناني لغة وأدبًا.

التأويل مذهبًا قائمًا برأسه ومنهجًا في الفهم.

وقد دفعه إلىٰ استحداث هذا المذهب في اليهودية الحملة التي قام بها المفكرون اليونانيون علىٰ التراة وما فيها من أساطير وقصص ساذجة وغير معقولة[١]. فاضطر فيلون إلىٰ الدفاع عن التوراة بتأويل هذه المواضع تأويلاً باطنيًا ورأىٰ أن ذلك التأويل هو روح النص المقدس وأن التفسير بالمعنىٰ الحرفي سيؤدي إلىٰ الكفر والإحالة ومن أمثلة تأويلاته الباطنية لمواضع من التوراة: الجنة أولها بملكوت الروح. وشجرة الحياة بأنها خوف الله. وشجرة المعرفة بالحكمة. والأنهار الأربعة في الجنة بأنها الفضائل الأربع الأصيلة. وهابيل التقوىٰ الخالصة من الثقافة العقلية. وقابيل هو الأناني وشيث هو الفضيلة المزودة بالحكمة وهكذا . . . إلخ تأويلاته الباطنية[٢].

وبسبب هذه الفلسفة ظهر عند اليهود طائفة تسمىٰ القبالية نسبة إلىٰ القبالة. وهو كتاب فيه التأويل الخفي للتوراة وأهم مسائله هي سرية التعاليم وإمكان فك رموز التوراة وكذلك رمزية الأعداد والحروف[٣].

(٣) من فيلون اليهودي انتقلت طريقة التأويل الباطني إلىٰ المسيحية ضد هجمات رجال الأفلاطونية المحدثة والفلسفة اليونانية. ومن أبرز المدافعين المسيحيين أوريجانس الذي تأثر بفيلون تأثرًا خاصًا وقال إن الكتاب المقدس يفسر علىٰ ثلاثة أوجه:

الأول: الرجل البسيط فهذا يكفيه جسد الكتاب المقدس.

الثاني: الرجل المتقدم في الفهم فهذا يدرك روح الكتاب المقدس.

الثالث: الكامل من الرجال وهو الذي يفهمه بالناموس النفساني الذي يطلع علىٰ الغيب.

---

(١) مما نعتقده ونجزم به أن التوراة المنزلة من الله عز وجل علىٰ نبيه موسىٰ عليه الصلاة والسلام في أصلها وبدايتها خالية من الأساطير والقصص الساذجة ولكن لما لم يحفظوها تسللت إليها هذه الأساطير والخرافات التي هي حتمًا من آثار التحريف والتبديل.

(٢) انظر مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٢/ ١٠ـ ١٢.

(٣) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ص٢١.

وتحت وطأة هجمات المنكرين اليونانيين أقر بأن في التوراة استحالات وأقر أن في الإنجيل كثيراً من القواعد الأخلاقية التي لا يمكن اتباعها حرفيًا وإزاء ذلك رأىٰ أوريجانس التفريق في نصوص الكتاب المقدس بين نوعين من الأقوال:

أقوال يمكن أن تفسر حرفيًا وأخرىٰ يجب أن تؤول باطنيًا.

وهذه النزعة إلىٰ التأويل لاقت معارضة شديدة بين المسيحيين حتىٰ أن أحدهم ألف كتابًا في خمسة مجلدات ضد الداعين إلىٰ التأويل ورغم ذلك استمر أنصار التأويل في نمو وازدهر وانتشروا في الغرب المسيحي وقعدوا له القواعد وعلىٰ رأسهم هيرونيموس الذي وضع قاعدة التأويل الشهيرة[١] ومن هذا العرض لنشوء فكرة التأويل وانتقالها من دين إلىٰ دين نصل إلىٰ الحقيقة الناصعة وهي أن الفكرة في أصلها ومنشئها وبدايتها فكرة يونانية ابتدعها فلاسفة اليونان والاغريق وحاولوا جاهدين نقل هذه الفكرة إلىٰ اليهود والنصارىٰ عن طريق فيلون اليهودي أو اوريجانس النصراني اللذين قبلاها ودعيا إليها بحكم ما في التوراة المحرفة والانجيل المحرف من أقاصيص خيالية وأساطير ساذجة.

إن كشف أصل التأويل الباطني وأنه من مخلفات الفلسفة الإغريقية لم يغب عن علمائنا الأجلاء حيث أرجعوا كل فكرة إلىٰ أصحابها وكل قول إلىٰ قائله وكل بدعة إلىٰ متبدعها وهذا هو العدل في القول. يقول ابن تيمية رحمه الله بعد ما عرض لمزاعم الباطنية والاسماعيلية عن علم الباطن وأنهم أصحابه يقول: إن أخبارهم هذه التي يتبعونها إنما هي اتباع للمتفلسفة المشائين التابعين لأرسطو ويريدون أن يجمعوا بين ما أخبر به الرسل وما يقوله هؤلاء كما فعل أصحاب رسائل إخوان الصفا[٢].

وفي موضع آخر يقول: «إن الملاحدة الباطنية ركبوا مذهبهم من قول المجوس

---

(١) انظر مذاهب الإسلاميين ٢/ ١٠ـ ١٤.

(٢) سيأتي التعريف بهم إن شاء الله في التمهيد لأصول الاسماعيلية. والنص هنا من مجموعة الفتاوىٰ ٣٥/ ١٣٣ـ ١٣٤.

واليونان مع ما أظهروه من التشيع»[١].

وفي موضع آخر يقول: «إن رسائل إخوان الصفا صنفت عند ظهور مذهب الاسماعيلية العبيديين الذين بنوا القاهرة وصنفت على مذهبهم الذي ركبوه من قول الفلاسفة اليونانة ومجوس الفرس والشيعة من أهل القبلة ولهذا قال العلماء: إن ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض»[٢].

ويقول الشهرستاني: «إن الباطنية القديمة[٣] قد خلصوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج»[٤].

ويقول عطا ملك الجويني تحت عنوان تقرير مذاهب الباطنية والاسماعيلية أنه ظهر بعد الخلفاء الراشدين جماعة لم تأتلف ضمائرهم مع دين الإسلام فقد رسخت عصبية المجوس في قلوب هذه الطائفة ولكي يشيعوا بين الناس الشك والضلال أذاعوا أقوالاً مؤداها أن لظاهر الشريعة باطنًا ستر على أكثر الناس ودعموا هذه الأباطيل بالأقوال التي وصلت إليهم عن فلاسفة اليونان كما اقتبسوا بعض المباديء من مذاهب المجوس»[٥] ولكي تكون هذه الحقيقة التي أثبتها وتوصل إليها علماء أهل السنة عن أصل التأويل الباطني مسلمة ونتائجها أكثر دقة ننقل نصوصًا باطنية من إنتاج علمائهم ومفكريهم وكما قيل من فمك أدينك. يقول أحد الباطنية عن التعريف بها: إنها مذهب خفي اتخذه أصحابه وقاء من نقمة الحانقين والغوغاء وطوروه على معان خصت بها فئة مختارة من العارفين شرعه اليونانيون القدماء وحصروا أسراره بالمطلعين من النبهاء

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/ ٣٧٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٥٨١.

(٣) مصطلح يستخدمه الشهرستاني للتمييز بين الباطنية الاسماعيلية في أول أمرهم وبين دعوة اسماعيلية فارس التي يرأسها الحسن الصباح ويسميها بالدعوة الجديدة.
انظر الملل والنحل ١/ ١٩٥.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢ - ١٩٣.

(٥) تاريخ جهانكشاي لعطا ملك الجويني ص١٥٠ ضمن كتاب دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد السعيد.

فهو منسوب إلى أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس . . . إلى أن يقول: وبعد أن طبقوا هذه المصادر الثلاثة على التعاليم الإسلامية أحاطوه بالحذر والكتمان حتى اليوم ووسيلتهم في ذلك استعمال ألفاظ واصطلاحات خاصة لا يفهم مؤداها إلا المؤتمون على الأسرار حفاظًا على سلامتهم من أهل السنة فيما يذهبون إليه وتسهيلاً لبثه دون استثاره[١].

وفي مقام التبجح والفخر يؤكد باطني آخر أصل التأويل الباطني عن طريق المدرسة اليونانية يقول عن ذلك: إن الاسماعيليين من أنجب التلاميذ الذين درسوا الفلسفة اليونانية دراسة واقعية وأخذوا منها الأفكار والنظريات وطبقوها وحوروها في مجتمعهم وليست جمهورية أفلاطون إلا أحد الكتب المفضلة القيمة التي درسوها بعناية وطبقوها بإمعان[٢].

وأخيراً ومما له مدلول أعمق أن الرسالة الباطنية المشهورة بالرسالة الجامعة ـ وهي من تأليف أحد أئمة الباطنيين ـ تحيل التأويل الباطني إلى أساسه ومصدره بصراحة واضحة وهم الحكماء والفلاسفة مع تجنب نسبته إلى أهل الديانات[٣].

وبعد ما تقدم من ثبوت التأويل الباطني وأن مصدره وأساسه فكر يوناني ومن ثم يهودي ونصراني فهم الذين ابتدعوه وأصلوه ومن ثم نشروه عند سائر الأمم وفي مختلف الديانات. يبقى بعد ذلك أن نعلم ونستكشف كيف انتقل هذا الداء والمرض العضال إلى جسم الأمة الإسلامية وفكرها مع الجزم واليقين بخلوها منه البتة ابتداء؟

وللإجابة على ذلك نقول: إن معتقدات السبأية ـ والتي فصلنا القول فيها في الباب الأول ـ فيها ما يثبت هذا الأصل ويدل عليها ويعتبر بداية لتأويل الآيات القرآنية تأويلاً باطنيًا وهو زعمه برجوع محمد ﷺ وتقريره لعقيدة الرجعة من خلال تأويله قوله

---

(١) مذهب الدروز والتوحيد لعبدالله النجار ص٢٨.

(٢) كتاب القرامطة لعارف تامر ص٨٠.

(٣) انظر الرسالة الجامعة لرسائل إخوان الصفا تحقيق مصطفى غالب ص١٨، ٢٧، ٣٦، ٣٧، ٥١.

تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ... ﴾[١] حيث أولها وفسرها برجوع محمد ﷺ إلى الدنيا مرة أخرى. يقول الطبري بعد ذكره هذه العقيدة واستدلال ابن سبأ عليها: فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها[٢]. وعن تبني ابن سبأ للتأويل يقول البغدادي: ودلس ضلالته في تأويلاته[٣]. ومن جانب آخر في معتقدات السبأية ما ادعاه ابن سبأ أن عنده وعند اتباعه علم خفي لا يعرفه الناس ولم يهتدوا إليه بل إنه نسب هذا العلم الباطني إلى علي بن أبي طالب في بعض الأحيان[٤].

وذكر القاضي عبدالجبار: إن من دعاوى ابن سبأ تظاهره أمام مدعويه بأن أمير المؤمنين يستخصه ويخرج إليه بأسرار ولا يخرج بها إلى غيره وأمير المؤمنين لا يعلم[٥].

ويقول المستشرق اليهودي جولد تسيهر: وهكذا استطاع عبد الله بن سبأ وتلاميذه أن يورثوا الإسلام تركه فيلون اليهودي وذلك في محاولتهم تفسير القرآن تفسيراً رمزياً بعيداً كل البعد عن معناه الحقيقي[٦].

كما يقول أحد الكتاب المعاصرين عن محاولة ابن سبأ هذه: أنها أول تأويل لمعاني القرآن الكريم وبذلك يكون أول واضع هذا المذهب الباطني بما فيه من قول بالرجعة والذي نشأ عليه مذهب التناسخ وقالت به باقي حركات الغلو الأخرى. ثم يضيف قائلا: ونستطيع أن نقول بعد ذكر هذه العوامل أن الذين جاءوا بعد ابن سبأ ابتداء من المختار[٧] وانتهاء بأبي الخطاب كانوا يسيرون على نفس الدرب الذي وضعه لهم ابن

(١) سورة القصص: ٨٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٠.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٢٥.

(٤) انظر كتاب عبدالله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٥) تثبيت دلائل النبوة للهمذاني ص ٥٤٦ ـ ٥٤٧.

(٦) كتاب العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص١٥٦.

(٧) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي كان في أول أمره خارجيًا. ثم صار زبيريًا. ثم صار شيعيًا وكيسانيًا قال بإمامة محمد ابن الحنفية ولما وقف محمد ابن الحنفية على ترهاته وأباطيله تبرأ منه.

سبأ في تحريف وتأويل شرائع الإسلام وليس مستغربًا بعد ذلك أن تسير الباطنية الاسماعيلية على نفس هذه الطريقة المؤدية إلى تطبيق الفلسفة الأفلاطونية الحديثة على من يريد الاندماج بها[1].

ولنا بعد هذه النصوص أن نقول بجزم ويقين: إن التأويل الباطني كان بدايته وانتشاره ومن ثم تغلغله إلى مجتمع المسلمين على النحو التالي:

(١) ابتدعه فلاسفة اليونان القدامى للتحرر من قيد النصوص لديهم.

(٢) انتقل بعد ذلك إلى اليهود عن طريق فيلون اليهودي المتأثر بالفلسفة اليونانية مبررًا ذلك ـ حسب زعمه ـ بالدفاع عن نصوص التوراة.

(٣) سرى هذا الداء إلى النصرانية عن طريق أوريجانس الذي تأثر خصوصًا بفيلون وأول نصوص الإنجيل للدفاع عنها زاعمًا نفس الحجة التي ادعاها فيلون من قبله.

ومن الملاحظ إن مزعمهما ـ أن صدقًا في ذلك ـ مبنية على انحراف سابق من أنفسهم وهو تحريفهم للتوراة والإنجيل بحيث وضعوا فيهما القصص والأساطير الساذجة التي بررت لليونانيين التهجم عيهما ومحاولة تأويل بعض نصوصهما. أما كتاب الله عز وجل الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ فلا مجال فيه لشيء من تلك الدعاوى والتبريرات الزائفة البتة حيث تكفل الله بحفظه وصيانته من عبث العابثين وتحريف المحرفين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[2] فلا مكان مع ذلك ولله الحمد عند المسلمين لطاعن أو متهجم أو مؤول. ومن هنا نجد ونلمس أن دخول التأويل الباطني إلى المجتمع الإسلامي يختلف عن دخوله لدى الديانات السابقة.

(٤) حيث ينفذ في ظروف مريبة ويتدسس بخفية تحت شعارات متعددة تارة بالعلم

انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤٧ ـ ١٤٨.

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ص٣٢ ـ ٣٣.

(٢) سورة الحجر: ٩.

الخفي وتارة بخصوصيات آل البيت وتارة بالتدليل على رجعة النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب وكان ذلك على يد اليهودي ابن سبأ المتظاهر نفاقًا بالإسلام وحب آل البيت.

(٥) ثم بعد ذلك انتقل هذا الداء من السبأية إلى الفرق الغالية التي تتظاهر بالتشيع وموالاة آل البيت فما من فرقة من فرق الغلاة إلا كان التأويل الباطني وسيلة مهمة من وسائل انتشارها وذيوعها ومحاولة تبرير باطلها والتدليل عليه[1].

---

(١) إن فرق الغلاة كلهم مجمعون على القول بالتأويل الباطني وهذا ليس مصادفة بل منهج ووسيلة من وسائل هذه الفرق لنشر باطلها وتأصيل معتقداتها ومع التتبع لكتب المقالات والفرق تجد أن التأويل الباطن سمة بارزة وأصل متفق عليه عند فرق الغلو بلا استثناء وللتدليل على هذه الحقيقة نشير إلى نماذج من هذه الفرق.

فالسبأية أولوا الآيات القرآنية حسب أهوائهم ومعتقداتهم. وكما نقل عن زعيمهم ابن سبأ تأويله لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ**﴾. القصص ٨٥ بأن هذه الآية تدل على أن محمداً سيرجع إلى الحياة الدنيا وكان يقول لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدًا يرجع ويستدل بهذه الآية. والبيانية قالوا بالتأويل الباطني فأول زعيمهم بيان بن سمعان قوله تعالى: ﴿**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**﴾ آل عمران: ١٣٨ بأنه هو البيان وهو الهدى والموعظة وقال إن الله رجل من نور يفنى كله إلا وجهه مؤولا قوله تعالى: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ آخر سورة القصص.

وقال بالتأويل الباطني بعد ذلك فرقتا الهاشمية والكيسانية وهما من فرق الغلاة واشتهرا بادعاء علم الباطن والأسرار. يقول الشهرستاني عن الأولى: إنهم قالوا إن لكل ظاهر باطن ولكل شخص روح ولكل تنزيل تأويل ولكل مقال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار يجتمع في الشخص الإنساني وهو العلم الذي استأثر علي رضي الله عنه به ابنه محمد ابن الحنفية وأفضى بذلك السر من بعده إلى ابنه أبي هاشم وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقًا. الملل والنحل ١/ ١٥٠ ـ ١٥١.

وعن الثانية يقول: إنهم أصحاب كيسان يعتقدون فيه اعتقاداً فوق حده ودرجته من أحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس. المرجع السابق ص١٤٧.

سرى هذا المرض مسلسلا في فرق الغلاة حتى ظهر أبو الخطاب وجاهر به ولذا اشتهرت فرقة الخطابية فيه ومن تأويلاتهم ما زعموا بأن المراد من قوله تعالى: ﴿**يريد الله أن يخفف عنكم**﴾ النساء: ٢٨ بأنه أبو الخطاب خفف عنهم التكاليف الشرعية حيث دانوا بترك الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها.

ومن بعد الخطابية انتقل التأويل إلى فرق الباطنية التي اشتهرت به وأكثروا منه حتى لقبوا به.

وللتفصيل عن سريان هذا المرض وانتقاله من فرقة إلى أخرى ابتداء من السبأية إلى الاسماعيلية يرجع إلى كتاب الغلو والفرق الغالية ص١٥٢ ـ ١٥٥ ومن كتب المتقدمين مقالات الإسلاميين للأشعري=

(٦) كان من نتائج غلو الغلاة وآثارهم الخطيرة أن تبلورت حركة كبيرة جمعت شتاتهم وحاولت توحيد هدفهم تحت مسمى الباطنية وهي التي أصلت هذا الفكر الدخيل الوافد ووضعت له منهجًا ولذا أصبحت علمًا عليها ولقبا من ألقابها المشهورة.

يقول الإمام الغزالي عن سبب تلقيبهم بالباطنية: «وأما الباطنية فإنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشر وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة»[١].

(د) زعماء الباطنية:

إن دعوة الباطنية لم تكن عملاً فرديًا قام به شخص واحد وانتهى بنهايته وإنما كانت دعوة جماعية نشأت وظهرت بعد أن نظمت مبادؤها ونشاطها على يد جماعة الثوريين الملاحدة[٢].

وقد اشتهر من هؤلاء شخصيتان باطنيتان ـ دارت حولهما معظم الروايات التي تتحدث عن ظهور الحركة الباطنية وانتشار مبادئها ـ وهما ميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون ولذا فإن الحديث عن زعماء الباطنية إنما يكون متعلقًا بهاتين الشخصيتين لأنهما من أهم شخصيات الدعوة وأبرزها كما أنهما من ألصق الأشخاص بزعماء الاسماعيلية وأئمتها. ومن خلال ما نقله لنا علماء الفرق والمقالات عن هاتين الشخصيتين وبيان حقيقتهما[٣] نصل إلى نتائج تعطي صورة واضحة وكاشفة لحياة ميمون وابنه وما يحملانه من حقد وكراهية بل وتدمير للإسلام وأهله.

=١/ ٧٨ ـ ٧٩، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٢٧، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٨٠ وغيرها من كتب المقالات والفرق.

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص١١.

(٢) وهم ميمون القداح وابنه عبدالله وأحمد بن الحسين والدنداني. وسبق تفصيل ذلك عند الحديث عن بداية الباطنية.

(٣) يلاحظ على روايات أهل الفرق والمقالات من علماء المسلمين أنها تتحدث عن الشخصيتين معاً لما بينهما من تداخل واشتراك في المعتقدات والأهداف وسرت على هذا المنهج.

ومن أقدم الروايات ما ذكره ابن رزام ونقلها عنه ابن النديم في الفهرست قال: إن عبدالله بن ميمون ويعرف بالقداح كان من أهل قرية قريبة من الأهواز وأبوه ميمون الذي تنسب إليه الفرقة الميمونية التي اتبعت أبا الخطاب مدعي إلهية علي بن أبي طالب وكان ميمون وابنه عبدالله ديصانيين[1] وادعى الابن أنه نبي وكان يظهر الشعابيذ ويذكر أن الأرض تطوى له ويدعي علم الغيب حيث يخبر بالأحداث الكائنات في البلدان الشاسعة وكان له مرتبون في مواضع يرغبهم ويحسن إليهم ويعاونون على نواميسه وقد تنقل عبد الله فنزل عسكر مكرم ثم طرد منها فهرب إلى موضع يعرف بساباط أبي نوح وبنى له فيها دارين ولكنه افتضح أمره وفر هاربًا وصار إلى البصرة ولكنه كبس هنالك ثم هرب أخيراً إلى سلميه وبث الدعاة إلى سواد الكوفة وكان ممن أجابه إلى دعوته حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط ونصب له عبد الله بن ميمون رجلاً من ولده يكاتبه من الطالقان وذلك سنة ٢٦١هـ ثم مات عبدالله وخلفه أبناؤه حتى جاء سعيد الذي أسس الدولة الفاطمية ونشر الدعوة ولم يزل عبدالله وولده من بعده يدعون أنهم من ولد عقيل[2].

ويزيد المقريزي على ابن النديم قوله عن عبدالله بن ميمون: إنه كان أخبث من أبيه وأعلم بالحيل حيث عمل أبوابًا عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام وكان عارفًا وعالمًا بجميع الشرائع والسنن وجميع علوم المذاهب كلها فرتب ما جعله من المكر في سبع دعوات يتدرج الإنسان من واحدة إلى أخرى حتى ينتهي إلى الأخيرة فيبقى معرًا من جميع الأديان لا يعتقد غير التعطيل والإباحة ولا يرجو ثوابًا ولا يخشى عقابًا.

ويزعم أنه بهذا على هدى هو وأهل مذهبه وغيرهم ضال مغفل. وكان عبدالله بن ميمون يريد بهذا في الباطن أن يجعل المخدوعين أمة له يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة وأما في الظاهر فإنه يدعو إلى الإمام من آل البيت ليجمع الناس بهذه الحيلة.

---

(١) نسبة إلى فرقة مجوسية تسمى الديصانية وهي من فرق الثنوية القائلين بأصلين وسميت بذلك نسبة إلى مؤسسها ديصان.

(٢) الفهرست لابن النديم ص٢٣٨.

وكان يتستر بالتشيع والعلم وصار له دعاة وظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة والمكر والخديعة فثارت به الشيعة والمعتزلة وكبسوا داره ففر إلى البصرة ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازي فادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب وأنه يدعو إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ثم اشتهر خبره فطلبه العسكريون فهرب هو والحسين الأهوازي إلى سلمية من أرض الشام ليخفى أمره بها فولد له بها ابن يقال له أحمد[1].

ويشير المؤرخ ابن الأثير إلى الاتفاق بين ميمون القداح وأبو الخطاب على وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك المسلمين في دينهم ويلقب ميمون بأبي شاكر ويثبت أن له كتابًا في نصرة الزندقة واسمه الميزان ثم يذكر بعًا من معتقدات الباطنية التي تولى نشرها أبو الخطاب وميمون القداح. أما ابنه عبدالله فيقول عنه: إن أباه علمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النحلة فحذق وتقدم واتصل برجل من أصبهان يلقب بدندان وكان هذا الرجل يبغض العرب ويجمع مساويهم وقد أصبح من الدعاة إلى المذهب حيث سيره عبد الله بن ميمون إلى الأهواز والبصرة والكوفة لبث الدعوة ونشرها هنالك[2].

أما أصل أسرة القداح التي ينتمي إليها ميمون بن ديصان وابنه عبدالله فهذا مما أوضحه الباقلاني بقوله: «إن القداح جد عبيد الله كان مجوسيًا ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوي ولم يعرفه أحد من علماء النسب وكان باطنيًا خبيثًا حريصًا على إزالة ملة الإسلام وكان القداح كاذبًا ممخرقا وهو أصل دعاة القرامطة»[3].

كما يؤكد البغدادي مجوسية ميمون القداح أيضًا ويقول: «إن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة والدليل على ذلك أن زعيمهم الأول ميمون بن ديصان كان مجوسيًا من سبي الأهواز ودعا ابنه

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦/ ١٢٦.

(٣) انظر الحاكم بأمر الله لمحمد عبدالله عنان ص٥١.

عبدالله بن ميمون الناس إلىٰ دين أبيه»[١].

ومما أكده أهل السنة أيضًا صلاة القداحيين باليهود نسبًا ودينًا. يقول الحمادي: «إن عبدالله بن ميمون يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام وهو من اليهود من ولد الشلعلع بل إنه من أحبارهم وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب وكان صائغًا يخدم شيعة اسماعيل بن جعفر الصادق»[٢].

وحتىٰ علماء المعتزلة يؤكدون هذه الصلة فمما قاله الهمذاني: «إن جد القداحيين يهودي حداد كان يقيم في سلمية من أرض الشام». ثم يذكر الهمذاني مدخلاً عجيبًا تمكن هذا اليهودي من خلاله الادعاء إلىٰ آل البيت وهو: أن والدة هذا اليهودي مات عنها زوجها وتزوجت بعده برجل اسمه الحسين من آل البيت وأنه أحب هذا الولد لما فيه من ذكاء وفطنة وتولىٰ تربيته وعرفه أسرار الدعوة ورجالها وظهر كأحد أبنائه ثم ورث إدعاءاته للإمامة[٣].

ونقل ابن شداد عن جماعة من العلماء ما يثبت أن أصل الأسرة يهودي وقال إن نسبهم معروف في اليهودية»[٤].

وبناء علىٰ هذه النصوص فإن عبدالله بن ميمون ابن لرجل يهودي في نسبه وتزوجت أمه بعد وفاة زوجها بأحد الأشراف العلويين وربىٰ هذا الغلام فلما كبر ادعىٰ لنفسه نسبًا علويًا ودعا الناس إليه وأصبح أساسًا لأئمة الدولة الفاطمية وينبغي بعد ذلك تسمية هذه الدولة بالعبيدية نسبة إلىٰ مؤسسها الحقيقي بدلاً من تسميتها بالدولة الفاطمية وعلىٰ ذلك جمع من المحققين كابن تيمية[٥]

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٧.

(٢) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص١٧.

(٣) تثبيت دلائل النبوة للهمذاني ٢/ ٥٩٧.

(٤) الكامل لابن الأثير ٦/ ١٢٥.

(٥) ذكر ابن تيمية رأيه في نسبهم في عدد من المواضع وذلك كمجموع الفتاوىٰ ٤/ ١٦٢، ٣٢٠ وكذلك في ٣٥/ ١٢٠ ـ ١٢٩، ٢٨/ ٤٨٣، ٣١/ ٩٤ وفي جميع هذه المواضع يطلق عليهم العبيديين أو بني عبيد بدل الفاطميين وذلك لأنه رحمه الله ثبت لديه عدم صحة انتسابهم إلىٰ فاطمة رضي الله عنها.

والذهبي[١] وابن خلكان[٢] والباقلاني[٣] والاسفرائيني[٤] وقبلهم جميعًا الشريف العلوي الملقب بأخي محسن[٥] ومن آكد وأجمع ما نقل عن هؤلاء العلماء في هذه المسألة قول الإمام ابن تيمية: «إن جمهور الأمة تطعن في نسبهم ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود وهذا مشهور من شهادة علماء الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وأهل الحديث وأهل الكلام وعلماء النسب والعامة وغيرهم»[٦].

ومما لفت نظر أهل السنة مكانة اليهود غير المعتادة والتي تمتعوا بها إبان حكم بني

---

(١) وذلك في سفره العظيم سير أعلام النبلاء فإنه يطلق عليهم العبيديين كما يطلق على كل إمام من أئمتهم العبيدي بدل الفاطمي ابتداء من عبيد الله المهدي حتى العاضد آخرهم. وينقل أقوال المؤرخين في نسبهم ويقول بعد ذلك مرجحًا: والمحققون على أن عبيدالله دعي لا نسب له ويستدل على ذلك بحادثة ابن طباطبا مع المعز ثم يقول: وقد صنف الباقلاني وغيره من الأئمة في هتك مقالات العبيدية وبطلان نسبهم فهذا نسبهم وهذه نحلتهم.
انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٤١ ـ ٢١٥ وفي ص١٥١ بعد سرد الأقوال في نسب العبيديين وصل إلى القول: بأن في نسب عبيد الله المهدي أقوال حاصلها أنه ليس بهاشمي ولا فاطمي ثم نقل قول القاضي: أن علماء القيروان أجمعوا على أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة. ثم في ص٢١٣ نقل قول أبي شامة قوله عن الفاطميين: إنهم يدعون الشرف ونسبتهم إلى مجوسي أويهودي حتى اشتهر لهم ذلك وقيل الدولة العلوية والدولة الفاطمية وإنما هي الدولة اليهودية أن المجوسية الملحدة الباطنية.

(٢) وذلك في كتابه وفيات الأعيان ٣/ ١١٧ ـ ١١٩.

(٣) وذلك في كتابه كشف أسرار الباطنية المفقود ولكن أشار إليه عدد من العلماء ونقلوا منه وذلك كابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٢٩ وسماه كشف الأسرار وهتك الأستار والذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢١٣.

(٤) وذلك مبسوط في كتابه الأوسط حيث قال شرحنا أديان الباطنية في هذا الكتاب وهو من الكتب الثابتة ولكنه مفقود. انظر كتابه الثاني التبصير في الدين ص١٤ حيث أشار إليه وفي ص٨٣ نقل منه قوله: أن ميمون بن ديصان قصد ناحية المغرب وانتسب إلى عقيل بن أبي طالب فلما أجابته جماعة ادعى إنه من أولاد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فقبله منه جماعة من الجهال الذين لم يعلموا أن محمد بن اسماعيل خرج من الدنيا ولم يعقب وهذا شيء قد اتفق عليه النسابة.

(٥) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ٢٢.

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥/ ١٢٨.

عبيد ويقول الحمادي عن ذلك: والدليل على أن آل القداح من ولد اليهود استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم إليهم تدبير السياسة وما زالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد[١].

ولما لعبد الله بن ميمون من دور كبير في حركة الباطنية فقد اعتبره ابن الجوزي الرأس الحقيقي للباطنية وذكر بعض صفاته وادعاءاته يقول: وجعل للباطنية رأس يعرف بعبدالله بن ميمون بن عمرو ويقال: ابن ديصان القداح الأهوازي وكان مشعبذا مخرقا ومعظم مخرقته بإظهار الزهد والورع ويزعم أن الأرض تطوى له ويخبر عن الأباعد بحيلة ابتدعها حيث نظم أصحابه وبعثهم إلى الأطراف وأمرهم أن يكتبوا له ويرسلوا هذه الأخبار بواسطة الطيور ثم يحدث الناس بذلك فتقوى شبههم[٢].

ويذكر القاضي عبد الجبار حادثة الرجل الأصفهاني وفضيحته للباطنيين وأئمة العبيديين وذلك بكشف بعض أسرارهم ومن ضمنها أن عبدالله بن ميمون ومحمد بن الحسين احتالا على المسلمين وتسترا بالتشيع والدعوة إلى المهدي وحينما تمكنا من أتباعهم أظهروا تكذيب الأنبياء وتعطيل الشرائع وقتلوا المسلمين[٣].

وينفرد الطوسي ببيان صلة عبدالله بن ميمون بشخص اسمه مبارك وأن ابن ميمون اختلى به مرات وبالتالي أثر في أفكاره حتى انخدع مبارك به وحدث بأحاديث مستعجمة على لسان الأئمة اختلطت بكلام الدهريين وألفاظ الفلاسفة وبعد ذلك تفرقا للدعوة إلى مذهب الباطنية أما مبارك فقصد الكوفة. وأما عبدالله بن ميمون فأخذ يدعو الناس إلى هذا المذهب في قوهستان العراق. ويذكر الطوسي أن من صفات ابن ميمون: أنه مشعوذ ماهر حاذق[٤].

---

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) القرامطة لابن الجوزي ص٧١.

(٣) تثبيت دلائل النبوة للهمذاني ٢ / ٣٨٦.

(٤) سياسة نامة للطوسي ص٢٥٨ ـ ٢٥٩ ـ ٢٧٠.

كما ينفرد الديلمي بقوله عن ميمون القداح أنه أسلم على يد الصادق وأنه غير اسمه ولقب بالقداح ويقول عن ابنه عبدالله: أنه ادعى النبوة زمنًا طويلاً في الجبال وخراسان وكان يظهر التشيع وله صاحب يعرف بالحسين الأهوازي. وانتشرت دعوة القرامطة على يد أحد أبنائه وأن العبيديين حكام مصر يعتبرون من أولاده[١].

إن هذه النصوص غيض من فيض وقليل من كثير عن هاتين الشخصيتين الباطنيتين ونستخلص منها الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أنهما شخصيتان حقيقتان كانا لهما دور بارز في ظهور الحركة الباطنية ونشر آراء ومعتقدات الاسماعيلية وهذه حقيقة لم يخالف فيها إلا القليل حيث ذهب بعض المستشرقين وأحد المعاصرين إلى أن ميمون القداح وابنه عبدالله ما هما إلا شخصيتان أسطوريتان لا حقيقة لوجودهما ولا تعدو شهرتهما سوى أسماء مستعارة بعض الأئمة[٢].

ومع شذوذ هذا الرأي فهو بعيد عن الأدلة والواقع. وسبق أن قدمنا جمع من نصوص أهل السنة وبعض الشيعة على بيان دورهما في الدعوة إلى مذهب الباطنية والاسماعيلية وأنهما أشخاص حقيقيون قاموا بأعمال معينة وأدوار متعددة في نشر آرائهما الباطنية وحتى مصار الاسماعيلية تحدثت عنهما كأشخاص حقيقيين كان لهما الدور الكبير مع الأئمة وعن ذلك يقول صاحب زهر المعاني: وأوصى اسماعيل والده الصادق أن يقيم لولده حجبًا ومستودعا فسلمه أعني مولانا محمد بن اسماعيل إلى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسي فرباه وأخفى شخصه وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح وهو كفيل له ومستودع أمره وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد اسحاق بن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ[٣].

وبالنسبة لعبد الله بن ميمون فذكره الداعي الاسماعيلي بقوله: إنه لما قام أول

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٢٠ ـ ٢١.

(٢) القرامطة لعارف تامر ص١٠٨.

(٣) مخطوطة زهر المعاني للداعي إدريس ص٤٧.

الأئمة المستورين الثلاثة وهو عبدالله الرضي وتسلم الرتبة من والده كتم نفسه وستر حجبه وحدوده فكان حجته وحجابه عبدالله بن ميمون. . . ثم تحدث هذا الداعي بإسهاب عن هذا الإمام المستور إلى أن قال: فلما تمت مدته وتمت دعوته أقام ولده أحمد التقي وصعد إلى المقامات الشريفة التي هي في عالم الملكوت ترتقي فقام الإمام أحمد بن عبدالله التقي مقامه وهو الثاني من الخلفاء وحجته عبدالله بن ميمون[1].

إضافة إلى ذلك فقد نقل المستشرق برنارد لويس بعضاً من نصوص الاسماعيلية التي تدل دلالة واضحة وقوية على حقيقة ميمون وابنه عبدالله وأنهما شخصان حقيقيان قاما بدور كبير في نشر المذهب الاسماعيلي وخدمة أئمته[2].

والحقيقة أن هذا الرأي مما شذ به عارف تامر وأمثاله من بعض المستشرقين كايفانون. ولذا فقد رد عليه وعلى من يشاركه في رأيه كاتب اسماعيلي معاصر وبين أن هذه مزاعم لا دليل عليها وترجم لكل من ميمون القداح وابنه عبدالله واستدل على ذلك بالمصادر الاسماعيلية القديمة التي تذكر أن ميموناً من نسل سلمان الفارسي ومحمد بن اسماعيل من نسل علي بن أبي طالب[3].

وفي موضع آخر ناقش هذا الكاتب عارف تامر واعتبر رأيه أسطوره وخرافة وبين تناقضه العجيب في كتاباته ومؤلفاته التي يذكر في بعضها ميمون القداح وابنه عبدالله أكثر من مرة ويعتبرهما من الدعاة الأفذاذ والحجج الكبار للأئمة[4] وفي البعض الآخر يقول عنهما أنهما شخصيتان أسطوريتان[5] ويخلص الكتاب الاسماعيلي إلى أن رأي تامر هذا من الأساطير الخيالية التي لا تستحق الجدل والمناقشة لتفاهتها وتناقضها مع

---

(١) انظر مخطوطة زهر المعاني للداعي إدريس ورقة ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٥١ ـ ١٥٢.

(٣) أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٣٤٥، ٥٥٩، ٥٦٠.

(٤) انظر مقدمة كتاب عبقرية الفاطميين ص١٤ ـ ١٥ لعارف تامر، مقدمة كتاب الهفت والأظلة ص١٦ ـ ١٧ لعارف تامر.

(٥) كتاب القرامطة لعارف تامر ص١٠٨.

الوقائع والحقائق التاريخية التي أوردها تامر نفسه في أكثر من مناسبة تحدث فيها عن أسرة ميمون القداح[١].

الحقيقة الثانية: أن لميمون القداح وابنه عبدالله دوراً كبيراً في ظهور الحركة الباطنية والدعوة إلى مبادئها المنحرفة وقد أكد ذلك كل من البغدادي والسمعاني والحمادي والجويني وابن النديم[٢].

وحينما ترجم لهما غالب نوه بالدور الكبير الذي قام به كل منهما ومما قاله عن ميمون: أنه وضع أسس وتنظيمات الدعوة السرية ووزع الدعاة على مختلف البلدان والأقاليم . . . وعلى يده ازدهر المذهب الاسماعيلي ازدهاراً عظيماً. . . ثم يضيف قائلاً: أن الاسماعيليين يعتبرونه بحق أول من وضع أسس وتنظيمات دعوتهم[٣] ومما قاله عن عبدالله بن ميمون:

أنه من أعظم منظمي أصول المذهب الاسماعيلي ومن أهم الشخصيات العلمية الفلسفية في عصره لعب دوراً هاماً في تكوين عقائد الاسماعيلية وتنظيماتها السرية[٤].

ويصف المستشرف أرنولد نشاطه بقوله: وكان عبدالله بن ميمون هو الذي بعث في أوائل القرن التاسع الميلادي روحًا جديدة في نفوس الاسماعيلية ونشر تعاليم مذهبهم. . . وقد أنفذ دعاته في كل الجهات متنكرين في زي الصوفيين غالبًا أو في زي التجار وغير ذلك وقد مرنوا على أن يستحوذوا على عقول الناس جميعًا وأن يجذبوا جميع الطبقات إلى رئيس الدعوة الاسماعيلية وأن يستخدموا تعاليمهم عن طريق

---

(١) كتاب الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص٩٠ ـ ٩٢.

(٢) انظر بالتفصيل عن جهودهما ونشر مبادئهما الكتب الآتية الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٦٦، الأنساب للسمعاني ورقة ٤٤٨، كشف أسرار الباطنية للحمادي ص١٦، تاريخ جهانكشاي لعطا ملك الجويني ص١٥٩، الفهرست لابن النديم ص٢٧٨.

(٣) أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٥٦٠ ـ ٥٦١.

(٤) المرجع السابق ص٣٤٥.

التفاهم مع كل فرد بلغته الخاصة وعلى مقدار عقله[١].

وهكذا نجد أن نشاط الباطنية لم يظهر بشكل منظم ومرسوم إلا على يد ميمون القداح الذي أجمعت كل كتب الفرق والملل والنحل أن هذا الرجل هو المؤسس الحقيقي لهذه الطائفة حيث نظم هذه الحركة وعلم دعاتها وأرسلهم إلى الأقطار المختلفة لنشر مباديء الباطنية وتعاليمها[٢].

الحقيقة الثالثة: أن عبدالله بن ميمون فارسي أهوازي ينسب إلى الأهواز حيث موطن أسرته ولذا يقال عنه الأهوازي أما نسبته إلى مكة وتلقيبه بالمكي فهي نسبة خاطئة أوقعت بعضًا من الكتب في الخطأ والخلط بين شخصيتين متفاوتتين أهدافا وتاريخًا وعقيدة وبيان ذلك: أن بعض الكتاب المستشرقين من أمثال إيفانون وبرنارد لويس اعتبروا عبدالله بن ميمون الأهوازي سكنًا الباطني مذهبًا هو نفس عبد الله بن ميمون المكي المحدث عند الشيعة الاثنى عشرية وتابعهم على ذلك النشار حيث يقول: ومن العجب أن يأتي الذهبي في ميزان الاعتدال ـ وهو من كتب نقد الرجال ـ فيذكر عبدالله بن ميمون القداح المكي وأنه كان مولى لجعفر الصادق وأنه كان محدثًا موثوقًا به في كثير من روايات الحديث ويذكر الذهبي أسماء بعض من رووا عنه الحديث فهل حدث هذا في حياة جعفر وقبل أن يتحول الرجل من عقيدته الإمامية إلى الاسماعيلية[٣]؟

أما لويس فيقول في معرض حديثه عن الأهوازي الذي لقبه بالمكي: إنه محدث (أي الأهوازي) وأنه مولى لجعفر. ونسب هذا القول إلى الإمام الذهبي بل إن هذا المستشرق حاول أن يحسن صورة عبدالله بن ميمون عند أهل السنة وأنهم متناقضون في الحكم عليه فزعم: أن الذهبي اقتبس آراء مختلفة توثقه في رواية الحديث وتجعله حجة

---

(١) الدعوة إلى الإسلام لأرنولد ص٢٤١.

(٢) مقدمة مشكاة الأنوار للجليند ص٧.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي ٢/ ٤٠١.

وأنه ـ أي الذهبي ـ سطر أسماء أشخاص كثيرين رووا عنه[1]. ثم في آخر حديثه عن عبدالله بن ميمون يحكم على روايات أهل السنة بالاضطراب الظاهر ومنافاة أغلب الروايات[2].

أما المستشرق الروسي إيفانوف فنقل في كتابه (المؤسس المزعوم للاسماعيلية) أن عبدالله بن ميمون ورد في كتب أهل السنة من المحدثين كالذهبي وابن حجر وابن النجار ولم تنسب إليه تهمة الإلحاد[3].

والواقع أن خلطهم هذا وزعمهم يرجع إلى أمرين:

(١) المحاولة الجادة منهم لتبرئة عبدالله بن ميمون الأهوازي مما اشتهر به من الإلحاد والزندقة ونشر مذاهب الثنوية والمجوسية والباطنية وهذا واضح من قول لويس: إن كثيراً من أحكام المصادر السنية خاطئة في ميمون القداح وابنه عبدالله وأنهما كانا في مستهل حياتهما محدثين شيعيين موثقين معروفين ولم يكونا ديصانيين ثنويين أو ما شابه ذلك[4].

وأما إيفانوف فأوضح هذا الهدف بنفيه تهمة الإلحاد عن عبدالله بن ميمون ما دام أن اسمه ورد عند بعض أهل السنة ولم يصفوه بذلك. ومما اشتهر به هذا المستشرق نشر تراث الاسماعيلية وإظهار زعمائها وأئمتها بمظهر المدح والثناء فهو كما قال عنه النشار: إنه يقف دائماً بجوار الفكرة الاسماعيلية ويجعل نفسه أسيراً لها ولا يرى سواها[5].

أما النشار فيقول عن روايات أهل السنة عن عبدالله بن ميمون: أنه ينبغي أن تؤخذ

---

(١) لفضح برنارد لويس وبيان كذبه وتلبيسه ينظر كلام الذهبي وما نقله عن علماء الجرح والتعديل حول عبدالله بن ميمون في كتابه ميزان الاعتدال ٢/ ٥١٢ ومن خلاله يتضح أن الشخص الذي تحدث عنه الذهبي غير الشخص الذي قصده لويس وان اتفقا في الاسم واللقب.

(٢) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٤١، ١٤٣.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي للنشار ٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٤) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٤٩.

(٥) نشأة الفكر الفلسفي ٢/ ٣٨٢.

بحذر لأنها ـ كما زعم ـ متناقضة أو لا تدرك أن الرجل كان إماميًا ثم تحول إلىٰ العقيدة الاسماعيلية أو إلىٰ الغلاة[١].

(٢) مما ساعدهم علىٰ تأكيد هدفهم وتثبيته الذي ذكرناه آنفًا الاشتراك اللفظي لاسم كل واحد من الشخصيتين حيث أنهما يسميان بعبد الله بن ميمون القداح فهو اسم كما يبدو من لفظه ينطبق علىٰ شخص واحد وإن كان في حقيقة الأمر يطلق علىٰ شخصين والحقيقة أن الفرق بينهما واضح من جوانب متعددة:

الجانب الأول: اختلاف المنهج والفكر لكل واحد منهما فعبد الله بن ميمون القداح المكي يعتبر محدثًا عند الشيعة الإمامية ولكنه واه عند أهل السنة وجميع ما ورد في كتب الرجال عند أهل السنة إنما ينصرف إلىٰ هذا الرجل[٢]. أما عبدالله بن ميمون القداح الأهوازي فهو عند أهل السنة ثنوي باطني اسماعيلي جند نفسه لنشر الأفكار الباطنية والدعوة إليها وهذا واضح من تقرير علماء الفرق والتاريخ كالذهبي والمقريزي والنويري وابن النديم والبغدادي والاسفرائيني والحمادي[٣].

الجانب الثاني: أوضح علماء النسب فرقًا بينهما يتمثل في لقب القداحية وحينما تحدث ابن الأثير عن هذا اللقب أورد عددًا ممن لقبوا به[٤] ولدقته في التفريق بين الأشخاص الذين لقبوا به نسب الأهوازي إليه فقال القداحي» بالياء وقال إن هذه نسبة إلىٰ عبدالله بن ميمون الأهوازي الذي ينتسب إلىٰ طائفة الباطنية ونسب المكي إلىٰ هذه المهنة ولكنه قال إن لقبه «القداح» بدون ياء النسبة ثم قال إن هذا اللقب نسبة إلىٰ عبدالله

---

(١) المرجع السابق ص٣٩٩ ـ ٤٠١.

(٢) انظر علىٰ سبيل المثال ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٥١٢، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٦/ ٤٩.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٤٢ ـ ١٤٤، اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ٣٠ ـ ٣٣، وكذلك الخطط المقريزية ١/ ٣٤٨، الفهرست لابن النديم ص٣٦٤ ـ ٣٦٥، نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ١٨٩، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٧، التبصير في الدين للاسفرائيني ص٨٣ فما بعد، كشف أسرار الباطنية للحمادي ص١٦ ـ ٢٠.

(٤) هذا اللقب نسبة إلىٰ مهنة قداحة العيون وتطبيبها وجميع من يشتغل بذلك يطلق عليه هذا اللقب.

ابن ميمون القداح الذي يروي عن جعفر بن محمد بن طلحة بن عمرو وغيره المقلوبات[١].

الجانب الثالث: هناك فترة زمنية ليست بالقليلة بين حياة هذين الرجلين وهي فرق واضح بينهما تجعل من الصعب الاعتذار عن خطأ من خلط بينهما ليصل إلى اتهام أهل السنة بالتناقض في الحكم على عبدالله بن ميمون. فالمكي عاش في القرن الثاني الهجري أما الأهوازي فعاش في القرن الثالث وحينما تحدث ابن حجر العسقلاني عن رجال الطبقة الثامنة اعتبر عبدالله بن ميمون المكي من هؤلاء الطبقة وهم الذين توفوا بعد المائة وقبل المائتين[٢]. ويحدد الزركلي وفاة عبدالله هذا بعام ١٨٠هـ[٣].

أما عبدالله بن ميمون الأهوازي فقد عاش في القرن الثالث حيث ارتبطت جهوده وأعماله بأشخاص عاشوا في هذا القرن من أمثال حمدان قرمط زعيم القرامطة الذين ظهروا عام ٢٧٨هـ[٤] ودندان الشعوبي المشهور ولذا فإن أحد مؤرخي الاسماعيلية المعاصرين حينما ترجم لعبد الله بن ميمون خطأ الذين قالوا إنه عاش في القرن الثاني ونفى معاصرته لإمامي الشيعة الباقر والصادق يقول: أما ما ذكر من أن عبدالله بن ميمون عاصر الباقر والصادق في أوائل القرن الثاني الهجري فلا يعتمد عليه؛ لأن أغلب المصادر الموثوقة تشير إلى أنه عاش في القرن الثالث حتى قابل دندان بعد سنة ٢٦٥هـ للهجرة.

أما ما أورده المؤرخون عن نشأته ومولده فقد جاءت معلوماتهم وأقوالهم متضاربة متفاوتة لذا نستطيع أن نستخلص منها بأن ولادته كانت في أواخر حياة أبيه ميمون أي في نهاية القرن الثاني لا في أوائله وأن الحياة امتدت به وأصبح من المعمرين حيث مات

(١) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ٣/ ١٧ ـ ١٨.

(٢) انظر تقريب التهذيب لابن حجر مادة عبدالله.

(٣) الأعلام للزركلي ٤/ ٢٨٦.

(٤) تاريخ الأمم للطبري ٨/ ١٥٩، البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٦١.

سنة ٢٧٠هـ في سلمية ودفن فيها[1] ويحدد النسابة ابن الأثير بداية دعوته إلى بدعته بسنة عشرين ومائتين يقول: «وكانت دعوة عبيدالله بن ميمون القداحي الباطني إلى بدعته سنة عشرين ومائتين»[2].

وإذا كانت ولادته في آخر القرن الثاني الهجري وبداية دعوته في أوائل القرن الثالث ووفاته في آخر هذا القرن فكيف يستساغ أو يعقل الخلط بينه وبين المكي الذي توفي سنة ١٨٠هـ كما قدمنا.

ومن الجدير بالذكر أن في نقولاته لويس ما يشعر بتناقضه ويتضمن الرد على في نفس الوقت حيث نقل نصوصًا متعددة عن الشيعة الاثنى عشرية تتحدث عن عبدالله بن ميمون وتعتبره من رواة الأحاديث الذين رووا عن الباقر والصادق وأنه عاش في القرن الثاني الهجري[3] وهذه الأمور لا تنطبق إلا على المكي أما الأهوازي فلم يقابل الباقر والصادق بل إنه لم يولد في تلك الفترة كما سبق في نص الاسماعيلية المعاصرة مصطفى غالب.

ومما قدمنا يتضح الفرق بين عبدالله بن ميمون القداح المكي وبين عبدالله بن ميمون القداحي الأهوازي سواء من ناحية العقيدة لكل منهما أو النسبة لمكان كل واحد أو الزمن الذي عاشه أي منها. ونتيجة لعدم إدراك هذا الفرق بين المكي والأهوازي حصل خلط كثير بين هاتين الشخصيتين المتفاوتتين عقيدة وأهدافًا وزمنًا ونسبة وكانت نتيجته وقوع العديد من الكتاب في أحكام خاطئة.

الحقيقة الرابعة: أن ميمون القداح الأهوازي وابنه عبدالله مزجا بين المذاهب

---

(١) أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٣٤٧.

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ٣/ ١٨. وقد أغرب الحمادي اليماني في تاريخ ظهور عبدالله بن ميمون وبداية دعوته حيث حدد ذلك بسنة ست وسبعين ومائتين ولا يخفى ما في ذلك من مخالفة لكتب التاريخ والوقائع والأحداث التي ارتبطت بتاريخ هذا الباطني.
انظر كشف أسرار الباطنية للحمادي ص١٧.

(٣) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٤٧ ـ ١٤٨.

والديانات المتعددة وذلك من خلال دعوتهم إلى المذهب الباطني وتلك وسيلة من وسائلهم الخبيثة جذبوا فيها عددًا كبيرًا من الأتباع حتى كانت النتيجة المدهشة وهي: أن جمهورًا عظيمًا من الرجال يعتنقون مذاهب مختلفة ويعملون معًا لتحقيق غاية لا يعلمها سوى القليل منهم[١].

إن هذه الحقيقة توضح معظم روايات أهل السنة عن هذين الرجلين حيث ذكر بعضهم أنهما يهوديان ويدعوان إلى الديانة اليهودية وبعضهم قال إنهما مجوسيان ويدعوان إلى الديانة المجوسية وبعضم قال إنهما ثنويان ويدعوان إلى الديانة الثنوية. ويبدو من خلال هذه الروايات التناقض والاختلاف لكن مع عرضها مع مبدأ الشمول والاستيعاب[٢] الذي انتهجه ميمون القداح وابنه عبد الله يزول هذا التناقض وتصبح روايات أهل السنة صحيحة وتدل على حقيقة واحدة وهي: أن ميمون القداح وابنه عبدالله دعوا إلى هذه المذاهب كلها بوسيلة تستوعبها وتجمع أتباعها على مذهب واحد هو المذهب الباطني والذي يعتبر شاملاً لجميع هذه المذاهب والديانات المتعددة وحينما تحدث الغزالي عن نصب هذه البدعة وإفاضتها بين هذا المبدأ من خلال عرضه لعدة طوائف اتفقت على نشر مذهب الباطنية ومما قال: إن نقلة المقالات قاطبة اتفقوا على أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة ولكن تشاور جماعة من المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين[٣].

ومما يدل على أهمية هذا المبدأ عند الباطنية جملة وصايا لهم نقلت إلينا من نتائج مفكريهم ودعاتهم وفي رسائل إخوان الصفا ـ والتي تعتبر قاموسًا للباطنية ـ نماذج متعددة ومنها قولهم: وينبغي لإخواننا ـ أيدهم الله ـ أن لا يعادوا علمًا من العلوم أو

(١) تاريخ الجمعيات السرية لعنان ص٣٣.

(٢) مبدأ من المباديء الأساسية عند الباطنية والمراد منه أن المذهب الباطني يشمل جميع المذاهب والديانات ويستوعبها وقد اتخذوه وسيلة للدخول على كل طائفة بما يناسبها.

(٣) فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي ص١٨.

يهجروا كتاباً من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب؛ لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها(١) .

كما نقل البغدادي أيضاً وصية عبيد الله المهدي إلى أبي طاهر القرمطي نقلاً من كتابهم السياسة والبلاغ وفيها : ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن أنست منه رشداً فاكشف له الغطاء وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وأكرم الدهرية فإنهم منا ونحن منهم(٢) .

ومن وصاياهم للدعاة أيضاً ما نقله الحمادي عنهم بقوله أن يسالم الداعية في ظاهره أهل الديانات المختلفة ويريهم في بعض أحوالهم أن اليهودية والنصرانية والمجوسية والإسلام كلها معان متقاربة ودعوة واحدة وأن البلاء الذي دهم الجهال هو الاختلاف والاتكال على ظاهر النصوص دون باطنها والجهل بمعانيها وأوضاعها(٣) .

وهذه الوصايا تعتبر جزءاً لا يتجزأ من منهج ابن ميمون في الدعوة إلى مذهبه ولذا يصفه أحد المستشرقين بقوله : إنه دمج الغالبين والمغلوبين في هيئة واحدة وجمع في حظيرة واحدة جمعية سرية هائلة ذات مراتب عدة بين أحرار المفكرين وبين الغلاة من جميع الطوائف وكان يعتمد كثيراً على طلاب الفلسفة اليونانية وإليهم وحدهم استطاع أن يفضي بسره وخفى عقيدته(٤) ولما لهذا المبدأ من دور كبير في انتشار الحركة الباطنية فقد أفرده بعض الباحثين بفصل كامل ومما قال فيه : إن الدعوة الاسماعيلية استطاعت أن تؤثر في نفوس جماعات مختلفة في العنصر والدين : مزدكيين ومانويين وصابئيين وشيعة وسنة ومسيحيين ويهود من كل نوع فأنشأت بحكم الضرورة نطاقاً قوياً من مذهب الشمول في العقيدة تتقرب أحياناً من مذهب عقلي خالص(٥) .

كما يقول أحد الكتاب : إن الاسماعيليين استغلوا بعض المذاهب وذلك كالتقية

---

(١) رسائل إخوان الصفا ٤/ ٤١ ـ ٤٢ .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٨ .

(٣) كشف أسرار الباطنية للحمادي .

(٤) كتاب إخوان الصفا للدسوقي ص٢٥ .

(٥) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٩٤ .

فكانوا سنيين مع أهل السنة شيعيين مع الشيعة يهوداً مع اليهود ومسيحيين مع المسيحيين ومجوسيين مع المجوس[١] . كما يقول عنه دي بور : إن عبدالله بن ميمون استطاع أن يمزج بين أهل الإيمان وبين الزنادقة وأن يجعل منهم حزبًا يعمل على إسقاط الدولة العباسية وكان علمه أبيض اللون ؛ لأنه كان يزعم أن دينه دين النور الخالص الذي ستعرج النفوس إليه بعد مطافها على هذه الأرض[٢] .

ومن خلال ما تقدم عن الباطنية وزعمائها وتأويلها يتبين لنا أنها حركة واسعة النطاق اشتملت على العديد من الفرق والحركات الثورية .

كما يتبين لنا أيضًا أن الحركة الاسماعيلية إنتاج باطني تولى نشرها والدعوة إليها أشهرها زعماء الباطنية وكان لهم دور كبير في تربية قادة الاسماعيلية وزعمائها وزرع بذور الهدم والتخريب في فكر هؤلاء القادة والزعماء . ولا غرو والحالة هذه أن تكون الحركة الباطنية جذراً من الجذور الأساسية لحركة الاسماعيلية . ونجمل الأدلة على هذه النتيجة بالآتي :

(١) إن لزعماء الاسماعيلية وقادتهم صلة وارتباطًا بأشهر دعاة الباطنية أقل ما يقال عنها أنها صلة التلميذ بأستاذه والمتعلم بمربيه وشيخه وذلك كاسماعيل بن جعفر إمام الاسماعيلية ومن بعده ابنه محمد بن اسماعيل ثم الأئمة المستورين الذين كانوا يعتبرون ميمون القداح وابنه عبدالله من كبار الدعاة والحجج للمذهب الباطني بل إنهما في بعض الفترات اعتبرا أئمة مستودعين للإمامة كما كان لهما الدور الأكبر في تربية بعض قادة الحركات الباطنية في العراق واليمن والمغرب وذلك كحمدان قرمط زعيم القرامطة وابن حوشب كبير الدعاة الباطنيين في اليمن وأبو عبدالله الشيعي الداعي الاسماعيلي في المغرب والذي مهد في دعوته لقيام دولة العبيديين في المغرب وجميع هؤلاء وغيرهم من الدعاة ما هم إلا تلاميذ لميمون القداح أو ابنه عبدالله .

(٢) إن معتقدات الباطنية شاملة لجميع معتقدات فرق التشيع الباطني والاسماعيلية من أهم هذه الفرق وأكبرها . ومعتقداتها في حقيقة الأمر جزءاً لا يتجزأ

---

(١) الغلو والفرق الغالية للسامرائي ص١٦٨ .

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام لدى بور ص١٥٧ .

من أصول الحركة الباطنية التي حاولت استيعاب جميع المذاهب والديانات الباطلة في ذلك الوقت.

(٣) إن طائفة الاسماعيلية تعتبر من فرق الباطنية الكبرىٰ والتداخل والتشابه بينهما واضح وكثيرا ما أطلق علماء الفرق إحداهما علىٰ الأخرىٰ أو جمعوا بينهما في كثير من الحالات حتىٰ ليخيل للقاريء أن الباطنية والاسماعيلية اسمان لفرقة واحدة.

وحينما نستعرض كتب المقالات والفرق والردود ولا سيما التي تحدثت عن الباطنية وأفردتها بمؤلف خاصة نجد أنها قد جمعت بينهما واعتبرتهما في كثير من الحالات فرقة واحدة وذلك لما بينهما من صلة وتداخل واتفاق في كثير من العقائد والمنطلقات. ومن الأمثلة البارزة علىٰ ما ذكرنا أن الإمام أبو حامد الغزالي عنون كتابه بفضائح الباطنية وفي داخله الحديث مفصلاً عن الاسماعيلية والقرامطة ومعتقداتهم بل إنه اعتبر الباطنية لقبًا من ألقاب الاسماعيلية وأدمج بينهما أحيانًا وكذلك فعلىٰ الديلمي في كتابه بيان مذهب الباطنية وبطلانه والعلوي في كتابه مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار، والحقيقة أنه لولا الاختلاف الذي وقع بين فرق الباطنية كالقرامطة والنصيرية والدروز مع الاسماعيلية في بعض الجوانب لاعتبرنا أن الباطنية هي الاسماعيلية وكذلك الاسماعيلية هي الباطنية وبالتالي يكون لفظ الباطنية ولفظ الاسماعيلية اسمين يدلان علىٰ حقيقة واحدة بل فرقة واحدة.

****

الفصل الثالث
أئـمـــة الاسـمـاعـيـلـيـة

(أ) الأئمة الأوائل:

(١) اسماعيل بن جعفر.

(٢) محمد بن اسماعيل.

(١) اسماعيل بن جعفر الصادق:

اتفقت الشيعة ـ اسماعيلية كانوا أو اثنى عشرية ـ حول شخصيات الأئمة حتى جعفر الصادق فهم جميعًا يقولون بإمامة علي بن أبي طالب فالحسن فالحسين فعلي زين العابدين فمحمد الباقر فجعفر الصادق وأول خلاف نشأ بين الاسماعيلية والاثنى عشرية إنما هو حول شخصيات الأئمة ومن الأحق بالإمامة بعد موت جعفر وهذا الخلاف يعتبر من الأمور البارزة التي تميزت بها كل فرقة عن الأخرى، ولذا يقول الشهرستاني: إن الاسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثنى عشرية بإثبات الإمامة لاسماعيل بن جعفر[١].

وحول إمامته يدور خلاف كبير بين كلتا الفرقتين الكبريين من فرق الشيعة فالاثنا عشرية يقولون إن اسماعيل توفى في حياة أبيه وانتقلت الإمامة بذلك إلى أخيه موسى الكاظم. أما الاسماعيلية فيقولون إن جعفراً نص على ولده اسماعيل وجعل الوصية إليه بالإمامة؛ لأنه كان أسن ولده وآثرهم عنده[٢]. وأنكروا على من قال بموت اسماعيل في حياة أبيه وقالوا: لا يموت حتى يملك لأن أباه قد وصى له بالإمامة بعده[٣]. بل إنهم ادعوا أن جعفراً أشار إليه في حياته ودل الشيعة عليه فكانوا مجمعين

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩١.

(٢) الحور العين للحميري ص١٦٢.

(٣) انظر المقالات والفرق للقمي ص٨٠.

على أنه الإمام بعد أبيه وأن جعفراً قلده ذلك في حياته وأمرهم به[1] .

ويتفق أكثر مؤرخي الاسماعيلية على أن قصة وفاة اسماعيل في حياة أبيه إنما كانت قصة أراد بها جعفر الصادق التمويه والتعمية على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حيث كان يطارد أئمة الشيعة فخاف جعفر على ابنه وخليفته اسماعيل فادعى موته وأتى بشهود كتبوا محضراً بوفاته وختم المحضر بختم عامل المنصور على المدينة مبالغة في التمويه وأرسل ذلك المحضر إلى الخليفة العباسي الذي أظهر سروراً وارتياحاً لوفاة اسماعيل الذي كان إليه أمر إمامة الشيعة بعد أبيه ثم شوهد اسماعيل بعد ذلك بالبصرة وفي غيرها من بلاد فارس وعلى ذلك فالإمامة في نظر هؤلاء المؤرخين لم تسقط عن اسماعيل بالموت في حياة أبيه كما يقول الإمامية؛ لأنه مات بعد أبيه[2] .

وخرافة رجوع اسماعيل حيا بعد أن أشهد أبوه على موته ودفنه تعتبر من تمويهات الاسماعيلية التي رددوها في كتبهم وبالغوا في تأكيدها . يقول ادريس عماد الدين بعد أن ساق قصة موت اسماعيل واشهاد أبيه على موته ودفنه : «فلما كان بعد ذلك ظهر اسماعيل بالبصرة وأقبل الناس إليه يهروعون وهم يقولون هذا اسماعيل بن جعفر عاد حيًا إلى أن مر بشيخ زمن على دكانه من الشيعة الموالين لأبيه فقال له يا ابن بنت رسول الله خذ بيدي أخذ الله بيدك فطلع إليه ومسح على ظهره بيده المباركة فثبت ظهره وبرء من علته وشاهد الخلق ذلك وغاب عنهم»[3] .

وعن هذه الترهات والخزعبلات يقول محمد حسين : «ولعلي لا أغلو إذا قلت إن هذه القصة - أي التمويه بوفاة اسماعيل - إنما هي من القصص الخيالية التي وضعها بعض أصحاب المناقب من مؤرخي وكتاب الاسماعيلية الذين يكثرون من مثل هذه القصص في كتاباتهم ليضفوا على الأئمة الاسماعيلية مناقب وفضائل لا يقرها

---

(١) الزينة للرازي ضمن كتاب الغلو للسامرائي ص٢٨٧ .

(٢) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص١٢ - ١٣ .

(٣) مخطوطة زهر المعاني لادريس عماد الدين ص٤٧ .

عقل»[١].

ومع التتبع للكثير من المصادر التاريخية نجد أن موت اسماعيل في حياة أبيه هو الصحيح[٢]، وأن القول بغيبته أو رجوعه حيًا بعد أن مات هو من ألاعيب الاسماعيلية وضحكهم على الأغبياء ولذا يقول الاسفراييني: «إن جميع أهل التواريخ كذبوا الاسماعيلية في مقالاتهم هذه وأثبتوا موت اسماعيل قبل أبيه جعفر»[٣].

ويحدد المقريزي وفاة اسماعيل بن جعفر بعام ثمان وثلاثين ومائة[٤] على حين أن جعفر توفي عام ١٤٨هـ فكانت وفاة اسماعيل قبل وفاة أبيه بعشرة أعوام وعلى هذا تعتبر أقوال الاسماعيلية وادعاءاتهم عن بقاء اسماعيل واستمرار حياته إلى ما بعد أبيه باطلة.

ومما يسترعي الانتباه أن بعض علماء الاسماعيلية أقر بموت اسماعيل في حياة أبيه وذلك كالقاضي ابن حيون في كتابه شرح الأخبار والحامدي في مجالسه وادريس عماد الدين في كتابه عيون الأخبار وفنون الآثار. . . إلخ جمع منهم ولكنهم مع ذلك قالوا: إن جعفر لما نص عليه في حياته بقيت الإمامة في عقبه ـ أي في محمد بن اسماعيل ومن جاء بعده[٥] ـ.

أما الشيعة الإمامية فيقولون بذلك أيضًا ويستميتون في تقريره لا للحق والحقيقة وإنما ليتناسب ومعتقدهم في أن الأحق بالإمامة بعد موت جعفر الصادق إنما هو ابنه موسى الكاظم فهو الذي يستحق الإمامة لموت أخيه الأكبر اسماعيل في حياة أبيه ثم وفاة أبيهما جعفر الصادق. ولكن قولهم هذا يتناقض مع مبدأ من مبادىء الشيعة على

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص١٣.

(٢) انظر على سبيل المثال اتعاظ الحنفا ١/ ١٥، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٤٦، الحور العين للحميري ص١٦٢، العبر لابن خلدون ٤/ ٦١.

(٣) التبصير في الدين ص٢٣.

(٤) اتعاظ الحنفا ١/ ١٥.

(٥) انظر كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد لإحسان إلهي ظهير ص٦٤.

اختلاف فرقها وهو: أن الإمامة لا تكون إلا للابن الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر مع تسلسلها في الأعقاب أي من الآباء إلى الأبناء وبناء على هذا فالإمامة ثابتة لاسماعيل؛ لأنه الابن الأكبر المنصوص عليه ولا ينص الإمام على واحد من أولاده إلا بعد السماع من آبائه وبموته سواء في حياة أبيه أو بعده انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد بن اسماعيل؛ لأن النص لا يرجع القهقري وفائدته على فرض موت اسماعيل في حياة أبيه الدلالة على أن الإمامة في عقبه من بعده أي في محمد بن اسماعيل. وهذا هو ما يرد به الاسماعيلية على الإمامية في نقل الإمامة إلى موسى[١].

ويعترف أحد علماء الشيعة الإمامية في تطبيق هذه القاعدة على اختلافهم هذا ويقول: إن الإمامة لا تنتقل من أخ لأخ بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما ولا تكون إلا في الأعقاب ولم يكن لأخوي اسماعيل وهما عبدالله وموسى حق في الإمامة كما لم يكن لمحمد ابن الحنفية حق مع علي بن الحسين[٢].

ومن الجدير بالذكر أن رأي أهل السنة ورواياتهم التاريخية في موت اسماعيل في حياة أبيه إنما هو ذكر للواقع فقط بقطع النظر عن وريثه في الإمامة ومن يخلفه بعده فأهل السنة كما أنهم يبطلون ادعاءات الاسماعيلية وتمويهاتها كذلك يبطلون ادعاءات الإمامية وخرقهم لقاعدة من قواعدهم وأصولهم التي استحدثوها ويبقى بعد ذلك الحكم بخطأ وضلال الفرقتين معًا في هذه المسألة. وهناك من الشيعة الإمامية الاثنى عشرية من يعلل بطلان إمامة اسماعيل ليس بموته في حياة أبيه فحسب بل لأنه لم يكن الرجل الصالح للإمامة لأنه مطعون في سلوكه وأخلاقه من إدمان الخمر والولع بالنساء أو متهم بالمروق والزندقة من خلال مصادقته وصلته بأبي الخطاب الفاسق الملحد. وهذا هو الذي جعل والده جعفر يتبرأ منه ويعلن غضبه عليه ومن ثم طرده من الإمامة نتيجة لهذه الصلة والتأثر بأبي الخطاب والخطابية. وحينما نستعرض هذه التهم التي أثيرت حول اسماعيل نجد أن من أشدها وأخطرها عليه صلته بأبي الخطاب وانضمامهما معًا

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩١.

(٢) المقالات والفرق للقمي ص٨١.

في الدعوة إلى مذهب الخطابية ومن ثم انضمام الخطابية إلى شيعة اسماعيل بعد موت أبي الخطاب. والحقيقة التي ظهرت لي من خلال الأدلة التاريخية ثبوت هذه الصلة ومن ثم الاندماج بين هاتين الحركتين وسبق أن بينت ذلك بالتفصيل في أول هذا الفصل في الباب الثاني.

ومن واقع تاريخ الاسماعيلية فإن الإمامة انتقلت بعد اسماعيل إلى ابنه محمد بن اسماعيل الذي يلقبونه بالسابع التام حيث تم دور السبعة به[١].

وهنا لابد من وقفة تحليلية لعقيدة الاسماعيلية عن محمد بن اسماعيل وتسميته بالسابع التام. فإن جعفر الصادق يعتبر الإمام السادس بإجماع طوائف الشيعة فهل إمامة اسماعيل غير معتبرة لدى الاسماعيليين؟ وللإجابة على ذلك فإن الخلاف قائم بين الاسماعيليين أنفسهم من وفاة اسماعيل في حياة أبيه فبعضهم اعتبرها تمويهًا واستتاراً والبعض الاخر جزم بموته حقيقة في حياة أبيه وبناء على الرأي الثاني فإن إمامته لا تعدو أن تكون لتثبيت إمامة ابنه محمد بن اسماعيل فقط. أما هو فلم يتسلم شيئًا من أمر الإمامة سوى تسلسلها فقط فهو في حقيقة الأمر اسم عابر ألصقه الاسماعيليون بأنفسهم حفاظًا على تسلسل الإمامة وبالغوا في ذلك حتى أصبحت نسبتهم إليه وهذا ـ والله أعلم ـ هو ما فطن له الإمام الغزالي والإمام ابن الجوزي في تعليلهما اسم الاسماعيلية بأنه نسبة إلى إمامهم محمد بن اسماعيل الذي يزعمون أنه الإمام السابع الذي انتهت أدوار الإمامة به[٢]. ولذا لم يستطع اسماعيلي معاصر كتم هذه الحقيقة وسترها بل قال عن إمامة اسماعيل: «وتدور حولها أحاديث وروايات متناقضة ومضطربة»[٣].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢.

(٢) راجع بالتفصيل سبب تسمية الاسماعيلية بهذا الاسم ونص كلاً من الغزالي وابن الجوزي في بداية الفصل الأول من الباب الثاني.

(٣) أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٤٤٧.

(٢) محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق:

الإمام الثاني بعد أبيه على رأي بعض الاسماعيليين والإمام الأول للاسماعيليين على رأي القائلين بموت أبيه في حياة جده ويلقب بالمكتوم لأنه استتر خوفًا من العباسيين كما زعموا.

تسلم الإمامة ـ كما يقول الداعي الاسماعيلي جعفر بن منصور ـ بعد أن نص عليه والده اسماعيل حيث أوصى أن يسلم الأمر إلى ولده محمد ودعى نقباءه وخواصه وأصحابه فسلم إليه أمر الإمامة بمحضر من خاصته رغم صغر سنة؛ لأنه لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره[١].

وكان مولده سنة ١٣١هـ كما ذكر الزركلي[٢] أو سنة ١٣٢هـ كما استنتج غالب[٣]. وأيًا كان الأمر فإن وفاة اسماعيل إنما كانت عام ١٤٥هـ على رأي القائلين بوفاته في حياة أبيه فيكون عمر ابنه محمد عندئذ ثلاث عشر أو أربعة عشر عامًا وهذا إقرار واضح من الاسماعيليين بوفاة والده قبل وفاة جده أي أن اسماعيل توفى في حياة أبيه.

أما القائلون بوفاته بعد أبيه بعشر سنين أي عام ١٥٨هـ فإن محمد بن اسماعيل يكون عمره عندئذ ستة وعشرين عامًا أو سبعة وعشرين.

ومع التتبع للمصادر الاسماعيلية حول عمر إمامها محمد بن اسماعيل عند تسلمه الإمامة بعد وفاة أبيه نجد الاختلاف البين والتناقض الواضح.

(١) بعضها لا يحدد عمره بل يصفه بصغر السن فقط وهذا رأي داع الاسماعيلية أبوالخطاب في كتابه غاية المواليد حيث يقول: «إن محمد بن اسماعيل كان وقت وفاة والده اسماعيل في حد الطفولية»[٤].

---

(١) أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ص٨٢.

(٢) الأعلام للزركلي ٦/٢٥٨.

(٣) أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٤٤٧.

(٤) غاية المواليد للداعي أبو الخطاب ص٣٦ من المنتخب لإيفانوف.

(٢) والبعض الآخر يقول إن عمره عند وفاة والده وتسلمه الإمامة كان أربعة عشر عامًا وهذا قول الداعي جعفر بن منصور اليمن يقول في معرض رده على الشيعة الاثنى عشرية:

«ولم تعلموا أن اسماعيل لم يغب عن الدار حتى خلف ولدًا كاملاً وأن الأمر قد رجع إليه . . . » إلى أن يقول: «وقد كان محمدًا رجلاً كاملاً له أربع عشرة سنة وصاحب هذا العمر جائز القول مقبول الشهادة»[١].

(٣) والبعض الآخر يقول إن عمره عند وفاة والده وتسلم الإمامة ستًا وعشرين سنة. يقول الداعي إدريس عماد الدين: «وكان الإمام محمد بن اسماعيل حيث قبض أبوه ابن ستة وعشرين سنة وأخوه علي بن اسماعيل رجل بالغ الحلم له من العمر ثماني عشرة سنة فبقيا عند جدهما الإمام الصادق عليه السلام»[٢].

وفي موضع آخر يقول هذا الداعي أيضًا: ولما آن لاسماعيل الأجل تلبيسًا على الضد أوصى اسماعيل والده الصادق أن يقيم لولده حجبًا ومستودعا فسلمه ـ أعني مولانا محمد بن اسماعيل ـ إلى ميمون القداح فرباه وأخفى شخصه وهو ابن ثلاث سنين وميمون القداح كفيل له مستودع أمره[٣].

وهذا النص يدل على الرأي الأول ولكن سقته هنا لبيان التناقض والاضطراب حتى من مؤلف واحد وهنا تكبر الهفوة ويفحش الخطأ والغلط.

(٤) ويرى مؤرخ اسماعيلي أن اسماعيل توفى وابنه محمد لا زال في بطن أمه وأنه تسلم الإمامة على تلك الحال!!

يقول المرتضى في كتابه الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهار: ولد للإمام جعفر الصادق ستة أولاد ذكور وهم اسماعيل ومحمد واسحاق وعبدالله وموسى وعلي وقد

---

(١) أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ص٨١ ـ ٨٢.

(٢) عيون الأخبار لإدريس عماد الدين ص٣٥١.

(٣) زهر المعاني للمؤلف السابق ص٤٧ من المنتخب لإيفانوف.

عهد لابنه اسماعيل ومحمد واسحاق وعبدالله وموسىٰ وعلي وقد عهد لابنه اسماعيل بالإمامة علىٰ مسمع خواص شيعته الاسماعيلية حسب الناموس الإلهي وشروط الوصاية وأحكامها ومبانيها فساق الاسماعيليون الإمامة في اسماعيل وجعفر حيًا فما لبث اسماعيل بعد النص عليه بالإمامة سوىٰ زمن وجيز حتىٰ توفىٰ فترك زوجته حاملاً (بمحمد الحبيب) وقد ألقىٰ علىٰ هذا الإمام المصون وهو لا يزال في زجاجته الدرية سر الإمامة الدقيق وفيضها العذب الأنيق أمام بضعة من الدعاة والحدود[١].

إن هذه كلها نصوص اسماعيلية نطق بها حججهم ودعاتهم أظهر ما فيها الاختلاف والتباين في مسألة تاريخية واحدة تتعلق بإمامهم الأول ويا لها من بداية غامضة مضطربة. وهذا الاختلاف في هذه الصورة يشعر إلىٰ حد بعيد بأن المذهب الاسماعيلي يصاغ ويرتب حسب مقتضىٰ المقام والحال وا أجمل نعي الأستاذ إحسان إلهي عليهم هذه المعارضات الفاضحة والمناقضات القبيحة حيث يقول: «فهذه هي بعض الأقوال في عمر إمام اسماعيلي واحد الإمام الذي يعدونه سابع النطقاء ناسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه وحول إمامته حصل الخلاف بين الطوائف الشيعية وتفرقت الفرق وتكونت الاسماعيلية من الذين تمسكوا بإمامته وآمنوا بولايته. ثم الخلاف في ذلك ليس بخلاف يسير بل الخلاف في أنه لم يكن مولودًا وكان مولودًا وعمره ست وعشرون سنة وأطرف من ذلك أن كل القائلين بهذه المقولات معصومون ولا أدري كيف حجم الخطأ إذا حصل بين غير المعصومين[٢]؟

ومع هذه البداية المضطربة لإمامة محمد بن اسماعيل فإن هذا لا يمنعنا من تتبع الباطنيين في رواياتهم وأساطيرهم حول أدوار إمامته وأنها تنقسم إلىٰ دورين هما:

أولاً: دور الظهور: ويشمل الفترة الأولىٰ من حياة محمد بن اسماعيل وذلك حينما كان مقيمًا بالحجاز حيث فرق دعاته في جزائر الأرض للدعوة له ونشر المذهب

---

(١) الفلك الدوار لعبد الله المرتضىٰ ص١٢٥.

(٢) الاسماعيلية تاريخ وعقائد لإحسان إلهي ظهير ص٦٨٤.

الاسماعيلي ولكن الخليفة العباسي هارون الرشيد[1] شعر بما يقوم به في هذه الفترة فجد في مطاردته والقبض عليه وحينما علىٰ بذلك محمد بن اسماعيل دخل في الدور الثاني وهو ما يسمىٰ عند الاسماعيلية:

ثانيًا: بدور الاستتار[2]. ويتحدث أحد دعاة الاسماعيلية عن هذا الدور فيقول: «إن المصادر جميعها تتفق علىٰ أن محمد بن اسماعيل استطاع أن يخرج سرًا من المدينة ويتوغل في شرقي المملكة الإسلامية وقد ظل يتنقل من مكان إلىٰ آخر حتىٰ استقر في قرية من قرىٰ الري ونسبت إليه هذه القرية فيما بعد حيث سميت بمحمد آباد»[3].

ويرىٰ النشار أن الذي دفعه إلىٰ هذه الرحلة عدة أمور هي:

(١) اتخاذ دار هجرة وقد أصبحت هذه عقيدة عند الاسماعيلية (كما يدل عليه نص الداعي إدريس. وخلاصته أن محمد بن اسماعيل أمر دعاته بطلب دار هجرة يلجأ إليها ولما هدأ الطلب عنه سار الإمام في طلب دار هجرته)[4].

(٢) أن يكون بعيدًا عن عيون الخليفة في الحجاز فيستطيع بسهولة أن يبث دعاته.

(٣) فشله في الحجاز أمام عمه القوي موسىٰ الكاظم وأتباعه من الإمامية الذين لم يستجيبوا لمحمد بن اسماعيل كثيرًا.

(٤) كانت الحجاز مليئة بالعلماء والفقهاء في عصر العباسيين الزاهر وفي هذا الجو العلمي لم تكن دعوة محمد بن اسماعيل تجد آذانًا صاغية لاسيما أن هذه الدعوة نهجت منهجًا باطنيًا غريبًا علىٰ التفكير الإسلامي في ذلك الوقت.

---

(١) الخليفة الخامس من خلفاء بني العباس اشتهر بحب الغزو والجهاد حتىٰ أنه كان يحج عامًا ويغزو عامًا آخر، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه الهادي عام ١٧٠هـ وبقي خليفة ثلاثًا وعشرين عامًا حيث توفىٰ عام ١٩٣هـ رحمه الله.

(٢) يعتبر الاستتار عقيدة باطنية يستخدمه الاسماعيلية ويتذرعون به في الوقاية من الغير وعادة ما يكون للإمام أو حجته فإذا كان الإمام مستورًا كان حجته ظاهرًا وإذا كان الإمام ظاهرًا كان حجته مستورًا ويزعمون أنه وسيلة لوقايتهم من الخطر والقتل.

(٣) انظر أعلام الاسماعيلية لمصطفىٰ غالب ص٤٤٨، تاريخ الدعوة الاسماعيلية للمؤلف نفسه ص٩٠.

(٤) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين ص٥٢، وما بين القوسين خارج عن كلام النشار.

(٥) يبدو أن دعاة محمد بن اسماعيل قد انتشروا في شرقي المملكة الإسلامية ونشروا الدعوة هناك فذهب محمد بن اسماعيل في رحلته هذه إلى أرض زرعت له من قبل[١].

ومما ينبغي إيضاحه وبيانه أن الدعوة الاسماعيلية في المدينة أو في سائر مدن الحجاز لا وجود لها ولا أثر وهذا ما تدل عليه معظم المصادر[٢] لأن الأثر الواضح لهذه الفرقة كان في مدينة الكوفة التي اشتهرت بالفرق الشيعية الغالية ابتداء من السبأية إلى الخطابية. ويشير النوبختي إلى الكوفة باعتبارها المعقل الأولى التي ظهرت فيه الدعوة إلى محمد بن اسماعيل[٣]. وهذا ما أرجحه بل أجزم به؛ لأن الخطابية التي تعتبر أساساً وجذراً للاسماعيلية إنما نشأت وانتشرت في مدينة الكوفة وهذا ما سبق أن تحدثنا عنه بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الثاني.

ويبقى بعد ذلك مغالطة بينه ما فعله الاسماعيلي مصطفى غالب في استماتته في نفي أي صلة بين الخطابية والاسماعيلية بحجة أن الخطابية من الفرق الغالية المارقة[٤]. وليت شعري ما هو مبرر التفريق في الحكم بينهما وهما في الفكر والاتجاه سواء. وقد تساءل بعض الباحثين ـ وحق له ذلك ـ عن معنى ظهور الدعوة الاسماعيلية والعقائد الباطنية من الكوفة ومحمد بن اسماعيل لم يقم فيها بينما يقيم في المدينة المنورة عمراً طويلاً ولا نجد فيها أي أثر للدعوة الاسماعيلية؟ وأجاب عن ذلك بقوله: «إن معنى هذا بكل صراحة أنه لا علاقة لمحمد بن اسماعيل بالدعوة الباطنية الاسماعيلية بل ربما أمكن القول أنه لا يدري شيئًا عن إمامته والدعوة إليه»[٥].

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي للنشار ٢/ ٣٨٧ـ٣٨٨.

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٦٠، زهر المعاني للداعي ادريس ص٥٣، أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٤٤٨ فما بعد.

(٣) فرق الشيعة للنوبختي ص٨٢.

(٤) انظر كتابة تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص٨٦ـ٨٧.

(٥) انظر رسالة دور اليهود في الفرق الباطنية للطالب أحمد محمد مغربي ص٢٧٥.

أما وفاته فإن الاسماعيلية اختلفوا فيها كما اختلفوا في بداية إمامته وعمره حينذاك. فيرئ الداعي إدريس أن الإمام محمد بن اسماعيل ظل يتنقل من مكان إلى آخر فراراً من القبض عليه حتى استقر آخر الأمر في مدينة فرغانة وبها توفي(١).

بينما الداعي الاسماعيلي المعاصر غالب يرى أنه توفي عام ١٩٣هـ في بلاد الشام بالقرب من مدينة تدمر ودفن على رأس رابية تقع في شمال شرقي هذه المدينة وله ضريح فيها حتى الآن يعرف بضريح مولاي محمد بن علي(٢).

ويرى الاسماعيلية أن محمد بن اسماعيل خلف أبناء ظلت الإمامة مستمرة فيهم حتى ظهور عبيد الله المهدي أول أئمة دور الظهور(٣).

بينما يرى أهل السنة أن محمد بن اسماعيل مات عقيمًا ولم يعقب أحداً من الأولاد وهذه بعض أقوال علماء السنة:

يقول البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق: «إن أصحاب الأنساب ذكروا في كتبهم أن محمد بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب»(٤).

كما يقول الغزالي: «إن أهل المعرفة بالنسب أوردوا في كتاب الشجرة أن محمد بن اسماعيل مات ولا عقب له»(٥).

أما ابن الأثير النسابة فيقول: «إن الاسماعيلية ينسبون إلى محمد بن اسماعيل وفي كتاب الشجرة أنه لم يعقب»(٦).

كما يقول الحمادي: «أن آل القداح زعموا أنهم من ولد محمد بن اسماعيل بن

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار للداعي إدريس عماد الدين ص٣٥١ـ٣٥٦.

(٢) انظر كتابيَ مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص٩١، أعلام الاسماعيلية ص٤٥٠.

(٣) المرجعين السابقين بنفس الصفحات.

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٤٧.

(٥) فضائح الباطنية للغزالي ص١٦.

(٦) اللباب لابن الأثير ١/ ٥٩.

جعفر الصادق وحاشا لله ما كان لمحمد بن اسماعيل من ولد ولا عرف ذلك من الناس أحد»[١].

ويقول ابن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب بعد استعراضه ادعاءات عبيد الله المهدي: «وكل هذه دعوىٰ مفتضحة لأن محمد بن اسماعيل بن جعفر لم يكن له ولد قط يسمىٰ الحسين وهذا كذب فاحش ومثل هذا النسب لا يخفىٰ علىٰ من له أقل علم بالنسب ولا يجهل أهله إلا جاهل»[٢].

كما يقول الاسفراييني في كتابه التبصير عن انقطاع نسل محمد بن اسماعيل: «أن ميمون بن ديصان قصد ناحية المغرب وانتسب إلىٰ عقيل بن أبي طالب فلما أجابته جماعة ادعىٰ أنه من أولاد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فقبله منه جماعة من الجهال الذين لم يعلموا أن محمد بن اسماعيل بن جعفر خرج من الدنيا ولم يعقب وهذا شيء قد اتفق عليه النسابه»[٣].

إن هذه الحقيقة التي اتفق عليها أهل السنة تقطع النسب الفاطمي وتدل علىٰ أن ادعاءات الاسماعيلية ومن جاء بعدهم من نسل عبيدالله المهدي أنها ادعاءات مزيفة ولا علاقة لاسماعيل وابنه محمد بها وحقيقة حالهم كما قال ابن تيمية: «انهم ـ أي الاسماعيلية ـ ينتمون إلىٰ محمد بن اسماعيل انتماء فقط وجمهور الأمة تطعن في نسبهم ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود هذا مشهور من شهادة علماء الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وأهل الحديث وأهل الكلام وعلماء النسب والعامة وغيرهم وهذا أمر قد ذكره عامة المصنفين لأخبار الناس وأيامهم حتىٰ بعض من قد يتوقف في أمرهم كابن الأثير الموصلي في تاريخه ونحوه فإنه ذكر ما كتبه علماء المسلمين بخطوطهم في القدح في نسبهم»[٤].

ثم قال في موضع آخر: «إن من شهد لهم بصحة نسب إيمان فأقل ما في شهادته أنه

---

(١) كشف أسرار الباطنية ص١٩.

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٦١.

(٣) التبصير في الدين لأبي المظفر الاسفراييني ص٨٣.

(٤) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٣٥/١٢٨ ـ ١٣٦.

شاهد بلا علم قاف ما ليس له به علم وذلك حرام باتفاق الأمة»[١].

(ب) أئمة دور الستر بعد محمد بن اسماعيل:

حاول الاسماعيليون تغطية هذه الفترة الغامضة وإغلاق الثغرة المخلة بتسلسل إمامة أئمتهم بعد محمد بن اسماعيل فطبقوا نظرية الاستتار على عدد من أئمتهم اختلفوا في أسمائهم وألقابهم وعددهم اختلافًا كثيرًا مما يشعر بالتلفيق ومحاولة تركيب المذهب من جديد وهذه الفترة الغامضة مثار جدل ونقاش بين المؤرخين والنسابين حول فاطمية الدولة أو عبيديتها وعليها بني الخلاف الطويل بين أهل السنة والشيعة حول نسب الفاطميين أو العبيديين ونقتطف ثلاثة نصوص في وصف هذه الفترة وشدة غموضها واستتارها.

يصف الدكتور محمد كامل حسين هذه الفترة بقوله: «إنها فترة غامضة أشد الغموض حتى أن بعض مؤرخي وكتاب الاسماعيلية تحدثوا عن هذه الفترة رمزًا دون تصريح مما يجعل موضوع الحديث عن دور الستر شاقًا وعسيرًا على كل باحث في تاريخ الاسماعيلية فإن الشيعة عامة والاسماعيلية بوجه خاص اتخذوا التقية مذهبًا من مذاهبهم»[٢].

كما يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن: «إن المؤرخين لم يصلوا بعد إلى رأي قاطع عن نسب الفاطميين إلى اسماعيل بن جعفر الصادق أو إلى ابن ميمون القداح»[٣].

ويقول أحد المستشرقين المهتمين بالدراسات الاسماعيلية: «إن سلسلة الأئمة بين محمد بن اسماعيل وسعيد مهدي ما زالت مشكلة من أعقد المشاكل في التاريخ الإسلامي فالمؤرخون السنة يروون لها روايات عديدة مختلفة والاسماعيليون وغيرهم

(١) المرجع السابق ٣٥/ ١٣١.

(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص١٩.

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ص٧٩.

ممن يعترف بحق الفاطميين الشرعي لا يبدو أنهم متفقون فيما بينهم عليها»[١].

ومن أجمل ما اطلعت عليه ـ ملخصًا[٢] ـ عن أئمة الاسماعيلية المستورين وصحة نسبهم أو بطلانه ما قدمه الأستاذ أحمد جلي في ثلاثة آراء هي:

(١) أن عبيد الله المهدي ابن لرجل يهودي كان حداداً بسلميه وترملت أمه فتزوجها أحد الأشراف العلويين وربى هذا الغلام فلما كبر ادعى لنفسه نسبًا علويًا ودعا الناس إليه (وذهب إلى هذا الرأي الشريف العلوي والباقلاني وابن خلكان والذهبي)[٣] وقد استبعد الكاتب هذا الرأي لأنه محاولة لتجريح الفاطميين مع ترجيحه للرأي الثاني وهو:

(٢) وهناك رأي يبدو فيه كثير من الصدق وأوجه الصحة إذ أنه يحاول ربط الاسماعيلية بالحركات الباطنية نسبًا وفكراً ويستند إلى رواية تذهب إلى أن عبيد الله المهدي من نسل ميمون بن ديصان القداح الذي كان مولى لجعفر الصادق وكان على صلة ما ـ كما كان اسماعيل بن جعفر ـ بالخطابية.

وتقول هذه الرواية أن الذي تولى الأمر بعد ميمون ابنه عبدالله الذي ادعى النبوة وكان له نشاط واسع ودعاة منتشرون في فارس وأنحاء البصرة وخراسان وكان هو نفسه

---

(١) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٦١.

(٢) كتبت كتابات مطولة عن نسب الفاطميين لعدد من الباحثين والمؤرخين المعاصرين من بينها فصل مطول لمحمد عبدالله عنان في كتابه الحاكم بأمر الله وأسرار الدولة الفاطمية ومقال للدكتور عبدالحليم عويس في مجلة كلية العلوم الاجتماعية رقم ٦ عام ١٤٠٢هـ وقد طبع رسالة مستقلة فيما بعد. وكذلك الكاتب الأدبي عباس محمود العقاد له كتاب بعنوان فاطمة الزهراء والفاطميون تحدث عن النسب ص٧٦ ـ ١٠٨ ولا يخفى على القاريء اللبيب استماتته ومحاولته تصحيح نسبهم مع رده على الطاعنين ورميه لهم بالتحيز والمحاباة للدولة العباسية!!
كما أفرد الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه تاريخ الدولة الفاطمية بابًا عن نسب العبيديين أو الفاطميين ص٥٧ ـ ٧٩ وهو الآخر يحاول تصحيح نسبهم بدون دليل واضح مرجح ولذا يقول في ص٧٩: «ونحن لا نستطيع الجزم بأن هذه الحقائق التي أوردناها قد حلت مسألة نسب الفاطميين وأظهرت أنه يرجع إلى علي وفاطمة... إلخ».

(٣) ما بين القوسين في الهامش ص١٩٨ من كتاب دراسة عن الفرق لأحمد محمد جلي.

يتنقل من مكان إلى آخر حتى استقر به المقام في سلمية ومنها بث بعض دعاته إلى الكوفة حيث وجدت دعوته تربة صالحة إذ تبناها حمدان قرمط ونمت وأثمرت حركة القرامطة وكان عبدالله بن ميمون القادح يدعو للإمام المستور من نسل اسماعيل ولما توفى خلفه في الدعوة ابنه محمد بن عبدالله وبعد وفاة محمد حدث اختلاف حول من يلي الأمر بعده وانتهى بأن تولى الأمر سعيد بن الحسين بن عبدالله بن ميمون حفيد عبدالله بن ميمون القداح وسعيد هذا هو الذي تقمص شخصية عبيد الله المهدي وأطلقها على نفسه وادعى الانتساب إلى محمد بن اسماعيل وانتقل من سلمية إلى اليمن ومنها إلى مصر وشمال افريقية حيث سبقته الدعوة هناك ونجح في تأسيس الدولة الفاطمية في واقع الأمر . . . وبناء على هذا الرأي فإن أئمة الدولة الفاطمية ينحدرون من سلالة ميمون القداح ولا صلة لهم بمحمد بن اسماعيل ونسل فاطمة وينبغي من ثم تسمية هذه الدولة بالدولة العبيدية نسبة إلى مؤسسة عبيد الله المهدي بدلاً من تسميتها بالدولة الفاطمية.

(٣) ويذهب رأي آخر إلى الإقرار بأن عبيد الله المهدي من نسل ميمون القداح وأنه لا صلة له بسلالة محمد بن اسماعيل ولكن من أتى بعده من الخلفاء ينتمون إلى سلالة محمد بن اسماعيل.

ويحاول أصحاب هذا الرأي إثبات ذلك في ضوء نظريات الاسماعيلية حول التبني الروحي ومبدأ الإمام المستقر والمستودع إذ أن الاسماعيلية يؤمنون بمبدأ التبني الروحي وحينما يقولون إن فلانًا ابن فلان يقصدون بنوته الروحية لا الجسمانية. كما يقولون إن فلانًا أبو فلان ويقصدون الناحية الروحانية وعليه فإن انتماء أبناء ميمون القداح ومنهم عبيدالله المهدي إلى بيت اسماعيل إنما هو انتماء روحي. كما يعتقد الاسماعيلية أيضًا أن هناك أئمة استيداع يقومون بحمل الوديعة (الإمامة) دون نقلها إلى سواهم من سلالتهم ويميزون بين الإمام المستودع الذي يتسلم الإمامة لظروف استثنائية ولا يحق له توريثها لأحد من ولده وبين الإمام المستقر الذي له الحق في توريث الإمامة لولده وصاحب النص على الإمام الذي يأتي بعده. وبناء على هذه النظرية فإن ميمون القداح وسلالته من بعده كانوا أئمة استيداع فكان سعيد بن الحسين إمامًا مستودعًا حمل

الوديعة من الإمام الحسين ليحفظها ثم ينقلها إلىٰ ابنه القائم. وتؤيد الكتب الباطنية الاسماعيلية هذا الرأي إذ تذهب إلىٰ أن عبيد الله المهدي لم يكن الإمام المستور الحسين ابن أحمد كما لم يكن القائم ابنًا لعبيد الله المهدي وإنما كان ابن الإمام المستور الحسين بن أحمد وإن المهدي حمل الوديعة ـ الإمامة ـ من الإمام الحسين بن أحمد وردها عند وفاته إلىٰ ابنه القائم أول خليفة فاطمي من سلالة علي الحقيقيين. ويقول صاحب كتاب غاية المواليد: إنه لما ظهر النور باليمن وبلاد المغرب سار ولي الله في أرضه علي بن الحسين يريد بلاد المغرب حتىٰ كان في بعض الطريق فأظهر الغيبة واستخلف حجته سعيداً الملقب بالمهدي فلما حضرت المهدي النقلة سلم الوديعة إلىٰ مستقرها وتسلمها محمد بن علي القائم وجرت الإمامة في عقبه. وهذا التفسير يحل مشكلة نسب الفاطميين ويثبت أن أئمة الدولة الفاطمية علويون نسبًا ما عدا مؤسس الدولة عبيدالله المهدي فإنه ينتمي إلىٰ سلالة ميمون القداح[1].

أنه حينما ننظر إلىٰ هذه الآراء الثلاثة ونحاول أن نرجح رأيًا واحداً بالأدلة فإننا نجد من حيث النتيجة أن لا فرق بين الأول والثاني منها فكلاهما ـ كما هو ظاهر ـ يطعن في نسب الفاطميين ويثبت أنهم عبيديون إلا أن الأول يرجعهم إلىٰ النسب اليهودي والثاني يرجعهم إلىٰ النسب القداحي. وبناء علىٰ ذلك فإن أصحاب الرأي الأول والثاني متفقون علىٰ الطعن في نسبهم وقطع الصلة بينهم وبين آل البيت وهو ما يترجح لدي من خلال الإجماع الذي نقله ابن تيمية عن جميع المذاهب كما نقلنا سابقًا[2] ومن خلال النصوص الكثيرة التي تثبت انقطاع نسل محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق التي نقلناها قبل بضع صفحات موثقة من مصادرها[3]. ولا يغيبن عن البال الحدث

---

(١) كتاب دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين لأحمد محمد جلي ص١٩٨ ـ ٢٠١ ورجع في تلخيصه هذا إلىٰ الكتب الآتية: تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم ص٥٩ ـ ٦٥، كتاب أصول الاسماعيلية للويس ص٨٦ وما بعدها، كتاب الينابيع للسجستاني ص٢٥، كتاب عبيدالله المهدي لحسن ابراهيم ص٨١، كتاب غاية المواليد نقلاً عن كتاب عبيدالله المهدي ص٨٢.

(٢) راجع الرسالة ص٣٢٤ـ٣٢٦.

(٣) راجع الرسالة ص٣٢٥.

التاريخي ذو المدلول الدقيق وهو أن أول من شكك في عبيد الله المهدي ونسبه داعياه أبو عبدالله الشيعي وأخوه أبو العباس اللذان هيأ له قيام الدولة العبيدية ولكنه قضى عليهما بعد أن ظهر أمره وتسلم الإمامة وهما بالطبع سابقان لطعن العباسيين وأهل السنة في نسبه[1].

وأخيراً يقول أحد علماء الأشاعرة المتأخرين: «إن جمهور أهل العلم مجمعون على أن مؤسس الدولة الفاطمية ليس ثابت النسب عمن انتمى إليه بل هو سليل ميمون القداح على ما هو معروف منذ نشأتهم كما يظهر من كلام أبي عبدالله بن رزام وهو من رجال منتصف القرن الرابع الهجري ومن ثقات أصحاب أبي الحسن الكرخي وابن الأخشيد وهو متقدم بدهر على إصدار المحضر المعروف من بغداد لأنه ألف كتابه حوالي سنة ٣٣٣هـ وكفاح المقريزي عن نسبهم كفاح بدون حجة ظاناً أنه منحدر النسب منهم كما ذكر ابن حجر والسخاوي وغيرهما فلا يعول على مثل هذا المنافح»[2].

أما الرأي الثالث فإنه وإن قال به الداعي الاسماعيلي أبو الخطاب فإنه يثبت فقط أن عبيدالله المهدي من أئمة الاستيداع وأن القائم من أهل الاستقرار لكنه لم يبين من هو والد القائم وكيف يتصل نسبه إلى محمد بن اسماعيل مع العلم أنه ثبت لنا انقطاع نسل محمد بن اسماعيل. هذا من جانب ومن جانب آخر نجد في مصدر باطني معاصر للمهدي ـ بل إن مؤلفه ممن صحب المهدي في رحلته ـ عكس ما قاله أبو الخطاب في غاية المواليد المتأخر كثيراً[3].

عن هذه الأحداث يقول جعفر الحاجب المصاحب للمهدي في رحلته عن زواج المهدي: ثم زوج الإمام قبل وفاته المهدي ابنة عمه أم القائم. قال جعفر فأذكر أن المهدي

---

(١) انظر المقص الكبير ص٦٨، افتتاح الدعوة للقاضي ابن حيون ص٣٠٩، زهر المعاني للداعي إدريس ص٦٨.

(٢) حاشية التبصير في الدين للكوثري ص٨٤ رقم (١).

(٣) مؤلف هذا الكتاب هو الداعي أبو الخطاب بن الحسن الهمذاني المتوفى عام ٥٣٣هـ وهو اسماعيلي مستعلي يرجع إلى الاسماعيلية المستعلية.

تقدم إلي بأن لا أبرح في ليلة زفافها عليه من باب المجلس. قال فلزمت النساء حولي إلى أن فتح المهدي ورمى إلي بالسبنية قال فنشرتها على رأسي ورقصت بها والنساء حولي يلعبن ويكبرن قال وكثيراً ما كان يذكر ذلك معي المهدي بالله والقائم والمنصور والمعز[١].

فهذا النص يثبت أن القائم هو ابن عبيد الله المهدي وأن زوجته هي ابنة عمه وهي أم القائم. وما دام أن نصوصًا اسماعيلية تثبت قداحية عبيدالله المهدي[٢] فإن القائم ابنه ومنه نسل أئمة الدولة العبيدية. ولهذا النص أهمية معتبرة لقدمه أولاً فهو في عصر المهدي، وثانيًا لأن قائله ومثبته حاجب المهدي الذي عايشه وعاش معه ابتداء من طفولته وزواجه ومن ثم مسيره من الشام إلى المغرب حتى توليه الحكم ومن ثم نهايته فهذه السيرة التي سطرها جعفر أشبه ما تكون بمذكرات شاهد عيان.

وخلاصة القول في فترة الاستتار وما ينبثق منها من خلاف حول نسب الفاطميين نستخلص الرأيين التاليين:

(١) رأي أهل السنة ويوافقهم بعض المعتزلة والإمامية بل وبعض الاسماعيلية وخلاصة هذا الرأي:

أن محمد بن اسماعيل مات ولا عقب له وتسلم الإمامة حجته عبدالله بن ميمون

---

(١) سيرة جعفر الحاجب ص١٠٨ - ١٠٩.

(٢) من مصادر الاسماعيلية التي تثبت أن عبيدالله المهدي مستودع للإمامة وأنه من نسل ميمون القداح المصادر التالية:

(أ) استتار الإمام ص٩٥ - ٩٦ نشرت هذه المخطوطة الاسماعيلية في مجلة كلية الآداب في جامعة القاهرة لعام ١٩٣٦م.

(ب) المجالس والمسايرات للقاضي الاسماعيلي ابن حيون ص٤١٠.

(ج) زهر المعاني للداعي ادريس ص٦٦ من المنتخب لإيفانوف.

(د) غاية المواليد للداعي أبو الخطاب ص٣٧ من المنتخب لإيفانوف.

ويصف مصطفى غالب هؤلاء بأنهم قلة فراراً من إثبات قداحية وعبيدية أئمتهم فيقول: وأيد قلة من الاسماعيلية نسب عبيدالله إلى ميمون القداح. انظر أعلام الاسماعيلية ص٣٤٨. وهذه مكابرة واضحة ومغالطة فاحشة.

القداح وظلت مستمرة في عقبه المستورين حتى ظهر عبيدالله المهدي وأعلن إمامته وهو من نسل القداحيين وعند ذلك حصل من الخلافات والانشقاقات بين الاسماعيلية أنفسهم وبينهم كذلك وبين القرامطة الذين حاولوا البحث عن الإمام الدعي وقتله. حصل من ذلك ما يطول المقام بذكره[1].

ويفسر أصحاب هذا الرأي فترة الاستتار أو الأئمة المستورين بأنها للتعمية والتغطية على إمامة القداحيين الذين كانوا من أقرب الدعاة وألصقهم باسماعيل بن جعفر وابنه محمد بن اسماعيل وسلسلة الإمامة علي هذا القول كالتالي: عبيد الله المهدي هو سعيد ابن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح[2].

(٢) رأي بعض الاسماعيلية وخلاصته أن الأئمة من لدن محمد بن اسماعيل إلى الإمام الظاهر عبيدالله المهدي يعتبرون من نسل محمد بن اسماعيل بن جعفر وهؤلاء الأئمة دخلوا كهف التقية والاستتار وأصبحوا لا يعرفون إلا بألقابهم ولا يعرفهم إلا أقرب المقربين إليهم وكان كل ذلك بسبب مطاردتهم والتضييق عليهم من قبل الخلفاء العباسيين.

ومع اتفاق أصحاب هذا الرأي على ما تقدم فإنهم مختلفون أشد الاختلاف حول عدد الأئمة في فترة الاستتار وأسمائهم وألقابهم وأقدم الروايات الاسماعيلية التي تتحدث عن هؤلاء الأئمة رواية الداعي جعفر بن منصور اليمن وخلاصة ما جاء فيها أن الإمام الأول بعد جعفر هو عبدالله بن جعفر ثم محمد بن عبدالله ثم عبدالله بن محمد فأحمد بن عبدالله ثم محمد بن أحمد وكل هؤلاء تسموا بمحمد خلا عبدالله بن جعفر فإنه تسمى باسماعيل. ويضيف الداعي جعفر بأن الإمام المهدي كتب إليه بنسبته على

(١) انظر في تفصيل ذلك استتار الإمام للنيسابوري ص٩٦ ـ ١٠٥.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٦٦، اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ٢٢ ـ ٢٨، تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ص٧٩، تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار ٢/ ٥٩٧، الفهرست لابن النديم ص٢٣٨. أما مراجع الاسماعيلية التي تثبت ما أثبته أهل السنة فقد ذكرتها بالتفصيل في الصفحة السابقة.

النحو الآتي: علي بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جعفر الصادق[١].

ويحدد النيسابوري عدد هؤلاء الأئمة بثلاثة ويسمى الأول بعبدالله الأكبر والثاني بأحمد والثالث بالحسين وهو والد المهدي وبعد نقلته نقل الإمامة إلى ابنه عبيدالله المهدي الذي كان صغيراً فاستودع الإمامة عمه سعيد الخير حتى كبر حيث سلم الإمامة لصاحبها[٢]. ويشاركه من حيث العدد صاحب زهر المعاني غير أنه يسمي الإمام الأول بعبدالله الرضي المستور والثاني بأحمد التقي والثالث بالحسين المقتدي[٣].

ويرى اسماعيلي آخر: أن محمد بن اسماعيل كان من أئمة عهد الستر وأن سلسلة الأئمة من بعده تجري على النحو الآتي: محمد بن اسماعيل فولده عبدالله فولده أحمد فولده الحسين فولده علي[٤].

ويعلق الدكتور محمد كامل حسين على هذه الاختلافات والتناقضات بقوله: «وهكذا نجد أن كل مؤرخ من مؤرخي الاسماعيلية تناول الحديث عن هذه الفترة بما يبدو له بحيث جاء حديثهم مضطربًا أشد الاضطراب مختلفًا أشد الاختلاف فهم مختلفون في أسماء أئمة هذه الفترة ومختلفون أيضًا في عددهم فبعضهم جعل الأئمة ثلاثة وبعضهم قال إنهم خمسة وبعضهم قال سبعة». ثم يضيف قائلاً: «إنه ما دام مؤرخو الاسماعيلية أنفسهم لم يستطيعوا أن يعطونا صورة صحيحة عن أئمتهم في هذه الفترة فمن الطبيعي أن لا نجد مؤرخًا من مؤرخي العرب اهتم بهم في هذه الفترة و معنى هذا كله أننا لا نستطيع أن ندلي برأي صحيح عن تاريخ الاسماعيلية في هذا الدور»[٥].

وأخيراً فإن هذا الاختلاف والتناقض في مصادر الاسماعيلية إن دل على شيء

---

(١) انظر كتاب الحاكم لمحمد عنان ص٦١ نقلاً من كتاب الفرائض وحدود الدين لجعفر بن منصور اليمن.

(٢) استتار الإمام للنيسابوري ص٩٥-٩٦.

(٣) زهر المعاني للداعي إدريس عماد الدين ص٥٨ ـ ٦٦.

(٤) انظر كتاب الحاكم وأسرار الدعوة لعنان ص٦٠.

(٥) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٥ ـ ١٩.

فإنما يدل على ثغرات وخلل في تركيب المذهب ونسب أئمته ولا يمكن ملؤه وجبره إلا بإظهار الحقيقة والاعتراف بالتلفيق والتغطية في نسب الأئمة ومن ثم الحكم عليه بالزيف والبطلان.

(ج) أئمة الظهور من عبيدالله المهدي

حتى سقوط الدولة الفاطمية (العبيدية):

كان من نتائج الدعوة الاسماعيلية أن قامت لهم دولة واسعة الأطراف امتدت حينًا من الزمن توالى عليها وتعاقب عدد من الحكام ابتداء من عام ٢٩٧هـ حتى قضى صلاح الدين الأيوبي رحمة الله عليه على دولتهم نهائيًا عام ٥٦٧هـ وعدد حكامها أربعة عشر أولهم المهدي وآخرهم العاضد وبيان ذلك بالتفصيل عن هؤلاء الحكام كالآتي:

(١) عبيدالله المهدي أول أئمة دور الظهور:

يكنى بأبي محمد ويلقب بالمهدي ويعرفه الذهبي بأنه أول من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية الباطنية الذين قلبوا الإسلام وأعلنوا بالرفض وأبطنوا مذهب الاسماعيلية وبثوا الدعاة يستغوون الجبلية والجهلة وادعى هذا المدبر أنه فاطمي[١] من ذرية جعفر الصادق فقال أنا عبيدالله بن محمد بن عبدالله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد[٢].

وكان قد بعث قبل مسيره إلى المغرب داعيين شيطانيين داهيتين هما أبو عبدالله الشيعي وأخوه أبو العباس فظهر أحدهما باليمن والآخر بإفريقية وعند قدوم عبيدالله إلى المغرب اجتمعا وهيأ له استلام الحكم والإمامة وبعد فرار من الشام ومصر تمكن عبيدالله المهدي من الوصول إلى سجلماسه وهناك أخرجاه إلى الناس وقالا لهم هذا إمامنا فبايعه الملأ ومن أشهر الأحداث التاريخية في عهده قضاءه على الداعيين أبو

(١) سبق أن تحدثنا عن النسب الفاطمية للمستورين والأئمة الظاهرين قبل بضع صفحات ورجحنا ما دلت عليه الأدلة.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥ ـ ٢١١ ـ ٢١٢.

عبدالله الشيعي وأخوه أبو العباس لما شككا في نسبه وفي كونه الإمام الاسماعيلي وكذلك محاولته إضعاف ثورة مخلد بن كيداد الملقب بأبي يزيد الخارجي الذي كاد أن يقضي على حكم المهدي ودولته. ومن أعماله بناءه مدينة المهدية نسبة إليه حيث أصبحت عاصمة للخلفاء العبيديين إلى عهد المنصور الذي بنى مدينة المنصورية وكانت دولته خمسًا وعشرين سنة وأشهرا حيث توفى سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة وقام بعده القائم ثاني أئمة فترة الظهور[١].

(٢) القائم:

بويع بإمامة الاسماعيليين وحكم دولتهم عند موت أبيه[٢] سنة ٣٢٢هـ ويسميه الذهبي صاحب المغرب أبو القاسم محمد بن المهدي عبيدالله ويصفه بقوله: كان مهيبًا شجاعًا قليل الخير فاسد العقيدة.

---

(١) انظر المقفى الكبير للمقريزي ص٨٩ ـ ٩٣، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥ ـ ١٤٣ ـ ١٤٦.

(٢) هذا على رأي من يقول إن القائم ابن لعبيد الله المهدي لكن هناك مصادر اسماعيلية تنص وتؤكد على أن عبيدالله المهدي إمام مستودع وبعد وفاته سلم الإمامة إلى القائم الإمام المستقر الذي يعتبر من نسل اسماعيل بن جعفر وعبيدالله المهدي يعتبر من نسل ميمون القداح.
ومن نصوص الاسماعيلية عن ذلك قول أبي الخطاب: فلما حضرت المهدي النقلة سلم الوديعة إلى مستقرها وتسلمها محمد بن علي القائم وجرت الإمامة في عقبه حتى انتهت إلى مستقرها ومعدنها واطمأنت بموضعها من الإمام المنصور أبي علي أمير المؤمنين بالنص عليه. غاية المواليد للداعي الاسماعيلي أبو الخطاب ص٣٧ من المنتخب لإيفانوف.
وقول الداعي الاسماعيلي المطلق ادريس عماد الدين أن المهدي رابع الخلفاء وممثول المضغة في الدار حامل أمانة الله ووديعته ومسلمها إلى القائم بأمر الله ولده المتسب إليه بتعليمه وإفادته وهو خليفته القائم منه. زهر المعاني للداعي ادريس ص٦٧ من المنتخب لإيفانوف.
وهناك نص آخر هام جداً؛ لأنه صادر عن قاضي الاسماعيلية وداعيتهم المقرب القاضي النعمان ابن حيون يقول عن المهدي ومحاولته مبايعة ابنه وصرفها عن القائم: انه ـ أي عبيد الله المهدي ـ أراد أن يؤثر به من قرب منه ممن لم يجعله الله له فكلما نصب لذلك واحداً مات واستأثر الله به إلى أن ذهب أقاربه وأقام صاحب الحق ضرورة إذ لم يجد غيره فقال: الآن يا عم بعد أن فعلت ما فعلت... إلخ النص من المجالس والمسايرات للقاضي ابن حيون الاسماعيلي ص٤١٠ ـ ٤١١.
ولمزيد من التفصيل يرجع إلى كتاب الأستاذ إحسان إلهي رحمه الله ص٢١١ ـ ٢١٨ فإنه ذكر نصوصًا في غاية الأهمية في هذه المسألة كما أنه توصل إلى عشر حقائق مهمة استنباطًا من هذه الروايات والنصوص.

كما نقل عن القاضي عبدالجبار قوله عن القائم: أنه أظهر سب الأنبياء وكان مناديه يصيح العنوا الغار وما حوىٰ وأباد عدة من العلماء وكان يراسل قرامطة البحرين ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف[١].

ويذكر المقريزي أن له عدة أسماء منها عبدالرحمن ومنها نزار ومنها محمد وهو الاسم الذي اختاره بعد تغيير اسمه الأصلي وتملكه المغرب[٢].

ومن أشهر الأحداث التاريخية في عهده الحروب الطاحنة التي جرت بينه وبين الخارجي أبو يزيد مخلد بن كيداد فإنه قوي أمره واشتد بأسه حيث انضم إليه العلماء والفقهاء في محاربة القائم؛ لأنه أظهر الرفض وسب الصحابة علىٰ المنابر ففضل هؤلاء العلماء ذلك الخارجي علىٰ هذا الرافضي وكاد أبو يزيد أن يقضي عليه حيث وصل إلىٰ مدينة المهدية وحاصرها لكن القائم أجمع أمره وأظهر من الحزم ما لم يسمع بمثله حتىٰ تفرق جمع أبي يزيد وكان ذلك بخطأ من الخارجي الذي قال لأصحابه انكشفوا عن أهل القيروان ففعلوا ذلك فأوغل جيش القائم وعسكره فيهم حتىٰ استشهد خمسة وثمانون نفسًا من العلماء والزهاد[٣].

وفي أثناء هذه المعارك مات القائم سنة ٣٣٤هـ بعد أن فوض الأمر إلىٰ ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور وكتم موت أبيه خوفًا من أن يتصل ذلك بأبي يزيد فيقوىٰ عزمه وكانت مدة إمامته وحكمه اثنتىٰ عشرة سنة وبضعة أشهر[٤].

(٣) المنصور:

تولىٰ حكم الدولة العبيدية بعد وفاة والده عام ٣٣٤هـ ويسميه الذهبي بأبي الطاهر اسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي الباطني صاحب المغرب. ويصفه بأنه بطل شجاع رابط الجأش فصيح مفوه يرتجل الخطب وفيه إسلام في الجملة وعقل بخلاف أبيه

(١) سيير أعلام النبلاء للذهبي ١٥ ـ ١٥٢.

(٢) المقفىٰ الكبير للمقريزي ص١١٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٥٣ ـ ١٥٥، المقفىٰ الكبير ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٤) المقفىٰ الكبير للمقريزي ص١٢٢.

الزنديق. كما كان محبباً إلى الرعية مقتصراً على إظهار التشيع.

ومن أهم الأحداث التاريخية في عهده القضاء على ثورة الخارجي مخلد بن كيداد حيث حاربه المنصور حتى كاد مخلد بن كيداد أن يقضي على دولة بني عبيد بحيث لم يبق لهم سوى المهدية ولكن المنصور صابر الإباضية وجرت معارك كثيرة كانت نهايتها أن انكسر جيش الخارجي وأسر في سنة ٣٣٦هـ ثم مات مثخنًا بجراحه. وبعد ذلك بنى المنصور مدينة المنصورية وأصبحت عاصمة له حيث نزلها وأقام بها مدة ولايته إلى أن توفى سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة وله تسع وثلاثون سنة ومدة ولايته سبع سنوات وبضعة أشهر وخلفه في الولاية ابنه معد الملقب بالمعز[١].

(٤) المعز:

يلقب بأبي تميم واسمه معد بن المنصور بن اسماعيل بن القائم العبيدي المهدوي ولي الخلافة العبيدية عند وفاة والده سنة ٣٤١هـ وفي فترة ولايته تمكن من ضم مصر إلى دولتهم ثم نقل عاصمتهم إليها عام ٣٦٢هـ وبنى القاهرة وانتقل إليها وأصبحت عاصمة الدولة العبيدية. وكان شديد المداراة والمداهنة فيما يتعلق بمذهبه الاسماعيلي حيث كان يكتمه ولا يبوح به إلا لخواصه[٢].

ويذكر المقريزي والذهبي بأن في وقته أعلن الأذان بمصر والشام بحي على خير العمل[٣].

كما يذكر الذهبي: بأن الرفض ظهر في وقته وأبدى صفحته وشمخ بأنفه في مصر والشام والحجاز والمغرب[٤].

وكان المعز مغاليًا في باطنيته واسماعيليته وله أدعية خاصة تسمى باسمه ومن

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٥/ ١٥٦ ـ ١٥٩.

(٢) الكامل لابن الأثير ٧/ ٧٤.

(٣) اتعاظ الحنفا ١/ ١٨٨، الخطط ١/ ٣٥٢ وكلاهما للمقريزي، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٦٤.

(٤) المرجع السابق للذهبي بنفس الصفحة.

أشهرها الدعاء المسمىٰ بدعاء يوم السبت وفي ألفاظه كفر واضح وهذا نصه. يقول الداعي الحارثي عن إمام الاسماعيلية محمد بن اسماعيل: أن قيامه تمام دور الستر واعتقاد دور الكشف ونسخ شريعة الرسول السادس ثم يقول وبذلك نطق مولانا المعز في دعاء يوم السبت حيث قال: وعلىٰ القائم بالحق الناطق بالصدق التاسع من جده الرسول الثامن من أبيه الكوثر السابع من آبائه الأئمة سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيث وسابع الأئمة من البرره إلىٰ قوله الذي شرفته وعظمته وكرمته وختمت به عالم الطبيعة وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ﷺ. . . إلخ الدعاء(١).

ومما له دلالة في تاريخ المعزل أن قاضيه أبا حنيفة بن حيون من أشهر علماء الاسماعيلية وأكثرهم تأليفًا ومؤلفاته كلها مليئة بالعقائد الباطنية والاسماعيلية بل إنه هو فقيه المذهب بلا منازع. وهذا يدل علىٰ دور المعز وأهمية فترته في نشر المذهب الاسماعيلي والدعوة إليه.

ومما عرف عن المعز العبيدي تنكيله بأهل السنة وتعذيبهم بأبشع العقوبات فقد ذكر الحافظ ابن كثير في تاريخه عن العابد الزاهد أبا بكر النابلسي أنه أفتىٰ بكفر العبيديين فأحضر بين يدي المعز فقال له: بلغني عنك أنك قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم فقال ما قلت هذا وظن أنه رجع عن قوله فقال كيف قلت:؟ قال: ينبغي أن نرميك بتسعة ثم نرميهم بالعاشر قال ولم؟ قال: لأنكم غيرتم دين الأمة وقتلتم الصالحين وأطفأتم نور الإلهية وادعيتم ما ليس لكم فأمر بإشهاره في أول يوم ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضربًا مبرحًا ثم أمر بسلخه في اليوم الثالث فجيء بيهودي فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن قال اليهودي: فأخذتني رقة عليه فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات رحمه الله فكان يقال له الشهيد وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلىٰ اليوم ولم تزل فيهم بقايا خير(٢).

---

(١) الأنوار اللطيفة للداعي الاسماعيلي طاهر الحارثي ص١٣٠ من كتاب الحقائق الخفية للأعظمي.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٨٤، كتاب المقفىٰ الكبير للمقريزي ص٢٣٧، ٢٣٨، وفي كتاب المنتظم لابن الجوزي وصف مطول لهذا الإجرام البشع ومقارنة بين قساوة العبيدي وشفقة اليهودي الذي قام بعملية السلخ وكان ذلك في أحداث سنة ٣٦٥هـ.

وذكر بعض المؤرخين أن المعز أراد ادعاء النبوة لنفسه ولكنه خاف من رعيته في المغرب وتراجع وأذن مؤذن فوق صومعة جامع القيروان : أشهد أن معداً رسول الله فارتج البلد لذلك[١] .

ومن الأحداث التاريخية المشهور في عهد المعز خلافه مع القرامطة بقيادة الحسن الأعصم حيث جرت معارك طويلة ذهب ضحيتها الآلاف ووصل الزعيم القرمطي إلى أسوار القاهرة ويصف ثابت بن سنان كيفية هذه المعارك بقوله : إن أرض مصر اشتعلت أعلاها وأسفلها بنار الحرب من القرامطة[٢] .

ويقول ابن كثير : إن المعز حار فيما يصنع وضعف جيشه عن مقاومتهم[٣] . ولم يهدأ المعز حتى أعمل فكره في فل عسكر القرمطي حيث بذل مالاً كثيراً لأحد قادة القرمطي ونجحت هذه الحيلة بإضعاف معنوية الجيش القرمطي وبالتالي إلى انهزامهم فترة من الوقت حيث عادوا مرة أخرى بعد وفاة المعز[٤] أبان ولاية ابنه العزيز الذي تولى إمامة العبيديين بعد وفاة والده عام ٣٦٥هـ وكانت مدة حكم المعز أربعًا وعشرين سنة . ومن تلاعب المعز بعقيدة الإمامة أن خرق القاعدة المعروفة عند الشيعة عمومًا وهي تسلسل الإمامة في الأعقاب مع وجوب النص على من يتولى الإمامة من أولاد الإمام . فقد نص المعز على ولاية ابنه عبدالله ولكن عبدالله توفى في حياة أبيه فعاد المعز ونص على ابنه العزيز دون أن يقيم وزنًا للعقيدة الاسماعيلية[٥] .

(٥) العزيز:

يسمى بنزار ويكنى بأبي منصور وهو خامس الخلفاء العبيديين . تولى الحكم سنة ٣٦٥هـ بعد وفاة والده .

---

(١) البيان المغرب لابن عذاري المراكشي ١/ ٢٨٢ .

(٢) تاريخ أخبار القرامطة لثابت بن سنان ص١٠٧ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٧٦ .

(٤) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص٣، الكامل لابن الأثير ٨/ ٢٣٠ .

(٥) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٤١ .

ومما اشتهر في فترته كثرة استعمال اليهود والنصارىٰ في وظائف الدولة وتسليطهم علىٰ رقاب المسلمين حتىٰ أن امرأة كتبت إليه بقولها: بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارىٰ بابن نسطورس وأذل المسلمين بك ان لانظرت في أمري. وكان قد ولىٰ عيسىٰ بن نسطورس النصراني أمر مصر واستناب منشا اليهودي بالشام[١].

وذكر الإمام الذهبي وغيره أنه في أيامه أظهر سب الصحابة جهاراً[٢].

وفي سنة ٣٨٦هـ مات نزار وخلفه ابنه الملقب بالحاكم وكانت فترة حكمه إحدىٰ وعشرين سنة.

(٦) الحاكم:

هو سادس أئمة الظهور للاسماعيليين يسمىٰ بمنصور بن نزار ويكنىٰ بأبي علي ويلقب بالحاكم ويعرفه الذهبي بقوله: العبيدي المصري الرافضي بل الاسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية ويصفه: بأنه كان شيطانًا مريدًا جبارًا عنيدًا كثير التلون سفاكًا للدماء خبيث النحلة عظيم المكر جوادًا ممدحًا له شأن عجيب ونبأ غريب كان فرعون زمانه يخترع كل وقت أحكامًا يلزم الرعية بها أمر بسب الصحابة رضي الله عنهم وبكتابة ذلك علىٰ أبواب المساجد والشوارع وأمر عماله بالسب... إلخ تناقضاته واضطراباته[٣].

وقد تولىٰ الحاكم الحكم وعمره إحدىٰ عشرة سنة حيث عهد والده إلىٰ ثلاثة من كبار رجال الدولة برعايته وتولىٰ شؤون الدولة وبقي الأمر كذلك حتىٰ عام ٣٩٠هـ حينما استطاع الحاكم قتل أحد الأوصياء عليه وتولىٰ منذ ذلك الحين زمام الأمور هناك.

وقد بدأ الحاكم حكمه بقتل عدد من كبار رجال الدولة وإصدار سجلات غريبة

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٦٧ ـ ١٦٨، الكامل لابن الأثير ٧/ ١٧٦، النجوم الزاهرة لابن تغري ص١١٦، المنتظم لابن الجوزي ٧/ ١٩٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٧٠، البيان المغرب لابن عذاري ص٢٨٥.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٧٣.

شاذة يحرم فيها أشياء كثيرة. ثم يعود بعد ذلك إلى إباحتها بشكل متناقض وكان أثناء ذلك يقتل الكثير من خدم قصره وكتبته وكذلك من عامة الناس وكان كل هذا تمهيداً لإعلان ما يعتلج في نفسه من ادعاء للربوبية[١].

وفي سبيل ذلك أسس الحاكم مركزاً لإعداد وتوجيه دعاة الاسماعيلية أسماه دار الحكمة واستقطب هذا المركز الدعاة الاسماعيليين من كل مكان. وكانت دروسه تركز على العقائد الاسماعيلية وتثبيتها في أذهان الدعاة والطلبة لنشرها.

وقد احتشد في هذه الدار طائفة من الدعاة الكبار للمذهب الاسماعيلي فالتفوا حول الحاكم وزينوا له فكرة ألوهيته التي كانت تعتلج في نفسه مما جعله وراء هذه الدعوة يرعاها ويرقب تطوراتها ويتصرف على ضوئها ويشجع دعاتها حتى أنه كثيراً ما يلتقي بهم في القرافة ليظهر عطفه وتودده إليهم وليعرف منهم مدى ما وصلت إليه هذه الدعوة من نجاح[٢].

وحتى تكون الصورة واضحة عن شخصية الحاكم الذي كتب عنه الكثير وأفرد ببعض المؤلفات[٣] نستعرض بعض أقوال المؤرخين وخاصة المعاصرين له أو القريبين من عصره فعند هؤلاء أخبار وحوادث تميز الحق من الباطل وتبين هذه الشخصية الغامضة.

فابن تغري بردي من المؤرخين يقول عن الحاكم: «وكانت خلافته متضادة بين شجاعة وإقدام وجبن وإحجام ومحبة للعلم وانتقام من العلماء وميل إلى الصلاح وقتل الصلحاء وكان الغالب عليه السخاء وربما يبخل بما لم يبل به أحد قط وأقام يلبس الصوف سبع سنين وامتنع عن دخول الحمام وأقام سنين يجلس في ضوء الشمع ليلاً

---

(١) انظر كتاب سمط النجوم العوالي للعصامي ٣/ ٤١٤ ـ ٤٢٩، أخبار الدولة وآثار الأول للقرماني ص١٨٩ ـ ١٩١.

(٢) كتاب الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لعنان ص١٦٤، تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ص٣٥٥.

(٣) من هذه المؤلفات كتاب محمد عبدالله عنان الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية طبع في القاهرة ١٣٧٩هـ، وكتاب الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه طبع القاهرة ١٩٥٩م وقد بالغ المؤلف في التعصب وقلب الحقائق حتى شبه الحاكم بعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ونهاراً ثم عن له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة وقتل من العلماء والكتاب والأماثل ما لا يحصى وكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر وعمر عثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم في سنة خمس وتسعين وثلثمائة ٣٩٥هـ ثم محاه بعد سنتين في سنة ٣٩٧هـ»[١].

أما القلانسي فيقول عن الحاكم: «إنه كان غليظ الطبع قاس القلب سفاكًا للدماء قبيح السيرة مذموم السياسة شديد التعجرف والإقدام على القتل غير محافظ على حرمة خادم ناصح ولا صاحب مناصح»[٢].

ويروي ابن خلكان: «أن الحاكم كان جالسًا في مجلسه العام وهو حافل بأعيان دولته فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾[٣] والقاريء في أثناء ذلك يشير إلى الحاكم. فلما فرغ من القراءة قرأ شخص آخر يعفر بابن المشجر وكان رجلاً صالحًا ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾[٤] فلما أنهى قراءته تغير وجه الحاكم ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار ولم يطلق للآخر شيئًا ثم إن بعض أصحاب ابن المشجر قال له: أنت تعرف الحاكم وكثرة استحالاته وما نأمن أن يحقد عليك أنه لا يؤاخذك في هذا الوقت ثم يؤاخذك بعد هذا فتتأذى معه ومن المصلحة عندي أن تغيب عنه فتجهز ابن المشجر للحج وركب في البحر فغرق فرآه صاحبه في النوم فسأله عن حاله فقال: ما أقصر الربان معنا أرسى بنا على باب الجنة رحمه الله

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٤/ ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) ذيل تاريخ دمشق لأبي يعلى القلانسي ص٨٠.

(٣) النساء: ٦٥.

(٤) الحج: ٧٣ـ٧٤.

تعالى وذلك ببركة جميل نيته وحسن قصده[1].

ويقول السيوطي: «إن الحاكم أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفًا إعظامًا لذكره واحترامًا لاسمه فكان يفعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خروا سجداً حتى أنه يسجد بسجودهم فل الأسواق وغيرهم وكان جباراً عنيداً وشيطانًا مريدا كثير التلون في أقواله وأفعاله»[2].

ويصف كتاب أخبار الدولة المنقطعة أعمال الحاكم المتناقضة وسفكه للدماء بلا حساب بأنها أشياء مقصودة أراد أن يموه بها على عقول أصحابه السخيفة فيعتقدون أن له في ذلك أغراضاً صحيحة استأثر بعملها وتفرد عنهم بمعرفتها وهذا بالطبع كان تمهيداً لإعلان ألوهيته[3].

ويذكر عنان أن الحاكم أمر بعمل مقصلة كبيرة للإعدام فارتاع الناس حتى أن كل جماعة حسبت أنها معدة لها مما جعلهم يسترحمون الحاكم ويقبلون الأرض بين يديه طالبين العفو والرحمة بسجل مكتوب وموقع من الحاكم[4].

ويقول عنه المكين ابن العميد في تاريخه المسمى تاريخ المسلمين: وكان رديء السيرة فاسد العقيدة مضطربًا في جميع أموره يأمر بالشيء ويبالغ فيه ثم يرجع عنه ويبالغ في نقضه[5].

تلك وقائع وأحداث تاريخية اتفق على ذكرها وروايتها جمع من المؤرخين بعضهم كما قلنا من قبل - إما معاصر للحاكم أو قريب من عهده وهي أحداث ليست اعتباطية أو خالية من أهداف ومقاصد باطنية بل هي بلا ريب خطة محكمة وسياسة مقررة ويدل

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٢٩٥.

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ١/ ٦٠١.

(٣) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عنان ص٥٩.

(٤) المرجع السابق ص٥٥.

(٥) تاريخ المسلمين لابن العميد ص٢٥٩ نقلاً من مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٢/ ٥٦٢.

على ذلك تفسير حمزة بن علي مؤسس فرقة الدروز أفعال الحاكم وتناقضاته بقوله: إنه وصل إلي عن بعض الاخوان الموحدين رقعة يذكرون فيها ما يتكلم به المارقون عن الدين الجاحدون لحقائق التنزيه ويطلقون ألسنتهم بما يشاكل أفعالهم الردية وما تميل إليه أدنانهم الدنية فيما يظهر لهم من أفعال مولانا جل ذكره ونطقه! وما يجري قدامه من الأفعال التي فيها حكمة بالغة شتى فما تغني النذر ولم يعرفوا بأن أفعال مولانا جل ذكره! كلها حكمة بالغة جداً كانت أم هزلاً يخرج حكمته ويظهرها بعد حين. . ولو نظروا إلى أفعال مولانا جلت قدرته! بالعين الحقيقية وتدبروا إشارته بالنور الشعشعاني لبانت لهم الألوهية والقدرة الأزلية والسلطان الأبدي وتخلصوا من شبكة إبليس وجنوده الغوية ولتصور لهم حكمة ركوب مولانا وأفعاله وعلموا حقيقة المحصن في جده وهزله ووقفا على مراتب حدوده وما تدل عليه ظواهر أموره جل ذكره وعز اسمه ولا معبود سواه[1]!!

ويعلق الدكتور بدوي على هذا النص وغيره من النصوص الباطنية بقوله: «ومن هنا نرى أن أصحاب الحاكم هم أنفسهم أول من يقرون بأنه ارتكب «أفعالاً مظلمة تحير العقول» وأتي من الأمور الغريبة ما جعل داعيته الأول في الديانة الجديدة حمزة بن علي يلتمس لها تلك التأويلات البالغة الغرابة التي رأيناها في جزء من رسالة حمزة.

وإذن فلا يشك أحد سواء من أنصار الحاكم وأتباعه المعاصرين له وخصومه في أن أفعال غريبة شاذة والفارق بين كلا الفريقين هو في طريقة تأويل هذه الغرابة في السلوك. وفي هذا التأويل نجدهما على طرفي نقيض. فأنصاره ودعاته يتخذون من ذلك دليلاً على ألوهيته أو سمو مكانته. وخصومه يتخذون منها دليلاً على هوسه وجنونه[2].

---

(١) هذا جزء من نص طويل لمؤسس ديانة الدروز حمزة بن علي في رسالته التي عنوانها: «كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل» مخاطبًا إخوانه الموحدين. انظر مذاهب الإسلاميين للدكتور عبدالرحمن بدوي ٢/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٥٧٤ ـ ٥٧٥.

وعلى كل حال فإن رسائل فرقة الدروز ـ التي ألهت الحاكم ـ تفسر جميع أفعاله القبيحة وتناقضاته العجيبة على أنها أمور تدل على ألوهيته. هذا وقد بدأت هذه الدعوة الإلحادية بداية سرية في عام ٤٠٠هـ ولكن الجهر بها وبشكل واضح وعلني كان عام ٤٠٨هـ على يد ثلاثة في أول أمرهم من دعاة الاسماعيلية وهم حمزة الزوزني ومحمد بن اسماعيل الدرزي والحسن بن حيدرة الفرغاني[١].

ويقول غالب عن حمزة بن علي: «إنه استطاع أن يجمع حول بعض الدعاة ويتفقون سراً للدعوة إلى تأليه الحاكم معتمداً في دعوته هذه على أصول وأحكام استنبطها من صميم الأصول والأحكام الاسماعيلية»[٢].

هذا وقد انتهت حياة الحاكم نهاية غامضة لا أحد يعرف تفاصيلها على وجه التأكيد ولكن مما يرجح أن أخته ست الملك قد دبرت اغتياله أثناء جولته التي كان يقوم بها على سفح جبل المقطم وربما دفعها إلى ذلك أمران:

الأول: خوفها من أن تؤدي تصرفات الحاكم الغريبة الأطوار إلى نهاية الدولة الفاطمية.

والثاني: خوفها على نفسها من بطشه إذ يقال إنه اتهمها بسوء سلوكها مع الرجال[٣].

أما الدروز فيقولون بغيبة الحاكم ويزعمون أنه لم يقتل ولم يمت ولكنه اختفى أو ارتفع إلى السماء وسيعود عندما تحل الساعة فيملأ الأرض عدلاً وأصبح هذا الادعاء أصلاً من أصول عقيدتهم. ويزعم الدروز أن هذه الغيبة ستستمر ولن يعود الحاكم للظهور في الصورة الناسوتية إلا يوم القيامة وهو اليوم الذي يظهر فيه مذهب الدروز

---

(١) طائفة الدروز للدكتور محمد كامل حسين ص٧٥.

(٢) الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ص٢٤١.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٠، المنتظم لابن الجوزي ٧/ ٢٩٨ ـ ٣٠٠، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٨٠ ـ ١٨١.

على غيره من المذاهب والأديان[1]!!

وبنهاية الحاكم ينتهي دور الإمام السادس من أئمة دور الظهور عند الاسماعيلية بعد أن جعل ولاية عهده وزعامة الاسماعيلية وإمامتهم في عبدالرحيم بن إلياس أحد أبناء عمومته[2] معرضًا عن أصل من أصولهم في انتقال الإمامة من الآباء إلى الأبناء لكن أخت الحاكم الملقبة بست الملك عزلت عبدالرحيم وأقامت ابن الحاكم مقامه وكان ذلك عام ٤١١هـ وكانت مدة تسلط الحاكم وجبروته خمسًا وعشرين عامًا[3].

ويرى الذهبي أن عبدالرحيم بن الياس العبيدي لما ولاه الحاكم ولاية العهد بعثه إلى دمشق قبل وفاة الحاكم بسنة فأقبل على الملاهي والخمور واضطرب العسكر عليه ولما مات الحاكم قبض الأمراء عليه وسجنوه واغتالوه[4].

(٧) الظاهر بن الحاكم:

ويكنى بأبي الحسن واسمه ـ كما يقول الذهبي ـ علي بن الحاكم منصور بن العزيز نزار بن المعز العبيدي المصري ولا أستحل أن أقول العلوي الفاطمي لما وقر في نفسي من أنه دعي.

بويع وهو صبي وعمره ست عشرة سنة لما قتل أبوه سنة إحدى عشرة وأربع مائة[5].

وفي عهده كثير المجون وشرب الخمور وكان هو بنفسه يقع في ذلك ويزاوله حتى رخص للناس فيه وقد ذكر ذلك جمع من المؤرخين[6].

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٦٨.

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي ٢/ ١٠٠ ـ ١٠١، النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٣.

(٣) الداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٠، الكامل لابن الأثير ٧/ ٣٠٥.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٨٤.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٨٤.

(٦) الخطط المقريزية للمقريزي ١/ ٣٥٤، اتعاظ الحنفا للمقريزي أيضًا ٢/ ١٢٩، نهاية الأرب للنويري. البيان المغرب لابن عذاري ١/ ٢٨٧.

ومن أعماله لنشر المذهب الاسماعيلي: أن أمر بنفي من وجد من الفقهاء المالكية وغيرهم وأمر دعاة مذهبه أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الإسلام وكتاب يعقوب بن كلس في الفقه على مذهب آل البيت وفرض لمن يحفظ ذلك مالاً وجلس الدعاة بالجامع للمناظرة[١].

وذكر المقريزي في خططه أن الظاهر كان مشغوفًا باللهو فتأنق الناس في أيامه بمصر واتخذوا المغنيات والراقصات وبلغوا من ذلك مبلغًا عظيمًا[٢].

وقد استمر حكمه خمس عشرة سنة وتسعة أشهر حيث مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة عن عمر يناهز إحدى وثلاثن سنة وعدة أشهر وقام بعده ابنه المستنصر[٣].

(٨) المستنصر أبو تميم معد بن الظاهر علي بن الحاكم العبيدي:

ولي الأمر بعد أبيه وله سبع سنين سنة سبع وعشرين وأربعمائة فامتدت أيامه ستين سنة وأربع أشهر[٤].

وأمه أم ولد كانت أمة سوداء لتاجر يهودي يقال له أبو سعد سهل بن هارون التستري فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة إليه استندت أبا سعد ورقته درجة عليا[٥]. وفي فترة حكمه ظهر رجل بمصر يشبه الحاكم فادعى أنه هو وقد خرج من الغيبة فتبعه خلق من الغوغاء ممن يعتقدون رجعة الحاكم وقصدوا القصر فثارت الفتنة ثم أسر هذا وجلب هو وجماعة بالقاهرة[٦].

ويسوق أبو المحاسن عادة من عادات المستنصرة في كل سنة تدل على استهتاره

(١) اتعاظ الحنفا ٢/ ١٧٥.

(٢) الخطط المقريزية ١/ ٣٥٥.

(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزي ٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٨٦.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٨٦.

(٥) الخطط المقريزية للمقريزي ١/ ٣٥٥.

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٨٧.

بالمعتقدات الدينية والشرائع الإسلامية فهو: يخرج في كل سنة إلىٰ مكان خارج القاهرة يسمىٰ «جب عميرة» موضع نزهة ومعه النساء والحشم بهيئة أنه خارج إلىٰ الحج علىٰ سبيل الهزء والمجانه ومعه الخمر في الروايا عوضاً عن الماء ويسقيه الناس كما يفعل بالماء في طريق مكة(١).

ولذا يصفه الذهبي بخبث العقيدة وخبث الرفض ويستدل علىٰ ذلك: بأن سب الصحابة كان فاشيًا في أيامه والسنة غريبة مكتومة حتىٰ أنهم منعوا الحافظ أبا اسحاق الحبال من رواية الحديث وهددوه فامتنع(٢).

وقد طالت فترة حكمه حيث بقي ستين سنة وأشهرا وعمر حتىٰ قارب السبعين حيث مات سنة سنة سبع وثمانين وأربعمائة وقام بالأمر بعده ابنه أحمد الملقب بالمستعلي.

(د) ويعتبر المستنصر آخر أئمة الاسماعيليين باتفاق في فترة الظهورة قبل انقسام الطائفة إلىٰ فرقتين كبيرتين هما:

(أ) الاسماعيلية المستعلية أو الاسماعيلية الغربية وهم الذين ساقوا الإمامة للمستعلي ـ بن المستنصر ـ ونسله من بعده.

(ب) الاسماعيلية النزارية أو الاسماعيلية الشرقية وهم الذين ساقوا الإمامة لنزار ابن المستنصر(٣).

وسبب هذا الانقسام أن المستنصر نص علىٰ إمامة ابنه نزار من بعده لكن وزيره الأفضل بن بدر الجمالي انتهز فرصة وفاة المستنصر وأعلن إمامة ابنه الأصغر وهو المستعلي لأنه ابن أخت الوزير. وحارب الأفضل نزاراً ومن معه حتىٰ ظفر به وكانت

---

(١) النجوم الزهرة لابن تغري بردي ٥/ ١٧ ـ ١٨.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٩١ ـ ١٩٦.

(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٤٥ ـ ٤٦، ٦٢، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٧.

نهايته أن بنىٰ عليه حائطين وجعله بينهما إلىٰ أن مات كما يقول جمع من المؤرخين[١] وإن خالف في ذلك الاسماعيلية النزارية علىٰ نحو ما سنفصل القول فيه بعد حديثنا عن أئمة الاسماعيلية المستعلية.

(هـ) أئمة الاسماعيلية المستعلية:

(٩) المستعلي:

يسميه الذهبي بصاحب مصر أبو القاسم أحمد بن المستنصر معد، بن الحاكم منصور، بن العزيز، بن المعز العبيدي المهدوي المصري. قام بعد أبيه سنة سبع وثمانين وأربعمائة وله إحدىٰ وعشرون سنة[٢].

وفي عهده نكب المسلمون بحدث لم يعهدوه حيث استولىٰ الصليبيون علىٰ بيت المقدس وأكثر مدائن الشام ويصف ابن خلكان هذا الحدث الخطير بقوله: «وفي أيام المستعلي اختلت دولة العبيديين وضعف أمرهم وانقطعت من أكثر مدن الشام دعوتهم وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك والافرنج - خذلهم الله تعالىٰ - فإنهم دخلوا الشام ونزلوا علىٰ أنطاكية في ذي القعدة سنة تسعين وأربعمائة ثم تسلموها في سادس عشر رجب سنة إحدىٰ وتسعين وأخذوا معرة النعمان في سنة اثنتين وتسعين وأخذوا البيت المقدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين أيضاً وكان الفرنج قد أقاموا عليه نيفاً وأربعين يوماً قبل أخذه وكان أخذهم له ضحىٰ يوم الجمعة وقتل فيه من المسلمين خلق كثير في مدة أسبوع وقتل في الأقصىٰ ما يزيد علىٰ سبعين ألفاً وأخذو من عند الصخرة من أواني الذهب والفضة ما لا يضبطه الوصف وانزعج المسلمون في جميع بلاد الإسلام بسبب أخذه غاية الانزعاج وكان الأفضل - وزير المستعلي - قد تسلمه من سكمان بن أرتق في يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رمضان سنة إحدىٰ وتسعين وولي فيه من قبله فلم يكن

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٣٧، النجوم الزهرة لابن تغري بردي ٥/ ١٤٢، اتعاظ الحنفا للمقريزي ٣/ ١٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٤٥٠.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٩٦.

لمن فيه طاقة بالفرنج فلتسلموه منه ولو كان في يد الأرتقية لكان أصلح للمسلمين[١].

وكتب التاريخ حينما تتحدث عن هذا الخطر الداهم والاستيلاء الغاشم من الصليبيين على ديار المسلمين تستريب من موقف المستعلي ووزيره الأفضل بن بدر الجمالي حيث لم يحركا ساكنًا تجاه هذه الهجمة الصليبية الشرسة. يقول ابن تغري بردي بعدما ذكر اجتماع بعض ملوك الإسلام بالشام وتآزرهم في الوقوف في وجه الصليبيين: ان الأفضل لم ينهض بإخراج عساكر مصر وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال. وفي موضع آخر يصف المستعلي بأنه متقاعد عن الجهاد متهاون في أخذ البلاد متغال في الرفض والتشيع[٢]. وهذا الموقف السلبي من المستعلي ووزيره الجمالي شجع الصليبيين الغزاة على الاستيلاء على مزيد من المدن والأراضي فاستولوا على الساحل الشمامي بأجمعه فملكوا حيفًا في عام ٤٩٣هـ ثم قيساريه في عام ٤٩٤هـ[٣].

ولهول هذه الفاجعة وعظم خطرها التي حلت بديار المسلمين انبرى الخطباء والشعراء في وصفها والنعي على حكام الدولة العبيدية آنذاك وتخاذلهم ومنها ما نقله المؤرخ ابن تغير في تاريخه قول أحد الشعراء:

أحل الكفر بالإسلام ضيمًا ... يطول عليه للدين النحيب

فحق ضائع وحمى مباح ... وسيف قاطع ودم صبيب

وكم من مسلم أمسى سليبا ... ومسلمة لها حرم سليب

وكم من مسجد جعلوه ديرًا ... على محرابه نصب الصليب

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١٧٩.

(٢) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥/ ١٤٧ ـ ١٥٣.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١٧٩، الكامل لابن الأثير ١٠/ ٣٢٥.

دم الخنزير فـــيــه لهم خلوق
وتحــريق المصــاحف فــيــه طيب

أمـــــــور لـو تأملـهن طـفـل
لطفل في عـــوارضـــه المشـــيب

أتســبى المسلمــات بكل ثغــر
وعـــــيش المسلمين إذا يطيب

أمـــا لله والإســـلام حق
يدافع عنه شـــبـــان وشـــيب

فقل لذوي البصائر حيث كانوا
أجـيبـوا الله ويحكم أجيبـو[1]

ومع هذه الفجائع والمصائب التي نكب بها المسلمون من الصليبيين الغزاة فإن الباطنية والاسماعيلية في ازدياد ودعوتهم في اتساع. يقول الذهبي: «وفي دولة المستعلي كثرت الباطنية الملاحدة الذين هم الاسماعيلية وأخذوا القفول وتملكوا قلعة أصبهان وفتكوا بعدد كثير من الكبار والعلماء وشرعوا في شغل السكين وجرت لهم خطوب وعجائب»[2].

وقد توفي المستعلي سنة خمس وتسعين وأربعمائة بعد حكم دام ثماني سنوات قيل أنه مات مسمومًا وأقاموا بعده ولده الآمر منصور وله خمس سنين وأزمة الملك إلى الأفضل أمير الجيوش[3].

(١٠) الآمر:

يعرفه الذهبي بقوله: «صاحب مصر أبو علي منصور، بن المستعلي أحمد، بن

(١) النجوم الزاهرة ٥/ ١٥١ ـ ١٥٢.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٩٧، والمقصود بالاسماعيلية هنا هم اسماعيلية آلموت أتباع الحسن الصباح القائلين بإمامة نزار أخو المستعلي.

(٣) المرجع السابق ١٥/ ١٩٧.

المستنصر معد، بن الظاهر، بن الحاكم العبيدي المصري الرافضي الظلوم»[١].

تولى إمامة الاسماعيلية وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر. أحضره الأفضل الجمالي وزير أبيه من قبله وبايع له ونصبه مكان أبيه ونعته بالآمر بأحكام الله ولذا لما ترجم له ابن إياس في تاريخه قال عنه: وكان صغير السن. طائش العقل تجاهر بالمنكرات واشتغل بسماع الأمور وشرب الخمور. وأنشأ له قصراً بالروضة على شاطيء النيل وسماه الهودج وأنشأ حوله بستانًا وسماه المختار وصار ينزل إلى ذلك القصر واشتغل به عن أحوال المملكة وصار الناس مثل الغنم بلا راع فعند ذلك اضطربت أحوال مصر[٢].

ويصفه الذهبي بقوله: «كان الآمر خبيث المعتقد سفاكًا للدماء متمرداً جباراً فاحشًا فاسقًا صادر الخلق»[٣].

كما يصفه ابن خلكان بقوله: «كان الآمر سيء الرأي جائر السيرة مستهتراً متظاهراً باللهو واللعب»[٤].

ولذا يتفق جمع من المؤرخين على أن الفرنج الصليبيين في أيامه استولوا على عدد من المدن حيث أخذوا مدينة عكا في سنة سبع وتسعين وأربعمائة وأخذوا بعدها طرابلس الشام ونهبوا ما فيها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها وحصل في أيديهم من أمتعتها وذخائرها وكتب علمها وما كان في خزائن أربابها ما لا يحصى ولا يعد ولم تصلهم نجدة الآمر وعسكره إلا بعد فوات الأمر وتوالى بعد ذلك سقوط سائر المدن الشامية مثل بانياس وصور وبيروت وصيدا وامتد ذلك إلى بعض المدن المصرية حيث دخل الافرنج مدينة الفرما وأحرقوها وأحرقوا جامعها ومساجدها[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٩٧.

(٢) تاريخ ابن إياس ١/ ٢٢١.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٩٩.

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٣٠٠.

(٥) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٩٨، وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٣٠٠ ـ ٣٠١، النجوم الزاهرة لابن تغري ٥/ ١٧٠ ـ ١٧١.

ويصف ابن تغري بردي الآمر وموقفه من الصليبيين بقوله: «فإن الآمر مع تلك المساويء التي ذكرت عنه كان فيه تهاون في أمر الغزو والجهاد حتى استولت الفرنج على غالب السواحل وحصونها في أيامه بل إنه لم يكن الأمر تهاونًا فقط حيث لم ينهض لقتال الفرنج البتة»[١]. وبالتأمل في ترجمة الآمر عند معظم المؤرخين[٢] نجد منهم اتفاقًا على تقاعسه وتخاذله عن الجهاد ضد الصليبيين إن لم يكن عقبة في طريق الجهاد، ولذا يقول الدكتور سعيد عاشور: «وارتفع من مصر صوت خافت يتهم الخليفة الآمر الفاطمي بأنه فرط في صور ويطالب الخلافة الفاطمية باتخاذ سياسة إيجابية في الجهاد ضد الصليبيين بالشام وزاد من الانقسام الداخلي في الدولة الفاطمية أن الخليفة الآمر الفاطمي قبض على وزيره ابن البطائحي عام ٥١٩هـ ثم صلبه ولم يتخذ الخليفة الآمر بعد ابن البطائحي وزير سيف بل استبد بأموره وباشرها بنفسه»[٣].

وبقي الآمر في الملك تسعًا وعشرين سنة وتسعة أشهر إلى أن خرج يومًا إلى ظاهر القاهرة وعدى على الجسر إلى الجيزة فكمن له رجال في السلاح ثم نزلوا عليه بأسيافهم وكان في طائفة ليست بكثيرة فرد إلى القصر مثخنًا بالجراح وهلك من غير عقب وكان العاشر من الخلفاء الباطنية فبايعوا ابن عم له يلقب بالحافظ وانقلع الآمر في ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسة مئة[٤].

وكان عمره يوم قتل أربعًا وثلاثين سنة وتسع أشهر ومدة خلافته تسع وعشرون سنة وأشهر[٥].

ويتفق معظم المؤرخين على انقطاع نسله وأنه لما قتل لا عقب له فيقول ابن خلكان: «وكان سبب تولية عمه الحافظ من بعده (على الرغم من مخالفة ذلك لعقيدة

---

(١) النجوم الزاهرة لابن تغري ٥/ ١٧٨.

(٢) وذلك كابن كثير في البداية والنهاية، والكامل لابن الأثير، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص٢٠٤.

(٣) شخصية الدولة الفاطمية لسعيد عاشور ص٤٠.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٩٩.

(٥) اتعاظ الحنفا للمقريزي ٣/ ١٣٠ ـ ١٣١.

تسلسل الإمامة في الأعقاب) إن الآمر لم يخلف ولداً وخلف امرأة حاملاً فماج أهل مصر وقالوا: هذا البيت لا يموت إمام منهم حتى يخلف ولدا ذكر وينص عليه بالإمامة وكان الآمر قد نص على الحمل فوضعت له المرأة بنتاً ولهذا السبب بويع الحافظ بولاية العهد ولم يبايع بالإمامة مستقلاً لأنهم كانوا ينتظرون ما يكون من الحمل»[١].

كما يقول ابن الأثير: «إن الآمر مات بدون خلف له ولا عقب»[٢].

ويقول الذهبي: «إن الآمر هلك من غير عقب ولذا بايع الباطنية ابن عم له يلقب بالحافظ»[٣].

ويذكر ابن تغري ما ذكره المؤرخون قبله من موت الآمر ولا عقب له ويضيف على ذلك قوله: «وانقطع النسل من الآمر وأولاده وهذا مذهب طائفة من شيعة المصريين فإن الإمامة عندهم من المستنصر إلى نزار»[٤].

فالآمر بهذا يعتبر آخر الأئمة الظاهرين في نظر الاسماعيلية المستعلية لأنه لم يتول إمامة الاسماعيلية من بعده إلا الكفلاء الأربعة[٥]. وهؤلاء ـ على رأي جميع طوائف الاسماعيلية ـ لا يعدون من الأئمة الاسماعيلية فدورهم دور الكفلاء لا دور الأئمة[٦].

وإذا كان الآمر بن المستعلي هو آخر أئمة دور الظهور كما أثبتنا سابقًا فقد بدأ دور الستر مرة ثانية.

دور الستر عند الاسماعيلية المستعلية:

تعتقد طائفة الاسماعيلية المستعلية ـ خلافًا لما أثبته المؤرخون ـ أن للآمر ولداً صغيراً اسمه الطيب انتقلت الإمامة إليه بنص من أبيه وأخبر الآمر بذلك داعيته أروى

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٢) الكامل لابن الأثير ٨/ ٢٣٢.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ١٩٩.

(٤) النجوم الزهرة لابن تغري بردي ٥/ ١٧٤.

(٥) وهم بقية خلفاء الدولة العبيدية الحافظ عبدالمجيد والظافر اسماعيل بن الحافظ والفائز عيسى بن الظافر والعاضد عبدالله بن الحافظ.

(٦) انظر كتاب الاسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص١٦٤ ـ ١٦٥.

الصليحية[1] في اليمن التي تمكنت ـ كما زعموا ـ من الإتيان به من مصر إلىٰ اليمن عن طريق أحد الدعاة ومن ثم أخفته وجعلت نفسها كفيلة عليه ونائبة عنه في تولي شؤون الدعوة الاسماعيلية واتخذت لنفسها لقبًا هو (كفيلة الإمام المستور الطيب بن الآمر)[2].

وفي كتب الاسماعيلية المستعلية ما هو صريح بهذا اللغو والعبث يقول الداعيان ادريس عماد الدين وحسن بن نوح: وعاد الإمام ـ أي الآمر ـ إلىٰ قصره ودخل القصر متكئًا علىٰ ابن عمه عبدالمجيد بن محمد المستنصر وأمر عند دخوله القصر بإحضار حججه وأبوابه والخلصاء وأمر عند دخوله القصر بإحضار حججه وأبوابه والخلصاء من دعاته وأصحابه فجدد النص علىٰ ولده الإمام الطيب وأخذ البيعة له بعد أن كان نص عليه يوم ولادته في السجل الشريف المصدور إلىٰ الحرة الملكة ولية أمير المؤمنين كافلة أوليائه الميامين أروىٰ بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي وأودع ابن عمه عبدالمجيد قصره وظاهر ملكه بعد أن أخذ البيعة عليه وتأكيدها أنه حافظ لما في يديه للإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين وسلم إليه جميع ما أمر بأن يؤديه أداء الثقة الأمين. . . إلخ[3].

وقد علق الدكتور محمد كامل حسين علىٰ هذه القصة بقوله: «وفي اعتقادي أن قصة الطيب هذه أقرب إلىٰ الأساطير الخيالية منها إلىٰ الواقع التاريخي فإن أحداً من المؤرخين لم يذكر وجود الطيب بن الآمر إلا ما نراه في كتب دعاته أما ما يقال عن وجود سجل وجه إلىٰ الملكة الحر من الآمر قبل مقتله فإنه في رأيي سجل موضوع قصد به إلباس القصة ثوب الحقيقة حتىٰ يتسنىٰ للصليحيين ومن تبعهم الاعتقاد بحقيقة إمامة الطيب بينما سكت المؤرخون عنه فلم يذكروا مجرد اسمه في كتبهم بل ذهب المؤرخون إلىٰ أن زوجة الآمر التي كانت حاملاً عند موته وضعت له أنثىٰ ولكن الصليحيين

(١) أروىٰ الصليحية من دعاة الباطنية في اليمن تسمىٰ بأروىٰ بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي وتلقب بالملكة الحرة ولدت سنة ٤٤٠هـ أرسل إليها المستنصر أحد دعاته فاستجابت له وأصبحت من الحجج في دعوة الاسماعيلية وعند انقسام الاسماعيلية إلىٰ مستعلية ونزارية أيدت الطائفة المستعلية وبقيت تدير أمر هذه الطائفة حتىٰ توفيت سنة ٥٣٢هـ. انظر أعلام الاسماعيلية لمصطفىٰ غالب ص١٤٣ ـ ١٥٣.

(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٤٩ ـ ٥٠.

(٣) عيون الأخبار للداعي ادريس ص٣٤٨، كتاب الأزهار للداعي حسن بن نوح ص٢٤٣.

قالوا: بل وضعت ذكراً هو الطيب. والصليحيون ودعاة الدعوة الطيبية بعدهم هم وحدهم الذين تحدثوا عن الطيب ونحن نتساءل عن سبب ستره مع أن الدولة كانت دولة الصليحيين والسلطان في أيديهم فلم قبلوا أن يدخلوا إمامهم الستر وأن يخفوه ما داموا يدعون له ويدينون بطاعة وإمامته»[١].

ومما يدل على اختلاف هذه القصة أن كتب الاسماعيلية لا تذكر شيئًا عن حياة هذا الإمام المزعوم ـ كغيره من الأئمة ـ ولا أين عاش بعد تسلمه الإمامة وكم مكث في الإمامة وهل له عقب مستتر أو ظاهر؟؟؟ وهذا كله ما تسكت عنه مصادر الاسماعيلية وغيرها من الكتب التاريخية حيث لا ذكر إطلاقًا لأئمة الاسماعيلية سواء كانوا ظاهرين أو مستترين بعد هذا الطفل المزعوم. وهذا ما جعل الدكتور محمد كامل حسين يستنتج أن الصليحيين وضعوا قصة الآمر هذه حتى يتخذوها ذريعة للانفصال من سلطان الفاطميين الديني وأن يستقلوا بالنفوذ الديني والسياسي معًا وأوحى دهاء الملكة الحرة وذكاؤها الشديد وحرصها على أن تجمع في يدها السلطتين السياسية والدينية ـ أوحى إليها ذلك كله أن تدعي ـ أنها كافلة الإمام المستور وحجته الكبرى وسار على نهجها كل داع مطلق في الدعوة إلى الآن[٢].

ومما تقدم يتضح أن آخر أئمة الاسماعيلية المستعلية هو الآمر بن المستعلي ويتأكد لنا بطلان كل ما زعمه الاسماعيلية المستعلية من وجود ابن له يسمى بالطيب وأنه دخل دور الستر في عام ٥٢٥هـ وإن الأئمة الذين جاءوا بعده من نسله.

(و) الاسماعيلية النزارية:

هم أئمة الفرع الثاني ويطلق عليهم الاسماعيلية النزارية لتعلقهم وقولهم بإمامة نزار بن المستنصر الذي كان أكبر من أخيه المستعلي وهو المنصوص عليه بالإمامة ونهايته كما تثبتها الروايات التاريخية أن وزير أخيه المستعلي قبض عليه وقتله وانتهى بذلك

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٥٠ ـ ٥١.

(٢) المرجع السابق ص٥١ وما بين الخطين جملة معترضة أضيفت للنص من باب التوضيح وليست من صلب النص

نسله بدون عقب ظاهر أو مستتر[١].

غير أن المصادر الاسماعيلية النزارية تزعم أن نزاراً تمكن من مغادرة الاسكندرية سراً أثناء الحصار واتجه إلى بلاد فارس حيث استقر به المقام في جبال الطالقان وأسس الدولة النزارية هناك. وينقل مصطفى غالب أقصوصة مفصلة عن كتاب يدعى «الأخبار والآثار» وفيه قصة فرار نزار من الاسكندرية ومما ورد فيها ما يلي: «ولما اشتد الحصار على الاسكندرية من قبل الجاحد المارق الزنديق الأرمني الأفضل غادرها مولانا الإمام نزار مع أهل بيته مختفياً بزي التجار نحو سجلماسه حيث مكث عند عمته هناك بضعة أشهر حتى عادت إليه الرسل التي أوفدها لإبلاغ الحسن بن الصباح عن محل إقامته فسار إلى جبال الطالقان مع أهل بيته ومن بقي معه من دعاة وخدم حيث استقر بقلعة ألموت بين رجال دعوته المخلصين وعمل مع الحسن بن الصباح على تأسيس الدولة النزارية وبعد أن تم له ذلك أصابه مرض شديد استدعى على أثره دعاته ونص على إمامة ابنه علي وذلك سنة ٤٩٠هـ وتوفي في اليوم الثاني ودفن في قلعة ألموت[٢].

وهذه الرواية كما يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي: «ليس لها سند تاريخي ولم يذكرها أي مؤرخ وقصد من اختراعها الربط بين نزار وبين اسماعيلية إيران في ألموت وسائر القلاع الاسماعيلية هنالك»[٣].

وبموت نزار إمام الطائفة الاسماعيلية النزارية وموت الآمر إمام الاسماعيلية المستعلية بدون عقب ينقطع نسل أئمة الاسماعيلية ويدير أمور الطائفتين بعد ذلك دعاتهم الذين توزعوا في أقطار متعددة في أزمنة متعاقبة. ويحل الدعاة محل الأئمة

(١) الخطط للمقريزي ١/ ٤٢٣، الكامل لابن الأثير ١٠/ ٢٣٧، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥/ ١٤٢، اتعاظ الحنفا للمقريزي ٣/ ١٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ١٥٠.

(٢) كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص١٨٣، وانظر أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٥٨٢-٥٨٦.

(٣) انظر مذاهب الإسلاميين لبدوي ٢/ ٣٥٦.

الذين انتهوا بدون عقب أو بقية من نسل[١].

(ز) نهاية الدولة العبيدية:

انتقل ملك العبيديين ـ كما ذكرنا آنفًا ـ من الآمر إلىٰ ابن عمه الحافظ عبدالمجيد إمامًا بالنيابة أو مستودعًا لها ولكنه دعا لنفسه من بعد بالإمامة الكاملة خلافًا لتعاليم الاسماعيلية المذهبية وخرقًا لقاعدتهم في سير الإمامة في الأعقاب مع عدم رجوعها أو انتقالها إلىٰ غيرهم . وسلسلة هؤلاء المستودعين كالتالي :

(١) الحافظ أبو الميمون عبدالمجيد تولىٰ في المحرم سنة ٥٢٥هـ.

(٢) الظافر أبو المنصور اسماعيل تولىٰ في جمادىٰ الآخرة سنة ٥٤٤هـ.

(٣) الفائز أبو القاسم عيسىٰ تولىٰ في صفر سنة ٥٤٩هـ.

(٤) العاضد أبو محمد عبدالله تولىٰ في رجب سنة ٥٥٥هـ[٢].

وكانت نهاية العبيديين علىٰ عهده كما قال الذهبي : «وتلاشىٰ أمر العاضد مع صلاح الدين إلىٰ أن خلعه وخطب لبني العباس واستأصل شأفة بني عبيد ومحق دولة الرفض وكانوا أربعة عشر متخلفًا لا خليفة . والعاضد في اللغة هو القاطع فكان هذا العاضدًا لدولة أهل بيته[٣] حيث هلك في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة فكانت دولتهم مئتي سنة وثمان وستين ٢٦٨هـ كان منهم ثلاثة بافريقية المهدي والقائم والمنصور وأحد عشر بمصر آخرهم العاضد ويقال عن دولتهم الدولة العلوية والدولة الفاطمية وحقيقتها كما ذكر العلامة أبو شامة[٤] أن تسمىٰ بالدولة اليهودية أو الدولة

---

(١) عن الاسماعيلية المستعلية وانقطاع نسل أئمتهم يرجع إلىٰ كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٦١ ، وعن الاسماعيلية النزارية ص٨ ـ ٨٢ من الكتاب نفسه .
ويرجع كذلك إلىٰ مقدمة كتاب سمط الحقائق لعلي بن حنظلة ص٦ ـ ١٠ وذلك عن انقطاع نسل أئمة المستعلية وحلول الدعاة محلهم .

(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٦٠ ـ ٦١ .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٤) مؤرخ سني مشهور عند أهل السنة والجماعة واسمه عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي ومن أشهر كتبه كتاب الروضتين في أخبار الدولتين توفي سنة ٦٦٥هـ.

المجوسية الملحدة الباطنية[١] أو الدولة العبيدية كما اشتهر عند كثير من العلماء المحققين»[٢].

ويعلق الأستاذ محب الدين الخطيب بعد سرده لحكام الدولة العبيدية على نهايتها بقوله: «وفي زمن العاضد عضد الله شجرة هذا البيت وكان وزير دولته شاور وفي زمنه استعان العبيديون على المسلمين بالصليبيين غير مرة وفي زمنه كان حريق الفسطاط وكان الله أرحم بمصر وأعدل في خلقه من أني يملي للعبيديين بأكثر مما أملى لهم. وقبل أن يزيلهم من الوجود تدارك كنانته برجال يخلفه الله لإنقاذ هذا الدين وأهله على حين فترة من الزمن فكان ذلك ولله الحمد والمنة على أيدي الملك المجاهد نور الدين محمود بن زنكي ورجل دولته أسد الدين شيركوه وابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ولما أيقن العاضد العبيدي بعدل الله وقضاءه الصارم وأن مثل هذه النحلة الاسماعيلية لا يمكن أن تتحكم بالوطن الإسلامي أكثر مما تحكمت عمد حينئذ إلى خاتم كان في يده له فص مسموم فامتصه ومات وماتت بموته هذه الدولة إلى الأبد»[٣].

* * * * *

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ٢١٣ نقلاً من كتاب أبي شامة في الروضتين ١/ ٢٠١.

(٢) وذلك كابن تيمية والذهبي والباقلاني وابن خلكان وابن تغري بردي وقد تقدمت بعضاً من نصوصهم عن ذلك.

(٣) مجلة الأزهر المجلد الخامس والعشرون الجزء الأول سنة ١٣٧٣هـ مقال للشيخ محب الدين الخطيب.

الفصل الرابع
نظم الدعوة الإسماعيلية

(أ) مراحل الدعوة.

(ب) مراتب الأئمة.

(ج) درجات الدعاة.

اعتمد الاسماعيلية في نشر مبادئهم ومعتقداتهم على تنظيم دقيق للدعوة، يضم دعاة مهرة تتفاوت مراتبهم حسب استعداداتهم وجهودهم في نشر الدعوة، ووضعوا لذلك مراتب متدرجة يتعاقب بعضها فوق بعض، في ترتيب مخصوص بحيث يشغل كل مرتبة داع معين، ولا يتجاوز بعمله هذه المرتبة والتوقيت ويتلقى المستجيب الدعوة على درجات، كل واحدة منها مترتبة على السابقة، وقد روعي في هذه المراحل تقديم مبادئهم في عطف ولين وحرص.

ومن هنا نرى أن الاسماعيلية لم يتركوا للدعاة مطلق الحرية في الدعوة، بل حددوا لهم الأساليب، ووضعوا لهم الخطط التي يلتزمون بتنفيذها، وبهذا التنظيم الفريد في ذلك العصر استطاعوا أن يثبتوا الحركة ويركزوها في النفوس قبل فترة الظهور والمواجهة.

ولدينا عن هذه الدرجات والمراحل مصدران هامان، هما «نهاية الأرب» للنويري، و «الخطط» للمقريزي.

وسأعرض هذه المراحل من خلال هذين المصدرين مضيفًا إليهما بعض الإيضاحات والتعليقات من بعض كتابات أصحاب الفرق والمقالات، وذلك كالغزالي والبغدادي والديلمي.

(أ) مراحل الدعوة:

للدعوة الاسماعيلية تسع مراحل هي على التفصيل كالآتي:

المرحلة الأولى:

تبدأ هذه المرحلة بدراسة دقيقة عن نفسية المدعو لاستدراجه وتحديد الطّريقة التي يبدأ بها معه، ومدىٰ قابليته للدعوة، ولذا فإن الغزالي والديلمي والبغدادي يطلقون عليها التفرس.

ويشترط الاسماعيلية لمن يزاول هذه المرحلة ثلاثة شروط:

الأول: وهو أهمها، أن يميز الداعي بين من يطمع في استدراجه لقبول ما يلقىٰ إليه مما يخالف معتقده، فرب رجل لا يمكن أن ينتزع ما رسخ في قلبه، فلا يضيعن الداعي كلامه ووقته مع مثل هذا، ويتقي بكل حال إلقاء البذر في الأرض السبخة.

الثاني: أن يكون قوي الحدس، ذكي الخاطر في تغيير الظواهر وردها إلىٰ البواطن، إما اشتقاقًا من لفظها أو تلقيًا من عددها أو تشبيهًا لها بما يناسبها، حتىٰ إذا لم يقبل منه تكذيب القرآن والسنة حاول استخراج معانيها، وترك معه اللفظ منزلاً علىٰ معني يناسب البدعة، فإنه لو شافهه بالتكذيب لم يقبل منه.

الثالث: أن لا يدعوا كل أحد إلىٰ مسلك واحد، بل يبحث عن حاله ومعتقده، وما إليه ميله في طبعه ومذهبه ويسير معه وفق ذلك[1].

وأسلوب هذه المرحلة كما نقلها لنا النويري والمقريزي أن يفتتح الداعي دعوته بسؤال المدعو ـ والذي يعبر عنه عند أهل السنة بالغر أو المخدوع ـ عن بعض المسائل الدينية والشرعية وبعض المسائل الطبيعية والمشكلات الغامضة فإن كان المدعو عارفًا سلم له الداعي وإلا تركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الأسئلة، وقال له: يا هذا إن الدين لمكتوم وإن الأكثر له منكرون، وبه جاهلون ولو علمت هذه الأمة، ما خص الله به الأئمة من العلم لم تختلف.

فيشوق المدعو إلىٰ معرفة ما عند الداعي من العلم، فإذا علم منه الإقبال أخذ في ذكر معاني القراءات وشرائع الدين وتقرير أن الآفة التي نزلت بالأمة وشتت الكلمة

---

(١) انظر فضائح الباطنية للغزالي ص٢١ ـ ٢٢، بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٢٥ ـ ٢٦، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٨٢ ـ ٢٨٣.

وأورثت الأهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم، وأقيموا حافظين لشرائعهم، يؤدونها على حقيقتها، ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها غير أن الناس لما عدلوا عن الأئمة ونظروا في الأمور بعقولهم، واتبعوا ما حسن في رأيهم، وقلدوا سفلتهم، وأطاعوا سادتهم، وكبرائهم، اتباعًا للملوك، وطلبًا للدنيا، التي هي مبتغى الإثم، وأجناد الظلمة، وأعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجتهدون في طلب الرئاسة على الضعفاء، ومكايدة رسول الله ﷺ في أمته، وتغيير كتاب الله عز وجل، وتبديل سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ومخالفة دعوته وإفساد شريعته وسلوك غير طريقته، ومعاندة الخلفاء الأئمة من بعده، وبذلك فسدت أحوالهم، وصار الناس إلى أنواع الضلالات، فإن دين محمد ﷺ ما جاء بالتحلي، ولا بأماني الرجال، ولا شهوات الناس، ولا بما خف على الألسنة، وعرفته دهماء العامة، ولكنه صعب مستصعب، وأمر مستقبل، وعلم خفي غامض، ستره الله في حجبه، وعظم شأنه عن ابتذال أسراره، فهو سر الله المكتوم، وأمره المستور الذي لا يطيق حمله، ولا ينهض بأعبائه وثقله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى فإذا ارتبط المدعو على الداعي وأنس له، نقله إلى غير ذلك.

يقول ابن رزام:

وهذه مقدمة يجعلونها في نفوس المخدوعين، ليواطؤهم على أن لا ينكروا ما يسمعونه، ولا يدفعوه، ويكون ذلك من التأني والتلبيس على المدعو.

وفي هذه المرحلة يجتهد الداعي أن يثير تساؤل المدعو بالإشارة إلى بعض المسائل الغامضة المتعلقة بأصل الخليقة والعالم الآخر، وتركيب جسم الإنسان، مع إثارة البلبلة في بعض الأمور التعبدية، ومن تلك التساؤلات، ما معنى رمي الجمار، والعدو بين الصفا والمروة؟؟

ولما كانت الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ وما تبديل الأرض؟ وما عذاب جهنم؟ وما إبليس؟ وما الشياطين؟ وأين مستقرهم؟ وما يأجوج ومأجوج وهاروت وماروت؟ ولما جعلت السموات سبعًا والأرضون سبعا، والمثاني من القرآن

سبع؟ وأين الروح، وكيف صورها ومستقرها؟ وما معنى الم وآلمص؟ وما معنى كهيعص، حم، عسق[١]؟

ثم يسأل الداعي عن أعضاء الإنسان، وحكمتها العددية والتشريحية وينتهي إلى القول بأن الله الذي خلق الإنسان حكيم غير مجازف وأنه فعل جميع ذلك لحكمة، وله فيها أسرار خفية، فينبغي التفكر في هذه الحال، ولا يجوز الإعراض عن هذه الأمور دون اعتبار أليس الله يقول: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾[٢]. ويقول: ﴿... وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)﴾[٣]. ويقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾[٤] ألا يدلكم هذا على أن الله أراد أن يرشدكم إلى بواطن الأمور الخفية، والأسرار المكتومة التي لو تنبهتم لها وعرفتموها، لزالت عنكم كل حيرة، ودحضت كل شبهة، وظهرت لكم المعارف السنية.

ألا ترون أنكم جهلتم أنفسكم التي من جهلها كان حريًا أن لا يعلم غيرها، فإذا آنس الداعي أن نفس المدعو قد تعلقت بما آثار من تساؤلات، وبدأ يسأله عن معانيها، وتفاسيرها استمهله قائلاً له: لا تعجل، فإن دين الله أعلى وأجل من أن يبذل لغير أهله، ويجعل غرضًا للعب، ثم يتلوا عليه بعض الآيات في الوفاء بالعهد وتوكيد الأيمان، ويطالبه بالعهد الذي يجب أن يقطعه كل مدعو على نفسه بالوفاء والكتمان، وفيه يتعهد (بأن لا يفشي لهم سرًا، وأن لا يظاهر عليهم أحدًا، وأن لا يطلب لهم غيلة أو يكتمهم نصحًا، أو يوالي لهم عدوا).

ثم يطالبه بعد ذلك بمبلغ من المال، كرسم للدخول في الدعوة وإذا امتنع المدعو عن القيام بما تقدم أمسك عنه، وخلى سبيله وإن أجاب انتقل به الداعي إلى المرحلة

---

(١) هذه أوائل بعض سور القرآن، وهي على الترتيب: سورة البقرة، الأعراف، مريم، الشورى.

(٢) سورة الذاريات: ٢٠ ـ ٢١.

(٣) سورة ابراهيم: ٢٥.

(٤) سورة فصلت: ٥٣.

الثانية[١].

إن المتأمل لهذه المرحلة، وما تحويه من دلالات يجد أنها من أطول المراحل وأهمها، حيث أنها ركيزة أساسية لاختيار الأشخاص اختياراً مبنيًا على تلمس وتحر من الداعي بصلاحية من يسير معهم، ويجد منهم لين العريكة، وسرعة التأثر بما يلقي عليهم، ولذا فإن الداعي يتلمس شتى الوسائل ـ سواء كانت مشروعة أو محرمة، فالعبرة بالهدف فقط ـ لمخاطبة المدعو بما تهفوا إليه نفسه، مدخلاً في روعه أنه على نفس مذهبه سنيًا كان أو خارجيًا أو شيعيًا.

كما يلاحظ أيضًا أن ما يقدمه الداعي في هذه المرحلة عبارة عن معلومات عامة، ليس فيها ما يلفت النظر أو الاستنكار أمام المدعو، بحيث إذا لم يجد منه قبولاً واستجابة خلى سبيله ومضى إلى غيره، غير نادم أو متحصر على ما قدم.

ومن خصائص هذه المرحلة أن الداعية يحرك نفسية المدعو بإثارة بعض المسائل المشوقة والتي لا يجد لها جوابًا إلا بالانضمام إلى دعوتهم، والعيش بين أعضائهم، كما يدخلون ذلك في روعه.

ومع الاستعراض لبدء دعوة الاسماعيلية نجد أنها حافلة بالأمثلة الكثيرة لهذه الجاذبية، وأكتفي هنا بإيراد نموذجين:

الأول: لقاء الداعية الاسماعيلي حسين الأهوازي بحمدان قرمط، ومن خلال هذا اللقاء نجد حمدان يتلهف كثيراً لمعرفة بعض الأمور العلمية والتنظيمية التي قد لا يستوعبها.

ومما قال حمدان لاستاذه الأهوازي: يا هذا نشدتك الله إلا رفعت إلي من هذا العلم الذي معك، وأنقذتني، ينقذك الله. فرد عليه الأهوازي قائلاً: لا يجوز ذلك.

الثاني: لقاء ميمون القداح بعلي بن الفضل القرمطي، والذي اتسم بالشد والجذب بينهما، ومما قال علي بن الفضل لميمون: والله ما رميت لي ما رميت، إلا وعندك أثر

---

(١) الخطط المقريزية للمقريزي ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩، نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ١٢٩ ـ ٢٠٢، وانظر كتاب الحاكم بأمر الله لمحمد عبدالله عنان ص٢٦٦، ٢٦٧.

منه، فاهدني إليه، وجعل يلازمه وهو متوقف عنه، ويطارح عليه، وهو ينقبض منه، ولما أراد أن ينصرف، نهض ابن الفضل معه ولكن ميمون أمره بالجلوس في المسجد، حتىٰ يأتيه، ومضىٰ عنه أربعون يومًا، وهو جالس في المسجد لا يبرح، وبعد اختبار طويل رأىٰ قوة عزمه ومن ثم أخذ عليه العهد وأوصله إلىٰ الإمام الذي عاش معه فترة ثم بعثه للدعوة في اليمن، حيث أقام دولة للقرامطة هنالك[1].

ويذكر النويري بعض أغراض الباطنية في هذه المرحلة قائلاً: وإنما غرضهم في ذلك عدة أمور منها:

أولاً: أن يستدلوا بها، بظاهر ما يعطيهم المخدوع من انقياده، وطاعته علىٰ باطن أمره من شكه واضطرابه، وكيف موقع ذلك منه.

ثانيًا: التوثق بالأمن من كشف أحوالهم، وانتشار أمورهم إلا بعد توطئة ما يريدون حالاً فحالاً.

ثالثًا: أن يرسموه بالذل والطاعة لهم، والرضا منه بأن يكون منقاداً تابعًا لهم ومعظمًا، ومكبرا، وإلا فإن نكث الأيمان وقلة الاكتراث بها، والفكر فيها، والاعتداد بها هو دينهم عند البلوغ إلىٰ غايتهم التي يجرون إليها، وإنما يجعلون ذلك مانعًا لأهل هذه الطبقات ما داموا مستشعرين للعمل بالديانات[2].

المرحلة الثانية:

وهي مبنية علىٰ قبول المرحلة الأولىٰ، فلا ينتقل الداعي بالمدعوا إلىٰ هذه المرحلة إلا إذا آنس فيه قبولاً، ووثق بحرصه وكتمانه لما ألقىٰ إليه في المرحلة الأولىٰ.

وفي هذه المرحلة يولد عند المدعو الاعتقاد بتهمة الأمة فيما فعلته عمن كان قبلها من علماء المسلمين، ويقوي شكه في ذلك، وعندئذ يقرر في نفسه أن الله تعالىٰ لم يرض في إقامة حقه، وما شرعه لعباده إلا بأخذ ذلك عن أئمة نصبهم لهم، وأقامهم

---

(١) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي الاسماعيلي بن حيون ص٣٩ ـ ٤٠.

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ٢٠١، ٢٠٢.

لحفظ شرائعه على مراده، ويسلك الداعية في تقرير هذه الأمور عند المدعو بالأدلة على صواب قولهم وبأمور مقررة في كتبهم، وبالسلوك به مسلك أصحاب الإمامة في تعاطي إتيانها من جهة السمع والعقل حتى يتأثر بذلك المدعو، ويتقرر في نفسه الأخذ من الأئمة، فإذا اعتقد ذلك نقله إلى المرحلة الثالثة[1].

ويطلق الغزالي والبغدادي والديلمي على هذه المرحلة (التأنيس) لأن الداعية يظهر للمدعوا ما يألفه ويأتي إليه، بلسانه وفعله مع تزيين ما عليه الإنسان من مذهبه في عينه[2].

وينفرد الغزالي بذكر رسوم يزاولها الدعاة مع المستجيب في هذه المرحلة يقول عن ذلك: وقد رسم القرامطة والباطنية للدعاة والمأذونين أن يجعلوا مبيتهم كل ليلة عند واحد من المستجيبين ويجتهدون في استصحاب من له صوت طيب في قراءة القرآن ليقرأ عندهم زماناً ثم يتبع الداعي ذلك كله بشيء من الكلام الرقيق وأطراف من المواعظ اللطيفة الآخذة بمجامع القلوب ثم يردف ذلك بالطعن في السلاطين وعلماء الزمان وجهال العوام، ويذكر أن الفرج منتظر من كل ذلك ببركة أهل بيت رسول الله ﷺ، وهو فيما بين ذلك يبكي أحياناً ويتنفس الصعداء، وإذا ذكر آية أو خبراً، ذكر أن لله سراً في كلماته لا يطلع عليه إلا من اجتباه الله من خلقه وميزه بمزيد لطفه[3].

وبالنظر في هذه المرحلة نجد أن الدعاة يركزون على أصل من أصول الاسماعيلية التي انطلقوا منها، وهو مبدأ الإمامة الذي ينبني عليه الكثير من المعتقدات والآراء، فهم يضعون الأساس لهذا المبدأ في نفس المدعو، كما أن أسلوبهم في هذه المرحلة يعتبر غاية في التأثير والتوجيه فحسبما ذكر الإمام الغزالي يعتمد على المعايشة والمصاحبة، والتجارب العملية، ومن وصايا الدعاة قولهم: وابذل للمستجيب نفسك ومالك،

---

(١) المرجع السابق ٢٥/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) انظر فضائح الباطنية للغزالي ص٢٤، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٨٦، بيان مذهب الباطنية للديلمي ص٢٦.

(٣) فضائح الباطنية للغزالي ص٢٤.

وافرش له جناحك وأودعه سرك وشاوره في أمرك، وإن هفا هفوة فاغفر له[١].

المرحلة الثالث:

وهي مرتبة على الدعوة في المرحلة الثانية، وذلك أنه إذا علم الداعي ممن دعاه أن ارتباطه على دين الله لا يعلم إلا من قبل الأئمة قرر حينئذ عنده أن الأئمة سبعة قد رتبهم الباري تعالى كما رتب الأمور الجليلة من السموات والأرضيين والكواكب وغيرها حيث جعلها سبعًا، وهؤلاء الأئمة السبعة هم:

علي بن أبي طالب، والحسن بن علي، والحسين بن علي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، والسابع هو القائم صاحب الزمان.

فإذا تقرر عند المدعو أن الأئمة سبعة انحل عن معتقد الإمامية من الشيعة القائلين بإمامة اثنى عشر إماماً وصار إلى معتقد الاسماعيلية بأن الإمامة انتقلت إلى محمد بن اسماعيل، فإذا علم الداعي ثبات هذا المعتقد في نفس المدعو شرع في ثلب بقية الأئمة الذين قد اعتقد الإمامية فيهم الإمامة وقرر عند المدعو أن محمد بن اسماعيل عنده علم المستورات، وبواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند أحد غيره، وأن دعاته هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لأنهم أخذوا عنه، ومن جهته رووا، وأن أحداً من الناس المخالفين لهم لا يستطيع أن يساويهم، ولا يقدر على التحقق بما عندهم إلا منهم، ويحتج لذلك بما هو معروف في كتبهم، فإذا انقاد المدعو وسمع قولهم نقل إلى الدعوة الرابعة[٢].

ويعبر الغزالي والديلمي عن هذه المرحلة «بحيلة التشكيك» حيث أن الداعي يشكك المستجيب في عقيدته تمهيداً لتغييرها واستبدال العقيدة الاسماعيلية بها، وسبيل الداعي في ذلك توجيه العديد من الأسئلة عن الحكمة في مقررات الشرائع وغوامض المسائل وعن المتشابه من الايات وكل ما لا ينقدح فيه معنى معقول ولا يزال يورد عليهم من هذا الجنس حتى يشككه وينقدح في نفسه أن تحت هذه الظواهر أسراراً سدت عنه

(١) اخوان الصفا للدسوقي ص٨٠.

(٢) الخطط المقريزية للمقريزي ٢/ ٢٢٩ـ ٢٣٠.

وعن أصحابه وينبعث منه شوق إلى طلبه[1].

المرحلة الرابع:

تعتبر هذه المرحلة مبدأ للتحول إلى المراتب العليا في الدعوة الاسماعيلية، ولذا فإن الداعي لا يشرع في تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدم.

وعندئذ يقرر عنده مبدأهم المتعلق بأدوار النبوة السبعة، وكيفية الناطق والسوس والصوامت، وتفصيل ذلك:

أن الأنبياء المعتبرين الناسخين للشرائع الناطقين بالأمور كالأئمة سبعة فقط وكل منهم لابد له من صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته ويكون له ظهيراً في حياته ثم يخلفه بعد وفاته، ويتخذ له كنبيه ظهيراً يخلفه ويسير كل مستخلف على هذا المنوال إلى أن يأتي منهم على تلك الشريعة سبعة، ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون، لأنهم ثبتوا على شريعة واحدة واقتفوا أثراً واحداً، ويقال لأولهم السوس، فإذا انقضى هؤلاء السبعة فلابد أن يبدأ دور ثان من الأئمة يفتتحه نبي ناطق ينسخ شريعة من مضى ويخلفه على النحو المتقدم سبعة من الصمت وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع المتقدمة ويكون هو صاحب الزمان الأخير ثم يذكرون الأنبياء من آدم حتى محمد ﷺ ويطلقون عليهم عبارة النطقاء مع ذكر سوس كل نبي وصوامته السبعة، ويضيفون إليهم السابع من النطقاء، والذي يعتبرونه بمنزلة أولي العزم من الرسل وهو إمامهم محمد بن اسماعيل. وعندئذ يقرر الدعاة للمستجيبين أن محمد بن اسماعيل انتهى إليه علم الأولين وقام بعلم بواطن الأمور وكشفها، وإليه المرجع في تفسيرها دون غيره، وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له، والانقياد إليه والتسليم له؛ لأنه الهداية في موافقته واتباعه، والضلال والحيرة في العدول عنه[2].

ويعلق النويري على تعاليم هذه المرحلة بقوله: إن هذه المرحلة هي أول دعوة يخرج بها المدعو عن شريعة رسول الله عليه الصلاة والسلام ويدخل في جملة الكفار

---

(١) انظر فضائح الباطنية للغزالي ص٢٥ ـ ٢٦، بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٢٦.

(٢) انظر الخطط المقريزية للمقريزي ٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.

والمرتدين عن شريعته وذلك لأن الداعي قرر للمدعو نبوة نبي بعد محمد ﷺ وسهل بها طريق النقل عن شريعته فأخرجه عما هو معلوم عند كل سامع لدعوة رسول الله ﷺ وسهل بها طريق النقل عن شريعته فأخرجه عما هو معلوم عند كل سامع لدعوة رسول الله ﷺ من أن دينه وما علم من مذهبه ونحلته أنه خاتم الرسل، وأن لا نبي بعده وأن من مفهوم الشريعة الإسلامية أنه لم يكن يجوز لأحد اعتقاد نبوة غيره في وقته ولا فيما بعده[1].

ولما كانت هذه المرحلة جديدة بالنسبة لعرض المعتقدات الباطنية فإننا نجد الغزالي يسميها (بالتعليق)، فالمدعو يبدي في هذه المرحلة الجديدة عليه اشتياقًا إلى معرفة الأسرار التي حدثه الداعي عنها، ولكن لا يسعفه بالإجابة عليها، بل يهول الأمر عليه ويعظمه في نفسه، ويتركه معلقًا ومما يقول له: لا تعجل فإن الدين أجل من أن يعبث به أو أن يوضع في غير موضعه، ويكشف لغير أهله.

وهكذا لا يزال يسوقه ويدافعه حتى يسلك المدعو أحد طريقين:

الأول: الإعراض عن الداعي والاستهانة به، واعتبار ما سمع من الفضول التي لا تحرك ساكنًا ولا تلهب عاطفة، وعندئذ يقطع الطمع ب ويعرض عنه.

الثاني: أن يجد الداعي إصراراً من المدعو على التعطش إلى ما وعده به بعد تركه معلقًا إلى حين، حتى إذا وافى الميعاد، قال له: إن هذه الأسرار مكتومة لا تودع إلا في سر محصن، فحصن حرزك واحكم مداخله حتى أودع فيه السر، فيقول المستجيب: وما طريقه؟ فيقول: أن آخذ عهد الله وميثاقه على كتمان هذا السر ومراعاته عن التضييع، فإنه الدر الثمين والعلق النفيس ثم يذكر له بعضًا من الآيات القرآنية التي فيها العهد والميثاق موهمًا أنها هي المراد بذلك، فإن وافق استمر معه، وإلا أعرض عنه[2].

ويفهم من خلال سياق الغزالي لهذه المرحلة، وتسميتها بالتعليق أنها مرحلة دقيقة يتعلق بها ويتوقف عليها دخول التابع في الدعوة الاسماعيلية والانخراط في سلكها،

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ٢٠٧.

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص٢٦ ـ ٢٧.

كما يفهم مما ذكره المقريزي أن تعاليم هذه المرحلة أعظم وأخطر من سابقتها، فهي بداية الدخول في صميم المذهب.

ومما يقدم للمستجيب فيها عقائد اسماعيلية بحتة كتمييز إمامهم محمد بن اسماعيل على الأئمة الآخرين للشيعة، وإضفاء بعض الألقاب عليه، والتي لا تطلق عندهم إلا على الأنبياء والرسل كالنطقاء مثلاً، ولذا فإن النويري صرح بكفر من يصل هذه المرحلة ولا يثوب إلى الرشد والهدى[1].

المرحلة الخامسة:

يلقى فيها المستجيب المزيد من التعليمات فيما يتعلق بعلم الأعداد والتأويل على نحو يجعله يرفض الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيفقد الاهتمام تدريجيًا بمنطوقهما بحيث يصل في النهاية إلى رفض كافة تعاليم الإسلام.

ومما يتقرر لديه في هذه المرحلة أنه لابد أن يكون معه كل إمام في كل عصر حجج متفرقون في جميع الأرض، وعددهم اثنا عشر رجلاً ويستدل على ذلك بأن البروج اثنا عشر، وأن نقباء بني اسرائيل اثنا عشر ونقباء النبي ﷺ اثنا عشر، ويستدل على عدد الأنبياء بعدد السموات والأرضين، ويذكر النويري أن الدعاة يكثرون من أمثال هذه المقابلات للحصول على أنس المدعو، وارتياحه حتى يكون ذلك تمهيدًا للخروج عن أحوال الأنبياء وشرائعهم، والعدول إلى منهج الفلاسفة في ترتيب شبههم، ما رأوا أن هناك بقية من دين في نفس المستجيب[2].

ومن متطلبات هذه المرحلة ربط المستجيب بالحركة الاسماعيلية وذلك بأخذ العهود المؤكدة والمواثيق المشددة، والأيمان المغلظة بحيث لا يجرؤ على نكثها أو مخالفتها، ولذا أطلق عليها بعض العلماء بحيلة (الربط)[3].

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ٢٠٦.

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩، دولة الاسماعيلية لمحمد السعيد ص٣٠.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٨٦، فضائح الباطنية للغزالي ص٢٨، بيان مذهب الباطنية للديلمي ص٢٧.

ونص هذا العهد الذي بمقتضاه يصبح المدعو مرتبطًا بالدعوة قول الداعي المستجيب: جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله عليه السلام وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق أنك تستر ما سمعته مني وتسمعه، وعلمته من أمري، وأمر المقيم بهذه البلدة لصاحب الحق الإمام المهدي وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته وأمور المطيعين له على هذا الدين، ومخالصة المهدي وشيعته من الذكور والإناث والصغار والكبار، ولا تظهر من ذلك قليلاً لا كثيراً تدل به على إلا ما أطقت لك أن تتكلم به، أو أطلق لك صاحب الأمر، المقيم في هذا البلد، أو في غيره، فتعمل حينئذ بمقدار ما ترسمه لك ولا تتعداه، جعلت على نفسك الوفاء بما ذكرته لك وألزمته نفسك في حال الرغبة والرهبة والغضب والرضى، وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه أن تتبعني وجميع من أسميه لك، وأبينه عندك مما تمنع عنه نفسك وأن تنصح لنا وللإمام نصحًا ظاهراً وباطنًا، وأن لا تخون الله ولا وليه ولا أحداً من أعوانه وأوليائه، ومن يكون منه ومنا بسبب من أهل ومال ونعمة، وأنه لا رأي ولا عهد يتناول هذا العهد بما يبطله، فإن فعلت شيئًا من ذلك، وأنت تعلم أنك قد خالفته فأنت بريء من الله ورسله، الأولين والآخرين، ومن ملائكته المقربين، ومن جميع ما أنزل من كتبه على أنبيائه السابقين وأنت خارج من كل دين وخارج من حزب الله، وحزب أوليائه وداخل في حزب الشيطان وحزب أوليائه، وخذلك الله خذلانًا بينًا، يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة(ثم يرد عليه مرة أخرى) بقوله: إن خالفت شيئًا مما حلفتك عليه بتأويل أول بغير تأويل فلله عليك أن تحج إلى بيته ثلاثين حجة نذراً واجبًا ماشيًا حافيًا، كما أن ما تملكه في الوقت الذي تحلف فيه صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم، وكل مملوك يكون لك في ملكك يوم تخالف فيه (أي العهد والميثاق) فهم أحرار، وكل امرأة تكون لك أو تتزوجها في المستقبل فهي طالق ثلاثًا بتة وإن نويت أو أضمرت في يمين هذه خلاف ما قصدت، فهذه اليمين من أولها إلى آخرها لازمة لك والله الشاهد على صدق نيتك وعقد ضميرك، وكفى بالله شهيداً بيني وبينك، قل نعم! فيقول: نعم[1].

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص٢٨ ـ ٢٩.

إن لهذه العهود والمواثيق أثر بالغ في تثبيت أعضاء الحركة الاسماعيلية، وتفانيهم في نصرتها، مهما كلفهم ذلك ومع التتبع لتاريخهم نجد أن دعاة المذهب الاسماعيلي كثيراً ما توقفوا مع المستجيب حتى يقدم هذا العهد، ويلتزم به، فالحسين الأهوازي (داعية الإمام الاسماعيلي) حينما التقى بحمدان قرمط وآمن الأخير بالدعوة الاسماعيلية قال حمدان متلهفًا: يا هذا، نشدتك الله إلا رفعت إلي من هذا العلم الذي معك، فرد الأهوازي عليه قائلاً: لا يجوز ذلك حتى آخذ عليك عهداً وميثاقًا، أخذه الله على النبيين والمرسلين وألقى إليك ما ينفعك. فما زال حمدان يضرع إليه حتى جلسا في بعض الطريق، وأخذ عليه العهد، فقال له قرمط: قم معي إلى منزلي حتى تجلس فيه، فإن لي اخوانًا أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي[1].

وكذلك علي بن الفضل القرمطي الذي التقى بميمون القداح وآمن بدعوته الباطنية، فإنه لم يعرفه بالإمام ويوصله إليه إلا بعد المضي في مراحل الدعوة، والوصول إلى مراحلة العهد والميثاق وحينما أخذ عليه العهد أوصله إلى الإمام الذي وجهه داعيًا إلى اليمن[2].

ومن عبارات أحد الدعاة ما يشير إلى الاهتمام البالغ بأخذ العهد والميثاق على الأتباع، يقول المؤيد في سيرته: «وفتحت صحيفة الاستحلاف لهم بأيمان البيعة»[3].

كما أن لهذه العهود والمواثيق أثر بالغ في تفاني الكثيرين في نصرة الدعوة الاسماعيلية وتخوف من يريد الخروج عنها، وهذا ما حدى ببعض علماء السنة إلى تفنيد هذه المواثيق، وبيان كيفية التخلص منها والتحلل من ربقتها[4].

وينقل لنا محمد عليان بعضًا من فوائد أخذ العهد والميثاق على أتباعهم بقوله: ويتجلى لنا ذلك فيما فعله أنصار يحيى بن زكرويه إذ خضعوا لأخيه الحسين بعد مقتل

---

(١) اتعاظ الحنفاء للمقريزي ١/١٥٢.

(٢) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ص٣٩ ـ ٤٠.

(٣) السيرة المؤيدية ص١٢١.

(٤) انظر فضائح الباطنية للغزالي ص١٦٤ ـ ١٦٨.

يحيى لأن العهد يتضمن انتصار المستجيب للداعي والمقربين إليه مع النصح والوفاء لهم، وحين رفض الحسين بن زكرويه الاستماع إلى نصيحة أتباعه بالفرار بعد أن ضيق القائد العباسي الخناق عليه، قال له أتباعه، ما كنا لننصحك لولا أن لك في رقابنا بيعة.

كما استباح أبناء زكرويه قتل زوج أختهم، لأنه ـ كما زعموا ـ خرج عن طاعة الإمام[1].

المرحلة السادسة:

وفيها يتحدث الداعي عن شرائع الإسلام وفرائض من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها، ويعلم المدعو أن هذه الشرائع والفروض ترجع في الواقع إلى معان وحكم أخرى غير الظاهرة وأنها وضعت على سبيل الرموز لمصلحة العامة حتى يشتغلوا بها عن بغي بعضهم على بعض ولكي تصدهم عن الفساد في الأرض وتكفل خضوعهم وحسن طاعتهم وذلك حكمة من الناصبين للشرائع وقوة في حسن سياستهم لاتباعهم واتقانًا منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك فإذا استقر في ذهن المدعو أن أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن لها معان أخرى غير ما يدل عليه الظاهر انتقل الداعي بالمدعو إلى ميدان الفلسفة ونظريات الفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطوا وفيثاغورس وغيرهم، وأخذ يعلم أن منطق العقل هو المعول عليه في الأمور وأنه يجب ألا يؤخذ بالأخبار والأشياء المنقولة وإنما يجب الأخذ بالأدلة العقلية دون غيرها فإذا استقر ذلك عنده واعتقده نقله إلى الدعوة السابعة ويحتاج ذلك إلى زمان طويل[2].

ولذا يقول الدكتور حسن ابراهيم: إنه لم يتعد هذه المرتبة إلا القليل حتى أن كثيرين من مشهوري دعاة الاسماعيلية كأبي عبدالله الشيعي لم يتجاوزها[3]. ويشير النويري إلى أن تعاليم هذه المرحلة لا تأتي إلا على قلوب قد فرغت وسهل عليها قبول

---

(١) انظر كتاب قرامطة العراق لعليان ص١٧٢.

(٢) الخطط المقريزية للمقريزي ٢/ ٢٣٢، وانظر كتاب الحاكم بأمر الله لمحمد عنان ص٢٧٠.

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ص٣٤٣.

التعاليم الباطنية ولم يعد لها ما تنكره[1].

ولأهمية هذه المرحلة عند الاسماعيلية وما تشتمل من تعاليم فإنه لابد للداعي عند كشفه لهذه التعاليم من مراعاة أمور عدة ذكرها الغزالي وهذا ملخصها :

(١) أن يقتصر الداعي في أول وهلة على ذكر قاعدة المذهب وهي التسليم بأن النجاة والخلاص معلق بالأئمة ، فهم الذين أودعهم الله سره المكنون ودينه المخزون وكشف لهم بواطن الأمور فهم الذين يطلعون على معاني القرآن .

(٢) أن يحتال لابطال المدرك الثاني من مدارك الحق وهو ظواهر القرآن ويحاول إقناع المستجيب بأن معرفة علم الباطن هي المعرفة الحقيقية ؛ لأن الظاهر بالنسبة للباطن كالقشر بالنسبة للب ولا يقنع بالظاهر إلا من تقاعد به القصور عن درك الحقائق .

(٣) ألا يظهر من نفسه أنه مخالف للأمة كلهم وأنه منسلخ عن الدين والنحلة ولكن يعتزئ إلى بعض الفرق ويتستر بها ولا سيما الروافض الذين يتجملون بحب أهل البيت .

(٤) أن يدخل في روعه أن الأكثر ينكرون الحق لأنه دقيق ويقبلون الباطل لأنه ظاهر جلي . أما طلاب الحق والقائلين به فهم أفراد وآحاد فيهون عليه التميز على سائر المسلمين .

(٥) إذا لاحظ الداعي أن المستجيب لا يزال يساوره الشك في الدعوة ذكر له أسماء بعض الشخصيات ممن يشهد لهم المستجيب بالفضل ويعتقد فيهم الذكاء والفطنة ويزعم أنهم يعتقدون مذهبه سراً ولكنهم لا يبوحون به ويجتهد الداعي في اختيار من يكون بعيداً منهم عن مقر المستجيب حتى لا يسهل عليه استقصاء أخبارهم والوقوف على حقيقة مذهبهم .

(٦) أن يمني المدعو بظهور شوكة هذه الطائفة وانتشار أمرهم وعلو رأيهم وظفر ناصريه بأعدائهم ووصول كل واحد منهم إلى مراده حتى تجتمع لهم سعادة الدنيا

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ٢١٠ .

والآخرة.

(٧) ألا يطول الداعي إقامته ببلد واحد حتى لا يشتهر أمره وفي فترة إقامته يحتاط لذلك بأن يلبس على الناس أمره ويتعرف إلى كل قوم باسم وآخر وليغير في بعض الأوقات هيئته ولبسته خوف الآفات[١].

وهذه المرحلة تسمى عند علماء الفرق بـ «التدليس» وذلك لأن الداعي يكشف للمستجيب عن شيء من أسرار الدعوة الباطنية مع التمويه ببعض الأمور عليه حتى يسهل تقبله لها[٢].

إنا مما يلاحظ على تعاليم هذه المرحلة التركيز على أصل كبير من أصول الاسماعيلية وهو تفسير المعتقدات والأعمال وجميع شؤون الحياة تفسيراً باطنياً يزيل المفاهيم الإسلامية الصحيحة من ذهن المدعو ويهيئه لتقبل معتقدات الاسماعيلية المستمدة من نظريات الفلاسفة ولذا فإن هذه المرحلة دقيقة وطويلة في آن واحد. فالداعي يضع لنفسه تحفظات معينة من خلال كشفه لأفكارها. كما أن المدعو يحتاج إلى زمن طويل لهضم تعاليمها ونتيجة لما ذكرنا فإن القلة من المستجيبين تجاوزوا هذه المرحلة إلى ما بعدها.

المرحلة السابعة:

وهي تتضمن معلومات لا يفصح الداعي بها ما لم يكثر أنسه بمن دعاه ويتيقن أنه قد تأهل إلى الانتقال إلى رتبة أعلا مما هو فيه فإذا علم ذلك أخذ يلقنه بعض المقدمات في العقيدة الثنائية[٣] كقوله:

قد صح لك - أي للمدعو - ان صاحب الدلالة الناصب للشريعة لا يستغني بنفسه

---

(١) انظر فضائح الباطنية للغزالي ص٣٠ - ٣٢.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٨٧، فضائح الباطنية للغزالي ص٢٩، بيان مذهب الباطنية للديلمي ص٢٩، قرامطة العراق لعليان ص١٧٢.

(٣) المراد من الثنائية هو مذهب الثنوية المجوس القائلين بإلهين اثنين إله الخير واله الشهر أو إله النور وإله الظلمة.

ولابد له من صاح بمعه يعبر عنه ليكونا اثنين أحدهما هو الأصل. والاخر عنه كان وصدر وهذا إشارة إلىٰ العالم السفلي وكذلك العالم العلوي اثنان هما أصل الترتيب وقوام النظام أحدهما هو الأعلىٰ والمفيد والآخر هو الأخذ عنه وهو المستفيد وربما استدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ...﴾[1] وحينما يسلك المدعو هذا الطريق فإنه يؤدي به إلىٰ الكفر والعدول عن التوحيد[2].

ويعلق عنان علىٰ هذه المرحلة بقوله: إنها تهدم فكرة الإسلام الجوهرية القائمة علىٰ وحدة الإله حيث أنها مستمدة من تعاليم الثنوية القائلين بإلهين اثنين[3].

ولا يغال هذه المرحلة في الكفر والالحاد فإنه حتىٰ الداعي لا يكون بالغًا بأغراض هذه المرحلة وعالمًا بأسرارها فهذا غافل لايدري كيف قصته ولا يظن أن الأمر اذي يراد به إلا ما عرفه وبلغه أو ما يجانسه ويقارنه وحيث يثبت لدىٰ الدعاة التزام المستجيب لتعاليم هذه المرحلة وما قبلها يصبح عضواً في الدعوة الاسماعيلية وينقل إلىٰ مرتبتي الحقيقة والتي لا يدركها سوىٰ الأئمة[4].

ومن الجدير بالذكر أن لكل مرحلة من المراحل السبع منهج فكري ألفه بعض علماء الاسماعيلية وخصوا فيه كل مرحلة بما يناسبها. ، يقول ابن النديم: وللقرامطة والاسماعيلية بلاغات سبعة وهي:

كتاب البلاغ الأول للعامة وهو في مستوىٰ المرحلة الأولىٰ. كتاب البلاغ الثاني لما فوق هؤلاء قليلاً وهو في مستوىٰ المرحلة الثانية.

كتاب البلاغ الثالث لمن دخل في المذهب سنة وهو في مستوىٰ المرحلة الرابعة.

كتاب البلاغ الرابع لمن دخل في المذهب سنتين وهو في مستوىٰ المرحلة الخامسة.

---

(١) سورة الزخرف: ٨٤.

(٢) انظر الخطط المقريزية للمقريزي ٢/ ٢٣٢، نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ٢١٤.

(٣) تاريخ الجمعيات السرية لمحمد عبدالله عنان ص٤٣.

(٤) انظر مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٢/ ١٦٧.

كتاب البلاغ الخامس لمن دخل في المذهب ثلاث سنين وهو في مستوىٰ المرحلة الخامسة.

كتاب البلاغ السادس لمن دخل في المذهب أربع سنين وهو في مستوىٰ المرحلة السادسة.

كتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر وهو في مستوىٰ المرحلة السابعة.

وقد اطلع ابن النديم علىٰ هذا الكتاب الأخير وقرأه وقال عنه: قد قرأته فرأيت فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها[1].

وقد أشار نظام الملك[2] إلىٰ البلاغ السابع عند حديثه عن أبي طاهر القرمطي وقال: إن هذا الكتاب كان في حوزة الدعاة إلىٰ المذهب وأن القرمطي التمسه منهم فأرسلوه له ولما قرأه تغيرت حاله ومن ثم فإنه سار هو وأتباعه إلىٰ مكة[3].

وقد أشار إلىٰ هذا الكتاب الديلمي ونقل منه نصوصاً متعددة ومتفرقة في كتابه بيان مذهب الباطنية ونسب هذا الكتاب إلىٰ أبي القاسم القيرواني أحد دعاة الباطنية[4].

كما ذكره أيضاً البغدادي ونقل منه رسالة موجهة من أحد أئمة الاسماعيلية إلىٰ أبي طاهر القرمطي ولكنه سماه بالبلاغ الأكيد والناموس الأعظم[5].

ويشير النويري إلىٰ البلاغات كلها بقوله: ثم لا يزال المدعو شيئاً فشيئاً في أبواب البلاغ السبعة حتىٰ يبلغ الغاية القصوىٰ علىٰ تدريج وكل باب من هذه البلاغات يشهد

(١) كتاب الفهرست لابن النديم ص٢٤٠.

(٢) سياسة نامه للطوسي ص٢٧٩.

(٣) المقصود من مسيره إلىٰ مكة حادثة القرامطة المشهورة في عام ٣١٧هـ حينما دخلوا مكة وقتلوا جميع الحجيج واقتلعوا الحجر الأسود وذهبوا به معهم إلىٰ عاصمتهم هجر.

(٤) انظر بيان مذهب الباطنية للديلمي ص١١٧.

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٨.

للمتقدم قبله والمتقدم يشهد للمتأخر[١].

وبعد استيعاب هذه المراحل وبلاغاتها ينقل المدعو إلىٰ المرحلة الثامنة مع تمسك الداعي بوصية الأئمة التالية تجاه من وصل إلىٰ هذه الرتبة (وإياك ـ أي الداعي ـ أن تغتر بكثير ممن يبلغوا معك إلىٰ هذه المنزلة فترقيه إلىٰ غيرها إلا من بعد طول المؤانسة والمدارسة واستحكام الثقة فإن ذلك يكون عونًا لك عند بلاغة علىٰ تعطيل الكتب التي يزعمون أنها منزلة من عند الله فيكون هذا نعم المقدمة وإياك أن ترقىٰ آخر من هذا إلىٰ ما هو أعلىٰ منه[٢].

المرحلة الثامنة:

وتعاليم هذه المرحلة تشتمل علىٰ تقرير المعتقدات الأساسية للاسماعيلية وكشفها صراحة بعد تسليم المدعو بجميع ما تقدم من المراتب السابقة ومما يقرر فيها ما يأتي:

(١) القول بإلهين اثنين ويعبرون عنها بالسابق واللاحق[٣].

فالسابق أنشأ الأعيان والثاني صورها وركبوها ومع ذلك فالسابق (أي الإله الأول عندهم) لا اسم له ولا صفة ولا ينبغي لأحد أن يعبر عنه ولا أن يعبده. وأما الإله الثاني وهو التالي فإنهم يقولون إنه يدأب في أعماله حتىٰ يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت في الأرض يدأب في أعماله حتىٰ يصير بمنزلة الناطق سواء وأن الداعي يدأب في أعماله حتىٰ يبلغ منزلة السوس وحاله سواء وهكذا جري أمور العالم في أكواره وأدواره.

(٢) وفي معتقد النبوة يقرر لدىٰ المدعو أن معنىٰ النبي الصادق الناطق ليس يجري علىٰ ما يقوله أهل الشرائع من أنه جاء بمعجزات ودلالات خارجة عن أحوال العادات. وأن معنىٰ ذلك إنما هو:

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ٢١٠.

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٥/

(٣) ذكر النويري أن هذه الأقوال أفكار مجوسية بحتة يخرج بها قائلوها عن كل ديانة دان بها أحد من أهل الشرائع التي تنعقد معها نبوة وشريعة ولا يكون هذا القول إلا مع دهرية أو ثنوية. انظر مذاهب الإسلاميين للدكتور عبدالرحمن بدوي ٢/ ١٦٨، ١٦٩. وعن تفصيل هذا المعتقد والرد عليه يرجع إلىٰ الباب الثالث من البحث وهو المعتقدات الاسماعيلية.

معان تنظيم بها السياسة ووجوه الحكمة التي تحوي معاني فلسفية وجميعها تنبئ عن حقائق ابتداء السموات والأرض وما يشتمل عليه العالم بأسره من الجواهر والأعراض ومعرفة ذلك يكون إما رموز يعقلها العالمون أو بإفصاح يعرفه كل أحد وبذلك ينتظم للنبي شريعة يتبعها الناس[١].

ويشير عنان إلى تقرير هذين الأمرين بقوله: وفي هذه المرحلة تنقض كل صفات الألوهية والنبوة ويعلم الطالب أن الرسل الحقيقيين هم رسل العمل الذين يعنون بالشؤون الدينية كالنظم السياسية وإنشاء الحكومات[٢].

(٣) وعن الأخرويات يقرر للمدعو أن ما جاء في القرآن عن القيامة والثواب والعقاب معناه غير ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر إلى الذهن فحقيقتها:

تقلب الأمور وحدوث الأدوار عند انقضاء أدوار أخرى من الكواكب وعوالم إجماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة في كتبهم[٣].

ويعبر الغزالي والديلمي عن هذه المرحلة (بالخلع)؛ لأن المستجيب وصل إلى درجة تفضي به إلى ترك حدود الشرع وتكاليفه[٤].

وليس المراد بأن معناها توقف التابع عن مباشرة تعاليم مذهبه السابق بعد إعلانه الدخول في الدعوة كما ذكر ذلك بعض الكتاب؛ لأن ذلك يكون في المرحلة السابعة وسبق أن أشرنا إلى ذلك[٥].

أنه مع التأمل للمراحل السابقة وهذه المرحلة نجد أن معتقدات الاسماعيلية عرضت على المدعو وقررت في فكره بأسلوبين:

---

(١) انظر الخطط المقريزية للمقريزي ٢/ ٢٣٢، ٢٣٣، نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ٢١٢-٢١٣.

(٢) تاريخ الجمعيات السرية لمحمد عنان ص٤٣.

(٣) انظر الخطط المقريزية ٢/ ٢٣٣.

(٤) فضائح الباطنية للغزالي ص٣٢، بيان مذهب الباطنية للديلمي ص٣٠.

(٥) الحركات السرية في الإسلام لمحمود اسماعيل ص١٢٩.

الأول: تقرير أصول الاسماعيلية الأساسية وذلك كالإمامة والظاهر والباطن وهذا كان بارزاً في المراحل السبع حيث تقرر لديه أصولاً على ضوئها يصل إلى المعتقدات التفصيلية.

الثاني: إيضاح هذه المعتقدات وتقريرها صراحة وهذا ما تتضمنه المرحلة الثامنة حيث بينوا للمدعو عقيدتهم الثنائية في الألوهية وكذلك في النبوة والأنبياء كما بينوا معتقدهم في المعاد والثواب والجزاء وهذه هي غالب المعتقدات فيكون المستجيب بعد هذه المرحلة مستوعبًا لمعظم تصورات الاسماعيلية وأصولهم الفكرية كما أنه يؤهل للانتقال للمرحلة التاسعة والأخيرة.

المرحلة التاسعة:

وهي المرحلة الأخيرة في التعليمات المذهبية حيث لا وجود لعقائد قطعية وفرائض لازمة وعندئذ يدخل المستجيب إلى حظيرة الأسرار الأخيرة فتندرس آثار الدين وعلاماته من قلبه ويحال إلى طلب الأمور وتحقيقها وحدودها والاستدلال عليها من طرق المتفلسفة وإدراكها من كتبهم ويصبح حراً في اختيار طريقه في إطار مذاهب الفلاسفة[١].

يقول النويري مبينًا آثار تعاليم هذه المرحلة: فربما صار البالغ في النظر في هذا إلى اعتقاد مذهب ماني وابن ديصان ـ وربما صار إلى مذهب المجوس ـ وربما دان بما يحكي عن أرسطاطاليس.

وربما صار إلى أمور تحكى عن أفلاطون وربما اختار من تلك معاني مركبة من هذه الأمور كما يجري لكثير من هؤلاء المتحيرين[٢].

ومما يقرر للمستجيب في مرحلته الأخيرة أن كل التعاليم الدينية أوهام محضة لا يجب العمل حينئذ بها إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها ويكفيه معرفتها فإنها اليقين الذي يجب المصير إليه. وما عدا

(١) دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد جمال الدين ص٣١، ٣٢.

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ٢١٤.

المعرفة من سائر المشروعات فإنما هي أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الأعراض والأسباب[١].

وهكذا فإن تعاليم هذه المرحلة تهدم كل اعتقاد ليس في الإسلام وحده بل في جميع الأديان المنزلة من عند الله. ويطلق الغزالي على هذه المرحلة (بالسلخ) لانتزاع معتقدات المدعو الدينية فإذا انتزعوا ذلك من قلبه دعوا ذلك سلخًا[٢]. ولهذا التعليل يعبر بعض العلماء عن هذه المرحلة بالانسلاخ من الدين[٣].

تلك هي مراحل الدعوة السرية عند الاسماعيلية. ومن الواضح أن هذه المراحل تحتوي على جميع التعاليم المذهبية لهم بحيث تنتهي بالمدعو إلى فقد العقيدة الإسلامية والاستعاضة عنها بالفلسفات والعقائد الباطنية الهابطة هنا وهناك. ومما لا شك فيه أن لهذه المرحلية أثر كبير في انتشار المذهب الاسماعيلي دونما مواجهة أولفت نظر، فقد استطاع الدعاة تعميم مبادئهم وتثبيتها في نفوس المستجيبين على شكل خطوات بني اللاحق منها على السابق حتى وصلوا إلى مباديء فلسفية لا يتقبلها إلا ملحد متحلل من الشرائع.

كما كان لهذه المرحلية دور مهم في بعث الشوق والحماس والإغراء لدى الأتباع للوصول إلى درجة أعلى من درجتهم وهذا لا يتم إلا بأن يصرف المستجيب كامل جهوده وطاقاته في خدمة المذهب والتفاني في سبيله. إضافة إلى ذلك فقد استغل الدعاة هذه المرحلية لجمع الأموال حيث كان يؤخذ من كل مستجيب للدعوة مقدارًا من المال برهانًا على إيمانه بها وكذلك عندما كان يرتقي إحدى درجاتها حتى أنه تجمع لدى رئاسة الدعوة من ذلك أموال طائلة[٤].

---

(١) الخطط المقريزية للمقريزي ٢/ ٢٣٣.

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص٣٢.

(٣) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٣٠.

(٤) انظر كتاب قرامطة العراق لعليان ص٢٠.

(ب) مراتب الأئمة:

أعطى الاسماعيلية الإمامة أهمية كبرى سواء من الناحية الاعتقادية (وهو ما سنتحدث عنه إن شاء الله في الباب الثالث) أو الجانب التنظيمي وهو موضوع حديثنا في هذا الفصل فقد أطلقوا على هذه المراتب أسماء مختلفة وقسموها إلى درجات متعددة فمن الأسماء التي أطلقوها ما يعرف عندهم بالأدوار والأكوار والمراد من ذلك: فترات زمنية معينة يكون في كل منها ناطق ـ أي نبي ـ وسبعة أئمة وقد ذكر السجستاني ـ أحد علمائهم ـ أن الدور على نوعين:

دور كبير ودور صغير. فالدور الكبير يتعلق بالأنبياء ويطلق عليهم اسم النطقاء وهو الفترة الزمنية التي تكون بين كل نبي ونبي.

أما الدور الصغير فهو يتعلق بالأئمة الذين بين كل ناطق وناطق وهو الفترة الزمنية بين كل إمام وإمام ويتخلل الدور ـ كما قلنا ـ سبعة أئمة مستقرين إلا في الفترات التي تحدث لعلل وأسباب[1].

ففي الظروف الطارئة والاستثنائية يمكن أن يزاد في عدد الأئمة المستودعين عن سبعة وذلك عندما يقع الستر على الأئمة المستقرين[2] أو تحصل الفترة التي هي بالتعبير اضطرار الإمام المستقر إلى الستر والاحتجاب[3].

ويحدد الاسماعيلية هذه الأدوار ـ كما يقول السجستاني ـ على النحو الآتي:

إن آدم هو الناطق الأول للدور الأول وأساسه الصامت شيث وبعده ستة أئمة.

وبعده نوح صاحب الدور الثاني وأساسه الصامت سام وبعده ستة أئمة.

وبعده ابراهيم صاحب الدور الثالث وأساسه الصامت اسماعيل وبعده ستة أئمة.

---

(١) إثبات النبوات للسجستاني ص١٨١.

(٢) الإمام المستقر والإمام المستودع مرتبتان من مراتب الأئمة عند الاسماعيلية سوف إن شاء الله نتحدث عنهما بالتفصيل في فقرة قادمة.

(٣) انظر الخلفية العقائدية لفضيلة الشامي ص٣١٩.

وبعده موسىٰ صاحب الدور الرابع وأساسه هارون وبعده ستة أئمة.

وبعده عيسىٰ صاحب الدور الخامس وأساسه شمعون الصفا ومن بعده ستة أئمة.

ومن بعده محمد صاحب الدور السادس وأساسه علي بن أبي طالب ومن بعده أئمة كثيرون حتىٰ القائم الذي هو صاحب الدور السابع وصاحب الكشف والظهور[1].

فالأئمة طبقا لما عرف عند الاسماعيلية بنظرية الدور يحملون صفات من سبقهم من الأنبياء الذين يسمونهم بالنطقاء وأول هؤلاء الأئمة بين كل ناطقين يعرف بالأساس وهو كما يقولون الباب إلىٰ علم الناطق في حياته والوصي بعد مماته والإمام لمن هم في زمانه[2].

ويلاحظ في أدوار الأئمة أنها تتم بسبعة وهو إشارة إلىٰ أصل من أصولهم الاعتقادية التي يدينون بها ولذا يطلق عليهم بعض العلماء السبعية لاعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة وأن الانتهاء إلىٰ السابع هو آخر الدور وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر له قط[3]. أما مراتب الأئمة فهي كالتالي:

(١) الإمام لمقيم:

وهو الذي يقيم الرسول الناطق ويعلمه ويربيه ويدرجه في مراتب رسالة النطق وينعم عليه بالإمدادات ويطلق عليه أحيانًا اسم (رب الوقت) وصاحب القصر وتعتبر هذه الرتبة أعلىٰ مراتب الإمامة وأرفعها وأكثرها دقة وسرية.

(٢) الإمام الأساسي:

وهو الذي يرافق الناطق في كافة مراحل حياته ويكون ساعده الأيمن وأمين سره والقائم بأعمال الرسالة الكبرىٰ والمنفذ للأوامر العليا. فمنه يتسلسل الأئمة المستقرون في الأدوار الزمنية وهو المسؤول عن شؤون الدعوة الباطنية القائمة علىٰ الطبقة الخاصة

---

(١) إثبات النبوات للسجستاني ص١٩٣.

(٢) انظر كتاب قرامطة العراق لعليان ص١٨٧، ١٨٨.

(٣) فضائح الباطنية للغزالي ص١٦.

ممن عرفوا التأويل ووصلوا إلى العلوم الإلهية العليا .

(٣) الإمام المتم:

وهو الذي يتم أداء الرسالة في نهاية الدور . والدور كما هو معروف أصلاً يقوم به سبعة من الأئمة . فالإمام المتم يكون سابعًا ومتمًا لرسالة الدور . وأن قوته تكون معادلة لقوة الأئمة الستة الذين سبقوه في الدور نفسه بمجموعهم . ومن جهة ثانية يطلق عليه اسم ناطق الدور أيضًا أي أن وجوده يشبه وجود الناطق بالنسبة للأدوار . أما الإمام الذي يأتي بعده فيكون قائمًا بدور جديد ومؤسسا لبنيان حديث .

(٤) الإمام المستقر:

هو الذي يملك صلاحية توريث الإمامة لولده كما أنه صاحب النص على الإمام الذي يأتي بعده ويسمونه أيضًا الإمام بجوهر والمتسلم شؤون الإمامة بعد الناطق مباشرة والقائم بأعباء الإمامة أصالة[١] .

ومما يميز الإمام المستقر من المستودع أن استقرار الإمامة لا تكون إلا بأبناء علي بن أبي طالب روحيًا وجسميًا كما أن للمستقر الحق في تفويض الإمامة لأحد دعاته الثقات ليبث الدعاية باسمه بينما هو يبقى بعيداً عن الخطر . ويذكر المستشرق لويس : أنه بموجب هذا المبدأ انتحل بعض الدعاة ألقاب الإمامة ووظائفه فكانوا يدبروا الحركات ويخبروا باتجاه الرأي العام دون أن يتعرض الإمام المستقر لخطر . ومن هذا ما نقرأه في عدة كتب اسماعيلية بأن الإمام أحمد ـ الذي ينسب له تأليف رسائل إخوان الصفا ـ أذن للداعي الترمذي أن يظهر بين الناس إمامًا ويتقبل الموت بهذه الصفة وذلك للتأكد مما إذا كانت الظروف ملائمة لإظهار أمره[٢] .

(٥) الإمام المستودع:

هو الذي يتسلم شئون الإمامة في الظروف والأحوال الاستثنائية وفي الفترات

---

(١) الإمامة في الإسلام لعارف تامر ص١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) انظر كتاب أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٢٧ .

المظلمة التي يخيم فيها الظلام على النور ـ بزعمهم ـ عند احتجاب الإمام الأصيل فيقوم عندئذ بمهمات الإمامة نيابة عن الإمام المستقر بنفس الصلاحيات. ولكن من الواضح والأكيد أنه لا يستطيع توريث الإمامة لأحد من ولده بل تبقى مستودعه عنده لحين انجلاء الظلمة وعندئذ يعود الحق إلى نصابه والإمامة إلى أصحابها الشرعيين، ومن إطلاقات الاسماعيلية على هذا الإمام المستودع «نائب غيبة»[1].

إن وضع الأئمة في مراتب على هذا النحو تخطيط مبتدع يخدم أهدافًا وأغراضًا باطنية. فمثلاً فكرة الإمام المستقر والإمام المستودع اتخذها الاسماعيلية وسيلة لتبرير إمامة القداحيين وكأن هناك سلسلة من الأئمة المستقرين من أبناء محمد بن اسماعيل بينما في حقيقة الأمر لا وجود لهؤلاء الأئمة المزعومين حيث مات محمد بن اسماعيل دون عقب ـ كما أسلفنا ـ ومن ثم أصبح القداحيون هم الأئمة الحقيقيون للاسماعيلية وحتى لا تنكشف هذه الحقيقة ابتدعوا فكرة الاستقرار والاستيداع الإمامي فمرت فترة تاريخية عرفت عند المؤرخين بفترة الاستتار أو دور الأئمة المستورين. وتعتبر هذه نموذجًا عمليًا لهذه الفكرة عند الاسماعيلية.

كما أن من أغراضهم من نظرية الإمام المستقر والمستودع مقارعة التيار الشيعي الاثنا عشري وإبطال القول بإماة موسى الكاظم وأبنائه من بعده وذلك لأن الإمامة ـ كما قلنا سابقًا ـ تقوم عند الشيعة على أساس الوراثة في الابن الأكبر وعقبه من بعده. وبما أن اسماعيل مات في حياة أبيه فقد انتقلت الإمامة ـ في رأي الاسماعيلية وبناء على نظريتهم السابقة ـ إلى ميمون القداح باعتباره إمامًا مستودعًا حتى إذا كبر محمد بن اسماعيل انتقلت الإمامة إليه باعتباره إمامًا مستقرًا وبذلك أصبحت الإمامة في نظر الاسماعيلية في وضعها ـ الصحيح عندهم ومن ثم يبطلون حجة الاثنا عشرية في الإمامة.

يقول حسن ابراهيم وطه شرف: «والواقع أن الاسماعيلية استخدموا نظرية الاستيداع الإمامي لمقاومة الشيعة الاثنى عشرية وإبطال حقهم في الإمامة من جهة

---

(١) انظر كتاب الخلفية العقائدية لفضيلة عبدالأمير الشامي ص٣٢٩.

وجذبهم إلى المذهب الاسماعيلي من جهة أخرى؛ لأنهم أقروا للاثنى عشرية بإمامة موسى الكاظم ولكنهم في الوقت نفسه نفوها عن أبنائه»[١].

ومن الملاحظ أن مرتبتي الإمام المستقر والمستودع وردتا كثيراً في كتب الاسماعيلية ورسائلهم السرية، يقول الداعي إدريس عند حديثه عن الأئمة المستورين: وأوصى اسماعيل والده الصادق أن يقيم لولده حجبا ومستودعًا فسلمه أعني مولانا محمد بن اسماعيل إلى ميمون بن غيلان الفارسي فرباه وأخفى شخصه وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح وهو كفيل له ومستودع أمره وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد اسحاق بن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والإبلاغ[٢].

إن نظرة إلى أقوال هذه الطائفة وتنظيماتها لمراتب الأئمة تكشف لنا مدى الغلو الخطير الذي لعبه دعاة الاسماعيلية ومنظمو مبادئها من خلال هذه الرتب التي ابتدعوها فهم:

أولاً: أساؤوا إلى الأنبياء والرسل حيث اعتبروا الإمام المقيم ـ وهي الرتبة الإمامية الأولى عندهم ـ هو الذي يقيم الرسول ويعلمه ويربيه فهو أفضل منه وأعلى رتبة، ومن جانب آخر يدل هذا على تضخيمهم الإمامة حتى تطغى على النبوة والرسالة ويصبح مقام الإمامة والأئمة عندهم أفضل من الرسالة والرسل وهذا أمر ظاهر البطلان شرعًا وعقلاً وتصور مذهب هؤلاء كاف في رده وبيان فساده.

وثانيًا: أشادوا بشخصيات غالبهم اشتهروا بالهدم والتخريب للعقيدة الإسلامية فصنفوهم في مراتب الإمامة التي ابتدعوها حتى أنهم اعتبروا بعض هؤلاء الأئمة في مصاف الأنبياء والرسل بل فضلوهم عليهم في بعض الأحوال.

ولا شك أن ذلك لعب بالعقول والألفاظ كما أنه هدم للنبوة والإمامة على حد سواء. ويحسن أن أنقل جدولاً من جداولهم التي وضعوها لتقسيم الأدوار وفق مراتب الأئمة التي استحدثوها ليتضح لنا مدى ما وصلت إليه نظمهم الإمامية من هبوط عقلي

---

(١) انظر كتاب عبيد الله المهدي لحسن ابراهيم وطه شرف ص٢٨٨.

(٢) مخطوطة زهر المعاني للداعي ادريس ورقة ٤٧.

وانحراف ديني إلى هذيان وضياع. فعن الدور السادس من أدوار النطقاء يرسم أحد دعاة الاسماعيلية المعاصرين هذه الصورة مبينًا فيها مراتب الأئمة وأسمائهم على الشكل الآتي[1]:

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	أساس الدور	الإمام المتم	الإمام المستقر
١	عمران	محمد ﷺ	علي بن أبي		علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٢	أبو طالب	٥٧١ ـ ٦٣٤م	طالب رضي		الحسين بن علي رضي الله عنهما
٣			الله عنه		علي بن الحسين (زين العابدين)
٤					محمد بن علي (الباقر)
٥					جعفر بن محمد (الصادق)
٦					اسماعيل بن جعفر
٧				محمد بن اسماعيل	محمد بن اسماعيل

ومن الملاحظ حسبما هو موجود في هذا الجدول وبناء على ما قالوه عن ميزة كل مرتبة من مراتب الأئمة ووظائفها أن من يسمى بعمران هو الذي أقام الرسول الناطق ويعنون به محمداً ﷺ فهو أرفع منه منزلة ورتبة. بل إنه ـ أي عمران ـ هو الذي علم الرسول ﷺ ورباه وأنعم عليه بالإمدادات ﴿... كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾[2].

كما يلاحظ أن إمامهم محمد بن اسماعيل يعتبر متماً لأداء الرسالة في نهاية الدور فوجوده يشبه وجود الناطق ويعنون بذلك أنه يقوم بالدور الذي يقوم به الرسول محمد ﷺ.

والحقيقة أنه لا يخفى على مطلع ما في هذا الغثاء من تنقص الرسل والأنبياء والإزراء بهم حيث اعتبروا سائر البشر في مصافهم أو أفضل منهم في بعض الحالات.

(١) انظر كتاب الإمامة في الإسلام لعارف تامر ص١٥٥.

(٢) سورة الكهف: ٥.

وحسب سلسلتهم للأئمة المستقرين يلاحظ أنهم أسقطوا إمامًا من أئمة آل البيت ـ وهو عند المسلمين إمام معتبر ـ الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما واعتبروا ـ حسب مراتبهم ـ من الأئمة المستودعين الذين لاحق لهم في الإمامة إلا في ظروف اضطرارية فإمامته ليست أساسية عندهم وهذا خلاف النصوص والواقع.

ومما له صلة وثيقة بنظم الاسماعيلية حول الأئمة أحاطتهم بهالة كثيفة من السرية والكتمان حيث استماتت الدعاة في إخفاء ما يتعلق بأئمتهم سواء في ذلك معرفة أسمائهم أو أماكنهم أو أعمالهم وتحركاتهم وكان الدعاة يقولون عن الإمام لأتباعهم أنه حي لم يمت ومختف يترقب الفرصة للظهور والمواجهة. وبهذا الأسلوب تحرك الأئمة وهم غير معروفين ولم يتعرضوا للطرد والتنكيل من قبل الخلفاء العباسيين أو ولاتهم في الأقاليم الإسلامية المترامية الأطراف. ومع الاستعراض لواقع الاسماعيليين وتاريخ أئمتهم نجد أن دعاتهم المقربين من الأئمة تعرضوا للبطش والتنكيل ولم يكشفوا عن أسماء أئمتهم أو يدلوا على أماكنهم. هذا من جانب الدعاة والمستجيبين. أما من جانب الأئمة فقد استخدموا وسائل متعددة للحفاظ على أنفسهم وستر أعمالهم وتحركاتهم، ومن هذه الوسائل:

أولاً: استحداث ما يسمى بدور الاستتار ظل الأئمة فيه مستورين ويقوم بدورهم الحجج الذي يسيرون ويختلطون مع الدعاة وهذا ما أشار إليه الشهرستاني بقوله:

إن الاسماعيلية قالوا ولن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور فإذا كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون حجته مستورة وإذا كان الإمام مستوراً فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين.

ويحدد الشهرستاني بداية هذا الاستتار للأئمة بقوله: وبعد اسماعيل محمد بن اسماعيل السابع التام ثم ابتديء منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد سراً ويظهرون الدعاة جهراً[1].

ثانيًا: اتخاذ الأسماء والألقاب المستعارة للتمويه عن الشخصية الحقيقية ولهذا عدة

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢.

مظاهر عندهم. منها اتخاذ اسم ظاهر واسم باطن. ومنها اتخاذ الأسماء المتفاءل بها كمبارك وميمون وسعيد. ومنها اتخاذ الألقاب الحسنة كالرضي والتقي والمقتدي. وهذه ألقاب الأئمة المستورين الثلاثة كما ذكر أحد دعاتهم[١].

ثالثًا: كثرة التنقل وعدم الاستقرار في مكان واحد. ولو درسنا وتتبعنا تاريخ أئمة الفرق الباطنية والاسماعيلية فرقة منها لوجدنا أن أماكنهم متعددة وتنقلاتهم كثيرة فمثلاً محمد بن اسماعيل إمامهم الثاني عاش أول حياته في المدينة ولكن حينما شعر بالخطر خرج سراً وظل يتنقل من مكان إلى آخر حتى توغل في شرقي المملكة الإسلامية واستقر في آخر حياته في قرية من قرى الري عرفت باسمه وتسمى بمحمد آباد[٢].

(ج) درجات الدعاة:

وجه الاسماعيليون عناية فائقة فيما يتعلق بالدعاة فهم موضع التقدير والاحترام من أئمتهم وبين أشياعهم فلفظ الداعي يعتبر لدى الباطنيين من الألفاظ الشريفة لأن الله تعالى سمى النبي داعيًا. فالأنبياء في الحقيقة ما هم إلا دعاة من الله تعالى لعباده. وهم بهذا يريدون القول بأن دعاتهم إنما يقومون بدور الأنبياء ويتشبهون بهم وذهبوا إلى تمجيد الدعاة بأبعد من ذلك فشبهوهم بالملائكة وقالوا إن هناك واسطة بين الله والنبي تتمثل في القلم واللوح وإسرافيل وميكائيل وجبريل ويطلقون على هؤلاء اسم الحدود الخمسة الروحانية العلوية ويرون أن هذه الحدود الروحية العلوية يقابلها على الأرض حدود جسمانية تتمثل في النبي أو الإمام ثم الوصي أو الحجة ثم داعي الدعاة ثم أصحاب الجزائر[٣] ثم بقية الدعاة.

---

(١) كتاب الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لمحد عنان ص٦١.

(٢) انظر كتاب أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٤٤٨.

(٣) المقصود بأصحاب الجزائر مجموعة من الدعاة يتفرقون في أماكن متعددة فمن تقسيمات الاسماعيلية أنهم قسموا العالم إلى اثني عشر جزيرة ـ والمقصود بالجزيرة حسب العرف الحاضر المنطقة التي تضم مجموعة من البلاد ـ فلكل جزيرة داعية مخصوص ومن تحته مجموعة من الدعاة.

وكما أن الملائكة تبلغ كلام الله إلى نبيه فإن الدعاة يبلغون عن إمام الزمان ويترجمون عن علمه وحكمته[١] .

ومن مظاهر إجلال الدعاة لديهم اعتبارهم مصدر الهداية والانقاذ ليس للعالم فحسب بل لجميع البشر على اختلاف ألسنتهم وتعدد أمكنتهم وهذا يظهر جليًا في خطاب المعز ـ أحد أئمة الاسماعيلية الظاهرين ـ إلى أحد دعاته وهو الحسن القرمطي يقول مخاطبًا إياه: فما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاه يدعون إلينا ويدلون علينا ويأخذون بيعتنا ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا وينذرون بأسنا ويبشرون بأيامنا بتصاريف اللغات واختلاف الألسن وفي كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون وعنهم يأخذون[٢] .

وفي موضع آخر يقول: إن أكثر الناس يجهلون أمرنا ويظنون أنا لا نعنى إلا من شاهدناه وكان بحضرتنا. لو كان الأمر كذلك لكنا قد ضيعنا من بعد منا وقد أوجب الله على جميع خلقه ولايتنا ومعرفتنا واتباع أمرنا والهجرة والسعي إلينا من قرب وعن بعد لكنا للرأفة بهم ولما نرجوه ونحبه من هدايتهم نصبنا بكل جزيرة لهم من يهديهم إلينا ويدلهم علينا[٣] .

ولا شك أن مثل هذه العبارات ـ ولا سيما من أئمتهم ـ لها أثر كبير في الدعاية للمذهب من قبل العامة والدهماء أتباع كل ناعق كما أن لها دورًا كبيرًا في بعث النشاط لدى الدعاة الذين قضوا حياتهم في سبيل أئمة الكفر والضلال .

ومن مظاهر اهتمام الاسماعيلية بالدعاة أن كثيرًا من مؤلفاتهم تدور حول الداعي والصفات التي يتحلى بها ومن أمثلة هذه المؤلفات رسالة تحفة القلوب وفرجة المكروب في تركيب الحدود للداعي الاسماعيلي حاتم بن ابراهيم ، وكتاب الحدود للداعي القرمطي عبدان حدد فيه شروط اختيار الدعاة وصفاتهم كالعلم والتقوى والسياسة

(١) انظر ديوان المؤيد لمحمد حسين ص٥١ ، قرامطة العراق لعليان ص١٦٦ .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٩٦ .

(٣) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان ١/ ١٠٥ .

والمداراة والمخاتلة والقدرة على الجدل والخطابة[1].

ولكي يستفيد الاسماعيلي من هؤلاء الدعاة أكثر في نشر المذهب فإنهم وضعوا لهم نظامًا فريدًا يعتبر في ذلك الوقت من أدق الأنظمة بالنسبة للحركات الهدامة التي عملت بصمت ونظام عجيبين ففي هذا النظام استفادوا كثيرًا من نظام الكون وما يحوي من دلالات.

وحينما نستعرض التقسيمات الباطنية للعالم والدعاة المنتشرين فيه لمذهبهم نجد أنهم استقوا معظم هذه التنظيمات من نظام الكون وعلم الفلك، وهذا يشير إلى تأثرهم بالصابئة الذين لهم باع طويل في علم الأفلاك والكواكب السيارة. وبناء على نظام دورة الفلك قسموا العالم إلى اثني عشر قسمًا على غرار السنة الزمنية المقسمة إلى اثني عشر شهرًا وسموا كل قسم (جزيرة)[2] وجعلوا على كل جزيرة من هذه الجزر داعيًا عامًا واعتبروه المسئول الأول عن الدعاية فيها. وكان يطلق عليها لقب (داعي دعاة الجزيرة) أو (حجة الجزيرة) وعلى ذلك النمط جرى تنظيم الدعاة في داخل الجزر الاثنى عشر فكما أن الشهر ثلاثون يومًا فيجب لكل حجة من حجج الجزيرة ثلاثون داعيًا لمساعدته في نشر الدعوة يطلق عليهم اسم (النقباء) ويعتبرون قوة لصاحب الجزيرة يستعين بهم لمجابهة الخصوم ويعرف عن طريقهم أسرار الخاصة والعامة. وكما أن اليوم مقسم إلى أربع وعشرين ساعة اثنتي عشرة ساعة بالليل واثنتي عشر ساعة بالنهار فإنهم جعلوا لكل داع نقيب أربعة وعشرين داعيًا منهم اثنا عشر داعيًا ظاهرًا كظهور الشمس بالنهار واثنا عشر داعيًا محجوبًا مستترًا استتار الشمس بالليل[3].

وهكذا فإن هذ التقسيمات قائمة على أساس فلكي وهذا يؤيد ما أشرنا إليه سابقًا

---

(١) انظر الحركات السرية لمحمود اسماعيل ص١٢٧، قرامطة العراق لعليان ص١٦٣.

(٢) يقول الدكتور محمد كامل حسين: إنا لا نعلم إلى الآن الأساس الذي قسموا بمقتضاه إلى هذه الجزر فإنا نراهم يطلقون جزيرة مصر ويريدون بها بلاد الشام ومصر والمغرب معًا ويقولون جزيرة العراق ويقصدون بها العراق وبلوخستان... وهكذا فتحديد الجزائر لم يزل سرًا لم يستطع الباحثون الوصول إليه وكذلك أسماء هذه الجزر.

(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٣٣، ١٣٤.

من تأثر الاسماعيلية في نظام دعوتهم بالخبرة الفلكية .

كان نظام الدعوة يقضي بأن يلازم صاحب الجزيرة داعيان يعرف أحدهما بالجناح الأيمن والآخر بالجناح الأيسر يختصان بالذهاب إلى البلدة التي يزمع صاحب الجزيرة زيارتها لجمع المعلومات والبيانات الكافية عن أحوال أهلها وظروفهم المختلفة ووضع ذلك كله أمام صاحب الجزيرة كي ينتفع به عند القيام بزيارته لأي بلدة من تلك البلدان . وعن تطبيق هذا النظام على واقع الاسماعيلية وتاريخهم نجد أن مبعوث الإمام الاسماعيلي (حسين الأهوازي) اعتبر صاحب جزيرة في سواد الكوفة ومن خلال دعوته هنالك استجاب له شخص يسمى بـ (حمدان قرمط) وكان لهذا المدعو أتباع فيما بعد عرفوا في كتب المقالات والفرق والتاريخ بالقرامطة . ثم بعد ذلك اتخذ هذا الداعي الاسماعيلي من بين هؤلاء المستجيبين اثني عشر نقيبًا وقال لهم : أنتم كحواري عيسى ابن مريم[1] .

ويقول الدكتور عليان معلقًا على هذا الحدث : إن من الطبيعي أن يسبق وفود الحسين الأهوازي إلى سواد الكوفة زيارة هذين الجناحين لها . ولذلك لا نعجب إذا لاحظنا أن الأهوازي كان على علم سابق بسوء المعيشة في بعض قرى سواد الكوفة فأشار إلى ذلك في كلامه مع حمدان قرمط عند أول مقابلة لهما بقوله : وأمرت أن أشفي أهلها وأنقذهم مما هم فيه من سوء حال وأملكهم أملاك أصحابهم[2] .

ومن المرجح أن يكون الأهوازي قد تعمد مقابلة حمدان قرمط بالذات لسابق علمه بأن حمدان كان له أصحاب كثيرون وأنهم جميعًا فقراء متذمرون يميلون إلى التشيع لآل البيت ويأملون في الخلاص على أيديهم وليس أدل على ذلك من سرعة أخذه العهد مع أن أخذ العهد لم يكن يتم إلا بعد مقدمات كثيرة تتطلب وقتًا طويلاً وبعد اختفاء الأهوازي من سواد الكوفة حل حمدان قرمط محله وأصبح من الدعاة

(١) انظر قرامطة العراق لعليان ص١٦٠ .

(٢) قرامطة العراق لعليان ص١٦١ ، تاريخ الأمم للطبري ٨/ ١٦ .

المطلقين[1] . وكان له مساعدون كثيرون على رأسهم (عبدان) ابن عم حمدان وصهره وكان يعمل تحت إشراف هؤلاء دعاة آخرون ويتضح مما ذكره النويري والمقريزي[2] أن الاسماعيلية قسموا منطقة الكوفة إلى جهات مختلفة وأسندوا الإشراف على كل منها إلى أحد كبار الدعاة وأوجبوا على كل منهم ضرورة الإقامة في الجهة التي يشرف عليها كي يتيسر له مقابلة صغار الدعاة الذين تحت إشرافه والتمكن من توجيههم مرة كل شهر[3] .

ويشير النويري إلى أن الدعاة كانوا يجوبون المناطقة المحددة لهم مرة في كل شهر ويبذلون قصارى جهدهم في استطلاع أخبار أشياعهم للإلمام بما يحتاجونه وما يجد حول الدعوة من ظروف أو أحداث[4] .

وفي سبيل أداء هذه المهمة بيسر وسهولة أمر الإمام الاسماعيلي أحد أبنائه بالإقامة في الطالقان ليقرب من حمدان قرمط المقيم في كلواذي فكانت كتابات حمدان تصل إلى مقر الإمامة عن طريق هذا الرجل المقيم في الطالقان ولما انقطعت المكاتبة بين حمدان والإمام الاسماعيلي شخص هذا الرجل يسأل عن سبب ذلك وأخذ يعاتب الدعاة في قطع رسائلهم .

ويقول المقريزي عن عبدان والدعاة لديه : أن كل داع كان يدور في عمله ويتعاهده في كل شهرمرة وكل ذلك بسواد الكوفة[5] .

ومما اهتم به الاسماعيلية كثيراً اختيار الدعاة وانتقاؤهم من بين المستجيبين حتى أنهم وضعوا صفات لابد من توافرها فيمن يتصدى للدعوة فنقل المؤيد عن تحفة القلوب

(١) مركز من مراكز الدعاة يقول الشيرازي عنه : إن من يصل إليه يسمح له بمباشرة الدعوة في جميع أنحاء الجزيرة من غير أن يأخذ بذلك إذنًا من أحد . انظر قرامطة العراق لعليان ص١٦٢ من الحاشية .

(٢) نهاية الأرب ٢٣/ ٥٧ ، اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٥٥ .

(٣) قرامطة العراق لعليان ص١٦٢ .

(٤) نهاية الأرب للنويري ٢٣/ ٥٧ .

(٥) اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٥٥ ، الفهرست لابن النديم ص٢٣٨ .

للحامدي هذه الصفات ولخصها بثلاثة أشياء وهي : العلم والتقوىٰ والسياسة.

فالعلم: يراد به الظاهر والباطن فعلم الظاهر هو علوم الفقه والحديث والتاريخ وعلوم القرآن ثم الجدل والكلام.

وعلم الباطن هو تطبيق نظرية المثل والممثول أو المحسوس والمعقول.

أما التقوى: فهي كون الداعي من أهل العلم والعمل بالدين مع الاعتقاد بذلك وفق العقيدة الاسماعيلية الباطنية.

أما السياسة فيقصد بها ما يسمونه بالسياسات الخاصة والعامة. فالخاصة تتعلق بالداعي حيث يجب عليه إصلاح نفسه ومنعها من الشهوات والمنهيات. وأما العامة فهي قيام الداعي بتدبير من هو سائسهم في إصلاح دنياهم وآخرتهم وأن يعرف حقوق من يهاجر إليه وما احتملوا من مشقة ومحن وأن يقدر أهل العلم ومنازلهم ويكون جلوسه معهم مع وجوب أن يكون الداعي نسيبًا في قومه فإن الشرف بالنسب يجل في أعين الناس وربما يمارس الداعي حرفة مثل التجارة أو تطبيب العين أو أمثال ذلك ويكون هدفه للوهلة الأولىٰ أن يجذب جيرانه تحت تأثير ما يتظاهر به من زهد وتقوىٰ وحب للخير[١].

كذلك يجب أن يكون الدعاه كما يقول رشيد الدين ـ أحد دعاتهم ـ فصحاء لهم جاذبية في الحديث يمتازون بالبلاغة والذكاء والتعقل[٢].

وهؤلاء الدعاة لم يكونوا في درجة واحدة بل صنفوهم في مراتب متفاوتة حسب جهدهم في العمل واستيعابهم لمعلومات المذهب ومدىٰ تقبلهم لها ويشير بعض الكتاب إلىٰ أن العمل الذي كان يعهد به لكل مرتبة من مراتب الدعاة لا يزال من أعوض الأسرار وأخفاها[٣].

---

(١) ديوان المؤيد ص٥٥، دولة الاسماعيلية في إيران ص٣٩، ٤٠.

(٢) قرامطة العراق لعليان ص١٦٤، نقلاً عن المجلة العلمية الآسيوية.

(٣) دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد جمال الدين ص٣٦.

ولكننا نجد أحد دعاتهم وفلاسفتهم وهو الداعي الكرماني بين لنا في كتابه «راحة العقل» درجات الدعاة ومراكزهم على نحو ينتظم كافة المتصلين بها من الناطق - النبي - حتى المستجيب وحدد هذه الدرجات بعشر مخالفًا بعض من تقدمه من الدعاة والحدود[١].

بينما غيره اعتبرها اثنى عشرة درجة مطابقًا لتقسيمات السنة الزمنية[٢].

وهذه هي درجات الدعاة ومراتبهم:

(١) الإمام:

ويعتبر في قمة الدعاة فله رتبة الأمر والسياسة للأمة التي هو بعض منها وعن ذلك يقول تامر: إن رتبة الإمام تمثل القيادة العليا المطلقة فهي أعلى سلطة وأرفعها في الدعوة وهي مصدر كل قانون أو تنظيم أو تشريع[٣].

وبالغ الاسماعيلية في رتبة الإمام حتى قالوا: إن أهميته تأتي بعد الناطق (أي النبي المرسل) فهو يقوم بتأويل الشرائع ويدرك العلوم الإلهية من حيث لا يتهيأ للواحد إدراكها واستفادتها[٤].

(٢) الباب:

تعتبر هذه المرتبة سرية للغاية حيث لا يعرف شاغلها إلا الإمام نفسه فهي من أرفع مراتب الدعوة بعد رتبة الإمام الدينية مباشرة وقد وصف أحد الدعاة هذه المرتبة بقوله: «وحد الباب هو من حدود الصفوة واللباب فهو أفضل الحدود وهو حد العصمة ولا ينتهي إلى ذلك إلا الآحاد والأفراد».

---

(١) راحة العقل للكرماني ص٢٥٦.

(٢) انظر أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٢٤، القرامطة لعارف تامر ص١٠٢، الإنسان في فكر إخوان الصفا ص١٩.

(٣) القرامطة لعارف تامر ص١٠٣.

(٤) الإيضاح لأبي فراس ص١٦١.

ويقول آخر: «باب الأبواب هو باب صاحب الزمان الذي تؤتى منه إليه وحجته على الخلق وحامل علمه وصاحب دعوته»[١].

وعبر فيلسوف الاسماعيلية عن مهمة هذه الرتبة بقوله: الباب وله رتبة فصل الخطاب وهي تقابل من الحدود العلوية الموجود الرابع[٢].

ويطلق أحيانًا على صاحب هذه الرتبة (الحجة) وعن ذلك يقول تامر: والباب اسم يطلق على الحجة ومعناه أنه باب سر الإمام المباشر ومستودع أعماله في أكثر الأوقات كما أنه ظل الإمام لا يفارقه فلا إمام بدون حجة ولا حجة بدون إمام[٣].

ونجد سنداً لذلك عند الشهرستاني حيث نقل عن الباطنية والاسماعيلية قولهم: ولن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور فإذا كان الإمام ظاهر جاز أن يكون حجته مستوراً وإذا كان الإمام مستوراً فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين[٤].

ولكل إمام اثنا عشر حجة منتشرين في أقاليم الأرض ينشرون تعاليم إمامهم ولكل حجة جزيرة خاصة به لا ينتقل منها إلى جزيرة أخرى ومن مهمات الحجج أنهم يقومون مقام الإمام بتوجيه الناس في أمور دينهم ودنياهم وتلاوة علوم الأئمة مع عقد المجالس التأويلية الدينية ولذا فإنهم يتميزون عن سائر الناس بقوة اللسان وصدق البيان وغزارة العلم ومنهم الحجة[٥].

وحينما مات أحد أئمة الاسماعيلية في عهد حمدان قرمط بعث عبدان ليسأل عن

---

(١) أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٢٣.

(٢) راحة العقل للكرماني ص٢٥٦.

(٣) القرامطة لعارف تامر ص١٠٣.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢.

(٥) انظر مذهب الدروز للنجار ص٣٦، وانظر الخلفية العقائدية لفضيلة الشامي ص٣٤١، ٣٤٢.

الإمام والحجة حتى يتيسر لحمدان مكاتبتهم[١].

وهذا إنما يدل على أن الحجة غالبًا ما يلازم الإمام ويعيش قريبًا منه كما يدل على أن الحجة هو الواسطة بين الدعاة والإمام حيث لا يتيسر لجميع الدعاة معرفة الإمام والوصول إليه.

ومن الملاحظ على هذه الرتبة سريتا حيث لم يعرف من شغل هذه المرتبة طوال تاريخ الاسماعيلية وهذا ما دفع بأحد الكتاب إلى القول: بأنه إلى الآن لم يكشف عن أولئك الذين شغلوا هذه المرتبة ولا عن العمل الذي كانوا يقومون به[٢].

(٣) داعي الدعاة:

رتبة تلي رتبة الباب أو الحجة ـ كما يسمونه ـ ويحدثنا المقريزي عن أوصاف من يلي هذه المرتبة بقوله:

إن داعي الدعاة يلي قاضي القضاة ويتزيا بزيه في اللباس وغيره ويشترط فيمن يصل إلى هذه الرتبة أن يكون عالمًا بجميع مذاهب أهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه إلى مذهبهم وبين يديه من نقباء المعلمين اثنا عشر نقيبًا وله نواب في سائر البلاد[٣].

وداعي الدعاة هو المالك لجماعة الدعاة وإليه الإشراف على الدعوة في جميع الجزائر وهو الواسطة بين دعاة الجزائر والإمام فداعي الدعاة إذن لا يستتر بل هو معروف بين الدعاة جميعاً وبين رجال حاشية الإمام في أدوار الستر والظهور لأن مرتبته ليست من المراتب السرية[٤].

ومن مهام داعي الدعاه عقد مجالس الحكمة للعامة والخاصة وكان يخول له تأويل

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٦٧.

(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٤١.

(٣) الخطط المقريزية للمقريزي ٢/ ٢٢٦.

(٤) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٤٠.

آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ دون الرجوع إلى الإمامة[١].

ومرتبته تعتبر مرتبة روحية وهو ـ كما عبر أحد الكتاب ـ أحد دعائم العقيدة الاسماعيلية[٢].

وكانت مكانة داعي الدعاه في نفوس أتباعه المقيمين في جزيرته كبيرة للغاية فهو موضع ثقتهم ومحط أسرارهم ولا أدل على ذلك من قول المؤيد في سيرته وهو يتحدث إلى الوزير في شيراز: معلوم ما بيني وبين الديلم من الأحوال الممهدة والأسباب المؤكدة وأن أحدهم إذا اختصم مع أهله ليلاً فإنه يباكرني شاكياً إلي وموردا جملة أمره وتفصيله علي[٣].

وبرغم الغموض الشديد والتستر على أسماء الدعاه فقد تمكن عدد من المنقبين عن مخطوطات الاسماعيلية ونشرها أن يعثروا على أسماء من شغل هذه الرتبة فمنهم:

(الحسين بن حوشب) الداعي الاسماعيلي الذي نشر الدعوة في اليمن وكان له دور كبير في إقامة دولة الاسماعيلية في اليمن مع علي بن الفضل القرمطي.

ومنهم الداعي (فيروز) وكان داعي الدعاه في عهد عبيد الله المهدي ومن أجل الناس عنده ومن أعظمهم منزلة لديه، يدل على ذلك أن الدعاة كلهم أولاده ومن تحت يده.

ومنهم داعي الدعاة أبو الحسين بن الأسود الذي كان يقيم في حمص قبيل مغادرة الإمام عبيد الله إلى بلاد المغرب[٤].

ويطلق بعض علماء الدعوة الاسماعيلية على صاحب هذه الدرجة (الحجة) أو (حجة الإمام) وهذا ما سار عليه الكرماني وقال: إن له الحكم في ترتيب المراتب

---

(١) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان ٢/ ٢١١.

(٢) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٥٧.

(٣) السيرة المؤيدية لداعي الدعاة المؤيد ص٩.

(٤) سيرة جعفر الحاجب ص١١٠، استتار الإمام للنيسابوري ص٩٦.

وارتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق وإظهار تأويل الكتاب الذي يتعلق بالحجة[١].

ومن الملاحظ أن لفظ الحجة استعمل قليلاً لأصحاب هذه الدرجة وكثيراً لأصحاب الدرجة التي قبلها وما ذلك إلا لأن الإمام أحيانًا كان يولي المرتبتين لشخص واحد.

فالمؤيد الشيرازي كان داعي للدعاه وحجة في آن واحد وأحيانًا ـ وهو الغالب ـ يجعل كل مرتبة لشخص على حده[٢].

(٤) داعي البلاغ:

يعتبر أحد الحدود السبعة المتمين لدور الإمام ورابع الحجج التي بان عنها الباب وهي داعي البلاغ والحجة والباب والإمام[٣].

ومن مهمات داعي البلاغ الاحتجاج بالبرهان في إثبات الحدود العلوية ومراتبها في وجوداتها مع تعريف المعاد حسبما هو وارد في معتقدات الباطنية[٤].

وهذا بالنسبة للمعتقدات وتأويلها أما النواحي التنظيمية فيعتبر داعي البلاغ مسئولاً عن تبليغ الأوامر التي يرسلها داعي الدعاه إلى الأقاليم وعن سريتها ووصولها كما عليه تحرير الرسائل وكتابة البلاغات فهو قائم بالبلاغ والإبلاغ لكل شيء في حينه[٥].

ومن تعسف الباطنية وسخف تفسيراتهم أن طبقوا بعض الآيات القرآنية على هذه الدرجات ومما نقل عنهم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ

---

(١) راحة العقل للكرماني ص٢٥٢.

(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٤٠، ١٤١.

(٣) أربعة كتب اسماعيلية جمع شتروطمان ص٨٢، ١٧٥.

(٤) راحة العقل للكرماني ص٢٥٢.

(٥) القرامطة لعارف تامر ص١٠٣، ١٠٤.

الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾[١] بأن النحل هم دعاة الإيمان والجبال هم دعاة البلاغ والشجر هم الحجج وما يعرشون هو ما يحملون من دعاة الإحرام بفيض من دعاة البلاغ بفيض من الحجة والإمام[٢].

وحينما نستعرض واقع الاسماعيلية والقرامطة في تطبيق هذه الرتبة نجد أن قرامطة العراق خضعوا في بداية أمرهم لإشراف أحد أبناء عبدالله بن ميمون القداح الذي كان بمثابة همزة الوصل بين القرامطة في سواد الكوفة وبين داع الدعاة الاسماعيلي فكان هذا الابن ممن يطلق عليه (داعي البلاغ) ولذا فإن كتابات القرامطة بزعامة حمدان قرمط كانت تصل إلى الإمام الاسماعيلي عن طريق هذا الابن حتى أنه لما انقطعت المكاتبة شخص هذا الرجل يسأل عن سبب ذلك وأخذ يعاتب الدعاة على قطع رسائلهم[٣].

(٥) الداعي المطلق:

تشير المصادر الباطنية إليه بخطين يتصل أحدهما بالآخر ويكنى عنهما «بالسلم» ويقولون: إن تلك إشارة إلى الداعي المطلق في الجزيرة كلها. وسمي بالسلم تشبيهاً له بسلم نجاة يرتقي به نفوس أهل جزيرته إلى أن تحل في حظيرة القدس بوساطته ووساطة من فوقه من الحدود، وكان ذا خطين موصولين إشارة إلى أنه يقوم لأهل جزيرته مقام الإمام في أوقات الفترات لاستتار دعاة البلاغ والحجج والأبواب باستتار الإمام وهو جائز بالنسبة إلى من دونه من الحدود رتبة التذكير فلم يكن فيهم خطان متصلان غيره[٤].

ويحدد الكرماني المهام المذهبية للداعي المطلق بقوله: إنه له تعليم العبادة العلمية

(١) سورة النحل: ٦٨.

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٥١.

(٣) انظر قرامطة العراق لعليان ص١٦٢، الفهرست لابن النديم ١/ ١٨٩، اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٦٧، ١٦٨.

(٤) رسالة الاسم الأعظم لمجهول ص١٧٤، ١٧٥، ضمن أربعة كتب اسماعيلية.

بأسلوب الباطن وتعريف الحدود العلوية ونشر التأويل وهو يقابل من الحدود الفلك السابع والمسمى «الزهرة»[١].

ولصاحب هذه الدرجة السفر إلى الأقاليم التي يراها بحاجة إليه ولا يخضع ذهابه إلى رأي أحد ويكون مرتبطًا بداعي الدعاة مباشرة ليستمد منه العلوم[٢]. والدعاه المطلقون هم من أكابر الدعاه وأصحاب الجزائر ويطلق عليهم «النقباء». ولذا يقول أحد الدعاة عنهم: وفي كل جزيرة نقيب منصوص لاستخلاص من فيها من الغرقى في بحر الهيولي فهم اثنا عشر[٣].

ويعد الاسماعيلية هؤلاء النقباء مقدسين وعددهم ثابت لا يتغير ويسندهم تكوين العالم الطبيعي. وعن ذلك يقول المقريزي: «ولابد مع كل إمام قائم في كل عصر حجج متفرقون في جميع الأرض عليهم تقوم الدعوة وعدة هؤلاء الحجج أبدًا اثنا عشر رجلاً في كل زمان ومن أدلة الاسماعيلية لذلك أن البروج اثنا عشر برجًا والشهور كذلك ونقباء بني اسرائيل اثنا عشر نقيبًا ونقباء رسول الله ﷺ من الأنصار اثنا عشر نقيبًا[٤].

وبالنظر إلى واقع الاسماعيلية والقرامطة في تطبيق هذه الفكرة نجد أن حمدان قرمط اختار من بين الدعاه إلى المذهب اثنى عشر نقيبًا لتنسيق الدعوة وتنظيم نشرها وهذا ما فعله أستاذه داعية الاسماعيلية المعروف بـ«الحسين الأهوازي» وذلك حينما زار الكوفة حيث اتخذ فيها اثنى عشر نقيبًا وأمرهم بدعوة الناس إلى دينه وقال لهم أنتم كحواري عيسى عليه الصلاة والسلام[٥].

ومن أساليب الدعاة الاسماعيليين ـ ولا سيما الدعاه المطلقين ـ استخدام الحمام

(١) راحة العقل للكرماني ص٢٥٢، ٢٥٦.

(٢) القرامطة لعارف تامر ص١٠٤.

(٣) ديوان المؤيد ص٥٤، ٥٥.

(٤) الخطط المقريزية للمقريزي ٢/ ٢٣١.

(٥) المسالك والممالك للبكري ورقة ٢١١، نهاية الأرب للنويري ٥٧,٢٣، تاريخ الأم للطبري ٨/ ١٦٠.

الزاجل في تبادل الرسائل مع نقباء الدعوة[١].

(٦) الداعي المحدود أو المحصور:

ويتعلق به مراسم العبادة العلمية الظاهرة وتعريف الحدود السفلية وأدوارها صغاراً وكباراً ويقابل من الحدود السفلية الفلك الثامن والمسمى «بعطارد»[٢].

وتشير بعض المصادر الباطنية إلى الداعي المحصور بالطميس والأبتر. ومعنى ذلك أن الطميس فيه إشارة إلى أن رتبته خفية في الدعوة لا تكاد تعرف عند أكثر أهلها وكونه أبتر إشارة إلى أنه ليس له إقامة حد ولا إطلاقه إذ هو بالنسبة للداعي المطلق كالأنثى فكنى عنه بالأبتر والطميس بهذا المعنى[٣].

ومما يدلل على أن الداعي المحدود في رتبة أقل من الداعي المطلق أنه يرجع إليه فيما يتعلق بشئون التبليغ في منطقة معينة فذهاب الداعي المحدود وتنقلاته في الجزر يحتاج إلى مأذونية من داعي الدعاه وتلقيبه كذلك بالمحصور يدل على هذا المعنى لأن عمله ينحصر في منطقة معينة لا يستطيع الانتقال منها إلا بعد الإذن والموافقة من كبير

---

(١) إن فكرة النقباء تعود في أصلها إلى نصوص شرعية فلفظ النقيب ورد في الكتاب والسنة فمما ورد في القرآن قوله تعالى عن بني اسرائيل: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا﴾ [المائدة: ١٢].

ومما ورد في السنة أمر النبي ﷺ الأنصار الذين بايعوه بيعة العقبة الثانية أن يختاروا من بينهم اثني عشر نقيبًا فقال: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبًا يكونون على قومهم بما فيهم» فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. السيرة النبوية لابن كثير ٢/١٩٨.

وينقل الشوكاني إجماع المفسرين على أن النقيب هو كبير القوم العالم بأمورهم الذي ينقب عنها وعن مصالحهم فيها والنقيب أعلى مكانًا من العريف. فتح القدير للشوكاني ٢/٢١.

ومع ثبوت هذا اللقب بالنصوص الشرعية الآنفة الذكر فإن العبرة بالهدف والمضمون لا بالألقاب والمسميات فالاسماعيلية حينما استخدموا هذا اللفظ لدعاتهم لا يعتبر ذلك شرعيًا أو محموداً لأن هؤلاء الدعاة دعاة هدم وتخريب ومن الثابت أن المصطلحات الإسلامية لا تغني إلا حين توضع في مكانها الصحيح ومدلولها البناء.

(٢) راحة العقل للكرماني ص٢٥٢، ٢٥٦.

(٣) رسالة الاسم العظم لمجهول ص١٧٤ ضمن أربعة كتب اسماعيلية.

الدعاة[١].

ويتضح مما ذكرنا عن مهام الداعي المطلق أن الاسماعيلية لم يتركوا للدعاه مطلق الحرية في الدعوة بل حددوا لهم الأماكن والأساليب والوسائل والدعاة في سبيل ذلك يسيرون وفق هذا التنظيم ويلتزمون بتنفيذه.

(٧) الجناح الأيمن:

(٨) الجناح الأيسر:

درجتان من درجات الدعاه وهما ملحقان بصورة دائمة بالداعي المطلق فهما جناحاه يقدمان له الخدمات أثناء جولاته في الأقاليم للدعاية ويطلقون عليهما أحيانًا «اليد» أي أنهما يقدمان الخدمات للداعي كما تقدم اليد الخدمات للجسم وهذان لهما مهمتان صعبتان فإن عليهما أن يذهبا مسبقًا إلى البلد التي يقرر الداعي الذهاب إليه فيدرسان أوضاعه السياسية والعلمية والأدبية وحالة ندواته ومدارسه وطبقات أهله وعلمائه وشعرائه ونفسياتهم ونواحي القوة والضعف لديهم وميولهم وأديانهم وما هم عليه من المكانة الاجتماعية وبعد أن يدرسا كل شيء عن البلد يعودان إلى الداعي المطلق ويقدمان له تقريرهما فينتقل إلى البلد المقرر على ضوء تقريرهما بينما ينتقل الجناحان إلى البلد الثاني المقرر زيارته[٢].

ومما قالوا عن هاتين الدرجتين: إن الإمام يستظهر بالأجنحة لأنهم بمثابة الرسل بين الدعاة وإمامهم فالأجنحة ـ على حد تعبير الباطنيين ـ من الحدود المنصوبة لنشر أمر الله في المستجيبين لله ولرسوله ولوصيه والأئمة من ولده[٣].

إن الاسماعيلية في فترات دعوتهم الأولى اهتموا بما تقدمه الأجنحة من معلومات وبيانات على ضوئها يبدأ صاحب الجزيرة بالدعوة ونشر الدعاه ولذلك فإن من الطبيعي

(١) القرامطة لعارف تامر ص١٠٤.

(٢) القرامطة لعارف تامر ص١٠٥.

(٣) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٦، ٥٣.

أن يسبق وفود الحسين الأهوازي إلى سواد الكوفة زيارة هذين الجناحين لها انطلاقًا من دورهما في دراسة أوضاع الدعوة وإمكانية نشرها فكان الأهوازي على علم سابق بسوء المعيشة في بعض قرى السواد ومما قال لحمدان قرمط حين تقابلا لأول مرة: وأمرت أن أشفي أهلها وأنقذهم مما هم فيه من سوء حال وأملكهم أملاك أصحابهم. ومما يؤكد أن لدى الأهوازي معلومات دقيقة عن هذه المنطقة وصلته عن طريق هذين الجناحين سرعة أخذه العهد من حمدان قرمط وقبوله دعوته إلى منزله للإقامة فيه والاجتماع بإخوان حمدان وصحبه الذين قال عنهم: فإن لي إخوانًا أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي. مع أن أخذ العهد وقبول أعضاء جدد يحتاج إلى مقدمات كثيرة تتطلق وقتًا طويلاً[1]. وقد أسلفنا في مراحل الدعوة وسلم الارتقاء في تعاليمها ما يدل على ذلك.

(٩) الداعي المأذون:

تناول فلاسفة الاسماعيلية هذه الدرجة بالإيضاح والبيان ولكنهم اختلفوا حول أقسام المأذونين. فالسجستاني قال إنهم ثلاثة أقسام:

(أ) مأذون مطلق.

(ب) مأذون محدود.

(ج) مأذون[2].

والكرماني اعتبرهم قسمين:

(أ) مأذون مطلق.

(ب) مأذون محدود.

وقال عن الأخير أنه هو المكاسر[3].

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٥٢، وانظر قرامطة الفرق لعليان ص١٦١.

(٢) تحفة المستجيبين للسجستاني ص١٥٤.

(٣) راحة العقل للكرماني ص٢٥٦.

وإذا نظرنا إلى المصادر الباطنية الأخرى فإننا نجد أن المأذونين قسمان، وأنهم غير المكاسرين، وعن ذلك يقول الحامدي: إن الآحاد والأفراد إذا استجاب الواحد منهم صار مؤمنًا ثم صعد فصار مكاسرًا ثم صعد فصار مأذونًا ثم صعد فصار داعيًا وذكر أن المأذونين قسمان مطلق ومحصور[١]

ويقول علي بن الوليد: إن المؤمن يلحق برتبة المكاسر والمكاسر إلى أفق المأذون المطلق صائر ونقله المطلق إلى فلك الداعي بكونه هاديًا وراعيًا[٢].

ويقول صاحب رسالة الاسم الأعظم: أن هناك ثلاثة خطوط وهي تدل على رتبة التابعين من المؤمنين والمكاسرين والمأذونين المطلقين[٣].

ونقل النجار عن بعض الرسائل الدرزية أن جهاد الدعوة الباطنية قبل إغلاق بابه يتألف من دعاه ومأذونين ومكاسرين فالدعاة أولاً ثم يليهم المأذونون ثم يأتي بعدهم المكاسرون[٤] وحد الداعي المأذون هو أقرب الحدود إلى المستجيبين ومع ذلك فإن مرتبته كبيرة لا تتوافر إلا فيمن كان على علم تام بمذاهب خصومه وموضع الضعف فيها مع كونه لسنا جدلاً متمكنًا من أصول مذهبه[٥].

ومن المهام التي يقوم بها المأذون العمل مع الأشخاص المستجيبين الذين لهم رغبة في التزود بالتأويلات الباطنية وعندئذ يبدأ بأخذ العهود والمواثيق المؤكدة عليهم بأن لا يفشوا سرًا ولا يطلعوا على آرائه أحدًا. فإذا وثق منهم بدأ يكاشفهم ببعض الأسرار الخفية التي لا ينزعج منها أحد ولا ينفر منها مستجيب. ولا يزال يتدرج بهم من رأي إلى رأي ومن مسألة إلى أخرى حتى يطمئن الداعي المأذون إلى هؤلاء المستجيبين

---

(١) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدي ص١٦٩.

(٢) رسالة الإيضاح والتبيين لابن أبي الوليد ص١٥٤.

(٣) رسالة الاسم الأعظم لمجهول ص٧٦.

(٤) مذهب الدروز والتوحيد للنجار ص٣٦.

(٥) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٥٤.

ويطمئنوا هم إليه وعندئذ ينقلوا إلىٰ الداعي الذي هو أرقىٰ من المأذون رتبة(١).

وحفاظًا علىٰ الدعاة المأذونين فإن جهاز الدعوة اعتبرهم من دعاة الليل ورمز إليهم بثلاثة خطوط مصفوفة كنىٰ عنها بالعصىٰ وتلك إشارة لكون كل دان يفوض لعاليه مقام العصا التي يتوكأ عليها ويهش بها علىٰ غنمه وهو اعتماده عليه في تربية من دونه واسترعائه إياه لهم(٢).

إن مركز المأذونين في جهاز الدعوة الاسماعيلية يعتبر ذا أهمية بالغة فهم همزة وصل بين الدعاة المستترين والدعاه البارزين كما أن قبول المستجيبين ونقلهم إلىٰ تعاليم المذهب ومراتب الباطن مبني علىٰ معايشتهم للمستجيب وتقريراتهم عنه ولذا فإن عدد المأذونين أكثر من الدعاه. ففي تقليد الشيخ المختار يقول بهاء الدين: فلك بحق السيادة أن تنصب من المأذونين بعد الثلاثة الداعين ما وجدت إليها سبيلا(٣).

(١٠) المكاسر:

تعتبر هذه الدرجة من المراكز الظاهرة للدعاة حيث أن من مهامه الأساسية مخالطة الناس بلا تحفظ وترغيبهم إلىٰ عقيدته وفكرته ومن ثم اختيار من يصلح للدعوة والولوج في مراتبها. ويحدد الكرماني مهام المكاسر بقوله: أن عليه جذب الأنفس المستجيبة(٤).

والواقع أن فلاسفة الاسماعيلية قديمًا وحديثًا تحدثوا عن هذه الدرجة كثيراً لظهورها وعدم استتار أصحابها(٥).

وقد استخلص الأستاذ عليان من خلال هذه المصادر نبذة عن هذه الدرجة اقتصر

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٣٨، أعلام الاسماعيلية لمصطفىٰ غالب ص٢٢.

(٢) رسالة الاسم الأعظم لمجهول ص١٧٤.

(٣) مذهب الدروز للنجار ص٣٨.

(٤) راحة العقل للكرماني ص٢٥٦.

(٥) انظر علىٰ سبيل المثال المجالس المؤيدية للشيرازي ٢/ ٢١١، الذخرية للوليد ص٦٥، طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٣٤ ـ ١٣٥، أعلام الاسماعيلية لغالب ص٢٠ ـ ٢٢.

عليها لكونها مفيدة وجامعة يقول: إن الاسماعيلية وجهوا عناية فائقة لإعداد الدعاه ويتضح ذلك من اهتمامهم بالداعي المكاسر وهو أقل مرتبة بين الدعاة وكان يسمح له بمناقشة العلماء من غير الاسماعيلية أمام الجماهير بقصد إظهار عجزهم وتشكيك الناس في معلوماتهم أما أولئك الذين يلمس أنهم أبرع منه فإنه كان يتجنب مناظرتهم ما أمكنه وإذا اضطر إلى مناقشتهم فيلجأ إلى الكلام عن المعنى الباطن لأمور الدين حتى يبدو أمام الناس أنه يعلم ما خفي على غيره خاصة وأن المكاسر كان يطلب من هؤلاء العلماء الإجابة عن بعض الأسئلة التي لا يمكن الإجابة عليها وكانت هذه المناقشات تسفر عن إظهار فصاحته وغالبًا ما كان يلتف حوله في النهاية أعداد غير قليلة من السامعين وخاصة السذج منهم يلتمسون معرفة الإجابة الصحيحة عليها وكان يعمد إلى تركهم فترة من الزمن ثم يلتقي بهم مرة أخرى ويدعي لمن أنس منهم استعداداً لقبول الدعوة أنه تعرف على أحد العلماء الأفذاذ الذي يستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة فيهرعون إلى مقابلته ولم يكن هذا العالم الذي يشير إليه سوى أحد كبار دعاة الاسماعيلية والذي ـ غالبًا ـ ما يختارونه من بين أبناء البيئة التي سيباشر فيها نشاطه حتى يطمئن إليه الجميع ولا يرتاب أحد في أمره.

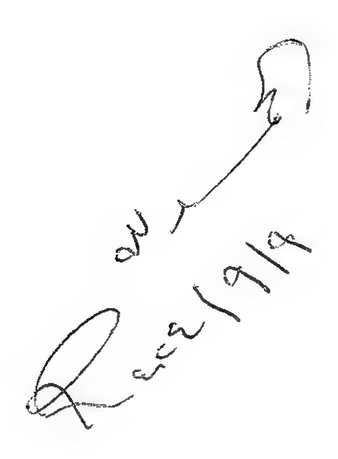
كما اهتموا بضرورة أن يكون المكاسر كريم المحتد ومن ذوي العصبيات الكبيرة حتى يكون عزيزاً في قومه محترمًا من الجميع. هذا بالإضافة إلى ضرورة اتصافه بالورع والتقى. وينبغي للداعي اختبار أمر من يدعوهم وتعرف أحوالهم رجلاً رجلاً كما ينبغي له أن يتهيب عنه أهل دعوته وأن لا يعودهم الجرأة عليه ولا يبسطهم كل البسط لديه فيهون عندهم ويصغر أمره لديهم فإنه كلما كان أهيب عندهم كانوا أكثر انتفاعًا به فإذا اطمأن كبير الدعاة إلى شخص تتوفر فيه الصفات المتقدمة تولاه بالتعليم والتثقيف حتى يصبح متبحراً في العلوم الإسلامية عارفًا بكل المذاهب والنحل ويوقفه على وجه الخلاف ونقط الضعف في كل منها من وجهة نظرهم حتى يتسنى له مجادلة أهل الفرق كلهم ولم ينس كبير الدعاه أن يزود المكاسر بالمعارف التي تمكنه من تفهم نفسية الأشخاص على اختلاف ثقافاتهم والجماعات على تنوع مذاهبهم ونحلهم.

فإذا أتقن المكاسر كل هذه الأمور سمح له بمكاسرة أهل الفرق الأخرى دون أن

يشعر أحد أنه اسماعيلي المذهب فكان إمام الشيعة يظهر بغضه لأبي بكر وعمر وكذا لبني أمية وبني العباس ويتحدث عن الأئمة الصالحين من أهل البيت وعن انتظار خروج المهدي وكان يحاور اليهود والمجوس والنصارى بما يضاهي مذاهبهم من معتقداته وهكذا كان المكاسر يخاطب كل قوم حسب عقيدتهم ومذهبهم وعقليتهم ومن ثم كان يراعي في اختياره أن يكون فطنًا ذكيًا صحيح الحدس صادق الفراسة[١].

هذه هي مراكز الدعاه ودرجاتهم الأساسية والتي على ضوئها قام كل داع بما عهد إليه. وهناك بعض المحدثين يضيف إلى هذه التنظيمات ما يسميه بالمطالب والمستجيب[٢]. والواقع أنهما يتعلقان بالمدعو ولا صلة لهما بدرجات الدعاة عدا ما ينسب إليهما من أعمال هي في الحقيقة من مهام الداعي المكاسر ومن صميم واجباته.

*****



(١) انظر قرامطة العراق لعليان ص١٦٤ ـ ١٦٦.

(٢) القرامطة لعارف تامر ص١٠٦.

سلسلة الرسائل الجامعية (١١)

أصول الإسماعيلية

دراسة - تحليل - نقد

بقلم
د. سليمان عبد الله السلومي
الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين
جامعة أم القرى

المجلد الثاني

دار الفضيلة
الرياض - السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الفضيلة
الرياض - السعودية

ص.ب : ١٠٣٨٧ الرياض ١١٤٣٣ - تلفاكس : ٢٣٣٣٠٦٣

الفصل الخامس
فرق الاسماعيلية ودولها

(أ) فرق الاسماعيلية:

ظهر التفرق في طائفة الاسماعيلية ـ كسائر فرق الشيعة ـ منذ نشأتها حيث نجد هذه المصطلحات والأسماء الآتية في كتب الفرق وكلها تدل على فرق عديدة وانشقاقات في داخل فرقة الاسماعيلية وهذه طبيعة السبل التي نهانا الله عنها وحذرنا من اتباعها كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾[١]. وهذه الفرق حسب أسماءها في كتب المقالات على النحو الآتي:

(١) الاسماعيلية الخالصة:

وهم الذين قالوا: إن الإمام بعد جعفر ابنه اسماعيل بن جعفر وأنكروا موت اسماعيل في حياة أبيه وقالوا: إن ذلك على جهة التلبيس؛ لأنه خاف عليه فغيبه عنهم وزعموا أن اسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمور الناس وأنه هو القائم؛ لأنه أباه أشار إليه بالإمامة بعده وقلدهم ذلك له وأخبرهم أنه صاحبهم وهذه الفرقة تنتظر اسماعيل بن جعفر[٢] وجزم كل من الأشعري القمي والنوبختي إلى أن هذه الفرقة هي الخطابية أتباع أبي الخطاب قبل موته ولما توفي أبو الخطاب انضم أتباعه إلى الاسماعيلية وقالوا بإمامة اسماعيل في حياة أبيه مع إنكارهم لموته في تلك الفترة. ولما مات اسماعيل بعد وفاة أبيه ـ كما يقول الداعي الاسماعيلي أبو حاتم الرازي قالت الاسماعيلية الخالصة بعد ذلك بإمامة محمد بن اسماعيل مع إنكارهم إمامة جميع أولاد

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٤٦ ـ ٤٧، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٦٧.

جعفر[1].

فهذه الفرقة إذن تختلف عن باقي فرق الاسماعيلية ـ ولا سيما الفرقة الثانية ـ بالجوانب الآتية:

(١) إثبات الإمامة لاسماعيل بعد أبيه والجزم بها عمليًا وليست فقط لتسلسلها وإثبات بقاءها في عقبه.

(٢) الجزم بعدم موته في حياة أبيه وبقاءه حيًا بعد ذلك حيث تسلم الإمامة بعد وفاة أبيه جعفر الصادق.

(٣) الإقرار بالمحضر والإشهاد على موت اسماعيل وذلك على جهة التلبيس والتقية خوفًا عليه من الضد.

(٢) الاسماعيلية المباركية أو الاسماعيلية الثانية:

وهم القائلون بأن الإمام بعد جعفر محمد بن اسماعيل بن جعفر وأمه أم ولد وقالوا: إن الأمر كان لاسماعيل في حياة أبيه فلما توفى قبل أبيه جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد بن اسماعيل وكان الحق له ولا يجوز غير ذلك؛ لأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما ولا يكون الإمام إلا في الأعقاب ولم يكن لأخوة اسماعيل عبدالله وموسى في الإمامة حق كما لم يكن لمحمد ابن الحنفية فيها حق مع علي بن الحسين وأصحاب هذه المقالة يسمون المباركية نسبة إلى رئيس لهم يسمى المبارك كان مولى لاسماعيل بن جعفر[2].

وهذه الفرقة تتميز عن الأولى بالآتي:

(١) الجزم بموت اسماعيل في حياة أبيه.

(٢) إن إمامة اسماعيل إنما كانت فقط تسلسلاً حيث أنه أسن أولاده وآثرهم عنده

---

(١) انظر: المقالات والفرق للقمي ص٨٠، فرق الشيعة للنوبختي ص٧٩، الزينة للرازي ضمن كتاب الغلو والفرق الغالية للسامرائي ص٢٨٧ ـ ٢٨٩.

(٢) المقالات والفرق للقمي ص٨٠ ـ ٨١.

مع النص عليه، ولما مات في حياة أبيه جعفر انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد بن اسماعيل.

ومع هذا الاختلاف بين هاتين الفرقتين، فإن الجميع متفق على سوق الإمامة في اسماعيل ونسله من بعده وكلاهما فرقتان اسماعيليتان اختلفتا حول مسألة تاريخية بحتة، ولذا يقول أحد الباحثين المعاصرين: إن الفرقتين اسماعيليتان، ولكن الخالصة وقفت الإمامة على اسماعيل ولم تتعده إلى غيره، ولو كان أحد أبنائه. والمباركية اعتقدت بإمامة اسماعيل حيًا فقط، وعندما مات انتقلت الإمامة منه إلى ابنه محمد بن اسماعيل، ويمكن أن يطلق عليها الاسماعيلية الأولى تمييزاً لها عن الاسماعيلية الباطنية التي امتدت حتى تولد منها القرامطة ثم ازدادت في الغلو حتى انبثق منها الدروز ثم كانت طائفة النزارية، وآخرها الأغاخانية في العصر الحاضر والطائفة الثانية المستعلية، وآخرها البهرة في العصر الحاضر أيضًا[1].

ومن الملاحظ في تاريخ الاسماعيلية أنه بعد تجاوز هذه المرحلة التاريخية أصبح الاسماعيليون فرقة واحدة تمثل فكراً واحداً وكيانًا واحداً كان من نتائجه قيام الدولة العبيدية التي سيطرت على أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي حينًا من الدهر باسم الأئمة الفاطميين من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر.

وأول انفصال حقيقي في الفرقة الاسماعيلية هو ظهور الحركة القرمطية التي انفصلت سياسيًا عن أصلها مع تبعيتها للفرقة الأم الاسماعيلية مذهبيًا.

(٣) فرقة القرامطة:

فرقة باطنية ثورية انشقت عن حركتها الأم الاسماعيلية وأصبحت فرعًا من فروعًا، وسموا بالقرامطة نسبة إلى زعيمها وداعيتها الأول «حمدان قرمط» الذي يقول عنه الغزالي: كان حمدان أحد دعاة الباطنية في الابتداء، حيث استجاب له في دعوته رجال فسموا قرامطة وقرمطية، التقى بأحد دعاة الباطنية[2]، ودار بينهما محاورة دعوية

---

(١) غلاة الشيعة للزعبي ص١٤٩.

(٢) حددت المصادر هذا الداعية بأنه الحسين الأهوازي داع الإمام الاسماعيلي. انظر: اتعاظ الحنفا =

استجاب فيها حمدان لجميع ما دعاه إليه هذا الباطني ومنها أخذه العهد والميثاق على حمدان بالبيعة للإمام الاسماعيلي والتزام سر الإمام وسر هذا الداعية ومن ثم انتدب حمدان للدعوة وصار أصلاً من أصولها[1].

هذه البداية المتفق عليها بين كتاب المقالات والمؤرخين تدل صراحة على أن حركة القرامطة فرقة من فرق الاسماعيلية مذهبيًا وتاريخيًا. وقد ظل حمدان ومعه داعيته المشهور عبدان[2] على صلة تامة بزعماء الاسماعيلية في سلمية يتلقون تعاليمهم، ويدينون لهم بالطاعة والولاء، ولا أدل على ذلك من الحقائق التالية:

(١) أن الداعي الاسماعيلي حسين الأهوازي لما حضرته الوفاة ـ حسب ما نقله النويري [3] ـ أو هرب إلى الشام ـ حسب رواية الطبري[4] ـ عين حمدان قرمط خلفا له في مواصلة الدعوة وذلك دليل على ثقته وولاءه وارتباطه بأئمة الاسماعيلية.

(٢) أن زعماء الاسماعيلية يتدخلون تدخلاً مباشراً في اختيار القادة والمنظمين لحركة القرامطة.

(٣) المساعدات المالية التي يتلقاها دعاة القرامطة في سواد الكوفة وغيرها من زعماء الاسماعيلية في سلميه، فعبد الله بن ميمون أحد دعاة محمد بن اسماعيل أرسل إلى القرامطة جزءاً من الهبة المالية الكبيرة التي حصل عليها من محمد بن الحسين

=للمقريزي ١/ ١٥١ ـ ١٥٢، نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ١٨٩، فضائح الباطنية للغزالي ص١٢، تلبيس ابليس لابن الجوزي ص١٠٤، وقالا عن هذا الداعية أنه أحد دعاة الباطنية. أما باقي المؤرخين فذكروا هذه البداية لحمدان وإيمانه بالدعوة الاسماعيلية على يد رجل قدم من هوزستان. انظر: تاريخ الطبري ٨/ ١٥٩ ـ ١٦٠، الكامل لابن الأثير ٦/ ٦٩، البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٦٢، المنتظم لابن الجوزي ٥/ ١١٣.

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص١٢ ـ ١٤.

(٢) الداعية الثاني عند القرامطة بعد حمدان اشتهر بكثرة مؤلفاته حتى لقب بعبدان الكاتب له مجموعة من الكتب في مذهبه ولذا يصفه ابن النديم بأنه: أكثر الجماعة كتبًا وتصنيفًا. الفهرست لابن النديم ص٢٤٠.

(٣) نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ١٩١.

(٤) تاريخ الطبري ٨/ ١٦٠.

للإنفاق على الدعوة هناك.

(٤) الاتصال المستمر بين أئمة الاسماعيلية ودعاة القرامطة حتى أن الإمام الاسماعيلي أمر أحد أبنائه بالإقامة في بلدة الطالقان ليكون همزة وصل بينه وبين حمدان قرمط المقيم في كلواذي[١].

(٥) جميع معتقدات القرامطة وأفكارهم مصدرها وأساسها معتقدات الاسماعيلية وأفكارهم ولا فرق بينهم فكريًا ومذهبيًا سوى وسيلة نشرها والدعوة إليها، فالاسماعيلية يرون نشرها سرًا، وبطريقة تعليمية، أما القرامطة فمنهجهم في ذلك ثوري يخالف منهج الاسماعيلية.

(٦) كان شعار الدعوة الاسماعيلية وأعلامهم اللون الأبيض مخالفة لشعار العباسيين، وفي آخر ثورة لقرامطة العراق سنة ٣١٦هـ ذكر ابن الأثير أن قوادهم كانوا يحملون أعلامًا بيضاء، وأنهم كانوا يدعون للمهدي[٢].

أن هذه الحقائق الست المستخلصة من الكتب التاريخية وكتب المقالات والفرق[٣] تؤكد أن القرامطة فرقة من فرق الاسماعيلية بداية وعلاقة بعد ذلك بين أئمة الاسماعيلية وبينهم، ومن ثم تطبيقًا لأوامر أئمة الاسماعيلية والدعوة لهم.

ومع الاستقراء التاريخي لتاريخ القرامطة على مختلف أماكنهم ودولهم[٤]، فإننا

(١) الطالقان بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو وبلخ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين، وأبهر وهما أكبر مدينة بطخارستان (وكلواذي) طسوج قرب بغداد تقع في الجانب الشرقي منها. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٠١-٣٠٢.

(٢) الكامل لابن الأثير ٦/ ١٩٤.

(٣) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٦٧-١٦٨، نهاية الأرب للنويري ٢٥/ ١٩١، تاريخ الطبري ٨/ ١٦٠، الفهرست لابن النديم ١/ ١٨٩، استتار الأم للنيسابوري من مجلة كلية الآداب ص٩٥-٩٦، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٦٦-٢٦٧.

(٤) من المعروف أن هناك ما يسمى بقرامطة العراقة وقرامطة البحرين وقرامطة الشام وقرامطة اليمن وهي تمثل اختلافًا في المكان فقط مع اتحاد العقيدة والهدف وقد فصلت الحديث عن تاريخ القرامطة ودولهم في أطروحتي للماجستير بعنوان: «القرامطة وآراؤهم الاعتقادية».

نجد أن الاسماعيلية هي الحركة الأم لهم، فالعقائد واحدة والأهداف واحدة لا فرق بينهم سوى الاختلاف حول وسيلة الدعوة، وهذا ما صرح به الباطني المعاصر عارف تامر بقوله: إن حمدان قرمط كان ثوريًا عنيفًا لا يستطيع الصبر على الضيم ولا يستكين إلى الظلم ولهذا فإن اجتهاداته واختباراته قادته إلى ركوب مراكب الأخطار بإعلانه الثورة المبكرة على الخلافة العباسية دون الرجوع إلى مركز الإمامة في سلمية وهي التي توصي بالتريث وتكريس الجهود.

فسلمية ـ مركز الدعوة الاسماعيلية ـ لم تكن راضية عن إعلان الثورة الذي قام به حمدان ولم تبارك تلك الخطوة. . . إلى أن يقول: ومع ما حصل من حمدان فإنه ظل على ولائه لمركز الإمامة في سلمية، فلم يوافق على الانقضاض عليها أو يجرأ على إعلان الثورة، كما خيل لبعض المؤرخين[1].

ويستخلص الأستاذ أحمد جلي من الروايات التاريخية وما حصل من خلاف بين القرامطة وبين أئمتهم الاسماعيليين بقوله: «إن دعوة القرامطة في بدايته دعوة اسماعيلية، ولكنها كانت تدعو إلى الإمام المنتظر محمد بن اسماعيل باعتباره المهدي أو الإمام الغائب وهذا هو الذي ميز هذه الجماعة داخل الإطار الاسماعيلي الباطني العام. كما كان هذا هو سبب الخلاف والعداء فيما بعد بينهم وبينه دعاة الفاطميين وأئمتهم. إذ أن الاسماعيلية جميعًا ما عدا القرامطة كانوا يؤمنون بأن هناك إمامًا حيًا وأن هناك حجة لهذا الإمام. فلما تنازل الإمام الحسين عن الإمامة لحجته سعيد بن الحسن بن عبدالله القداح ليكون سترًا أو مستودعًا لابنه القائم ـ كما تقول المصادر الاسماعيلية ـ انتفض قرامطة السواد وعلى رأسهم حمدان قرمط وصهره عبدان المؤلف والداعية القرمطي المشهور وسافر عبدان لمقابلة سعيد المعروف بعد ذلك بعبيد اللهالمهدي وسأله عن الحجة وعن الإمام فقال سعيد (أي المهدي) لعبدان ومن الإمام؟ فرد عليه عبدان بعقيدة القرامطة: محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذي كان أبوك يدعو إليه وكان حجته فأنكر ذلك عليه وقال: محمد بن اسماعيل لا أصل له ولم يكن الإمام غير أبي

(١) انظر كتاب القرامطة لعارف تامر ص ١٢٠ ـ ١٢٢.

وهو من ولد ميمون بن ديصان وأنا أقوم مقامه[1].

ولما اكتشف القرامطة هذا الزيف في شخصية الإمام الذي قامت الدعوة باسمه شكوا في الأمر كله وانتهى بهم الأمر إلى مطاردة الإمام الشيعي المزعوم ومحاولة كشف حقيقته والتخلص منه. ويقال إن قرامطة الشام هاجموا دار الإمام الاسماعيلي في سلمية ونهبوها وكانوا ينوون قتله ولكن عبيدالله المهدي علم بأمرهم واستطاع أن يلفت منهم فذهب إلى مصر ومنها إلى سجلماسة حيث استطاع داعيته أبو عبدالله الشيعي أن يمهد لقيام الدولة الفاطمية هناك[2].

ومع هذا الانفصال أو الاختلاف فإن القرامطة لم يرفعوا شعارات ومبادىء تخالف أصول الاسماعيلية ومعتقداتهم مما يدل دلالة بينة أن القرامطة فرع من فروع الاسماعيلية وواحدة من فرقها الكثيرة. وهذا يشمل قرامطة البحرين وقرامطة الشام؛ لأنهم من دعاة وتلاميذ حمدان قرمط وصهره عبدان.

أما بالنسبة لقرامطة اليمن بزعامة علي بن الفضل القرمطي فإن بدايته كانت على يد الداعية الباطني ميمون القداح الذي اجتمع معه عند قبر الحسين فخلا به وبسطه وفتح له شيئًا من العلم وبعد محاورة وملازمة واختبار أخذ عليه العهد وأوصله إلى الإمام الاسماعيلي[3] الذي عينه داعيًا في اليمن وأرسل بصحبة ابن حوشب وعلى يد هذين الداعيين انتشرت الدعوة الاسماعيلية حتى إذا ما تمكن ابن الفضل وكثر أتباعه استقل بالدعوة ووجهها توجيهًا ثوريًا على منهج قرامطة العراق ومن ثم اعتبر من القرامطة

(١) عن تفصيل هذه الحادثة يرجع إلى اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/١٦٨، نهاية الأرب للنويري ٢٥/٢٢٩ ـ ٢٣١، الفهرست لابن النديم ص٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٢) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٢٠ ـ ٢٢١، وعن قصة مطاردة الإمام المزعوم للاسماعيلية تفصيليًا يرجع إلى كتاب استتار الإمام للنيسابوري ضمن مجلة كلية الآداب سنة ١٩٣٦م ترجمة الدكتور محمد كامل حسين ص٩٦ ـ ١٠٥.

(٣) تؤكد المصادر الاسماعيلية على أن الإمام الذي اتصل به ابن الفضل هو الحسين بن أحمد الملقب بالزكي آخر أئمة دور الاستتار بعد محمد بن اسماعيل وهو والد عبيد الله المهدي. انظر عيون الأخبار للداعي ادريس ص٣٩٥ ـ ٣٩٦، الحور العين للحميري ص١٩٨، استتار الإمام للنيسابوري ص٩٥.

نسبة إلى منهجه وطريقته وأسلوبه في الدعوة مع الالتزام الكامل بمعتقدات الاسماعيلية وأصولهم[١].

وقد قامت الفرقة القرمطية على مختلف فئاتها وأماكنها بأعمال لا تزال حتى عصرنا الحاضر مضرب مثل للوحشية والقسوة والظلم وانتهاك الأعراض والحرمات مع الاستهانة بشرائع الإسلام ومقدساته وأبرز حدث اشتهروا به اعتدائهم على بيت الله الحرام وقتل جميع الحجاج وأخذ الحجر الأسود من الكعبة في عام ٣١٧هـ[٢].

فالحركة القرمطية، فرقة باطنية اسماعيلية اعتمدت التنظيم السري العسكري وانتهجت المنهج الثوري في نشر آرائها ومعتقداتها ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر وحقيقتها الإلحاد والشيوعية والإباحية.

وخلاصة القول، فإن القرامطة فرقة من فرق الاسماعيلية وجناحًا من أجنحتها، ومظهراً من مظاهرا، ولذا فإن علماء الفرق المتقدمين يطلقون اسم كل واحدة منهما على الأخرى، أو يدمجون بينهما في كثير من الحالات[٣].

(٤) فرقة الدروز:

هذه الفرقة من فرق الباطنية الاسماعيلية التي جاهرت بالغلو في شخصية الحاكم فانشقت عن المذهب الاسماعيلي ورغم انشقاقها وتفردها ببعض المعتقدات، فإنها بلا شك وليدة الدعوة الاسماعيلية، وبتعبير أدق جناحًا من أجنحتها وعند البحث عن أصل هذه الفرقة وظهورها نجد أنها:

(١) ظهرت في عاصمة العبيدين (القاهرة) إبان قوة الحكام العبيديين وسيطرتهم وتمكنهم.

---

(١) للتفصيل عن الحركة الاسماعيلية القرمطية في اليمن أفردت فصلاً خاصًا بذلك في أطروحتي للماجستير بعنوان «القرامطة وآراؤهم الاعتقادية» ١/ ٢٥٩ ـ ٢٨٦.

(٢) في المرجع السابق أفردت بابًا كاملاً عن تاريخ القرامطة على اختلاف دولهم وأماكنها وفصلت جميع أحداثهم التاريخية في الجزء الأول ص١٣٥ ـ ٢٨٦.

(٣) انظر ص٢٣٩ ـ ٢٤١، ٣٠٩، ـ ٣١٠ من الرسالة القسم الأول.

(٢) ارتبط بداية هذه الفرقة وأصلها بشخصية الحاكم الذي أسس مركزًا لإعداد وتوجيه دعاة الاسماعيلية وسماه (دار الحكمة) وعن طريق هذه الدار زين له دعاتها فكرة ألوهيته التي تعتبر أساس العقيدة الدرزية.

(٣) الاتفاق في المعتقدات والأصول بين الاسماعيلية والدروز، حيث أن عقائد الفاطميين ـ كما يقول الدكتور حسين ـ هي الأساس الأول لعقيدة الدروز[1].

وكما يقول ـ الدكتور بدوي ـ أن مذهب الدروز ينبثق عن مذهب الاسماعيلية ومن هنا يتفقان فيما بينهما في كثير من العقائد الأساسية والاصطلاحات وأن حرص الدروز على توكيد استقلالهم عن سائر الفرق[2].

ويصرح الباطني مصطفى غالب بأن أصول وأحكام الدعوة الدرزية راجع إلى أصول الاسماعيلية وذلك عند حديثه عن مؤسس فرقة الدروز حمزة بن علي الزوزني يقول عنه: إن حمزة بن علي بن أحمد الزوزني وفد على مصر سنة ٤٠٥هـ وانتظم في سلك دعاة الفرس الذين كانوا يترددون إلى دار الحكمة لحضور مجالس الحكمة التأويلية، وما عتم أن أصبح ممثلاً لدعاة الفرس، وهمزة الوصل بينهم وبين الحاكم الذي ضمه إلى حاشيته وأسكنه في قصره. وفي بعض الوثائق الاسماعيلية السرية ما يشير إلى أنه أصبح من الدعاة الذين يكونون دائمًا في معية الإمام ولا يفارقون مقر قيادته أبدًا وسرعان ما أصبحت له حظوة عند الحاكم بعدما أظهر من إخلاص ومساهمه مساهمة فعالة في خوض غمار الجدل الديني وفلسفة المذهب الذي يبشر به واستطاع أن يجمع حوله بعض الدعاة ويتفقون سرًا للدعوة إلى تأليه الحاكم معتمدًا في دعوته هذه على أصول وأحكام استنبطها من صميم الأصول والأحكام الاسماعيلية[3].

كما يذكر الأمير شكيب أرسلان ـ وكان في السابق درزيًا ـ أن الدروز أصلهم من الشيعة الاسماعيلية الفاطمية والشيعة الاسماعيلية الفاطمية أصلها من الشيعة السبعية

---

(١) طائفة الدروز تاريخها وعقائدها ص٨٦ للدكتور محمد كامل حسين.

(٢) مذاهب الإسلاميين للدكتور عبدالرحمن بدوي ٢/ ٥٠٩.

(٣) الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص٢٤١.

القائلين بالأئمة السبعة[1].

وتتلخص معتقدات الدروز في الأمور الآتية:

(أ) ألوهية الحاكم العبيدي (الإمام السادس من أئمة الظهور عند الاسماعيلية).

وهذا الأمر هو لب العقيدة الدرزية وعليه بنيت جميع آراؤهم ومعتقداتهم ورسائل حمزة والتي تعتبر قاموس المذهب وأساسه طافحة بهذا الكفر والغلو المخرج من الملة. يقول حمزة في رسالته ميثاق ولي الزمان عن الحاكم: أنه الصورة الناسوتية للألوهية وأنه الأحد الفرد الصمد المنزه عن الأزواج والعدد. ويقول: إن الموحد ـ أي الدرزي ـ لا يعرف شيئًا غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره والطاعة هي العبادة وأنه لا يشرك في عبادته أحداً مضى أو حضر أو ينتظر وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع أحكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله ساءه ذلك أم سره ومن أقر أنه ليس له في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم كان من الموحدين الفائزين[2].

وفي رسالة أخرى لحمزة يقول فيها عن الحاكم: ومولانا سبحانه معل علة العلل جل ذكره وعز اسمه، ولا معبود سواه ليس له شبهة في الجسمانيين، ولا ضد في الجرمانيين، ولا كفؤ في الروحانيين، ولا نظير في النفسانيين، ولا مقام له في النورانيين سبحان مولانا جل ذكره عن إحاطة الأشياء به وعز سلطانه عن حكومة الألسن والأوهام عليه لا يسبقونه بالقول وهم بأمر يعملون. وسلطان لاهوته لا يدرك بالعين ولا يعرف بالكيف، والأين ولا أقول أنه شيء فيكون محمولاً عليه ولا هو في شيء فيكون محاطًا به، ولا متعلق بشيء، فيكون قد التجأ إليه[3].

وتأليه الحاكم عند الدروز إنما تفوهوا به عن طريق عقيدة الحلول التي كانت جسراً ووسيلة لجميع فرق الغلاة. فالدروز يرون أن روح آدم أصل البشر قد انتقلت إلى

(١) مذاهب الإسلاميين لبدوي ٢/ ٥٠٩، نقلاً من رسالة ميثاق ولي الزمان لحمزة.

(٢) طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص١٢٦.

(٣) هذه نصوص درزية نقلاً من كتاب طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص١٠٣ فما بعد.

الحاكم وبذلك ـ وكما ذكر الأستاذ محمد عنان ـ فهم يعتقدون بألوهية الحاكم فهو فليس إنسانًا كباقي البشر، ولكن الروح الإلهية حلت به، واتخذت صورته، وهذا في الواقع هو أساس مذهب الدروز وعماده الجوهري[1].

(ب) نسخ الشريعة الإسلامية.

في سبيل تقرير العقيدة الدرزية الجديدة نادئ وجاهر مؤسسو مذهب الدروز بنسخ الشريعة الإسلامية، بل ونسخ جميع الأديان والشرائع السابقة. ومما يدل على هذا الغلو المخرج من الملة عندهم رسالة خاصة من بين رسائلهم الكثيرة وتسمى (بالكتاب المعروف بالنقض الخفي) وهي رسالة صريحة بنقض أحكام الشريعة الإسلامية واستبدالها بشريعة جديدة أتئ بها الحاكم ـ كما يعتقدون ـ ومن نصوصها: توكلت على مولانا البار العلام العلي الأعلم حاكم الحكام من لا يدخل في الخواطر والأوهام . . . دعاة عبدة الإمام كتابي إليكم معاشر الموحدين لمولانا سبحانه . . . أما بعد: فقد سمعتم قبل هذه الرسالة نسخ الشريعة بإسقاط الزكاة وإن الزكاة عنكم هي الشريعة بكمالها، وقد بينت لكم في هذه الرسالة نقضها دعامة دعامة ظاهرها وباطنها.

وفي تلك الرسالة يؤول حمزة الشهادتين بمعنى معرفة ديانة التوحيد ومراتب أصحاب هذه الديانة ويرئ أن الحاكم نقض سائر أركان الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد، واعتمد في ذلك ـ في زعمه ـ على تصرفات الحاكم إذ أنه لم يصل مدة طويلة لا صلاة الجمعة ولا الجنازة ولا العيدين وبالنسبة للزكاة أسقطها عن الناس بالسجل الصادر عام ٤٠٠هـ وكذلك في الصيام إذ أنه لم يكن يراعي الأوقات المحددة له[2].

كما يبرر حمزة في رسالته التي سماها برسالة التوحيد لدعوة الحق إبطال الحاكم للشريعة الإسلامية بأن محمد بن عبدالله (ويقصدون بذلك النبي ﷺ) الناطق السادس بزعمهم لما ظهر بالنطق نسخ الشرائع كلها فكذلك الحاكم ينسخ شريعة محمد بن عبدالله

---

(١) الحاكم وأسرار الدعوة الفاطمية ص٢٩٦ لمحمد عبدالله عنان.

(٢) نص هذه الرسالة في مذاهب الإسلاميين ٢/ ٧٠٧ـ٧٢٨.

وينشئ له شريعة خاصة[١].

وفي رسالة أخرىٰ يقول: والآن فقد دارت الأدوار وبطل ما كان في جميع الأعصار ولم يبق من الشريعة الشركية غير لهيبها والشرار وسوف يخمد حسرها ويضمحل العوار[٢].

ولذا ينتهي الأستاذ محمد عنان بعد عرضه لمذهب الدروز إلىٰ أنهم يعتقدون أن دينهم ينسخ جميع الأديان والشرائع السابقة وهو في زعمهم خاتمة الأديان وإليه منتهىٰ الهداية والإيمان وأن الحاكم هو الذي أتىٰ بشريعة جديدة[٣].

ومن معتقداتهم الأخرىٰ التناسخ حيث يعتقدون أن الأرواح تتناسخ وتنتقل إلىٰ الأحياء فنفس الموحد تنتقل إلىٰ موحد آخر ونفس المشرك تنتقل إلىٰ مشرك آخر وهكذا فإن عدد النفوس في العالم محدود وثابت لا يزيد ولا ينقص وأن النفوس باقية أزلية لا تفنىٰ وبناء علىٰ هذا المعتقد فسروا القيامة والثواب والعقاب وأولوها تأويلاً باطنيًا يصل إلىٰ جحدها وإنكارها[٤].

كما أن لهم معتقدات أخرىٰ تتعلق بإبطال النبوات وإسقاط أركان الإسلام وإنكار الأخرويات جملة وتفصيلاً وعند التأمل لهذه المعتقدات، فإنها في أصلها فكر اسماعيلي باطني أضاف إليه الدروز بعض المصطلحات مع المجاهرة ببعض المعتقدات الاسماعيلية المكنونة كما سنفصل القول فيه إن شاء الله تعالىٰ في الفصول القادمة في معتقدات الاسماعيلية.

(٥) الاسماعيلية المستعلية:

يعتبر انقسام الطائفة الاسماعيلية إلىٰ مستعلية ونزارية أضخم انقسام وافتراق منذ

---

(١) رسالة التوحيد لدعوة الحق ضمن كتاب الحاكم وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عبدالله عنان ص١٨٨.

(٢) السيرة المستقيمة لحمزة بن علي نقلاً عن طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص١٠٥.

(٣) كتاب الحاكم وأسرار الدعوة ص١٨٨.

(٤) انظر دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٧٤ ـ ٢٧٥.

تأسيسها وبدايتها إلى عصرنا الحاضر حيث اتجهت كل فرقة إلى إمام من أئمتها في فترة الظهور وتمسكت به وبإمامة نسله من بعده، إن كان له نسل أو عقب وحدث من جراء هذا الانقسام أن أصبح لكل فرقة كتب خاصة بها؛ لأن لكل فرقة دعاة خاصين ومنظمين فكريين[١] بل أصبح بعد ذلك لكل فرقة دولة خاصة بها ولا أدل على ذلك من دولة الصليحيين في اليمن والتي تمثل الاسماعيلية المستعلية ودولة الصباحيين أو الحشاشين في الألموت وجنوب فارس والتي تمثل الاسماعيلية النزارية.

وبداية هذا الانقسام وسببه كما ذكرنا سابقاً[٢] أن المستنصر العبيدي (الإمام الثامن من أئمة الظهور عند الاسماعيلية) لما مات في ذي الحجة من عام ٤٨٧هـ أقام الأفضل ابن بدر أمير الجيوش ابنه المستعلي بالله بن المستنصر واسمه أبو القاسم أحمد للإمامة والحكم. وخالفه في ذلك أخوه نزار بن المستنصر وبعد مناوشات بينهما فر إلى الاسكندرية ثم حاربه الأفضل حتى ظفر به فقتله. ثم أمر الأفضل الناس بتقبيل الأرض. وقال لهم: قبلوا الأرض لمولانا المستعلي بالله وبايعوه فهو الذي نص عليه الإمام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده[٣].

وبذلك انقسمت الاسماعيلية إلى مستعلية أتباع المستعلي ونزارية أتباع نزار، والحديث الآن عن المستعلية، حيث يسمون بهذا الاسم نسبة إلى القول بإمامة المستعلي مع إنكار إمامة نزار بن المستنصر، ويقولون إنه نازع الحق أهله! من حيث أن الحق في الإمامة والخلافة كان لإمامهم المستعلي فادعاه لنفسه ويقولون إن شيعته على الباطل ويرون من الضلال اتباع الحسن الصباح داعية نزار، والناقل عن المستنصر النص على إمامته[٤]. ومن أسماء هذه الفرقة فيما بعد الطيبية نسبة إلى الطيب ابن الآمر المزعوم

---

(١) انظر قائمة المراجع التي وضعها الدكتور محمد كامل حسين في آخر كتابه طائفة الاسماعيلية حيث وضع قائمة لكتب الدعوة الغربية وقائمة لكتب الدعوة الشرقية من ص١٨٠ إلى آخر الكتاب ص١٨٦.

(٢) انظر ص - من الرسالة، القسم الأول.

(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨/ ١٧٣، الخطط للمقريزي ٢/ ٣٤-٣٥.

(٤) صبح الأعشى للقلقشندي ١٣/ ٢٤٣.

الذي سبق أن ذكرنا ادعاء الملكة أروىٰ الصليحية إمامته وكفالتها له[١] .

وبعد ذلك أطلق عليهم لقب الاسماعيلية الطيبية لزعمهم بإمامته وإمامة نسله المستورين من بعده كما يطلق علىٰ هذه الفرقة الاسماعيلية الغربية وهؤلاء هم اسماعيلية مصر واليمن، وبعض بلاد الشام تمييزاً لهم عن الاسماعيلية الشرقية اسماعيلية بلاد فارس أصحاب الحسن الصباح[٢] .

وتبنىٰ هذه الفرقة وأبقاها الدولة الصليحية الذين حاولوا نشرها وبسطها في بلاد اليمن حتىٰ انقرضت الدولة الصليحية عام ٥٦٣هـ ولم يقم أتباع هذه الفرقة بأي نشاط سياسي يذكر ونراهم اتجهوا بعد ذلك اتجاهًا جديداً هو التجارة والاقتصاد واتخذوا التقية والستر ـ كعادتهم في التمويه ـ أسلوبًا في نقل الدعوة الاسماعيلية المستعلية الطيبية إلىٰ شبه القارة الهندية، وظهر لهم لقب جديد ومسمىٰ يتناسب مع مهنتهم وهو (البهرة) وسبب ذلك أنه عندما اعتنق جماعة من الهندوس الدعوة الاسماعيلية الطيبية، وكثر عددهم في الهند عرفت الدعوة بينهم باسم البهرة، وهي كلمة هندية قديمة معناها التاجر[٣] .

البهرة:

عندما اعتنق جاعة من الهندوس الدعوة الاسماعيلية الطيبية وكثر عددهم في الهند عرفت الدعوة باسم البهرة الذي يرمز إلىٰ مهنتهم التي اشتهروا بها وهي التجارة، حيث انصرفوا لها وحاولوا نشر عقيدتهم عن طريقها، ولذا نجد أن دعوتهم انتشرت في أقطار متعددة، نتيجة جهل الشعوب الإسلامية بهذه الدعوة الباطنية وعدم فهم الإسلام فهمًا صحيحًا فلهم أتابع في بلاد الهند والباكستان وعدن، كما يوجد عدد منهم في اليمن الشمالي في جبال حراز، ولا زال يطلق عليهم اسمهم الحقيقي والأصلي حيث يدعون بالقرامطة والباطنية ومن آثارها ـ كما يقول النشار ـ قبيلة يام وهي إلىٰ اليوم باطنية

(١) القسم الأول من الرسالة وذلك ص٣٦٣ .

(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٤٦، ٦٢ .

(٣) المرجع السابق ص٥١ .

تنتمي إلى بهرة الهند[١] .

ويشتهر البهرة بالتعصب الشديد لمذهبهم وعقيدتهم وتقاليدهم التي ورثوها من قادتهم وزعمائهم (اسماعيلية اليمن المعروفين بالصليحيين)، فهم يحافظون عليها محافظة تامة ولا يقبلون تبديلاً لتلك التقاليد أو تطويرها ومن مظاهر ذلك :

(١) الزي الخاص بهم رجالاً ونساء حتى أن الناظر المتمعن فيهم يعرف البهري من غيره .

(٢) لهم أماكن خاصة للعبادة لا يدخلها غيرهم أطلقوا عليها اسم جامع خانة فهم لا يؤدون فريضة الصلاة إلى في الجامع خانه مع رفضهم لإقامة الصلاة في المساجد التي لغيرهم من المسلمين .

(وقد شاهدت مراراً وتكراراً البهريين يخرجون من المسجد الحرام عند إقامة الصلاة ويذهبون لأدائها في رباط لهم يسمى «الرباط السيفي» يقع بالقرب من الحرم المكي في الجهة الجنوبية) .

(٣) الحرص الشديد على ستر عقائدهم المذهبية الباطنية إما في الظاهر ، فإنهم قد يشاركون المسلمين في أداء بعض الفرائض والأركان[٢] .

ورغم اتفاق البهرة ظاهرياً مع غيرهم من المسلمين في العبادات والشعائر ، فإنهم يعتقدون عقائد باطنية بعيدة كل البعد عند معتقد أهل السنة والجماعة ، فهم مثلاً يؤدون الصلاة كما يؤديها المسلمون ويحافظون على حدودها وأركانها كالمسلمين تماماً ، ولكنهم يقولون إن صلاتهم هذه للإمام المستور من نسل الطيب بن الآمر . ويؤدون شعائر الحج كما يؤديها المسلمون ولكنهم يقولون إن الكعبة التي يطوفون حولها هي رمز للإمام وهكذا يذهبون في عقائدهم مذهباً باطنياً يلتقي مع التيار الباطني العام[٣] .

(١) نشأة الفكرة الفلسفي ٤/ ٤٣٢ .

(٢) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٥٢ ـ ٥٣ بتصرف .

(٣) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٢٩ .

وفي القرن العاشر الهجري انقسم البهرة إلى طائفتين تسمى إحداهما بالداودية والأخرى بالسليمانية، ويرجع هذا الانقسام إلى الخلاف على من يتولى مرتبة الداعي المطلق للطائفة.

فالفرقة الداودية تنتسب إلى الداعي السابع والعشرين من سلسلة دعاة الفرقة المستعلية الطيبية ويسمى بقطب شاه داوود برهان الدين المتوفى سنة ١٠٢١هـ وهم الأكثرية وهم بهرة كجرات ولذا أصبح مركز دعوتهم في الهند، حيث يقيم داعيتهم الآن وهو طاهر سيف الدين في مدينة بومباي ويعتبر الداعي الحادي والخمسين من سلسلة الدعاة حيث بينه وبين الداعي الذي تنتسب إليه الداودية اثنان وعشرون داعيًا ذكرهم العزاوي بالترتيب في مقدمته على كتاب سمط الحقائق[١] .

أما الفرقة السليمانية فتنتسب إلى الداعي سلميان بن الحسن الذي أبى أتباعه الاعتراف بداوود بدعوى أن داوود عجب شاه اختار سليمان وأعطاه وثيقة بذلك ويدعي جماعته أنها لا تزال عندهم تلك الوثيقة وتبعه شرذمة قليلة نسبوا إليه ويتواجدون في اليمن ورئيسها الحالي علي بن الحسن ومحل إقامته بنجران جنوبي السعودي. وهذه الطائفة منتشرة في قبائل بني يام باليمن وبعض أفراده مقيمون في الهند والباكستان[٢] . وكلا الداعيان برتبة «داع مطلق»[٣] ، وهي مرتبة وراثية تنتقل من أب إلى ابن وصاحبها يتمتع بنفس الصفات التي كان يوصف بها الأئمة على أنها صفات مكتسبة وليست ذاتية[٤] . ومما يدل على استعباد هؤلاء الدعاة لأتباعهم وخضوعهم لهم كما يخضعون للأئمة المظاهر التالية:

(١) تعظيم دعاتهم المطلقين وتحيتهم بانحناء الرؤوس وتقبيل الأرض بين يديهم حتى ليكادوا يسجدوا لهم كما يعتقدون أنه ـ أي الداعي المطلق ـ كالمعصوم لا يخطئ

(١) سمط الحقائق ص٨ـ ١٠ .

(٢) القرامطة لطه الولي ص٣٥، طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٥٢ .

(٣) تفصيل هذه الرتبة ومهام صاحبها في الفصل الماضي، الفصل الرابع .

(٤) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٥٢ .

ولا يضل أبداً وطاعته واجبة[١] .

(٢) تقديس الأتباع لزعيمهم حتى أنه استخف بهم وأخذ يصنع الصكوك لأتباعه على قطع في الجنة وهذا مما نقل عن علي بن الحسن زعيم المكارمة في نجران[٢] .

(٣) تأليه الأئمة أو الداعي المطلق الذي يحل محله وأدل شيء على ذلك ما نقله لنا الدكتور محمد كامل حسين في كتابه طائفة الاسماعيلية عن محاورة جرت بينه وبين أحد زعماء الأغاخانية في العصر الحاضر ونصها قوله لأغاخان:

لقد أدهشتني بثقافتك وعقليتك فكيف تسمح لأتباعك أن يدعوك إله؟ فضحك طويلاً جداً وعلت قهقهاته ودمعت عيناه من كثرة الضحك ثم قال:

هل تريد الإجابة عن هذا السؤال. إن القوم في الهند يعبدون البقرة ألست خيراً من البقرة[٣] !! وهذا وإن كان حدثًا لزعيم الأغاخانية إلا أن زعيم البهرة كذلك حيث يعبده أتباعه ويؤلهونه[٤] .

(٦) الاسماعيلية النزارية:

يعتبر الاسماعيليون النزاريون طائفة وفرقة من أكبر الطوائف والفرق الاسماعيلية في العصر الحاضر حيث بدأ انفصال هذه الفرقة وتكونها بعد وفاة المستنصر عام سبع وثمانين وأربعمائة هجرية وكان ـ حسب تقاليد الاسماعيلية ـ قد نص على إمامة ابنه نزار لكن الوزير الجمالي صرف النص إلى أخيه المستعلي ـ ابن أخت الوزير ـ كما سبق أن ذكرنا ذلك تفصيلاً[٥] وحصل من جراء ذلك انقسام الاسماعيلية إلى مستعلية ونزارية. وعلى الرغم من القضاء على نزار وقتله في الاسكندرية على يد وزير

---

(١) غلاة الشيعة للزعبي ص٢٢٨.

(٢) انظر دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٢٩ ـ ٢٣١.

(٣) طائفة الاسماعيلية ص١٢٦.

(٤) انظر فتوى هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية رقم ٢٢٨٩ تاريخ ٢٧/ ٢/ ١٣٩٩هـ.

(٥) انظر القسم الأول من الرسالة ص٣٥٥.

المستعلي الأفضل بن بدر الجمالي ولم يكن له عقب مستتر أو ظاهر[١] على الرغم من ذلك فإن أحد دعاة الاسماعيلية ويدعى بالحسن الصباح انتصر لنزار وأصبح يدعو له ولأبنائه من بعده! وجعل نفسه نائبًا للإمام المستور من ولد نزار، وأخذ يدعو له، وبذلك تكونت هذه الفرقة وأصبح يطلق عليها الاسماعيلية النزارية نسبة إلى نزار بن المستنصر. كما يطلق عليها اسم الدعوة الجديدة تمييزًا لها عن الدعوة الاسماعيلية الأولى[٢] كما يطلق عليها الاسماعيلية الشرقية نسبة إلى مكان ظهورها وانتشارها وإشارة إلى انفصالها عن الاسماعيلية الأم والتي تسمى بالاسماعيلية الغربية[٣]، ويسميها بعض الكتاب المعاصرين باسماعيلية إيران نسبة إلى مكانها[٤]. وجميع هذه المسميات دالة عليها ومحددة لها. وقد عاصر ظهور هذه الفرقة عالمان كبيران تولى كل واحد منهما فضح هذه الفرقة وبيان باطنيتها وشدة خطرها وعظم ضررها على الإسلام والمسلمين وهما:

الإمام الغزالي الذي ألف كتابه فضائح الباطنية والشهرستاني الذي أفرد لهم حديثًا خاصًا بهم عند قوله: ثم إن أصحاب الدعوة الجديدة... إلخ[٥].

وحفاظًا على بقاء هذه الفرقة وإظهارها ادعى منظموها أن لنزار بن المستعلي ولدًا ثم له نسلاً استمرت الإمامة فيهم وبقيت ولكنهم - أي النزاريون - فيما بعد كذبوا أنفسهم حيث ادعوا الإمامة للحسن الصباح ومن جاء بعده ممن خلفه في قيادة دولة الحشاشين أو الفدائيين ولا أدل على ذلك من ادعاء الحسن الثاني من نسل الحسن الصباح في عام ٥٥٩هـ أنه هو الإمام من نسل نزار بن المستنصر وأصبح اسمه لا يذكر إلا مقرونًا «على ذكره السلام» كما يطلق في العادة على الأئمة المستقرين، وبذلك

---

(١) انظر أيضًا القسم الأول من الرسالة ص٣٦٦.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٥.

(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٦٢.

(٤) انظر كتاب دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد السعيد جمال الدين ص٤٢.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٥.

أصبح حكام ألموت بعد الحسن الثاني والذين جاءوا بعده من سلسلة النسب الفاطمي!!
وهكذا أتى الحسن الثاني - كما يقول بدوي - بثلاثة تجديدات ما لبث النزارية في كل مكان أن قبلوها على درجات متفاوتة وأولها: أنه أعلن نفسه خليفة لله في أرضه ولم يعد مجرد داع كما كان أسلافه[1].

ويعتبر الحسن الصباح العقل المدبر الذي نظم هذه الطائفة ووجهها ومن ثم نشرها في بلاد فارس مما نتج عن هذه الجهود قيام دولة الحشاشين أو الفدائيين كما سنفصل القول إن شاء الله في دولتهم عند الحديث عن دول الاسماعيلية في آخر هذا الفصل.

وبعد أن بدئت دولة الحشاشين أو الاسماعيلية النزارية في ألموت في الأفول ظهر داعية اسماعيلي نزاري في بلاد الشام واسمه راشد الدين سنان ويلقب بشيخ الجبال[2]، وحاول تجميع طائفة الاسماعيلية من جديد، حيث أن دعوة الاسماعيلية في بلاد الشام ترجع إلى وقت مبكر ولا سيما في مدينة سلمية التي كانت مقراً للأئمة المستورين

---

(١) مذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحم بدوي ٢/ ٣٤٥، كتاب دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٣٥.

(٢) يكنى بأبي الحسن ويلقب بشيخ الجبل واسمه راشد الدين سنان وكان من أقران الحسن الثاني من حكام ألموت. ولد في قرية بين واسط والبصرة وكان في أول أمره نصيريًا ثم فر إلى ألموت واعتنق الدعوة الاسماعيلية النزارية وبعد ذلك رجع إلى الشام وبدأ ينشر الدعوة بين أهلها وكان على معرفة بالحيل والشعوذة وانتهى به الأمر إلى ادعاء النبوة والألوهية كما أثبت ذلك ابن جبير الذي قال عنه: قيض للملاحدة الاسماعيلية شيطان من الإنس يعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات موه عليهم باستعمالها وسخرهم بمحالها فاتخذوه إلهًا يعبدونه... إلخ وقد توفى سنة ٥٨٨هـ ولكونه شخصية لها اعتبارها عند الاسماعيلية فقد أفرده أحد الاسماعيليين المعاصرين بمؤلف خاص سماه شيخ الجبل سنان راشد الدين لمصطفى غالب والكتاب كما هو معروف من مؤلفه تمويهات وقلب للحقائق وإظهار الباطل في صورة الحق.
ومن أكثر ما ذكره هذا المؤلف الاسماعيلي في الثناء على شيخ الجبل حروبه مع الصليبيين واغتيال بعض قادتهم ولكن ذلك ليس على حقيقته وظاهره بل الأمر كما قال الدكتور بدوي: إن موقف سنان من الحروب الصليبية كان موقفًا مشبوهًا لا تمليه الغيرة الإسلامية بل الاعتبارات السياسية وحدها - وكذلك كان موقف الاسماعيلية في سوريا طوال الحروب الصليبية كلها تمليه الاعتبارات السياسية الخاصة بالطائفة دون أي اعتبار للغيرة الإسلامية. انظر مذاهب الإسلاميين لبدوي ٢/ ٣٨٤.

والإمام الظاهر عبيد الله المهدي.

ومن أساليبهم التي حاولوا بها نشر مذهبهم وتقوية سلطتهم الاستيلاء على الحصون والقلاع ولذا يقول الدكتور محمد كامل حسين: وما زال الاسماعيلية النزارية في الشام يشترون الحصون أو يستولون عليها حتى بلغ عدد حصونهم الرئيسة في الشام في القرن السابع للهجرة ثمانية حصون هي القدموس ومصياف وبانياس والكهف والخوابي والمنيقة والقليقة والرصافة. ثم يضيف قائلاً: وازدادت قوة الاسماعيلية بالشام بظهور شخصية فذة وداعية داهية في سياسته وفي مواهبه وحكمته وهو «راشد الدين سنان» الذي استطاع بمقدرته وكفايته أن يجمع كل اسماعيلية الشام حوله وأن يجعل منهم قوة متحدة لهم نفوذ وسلطان مثل ما فعله الحسن بن الصباح في فارس بل جعل لنفسه مذهبًا جديداً دعا إليه غير ما كان عليه اسماعيلية الشام من قبل، فقد كان الاسماعيلية في الشام يدينون بإمامة أصحاب قلعة ألموت في فارس فجاء سنان وكون مذهب السنانية واعترفوا بإمامته غير أنهم عادوا بعد موته إلى طاعة الأئمة بالموت وبالرغم من تحولهم هذا، فإن اسماعيلية الشام إلى الآن يذكرون الإمام راشد الدين على أنه أعظم شخصياتهم على الإطلاق[1].

وقد تعاصر شيخ الجبل مع القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وكانت بينهما مساجلات كلامية حادة في أول الأمر ولكن صلاح الدين رحمه الله لما تبين له أنهم بقيادة شيخ الجبل يبيتون له ولجنده من أهل السنة أمراً ويضمرون لهم شراً، حيث حاول عدد من الاسماعيلية اغتيال صلاح الدين[2] ـ بعد ذلك عزم على قتالهم والقضاء عليهم، ففي سنة ٥٧٢هـ قصد صلاح الدين بلد الاسماعيليين، وانتصر عليهم كما حصر قلعة مصياف واضطروا بعد ذلك إلى طلب الصلح[3].

وظل أمر الاسماعيلية النزارية في الشام بعد ذلك يضعف تارة ويقوى تارة أخرى

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٩٨ ـ ٩٩.

(٢) محاولة اغتيال الباطنية للأمير المجاهد صلاح الدين رحمه الله لم تكن مرة واحدة بل نقلت لنا كتب التاريخ محاولتين لهم لقتله ولكن الله سلمه منهم. انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ١١/ ٤١٥ ـ ٤١٩ ـ ٤٣٠، العبر لابن خلدون ٥/ ٣٠٠، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٢٩٣.

(٣) انظر مذاهب الإسلاميين للدكتور بدوي ٢/ ٣٧٨ ـ ٣٨٢.

إلىٰ أن استسلمت آخر قلاعهم للظاهر بيبرس عام ٦٧٢هـ وخفت أمرهم من الحياة السياسية حتىٰ لم يسمع عنهم شيئًا ولم تنقل الكتب التاريخية عنهم أحداثًا تذكر ويبدون أنهم لجأوا إلىٰ التقية والدعوة سراً إلىٰ أن ظهر في إيران رجل شيعي يدعىٰ حسن علي شاه ما بين سنة ١٢١٩هـ إلىٰ سنة ١٢٩٨هـ جمع حوله عدداً من الاسماعيلية وغيرهم وقام بأعمال هدد بها الأمن وأقلق بها السلطات في إيران حتىٰ ذاع صيته وأصبح اسطورة علىٰ ألسنة الناس وانضمت إليه جماعات كثيراً إعجابًا به أو طمعًا في مكاسب الية تأتيهم عن طريقه وواكب ظهور هذه الثورة التي هددت الأسرة القاجارية الحاكمة في إيران ظهور الانجليز كقوة لها مطامع في بلاد فارس ومن ثم اتصلوا بحسن علي شاه وعضدوه ومنوه حكم فارس وفعلاً قام حسن علي شاه بثورة عام ١٨٤٠م كانت نهايتها الفشل والقبض علىٰ قائدها، ولكن الانجليز تدخلوا وحصلوا علىٰ أمر بالإفراج عنه بشرط أن يجلو عن إيران كلها وزين له الانجليزي الذهاب إلىٰ أفغانستان ليكون صنيعة لهم هناك. ولكن الأفغانيين كشفوا عن هويته واضطروه إلىٰ الرحيل إلىٰ الهند واتخذ من مدينة بومباي مقراً له. وأراد الانجليز أن يستفيدوا منه مرة أخرىٰ، ومن ثم اعترفوا به إمامًا للطائفة الاسماعيلية النزارية وخلعوا عليه لقب أغاخان ومنحوه السلطة المطلقة علىٰ أتباعه الاسماعيلية فالتف حوله الاسماعيلية في الهند[1].

وهذا بلا شك منعطف جديد أو تلفيق في انقطاع أئمة الاسماعيلية عمومًا والنزارية بوجه خاص، حيث أن أمر النزارية انتهىٰ بانتهاء أئمة وحكام ألموت عام ٦٥٤هـ. ولكن الاستعمار الانجليزي لفق لهم هذه الشخصية المجهولة نسبًا ودينًا. يصف الدكتور محمد حسين مشاعر الاسماعيليين وبداية هذه المسميات والألقاب عند ظهور هذا الرجل بقوله: فتجمع ـ حول المدعو حسن علي شاه الملقب بأغا خان ـ الاسماعيلية في الهند وفرحوا بظهور شأنهم بعد أن ظلوا مغمورين طوال هذه القرون وبظهور إمامهم الذي ظل في الستر والكتمان مئات السنين!!

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

فرأىٰ حسن علي شاه أو أغاخان نفسه بين جماعة يطيعونه طاعة تدين دون أن يكون لهم غرض مادي فقوي نفوذه بينهم وأصبح كأنه سلطانهم الفعلي، فأخذ ينظم شئونهم إلىٰ أن توفىٰ عام ١٢٩٨هـ وبذلك وجدت الأسرة الأغاخانية وصارت لهم إمامة الاسماعيلية النزارية وانتسبوا إلىٰ الإمام نزار بن المستنصر بالله الفاطمي! ومؤسس هذه الأسرة هو حسن علي شاه وهو أول إمام اسماعيلي لقب بأغا خان[١].

ومن هنا أطلق علىٰ الاسماعيلية في العصر الحاضر (الأغاخانية) فكما أن طائفة البهرة امتداداً للاسماعيلية المستعلية فكذلك طائفة الأغاخانية امتداد للاسماعيلية النزارية. وقد اشتهر من زعمائهم الذين أطلقوا عليهم أئمة فيما بعد أربعة أشخاص وهم:

(١) أغاخان الأول الذي نصبه الانجليز علىٰ الطائفة بعد تجميعها من سنة ١٢٣٣هـ حتىٰ هلك عام ١٢٩٨هـ.

(٢) ابنه علي شاه المعروف باسم أغاخان الثاني وتوفىٰ بعد فترة قصيرة من توليه زعامة الطائفة، حيث هلك عام ١٣٠٢هـ.

(٣) وبعده تولىٰ زعامة الطائفة ابنه محمد علي شاه ولقب بأغاخان الثالث وهو أشهر زعماء الأغاخانية حيث طالت مدته وبقي في زعامة الطائفة حتىٰ هلك عام ١٣٧٧هـ فتكون فترة زعامته خمسًا وسبعين سنة، وقد تظاهر بأعمال أكسبته بعض الشهرة كدفاعه عن الخلافة العثمانية ودفاعه عن حقوق الأتراك بعد سقوط الخلافة. ومشاركته في تأسيس الرابطة الإسلامية بالهند وإنشاء جامعة عليكرة الشهيرة في الهند[٢].

ويكفي رداً لهذه الأعمال وأنها لخدمة طائفته ومذهبه ما نقل عنه من تأييد واضح للسيادة الانجليزية علىٰ بلاد المسلمين في الهند، بل إن أنه يرىٰ أن هذه السيادة نعمة

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١١٣.

(٢) انظر دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

للشعوب الهندية ويصرح بأن رغبة الهنود في الاستقلال رغبة طائشة حمقاء ونزعة متهوسة سابقة لأوانها[١].

ويقول عنه جولد زيهر اليهودي: وهو رجل دنيوي المظهر إلى حد كبير ومشبع بأفكار الثقافة العصرية ولا شيء في مظهره يذكرنا بمبادىء المذهب الذي ينبغي أن يمثله[٢].

كما أنه اشتهر بحياة اللهو والفسق والعبث إلى درجة السفه، ففي شبابه يوصف بأنه زير نساء يتنقل بين الغانيات وبائعات الهوى[٣]. وقد هلك في سويسرا عام ١٣٧٧هـ، ونقل جثمانه إلى أسوان في مصر، حيث دفن هنالك بعد احتفال رسمي بذلك[٤].

(٤) تولى زعامة الطائفة بعده حفيده المسمى كريم خان ولقب بأغاخان الرابع على الرغم من سخرية بعض الاسماعيلية من اختياره للحفيد وترك ابنه صدر الدين؛ لأن ذلك مخالفة لعقيدة تسلسل الأئمة.

ومن الجدير بالذكر أن أمه بريطانية تدعى جون بربارا وتلقى علومه الأولية بسويسرا وأكمل تعليمه في جامعة هارفارد الأمريكية[٥]، ومع ذلك كله يعتبره الاسماعيليون في العصر الحاضر الإمام الثامن والأربعين في سلسلة الأئمة الاسماعيلية[٦].

---

(١) العقيدة والشريعة لجولد زيهر ص٢٤٦.

(٢) المرجع السابق ص٢٤٥.

(٣) انظر كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٢٥، كتاب دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٤١.

(٤) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٤٧٨.

(٥) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص١٢٩، تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٤٣٥.

(٦) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٤٢.

(ب) دول الاسماعيلية:

قام لطائفة الاسماعيلية دول متعددة مختلفة الأزمان والأماكن كانت ولا زال بعض آثارها مصدر خطر على الأمة الإسلامية في عقائدها وسلوكها ونظمها. ومما لا شك فيه أن هذه الدول نتاج جهود دعاتهم ونشر مبادئهم التي أفرزت مثل هذه الدول المتعاقبة وهي على حسب التسلسل التاريخي كالآتي:

(١) دولة القرامطة.

(٢) دولة العبيديين المسمين بالفاطميين.

(٣) دولة الصليحيين في اليمن.

(٤) دولة الفدائيين أو الحشاشين وهم اسماعيلية إيران.

وحيث أن البحث له اعتباره العقدي والحديث عن هذه الدول بالتفصيل يعتبر تاريخيًا فسنوجز الحديث عن كل دولة بما يعطي صورة عامة عنها وعن بدايتها ونهايتها:

(١) دولة القرامطة:

قام للقرامطة عدد من الدول في البحرين وفي اليمن وفي العراق وفي الشام وتنحصر الفترة الزمنية لقيام هذه الدول ما بين سنة ٢٧٨هـ حيث تحرك القرامطة بسواد الكوفة وتجمعوا معلنين الخروج والانفصال عن الدولة العباسية[١] ـ حتى سنة ٤٧٠هـ حينما التف أهل السنة بالبحرين وأحاطوا بالقرامطة وانتصروا عليهم في معركة تسمى معركة الخندق وتعد هذه الموقعة من المواقع الحاسمة في التاريخ؛ لأنها قضت على دولة القرامطة الذين ظلوا زهاء قرنين مصدر رعب وخوف وفزع[٢].

وبالنظر إلى تاريخ القرامطة، فإن أخطرهم وأشدهم همجية وأذى للمسلمين هم قرامطة البحرين وقرامطة اليمن حيث قام لهؤلاء دول بالمعنى الكامل. أما قرامطة

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٥٩، البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٦١، المنتظم لابن الجوزي ٥/ ١١ وغيرها من الكتب التاريخية.

(٢) تاريخ الإسلام لحسن ابراهيم ٤/ ٢٥٨ـ ٢٥٩.

العراق فإنهم تمكنوا من بعض مدن العراق فترات متقطعة من الزمن بزعامة حمدان قرمط وصهره عبدان وقضي عليهم وعلى ثورتهم عام ٢٨٩هـ[١]. وبعد القضاء على ثورتهم هذه يتوقف نشاطهم ويخفت أمرهم فترة طويلة إلى أنا قاموا بثورتهم الكبرى عام ٣١٦هـ، حيث تجمعوا من جديد حول قائدين يدعى أحدهما بعيسى بن موسى، والآخر حريث بن مسعود، وقد تمكن الجيش العباسي من القضاء على ثورتهم وقتل القائدين، ويعتبر هؤلاء النهاية لقرامطة العراق حيث لم تقم لهم بعد ذلك قائمة ولذلك يقول ابن الأثير بعد ذكره لثورات هؤلاء: واضمحل أمر من بالسواد منهم وكفى الله الناس شرهم[٢].

أما قرامطة الشام، فإن نطاقها كان ضيقًا للغاية، حيث كان محور نشاطها أسرة واحدة وهم آل زكرويه، فما أن انتهت هذه الأسرة بالقضاء على زكرويه بن مهرويه سنة ٢٩٤هـ إلا وكان مع ذلك موت حركتهم ونهايتها، ولذا يقول المقريزي: ومات خبر القرامطة بموت زكرويه[٣].

وإضافة إلى ذلك، فإن ظهور هذه الحركة وإعلان ثورتها إنما كان عام ٢٨٩هـ فتكون أحداثهم الدامية وتمكنهم من سفك الدماء إنما كان لمدة قصيرة محصورة في خمس سنوات فقط كما أن أتباعها ومؤيديها كانوا من البدو الرحل والأعراب الجفاة الذين لا هم لهم إلا السلب والنهب[٤].

والخلاصة أن هؤلاء ـ كما يقول ابن خلدون ـ لم يتم لهم دولة[٥]. أما القرامطة الذين قامت لهم دول بالمعنى الحقيقي فهم قرامطة البحرين وقرامطة اليمن وتفصيل ذلك كالآتي:

---

(١) الكامل لابن الأثير ٦/ ٩٥.

(٢) المرجع السابق ٦/ ١٩٤.

(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٧٩.

(٤) تاريخ أخبار القرامطة لابن سنان ص٧٠.

(٥) العبر لابن خلدون ٤/ ١٨١.

(١) قرامطة البحرين:

قام لهؤلاء دولة امتدت فترة طويلة من الزمن حيث كانت بدايتهم عام ٢٨٦هـ[١] ونهايتهم وانقراض دولتهم نهائيًا كان عام ٤٧٠هـ[٢]، وقد تعاقب على دولة القرامطة في البحرين عدد من القادة والزعماء اشتهر منهم ثلاثة وهم أبو سعيد الجنابي وابنه الزنديق أبو طاهر وثالثهم الحسن الأعصم.

(١) أبو سعيد الجنابي:

يسمى بالحسن بن بهرام ويلقب بالجنابي وأصله من الفرس، فوالده اسمه بهرام - وهو اسم انتشر في بلاد فارس - والجنابي نسبة إلى بلدة من بلاد الفرس اسمها جنابه سافر الجنابي منها إلى الكوفة، حيث التقى بحمدان قرمط وعبدان واعتنق الدعوة الاسماعيلية وتلقى تعاليمها منهما[٣].

ويقول ابن حوقل عنه: ومنهم - أي من الفرس - الذين انتحلوا ديانات خرجوا بها عن المذاهب المشهورة فدعوا إليها وانتصبوا لها أبو سعيد الجنابي[٤]. بدأ أبو سعيد الجنابي بتجميع أتابعه وجعل يستميل العرب بالبحرين إلى نحلته حتى استجاب له أهل البحرين وما والاها[٥].

ثم أقبل على جمع الخيل وإعداد السلاح واتخاذ الإبل وإصلاح الرجال ونسخ الدروع والمغافر ونظم الجواش والمزاد والقرب وأخذ في تعليم الصبيان للفروسية[٦].

حتى أنه - كما يقول المقريزي - جمعهم في دور وأقام عليهم قومًا وأجرى عليهم

---

(١) دول الإسلام للذهبي ١/ ١٧٢.

(٢) تاريخ الإسلام لحسن ابراهيم ٤/ ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٣) نهاية الأرب للنويري ٢٣/ ٧١، المسالك والممالك لابن حوقل ص ٢١٠.

(٤) انظر مذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي ٢/ ١١١.

(٥) معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ١٦٦.

(٦) نهاية الأرب للنويري ٢٣/ ٧٤.

ما يحتاجون إليه ووسمهم لئلا يختلطوا بغيرهم ونصب لهم عرفاء وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان فنشأوا لا يعرفون غير الحرب وقد صارت دعوته طبعًا وطاعته دينًا والطعن والنزال حرفة لهم، كما أنه قبض على كل مال في البلد حتى الثمار والحنطة والشعير وأقام رعاة للإبل والغنم ومعهم قوم لحفظها والتنقل معها على نوب معروفة وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل لأحد غير ما يطمعه[1].

وبنظرة فاحصة في هذه النظم العسكرية والاقتصادية نجد أنها مكنته من بناء دولته وأخذ يهدد الخلافة العباسية في مناطق أخرى وعلى كل حال فإن المصادر التاريخية تكاد تجمع على أن بداية ظهور القرامطة كقوة عسكرية وسياسية في منطقة البحرين كانت عام ٢٨٦هـ[2].

وبعد أن تمت له السيطرة على منطقة البحرين ولا سيما مدينة هجر أعظم مدن المنطقة بدأ في التوسع والسيطرة خارج البحرين ـ وكان يستخدم سلاح البطش والقوة فكان ـ كما يقول الداودي ـ لا يظفر بقرية إلا قتل أهلها ونهبها فهابه الناس وأجابه كثير منهم طلبًا للسلامة ورحل خلق كثير من البلد إلى نواح مختلفة[3] أما نهايته فكانت ـ كما يقول المقريزي على يد خادم له أخذه من عسكر العباس وقد مكث هذا الخادم مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليًا صلاة واحدة ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره فأضمر الخادم قتله حتى إذا دخل الحمام معه أعد الخادم خنجراً ماضيًا والحمام خال فلما تمكن منه ذبحه وذلك سنة واحد وثلاثمائة ٣٠١هـ[4].

(٢) تولى ابنه أبو طاهر الجنابي عام ٣٠٥هـ بعد عزل أخيه سعيد الجنابي بتهمة

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٦١.

(٢) تاريخ الطبري ١١/ ٣٦٤، المنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٨، البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٨١، الكامل لابن الأثير ٦/ ١٢، العبر لابن خلدون ٣/ ٣٥٠.

(٣) كنز الدرر للداودي ٦/ ٥٦، اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٦٠.

(٤) المرجع السابق للمقريزي ١/ ١٦٤ ـ ١٦٥.

تقربه من العباسيين، حيث خلعه الحاكم العبيدي وأقام أخاه أبا طاهر مقامه[1].

وقد فاق والده في البطش والإرهاب فأوغل في سفك الدماء وسبي النساء والصبيان وقطع الطريق على الحجاج في كل سنة حتى أخاف الحجيج وأصبحوا يرتاعون لذكر اسمه فقط وظل على هذه الوحشية والهمجية حتى دخل عام ٣١٧هـ وفيها نفذ إجرامه البشع وإلحاده الصارخ الذي ظل وسيظل عاراً ودليلاً على زندقتهم وإلحادهم ويتمثل هذا الإجرام في مهاجمة مكة ودخولها للقتال. وقتل جميع الحجاج ومن ثم العبث بالحرم المكي وأخذ الحجر الأسود.

ولخطورة هذا الحدث والأهداف الباطنية من ورائه فقد تحدث عنه جميع المؤرخين وذكروا أحداثًا مفصلة لفظائع هذا الزنديق تختلف بسطًا وإيجازًا[2].

وإجرام هذا القرمطي في مكة له أهداف وغايات مجوسية من إبطال للحج والعبث بمقدسات المسلمين، فمن أتباع أبي طاهر ـ كما يقول النشار ـ عدد لا يستهان به من المجوس الذين يرون في نقل الحجر الأسود انتقامًا من الإسلام ونبيه ومحاولة للقضاء عليه وعلى طقوسه[3]. ويقول ابن كثير بعد ذكره لأحداث القرمطي في مكة: وإنما حمل هؤلاء على هذا الصنيع أنهم كفار زنادقة[4].

ويشير أحد الكتاب المعاصرين إلى هذا الهدف بقوله: إن الدافع لهم في هجومهم على مكة المكرمة وأخذ الحجر الأسود هو تنبؤهم بزوال دولة الإسلام وقيام دولة الاسماعيلية[5].

وحتى بعض المستشرقين يستنبط هذا الهدف من خلال سوق المؤرخين القدامى

---

(١) انظر كتاب الحركات الباطنية لغالب ص١٥٢.

(٢) حصر جميع الكتب التاريخية التي تحدثت عن هذا الحدث التاريخي يكون بالرجوع إلى أحداث سنة ٣١٧هـ فما من مؤرخ إلا وذكر ذلك الحدث ودونه في تاريخه ضمن أحداث هذه السنة.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار ٢/ ٤٧٤.

(٤) البداية والنهاية ١١/ ١٦٢.

(٥) كتاب عبيد الله المهدي لحسن ابراهيم وطه شرف ص٢٢٣.

لهذا الحدث يقول دي خويه في كتابه القرامطة: إن بغية أبي طاهر القرمطي كانت انتهاك حرمة مكة والقضاء على الهالة التي كانت تحيط بالأماكن المقدسة باختطاف موضع الإكرام والتقديس والإجهاز على الديانة كلها[١].

وقد ظل هذا الباطني السفاك يقتل الحجاج في طريقهم ويقطع عليهم أداء هذا الركن من أركان الإسلام وتارة يفرض الإتاوات وينهب الأموال حسب حاجته إلى أن ابتلاه الله بعذاب في الدنيا سنة ٣٣٢هـ حيث أصابه مرض الجدري وتقطعت أوصاله وأراه الله في نفسه العبر[٢].

ويصف الاسحاقي ميتته بقوله: وابتلي أبو طاهر النجس بأكلة صار يتناثر لحمه بالدود ومات أشقى ميتة بعد أن عذبه الله بأنواع البلاء ولعذاب الآخرة أشد وأبقى[٣].

وبعد هلاك أبي طاهر القرمطي صار الحكم في دولة القرامطة في البحرين جماعيًا، حيث كان الأمر لأخوه أبي طاهر الثلاثة وهم أبو القاسم سعيد وأبو يعقوب يوسف وأبو العباس الفضل[٤]. وأبرز الأحداث في عهدهم إعادة الحجر الأسود إلى موضعه في الكعبة وذلك عام ٣٣٩هـ[٥].

كما أن من الأحداث التاريخية في عهدهم ما حصل بينهم من خلافات كادت أن تقضي عليهم وعلى دولتهم الناشئة، حيث قبض سابور على عمه أبي منصور أحمد ابن الحسن فاعتقله بموافقة اخوته له على ذلك وذلك سنة ٣٥٨هـ ثم ثار بهم أخوه فأخرجه من الاعتقال وقتل سابور ونفى اخوته وأشيعاهم إلى جزيرة أوال[٦]، ولكن

---

(١) كتاب القرامطة لدى خويه ص٩٢.

(٢) الكامل لابن الأثير ٨/ ١٤٧، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣/ ٢٨١.

(٣) أخبار الأولى للإسحاقي ص٩٩.

(٤) المنتظم لابن الجوزي ٦/ ٣٣٦.

(٥) انظر إلى البداية والنهاية لابن كثير والكامل لابن الأثير والمنتظم لابن الجوزي والعبر لابن خلدون ودول الإسلام للذهبي في أحداث سنة ٣٣٩هـ.

(٦) العبر لابن خلدون ٤/ ١٩٢، وتقع هذه الجزيرة في وسط الخليج العربي.

أحمد بن أبي سعيد الجنابي ما لبث فترة طويلة حتى توفي بعد سنة من هذه الأحداث أي سنة ٣٥٩هـ وآلت أمور دولتهم وقيادتها إلى ابنه الحسن الملقب بالأعصم.

(٣) الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي الملقب (بالأعصم) تولى زعامة القرامطة سنة ٣٥٩هـ وعلى يده بدأت فترة من فترات القوة والتوسع أشبه بفترة سابقيه أبي سعيد وأبي طاهر القرمطيان. ولذا يصفه ابن خلدون بقوله: إنها طالت مدته وعظمت وقائعه ونفى جمعًا كثيراً من ولد أبي طاهر[١].

اشتهر بعدائه في أول الأمر للأئمة العبيديين مما يوهم تنازله عن مذهبه الاسماعيلي واقترابه من العباسيين ومن مظاهر ذلك:

(١) لعن المعز العبيدي (الإمام الرابع من أئمة الاسماعيلية في دور الظهور).

(٢) رفع شعار العباسيين وأعلامهم والدعوة لهم على المنابر.

(٣) إعلانهم الرجوع إلى الحق بالأعلام المرفوعة والمكتوب عليها (السادة الراجعون إلى الحق).

(٤) وأخيراً المعارك الدموية بينه وبين العبيديين.

إن جميع هذه المظاهر طابعها مصالح فردية وأطماع سياسية للحسن الأعصم لوح بها وناور عليها من غير نبذ للعقائد والأفكار التي تلقاها وآمن بها من دعاة وأئمة المذهب الاسماعيلي[٢].

ويتضح ذلك ويدل عليه أن الحسن الأعصم ـ كما ذكر أبو يعلى في ذيله لتاريخ دمشق ـ في آخر حياته اصطلح مع العبيديين وتقرر الأمر أن يدفع الحاكم العبيدي له ثلاثين ألف دينار وتحمل إليه كل سنة ويكونوا ـ أي القرامطة ـ على الطاعة والموادعة

---

(١) العبر لابن خلدون ٤/ ١٩٢.

(٢) انظر بالتفصيل أطروحتي للماجستير بعنوان: «القرامطة وآراؤهم الاعتقادية» ص٢٣٨ ـ ٢٥٢ حيث تحدثت بالتفصيل عن هذه الأحداث التي تظاهر بها الحسن القرمطي ونقلت أقوال المؤرخين والمحللين لهذا الأحداث مع الدراسة والترجيح لما تهدف إليه هذه التصرفات.

وقد توجه جوهر القائد وقاضي الرملة إلى الحسن القرمطي واستحلفاه للعزيز على الوفاء والمصلحة وأخذا له المواثيق المسدودة المؤكدة وأعطياه المال والخلع والحملان وانصرف إلى الاحساء وعاد العزيز إلى مصر ولم يزل المال المقرر للقرمطي يحمل إليه في كل سنة على يد أبي المنجا صاحبه إلى أن مات[١].

كما أن قرامطة البحرين بعد وفاة الحسن رجعوا إلى كنف الفاطميين وعملوا على محاربة العباسيين والقيام بهجمات على أراضي الدولة العباسية حتى هاجموا الكوفة وملكوها[٢]. وقد توفي الحسن الأعصم في طريق عودته إلى الأحساء في مدينة الرملة بفلسطين وكان ذلك سنة ست وستين وثلاثمائة ٣٦٦هـ[٣].

وبعد موت الحسن تبدأ فترة الضعف لدولتهم ثم الزوال النهائي في موقعة الخندق التي تعتبر من المواقع الحاسمة في التاريخ؛ لأنها قضت على دولة القرامطة الذين ظلوا زهاء قرنين مصدر رعب وفزع وكان ذلك سنة ٤٧٠هـ ومما شجع المسلمين وأهل السنة على قتال القرامطة والقضاء عليهم أن القادة من السلاجقة والعباسيين كانوا يهدفون في معركتهم هذه ـ كما ذكر ابن الجوزي ـ إلى جهاد المبطلين والقرامطة الملحدين واستئصال ذكرهم وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم[٤].

(٢) قرامطة اليمن:

اشتهر اليمن بكثرة المذاهب والطوائف ولا سيما فرق الشيعة الذين وجدوا في عهود مبكرة، بل إن مؤسس مذهب الشيعة ابن سبأ أصله وموطنه من اليمن. ولا غرو والأمر هكذا أن نجد وصية لأحد أئمة الاسماعيلية المستورين موجهة إلى الداعي ابن حوشب وفيها قوله: إلى عدن لاعة فاقصد وعليها فاعتمد فمنها يظهر أمرنا وفيها تعز

(١) انظر ذيل تاريخ دمشق لأبي يعلى ص٢٠ ـ ٢١.

(٢) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ٢٠٦.

(٣) فوات الوفيات للكتبي ١/ ٣١٨.

(٤) مخطوطة مرآة الزمان لابن الجوزي كما نقل ذلك الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام ٤/ ٢٥٨.

دولتنا ومنها تفترق دعاتنا[١].

ولذا كان دعاة الاسماعيلية يعتقدون أن دولة المهدي ستظهر في بلادهم. وحصل أن تمكن ابن حوشب[٢] من إقامة دولة اسماعيلية هناك لكن المهدي عدل عن اليمن لنجاح الدعوة أكثر في المغرب محققًا رغبة أبيه في إقامة دولته بالمغرب حين قال له مشيرًا إلى نجاح ابن حوشب في اليمن: هذه دولتك قد قامت لكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب[٣].

ويعلق محمد كامل حسين على جهود ابن حوشب وإقامته دولة للاسماعيلية بقوله: ولعل أول حركة اسماعيلية ناجحة هي تلك الحركة التي قامت ببلاد اليمن حيث أن الداعي ابن حوشب استطاع أن يؤسس باسم الإمام الاسماعيلي المنتظر أول دولة اسماعيلية في التاريخ[٤].

وكان حليفه وشريكه في الدعوة علي بن الفضل القرمطي وقد توجها إلى اليمن وبدآ بالدعوة سرًا لمدة سنتين ثم أظهرا دعوتهما الاسماعيلية سنة سبعين ومائتين[٥].

وقد نهج الداعيان في أول الأمر منهجًا واحدًا في نشر الدعوة الاسماعيلية وبسط نفوذها فاتخذا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ وأظهر كل منهما الزهد والتقشف والصلاح ابتغاء الوصول إلى غايتيهما[٦].

---

(١) رسالة افتتاح الدعوة للقاضي الاسماعيلي ابن حيون ص٤١.

(٢) هو أول داعية للاسماعيلية في اليمن أرسله إمام الاسماعيلية إلى اليمن في سنة ٢٦٨هـ مع علي بن الفضل القرمطي اختلف في اسمه كثيرًا وأشهرها رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن زاذان النجار ويكنى بمنصور اليمن وهذه الكنية صفة يقصد بها ـ كما قال القاضي النعمان ما أتيح له فيها من النصر. انظر اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ٤٠ ـ ٥١، افتتاح الدعوة للقاضي الاسماعيلي ابن حيون ص٣٢ ـ ٤٤.

(٣) السلوك في طبقات العلماء والملوك للجندي ص١٦٧.

(٤) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٢٤.

(٥) افتتاح الدعوة للقاضي ابن حيون ص٤٤.

(٦) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص٢٨.

وظلت الدعوة الاسماعيلية تنتشر ويكثر أتباعها في اليمن حتى طمع ابن الفضل القرمطي في الاستقلال ـ أول الأمر ـ نتيجة كثرة أتباعه ثم استولى على أجزاء كبيرة من اليمن أقام فيها دولته القرمطية مستقلاً بها عن ابن حوشب وكانت عاصمته المذيخرة[1].

وقد قصدها في سنة إحدى وتسعين ومائتين وتقاتل مع أهلها وهزموه لكنه عاد في السنة التي تليها بعد أن جمع جموعًا كثيرة واستولى عليها وعلى بعض الحصون وانهزم حاكمها المناخي وقويت شوكة القرامطة باستيلاءهم على بلاد المناخي[2].

ولذا يقول الجندي عنه: أن ابن الفضل لما صار بالمذيخرة أعجبته فأظهر بها مذهبه وجعلها دار ملكه[3].

أخذت حركة القرامطة تنتشر في اليمن فبعد أن استولى على بلاد المناخي وجعلها مستقر ملكه نراه ينهض إلى المدن والحصون الأخرى كزبيد وصنعاء ثم يسير نحو ذمار حيث استطاع استمالة صاحبها عن طريق المكاتبة حتى والاه ودخل في ملته وقرمطته[4].

وبعد هذه المعارك التي كان نتيجتها ـ كما ذكرنا آنفًا ـ الاستيلاء على أجزاء كبيرة من اليمن رأى أن الأمر قد استحكم له فخلع ـ كما يظهر ـ طاعة عبيد الله المهدي وجفا صاحبه ابن حوشب وأخذ الأخير يعاتبه ومما قاله له: كيف تخلع طاعة من لم تنل خيراً إلا به وتترك الدعاء إليه أما تذكر ما بينكم وبينه من العهود والمواثيق وما أخذ علينا جميعًا من الوصية على الاتفاق وعدم الافتراق فلم يلتفت إلى قوله وكتب إليه إنما هذه الدنيا شاة ومن ظفر ها بها افترسها ولي بأبي سعيد الجنابي أسوة لأنه خلع ميمونًا وابنه

---

(١) عاصمة قرامطة اليمن وأصلها قلعة حصينة في رأس جبل وهي من أعمال صنعاء وقريبة من عدن.

(٢) مخطوطة الكفاية والأعلام للخزرجي ورقة ٢٤.

(٣) تاريخ اليمن لحسن محمود ص١٦٩.

(٤) غاية الأماني ليحيى بن الحسين ص١٩٥، كشف أسرار الباطنية للحمادي ص٣٢.

ودعا إلى نفسه وأنا أدعو إلى نفسي[١].

وزيادة على ضلال دعاة الاسماعيلية فقد وصفوا ابن الفضل بالكفر والإصرار والاستكبار فيقول عنه الداعي إدريس: أنه ممن آمن ثم كفر ودخل في الدعوة ثم خرج منها وأصر واستكبر وكثير ممن ظن به الخير خالف ما ظن فيه[٢].

ويقول قاضي الاسماعيلية ابن حيون عنه: إن علي بن الفضل انسلخ من أمر الله وأمر أوليائه واستحل المحارم ورفض الظاهر ودعا الناس إلى الإباحات كما أنه حارب أبا القاسم ومات على ذلك من غيه وضلاله[٣].

وقد توفي سنة ٣٠٣هـ وبوفاته تضعف دولة القرامطة في اليمن حيث سقطت المذيخرة على يد أسعد بن أبي يعفر الذي يصفه الحمادي بقوله: إن من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ما حل عدته ولا سلاحه بل يصلي وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه وقتل القرامطة وأحيا الإسلام[٤].

وبعد سقوط المذيخرة أخذ حكام اليمن يتتبعون بقايا القرامطة في أماكنهم المتعددة للقضاء عليهم وقطع دابرهم وكان آخرهم داعيان ظهرا في سنة ٣١٩هـ ولكن أسعد بن أبي يعفر وجه القواد والعساكر في وجوههم فقتلوهما وغنم المسلمون ما كان معهم[٥].
وبالقضاء على هذين الرجلين تنحل قوة القرامطة وتزول دولتهم من اليمن نهائيًا بعد أن عاثوا في الأرض فسادًا وقتالاً وانتهاكًا للحرمات ما يقرب من خمسين عامًا حيث ابتدأ أمرهم وظهرت دعوتهم سنة سبعين ومائتين وانحلت دولتهم وقضي عليها نهائيًا عام ٣١٩هـ.

---

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص٣٣.

(٢) عيون الأخبار للداعي إدريس ص٣٩٩.

(٣) افتتاح الدعوة للقاضي ابن حيون ص١٥٠.

(٤) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص٣٧-٣٨.

(٥) سيرة الهادي إلى الحق ص٤٠٦، غاية الأمانية ١/ ٢١٤.

(٢) دولة العبيديين (الفاطميين):

تعتبر أكبر دولة اسماعيلية من حيث اتساعها وطول فترتها حيث شملت معظم أفريقيا وبلاد الشام والحجاز في معظم الفترات كما أنها استمرت ما يقرب من ثلاثة قرون تعاقب عليها عدد من الحكام والزعماء يصل عددهم إلى أربعة عشر حاكمًا.

وبدايتها كانت على يد عبيد الله المهدي الإمام الاسماعيلي الأول في فترة أئمتهم الظاهرين، حيث لحق بأتباعه ودعاته في المغرب واستطاع أن يؤسس هذه الدولة التي سميت بالدولة الفاطمية في عام ٢٩٧هـ. وهي في الحقيقة نتاج وصورة واقعية للدعوة الاسماعيلية التي بدأت بعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ أي أن الدعوة استمرت ما يقرب من قرن ونصف ثم بعد ذلك قامت هذه الدولة لتحميها وتنشرها بين الناس جهراً.

وقد قامت هذه الدولة في أول أمرها في المغرب واتخذ حكامها القيروان عاصمة لهم في أول الأمر ثم بنوا مدينة المهدية وأصبحت عاصمتهم فيما بعد إلى أن نقلوا زعامتهم إلى الديار المصرية فبنوا القاهرة واتخذوها عاصمتهم وكان ذلك في عهد المعز الإمام الرابع من أئمتهم الظاهرين وقد تعاقب على إمامة هذه الدولة الاسماعيلية أربعة عشرة شخصًا ثلاثة منهم في المغرب وأحد عشر في مصر كان آخرهم العاضد الذي مات سنة سبع وستين وخمسمائة ٥٦٧هـ[1].

وكانت نهاية هذه الدولة الباطنية على يد البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، ولذا يقول الذهبي: وتلاشى أمر العاضد مع صلاح الدين إلى أن خلعه وخطب لبني العباس واستأصل شأفة بني عبيد ومحق دولة الرفض وكانوا أربعة عشر متخلفًا لا خليفة والعاضد في اللغة هو القاطع فكان هذا عاضداً لدولة أهل بيته[2].

ويقال عن دولتهم هذه الدولة العلوية أو الدولة الفاطمية وحقيقتها كما أثبت أهل السنة والجماعة أن تسمى بالدولة اليهودية أو الدولة المجوسية الملحدة الباطنية أو الدولة

---

(١) سبق أن تحدثت عن كل زعيم من زعمائهم بالتفصيل وذلك في القسم الأول من الرسالة ص -

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ٢١١ - ٢١٢.

العبيدية وهو أشهرها[1].

(٣) دولة الصلحيين في اليمن:

سبق أن ذكرنا عند حديثنا عن دولة القرامطة في اليمن أن الدعوة الاسماعيلية انتشرت بجهود ابن حوشب ابن الفضل وقد تأسست بذلك أول دولة اسماعيلية في اليمن ولكنها لم تدم طويلاً لاختلاف الداعيين ولثورة القبائل ضد الدعوة الباطنية ولكن ـ وبعد ما يقرب من مائة وعشرين عامًا ـ قامت دولة أخرىٰ للاسماعيلية بقيادة داع من دعاة الباطنية يسمىٰ بعلي بن محمد الصليحي[2] حيث استطاع هذا الداعي أن يكون فرقة اسماعيلية في اليمن تسمىٰ الاسماعيلية المستعلية نسبة إلىٰ المستعلي ومن جراء ذلك تكونت لهذه الفرقة دولة احتضنتها ونشرتها وسميت بالدولة الصليحية نسبة إلىٰ هذا الداعي.

وقد بدأت دعوة الصليحي باسم الإمام الفاطمي المستنصر صاحب مصر ولكن حينما قتل الآمر رفض الاسماعيلية باليمن الاعتراف بإمامة خلفه الحافظ عبدالمجيد؛ لأن إمامته غير شرعية وزعموا ـ كما فصلنا القول من قبل ـ أن للآمر ولدا وأن إحدىٰ زوجاته كانت حاملاً وأنها وضعت طفلاً ذكرًا اسمه أبو القاسم ويلقب بالطيب بن الآمر وأن أحد الدعاة خاف عليها فهرب به إلىٰ اليمن ومن ثم نادىٰ اسماعيلية اليمن بإمامته وتكفل الصليحيون بكفالة هذا الإمام وأبنائه الذين دخلوا جميعًا في دور

---

(١) سبق أن نقلنا نصوص العلماء وأدلتهم علىٰ هذه الإطلاقات والمسميات وذلك في ص٢٩٣ ـ ٢٩٤، ٣٦٨ من القسم الأول من الرسالة.

(٢) ينسب إلىٰ قبيلة الاصلوح من بلاد حراز كان أبوه سنيًا قاضيًا شافعي المذهب ولد الصليحي سنة ٤٠٣هـ وقد وقع بينه وبين داعية الاسماعيلية في اليمن ويدعىٰ بعامر الزواحي ـ كما ذكر الحمادي وليس الرواحي كما يذكر البعض ـ صلة وعلاقة متينة تمكن هذا الداعي إلىٰ صرفه لمذهب الاسماعيلية حتىٰ غرس في قلبه محبة المذهب واعتناقه ولما أيقن الداعي الاسماعيلي بإيمانه بمذهبه أوصىٰ بجميع كتبه عندما حضرته الوفاة للصليحي وجعله خليفته في الدعوة بعد موافقة الإمام المستنصر العبيدي وذلك لما توسمه فيه من مخايل النجابة والذكاء مع اعتناقه لمذهب الاسماعيلية وقد قتل في سنة ٤٧٣هـ.
انظر أعلام الاسماعيلية لمصطفىٰ غالب ص٤٠٢ ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٦.

الستر[١]، وقد كان هذا الحدث بداية لانفصال الدولة الصليحية باليمن عن الشيعة الفاطميين في مصر[٢].

وكانت بداية هذه الدولة سنة ٤٣٩هـ حيث قام الداعي الصليحي بثورة في هذه السنة استطاع بها أن يخضع بعض قلاع اليمن وحصونه لسلطانه واستمر في غزو مدن اليمن ومخالفيه حتىٰ دانت له كلها في سنة ٤٥٥هـ[٣].

لم يكتف الداعي الصليحي ببسط نفوذ دولته علىٰ اليمن بل تطلع إلىٰ ضم الحجاز والعراق. واتخذ من ميدان الحج والاتصال بالحجاج وسيلة لذلك حيث صار يحج بالناس عن طريق السراة والطائف نحواً من خمس عشرة سنة ينشر فيها مذهبه ودعوته وانتشر بذلك ذكره حيث انضم إليه بعض بطون القبائل التي عمها الجهل والتخلف وبذلك تمكن من ضم الحجاز إلىٰ دولته وإعادة الخطبة إلىٰ الحكام العبيديين وقطعها عن الخلفاء العباسيين[٤].

وتطلع بعد ذلك إلىٰ الاستيلاء علىٰ العراق وضمها إلىٰ مملكته لكن الله عز وجل عاجله بالمنية حيث قتل عام ٤٥٩هـ هذا علىٰ رأي الاسماعيلية[٥] ويرىٰ الحمادي اليماني الذي عاش في عهده أنه قتل عام ٤٧٣هـ[٦].

وعلىٰ كل حال فقد استمر الحكم في أهل بيته باسم الإمام الاسماعيلي بمصر إلىٰ أن تولت الحكم أروىٰ الصليحية التي كان لها دور كبير في تثبيت دعائم الدولة وقوتها وبسط نفوذها.

ومن الجدير بالذكر أن دولة الصليحي هذه دولة اسماعيلية باطنية كشف حقيقتها وأظهر أسرارها محمد بن مالك الحمادي أحد علماء السنة في اليمن فهو قد عاشرهم وعاش في فترتهم بل أنه ـ كما ذكر عن نفسه ـ اندس بينهم وتظاهر باتباعهم ثم سجل

---

(١) راجع ص من القسم الأول من الرسالة.

(٢) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص٤٨ ـ ٤٩.

(٤) انظر أعلام الاسماعيلية لمصطفىٰ غالب ص٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(٥) المرجع السابق ص٤٠٦.

ما شاهد بعينيه وما سمع بأذنيه في كتابه القيم (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) يقول في مقدمته: فرأيت أن أدخل في مذهبه لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه ولأطلع على سرائره وكتبه فلما تصفحت جميع ما فيها وعرفت معانيها رأيت أن أبرهن. على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته وأكشف لهم عن كفره وضلالته نصيحة لله وللمسلمين وتحذيراً ممن يحاول بغض هذا الدين والله موهن كيد الكافرين[1].

ثم بعد ذلك يذكر تعاليم هذا الباطني وأساليبه من التأويل الباطن وإسقاط الواجبات والولوغ في المحظورات والمراحل التي يمر بها المدعو المخدوع إلى أن يصل إلى سلخه من الإسلام[2].

وفي آخر الكتاب يبين غرضه من هذه الدعوة بقوله: فإنه وأهل مذهبه يستدرجون العقول لقد سمعته مراراً وأسفارا وهو يقول لأصحابه قد قرب كشف ما نحن نخفيه وزوال هذه الشريعة المحمدية.

كما يقول الحمادي أيضًا عن الصليحي: وقصارى أمره إبطال الشرائع وتحليل جميع المحارم فسارع إليه من لم يكن له بالشرع معرفة؛ لأنه صادف أكثر الناس عوامًا فأجابه إلى دعوته الرعاع والطغام[3].

وبعد وفاة الصليحي تسلم الحكم أحد أبنائه ويدعى بالمكرم ولم تكن في عهده أحداث تذكر إلى أن تولدت أروى بنت أحمد الصليحية الملقبة بالملكة الحرة وفي عهدها تمكنت من إعادة قوة الدولة الصليحية والاهتمام بنشر الدعوة الاسماعيلية أكثر ومن الأحداث التاريخية في عهدها ـ مما له مدلول مذهبي ـ أنها ادعت أن زوجة الآمر المقتول الذي سبق وأن ذكرنا بأنه هلك ولم يعقب[4] كانت حاملاً ووضعت طفلاً ذكراً اسمه الطيب بن الآمر، فالإمامة إذن لهذا الطفل الذي خاف عليه أحد الدعاة فأخفاه

---

(٦) كشف أسرار الباطنية للحمادي اليماني ص٤٤.

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص١١، كما ذكر المؤلف أيضًا تظاهره بدخول المذهب في آخر رسالته ص٤٤.

(٢) المرجع السابق ص١١ ـ ١٥.

(٣) المرجع السابق ص٤٣ ـ ٤٤.

عن الحافظ وأرسله في مقطف إلى الملكة أروى الصليحية فأخفته وجعلت نفسها كفيلة عليه ونائبة عنه في تولي شؤون الدعوة الاسماعيلية واتخذت لنفسها لقب (كفيلة الإمام المستور الطيب بن الآمر) وهذه القصة أو الاسطورة الخيالية ـ كما يسميها الدكتور محمد كامل حسين[1] ـ تؤيد ما أشرنا إليه من قبل من رغبة الصليحيين بالانفصال عن الدولة العبيدية في مصر حيث أصبح يطلق على الدعوة في اليمن الاسماعيلية الطيبية نسبة إلى هذا الطفل المزعوم ويؤيد ذلك ما استنتجه الدكتور محمد كامل حسين بعد سوقه لهذه القصة وسكوت المؤرخين عن نسل للآمر بقوله: يخيل إلي أن الصليحين وضعوا قصة الآمر هذه حتى يتخذوها ذريعة للانفصال عن سلطان الفاطميين الديني وأن يستقلوا بالنفوذ الديني والسياسي معًا وأوحى دهاء الملكة وذكاؤها الشديد وحرصها على أن تجمع في يدها السلطتين السياسية والدينية إلى أنها كافل الإمام المستور وحجته الكبرى وسار على نهجها كل داع مطلق في الدعوة إلى الآن[2].

ومع هذا الانفصال السياسي فإن التعاليم المذهبية للشيعة الاسماعيلية هي أساس الدولة الصليحية وركيزتها وكان دعاة المذهب الاسماعيلي وأئمته يباركون خطوات الصليحية ويوجهون لها الأوامر والتعاليم المذهبية ويحيطوها بهالة من الألقاب والمسميات كما أنها كانت تبعث لهم الأموال والهدايا. وقد توفيت عام ٥٣٢هـ وبعد وفاتها بدأ أمر الدولة الصلحيية يضعف حتى انقرضت عام ٥٦٣هـ[3]، فتكون هذه الدولة الاسماعيلية في اليمن قد بقيت ما يقرب من مائة وأربعة وعشرين عامًا وبعد انقراضها لم يقم أتباعها بأي نشاط سياسي بل ركنوا إلى التجارة واتخذوا الستر والتقية منهجًا لهم وكان اشتغالهم بالتجارة سببًا في نشر دعوتهم في الهند في ولاية جوجرات حيث ظهر بعد ذلك مسمى جديد لهم هو البهرة ومعناه التجار.

(٤) دولة الحشاشين أو الفدائيين:

قامت هذه الدعوة الاسماعيلية في جنوب فارس وذلك بعد انقسام الاسماعيلية

---

(٤) راجع ص - من الرسالة، القسم الأول.

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٤٩ ـ ٥٠.

(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٥١.

(٣) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٢٥.

إلىٰ مستعلية ونزارية حيث انتصر مؤسس هذه الدولة الحسن الصباح[١] لنزار وأصبح يدعو له ولأبنائه من بعده وجعل من نفسه نائبًا للإمام المستور من ولد نزار ولذا يطلق عليهم الاسماعيلية النزارية[٢].

استطاع الحسن الصباح أن يستغل الدعوة النزارية لمآربه وأهدافه فأصاب نجاحًا بعيداً فما فكر فيه حيث تمكن من إقامة وتأسيس دولة اسماعيلية فريدة من نوعها مكونة من عدة قلاع وحصون متفرقة وأقام داخل هذه القلاع والحصون مجتمعات اسماعيلية بحتة يحيطها السر والكتمان[٣].

---

(١) يسمىٰ بالحسن الصباح الحميري ولد في مدينة قم سنة ٤٤٥هـ أبوه من دعاة الاسماعيلية وقيل إنه من الشيعة الاثنىٰ عشرية وعلىٰ كل فقد اعتنق الحسن مذهب الاسماعيلية علىٰ يد داعية اسماعيلي يدعىٰ بعبد الملك بن عطاش كان قد فر من أصفهان نتيجة إلحاده وباطنيته ثم التقىٰ بالحسن الصباح وأثر عليه حتىٰ أنه رشحه لنيابة الدعوة هنالك ثم أرسله إلىٰ المستنصر في مصر للبيعة وقد اشتهر الحسن بعد ذلك بالإرهاب والبطش والاغتيال مع الدعوة إلىٰ الإلحاد والباطنية وعلىٰ ضوء ذلك أقام دولة للاسماعيلية في إيران وقد هلك عام ٥١٨هـ. انظر الحسن الصباح لمصطفىٰ غالب ص٣٣ـ ٤٥، طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص٦٧، دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد السعيد ص٩٤ـ ٩٥.

(٢) أطلق علىٰ هذه الدولة الاسماعيلية عدة اطلاقات منها الدولة النزارية نسبة إلىٰ الإمام العبيدي في مصر (نزار) ومنها دولة الحشاشين نسبة إلىٰ تعاطيهم مادة مخدرة أشبه بالحشيشة. ومنها دولة الفدائيين لافتدائهم حياتهم بنصرة مذهبه وزعيمهم الحسن الصباح.
كما تسمىٰ دولتهم بالاسماعيلية الشرقية نسبة إلىٰ قيامها في الشرق حيث أن مكانها في خراسان الواقع شرق العراق وبلاد الشام. كما تسمىٰ بالدعوة الجديدة تمييزاً لها عن دعوة الاسماعيلية القديمة. كما تسمىٰ بالتعليمية والملاحدة والسبعية والسفاكين وجميع هذه التسميات مطابقة لواقعهم فبعضها نسبة إلىٰ معتقداتهم أو الحكم عليهم أو وسائلهم في نشر دعوتهم من السفك والبطش وإسالة الدماء.
انظر عن هذه الأسماء الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢ـ ١٩٥، العبر لابن خلدون ٥/ ٣١، صبح الأعشىٰ للقلقشندي ١/ ١٢٠، طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٦٣ ـ ٦٣، دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٣٠٢، ويطلق عليها بعض الكتاب المعاصرين (بدولة الاسماعيلية في إيران) انظر كتاب دولة الاسماعيلية في إيران للدكتور محمد السعيد جمال الدين كما يطلق عليها المستشرق برنارد لويس (الدعوة الاسماعيلية الجديدة الحشيشية) وذلك عنوان كتابه.

(٣) العبر لابن خلدون ٥/ ٣١.

واستطاع ابن الصباح بحيلة جريئة أن يستولي على الحصن الجبلي المنيع المسمى في كتب التاريخ (بقلعة ألموت)[١] وذلك في عام ٤٨٣هـ كما نص على ذلك الشهرستاني بقوله: إن أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا طريقة من سبقهم من الباطنية حين أظهر الحسن بن محمد بن الصباح دعوته وقصر على الإلزامات كلمته واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع. وكان بدء صعوده على قلعة الموت في شهر شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وذلك بعد أن هاجر إلى بلاد أمامه وتلقى منه كيفية الدعوى لأبناء زمانه فعاد ودعا الناس أول دعوة إلى تعيين إمام صادق قائم في كل زمان[٢].

وبعد استيلائه على هذه القلعة أخذ يرسل دعاته ومؤيديه إلى القلاع والحصون الأخرى للتأثير على سكانها وحراسها وقد تمكن هؤلاء الدعاة من التأثير على عدد كبير من هؤلاء ولا سيما طبقة الجند واستطاع ابن الصباح بعد ذلك أن يضم عدة حصون وقلاع إلى دولته الجديدة فأصبحت تخضع له مئات من الحصون والقلاع القوية في أقاليم رود بارد وقوهستان والطالقان وغيرها.

وبعد أن استتب الأمر له باشر العمل في تنظيم دولته فبدأ في تدريب مجموعة من أتباعه ونظمهم تنظيمًا محكمًا قائمًا على السرية التامة والطاعة العمياء وأطلق عليهم مسمى (الفداوية) وكانت مهمة هؤلاء إشاعة الرعب والفزع بين الناس كما كانت مهمتهم اغتيال خصومه من العلماء والزعماء والقادة ومن ضحايا هؤلاء الوزير

---

(١) قلعة حصينة تقع بين بحر قزوين وبحر الخزر وهي على رأس جبل وحولها وهاد لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها وهي كرسي ملك الاسماعيلية وسميت بهذا الاسم لأن ملكًا من ملوك الديلم أرسل عقابًا للصيد فتبعه حتى وصل موضع هذه القلعة فوجده موضعًا حصينًا فأمر ببناء قلعة وسماها إله أموت أي تعليم العقاب بلسان الديلم.
انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨/ ٢٠١ ـ ٢٠٢، وعن قصة استيلائه عليها يرجع إلى طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٧٠.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٥. أما تفصيل استيلاء ابن الصباح على هذه القلعة فذكره ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ١٠/ ٣١٧.

السلجوقي نظام الملك[1] وعدد كثير من الوزراء والأمراء حتى وصلوا إلى الأمير المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله حيث حاول قتله فداوية الباطنية في الشام لكنهم فشلوا لقوة صلاح الدين ولبسه الدروع والمغافر[2].

وقد نال الحسن الصباح ـ كما يقول أحد المعاصرين ـ من أحداث الفداوية شهرة مرعبة فأوقعوا الخلل والتوتر في نفوس المخالفين لمذهبهم حتى انعدم الأمن ووصل الأمر إلى أن الملوك والسلاطين لم يجدوا في حفظ أنفسهم من الفداوية حيلة ويبدو أن الفداوية لم يكونوا يهتمون بنوع العمل الذي يكلفون بالقيام به بقدر ما كان يهمهم الهدف النهائي من تحقيقه. وكان هذا الهدف بالطبع هو إيقاع التوتر والاضطراب في صفوف أعداء مذهبهم. ولقد عول الفداوية على اصطياد الشخصيات السياسية البارزة في الدولة السلجوقية بالقتل والاغتيال فجردوها من قوتها الفعالة وعقولها المدبرة مما أفضى بها إلى المسارعة إلى نهايتها المؤسفة[3].

ويقول عنان عن هؤلاء الفداوية: إن جمعيتهم أعظم جميعة سرية ثورية عرفها الإسلام تلك التي لبثت زهاء قرن ونصف ترعب الدول الإسلامية من فارس إلى الشام وحثت جموع البسطاء والدهماء باسم الدين لتحقيق أغراض سياسية واعتمدت في محاربة خصومها على الاغتيال الخفي المنظم وهم شعبة من غلاة الشيعة استخرجت مبادئها من القرامطة فهي بذلك طور من أطوار الدعوة الثورية الهادفة التي نظمها ابن ميمون وتتمة لها[4].

ووصل الأمر بهؤلاء الفداوية إلى أنهم يعتقدون أن الموت في سبيل تحقيق أغراض

---

(١) وزير سني من وزراء السلاجقة تنسب إليه المدارس النظامية لأنه هو الذي بناها وشيدها وقد وثب إليه أحد دعاة الحسن الصباح في صورة مستغيث ولما اقترب منه طعنه بسكين وقتله وكان ذلك عام ٤٨٥هـ وهو أول ضحية لهذه المجموعة الإرهابية التي وصلت ضحاياها إلى خمسين ضحية اغتيالاً. انظر كتاب الحشيشة ص٦٦.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٢٩٣، دولة الإسلام للذهبي ٥/ ٨٥، الكامل لابن الأثير ١١/ ٤٣٠.

(٣) دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد السعيد ص١١٢.

(٤) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ص٤٥.

الشيخ ابن الصباح على صوره المروعة أشرف ميتة وفيها توكيد لضمان السعادة حتى أن أمهات الفدائيين كن يبكين إذا عاد إليهن أبناؤهن أحياء يرزقون[١].

ويرى الدكتور محمد كامل حسين أن الحسن الصباح اقتبس هذا النظام من الإمام الاسماعيلي وذلك حينما قابله بمصر ورأى مجموعة من الشبان جمعهم المستنصر في قصره ورباهم تربية خاصة. فأعجب الحسن بهذا النظام وطبقه في دولته الجديدة في الألموت وكان ابن الصباح صارمًا في تنشئة هؤلاء الأطفال على هذا النحو قاسيًا عليهم أشد القسوة حتى استطاع أن ينجح في إعداد طائفة من الفدائيين أفزعوا العالم الإسلامي كله ونتيجة لذلك أطلق عليهم اسم «السفاكين» لما قاموا به من بطش وسفك للدماء[٢].

وبعد استيلائه على قلعة الموت وتكوينه قوة حربية من السفاكين أخذ يستولي على القلاع والحصون المجاورة له ولم يمض وقت طويل حتى كان ابن الصباح قد استولى على المنطقة الواقعة جنوبي بحر قزوين برمتها بعد أن سيطر دعاته على القلاع المتناثرة في أرجائها والتي تبلغ نحو الستين قلعة[٣].

وكانت المناطق التي تسيطر عليها هذه القلاع جميعًا تمثل رقعة واحدة من الأرض تقع جنوبي بحر قزوين وتمتد فتشمل الطالقان في الجنوب الشرقي حتى حدود قزوين جنوبًا كما تمتد غربًا حتى بهرام أبا دوروود بار على الحدود المتاخمة لشرقي أذربيجان وذلك يعني أن المناطق التي سيطر عليها الاسماعيلية كانت ذات حدود سياسية تفصلها عن المناطق المجاورة لها والتي تقع تحت سيطرة غيرهم. غير أن هناك ولاية تقع خارج نطاق هذه الحدود استطاع الاسماعيلية الاستيلاء عليها وهي ولاية قهستان المجاورة لخراسان منذ سنة ٤٨٤هـ فأصبحت تابعة للدولة وظل حكامها المحليون يتبعون ملوك الاسماعيلية في ألموت حتى قضى عليهم المغول. والملاحظ أن بعض المؤرخين القدامى

(١) تاريخ الإسلام السياسي لحسن ابراهيم ٤/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) انظر كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص٧٣ ـ ٧٤.

(٣) دولة الاسماعيلية في إيران ص١٠٣ ـ ١٠٤.

وفي مقدمتهم ابن الأثير يطلقون على المناطق التي كان يحكمها الاسماعيلية في إيران اسم «بلاد الاسماعيلية» ويقول ابن ميسر في هذا الصدد: ثم امتدت مملكته (يعني ابن الصباح) بعد وفاته فصار لهم عدة بلاد ومملكة طويلة إلى حد شرقي أذربيجان وبحر طبرستان وجرجان ولهم بخراسان مدينة كبيرة يقال لها رشيش[1].

وقد ظل الحسن الصباح قائماً على أمور الدعوة النزارية يرعاها ويمدها بتوجيهاته وتعليماته الاسماعيلية الجديدة[2] إلى أن أحس بقرب أجله فاستدعى اثنين من أعوانه ومن أشد أتباعه إخلاصاً له ولدعوته وهما كيا برزرك وأبو علي داعي الدعاة في قزوين وجعل وصيته إليهما من بعده[3] فيتولى الأول قيادة الفدائيين والأمور الدنيوية والثاني أمور الدعوة الروحية ففصل بذلك بين قيادة الدين وجعلها لأبي علي الداعي وبين قيادة الدنيا وجعلها لكيابزرك[4]، وقد سارع الحسن ـ كما يقول الجويني ـ ليلة الأربعاء السادس من ربيع الآخر سنة ٥١٨هـ إلى نار الله وسقره[5].

---

(١) المرجع السابق ص١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) من أوضح الأمثلة لتعليمات ابن الصباح وأصوله المذهبية ما نقله عالم الفرق والمقالات الشهرستاني عنهم مباشرة حيث كان معاصراً لهم (ولد سنة ٤٧٩هـ وتوفي سنة ٥٤٨هـ) فنقل نص رسالة كلامية ألفها ابن الصباح بالأعجمية وترجمها الشهرستاني إلى اللغة العربية وهي مبتدأ وأصل دعوة ابن الصباح. وتعتبر وثيقة مهمة في معرفة دعوة الاسماعيلية الجديدة. انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٥ ـ ١٩٨.

(٣) من الملاحظ أنهما من أتباع الحسن وليسا من أبنائه فهو ـ كما تثبته الروايات ـ لم يدع الإمامة بل اعتبر نفسه داعياً من دعاة الإمام الاسماعيلي نزار ولما قتل نزار أصبح يقول إنه نائب للإمام المستور من ولد نزار وسارت دعوته على هذا الادعاء حتى ادعى أحد حكام الألموت فيما بعد أنهم من نسل نزار!! فكأنه بهذا الاختيار يؤكد هذا الادعاء. انظر تاريخ جهانكشاي ص٢٠٢. وفي رأي بعض الكتاب المعاصرين أنه هلك ولم يكن له أولاد لأنه قتلهم بنفسه في آخر حياته شراهة في سفك الدماء التي اشتهر بها ولما لم يجد من عقبه من يخلفه في حكم الاسماعيلية جعل وصيته لهذين الداعيين. انظر كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل ص٧٨ ـ ٧٩.

(٤) طائفة الاسماعيلية ص٧٩. وانظر تاريخ جهانكشاي لعطا ملك الجويني ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ وفيه ما يدل على أن الأمر لأربعة من أتباعه أوصاهم بأن يتم تدبير الأمور بينهم باتفاق ويستصوب بعد ذلك رأيهم إلى أن يأتي الإمام ملكه.

(٥) تاريخ جهانكشاي للجويني ص٢٠٦ ضمن كتاب دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد السعيد.

وبعد وفاة الحسن بن الصباح تولىٰ الرئاسة السياسية للاسماعيلية النزارية في الألموت كيابزرك وقد تميز عهده بالحروب مع السلاجقة مما أدىٰ إلىٰ تدهور قوة الاسماعيلية في كثير من قلاعهم وانحسار دولتهم ولجأوا إلىٰ الاغتيال، وكان من ضحاياه في هذه الفترة الخليفة العباسي المسترشد بالله حيث انتهز جماعة من الفداوية والملاحدة فرصة خلو البلاط من الجند والحراس فدخلوا فجأة علىٰ أمير المؤمنين وطعنوه بالخناجر في السابع عشر من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة. كما أنهم اغتالوا ابنه من بعده وذلك بعد أن تسلم الخلافة عزم علىٰ السير من بغداد لقصد الملاحدة والثأر لدم أبيه فأصيب بمرض في الطريق ووصل إلىٰ أصفهان وهو لا يزال علىٰ حالته من الوهن فدخل عليه في بلاطه جماعة من مخازيل الفداوية فجأة وطعنوه بالخناجر وكان ذلك سنة ٥٣٢هـ[١].

وقد ظل كيابزرك في حكم دولة الاسماعيلية ما يزيد عن أربعة عشر عامًا حيث سحق سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة تحت أقدام الهلاك واشتد لهيب الجحيم من حطب جثته[٢].

وتولىٰ الأمر من بعده ابنه محمد الذي جعله وليًا لعهده قبل وفاته وقد سار علىٰ نهج سلفه في متابعة قواعدهم الباطنية وبذل قصارىٰ جهده في ذلك إلىٰ أن توفىٰ سنة سبع وخمسين وخمسمائة حيث بدأت بعده مرحلة جديدة، ذلك أن المرحلة السابقة كان حكامها يقولون عن أنفسهم أنهم دعاة الإمام، أما هذه المرحلة فقد ادعىٰ صاحبها (الحسن بن محمد بن كيابزرك) أنه هو الإمام ـ علىٰ الرغم من تحذير والده من هذه الدعوىٰ بل واستتابة من يقول بها ـ وقد جاهر بهذه الفكرة بعد موت أبيه حين تسلم زعامة الطائفة[٣].

---

(١) المصدر السابق ص٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٢) تاريخ جهانكشاي لعطا ملك الجويني ص٢٠٧ هامش رقم (١)، ص٢١٠ ضمن كتاب دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد السعيد جمال الدين.

(٣) المرجع السابق ص٢١٢ ـ ٢١٣.

فالحسن هذا يعتبر حفيداً لكيابزرك كما يطلق عليه الحسن الثاني تمييزاً له عن الحسن الصباح مؤسس دولتهم وعلى الرغم من قصر فترته حيث تولى زعامة الطائفة سنة ٥٥٧هـ وتوفي عام ٥٦١هـ فإنه جاء بتجديدات خطيرة لم يدع بها سلفه وقد قبلها الاسماعيلية النزارية على درجات متفاوتة فادعى أن الإمام الاسماعيلي المستور أرسل إليه سرا برسالة مضمونها أن الحسن بن محمد بن بزرك أميد هو خليفتنا وداعينا وحجتنا وعلى شيعتي أن تطيعه في أمور الدنيا والآخرة وأمره لايرد وكلمته كلمتنا وليعلموا أن مولانا شفع لهم وقربهم إلى الله وقرأ رسالة بهذا المعنى مشحونة بمثل هذه الألفاظ ثم نزل من المنبر وصل يركعتي العيد ثم مد سماطا وأجلس الناس ليفطروا من الصيام فأكلوا واستمتعوا كما يستمتع في الأعياد وقال لهم اليوم هو العيد مع أن اليوم كان يوم ١٧ رمضان. ومنذ ذلك التاريخ أطلق الاسماعيلية في ألموت على يوم ١٧ رمضان اسم عيد القيامة وصاروا يحتفلون به في كل عام ويشربون ويفرحون.

وبعد ذلك الإعلان الأول بأسبوعين أصدر بيانًا ثانيًا في مؤمن إباد بقهستان وقرأ رسالة أخرى أعلن فيها أنه كما أن المستنصر كان خليفة إله في الأرض فكذلك الحسن الثاني هو خليفة الله على الأرض وأن الرئيس مظفر هو خليفة الحسن في قهستان ويجب إطاعته في كل شيء وهكذا أتى الحسن الثاني بتجديدات ثلاثة هي:

(١) أنه أعلن نفسه خليفة لله في أرضه ولم يعد مجرد داع كما كان أسلافه في الألموت.

(٢) أنه نسخ حكم الشريعة الإسلامية حيث أبطل العمل بالتكاليف الشرعية وأبطل الظاهر لجميع الأوامر والنواهي.

(٣) أنه أعلن قيامة الموتى ونهاية الدنيا وأطلق على نفسه «قائم القيامة» وقسم الناس إزاء هذه المقولة إلى قسمين:

(أ) الذين استجابوا لدعوته قد بعثوا الآن للحياة الباقية.

(ب) الذني لم يستجيبوا له قد قضى عليهم بالفناء.

وابتداء من هذه اللحظة لقبه أتباعه بلقب «على ذكره السلام» وهو لفظ لا يطلق

عادة عند الاسماعيلية إلا على الأئمة المستقرين[١].

وبدعوة الحسن الثاني وإعلانه عن نفسه أنه قائم القيامة تدخل الدعوة الاسماعيلية الشرقية في دور جديد من أدوار عقائد هذه الطائفة وتقاليدها وهو دور عدم القيام بالفرائض والايغال في القوع في المحظورات. لأن الإمام سيتحمل عنهم الحساب فهو قائم القيامة. أي الحكم بين الناس يوم القيامة ومهمة القائم هي إيجاد الجنة على الأرض فتسقط التكاليف. ولهذا دعا إلى إسقاط التكاليف علنًا حتى أنه أوغل في هذا الاتجاه فعاقب من يتبع التكاليف الشرعية[٢].

ويبين الجويني آثار هذه التعاليم على اسماعيلية ألموت ومن ثم على مزخرفها (الحسن الثاني) بقوله: وباتباع هذا الطريق الذي هو سبيل الغواية والاغواء والابطال والإضلال غرق أولئك المدابير المخاذيل في بحار الضلال وتحيروا في بيداء الحيرة فمارسوا الإباحة والتزم غلاتهم عن عمد أو جهل مذهب الإباحة وأطلق قوم الألوهية على أئمة ضلالهم الذين كانوا في مرتبة أخس من البهائم والسباع والحشرات.

فلما أجازوا إظهار هذه البدعة والإلحاد نادى جماعة من أهالي تلك الديار بالهجرة عنها إلى بلاد المسلمين خفية وجهاراً ومن لم يستطع ذلك مكث في هذه الديار على كره منهم؛ لأن معظم أهلها كانوا مسلمين في ضمائرهم وكانوا كلما استطاعوا يلتزمون بأوامر الشرع ونواهيه في الخفاء إلى أن قيض الله رجلاً يقال له الحسن بن ماماور[٣] فطعن الحسن المضل بخنجر في يوم السبت السادس من ربيع الأول سنة

---

(١) مذاهب الإسلاميين للدكتور عبدالرحمن بدوي ٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٦ وبتفصيل أكثر عن هذه الخزعبلات والترهات تحدث مؤرخ معاصر لهم عنها وذكرها بصيغة المشاهدة والعيان وذلك في تاريخ جانكشاي لعطا ملك الجويني ص٢١٣ ـ ٢٢٣.

(٢) طائفة الاسماعيلية ص٨١ ـ ٨٢، مذاهب الإسلاميين ٢/ ٣٤٦.

(٣) تذكر بعض المصادر أن اسم هذا الرجل حسين ناماور وأنه من الشيعة البويهيين الذين كانوا يسيطرون على غربي إيران وأنه صهر للحسن الثاني.

ويرى رشيد الدين الهمزاني صاحب جامع التواريخ أن السبب في إقدام الحسين لقتل الحسن هو مقاومة فكرة القيامة ومحاولة إعادة الإسلام إلى صفائه ولكن على مذهب الشيعة الاثنى عشرية. انظر =

إحدىٰ وستين وخمسمائة داخل قلعة لمصر فغادر الدنيا إلىٰ نار الله الموقدة[١]. وبعد هلاكه خلفه ابنه محمد الذي يلقب بمحمد الثاني؛ لأن والده قد نص علىٰ إمامته حسب مقتضىٰ زعمه واستطاع رغم شبابه أن يمسك بزمام الأمور بحزم وقوة وأرغم أتباعه علىٰ الاعتراف به إماماً وقد طالت مدته حيث مكث أربعة وأربعين عاماً كرسها لتعميق آراء أبيه وكان في هذا أكثر غلو من أبيه في إظهار البدعة التي أطلقوا عليها «دعوة القيامة» كما كان أكثر صراحة من أبيه في دعوىٰ انتسابهم إلىٰ نسل الأئمة وإظهار إمامته[٢]. ويمتاز عصره ـ كما ذكر الجويني ـ بسفك الدماء الكثيرة وإثارة الفتن وممارسة أنواع الفساد ونهب الأموال وقطع الطرق مع الإصرار علىٰ الإلحاد والاستقرار علىٰ قاعدة الكفر[٣].

ومرت فترة زعامته بفترتين:

الأولى: من سنة ٥٦١هـ إلىٰ سنة ٥٨٨هـ خلت من الأحداث التاريخية الجديرة بالذكر إذ يبدو أن حركة التوسع والمد الاسماعيلي قد وقفت خصوصاً وقد تبلبلت أفكار الاسماعيلية أنفهسم بعد إعلان القيامة واختلفوا من حولها.

والثانية: من سنة ٥٨٩هـ حتي سنة ٦٠٧هـ بدأت تظهر بعض الأحداث التاريخية من جديد وذلك مثل الاغتيالات الباطنية وكذلك أحداثهم ومعاركهم مع الدولة الخورازمية وكان أول صدام بينهم وبين اسماعيلية ألموت في سنة ٥٩٣هـ حينما حاصر خوارزم شاه قلعة الموت فاضطر أهلها إلىٰ طلب الصلح علىٰ أن يدفعوا مائة ألف

=مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٢/ ٣٤٧.

ويرىٰ الجويني رأي الهمزاني لكنه يسمي هذا الرجل بالحسن بن ناماور وأنه أخ للحسن الثاني من الأم. وأن القاتل لم يطق صبراً علىٰ فضائح الحسن الثاني وأضاليله حيث طعنه بخنجر فمات. انظر تاريخ جهانكشاي لعطا ملك الجويني ص٢٢٣.

(١) تاريخ جهانكشاي لعطا ملك الجويني ص٢٢٣، ضمن كتاب دولة الاسماعيلية في إيران لمحمد السعيد جمال الدين.

(٢) انظر مذاهب الإسلاميين لبدوي ٢/ ٣٤٧، تاريخ جهانكشاي للجويني ص٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٣) المرجع السابق للجويني ص٢٢٥.

دينار[١].

وقد توفي محمد الثاني سنة سبع وستمائة وقال قوم أنه مات مسمومًا[٢]، وتولى بعده ابنه الحسن الثالث الملقب بجلال الدين عام ٦٠٧هـ، وأول عمل قام به في الظاهر[٣] أن أمر بإعادة القيام بالفرائض الدينية كما كانت قبل ظهور جده وأمر ببناء المساجد وإقامة الأذان للصلاة وقرب إليه الفقهاء والقراء ووردت رسل الباطنية إلى بغداد من آلموت وبقية بلادهم وفيها الأخبار بأنهم أسلموا وأظهروا شعائر الإسلام وراسل الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) حتى أنه بعث إليه ذهبًا مضروبًا باسمه. كما أرسل إلى السلطان السلجوقي وغيره من ملوك وأمراء المسلمين يؤكد لهم عودته إلى التعاليم الإسلامية والقيام بشعائر الدين وفرائضه ففرح المسلمون بذلك وأطلق عليه الألقاب الإسلامية وذلك «كالمسلم الجديد» أو جلال الدين نومسلمان كما سمى أتباعه في عهده بنو مسلمان.

وذهب الحسن الثاني إلى أبعد من هذا حيث طلب من الوفود الإسلامية ـ ولا سيما أهل قزوين الذين شكوا في صحة إسلامه ـ المجيء إلى قلعة الموت وفيها فصل

---

(١) مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ـ ٢/ ٣٩١ ـ ٣٩٢.

(٢) تاريخ جهانكشاي ص٢٢٥.

(٣) ينبغي على علماء السنة ـ ولا سيما المؤرخون ـ أن ينظروا إلى مثل هذه الخلافات أو هذه التحركات المتضادة أحيانًا على أنها جميعا خلافات باطنية إما لكسب مآرب فردية أو لتحسين الصورة للفرقة فترة معينة ولا تؤخذ هذه المظاهر على ظاهرها كيف وهناك أصل مهم للفرقة هو (التأويل الباطني) وجميع المؤرخين الذين تحدثوا عن أحداث الحسن وتراجعه عن تعاليم أبيه وجده لم يشيروا لا من قريب ولا من بعيد أنه تاب عن اسماعيليته أو باطنيته بل جل قولهم أنه حارب الإلحاد الصراح والكفر البواح الذي نادى به والده وجده فيما يسمى عندهم بقائم القيامة وهناك عبارة جيدة لمؤرخ قريب من أحداثهم واطلع على أسرار كتبهم في القلعة يقول عن الحسن جلال الدين بعد ذكره لمعاداة أفعال ومعتقدات أبيه وجده. إن ذلك إما عن حسن اعتقاد أو عن طريق العناد الذي وقع بينه وبين أبيه والله أعلم بما في الضمائر والحكم من الخلق على الظاهر والله يتولى السرائر فله أو عليه ما يستحقه. تاريخ جهانكشاي للجويني ص٢٢٥. وهي عبارة تفيض وعيًا ونصحًا وتدل على ما أشرنا إليه من وجوب التحري والدقة في الحكم في توبة زنديق أو رجوع مبتدع إلى جادة الحق والصواب.

كتب أبيه وجده ومؤسس الطائفة عن باقي الكتب الأخرىٰ وأحرقها وطعن في الحسن الصباح وكل من تولىٰ أمر الاسماعيلية بعده ورماهم جميعًا بالكفر والإلحاد ثم بعث أمه وزوجه لأداء فريضة الحج وأمر ببناء التكايا علىٰ طول الطريق إلىٰ مكة المكرمة، وعقد معاهدات الصلح والتحالف مع أعدائه من الملوك والولاة والأمراء.

قد التمس بعد ذلك خطبة النساء من بعض أمراء المسلمين وأجابوه إلىٰ ذلك بعد موافقة الخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي أجازه بحكم الإسلام[١]. وقد استمر الحسن الثالث علىٰ هذه التعاليم طوال فترة حكمه وكذلك ابنه محمد الثالث الذي جاء إلىٰ الحكم بعده في سنة ٦١٨هـ، حيث سار علىٰ منهج أبيه وهذا علىٰ ما يبدو لم يرض الاسماعيلية في الألموت لمخالفته التعاليم التي تلقوها من زعمائهم الأوائل كما أنه خروج علىٰ أصول المذهب لذلك عزموا علىٰ التخلص من محمد الثالث بن الحسن الثالث فأرسلوا إليه أحد الفدائيين فطعنه بخنجر فقتله وذلك في عام ٦٥٣هـ وبمقتل محمد الثالث رجعت الاسماعيلية إلىٰ آراء الحسن الثاني وما فيها من ضلال وانحراف عن الدين واغتيال وارهاب واستمرت علىٰ هذا النهج إلىٰ أن اجتاحت جموع الجيش المغولي القلاع والحصون التي في طريقها وكانت قلاع الجيش المغولي القلاع والحصون التي في طريقها وكانت قلاع الاسماعيلية من بينها فدمرت ونهبت وكتبت نهايتها علىٰ يد هولاكو قائد الجيش المغولي في عام ٦٥٤هـ وقتل ركن الدين خورشاه آخر أئمة الاسماعيلية النزارية في ألموت[٢]. وبذلك انتهت الدولة الاسماعيلية النزارية في إيران والتي دامت إحدىٰ وسبعين ومائة عام حيث كان بدؤها عام ثلاث وثمانين وأربعمائة حينما استولىٰ ابن الصباح علىٰ قلعة ألموت وانتهاؤها عام أربع وخمسين وستمائة تولىٰ حكمها ثمانية زعماء هم علىٰ التوالي كالآتي:

---

(١) تاريخ جهانكشاي للجويني ص٢٢٥ـ٢٢٩، الكامل لابن الأثير ١٢/ ٢٩٨، مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٢/ ٤٠٨ـ٤٠٩، طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص٨٢ـ٨٣.

(٢) دول الإسلام للذهبي ٢/ ١٥٨، طائفة الاسماعيلية ص٨٥ـ٨٦ مذاهب الإسلاميين للدكتور بدوي ٢/ ٤٠٦.

(أ) دعاة ديلمان:

(١) الحسن بن الصباح وعهده تأسيس الدولة ومدته ٣٥ سنة من سنة ٤٨٣هـ إلىٰ ٥١٨هـ.

(٢) بزرك اميد وعهده توطيد الدولة ومدته ١٤ سنة من سنة ٥١٨هـ إلىٰ سنة ٥٣٢هـ.

(٣) محمد بن بزرك اميد ومدته ٢٥ سنة من سنة ٥٣٢هـ إلىٰ سنة ٥٥٧هـ. ومدة هذه الفترة أربعة وسبعون عامًا لم يدع أحد من حكامها الإمامة.

(ب) أئمة القيامة:

(٤) حسن بن محمد بن بزرك (الحسن الثاني) وفي عهده إلغاء ظاهر الشريعة وادعاء الإمامة ومدته أربع سنوات من سنة ٥٥٧هـ إلىٰ سنة ٥٦١هـ.

(٥) محمد بن الحسن (محمد الثاني) وفترته روحية خالصة ومدته ستة وأربعون عامًا من سنة ٥٦١هـ إلىٰ سنة ٦٠٧هـ ومدة هذه الفترة خمسون عامًا.

(ج) أئمة الستر:

(٦) جلال الدين حسن بن محمد بن حسن (الحسن الثالث) تراجع إلىٰ الظاهر وتحالف مع الخلافة العباسية ومدته إحدىٰ عشرة سنة من سنة ٦٠٧هـ إلىٰ سنة ٦١٨هـ.

(٧) علاء الدين محمد بن جلال الدين (محمد الثالث) تكريس لتعاليم واله مع العزلة ومدته خمس وثلاثون سنة من عام ٦١٨هـ إلىٰ عام ٦٥٣هـ.

(٨) ركن الدين خورشاه. وفي عهده سقطت ألموت ومدته سنة واحدة من عام ٦٥٣هـ إلىٰ عام ٦٥٤هـ ومدة هذه الفترة سبعة وأربعون عامًا.

فتكون سني تسلطهم علىٰ العباد والبلاد إحدىٰ وسبعين ومائة عام[1].

وما أجمل ما سطره الجويني عند حديثه عن نهايتهم بقوله وهكذا تطهر العالم الذي كان ملوثًا بخبثهم وأصبح الرائحون والغادرون يذهبون ويجيئون بلا خوف أو

---

(١) مذاهب الإسلاميين ٢/ ٣١٤ـ٣١٥، ٤٠٦ـ٤٠٧.

وجل أو مشقة في الحراسة وأخذوا يدعون بالتوفيق للسلطان السعيد الطالع[١] الذي أزال أسسهم ولم يبق لأحد منهم أثرًا. والحقيقة أن هذا الأمر كان مرهمًا لجراح المسلمين وتداركًا للدين من الخلل ويعرف أولئك الذين ينتمون إلىٰ عصرهم إلىٰ أي مدىٰ بلغت فتنة هذه الطائفة وإلىٰ أي حد بلغ اضطراب الناس وانزعاجهم وأن الشخص الذي كان علىٰ وفاق معهم منذ عهد الملوك السالفين حتىٰ عهد ملوك هذا العصر إنما كان فقط مدفوعًا بدافع الخوف والرعب منهم. أما من عاداهم فكان عليه أن يعيش ليله ونهاره سجينًا خوفًا من رعاعهم. حقًا لقد كان كأسًا طافحًا وريحًا عاتية ولكنها أخمدت ذلك ذكرىٰ للذاكرين وكذلك يفعل الله بالظالمين[٢].

*****

---

(١) إن كان المقصود بذلك هولاكو فلا يجوز وصفه بهذه الأوصاف.

(٢) تاريخ جهانكشاي للجويني ص٢٥٥.

الباب الثالث

أصول الاسماعيلية ومعتقداتها

يشتمل هذا الباب على تمهيد وسبعة فصول هي كالآتي:

الفصل الأول: أصول الاسماعيلية وهما أصلان:

(١) الإمامة.

(٢) التاويل الباطني.

الفصل الثاني : معتقد الاسماعيلية عن الله سبحانه وتعالى.

الفصل الثالث : معتقد الاسماعيلية في النبوات والأنبياء.

الفصل الرابع : معتقد الاسماعيلية في الأخرويات.

الفصل الخامس : معتقد الاسماعيلية في مصادر المسلمين الأساسية وهما كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

الفصل السادس : معتقد الاسماعيلية في التكاليف الشرعية.

الفصل السابع : حكم الإسلام في طائفة الاسماعيلية من خلال معتقداتهم السابقة.

* * * * *

تمهيد

تنبني دراسة أصول الاسماعيلية على الرجوع مباشرة لمؤلفاتهم وكتاباتهم التي كثرت وانتشرت في هذا العصر مؤذنة بخطورة فكرية مستفيضة والاسماعيلية ـ كما هو معروف وسبق أن فصلنا القول فيه ـ جزء من تيار باطني اجتاح العالم الإسلامي في القرن الثالث والرابع الهجريين بمسميات عديدة منها إخوان الصفا والباطنية والاسماعيلية والقرامطة والخرمية وحركة الزنج وهذه الحركات أو الفرق يجمعها التأويل الباطني الذي أصبح السمة البارزة والعلامة الفارقة لجميع فرق الباطنية. وعلى هذا فالاسماعيلية ما هي إلا غصن من أغصان الحركة الباطنية الأم ومن الصواب في بيان أصول الاسماعيلية وعقائدهم الرجوع مباشرة إلى مصادرهم التي ألفوها ولا يسعهم بأي حال إنكارها أو التبرؤ مما أثبتوه فيها وقبل الدخول في عقائدهم وأصولهم تفصيليًا لابد من التأكيد على حقائق ثلاث استقرأتها من خلال مصادرهم الفكرية وكتاباتهم الاعتقادية وهي:

الحقيقة الأولى: أن عقائد الاسماعيلية مزيج عجيب متعدد الأصول والمنابع فالتأثر بالفلسفات التي سبقتهم مع النظريات التي عصارتهم مما لا ينكر مع صبغهم هذا الغثاء الفلسفي بالنصوص الإسلامية شكلاً لا مضمونًا إن هذه الحقيقة يؤكدها عالم محقق وكاتب معاصر مع ما هي من الوضوح بمكان في كتب الاسماعيلية الاعتقادية يقول العالم المحقق ابن تيمية: وفي أواخر المائة الثانية وقبلها وبعدها اجتلبت كتب اليونان وغيرهم من الروم من بلاد النصارى وعربت وانتشر بذلك مذهب مبدلة النصارى مثل أرسطو وذويه وكان من نتائج ذلك أن ظهر في ذلك الزمان الخرمية وهم أول القرامطة الباطنية الذين كانوا في الباطن يأخذون بعض دين الصابئين المبدلين وبعض دين المجوس كما أخذوا عن هؤلاء كلامهم في النور والظلمة وكسوا ذلك عبارات وتصرفوا فيه وأخرجوه إلى المسلمين وكان من القرامطة الباطنية في الإسلام ما كان.

وفي موضع آخر يقول: إن الملاحدة الباطنية ركبوا مذهبهم من قول المجوس

واليونان مع ما أظهروه من التشيع وكانت قرامطة البحرين أعظم تعطيلاً وكفراً[١].

ويقول كاتب معاصر لديه الكثير من مخطوطات الاسماعيلية إن الذين يدرسون عقائد الاسماعيلية يستطيعون أن يدركوا أن هذه العقائد مزيج عجيب من مجموعة المذاهب والديانات والآراء الفلسفية القديمة التي عرفت وانتشرت في الأقطار الإسلامية منذ زمن بعيد بتأثير امتزاج المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة والآراء المتباينة وأن الاسماعيلية أخذوا هذه الآراء والمعتقدات وأخضعوها لفكرتهم عن الإمامة بعد أن صبغوها بالصبغة الإسلامية حتى أن الباحث يستطيع أن يتعقب أكثر عقائد الاسماعيلية ويردها إلى أصولها القديمة[٢].

وهذه الحقيقة المهمة نجد علماء الفرق والمقالات السابقين يشير إليها بإيجاز، فالشهرستاني يقول: إن الباطنية خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج[٣].

وفي وصية من وصايا أحد أئمة الاسماعيلية إلى تلميذه أبي طاهر القرمطي تتأكد هذه الحقيقة أكثر يقول هذا الإمام ـ كما نقل البغدادي ـ وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وإنا وإياهم مجمعون على إنكار نواميس الأنبياء وعلى القول بقدم العالم[٤]. وحينما ألف الغزالي كتابه في الرد على الباطنية بين من خلال ذلك منابع الاسماعيلية ـ وهي كبرى الفرق الباطنية ـ وأصولها في كل معتقد من معتقداتهم ففي الإلهيات آرائهم مسترقة من الثنوية والمجوس في القول بإلهين ومن كلام الفلاسفة في المبدأ الأول.

وفي النبوات مذاهبهم مستخرج من مذاهب الفلاسفة مع التحريف والتغيير وفي المعاد يوافقون آراء الثنوية والفلاسفة الثنوية والفلاسفة في الباطن والروافض والشيعة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/ ٣٧٤ـ٣٧٥.

(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٧٤.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢.

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٨.

في الظاهر[١].

ومن مقام التبجح يثبت أحد دعاة الاسماعيلية المعاصرين هذه الحقيقة الواقعية المؤلمة بقوله: إن الاسماعيلية من أنجب التلاميذ الذين درسوا الفلسفة اليونانية دراسة واقعية وأخذوا منها الأفكار والنظريات وطبقوها وحوروها في مجتمعهم وليست جمهورية أفلاطون إلا أحد الكتب المفضلة القيمة التي درسوها بعناية وطبقوها بإمعان[٢].

وفي موضع آخر يقول: إن الاسماعيلية نظرية فلسفية وفكرة إنسانية تقوم على أسس قديمة من المعرفة... إلى أن يقول: في ظلها نما الفكر اليوناني وشب وترعرع وعلى هذه الدعائم القوية والأسس الثابتة قام ونهض فكان سقراط ومن بعده أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس وجابر بن حيان وابن قداح واخوان الصفا والفارابي وابن سينا والنيسابوري والرومي والسجستاني والخيام والكرماني وغيرهم ممن وضعوا أسس المعارف في الشرق ورفعوا اسمه عاليًا حتى أصبح يطاول الجوزاء[٣].

ويقول المستشرق اليهودي جولد تسيهر: إن الاسماعيلية صبغت الآراء الدينية في الإسلام بعناصر الغنوصية والأفلاطونية الحديثة[٤].

ومن الأمثلة على ما ذكره الداعي الاسماعيلي مع المستشرق اليهودي ما نجده واضحًا في كتب الحقيقة عند الاسماعيلية حول نظرية أفلاطون للمثل والتي تقول بأن ما في العالم الحسي لا يعدو عن كونه أشباح لمثله في العالم العلوي. والاسماعيلية قالوا: إن ما في عالم الدين مثل لممثولات في العالم الروحاني.

كذلك الاسماعيلية اقتبسوا من الأفلاطونية الحديثة كل فلسفة الفيوضات وترتيبها بحيث إذا قرأنا كتب الحقيقة الاسماعيلية نجد أنفسنا أمام الفلسفة الأفلاطونية الحديثة

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص٤٠ ـ ٤٢ ـ ٤٦.

(٢) القرامطة لعارف تامر ص٨٠.

(٣) مقدمة كتاب أربع رسائل اسماعيلية لعارف تامر ص٨.

(٤) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص٢٤٧.

وذلك كالابداع وظهور النفس الكلية عن العقل الكلي. . . إلخ هذه النظريات[١].

ويؤكد المستشرق اليهودي جولد تسيهر إلىٰ أن الاسماعيلية لم يأخذوا هذه النظريات ويتوقفوا عندها ـ رغم انحرافها وتفاهتها ـ بل زادوا عليها ما هو أشد غلواً وتطرفًا يقول: إن الاسماعيلية بدأوا بنظرية الفيض الأفلاطونية تلك التي بنت عليها جماعة إخوان الصفا البصرية فلسفتها الدينية في موسوعتها المصنفة وإن الاسماعيلية استنبطت من هذه الفلسفة أعمق نتائجها وأشدها تطرفًا[٢].

الحقيقة الثانية: أن العقائد الاسماعيلية تأثرت تأثراً واضحًا بالأفكار اليهودية والمسيحية وتلك سلسلة متصلة بفرق الغلاة من لدن فرق الباطنية حتىٰ السبأية التي لا ينكر الأثر اليهودي أو النصراني في معتقداتها[٣].

ومع التتبع لمصادر القوم نجد هذا الأثر واضحًا فالسجستاني ـ وهو من كبار علمائهم ـ اعترف بصلب المسيح وقال إن عيسىٰ عليه السلام أخبر عن إمامهم القائم وأنه يعتبر علامة ودليلاً لعيسىٰ عليه السلام. كما أنه عقد مقارنة بين الشهادة (لا إله إلا الله) وبين الصليب وأعتقد بالاتفاق بينهما ومما قال: إن الشهادة أربع كلمات كذلك الصليب له أربعة أطراف. والشهادة مبنية علىٰ النفي والإثبات فالابتداء بالنفي والانتهاء إلىٰ الإثبات وكذلك الصليب خشبتان. خشبة ثابتة لذاتها وخشبة أخرىٰ ليس لها ثبات إلا بثبات الأخرىٰ . . . إلخ السخفافات التي سطرها[٤].

ونقل عن الداعي الكرماني أنه استفاد كثيراً من التوراة والانجيل واستشهد بنصوص منهما وفي بعض مؤلفاته قوله: إن آيات التوراة تشير إلىٰ إمام الاسماعيلية[٥].

---

(١) كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص٢٣٩.

(٣) سبق أن بينا بالتفصيل هذه التأثيرات عند الحديث عن ابن سبأ ويهوديته من ص١٠٤ فما بعد.

(٤) انظر الينابيع للسجستاني ص١٤٦ ـ ١٤٩.

(٥) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص١٧٦، أصول الاسماعيلية للويس ص١٩٦.

ويؤكد أحد معاصريهم ذلك بقوله: إن الاسماعيلية سلسلوا الإمامة تسلسلاً منطقيًا مرتكزًا على النصوص التي وردت في التوراة والإنجيل(١).

ومن الجدير بالذكر أننا إذا نظرنا في كتب الاسماعيلية التي ألفت قبل دور الاسماعيلية العبيدية في مصر نجد آراء هي من صميم العقيدة المسيحية بل صرح جعفر ابن منصور اليمن في عدة من كتبه بأن ترتيب الدعاة عند الاسماعيلية هو نفس ترتيب رجال الكنيسة النصرانية(٢).

ولحاجة في نفس المستشرق اليهودي برنارد لويس عقد فصلاً في كتابه أصول الاسماعيلية بعنوان: «مذهب الشمول في العقيدة الاسماعيلية» ومما قال فيه: إن الاسماعيليين طوروا بعض أفكار عيسوية أصفهان ـ وهي فرقة يهودية متطرفة ـ وأنهم صاغوا هذه الأفكار وأوجدوا نظامًا محكمًا أصبحت بموجبه الصحة النسبية لجميع الأديان معترفًا بها مع إلغاء التعصب الدين إلغاء تامًا. وفيما ذكر لويس في هذا الفصل أن الاسماعيليين درسوا كتب اليهود والنصارى وفسروها بأساليب اسماعيلية(٣).

ومن الوثائق التاريخية التي تدل بوضوح على تأثر الاسماعيلية بالنصرانية ما ذكره المؤرخ الطبري عن أحد دعاة القرامطة ومما جاء فيه قوله: يقول الفرج بن عثمان: أنه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو أحمد بن محمد ابن الحنفية وهو جبريل وذكر أن المسيح تصور له في جسم إنسان وقال له. إنك الداعية وإنك الحجة وإنك روح القدس وإنك يحيى بن زكريا وذكر في هذا الكتاب أن القبلة إلى بيت المقدس والحج إليه(٤).

---

(١) الإمامة في الإسلام لعارف تامر ص١٤١.

(٢) ومن الأمثلة على ذلك قول الاسماعيلية: أن الحجج اثنا عشر ولكل حجة داعية ولكل داعية يد ويسمون الحجة الأب والداعية الأم واليد الابن يضاهئون قول النصارى في ثالث ثلاثة.
انظر الفرق للنوبختي ص٨٥ هذا بالنسبة للتعليق في الهامش إما النص في صلب البحث فمصدره كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٧٦.

(٣) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٩٤ ـ ١٩٦.

(٤) تاريخ الأمم للطبري ٨/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

وأسلوب هذا الكتاب وألفاظه واضحة فيه النغمة المستعملة في كتابات النصارىٰ المقدسة. كما أن أفكاره وما يحمل من معاني هي أفكار نصرانية بحتة.

الحقيقة الثالثة: أن العقائد الاسماعيلية مجموعة آراء ملفقة تختلف وتتباين مكانًا وزمانًا فكانوا يقولون بآراء في بلد ويقولون بغيرها في بلد آخر كما كانوا يأصلوا فكرًا ومعتقداً ويأتون بنقيضه بعد فترة من الزمن وقد كشف هذه الحقيقة داع من دعاتهم المعتبرين وهو الكرماني الذي ألف كتاب الرياض في الحكم بين الصادين صاحبي الإصلاح والنصرة وفي هذا الكتاب يناقض الخلافات التي جاءت في ثلاثة كتب اسماعيلية هي كتاب المحصول للنسفي ت عام ٣٣١هـ وكتاب الإصلاح لأبي حاتم الرازي ت عام ٣٢٢هـ وكتاب النصرة لأبي يعقوب السجستاني ت بعد عام ٣٦٠هـ[١]. ومع تعاصر هؤلاء الثلاثة تقريبًا وهم من أعلام الفكر الاسماعيلي فإن هذا الخلاف المرير بينهم يدل دلالة واضحة علىٰ هذه الحقيقة.

وحتىٰ تكون هذه الحقيقة مدللاً عليها من مصادرهم فهذه بعض الأمثلة:

ذكر الكرماني أن العقل هو المعروف في الشريعة باسم القلم وفي موضع آخر من نفس الكتاب قال: إن المنبعث الأول الذي هو العقل المسمىٰ بالقلم موجود ثاني وأنه في الكمال كالأول[٢].

ويعلق الدكتور محمد كامل حسين علىٰ هذا التناقض والاختلاف بقوله: فلا أستطيع أن أوفق بين الرأيين لرجل واحد في كتاب واحد[٣].

ومن الأمثلة تأويلهم لمعنىٰ الشجرة الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿ ... يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) ﴾[٤] فهي عند المؤيد إمام الزمان. وعند حاتم بن ابراهيم - أحد دعاة اليمن - هابيل بن آدم. أما

(١) انظر مذاهب الإسلاميين ٢/ ٢٠٠.

(٢) راحة العقل للكرماني ص٢٩٨.

(٣) ديوان المؤيد تحقيق محمد كامل حسين ص٩٦.

(٤) سورة البقرة: ٣٥.

جعفر بن منصور اليمن فيؤول كلمة الشجرة بإبليس وهكذا يتضح مدىٰ التضارب في تأويلات الاسماعيلية واختلاف دعاتهم فيها[١].

ولقد كان الشهرستاني دقيقًا وجامعًا حينما عبر عن مذهبهم بقوله:

ولهم (أي الاسماعيلية) دعوة في كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان[٢].

إن كثرة هذا الاختلاف والتباين في أصول الاسماعيلية دفع حتىٰ بالمناصرين لهم والمدافعين عنهم بالإقرار والاعتراف بهذه السوءة الفكرية يقول مصطفىٰ غالب: من المعلوم أن العقائد الاسماعيلية لا يمكن دراستها وبحثها علىٰ أنها عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان فاختلفت باختلافها وتشعبت آراؤها ونظرياتها حتىٰ أصبح من الصعب أن تبلور هذه العقائد أو أن تصهر في بوتقة واحدة[٣].

كما يقول كاتب معاصر متعاطف معهم: ونحن نعلم أن العقائد الاسماعيلية لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تدرس علىٰ أنها عقائد ثابتة لفرقة موحدة بل هي عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان لكل بيئات عقائدها وتطورت العقائد في كل بيئة بمرور الزمن فاختلفت العقائد الاسماعيلية باختلاف البيئات وتشعبت آراء الاسماعيلية بحيث أصبح من الصعب العسير أن نلم بأطراف العقائد الاسماعيلية طول تاريخها[٤].

وحينما ألف الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله كتابه «الاسماعيلية تاريخ وعقائد» بوب بابًا بعنوان الاسماعيلية مجموعة تعارضات وتناقضات ثم ذكر نماذج كثيرة من كتبهم ومصادرهم وخلص إلىٰ القول: بأن القاريء عندما يسبر غور كتبهم ويتفحص في رسائلهم ويمعن النظر في عقائدهم ويتعمق في معتقداتهم ويبحث في تعاليمهم وأفكارهم ويتنقب في آرائهم ونظرياتهم ليجد الأمر مقلوبًا والحال معكوسًا بأن الاسماعيلية مجموعة عقائد متعارضة وآراء متخالفة وأفكار متضاربة وقواعد

---

(١) كتاب قرامطة العراق لعليان ص١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢.

(٣) مقدمة كنز الولد لمصطفىٰ غالب.

(٤) مقدمة سيرة الأستاذ جودر لمحمد كامل حسين ص١٧.

متناقضة وأسس غير ثابتة كاد أن لا يتفق القوم في مسألة واحدة وقضية متفردة[1].

إن هذه الحقائق الثلاث تدل دلالة واضحة على فقدان الأصالة الفكرية للاسماعيلية كما تدل على عدم ثباتهم والتزامهم بمنهج واحد. ولا يخفى ما يترتب على هذين الاعتبارين من صعوبة للوصول إلى الصورة الدقيقة والواضحة لمعتقداتهم وأفكارهم ولا سيما إرجاع هذه المعتقدات والأفكار إلى منابعها الأصلية وأصحابها الحقيقيين.

* * * * *

(١) الاسماعيلية تاريخ وعقائد ص٦٥١ ـ ٦٥٥.

الفصل الأول
أصـــول الاســماعيليـة

غني عن البيان أن للاسماعيلية أصولاً وقواعد واهية ابتدعوها ولفقوها وأصبحت معتقداتهم المتعددة وآراءهم المتشعبة ترجع إلى هذه الأصول وترتبط بها ومن خلال الاستقراء والمتابعة لمصادر الاسماعيليين المعتمدة عندهم[١] وصلت إلى أصلين هما الأساس والمرجع لجميع معتقداتهم وآرائهم فعن طريقهما شرعوا وبناء عليهما ابتدعوا وهذان الأصلان هما: الإمامة، والتأويل الباطني. وتفصيل القول فيهما كالآتي:

الأصل الأول: الإمامة والأئمة.

تمهيد:

تعتبر الإمامة ـ كما قلنا سابقًا ـ من الأصول التي قام عليها مذهب الشيعة ـ على تعدد فرقهم وتشعبها ـ حيث تعد ركنًا أساسيًا في مذهبهم تطغى بأهميتها ومنزلتها على جميع المعتقدات والأصول الإيمانية بل هي في نظرهم أهم وأعظم من أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة المتفق عليها بين المسلمين. ومما نقل الشهرستاني عن الشيعة جميعًا قولهم:

إن الإمامة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل إغفالها وإهمالها ولا تفويضها إلى العامة وإرسالها[٢].

ومع انحراف الشيعة الاثنى عشرين وغلوهم في أصل الإمامة واعتقاداتهم في

---

(١) وذلك كمؤلفات السجستاني وجعفر بن منصور اليمن وابن الوليد والقاضي ابن حيون الاسماعيلي والحامدي والكرماني والداعي طاهر الحارثي والمؤيد الشيرازي.. إلخ المؤلفين الاسماعيليين الذين سنذكرهم ونذكر مؤلفاتهم بالتفصيل عند ذكر فهارس المصادر والمراجع إن شاء الله وذلك في آخر الرسالة.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٤٦.

الأئمة[١]، فإن الشيعة الاسماعيلية أشد غلواً وتطرفًا وأعظم انحرافًا في هذا الأصل كما سيتضح لنا ذلك من خلال نصوصهم التي ننقلها من مصادرهم مباشرة وليست مما نقله علماء الفرق والمقالات عنهم - مع تحريهم وعدلهم في القول - وحتى لا تتشعب بنا نصوصهم الكثيرة التي تصل إلى مؤلفات في هذا الأصل مع ما يضاف إلى ذلك من أن الكثير من معتقداتهم عن الإمامة والأئمة يشتركون فيه مع الإمامية الاثني عشرية[٢] فإننا والحالة هذه سنقتصر على الموضوعات المهمة في هذا الأصل لديهم وذلك بتقسيم الحديث عن أصلهم هذا إلى الموضوعات الآتية :

(أ) نصوصهم عن الإمامة ذاتها .

(ب) نصوصهم في أئمتهم .

(ج) تصوير علماء الفرق والمقالات أصلهم هذا .

(د) نقد أصل الاسماعيلية في الإمامة والأئمة .

(أ) الإمـامــة:

(١) تعريف الإمامة:

هي - كما يقول الشيرازي - اعتقاد وصاية علي بن أبي طالب وإمامة الأئمة المنصوص عليهم من ذريته ووجوب طاعته وطاعة الأئمة[٣].

ومن هذا التعريف نرى الخلاف والفرق بين الاسماعيلية والاثنى عشرية حيث يفرق الاسماعيليون بين الوصاية والإمامة فلم يكن علي بن أبي طالب إمامًا من أئمتهم - كما هو رأي الشيعة الاثنى عشرية - بل هو وصي رسول الله ﷺ ومن هنا ذهبوا إلى أن الوصاية أفضل وأعظم من الإمامة وإن الإمامة تلي الوصاية في الرتبة فعلي كان وصي النبي ﷺ وكانت الإمامة في الحسين بن علي وهو أول أئمتهم وبعده كانت الإمامة في الحسين . . . إلخ سردهم للأئمة .

(١) سبق الحديث عن هذا الأصل عند الاثنى عشرية وذلك في القسم الأول من الرسالة ص

(٢) المرجع السابق .

(٣) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٧٠ .

فالوصي عند الاسماعيلية ـ والمقصود به علي بن أبي طالب ـ لا يعد إمامًا بل هو فوق الإمام وعلىٰ ذلك فالإمامة شيء والوصاية شيء آخر[١].

وعلىٰ كل فالفكرة أصلها ومنبتها يرجع إلىٰ ابن سبأ الذي وضعها للشيعة حينما قال: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء... إلخ[٢].

(٢) أهمية الإمامة:

إن الدارس لكتب الاسماعيلية يرىٰ الإصرار العجيب حول هذا الأصل وتضخيمه حتىٰ يطغىٰ علىٰ جميع المعتقدات والآراء فهو محور أساسي تدور عليه كل عقائد الاسماعيلية فعندهم أن الإمامة أحد أركان الدين بل هي الإيمان بعينه وعن ذلك يقول أحد دعاتهم: أن الإمامة أحد أركان الدين بل هي الإيمان بعينه وهي أفضل الدعائم وأقواها لا يقوم الدين إلا بها كالدائرة التي تدور عليها الفرائض لا تصح إلا بوجودها[٣].

كما يقول آخر: أن الإمامة فرض من الله سبحانه أكمل به الدين فلا يتم الدين إلا به ولا يصح الإيمان بالله وبالرسول إلا بالإيمان بالإمام والحجة ويدل علىٰ فرض الإمامة إجماع الأمة علىٰ أن الدين والشريعة لا يقومان إلا بالإمام وهذا حق؛ لأنه سبحانه وتعالىٰ لا يترك الخلق سدىٰ ولا يمنعهم هذه الفريضة التي لا تسوغ الهداية إلا بها وأن الرسول نص علىٰ ذلك نصًا تشهد به الأمة كافة[٤].

---

(١) نبه الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله في كتابه «الاسماعيلية» إلىٰ خلط معظم الكتاب بين الوصي والإمام من المسلمين والمستشرقين وحتىٰ الاسماعيليين الذين لم يفقهوا مذهبهم وذلك عند حديثهم عن إمامة علي والصحيح أنه في مذهب الاسماعيلية وصي وليس إمام والوصاية فوق الإمامة. انظر الاسماعيلية تاريخ وعقائد ص٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٢) انظر بالتفصيل عن عقيدة الوصاية عند السبأية ص٩٦ ـ ٩٧ من القسم الأول من الرسالة.

(٣) المصابيح في إثبات الإمامة للكرماني ص١٢.

(٤) تاج العقائد للداعي الاسماعيلي علي بن الوليد ص٦٥ ـ ٦٦.

كما يعبر عن أهميتها داع اسماعيلي آخر بقوله : إن الإمامة تعتبر أفضل الدعائم وأقواها ولا يستقيم الدين إلا بها فهي مركز تدور عليه دائرة الفرائض فلا يصح وجودها إلا بوجوده وهي تستمر مدى الدهر وأنه لو فقد الإمام ساعة واحدة لماد الكون وتبدد[١] .

وزعم قاضي الاسماعيلية ابن حيون أن محمد الباقر قال عن الإمامة : بني الإسلام على سبع دعائم . الولاية وهي أفضلها وبها وبالولي يوصل إلى معرفتها والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد[٢] .

ونتيجة لهذا الغلو في أصل الإمامة والإيمان به فقد بنوا عليه صحة الأعمال وقبولها ونصوصهم عن ذلك كثيرة منها قول الداعي الشيرازي أن الله أوجب طهارة وصلاة وزكاة وصومًا وحجًا وجهاداً وجعل ماسك الجميع ورابطه والمانع من اختلاله ولاية الوصي والأئمة التي هي آخر فرض الدين وإذا بطلت من الدين ولاية الوصي بطلت الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وعاد الدين جاهلية والولاية من الدين العمدة[٣] .

وقول قاضي الاسماعيلية ابن حيون : فإن أطاع المرء الله ورسوله وعصى الإمام أو كذب به فهو آثم وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله فطاعة الله عز وجل مقترنة بطاعتهم ولن يقبل الله من مطيع طاعة إلا بطاعة من افترض عليه طاعته من أوليائه الذين هم الأئمة من أهل البيت[٤] .

ويقول بن حيون في موضع آخر : أن المستجيب لابد له بعد الإقرار بأنبياء الله ورسله من معرفة إمام زمانه وحجته إن كان قد نصبه أو العلم أن لم ينصبه بأنه لابد من نصبه إياه ليكون الأمر إليه من بعده والتوقيف على ذلك إلى منتهى حده[٥] .

---

(١) الإمامة لعارف تامر ص٦٥ ـ ٦٦ .

(٢) دعائم الإسلام ١/ ٢ ، تأويل الدعائم ١/ ٥١ وكلاهما للقاضي النعمان بن حيون .

(٣) ديوان المؤيد ص٧٠ .

(٤) المرجع السابق ص٧٠ ـ ٧١ .

(٥) تأويل الدعائم للقاضي الاسماعيلي بن حيون ١/ ١٠٢ .

ومن مزعمهم ما نسبوه إلىٰ جعفر الصادق رحمه الله أنه سئل عن قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ...﴾[1] فقال: إيانا عنىٰ به ونحن أولوا الأمر وطاعتنا مفروضة وبنا يعبد الله وبنا يطاع الله وبنا يعصىٰ الله فمن أطاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصىٰ الله[2].

ونصوص الاسماعيلية حول غلوهم في الإمامة كثيرة جداً أفردوا لها فصولاً وأبوابًا بل مؤلفات[3].

(٣) تفضيل الإمامة على النبوة:

بلغ الغلو في أصل الإمامة عند الاسماعيليين أقصاه حيث اعتبروا رتبتها أعظم قدراً وأفضل منزلة من النبوة والرسالة فأطلقوا علىٰ النبوة والرسالة رتبة (الاستيداع) وأطلقوا علىٰ الإمامة والوصاية رتبة (الاستقرار) ولا شك بأفضلية الرتبة الثانية علىٰ الأولىٰ حسب أصول الاسماعيلية وقواعدها ومن نصوصهم التي تؤكد ذلك ما ذكره الداعي الاسماعيلي الحارثي بقوله: إن ابراهيم عليه الصلاة والسلام اجتمعت عنده النبوة والرسالة والوصاية والإمامة فابنه اسماعيل سلمه[4] رتبة الوصاية والإمامة بأمر من الله تعالىٰ إذ هو مقام إلهي وهيكل نوراني. وسلم إلىٰ ولده إسحاق رتبة النبوة والرسالة وجعله خادما بين يدي أخيه اسماعيل وحجابا عليه وداعيا إليه لإن اسماعيل وأولاده مقامات إلهية ذو هياكل نورانية إذ هم أهل الإستقرار واسحاق وأولاده حجج ودعاة ظاهرة لإسماعيل وأولاده وحجب عليهم[5].

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) دعائم الإسلام لابن حيون ١/ ٣٩.

(٣) وذلك ككتاب المصابيح في إثبات الإمامة للكرماني والهمة في أداب اتباع الأئمة للقاضي بن حيون والإمامة لعارف تامر وإثبات الإمامة للنيسابوري وغيرها من المؤلفات.

(٤) المقصود أن إبراهيم سلم ابنه أسماعيل عليهما الصلاة والسلام كما هو واضح من السياق.

(٥) الأنوار اللطيفة للداعي الحارثي ص١٢٢ من الحقائق الخفية للأعظمي.

ومن مظاهر تفضيل الإمامة على النبوة قولهم عن الولاية:

انها سر النبوة وباطنها ويرسمون لها رسمًا دائريًا ابتداءً من دائرة كبيرة كتبوا عليها الرسالة ثم دائرة في داخلها كتبوا عليها النبوة ثم دائرة أخيرة في داخل هذه الدوائر وكتبوا عليها الولاية وهذه هي صورتها:

* الرسالة.

* النبوة.

* الولاية.

ويقولون إن الولاية إما كلية أو خاصة، فالولاية الخاصة تجلت في كل أولياء الله الذين سموا أنبياء. أما الولاية الكلية فقد تجلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وينسبون إليه أنه قال: كنت وليًا وآدم بين الماء والطين ولهذا ينعتون عليًا بأنه خاتم الولاية الكلية كما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء[1].

(٤) استمرار الإمامة أو تسلسلها:

إن هذا المعتقد ضمن أصل الإمامة مما يختلف فيه الاسماعيليون عن الإماميين الاثنى عشريين ذلك أن الفرقة الثانية وإن كانوا يسلسلون الإمامة إلى الإمام الثاني عشر فإنه يعتبر آخر الأئمة وليس لديهم من ذلك الوقت إمام إلى الآن طمعًا في خروجه من السرداب. فهم بذلك أوقفوا استمرار الإمامة عند الثاني عشر الغائب. بينما الاسماعيليون يردون بقوة على هذه الفكرة ويشنعون على إخوانهم الاثنى عشريين ويرون أن الإمامة - كما عبر داعيتهم جعفر بن منصور - اليمن - لا تتغير أبدًا مع مرور الدهر فالأئمة ينتقلون ويصيرون إلى دار كرامته ومحل رضوانه بغيبة أشخاصهم وقيام الخلف منهم مقام السلف باتصال الإمامة؛ لأنها تنتقل ولا تزول والأئمة يتوارثون بالانتقال والاتصال خلفا عن سلف[2].

---

(١) مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٢) أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ضمن المنتخب من بعض كتب الاسماعيلية لإيفانوف ص٥٢ وانظر كتاب قرامطة العراق لعليان ص١٨٠.

فالاسماعيليون يعتقدون أن الإمامة مستمرة أبد الدهر وأنها متسلسلة في الأعقاب ولذلك نجد لهم نصوصًا تجزم باستحالة خلو الأرض من إمام أما ظاهر أو مستور. كما قال الداعي الاسماعيلي حسن بن نوح: إن الأرض لا تخلو طرفة عين من قائم لله بحق لهداية عباد الله وخلقه إما ظاهراً مشهوراً أو باطنًا مستوراً[١].

كما يقول ابن الوليد: إن نور الإمامة غير منقطع وإن توارىٰ بالحجاب[٢] ويفسر أحد دعاتهم المشهورين قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ... ﴾[٣] بأن المقصود بذلك إمام الزمان الذي يجب أن يكون موجوداً إما ظاهراً أو مستوراً[٤].

وبعد أن أوجبوا استمرار الإمامة وعدم توقفها عينوا هؤلاء الأئمة تعيينًا يخرج غيرهم من فرق الشيعة وقالوا: ولا يكون أحد إمامًا إلا من أولاد علي والحسن والحسين ثم في أولاد الحسين لا في أولاد الحسن ثم في أولاد اسماعيل بن جعفر لا في أولاد أحد غيره[٥]. وهم بهذا يخرجون فرق الشيعة كلها ولا سيما الزيدية والإمامية وحرصًا علىٰ عقيدتهم في استمرار الإمامة أمد الدهر ابتدعوا عقيدة أخرىٰ أظهر ما فيها أنها لسد الثغرات التي تقع طبعيًا من انقطاع نسل أو دعوىٰ انتساب وغيرهما. تلك هي: نظرية الاستقرار والاستيداع.

(٥) نظرية الاستقرار والاستيداع:

وهي عقيدة اختص بها الاسماعيلية ويعنون بها أن الإمامة نوعان: إمامة مستقرة

---

(١) كتاب الأزهار ضمن منتخبات اسماعيلية لعادل العوا ص١٨٩.

(٢) رسالة الإيضاح لابن الوليد ضمن أربعة كتب اسماعيلية ص١٤٩.

(٣) سورة الإسراء: ٧١.

(٤) كتاب الافتخار لأبي يعقوب السجستاني ص٧٠.

(٥) جميع كتب الاسماعيلية تنص علىٰ ذلك ومنها علىٰ سبيل المثال دعائم الإسلام للقاضي الاسماعيلي بن حيون ١/ ٢٨ فما بعد وذلك تحت عنوان باب إيجاب الصلاة علىٰ محمد وعلي آل محمد ﷺ وعليهم وأنهم أهل بيته وانتقال الإمامة فيهم. وكتاب الأرجوزة المختارة لابن حيون أيضًا ص٣٠، كتاب المصابيح في إثبات الإمامة للكرماني ص١٠٩ فما بعد، عيون الأخبار للداعي إدريس ص٣٣٤ـ٣٣٥ وغيرها من كتب الاسماعيلية.

وإمامة مستودعة فحينما يتولى الإمامة شخص من آل البيت حسب سلسلتهم لهؤلاء الأئمة يكون مستقراً وهو الذي يملك نقل الإمامة إلى من بعده أما حينما يتولاها الحجة أو أحد الدعاة المقربين من الإمام فإنه يكون إماماً مستودعاً فتعتبر الإمامة عنده وديعة لا يملك نقلها إلى أحد البتة بل يسلمها إلى صاحبها الأصلي عند زوال أسباب الاستيداع فالإمام المستودع هو ذلك الشخص الذي يتولى الإمامة مؤقتاً كأن يكون الإمام المستقر صغيراً لا يستطيع القيام بمهام الإمامة أو يجب أن يكون مستوراً لا يظهر إلا للمقربين إليه في بعض الظروف الاستثنائية[١].

ويوضح الداعي الاسماعيلي أبو الخطاب نموذجاً عملياً لهذه العقيدة بقوله: فأودع اسماعيل حجته المنصوبة بين يديه مقامه لولده محمد وأقامه ستراً عليه واستكلفه إياه إلى بلوغه أشده فلما بلغ أشده تسلم وديعته[٢].

كما يقولون إن محمد ابن الحنفية استودع الإمامة بعد مقتل الحسين ثم سلمها إلى علي بن الحسين الملقب زين العابدين فتسلسلت في أبنائه حتى اسماعيل بن جعفر الصادق الذي استودعها أخاه موسى ليسلمها إلى ابنه محمد بن اسماعيل[٣].

وفي كتاب اسماعيلي سري يرى صاحبه أن الحسن بن علي رضي الله عنهما إمام مستودع للحسين رضي الله عنه وهذا نصه وجرت الإمامة في ولد علي وفاطمة بنت محمد عن أمر محمد وعلي لأمر يقصر عنه الفهم ولا يعلمه إلا الراسخون في العلم فظهر من بينهما الحسن عليه السلام وكان مستودعاً لسر الإمامة فلذلك انقطعت الإمامة عن عقبه ولم تجر في نسبه وكان الحسين صلوات الله عليه مستقراً لها فلذلك جرت في عقبه واتصلت في نسبه وكان عنده اجتماع ذلك النور المنقسم ومنه تسلسلت الإمامة في أولاده...[٤]. إلخ

---

(١) أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن. انظر قرامطة العراق لعليان ص١٨١.

(٢) غاية المواليد لأبي الخطاب نشر إيفانوف بعنوان المنتخب من بعض كتب الاسماعيلية ص٣٥ ـ ٣٦.

(٣) زهر المعاني للداعي ادريس عماد الدين ص٥٢.

(٤) رسالة تحفة المرتاد وغصة الأضداد لعلي بن الوليد ص١٦٨ ضمن أربعة كتب اسماعيلية جمع شتروطمان.

ومرت فترة عند الإسماعيلية تسمىٰ دور الستر تعميه وتغطيه لإمامة القداحيين الذين يقولون عنهم أئمة مستودعين فكان هذا هدفًا واضحًا من أهداف هذه النظرية التي يسمونها بالإمامة المستقرة والإمامة المستودعة وسترًا وإيغالا في باطنية نسبهم وانقطاعه قالوا حتىٰ عن المهدي ـ أول أئمة دور الظهور ـ إنه مستودع للإمامة يقول أبو الخطاب: ولما حضرت المهدي النقلة سلم الوديعة إلىٰ مستقرها وتسلمها محمد بن علي القائم بأمر الله وجرت الإمامة في عقبه حتىٰ انتهت الإمامة إلىٰ مستقرها ومعدنها واطمأنت بموضعها وموطنها[1].

والحقيقة أن هذه العقيدة لدىٰ الاسماعيلية لها أهمية كبيرة وذات مغزىٰ دقيق وسبق أن بينت ذلك في مراتب الأئمة[2].

(ب) الأئمـــة.

(١) دعوى ألوهية الأئمة:

أضاف الاسماعيليون إلىٰ أئمتهم صفات الألوهية وغلوا في ذلك غلواً مخرجًا عن ملة الإسلام فمن وصاياهم إلىٰ أتباعهم قول أحد دعاتهم: واعلم بأن الإمام الموجود للأنام لا يخلو منه مكان ولا يحوزه مكان؛ لأنه إلهي الذات سرمدي الحياة ولو لم يتأنس بالحدود والصفات لما كان للخلق إلىٰ معرفته وصول[3]. وجاء في كتاب المحصول للنسفي: أن الإمام هو غاية الوجود وهو المختار لفكاك الخلق من أسر الطبيعة والارتقاء بهم إلىٰ المنزلة الرفيعة فهو إلهي الذات سمردي الحياة تأنس بالحدود والصفات فصار غاية الغايات ومبدع الذات ومخترع الصفات ويعطي الخيرات والبركات وهو مبدع الابداع وصاحب الأمر المطاع وهو الفضل الغير معدود والغير

(١) غاية المواليد لأبي الخطاب ص١٢٩ من أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس.

(٢) القسم الأول من الرسالة ص٤٠٣ ـ ٤٠٨.

(٣) رسالة مطالع الشموس لشهاب الدين أبي فراس ضمن كتاب أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر ص٣٣.

محدود[١].

ومع ما في هذا النص من صراحة واضحة في دعوىٰ ألوهية أئمتهم فإن هناك من معاصريهم من جاهر بدرجة أكثر بهذه الدعوىٰ الخطيرة يقول غالب: إن الإمام هو أداة الباري من حيث الوحدة الحقيقية إذ كان مجرداً عن الجسم. فإذا ظهر الإمام بصورة الجسم كان اسم من أسماء الله وصفة من صفاته وإذا اتحدت صفاته العليا كان هو الله في الحقيقة. . . ثم يضيف إلىٰ أن الإمام في الوجود بمثابة الواحد في العدد[٢] وفي كتابين سريين تصريح بتأليه الأئمة عند الاسماعيلية فمما نقلوه ـ كذبًا وبهتانًا ـ عن محمد الباقر أنه قال: ما قيل في الله فهو فينا وما قيل فينا فهو في البلغاء من شيعتنا[٣] ونصوصهم عن هذه الفرية كثيرة جداً نقل الشيخ إحسان إلهي جمعًا منها في كتابه عن الاسماعيلية[٤].

ومن مظاهر تأليه الأئمة عند الاسماعيلية أنهم رمزوا إلىٰ الإمام في تأويلاتهم الباطنية بأنه هو وجه الله ويد الله وعين الله وغير ذلك من الصفات ولهم نصوص تؤكد ذلك. يقول صاحب سرائر النطقاء: فعلي روح الله القدسية التي أخضع لها كل المخلوقات وجعله السبب إلىٰ توحيده والدليل إلىٰ وجوده إذ نعته الله بصفته فهو جنب الله وعينه وأذنه ووجهه ويده لتأنس الخلائق إلىٰ معرفة توحيده بإقامة حدوده.

ومما رووه عن علي بن أبي طالب كذبًا أنه قال: قولوا في فضلنا ما شئتم لأنا أبواب الله وحججه وأمناؤه علىٰ خلقه وخلفاؤه وأئمة دينه ووجه الله وجنبه[٥].

وقد أكد داعي دعاة الاسماعيلية علىٰ هذه الأوصاف الإلهية في ديوانه فمما مخاطبًا أحد الأئمة الاسماعيلية:

---

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفىٰ غالب ص١٣ ـ ١٤ نقلاً من كتاب المحصول.

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص١٤.

(٣) كنز الولد للحامدي ص١٩٥، تأويل الزكاة لجعفر بن منصور اليمن ورقة ١٤٠.

(٤) الاسماعيلية تاريخ وعقائد للشيخ إحسان إلهي ص٢٩٩ ـ ٣٠٩.

(٥) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٨٢ ـ ٨٣.

فــــوجـــــهك وجــــه الإله المنيـــــر
ونـورك من نـوره كــــالحـــــجـــــاب

يـداك يد الـلـه مــــبـــــســــــوطتـــــان
وأنت لـه الجنب غـيـــــر ارتيــــاب

وإنـــــك بــــرهـــــانـــــه فـــي الأنـــام
وانك صـــمـــصــامـه في النصــاب

كما يقول أيضًا:

شـــــهــــــدت بـأنك وجـــــه الإلـه
وجـــــــوه الموالي بـه نـاضـــــــره

ويقول أيضًا:

هو الـوجـــه وجـــه الله والجنب جنبـــه
من الوحـي قـد قـامت عليـه الدلائل

كما يقول أيضًا:

قــــــد حله وجـــــه الإلـه وجنبــــــه
ولســـان صـــدق مـحـمـــد وجنانه[1]

وحينما نقلب النظر في كتب الاسماعيلية الباطنية القديمة نجد أن المؤيد الشيرازي الذي توفي في آخر القرن الخامس الهجري[2] قد استقى هذه الفكرة من كتب الحقيقة ممن سبقه فجعفر بن منصور اليمن الذي عاش في أواخر القرن الرابع الهجري[3] يقول عن هذه الأسماء والأوصاف: فعلي روح الله القدسية التي أخضع لها كل المخلوقات وجعله السبب إلى توحيده والدليل إلى وجوده إذ نعته الله بصفته فهو جنب الله وعينه وإذنه ووجهه ويده لتأنس الخلائق إلى معرفة توحيده بإقامة حدوده[4].

(١) ديوان المؤيد مقدمة محمد كامل حسين ص٨١ ـ ٨٢، والأبيات الثلاثة الأولى في القصيدة رقم ١١ من الديوان ص٢٣١.

(٢) أعلام الاسماعيليين لمصطفى غالب ص٦٠٠.

(٣) المرجع السابق ص١٨٥ ـ ١٨٦.

(٤) سرائر النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ص٥٦ نقلاً من ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٨٢.

ومن هذه النصوص وغيرها استخلص الدكتور محمد كامل حسين أن الاسماعيلية جعلوا للأئمة صفات لم تعرفها فرق الشيعة الأخرىٰ ففي تأويلاتهم الباطنية أن الإمام هو وجه الله ويد الله وجنبه وأنه هو الذي يحاسب الخلق يوم القيامة فيقسمهم بين الجنة والنار . . . إلخ الصفات التي ثبتت لله عز وجل ثم نقلوها إلىٰ الإمام حتىٰ قالوا: إن الإمام هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار[1].

ولكون هذه الأفكار والمعتقدات من الإلحاد والكفر الصراح فإنه ـ كما قال الدكتور حسين ـ يجب أن نلاحظ أن هذه الصفات التي أسبغوها على الأئمة والتي جعلته مثلاً للعقل الكلي لم يستطيعوا أن يصرحوا بها للعامة أو للمبتدئين من المستجيبين بل لم يكن يعرفها إلا من استمع إلىٰ داعي الدعاة نفسه في المجالس التي كان يعقدها للخاصة فقط أما أمام جمهور الناس ولا سيما في الدور الفاطمي بمصر فلم يكن الدعاة بقادرين على الإبانة عن هذه العقائد أو الإشارة إليها[2].

وقد صرح شعراء الاسماعيليين بفرية تأليه الأئمة وجاهروا بها بأسلوب المديح والثناء عليهم. فالحسن بن هانئ[3] يقول مخاطبًا المعز العبيدي:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار[4]

ويقول شاعر آخر في مدح الآمر:

بشرفي العين إلا أنه ... عن طريق العقل نور وهدى

جل أن تدركه أعيننا ... وتعالى أن نراه جسدا

تدرك الأفكار فيه بانيا ... كاد من إجلاله أن يعبدا[5]

(١) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٥٦ ـ ١٥٩.

(٢) المرجع السابق ص١٦٠.

(٣) شاعر اسماعيلي ولد في الأندلس سنة ٣٢٠هـ وقد طرد منها لتشيعه علىٰ مذهب الاسماعيلية ووفد علىٰ المعزي العبيدي في مصر وأقام في بلاطه يمدحه ويثني عليه علىٰ منهج الباطنية وقد غالىٰ في ذلك حتىٰ وصفه بالأوصاف الإلهية مما جعل أكثر النقاد يعتبره من الغلاة الملحدين وكانت نهايته غامضة حيث وجد مقتولاً سنة ٣٦٢هـ. انظر أعلام الاسماعيلية لمصطفىٰ غالب ص٤٩٩ ـ ٥٠٣.

(٤) ابن هانئ المغربي لمحمد اليعلاوي ص١٢٩، ديوان ابن هانئ ص٣٦٥ القصيدة الرابعة والعشرون.

(٥) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٥٩ وانظر الهفت الشريف ص١٧٧.

ويقول المؤيد الشيرازي في مدح المستنصر:

لأمــرك وجــهت وجــهي حنيــفــا
وأسلـمت نفــــسي في كل بـاب

فــوجـــهك وجـــه الإله المنيـــر
ونـورك من نـوره كـــالحــجــاب

يداك يد الله مـبـــســوطتـــان
وأنت له الجنب غـيــر ارتيــاب

إليك المآب عليك الحـســـاب
فطوبى لمن نـال حـــسن المآب

وأنت المثـــيب لأهل الثـــواب
وأنت المعــاقب أهل العــقــاب[1]

كما يقول ابن هانئ في موضع آخر مخاطبًا إمام زمانه:

ندعــوه منتــقــمــآ عــزيزًا قــادرًا
غـفـار موبقة الذنوب صفـوحـا[2]

ويقول تميم العبيدي في مدح العزيز العبيدي

ملك تزيد طبــاعــه كــرمًــا على
خلق المعــز وشـيــعــة المنصــور

أنا عـــبــــدك المخلوق منك
وإنني لجميل ما أوليت ألف شكور[3]

وفي موضع آخر يقول عنه:

مـــا أنت دون ملوك العــالمين ســوى
روح من القدس في جسم من البشر

نـور لطيف تناهى منك جـــوهره
تناهيا جاز حد الشمس والقمـر

مـعنى من العلة الأولى التي ســبــقت
خلق الهيـولي وبسط الأرض والمدر[4]

---

(١) ديوان المؤيد ص٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص١٥.

(٣) ديوان الأمير تميم بن المعز ص٢٠٩.

(٤) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٦٠، أعلام الاسماعيليين لمصطفى غالب ص١٧٥.

وهكذا نجد أن شعراء الاسماعيليين جاهروا بالكفر والإلحاد فوصفوا البشر بأوصاف الله عز وجل (تعالى الله عما يقول الظالمون).

وقد حاول بعض الكتاب المعاصرين ـ ممن يتعاطف أو يتساهل مع الاسماعيليين ـ الاعتذار عن هذا الكفر الصريح فقال: إن القدماء فهموا من هذا البيت[1] وأمثاله أن الأئمة كانوا يدعون الألوهية. والواقع أنهم لم يدعوها ولم يتخذهم أتباعهم آلهة لهم ولكن الفاطميين قالوا بأن الأئمة مثل للعقل الأول فهم ـ أي الأئمة ـ على هذا النحو أقرب الحدود إلى الله تعالى في عالم الكون والفساد كما أن العقل الأول أقرب الحدود العلوية إلى الله تعالى[2].

والواقع أننا إذا حللنا مرادهم بالعقل الأول اتضح لنا فساد الاعتذار وثبوت دعواهم ألوهية الأئمة. فالعقل الأول له أسماء متعددة عندهم حيث يطلق عليه السابق ويطلق عليه القلم ويصفون هذا العقل بأنه تام وكامل وأزلي وعاقل وعالم[3].

ومع التتبع لهذه الأسماء أو الأوصاف في كتب الحقيقة عندهم نجد أنهم يعتبرونها أسماء أو أوصافًا لله عز وجل ففي رسالة مطالع الشموس قولهم عن الله: أنه العقل المفضل والسابق التام وأن الله لما أظهر العالم من العدم إلى الوجود ظهر له اسم ليس كمثله شيء وهو العقل الأول[4].

وفي موضع آخر يقولون: إن أسماء الله الحسنى هي أسماء العقل الكلي أو السابق فهي تنطبق إذن على الناطق أو الإمام[5].

ومن هذه النصوص الاسماعيلية حكم الدكتور محمد كامل حسين على أصل الاسماعيليين هذا بقوله: إن ما يقوله المسلمون عن الله سبحانه وتعالى خلعه

---

(١) المقصود منه بيت الشعر الذي تفوه به ابن هانئ بقوله ما شئت لا ما شاءت الأقدار... إلخ وهو أصرحها كفراً وإلا ففيه مثله كثير ونقلنا آنفًا نماذج من ذلك.

(٢) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٩٨.

(٣) راحة العقل للكرماني ص٣٠١.

(٤) رسالة مطالع الشموس للداعي أبي فراس ضمن أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر ص٣٥ ـ ٣٦.

(٥) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٩٨.

الاسماعيلية على العقل الكلي فهو الإله عند الاسماعيلية وإذا ذكر الله عند الاسماعيلية فالمقصود هو العقل الكلي والعقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمام في العالم الجسماني ومعنى هذا عندهم أن كل الأسماء والصفات الثابتة لله عز وجل تصرف إلى العق الكلي ومن ثم هي للإمام؛ لأنه مثل للعقل الكلي فأسماء الله الحسنى التي قالوا إنها أسماء العقل الكلي هي أسماء الإمام فالإمام إذن هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار . . . إلخ الأسماء[1].

(٢) نورانية الأئمة:

من مظاهر غلو الاسماعيليين في أصل الإمامة والأئمة زعمهم بأن تكوينهم الخلقي يختلف عن سائر البشر ولا يقل هذا الزعم خطورة عن سابقه بل إنه يعتبر سلمًا ودرجة للقول بألوهية الأئمة فزعموا عن الإمام أنه مكون من جزئين جزء لاهوتي وجزء ناسوتي وبعبارة أدق إله في جسم إنسان.

ومما قاله الباطنيون عن ذلك: إن محمداً وعليًا خلقا من نور واحد ونسبوا إلى علي ابن أبي طالب ـ كذبًا وبهتانًا ـ أنه قال: أنا ومحمد من نور واحد من نور الله تعالى. وأنه قال أيضًا: نحن نور من نور الله وشيعتنا منا.

وفي شعر المؤيد ما يدل دلالة واضحة على هذه الفكرة يقول عن الأئمة:

من شجر العقل الثمر	مجدهم الله بنى
لهم معاني الزبر	وفضل آي الزمر
من نور ربي خلقوا	طابوا وطاب الخلق

وحينما زعموا أن الإمام خلق من نور الله قالوا عن جسمه الذي يمثل المحسوسات أنه عقل بالنسبة لأجسام البشر يقول الداعي المؤيد في مدح إمامه المستنصر العبيدي:

ذو نسبة بالمصطفى	والمرتضى يسمو ويعلو
بكثيفة ولطيفة	فأساسه نفس وعقل[2]

(١) انظر طائفة الاسماعيلية ص١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) انظر ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٧٦، ٨٨، ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

ومن شعر تميم العبيدي قوله في مدح أخيه العزيز العبيدي:

ما أنت دون ملوك العالمين سوى
روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره
تناهيا جاز حد الشمس والقمر
معنى من العلة الأولى التي سبقت
خلق الهيولي وبسط الأرض والمدر[1]

ومن مزاعمهم عن الأئمة أن كثائف الأئمة وهي الجزء الناسوتي لطائف لغيرهم ولذا شبهوا هذه الأجسام بالياقوت الأحمر الذي يفوق جميع الأحجار مع كونه حجراً. كما زعموا أن الإمام الاسماعيلي حينما يكون جنينا في بطن أمه فإنه لا يتغذى من دم الحيض كسائر البشر بل يتغذى دهنا لطيفا شريفا مع ما لأمهات الأئمة من خاصية عدم الحيض وإذا خرج هذا الجنين ففيه من الصفاء والإشراق والنور والضياء ما يفوق الوصف ـ مع أنه جسم ـ ثم بعد خروجه يتصل به الهيكل النوراني بوساطة من العقل الأول بعد النص عليه بالإمامة من والده وهكذا[2]!!

(٣) علم الأئمة للغيب:

ادعى الاسماعيلية لأئمتهم خاصية لا يملكها أو يتصف بها سوى الله عز وجل العليم الخبير فزعموا أن أئمتهم يعلمون الغيب ويكشفون عن المكنون!! وهذه نصوصهم ناطقة بنفسها شاهدة على فريتهم وقولتهم العظيمة. يقول قاضيهم ابن حيون وجاء عن أولياء الله من الأخبار عما كان ويكون من أمر العباد[3].

ويقول الكرماني عند ذكره للحاكم: إن له معجزة بل معجزات وأخبار بالكائنات قبل كونها وإظهاراً للعلوم المكنونة[4].

---

(١) أعلام الاسماعيليين لمصطفى غالب ص١٧٥، طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٦٠.

(٢) انظر مسائل مجموعة من الحقائق العالية جمع شتروطمان بعنوان أربعة كتب اسماعيلية ص٨.

(٣) تأويل الدعائم للقاضي بن حيون ١/ ١٤٥.

(٤) المصابيح في إثبات الإمامة للكرماني ص١٤٠.

وقال المؤيد الشيرازي: إن الأئمة يعلمون من أمر المبدأ والمعاد ما حجبه الله عن كافة العباد[1].

وحينما نقلب النظر في تفاسير الاسماعيلية للآيات أو الأحاديث نجد التركيز الواضح على هذه الدعوى وتقريرها وكأنها خاصية من خصائص الأئمة الملازمة لهم. فعند قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾[3]. قال الاسماعيليون إن الآيتين في صفة الأئمة وذلك أن الله تعالى أطلعهم بمادته وتأييده لهم على نيات الخلق وما تخفيه صدورهم فما يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا وعندهم صلوات الله عليهم علمه كما جاء في الرواية عن مولانا الصادق صلوات الله عليه أنه قال يومًا لبعضهم ما كان عاملاً البارحة في دار فلان فاستحي الرجل من كلامه صلوات الله عليه فقال بعض من حضره أو تعلم ما يفعل يا ابن رسول الله فقال: ما كان الله ليجعلنا شهداء على خلقه ويحجب عنا شيئًا من أمورهم استحيوا منا في السر كما تستحيون منا في العلانية[4].

وعند حديث النبي ﷺ عن فضائل القرآن والذي فيه: «**فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم**» قال قاضي الاسماعيلية بن حيون إن المعز فسر الحديث وقال عنه: هذا حديث رواه عامة أصحاب الحديث فينبغي لهم أن يطلبوا في القرآن خبر من يأتي من بعدهم فإن لم يجدوه فليسألوا عنه أهله كما أمرهم الله عز وجل بقوله: ﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[5] ثم نقل ابن حيون قول المعز: إن عندنا علم ما يطلب وفسر ذلك بأنه كقول علي رضي الله عنه. سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا تسألونني عن علم ما كان وما يكون وعن علم ما لا تعلمون إلا أخبرتكم

(١) المجالس المؤيدية للشيرازي ص٤٤١.

(٢) سورة ق: ١٨.

(٣) سورة البقرة: ١٤٣.

(٤) مسائل مجموعة من الحقائق العالية جمع شتروطمان ص١٦٥ ضمن أربعة كتب اسماعيلية.

(٥) سورة النحل: ٤٣.

علمنيه النبي الصادق عن الروح الأمين عن رب العالمين[١].

وقد نقلت أحداث ووقائع من تاريخ أئمة الاسماعيلية تدل على ثبوت هذه الفرية فمنها ما ذكره ابن حيون عن المعز أنه قال: لقد كان القائم يأخذني وأنا في سن الأطفال فيضمني إلى صدره ويقبل ما بين عيني ويقول: أنت أبو تميم ويحمد الله وما كنت أدري يومئذ بذلك. ثم قال: أفمن أودعه الله علم ما يكون يجهل فضله فكيف بمن علمه الله علم ما يكون مما لم يكن بعد[٢].

ومما نقله ابن حيون عن المعز أنه تناظر رجلان أبان حكمه فقال أحدهما: إن الإمام يعلم الغيب وقال الآخر لا يعلم الغيب فرفع حالهما إلى إمامهم المعز فقال لهم: إن الغيب على ثلاثة أوجه أو حدود فوجه استأثر الله به عن عباده ووجه آخر ما يحتاج إليه في الشريعة ووجه ثالث مخزون لصاحب القيامة وهو الإمام القائم يعلم ما يكون ولو شاء إمامك أن يتلو عليك ذلك لفعل[٣].

وفي الخلاف الذي وقع بين أبناء المستنصر العبيدي حول الإمامة والذي نتج عنه الانقسام الكبير في إمامة الاسماعيلية حيث أصبحوا فرقتين كبيرتين هما المستعلية والنزارية نجد أن والدهما نص على إمامة المستعلي قبل ولادته بدعوى أنه يعلم ما في ظهره من مولود قبل الحمل به فقال لابنيه المتنازعين: لا تشاجرا ولا تنازعا فليس واحد منكما بصاحب هذا الأمر وإنما صاحبه ها هنا وأشار بيده إلى ظهره وكان المستعلي حينئذ لم يولد بعد وهذا كان في يوم مشهود ومقام غير خفي ولا مجحود[٤].

ونتيجة لذلك فإن الاسماعيلي المعاصر عارف تامر قال مقرراً لمثل هذه الواقعة وغيرها: أن الإمام بما أوتيه من معرفة خارقة للعادة يستطيع أن يعرف أي أبنائه قد نال الإمامة بالنص وأن الإمام لا يخطئ في معرفته هذه بحال من الأحوال وإلا لما عد

---

(١) المجالس والمسايرات للقاضي ابن حيون ص٢٧٢.

(٢) المجالس والمسايرات ص٤٠٤ تحت عنوان الأئمة يعلمون ما يكون قبل أن يكون.

(٣) الرسالة المذهبة لابن حيون ورقة ٨٥ ـ ٨٦.

(٤) الوثائق الفاطمية للشيال ص٢١٦.

إماماً[١].

ومع دلالة هذه النصوص والأحداث التاريخية والوقائع يبقى من المغالطة الفاحشة والتناقض البين محاولة بعض أئمة وعلماء الاسماعيليين نفي هذه التهمة والتظاهر بعدم الاعتقاد بها[٢] لا سيما أن أكثر من نفاها المعز وقاضيه ابن حيون وهما أكثر من نقل عنه تقرير دعوى علم الغيب للأئمة واعتبارها معتقداً يتصل بأصل الإمامة والأئمة.

(٤) عصمة الأئمة:

كما ادعى الاسماعيليون خصائص وصفات للأئمة تؤلههم أو تشبههم بالإله كذلك ادعوا أن للأئمة صفات وخصوصيات تلحقهم بمنزلة الأنبياء أو تفضلهم في بعض الحالات ومن ذلك قولهم بعصمة الأئمة التي ينبني عليها تقبل كل ما يروى وينقل عنهم بلا مناقشة أو نظر أو تفكير لصدور ذلك عن شخصية معصومة عن الخطأ والسهو والنسيان. وهذه بعضاً من عباراتهم.

يقول الشيرازي: إن الإمام يساوي النبي في العصمة والاطلاع على حقائق الخلق في كل الأمور إلا أنه لا ينزل عليه الوحي وإنما يتلقى ذلك من النبي؛ لأنه خليفته وبإزاء منزلته ولا يعصم غيره من الخلق حتى الأنبياء أنفسهم[٣] ومما قال أحد شعراء الاسماعيلية في إثبات العصمة:

أن الإمام قائم بالحكم — بين الورى مؤيد بالعصمة

وكلما يفعله صواب — لا شك في ذاك ولا ارتياب[٤]

ويعللون وصف الإمام بالعصمة بأن الحاجة إليه إنما كانت لقيامه مقام الرسول ﷺ

---

(١) الإمامة لعارف تامر ص٦٥.

(٢) انظر دعائم الإسلام لابن حيون ١/ ٥٥، المجالس والمسايرات ص٨٤، ٥٢٣، طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٥١ ـ ١٥٣.

(٣) انظر قرامطة العراق لعليان ص١٧٨.

(٤) القصيدة الصورية لمحمد علي الصوري ص٦٥.

فيما يتعلق به من أمر الدين وحفظ نظامه. ولما كانت الحاجة إلى القائم مقام الرسول ﷺ لذلك وجب أن يكون معصومًا فتكون عصمته سبب ائتلاف الجماعة(١).

ومن أدعية المعز العبيدي قوله: الحمد لله الذي منَّ علينا بالعصمة ولم يجعل لنا فيما حرمه علينا من شهوة(٢).

وفي كتاب الحقائق العالية قول علي بن الوليد: فهل أيها الاخوان بعد كلام الإمام المعصوم يطلب شاهد وهل بعد ورود ماء الحياة النازل من دار الإبداع يظمأ وارد... إلخ(٣).

ومن مظاهر الغلو في الأئمة ما نجده مسطراً في مؤلفات الاسماعيلية من وصف للأئمة بصفات الأنبياء والرسل أو سد طرق قبول الأعمال والأجر عليها سوى طريق واحد وهو طريق الأئمة. فولاية علي بن أبي طالب ـ عند الاسماعيلية ـ أساس قبول الأعمال والطاعات.

يقول جعفر بن منصور اليمن عن ذلك: إن الله لا يقبل توبة نبي ولا اصطفاء وصي ولا إمامة ولي ولا عمل طاعة من عامل ولو تقطع بالعبادة واجتهد إلا بولاية علي بن أبي طالب ومن أتى بغير ولايته أسقطت نبوته ووصايته وصالح عمله ولم يقبل الله منه ولا زكي عمله؛ لأنه مجمع الأنبياء والأولياء والأئمة من أول الأدوار إلى قيامه(٤).

ويقول أيضًا: لا دين إلا بطاعة علي وولايته ولا نعمة تامة إلا مودته ومحبته ولا قبل للأمة فرض ولا سنة ولا عمل مفترض إلا بطاعة زوج البتول وموالاته ومحبته والأئمة من ولده يرثون مقامه وفضله(٥).

---

(١) المصابيح في إثبات الإمامة للكرماني ص٩٦ ـ ٩٧.

(٢) المجالس والمسايرات للقاضي النعمان ص٤١٨.

(٣) رسالة الإيضاح والتبيين لابن الوليد ص١٥٠ ضمن كتاب أربعة كتب اسماعيلية لشتروطمان.

(٤) الأنوار اللطيفة للحارثي ص١٢٦ ضمن الحقائق الخفية.

(٥) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٧٠.

وفي خطبة سماها الاسماعيلي المعاصر مصطفى غالب خطبة البيان[١] ونسبها ـ كذبًا وزورًا ـ إلى علي بن أبي طالب ومما ورد فيها قول علي عن نفسه: أنا سر الأسرار أنا قائد الأملاك أنا حفيظ الألواح أنا الأول والأخر أنا الباطن والظاهر. أنا إمام المتقين أنا صاحب البيعتين أنا رب بدر وحنين... إلى أن يقول أنا والله وجه الله أنا أسد الله أنا كاشف الكرب[٢] إلى آخر الكلمات التي تقطر كفرًا وإلحادًا.

ومثل هذه الخطبة أو أشد منها ما نقله داعي الاسماعيلية المطلق ادريس عماد الدين عن علي بن أبي طالب ـ كذبًا وبهتانًا ـ أنه قال عن نفسه: أنا أحيي وأميت وأخلي وأرزق وأبرىء الأكمه والأبرص وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم[٣].

ونقل المؤيد الشيرازي عن علي أيضًا أنه قال على منبره أنا الأول وأنا الآخر وأنا الظاهر وأنا الباطن وأنا بكل شيء عليم. وأنا الذي رفعت سماءها وأنا الذي دحوت أرضها وأنا أنبت أشجارها وأنا الذي أجريت أنهارها[٤].

وهذا الغلو المخرج من الملة الإسلامية بل من الملل كلها لم يقصروه على علي بن أبي طالب بل نقلوه إلى الأئمة من بعده وذلك كالحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق ويدل على ذلك قول المؤيد الشيرازي: فلو أن رجلاً عمل بفرائض الله وسننه التي جاء بها رسوله كلها ثم لم يقترن بعمله اعتقاد ولاية الرسول عليه الصلاة والسلام الآتي بها لم يغن عنه ما عمل فتيلاً ولم يتبع غير أهل النار سبيلا إذ ولاية الرسول كالمركز الذي تدور عليه دائرة الفرائض فلا يصح وجودها إلا بوجوده وإذا كانت هذه انسبة الرسول في حياته كانت نسبة من يوليه أمر دينه مثلها

(١) زعم مصطفى غالب أن أصل هذه الخطبة نسخة خطية بمكتبته الخاصة!! وأن الداعي سليمان درويش نقلها سنة ١٢٤١هـ ووضعها في كتاب سماه رسالة مختصرة في تحقيق اعتقاد الاسماعيلية. ومن الجدير بالذكر أن الناشر ـ على الرغم من اسماعيلية ـ تبرأ منها وقال إن هذا القول مدسوس على علي بن أبي طالب ولا يقوله مؤمن إلا عابد وثن انظر تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٤٢، ٤٨.

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص٤٤ ـ ٤٧.

(٣) زهر المعاني للداعي إدريس ص٧٧.

(٤) المجالس المؤيدية للشيرازي ص١٤٧.

وكمثل ذلك نسبة من يليه ومن يلي من يليه ما انتقلت الولاية من واحد إلى واحد وورثها ولد عن والد إذ الولاية هي الأصل الذي يدور عليه موضوع الفرائض[١].

أما اسماعيل بن جعفر الذي تنسب الاسماعيلية إليه وهو إمامها السادس فيقول عنه لويس: أنه في المصادر الاسماعيلية الإمام ذو المنزلة التي توشك أن تجعله إلهًا ومن أرباب الإطلاق[٢].

وفي مسائل مجموعة اعتبرها الاسماعيليون من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية سؤال عن اسماعيل بن جعفر وكان الجواب أن لاسماعيل مقامًا يستوي مع مقامات الأنبياء والأوصياء وأنه قادر على أن يفعل ما يشاء من الأمور المعجزة التي لا يقدر عليها البشر ومن ذلك أن اسماعيل شوهد حيًا مرة أخرى بعد موته وما فعله بأحد شيعته في البصرة من مسحه على ظهره حيث بريء من علته وانطلق يمشي بعد أن كان مقعدًا وكان كل ذلك إظهارًا للعجز والمعجز[٣].

وقد كرر صاحب هذه المسائل ما زعمه معجزة خارقة لاسماعيل وقال: إن هذه المعجزة تبين فضل اسماعيل وعالي رتبته وأنه يقدر على الظهور أي وقت شاخصًا بجسمه للعيون مع قدرته أيضًا على الغيبة بمادة المحتجب بهم الناظر إليهم[٤].

أما محمد بن اسماعيل بن جعفر إمامهم السابع فيعتقدون فيه معتقدات غالية كل واحد منها مخرج من الملة وتتلخص بالآتي:

(١) أنه رسول وصاحب شريعة جديدة.

(٢) أنه ناسخ لشريعة الناطق قبله ويعنون به محمداً ﷺ.

(٣) أنه ند ونظير للأنبياء والرسل بل يفضلهم لكونه (قائم القيامة).

---

(١) المجالس المؤيدية للشيرازي انظر ديوان المؤيد ص٧٠ ـ ٧١.

(٢) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٠٧.

(٣) مسائل في الحقائق جمع شترطمان ص١٥ ـ ١٦.

(٤) المرجع السابق ص١٢٠ ـ ١٢٧.

(٤) أنه من النطقاء السبعة وهم آدم وأولي العزم من الرسل الخمسة والسابع محمد ابن اسماعيل.

أن هذه المعتقدات من الغرابة بمكان ولا يصدق بها أي إنسان مهما كان ولكن القول الفصل في ثبوتها لدى طائفة الاسماعيلية ما هو مسطر في كتبهم ورسائلهم السرية التي ظهرت ونشرت أخيراً.

يقول الداعي الحارثي: إن محمد بن اسماعيل يعتبر متمًا للدور وخاتمًا للرسل المنتهية إليه غاية الشرائع المختومة به المشتمل على مراتب حدودها المحيط بعلومهم وهو القائم بالقوة صاحب الكشفة الأولى قائم القيامة الكبرى.

كما يقول الحارثي أيضًا: إن قيام محمد بن اسماعيل يعتبر تمام دور الستر واعتقاد دور الكشف ونسخ شريعة الرسول السادس[١].

وبذلك عبر المعز العبيدي في دعاء من أدعيته قائلاً: وعلى القائم بالحق الناطق بالصدق التاسع من جده الثامن من أبيه الكوثر السابع من أبائه الأئمة سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيث وسابع الأئمة من البررة... إلى قوله الذي شرفته وعظمته وكرمته وختمت به عالم الطبيعة وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ﷺ كل ذلك بالقوة لا بالفعل لكونه قائمًا بالقوة[٢].

ومما قرره الاسماعيلية قاطبة نظرية النطقاء السبعة[٣] ويعنون بهم ـ كما يقول الحارثي ـ آدم وهو أولهم والثاني نوح والثالث ابراهيم والرابع موسى والخامس عيسى والسادس محمد (عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) والسابع محمد ابن

---

(١) يقصد عندهم بالرسول السادس محمداً ﷺ وذلك حسب تقسيماتهم وجداولهم في فكرة النطقاء السبعة.

(٢) الأنوار اللطيفة للداعي الاسماعيلي طاهر الحارثي ص١٢٩ ـ ١٣٠ ضمن كتاب الحقائق الخفية للأعظمي.

(٣) انظر إثبات النبوات للسجستاني ص١٩٣.

اسماعيل[١].

ويقول داعي الاسماعيلية المشهور عماد الدين ادريس في كتابه زهر المعاني: فقام محمد بن اسماعيل - وهو سابع الأئمة وقائمهم - باللسان فأظهر العلوم وبين الحقائق وكشف لخلصائه منها السر المكتوم فظهرت منه حقائق ومعجزات ودلائل وآيات لم تظهر في الأئمة قبله ولا قام أحد من الأئمة كمثله لأنه السابع صاحب القوة والظهور والضياء والنور ومبين العلم المستور . . . ثم يبين سبب تسميته بالناطق فيقول: وإنما وقع عليه اسم الناطق السابع لنطقه بالأمر الإلهي وجمعه للفضل الذي هو إليه متناهي . . . وخص محمد بن اسماعيل بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر لأنك إذا عددت آدم ووصيه وأئمة دوره كان خاتمهم الناطق وهو نوح عليه السلام وهو الناطق الخاتم للنطقاء وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفرداً وإذا عددت الأئمة في دوره كان محمد بن اسماعيل سابعهم وللسابع قوة على من تقدمه فلذلك صار ناطقًا وخاتمًا للأسبوع وقائمًا وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس[٢].

ومع غلو وضلال الشيعة الاثنى عشرية في أئمتهم فقد أنكروا على الاسماعيلية هذا الغلو والضلال في معتقداتهم في سابعهم وحكوا مقالتهم على سبيل السخرية والاستهزاء بعقولهم وهم كذلك. يقول القمي: إن الاسماعيلية زعموا أن محمد بن اسماعيل حي لم يمت وأنه غائب مستتر في بلاد الروم وأنه القائم المهدي. ثم يفسر معنى القائم عندهم بأنه الذي يبعث برسالة وشريعة جديدة وينسخ بها شريعة محمد وأن إمامهم محمد بن اسماعيل من أولي العزم من الرسل[٣]!!

وبالرغم مما نقلت عن الاسماعيلية ومزاعمهم عن أئمتهم وما يتصف به هذا الفكر

---

(١) الحقائق الخفية للأعظمي ص١٣٠. وما بين القوسين زيادة مني تكريمًا وتعظيمًا لأنبياء الله ورسله عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

(٢) زهر المعاني للداعي عماد الدين ادريس ص٥٣ - ٥٤. وسبق أن بينت مقصدهم بالسادس في الصفحة السابقة.

(٣) المقالات والفرق لسعد القمي ص٨٤.

من الغثاء والفحش فإني أعرضت عن كثير من ألفاظهم المركبة كفراً وإلحاداً وذلك تجنباً للإطالة وابتعاداً عن فحش الألفاظ والعبارات التي ينزه القلم والورق عن كتابتها وتسطيرها ورحم الله الإمام الغزالي الذي أهمل الكثير من خرافاتهم وألفاظهم وذلك ضنة بالبياض أن يسود بها[١].

والخلاصة فإن معتقدات الاسماعيلية تدور حول أصل الإمامة والاعتقاد بالأئمة والأخذ عنهم والتعلق بهم واعمل من أجلهم فالإمام عندهم محور أساسي لجميع الأعمال والاعتقادات وأصل لقبول الطاعات والقربات. يقول الداعي الشيرازي: إن من تعلق بأذيال الأئمة وضحت له معالم التوحيد سليمة من التشبيه والتعطيل ومن تخلف عنهم عرق في طوفان الضلال والتضليل. وإن من سقط عن ولايتهم سقط عن توحيد ربه وكان ممن ران الشيطان على قلبه فمقامات الوصي والأئمة الأشهاد مصححة للتوحيد وعدة للمعاد. ولو كان يقع الغني عنهم في هذا العلم الذي هو المنتهى والقطب الذي تدور عليه الرحا لكان الغنى عنهم في الفروع التي هي محمولة عليه وأكثر وأوفى وأوفر فأهل النفاق الذين لم يلوذوا بالوصي والأئمة في اقتباس أنوار التوحيد منهم ولم يعتصموا بعلائق اليقين في الأخذ عنهم يخادعون الله والذين آمنوا تحلية لظاهر أجسامهم بحلية الدين وتخلية لباطن نفوسهم عن أن يردوا بها عين اليقين فهم من حيث ظاهر إسلامهم مشهورون ومن جهة الإيمان متكورون يخادعون الله والذين آمنوا بطلوعهم عن مطالع الأئمة فهم مأمونون وتبرجهم بزينة البصراء وهم عمون[٢].

ومما له تعلق بهذا الأصل عند الاسماعيلية جملة وقائع وأحداث تدل على تطبيقهم العملي لأصلهم هذا وفي أحداثهم التاريخية ووقائعهم بعض أعمال من أتباعهم أو تلاميذهم تدل على ما للإمام والأئمة من أثر وتأثير على حياتهم وسلوكهم ومن هذه الأعمال:

(١) ادعاء أن الإمام ينزل عليه طعام أهل الجنة وكان حمدان قرمط ـ وهو واحد

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص٤٤.

(٢) المجالس المؤيدية للشيرازي ص٣٤٦.

من تلاميذ الإمام الاسماعيلي - يصنع طعامًا حلوًا لذيذًا على قدر البندق ويقدمه لأتباعه إذا أدوا له سبعة دنانير زاعمًا أن ذلك طعام أهل الجنة وأنه نزل على الإمام من ولد علي بن أبي طالب[١].

(٢) أن الإمام الاسماعيلي يملك نواصي الأمور بل يملك الدنيا والآخرة ويتضح هذا الزعم عند دعاة الاسماعيلية من المحاورة التي جرت بين الداعية الاسماعيلي حسين الأهوازي وبين تلميذه حمدان قرمط وذلك حينما التقيا بسواد الكوفة ولقنه الأول منهما أصول الدعوة واستجاب له الثاني في جميع ما دعاه وصار أصلاً من أصول هذه الدعوة[٢].

(٣) السجود لأئمتهم وزعمائهم وذلك عند رؤيتهم وهذه الظاهرة الخطيرة مما تكررت لديهم ونقلها جمع من المؤرخين فحينما ظهر زكرويه بن مهرويه من مخبأه ترجل له أتباعه وألصقوا خدودهم بالأرض وطافوا به وفي لحظة رؤياه سجدوا له[٣].

وقد حاول قاضي الاسماعيلية تأويل هذا السجود بالدفاع عنه وبيان الهدف منه بعد إقراره بوقوعه وموافقة الأئمة على ذلك يقول: فالرعاع وأوباش الناس والعوام ينكرون السجود للأئمة ويرونه سجوداً من دون الله تعالى عن قولهم ونزه أولياءه من افترائهم عليهم وبين أن هذا السجود هو نوع من تقبيل الأرض بين يدي الأئمة بدلاً من تقبيل أيديهم وليس المقصود به السجود لهم من دون الله[٤].

ويصف المؤيد الشيرازي بنفسه لحظة دخوله على إمامه المستنصر بقوله: فلم تقع عيني عليه إلا وقد أخذتني الروعة وغلبتني العبرة وتمثل في نفسي أنني بيد يدي رسول الله وأمير المؤمنين ماثل وبوجهي إلى وجهيهما مقابل واجتهدت عند وقوعي إلى الأرض ساجداً لولي السجود ومستحقه... إلى أن قال ولما رفعت رأسي من السجود

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٥٦، نهاية الأرب للنويري ٢٣/ ورقة ٥٦.

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص١٣ ـ ١٤.

(٣) تاريخ أخبار القرامطة لابن سنان ص٣٠.

(٤) الهمة في آداب أتباع الأئمة للقاضي ابن حيون ص ١٠٥.

وجمعت علي أثوابي للقعود مكثت عنده ساعة لا ينبعث لساني بنطق ولا يهتدي لقوله . . . إلخ .

(٤) استباحة دم الخارج على الإمام واعتباره كافراً فعبدان القرمطي مع اعتباره تلميذاً لأحد دعاة الاسماعيلية ثم داعية من دعاتهم إلا أنه قتل وقضي عليه بحجة أنه خارج على الإمام وعاص لأمره ولذلك كانت نهايته نهاية غامضة. كما أن أحد المعتنقين لمذهب الاسماعيلية والقرامطة أراد قتل أمه لأنها لم تعتنق مذهبه ودينه واعتبرها كافرة ومما قال لها: يا أماه اتركي هذا الدين ـ أي الإسلام ـ وادخل معي في هذه الدعوة والدين ما نحن فيه اليوم[١] .

ومما كتبه الحسين بن زكرويه ـ وهو أحد دعاة القرامطة ـ إلى أحد عماله قائلاً: أما بعد فقد أنهي إلينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة وما فعلوها بناحيتك من الظلم والعبث والفساد في الأرض . . . إلخ[٢] .

(ج) تصوير علماء الفرق لأصل الاسماعيلية في الإمامة والأئمة:

إن ما تقدم من نصوص اسماعيلية عن أصل الإمامة كاف في بيان غلوهم وتصوير مذهبهم بكل دقة وأمانة وكيف لا والنصوص نصوصهم والمصادر كتبهم ومن نطق بها أو كتبها أئمتهم وعلمائهم. وقوة في الحج ودقة في تصوير مذهبهم ننقل ما سطره علماء الفرق والمقالات الذين صوروا مذهبهم تصويراً دقيقًا وحكموا عليهم أحكامًا واقعية وذكروا ما يمكن ذكره من مذهبهم المليء غثاء وأساطير وتجنبوا ذكر الألفاظ الكفرية والعبارات الهائمة التي لا نصيب لها من العلم أو اللغة[٣] .

يقول الإمام الغزالي: وقد اتفقوا ـ أي الباطنية ـ على أنه لابد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل الإشكالات في القرآن

---

(١) تاريخ أخبار القرامطة لابن سنان ص٢١ .

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٧٤ .

(٣) وذلك كعباراتهم في تأليه الأئمة ووصف سابعهم محمد بن اسماعيل بصفات أولي العزم من الرسل مما سبق أن نقلناه بعباراتهم وألفاظهم في أول هذا الفصل .

والأخبار والمعقولات واتفقوا على أن هذا الإمام هو المتصدي لهذا الأمر وأن ذلك جار في نسبهم لا ينقطع أبد الدهر . . . واتفقوا على أن الإمام يساوي النبي في العصمة والاطلاع على حقائق الحق في كل الأمور ولا يتصور في زمان واحد إمامان ويستظهر الإمام بالحجج والمأذونين والأجنحة . . . ثم قالوا : إن لكل فترة زمنية نبي ناطق ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله ومعنى الصامت أن يكون قائمًا على ما أسسه غيره وبين كل ناطق وآخر ستة أئمة وعدد النطقاء سبعة أولهم آدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ﷺ وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين وسوسه[١] علي بن أبي طالب وبعده ستة من الأئمة سادسهم جعفر الصادق وقد استتموا سبعة مع محمد بن اسماعيل الذي صار ناسخًا لما قبله وهكذا يدور الأمر أبد الدهر . . . إلى أن يقول الغزالي هذا ما نقل عنهم مع خرافات كثيرة أهملنا ذكرها ضنة بالبياض أن يسود بها[٢] .

ويقول الملطي : إن الاسماعيلية يقولون عن أئمتهم أنهم يعلمون الغيب ويقدرون على كل شيء ولا يعجزهم شيء ويقهرون ولا يقهرون ويعلمون ولا يعلمون ولهم علامات ومعجزات وأمارات ومقدمات قبل مجيئهم وظهورهم وبعد ظهورهم يعرفون بها وهم مباينون لسائر الناس في صورهم وأطباعهم وأخلاقهم وأعمالهم[٣] .

ويقول ابن الجوزي : إن الطريق الذي سلكه الاسماعيلية هو اختيار رجل يزعم أنه من أهل البيت يجب على كل الخلق كافة متابعته ويتعين عليهم طاعته ويكون هذا الإمام معصومًا من الخطأ والزلل من جهة الله تعالى[٤] . وفي موضع آخر قال عن الاسماعيلية أنهم اتفقوا على أنه لابد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر مساو للنبي عليه الصلاة والسلام في العصمة[٥] .

---

(١) عرف الإمام الغزالي السوس بأنه هو الباب إلى علم النبي في حياته والوصي بعد وفاته والإمام لمن هو في زمانه . وانظر فضائح الباطنية للغزالي ص٤٣ .

(٢) انظر فضائح الباطنية للغزالي ص٤٢ ـ ٤٤ .

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص٢٠ .

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٦ .

(٥) المرجع السابق ص١٠٨ .

أما الشهرستاني فيقول عنهم فيما يتعلق بأصل الإمامة: أنهم قالوا لن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور فإذا كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون حجته مستوراً وإذا كان الإمام مستوراً فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين وقالوا: إن الأئمة تدور أحكامهم على سبعة سبعة كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبعة ومن مذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية[1].

وحتى علماء الفرق من الشيعة الإمامية ذكروا معتقدات الاسماعيلية ذمًا لها وبيانًا لغلوهم فيها فمما ذكره النوبختي عن إمامة محمد بن اسماعيل أو دعوى نبوته نقلاً عن الاسماعيلية أنهم قالوا: لا يكون بعد النبي ﷺ إلا سبعة أئمة علي بن أبي طالب وهو إمام رسول، والحسن والحسين وعلي بن الحسين و، محمد بن علي وجعفر بن محمد ومحمد بن اسماعيل بن جعفر وهو الإمام القائم المهدي ومعنى القائم المهدي عندهم أنه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد ﷺ. واعتلوا في نسخ شريعة محمد ﷺ وتبديلها بأخبار رووها عن أبي عبدالله جعفر بن محمد أنه قال: لو قام قائما علمتم القرآن جديداً. وأنه قال بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء ونحو ذلك من أخبار القائم.

ويزعمون كذلك أن لا نبي بعد نبيهم المزعوم فهم يعتقدون أن محمد بن اسماعيل هو خاتم النبيين الذي حكاه الله عز وجل.

كما يعتقدون أن محمد بن اسماعيل من أولي العزم من الرسل وأولو العزم عندهم سبعة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعلى من سبقه من الأنبياء والمرسلين ثم علي بن أبي طالب ثم محمد بن اسماعيل[2] وبنوا ذلك على معنى أن السموات سبع

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢.

(٢) من الملاحظ أن النوبختي والقمي من علماء الشيعة الإمامية أخطآ في اعتبارهم علي بن أبي طالب من النطقاء السبعة عند الاسماعيلية فعلي ـ كما أسلفنا القول ـ صاحب ولاية ووصاية وحسب رأي الاسماعيلية أن الوصاية قد تكون أفضل من النبوة والرسالة ـ والنطقاء كما أثبت علماء الاسماعيلية سبعة آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعلى جميع من سبقه من الأنبياء والمرسلين ثم=

وأن الأرضين سبع وأن الإنسان بدنه سبع يداه ورجلاه وظهره وبطنه وقلبه وأن رأسه سبع عيناه وأذناه ومنخراه وفمه وفيه لسانه كصدره الذي فيه قلبه وأن الأئمة كذلك وقلبهم محمد بن اسماعيل[١].

وبمثله ذلك ذكره القمي في مقالاته والأقرب أن أحدهما نقل عن الآخر لما فيه من تشابه بينهما في الألفاظ والعبارات[٢].

ويقرر أحد الكتاب المعاصرين أصل الإمامة عند الاسماعيلية بقوله: وقد ابتدع الاسماعيلية نظريات كثيرة للإمامة ترمي في مجموعها إلى تقديس شخص الإمام الاسماعيلي مستوراً كان أم ظاهراً ونادوا بعصمة الأئمة واستتارهم وظهورهم كما بحثوا الاستقرار والاستيداع الإماميين وفرقوا بين الإمام المستقر والإمام المستودع. ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الغرض الأساسي من نظرية الاستيداع الإمامي مقارعة الشيعة الاثنى عشرية وإبطال ادعائهم أن موسى الكاظم نال الإمامة بعد جعفر الصادق فإن المعتدلين من الاسماعيلية (كذا) يقرون بأن موسى الكاظم كان محمد بن اسماعيل كالحسن بن علي مع أخيه الحسين وأبنائه فكما أن الحسن كان إماماً مستودعاً للحسين وأبنائه والواقع أن الاسماعيلية استخدموا نظرية الاستيداع الإمامي لمقاومة الاثنى عشرية وإبطال حقهم في الإمامة من جهة وجذبهم إلى المذهب الاسماعيلي من جهة أخرى لأنهم أقروا للأثنى عشرية بإمامة موسى الكاظم ولكنهم في الوقت نفسه نفوها عن أبنائه[٣].

=الناطق السابع قائمهم محمد بن اسماعيل. انظر النبوات للسجستاني ص١٩٣. كما أنهما أخطآ في سردهم لأئمة الاسماعيلية حيث سردا سبعة أئمة منهم علي بن أبي طالب واضطرا إلى إسقاط إمامة اسماعيل بن جعفر وهذا مخالف لما عليه الاسماعيلية قاطبة حيث يعتبر اسماعيل إمامهم الأول بعد افتراقهم مع اخوانهم الشيعة الاثني عشريين وعلي ليس إماماً عند الاسماعيلية بل هو وصي كما ذكرنا في أول التعليق.

(١) فرق الشيعة للنوبختي من علماء الشيعة في القرن الثالث الهجري. انظر ص٨٤ ـ ٨٥.

(٢) المقالات والفرق للقمي المتوفى عام ١٠٠١هـ ص٨٤ ـ ٨٥.

(٣) كتاب عبيد الله المهدي لحسن ابراهيم وطه شرف ص٢٨٠ ـ ٢٨٢.

(د) تحليل نصوص الاسماعيلية ونقد أصلهم في الإمامة والأئمة:

إن ما تقدم من نصوص سواء كانت اسماعيلية أو منقولة عن علماء الفرق والمقالات عند التحليل لها والنظر في مضمونها وما تدل عليه نستخلص منها جميعًا موجز ما ذكرناه عنهم سابقًا من العقائد في هذا الأصل وذلك كما يأتي:

(١) إن الإمامة ركن الدين وأساسه بل إن جميع أركان الدين وما يتعلق بذلك من معتقدات وأعمال راجع إليها ويتوقف قبوله على الاعتقاد بها والإيمان بأصالتها.

(٢) أن أئمة الاسماعيلية لهم منزلة فوق سائر البشر ومن ذلك دعوى أن من خصائصهم علم الغيب والقدرة على كل شيء.

(٣) أن الأئمة لهم من الميزات والخصائص ما يجعلهم في مصاف الأنبياء والمرسلين من دعوى عصمتهم واختصاصهم بالتأويل.

(٤) الاعتقاد بأن الإمامة محصورة ومقيدة فقط بعلي بن أبي طالب ونسله من بعده مع وجوب تسلسلها وتعيينها واستمرارها في آل البيت والد فولده إلى النهاية.

هذه المعتقدات الأربع مما تنص عليها نصوص علماء الفرق ونصوص الاسماعيلية أنفسهم. ولهم مع ذلك معتقدات أشد غلواً وأعظم ضلالاً وأغلظ زيفًا وإلحاداً نأخذها بوضوح ظاهر ودلالة بينة من نصوص الاسماعيلية فقط وكأني بعلماء الفرق والمقالات أعرضوا عنها وعن ذكرها صراحة إما تنزيهًا لمؤلفاتهم عنها وإما خوفًا من ظهورها وانتشارها بين الناس فيما سلف وعلى كل فحاكي الكفر لا يكفر وما ظهر وانتشر يجب فضحه واستبانته ومن هذه المعتقدات:

(١) الاعتقاد بألوهية الأئمة وإطلاق صفات الله عز وجل عليهم.

(٢) الخضوع والانحناء والسجود للأئمة وصرف سائر العبوديات لهم.

(٣) الاعتقاد بأن الأئمة تكونوا من نور الله عز وجل وأنهم آلهة في أجسام بشر أو صورة بشر.

هذا فيما يتعلق بالإلهيات أما فيما يتعلق بالنبوات فإنهم غلوا أيضًا حتى اعتقدوا

المعتقدات الآتية:

(١) أن محمد بن اسماعيل ناطق سابع من النطقاء السبعة.

(٢) أنه ناسخ لشريعة الأنبياء والمرسلين من قبله مع النص منهم على نسخه لشريعة نبينا محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام والتي يسمونها بالدور السادس أو شريعة الرسول السادس.

(٣) تفضيل الوصي والأئمة من بعده على الأنبياء والرسل أو بمعنى آخر الاعتقاد بأفضلية الإمامة والوصاية على النبوة والرسالة.

(٤) وأخيراً ابتداع مسميات للأئمة لها دلالات خطيرة كالإمام الناطق والصامت والإمام المستقر والمستودع.

ناقش علماء أهل السنة والجماعة أصل الاسماعيلية في الإمامة وما يتفرع عنه من معتقدات وبينوا ما في ذلك من زيغ وإلحاد وضلال على الرغم من أن الاسماعيلية ليست لديهم أرضية ثابتة للمناقشة أو قواعد وضوابط يتحاكم إليها عندهم فهم كما قال ابن تيمية رحمه الله: من أكذب الناس في النقليات ومن أجهل الناس في العقليات يصدقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل ويكذبون بالمعلوم بالاضطرار التواتر أعظم المتواتر في الأمة جيلاً بعد جيل[١].

وكما قال ابن الجوزي: ومثل هؤلاء ـ أي الاسماعيلية والباطنية ـ لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وإنما اخترعوا بعقلياتهم ما أرادوا[٢]. ويقول الشهرستاني ـ وهو ممن عاصرهم وناظرهم ـ: وكم قد ناظرت القوم عل بعض مقدماتهم فلم يتخطوا عن قولهم أفنحتاج إليك؟ أو نسمع هذا منك. أونتعلم عنك وكم قد ساهلت القوم في الاحتياج وقلت: أين المحتاج إليه؟ وأي شيء يقرر لي في الإلهيات؟ وماذا يرسم لي في المعقولات؟ إذ المعلم لا يعني لعينه وإنما يعني ليعلم وقد سددتم باب العلم وفتحتم

(١) منهاج السنة النبوية ١/ ٨ بتحقيق محمد رشاد سالم.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٨.

باب التسليم والتقليد وليس يرضى عاقل بأن يعتقد مذهبًا على غير بصيرة وأن يسلك طريقًا من غير بينة وإن كانت مبادىء الكلام تحكيمات وعواقبها تسليمات ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾[1].

مع ذلك كله تصدى علماء السنة لهم ونقدوا أصلهم هذا وبينوا بطلانه وبطلان أدلتهم عليه فعن المعتقد الأول وهو:

(١) قولهم بأن الإمامة ركن الدين وأساسه أو أنها الإيمان بعينه أو حتى اعتبارها أحد أركان الدين بين العلامة ابن تيمية رحمه الله ما في هذا القول من الفساد والضلال في معرض رده على الشيعة الاثنى عشرية[2] قائلاً:

إن الاعتقاد بأن مسألة الإمامة أهم المطالب في أحكام الدين وأشرف مسائل المسلمين كذب بإجماع المسلمين من السنة والشيعة بل هذا كفر فإن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام فالكافر لا يصير مؤمنًا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهذا هو الذي قاتل عليه الرسول ﷺ الكفار أولاً كما استفاض عنه في الصحاح وغيرها أنه قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها[3] ولم يذكر الإمامة بحال. ومن المتواتر أن الكفار على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الإسلام ولم يذكر لهم الإمامة بحال ولا نقل هذا عن رسول الله ﷺ أحد من أهل العلم لا نقلاً خاصًا ولا عامًا بل نحن نعلم بالاضطرار عن رسول الله ﷺ أنه لم يكن يذكر للناس إذا أرادوا الدخول في دينه الإمامة لا مطلقًا ولا معينًا فكيف تكون أهم المطالب

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٧ - ١٩٨، والآية من سورة النساء رقم ٦٥.

(٢) هذا المعتقد مما يتفق عليه الشيعة اسماعيلية كانوا أو اثنى عشرية.

(٣) رواه البخاري انظر فتح الباري ١/ ٧٥ من كتاب الإيمان، ورواه مسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٢١٢ في كتاب الإيمان أيضًا والحديث متواتر.

في أحكام الدين[١].

وأيضًا فمن المعلوم أن أشرف مسائل المسلمين وأهم المطالب في الدين ينبغي أن يكون ذكرها في كتاب الله أعظم من غيرها وبيان الرسول لها أولى من بيان غيرها والقرآن مملوء بذكر توحيد الله وذكر أسمائه وصفاته وآياته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقصص والأمر والنهي والحدود والفرائض بخلاف الإمامة فكيف يكون القرآن مملوءاً بغير الأهم والأشرف.

وأيضًا فإن الله تعالى قد علق السعادة بما لا ذكر فيه للإمامة فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[٢].

فقد بين الله في القرآن أمن أطاع الله ورسوله كان سعيداً في الآخرة ومن عصى الله ورسوله وتعدى حدوده كان معذبًا فهذا هو الفرق بين السعداء والأشقياء ولم يذكر الإمامة[٣].

أما القول بأن الإمامة أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان فهذا لا يقوله إلا أهل الجهل والبهتان فإن الله تعالى وصف المؤمنين وأحوالهم والنبي ﷺ فسر الإيمان وذكر شعبه ولم يذكر الله ولا رسوله الإمامة في أركان الإيمان.

ففي القرآن ذكر للمؤمنين وأوصافهم من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا...﴾[٤] إلخ الآيات. ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...﴾[٥] إلخ الآية. ومثل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

---

(١) منهاج السنة النبوية لابنتيمية ١/ ٧٥ ـ ٧٧.

(٢) سورة النساء: ٦٩.

(٣) المرجع السابق ١/ ٩٨.

(٤) سورة الأنفال: ٢ ـ ٤.

(٥) سورة الحجرات: ١٥.

وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[١] إلخ الآية. وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي فيها أوصاف المؤمنين والشهادة لهم بالإيمان والحكم لهم بالفوز في الجنان من غير ذكر للإمامة واشتراطها واعتبارها من الإيمان أو أحد ركانه وفي الحديث وردت أحاديث كثيرة لبيان معنى الإيمان وذكر أركانه وشعبه كما في حديث جبريل الصحيح[٢] أنه عليه الصلاة والسلام سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وفسر له كل ذلك ولم يذكر الإمامة في أركان الإيمان ولو كانت الإمامة ركنًا في الإيمان لا يتم إيمان أحد إلا به لوجب أن يبين ذلك الرسول بيانًا عامًا قاطعًا للعذر كما بين الشهادتين والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر واشترطه ولكن علم بالاضطرار أن هذا مما لم يبينه أو يتشرطه فعلم أن اشتراط الإمامة في الإيمان من أقوال أهل البهتان[٣].

هذا مع العلم بأنهم حينما يقولون عن الإمامة أنها ركن الدين وأساسه يقصدون بذلك الاعتقاد والإيمان بأئمتهم فليت شعري هل اتفق الاسماعيلية على نسل واحد من إمام واحد أم أن التشعب والاختلاف في هؤلاء الأئمة مما يتعذر معه تحديد إمام بعينه يكون مناط الإيمان والفلاح!!

وبناء على اختلافات الاسماعيلية المتكررة وتفرقهم إلى شيع وأحزاب فإن كل فريق يدعي أن معرفة إمامه هو أصل قبول الأعمال، فالنزاريون مثلاً يدعون هذا الادعاء والمستعليون يدعون مثل ذلك وهكذا. ومن مسلمات الأمور ومعقولاته أن هذا من سخيف القول وهذيانه وكما لا يخفى على أصحاب العقول والنهى أن معتقد الاسماعيلية هذا ـ مع بطلانه الظاهر ـ فيه تكليف ما لا يطاق ولا يستطاع فمن الثابت تاريخيًا مرور أدوار في تاريخ الاسماعيلية أسموها أدوار الاستتار ومرور أئمة انقطع نسلهم ولم يكن لهم عقب ومرور فترات نقلت الإمامة فيها لغير الأبناء أو تخطى الإمامة أبناءه الكبار ونقلها إلى الصغار وكل هذا مما ثبت تاريخيًا فماذا يكون حال

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ١/ ١٦١ ـ ١٦٥.

(٣) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/ ١٠٦ ـ ١١٠ بتحقيق محمد رشاد سالم.

الأتباع وإيمانهم في مثل تلك الحالات أنه يلزمهم في مثل هذه الفترات أن تكون أعمال وأقوال ومعتقدات أتباعهم باطلة لبطلان أساسها وفقدان مناط قبولها فمعرفة الإمام والإيمان به ـ كما أصلوا ـ أصل قبول الأعمال والطاعات ومع فقدانه أو عدمه ينهار بنيانهم الذي بنوه على شفا جرف هار. فهم بهذا علقوا نجاة الخلق وسعادتهم وطاعتهم لله ورسوله بشرط مفقود بل ممتنع لا يقدر عليه الناس بل ولا يقدر عليه أحد من الاسماعيلية أنفسهم.

والخلاصة أن معتقدهم هذا ـ كما يقول ابن تيمية ـ لا ينال به إلا ما يورث الخزي والندامة. وأن ذلك إذا كان أعظم مطالب الدين فهم أبعد الناس عن الحق والهدى في أعظم مطالب الدين. وإن لم يكن أعظم مطالب الدين ظهر بطلان ما ادعوه من ذلك فثبت بطلان قولهم على التقديرين[1].

(٢) وعن المعتقد الثاني وهو: الادعاء بأن أئمة الاسماعيلية لهم منزلة فوق سائر البشر حيث يقدرون على كل شيء ويعلمون الغيب.

فهذا من المزاعم الكاذبة التي أبطلها الله عز وجل فيمن هم أفضل من أئمة الحق فكيف بأئمتهم فالأنبياء والمرسلون أرسلهم الله لعباده بشراً من جنس الخلق ولا يخرجون عن بشريتهم إلا فيما اختصهم الله به من تلقي الوحي وتبليغه للناس ووجوب طاعتهم.

ومما رد الله به على الكفار والمشركين في عنادهم أن طلبوا رسلاً من غير جنسهم فبين الله لهم استحالة ذلك رأفة ورحمة بهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا (٩٥)﴾[2].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (٩)﴾[3].

---

(١) المرجع السابق ١/ ٩١.

(٢) سورة الإسراء: ٩٤ـ٩٥.

(٣) سورة الأنعام: ٩.

وفي سورة الإسراء حينما طلب المشركون من النبي ﷺ تفجير الأرض أنهاراً أو إسقاط السماء كسفاً أو الإتيان بالملائكة يرد عليهم بوحي من الله ﴿ ... قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً (٩٣) ﴾[١].

فنفى الله عز وجل عن نبيه ﷺ - وهو أفضل الخلق على الاطلاق - خصائص وصفات طلبها المشركون لتصديقه والإيمان به فكيف بغيره من سائر البشر سواء كانوا أئمة حق أو أئمة ضلال فادعاء الشيعة أن لأئمتهم منزلة فوق البشر ادعاء كاذب مخالف للأدلة القرآنية وهو بجانب ذلك تطاول على الذات الإلهية فإن علام الغيوب القادر على كل شيء هو الله عز وجل ولا أحد غيره. وهذه الدعوى المتهافتة من الاسماعيلية مقدمة وسلم لدعوى تأليه الأئمة وقد بين الله عز وجل في مواضع كثيرة من القرآن قدرته وحده على كل شيء فقال تعالى: ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ ... وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً (٤٥) ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً (٤٤) ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾[٥] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تدل على اختصاص الله عز وجل وحده بالقدرة على كل شيء لا يشركه في ذلك ملك مقرب أو نبي مرسل ومن زعم أن أي بشر له قدرة يتميز بها عن غيره من سائر البشر فقد حاد الله ورسوله وأشرك مع الله غيره كما بين عز وجل في مواضع أخرى أن علم الغيب خاص به تعالى لا يشاركه في ذلك نبي مرسل أو ملك مقرب قال تعالى: ﴿ قل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ

(١) سورة الاسراء: ٩٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٠.

(٣) سورة الكهف: ٤٥.

(٤) سورة فاطر: ٤٤.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥.

وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[٢].

وأمر رسوله الكريم محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام بأن يعلم قريشًا ويبين لهم منزلته من علو الله وعلمه حيث نفى عن نفسه ما توهمته قريش من العلم بالغيب كما قال تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ... ﴾[٣].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[٤].

وأخبر الله عز وجل عن المغيبات الخمس التي استأثر الله بعلمها ولم يشاركه في ذلك حتى أفضل خلقه عنده من الأنبياء والمرسلين فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[٥].

وما أكثر الآيات التي وردت في القرآن تدل على أن الرسول ﷺ ـ وهو أفضل الخلق أجمعين ـ لا يعلم حقيقة بعض الأشخاص الذين عاشوا معه وعاش معهم من المنافقين إلا بإخبار الله عز وجل له عنهم وفضحه لما في نفوسهم وضمائرهم كما قال

(١) سورة النمل: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام: ٥٩.

(٣) سورة الأنعام: ٥٠.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٥) سورة لقمان: ٣٤.

تعالىٰ: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) ﴾[1].

وكذلك قوله تعالىٰ في المنافقين الذين استأذنوا الرسول ﷺ في القعود فأذن لهم حيث عاتبه الله قائلاً: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) ﴾[2].

فهذا ما قاله الله عز وجل عن علم الغيب وأنه من خصائصه لا يشاركه فيه نبي مرسل أو ملك مقرب وما أعظم أدب الملائكة مع ربهم عز وجل حيث قالوا لربهم فيما أخبر الله عنهم ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) ﴾[3].

ويتطاول الشيعة الاسماعيلية كذبًا وبهتانًا علىٰ هذه الخصائص الإلهية ويلصقونها بأئمتهم. وما ذكرناه من الآيات والأدلة كاف في رد هذه الفرية وذلك المعتقد الباطل وذلك ﴿ ... لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) ﴾[4].

ومن الجدير بالذكر أن علماء أهل السنة والجماعة حكموا علىٰ من يدعي علم الغيب بالكفر بل أنهم اعتبروا من يدعي ذلك من البشر رأسًا من رؤوس الطواغيت الخمسة[5] التي يجب علىٰ كل مسلم الكفر بها كما قال تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ﴾[6].

(٣) وعن المعتقد الثالث وهو: الادعاء بأن أئمة الاسماعيلية لهم مكانة ومنزلة

---

(١) سورة التوبة: ١٠١.

(٢) سورة التوبة: ٤٢.

(٣) سورة البقرة: ٣٢.

(٤) سورة ق: ٣٧.

(٥) وهم علىٰ سبيل الإجمال إبليس لعنه الله ومن دعا إلىٰ عبادة نفسه ومن دعىٰ للعبادة وهو راض عن ذلك ومن ادعىٰ علم الغيب والحاكم الجائر المغير لحكم الله.

(٦) الرسالة السابعة من رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٢٦٦ ضمن كتاب الجامع الفريد والآية القرآنية في سورة البقرة رقم ٢٥٦.

تجعلهم في مصاف الأنبياء وذلك كدعوىٰ العصمة لهم أو دعوىٰ أنهم أصحاب التأويل للنصوص الشرعية فهذه الدعاوىٰ وإن اعتبرها الاسماعيلية معتقدات فهي من التهافت والسقوط بمكان أمام الأدلة الشرعية والعقلية .

فالقول بعصمة الأئمة من معتقدات الشيعة التي انفردوا بها عن سائر الفرق الأخرىٰ كما قال ابن تيمية : إن القول بعصمة الأئمة عقيدة خاصة بالرافضة الإمامية لم يشركهم فيها أحد لا الزيدية الشيعة ولا سائر طوائف المسلمين إلا من هو شر منهم كالاسماعيلية الذين يقولون بعصمة بني عبيد المنتسبين إلىٰ محمد بن اسماعيل بن جعفر القائلين بأن الإمامة بعد جعفر في محمد بن اسماعيل دون موسىٰ بن جعفر وأولئك ملاحدة منافقون[1] .

ويقول في موضع آخر : إن الاسماعيلية أشر من الرافضة لأنهم يدعون إلىٰ إمام معصوم ومنتهىٰ دعوتهم إلىٰ أئمة ملاحدة منافقين فساق ومنهم من هو شر في الباطن من اليهود والنصارىٰ[2] ، وإذا كانت هذه أوصاف أئمتهم وحكمهم فكيف يدعي لهم بالعصمة أو حق التأويل .

مع هذا فقد تصدىٰ علماء السنة ضمن ردودهم وفضحهم للشيعة إلىٰ رد هذه العقيدة عندهم وبيان تهافتها وبطلانها وأنها مما ابتدعته الشيعة في دينهم حيث لا أصل لها لا نقلاً ولا عقلاً .

فالإمام الغزالي أفرد لها فصلاً خاصًا وناقش الاسماعيلية فيه نقاشًا عقليًا ألزمهم فيه بعدة الزامات لا فراد لهم منها[3] ومن الزاماته قوله لهم : بماذا عرفتم صحة كونه معصومًا ووجود عصمته . أبضرورة العقل أو بنظره أو سماع خبر متواتر[4] عن

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢/ ٤٥٢ .

(٢) المرجع السابق ٣/ ٣٨٠ .

(٣) فضائح الباطنية للغزالي ص١٤٢ ـ ١٤٥ .

(٤) الملاحظ أن الغزالي عفا الله عنه لا يعتبر أحاديث الآحاد تورث العلم الضروري وذلك هو منهج المتكلمين ، أما السلف رحمهم الله فإنهم لا يردون شيئًا من السنة سواء كان متواترًا أو أحادًا من إفادتها جميعًا العلم الضروري .

رسول الله ﷺ يورث العلم الضروري؟ ولا سبيل إلىٰ دعوىٰ الضرورة ولا إلىٰ دعوىٰ الخبر المتواتر المفيد للعلم الضروري؛ لأن كافة الخلق تشترك في دركه وكيف يدعىٰ ذلك وأصل وجود الإمام لا يعرف ضرورة بل نازع منازعون فيه فكيف تعلم عصمته ضرورة؟ وإن ادعيتم ذلك بنظر العقل فنظر العقل عندكم باطل. وإن سمعتم من قول إمامكن أن العصمة واجبة للإمامة فلم صدقتموه قبل معرفة عصمته بدليل آخر؟ وكيف يجوز أن تعرف إمامته وعصمته بمجرد قوله[1].

أما صاحب مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار فقد أبطل ما زعموه أدلة علىٰ العصمة وأبطل اشتراطها في الإمام أصلاً واعتمد في بطلانها علىٰ أمور خمسة ضمنها بعض ما نقلناه آنفًا عن الإمام الغزالي وزاد عليها وجوهًا أخرىٰ فقال:

ومن أهم هذه الأمور المطالبة لهم بالأدلة وهو أن يقال لهم: بماذا عرفتم وجوب اشتراط العصمة للإمام هل علمتموه بضرورة العقل أو بنظره أو سماع خبر متواتر أو بقول إمامكم هذا؟ ولا سبيل إلىٰ دعوىٰ الضرورة أو دعوىٰ التواتر لعصمته لأن ذلك يوجب اشتراك الخلق في دَركه وكيفَ يمكنكم دعوىٰ الضرورة في وجوب اشتراط العصمة للإمام وأصل وجوب وجود الإمام لا يعرف ضرورة بل قد نازع فيه منازعون. وإن ادعيتم علم ذلك بنظر العقل فالنظر عندكم باطل ولا معتمد عليه. وإن عرفتم ذلك بقول إمامكم فلم صدقتموه قبل أن تعلموا عصمته بدليل آخر؟ وعلىٰ أنكم إذا كنتم لا تعرفون عصمته إلا من قوله وقوله لا يكون حجة إلا إذا كان معصومًا فقد وقف كل واحد من الأمرين علىٰ الآخر فلا يحصلان ولا واحد منهما[2].

وبمثل هذه الإلزامات والإفحامات ناقشهم أيضًا محمد بن الحسن الديلمي في كتابه بيان مذهب الباطنية وبطلانه وأبطل قولهم بالعصمة[3].

أما ابن تيمية رحمه الله فقد بين مكان العصمة ومن يوصف بها بقوله: لم لا يجوز

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص١٤٢.

(٢) مشكاة الأنوار ليحيىٰ العلوي ص٨٣.

(٣) انظر كتابه بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٦٤ ـ ٦٥.

أن يكون في الأمة الإسلامية من ينبه الإمام إذا أخطأ بحيث لا يحصل اتفاق الكل على الخطأ كما إذا أخطأ أحد الرعية نبهه إمامه أو نائبه وتكون العصمة ثابتة للمجموعة بحيث لا يحصل اتفاقهم على الخطأ كما يقوله أهل السنة والجماعة. ونظيره أن كل واحد من أهل خبر التواتر يجوز عليه الخطأ والكذب ولا يجب ذلك على المجموع في العادة فإثبات العصمة للمجموع أولى من إثباتها للواحد وبذلك يحصل المقصود من العصمة ومن جهل الرافضة أنهم يوجبون عصمة واحد من المسلمين ويجوزون على مجموع المسلمين ـ إذا لم يكن فيهم معصوم ـ الخطأ[١].

ومن أقوى الشبهة التي يعتبرونها أدلة قولهم إن الإمام قائم مقام رسول الله فيما يتعلق به من أمر الدين كله فإذا كان النبي معصومًا وجب أن يكون الإمام أيضًا معصومًا وقد أجاب عن هذه الشبه صاحب مشكاة الأنوار بجوابين:

الأول: أن مماثلة الإمام للنبي يعتبر من جهل الملاحدة الذين يجمعون بين الأمور المتباعدة ويوفقون بين الأشياء المتباينة فعصمة الأنبياء ثبتت بإيحاء الله لهم أما الأئمة فليسوا كذلك.

الجواب الثاني: أننا نسألهم هل يوجبون في الإمام أن يكون مثل النبي في جميع أحواله أو يقولون لابد من فصل بينهما؟

فإن قالوا بالأول لم يكن فرق بين النبي والإمام وليس هذا مذهبًا لهم. وإن قالوا بالثاني قلنا لهم فلم لا يكون الأمر الذي افترقا فيه هو السبب في وجوب عصمة النبي دون الإمام[٢]؟

كما أن الرازي أوقعهم في مأزق حج لا فرار منه حيث قال نقضًا لدعواهم في العصمة: لو كان المعصوم في غير حاجة إلى النبي لما كان علي بن أبي طالب ـ وأنتم تثبتون له العصمة مدى الحياة ـ في حاجة إلى الرسول ﷺ وهذا باطل لأنكم تسلمون أنه كان إليه محتاجًا وبه مؤتمًا فإن زعمتم أن أمير المؤمنين لم يكن في حاجة إلى النبي

---

(١) انظر كتاب المنتقى للذهبي مختصر منهاج السنة لابن تيمية ص ٤١٠.

(٢) مشكاة الأنوار ليحيى العلوي ص٨٦.

كان ذلك خروجًا عن الدين وإن زعمتم أنه لم يكن معصومًا كان خروجًا من قاعدتكم أن الإمام معصوم من أول عمره إلىٰ آخره[١][٢].

ويوضح الدكتور أحمد صبحي أن قول الشيعة في العصمة حين يرتطم بالواقع الملموس تبدو نواحي التهافت فيه. فإذا كانت الأمة بحق في حاجة إلىٰ معصوم يحفظ لها الشرع ويفسر الوقائع المتجددة في غير اختلاف فإن هذه تصورات عقلية للتمني ولكنها لا تغني عن الواقع شيئًا وهكذا تبدو العقيدة الشيعية في الإمامة يوتوبيا تتطلع إليه الأعناق ولكنها تغمض العين عن الحقائق الواقعية القائمة ما دمنا لا نجد لمثل هذا المعصوم الذي يجب وجوده وظهوره في كل عصر أثرًا ولا خبرا[٢].

ومن أبلغ الرد عليهم ما نقل عن الأئمة الستة من لدن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلىٰ جعفر الصادق من إقرار بخطأ واستغفار من ذنب وتحلل من مظلمة وسبق أن نقلنا نماذج واقعية من ذلك في القسم الأول من الرسالة[٣]. أما أئمة الاسماعيلية بعد أولئك ولا سيما أئمة الظهور فإنهم ـ كما قال ابن تيمية ـ أخبارهم عند العلماء مشهورة بالإلحاد والمحادة لله ورسوله والردة والنفاق[٤] ومثل هؤلاء لا إمامة لهم ولا طاعة بل تجب محاربتهم ومقاتلتهم ومن فحش القول وهذيانه من زعم عصمتهم.

أما التأويل فهو من الخصائص التي نسبوها للأئمة حتىٰ أنهم زعموا أن للأنبياء التنزيل ولأئمتهم التأويل وبمعنىٰ أدق للأنبياء علم الظاهر ولأئمتهم علم الباطن ومع بطلان هذا الادعاء فإننا إن شاء الله تعالىٰ سنناقشه ونبين تهافته عند الحديث عن أصلهم الثاني التأويل الباطني.

(٤) أما المعتقد الرابع: وهو ادعاءهم أن الإمامة منحصرة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبنائه علىٰ التعيين من بعده واحدًا بعد آخر.

---

(١) نهاية العقول للرازي ص٤٣٥ نقلاً عن نظرية الإمامة لأحمد صبحي ص ١٢٤.

(٢) نظرية الإمامة لأحمد محمود صبحي ص ١٢٠.

(٣) انظر القسم الأول ص١٤٣ ـ ١٤٥.

(٤) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤/ ١٠١.

فهذا المعتقد مما اتفقت عليه الشيعة الإمامية والباطنية. وقبل أن نتناوله بالنقد والإبطال لابد من الإشارة إلىٰ أن هذا هو محور التشيع وقاعدته التي ارتكز عليها حيث تبنوا هذه الفكرة التي ترجع أصولها إلىٰ المجوسية[1] فختاروا أسرة علي بن أبي طالب وتترسروا بها بدعوىٰ التشيع لهم وعلىٰ أساس ذلك أقاموا المعتقدات الأخرىٰ. وتشيع الاسماعيلية أو الإمامية لآل البيت ليس تشيعاً صادقًا ومحبة وإكرامًا لهم وإنما هو في حقيقة الأمر مؤامرة وذريعة لبلوغ أهداف خطيرة مبطنة. ولذا ـ كما قال ابن تيمية ـ إن من وصاياهم الدخول علىٰ عامة المسلمين وجهالهم من باب التشيع لآل البيت. ويعتبر ابن تيمية تظاهرهم بالتشيع وموالاة آل البيت من إبطانهم خلافه يشكل خطراً وضرراً علىٰ المسلمين أشد من ضرر اليهود والنصارىٰ[2]، وقد سبق أن ذكرنا كذلك بالأدلة والنصوص صلة اليهود بالاعتقاد بقداسة أسرة معينة لها من الخصائص والميزات ما يجعل الملك أو الإمامة محصورة فيها[3].

والادعاء بأن الإمامة خاصة بعلي بن أبي طالب وأبنائه من بعده ادعاء كاذب وزعم مجرد من الدليل الصحيح وإذا تتبعنا ما زعموه أدلة علىٰ هذا المعتقد الخطير نجدها لا تدل علىٰ ما ابتدعوه عقيدة لهم وبيان ذلك بالتفصيل كالآتي:

(١) أدلة صحيحة ثابتة ولكن الاستدلال بها خطأ حيث أولوها وحرفوها حسب رغباتهم وشهواتهم مستخدمين في ذلك التأويلات الباطنية التي لا حدود لها ولا ضوابط سواء في ذلك القواعد الشرعية المتفق عليها بين المسلمين أو أصول ومدلولات اللغة العربية التي نزل بها القرآن وخاطبهم حسب ألفاظها ومعانيها.

فمن الآيات التي استدلوا بها علىٰ انحصار الإمامة في علي وأبنائه قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

(١) سبق أن بينت هذه الفكرة وجذورها المجوسية في القسم الأول من الرسالة ص١١٢ ـ ١١٦.

(٢) الفتاوىٰ لابن تيمية ٣/ ٣٥٦، ١٣/ ٢٠٩.

(٣) راجع القسم الأول من الرسالة ص١٠٤ فما بعد، ص١٢٢ فما بعد.

النَّاسِ...﴾[١] فأولوا هذه الآية بأنها أمر من الله لنبيه بإبلاغ الناس بوصاية علي فكأن علياً هو المنزل على الرسول ﷺ[٢]. ومن المعلوم بالضرورة لغة وشرعاً بطلان هذا التأويل وذلك الاستدلال. وكاستدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ...﴾[٣] على انتقال الإمامة واستمرارها في نسل علي بن أبي طالب ولدا بعد والد[٤]. مع العلم أن المقصود بالكلمة في الآية قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام في الآية قبلها لأبيه وقومه: ﴿... إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[٥].

ومن الأحاديث التي استدلوا بها مع صحتها وبطلان استدلالهم بها ما ثبت عنه ﷺ في قوله لعلي رضي الله عنه حينما أمره بالجلوس في المدينة في غزوة تبوك (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) رواه البخاري ومسلم[٦] فأولوا هذا الحديث على وصاية علي بل ونبوته عند البعض[٧] مع العلم أن الحديث يدل على أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجد في خاطره شيئًا في بقاءه في المدينة رغبة منه في صحبة رسول الله ﷺ وإخوانه من الصحابة رضوان الله عليهم فطيب الرسول ﷺ خاطره في البقاء في المدينة بهذه المنقبة. وأما تأويل هذا الحديث بأن علي في مقام النبوة فيرد على هذا التأويل آخر الحديث.

وهكذا نجد أن الاسماعيلية أولوا آيات قرآنية أو أحاديث صحيحة تأويلاً باطنيًا يخر بهذه الأدلة عن مدولاتها ومراد الله ورسوله ﷺ منها وببطلان تأويلاتهم هذه يبطل استدلالهم على ما زعموه من اختصاص علي وآل بيته بالإمامة ولكثرة تأويلاتهم

---

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) المجالس المؤيدية للشيرازي ١/ ٥.

(٣) سورة الزخرف: ٢٨.

(٤) المجالس والمسايرات الاسماعيلية ابن حيون ص٧٦.

(٥) سورة الزخرف: ٢٦.

(٦) فتح الباري ٨/ ١١٢ كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٧) انظر ديوان المؤيد الشيرازي لمحمد كامل حسين ص٧٤.

للآيات والأحاديث وتعسفهم فيها انتقدهم المستشرق اليهودي جولد تسيهر وقال: إن من يقرأ تفسيرات الشيعة يتصور أن القرآن كتاب حزبي لهم وضرب مثالاً بارزًا لذلك وهو تفسير القمي[1].

ومن القضايا الجيدة التي استنبطها الدكتور صبحي في بحثه عن نظرية الإمامة أن الشيعة واجهت مشكلة للدلالة على إمامة علي بن أبي طالب من القرآن لأن اعتقادهم أن الإمامة إلهية ولابد من نص إلهي عليها فحلوا هذه المشكلة بالتفسير المتعسف أو التأويل التحكمي للآيات من أجل عثور على آيات قرآنية تؤيد نظامهم المقرر[2].

وفي موضع آخر يقول: إن عقائد الشيعة قد اصطدمت بالعقل أكثر من مرة تارة حين يقدم مفسرو الشيعة تأويلات متكلفة للآيات تكلفًا لا يستسيغه العقل. وتارة حين قدموا عقائد مسرفة في الغيبية لا يجدي الاعتقاد بها أي نفع ما دامت مغيبة على الناس وقد أوشكوا أكثر من مرة بعد أن حاموا حول الحمى ـ أي دائرة الإسلام ـ أن يترددوا فيه ولم يكن أمر ذلك خافيًا عليهم أو على الأقل خافيًا على طائفة كبيرة منهم لم تجد حلاً للتخلص من العقيدة الأساسية التي اضطرتهم إلى هذا الحرج وهي عقيدة النص الجلي على إمامة علي[3].

(٢) ومما استدل به الاسماعيلية على انحصار الإمامة في علي وأبنائه من بعده أحاديث مكذوبة على رسول له ﷺ وعلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وضعها المبتدعة والزنادقة من الشيعة سواء الرافضة أو الاسماعيلية. ومن ذلك ما رواه المؤيد الشيرازي في مجالسه من أن جعفر الصادق نقل عن الحسن البصري أنه روى عن النبي أنه قال:

إن الله أرسلني برسالة فضاق بها صدري وخشيت أن يكذبني الناس فتوعدني إن لم أبلغها أن يعذبني... إلى أن قال الراوي فما هي هذه الرسالة قال إنها في شأن ولاية

(١) مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر ص٣١.

(٢) نظرية الإمامة لأحمد صبحي ص٢٠٣.

(٣) المرجع السابق ص٢٠٧.

علي[1] ومما كذبوا به على رسول الله ﷺ أنهم رووا أنه ﷺ حينما قرأ الآية ﴿ ... إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ⑦ ﴾[2] قال: أنا المنذر وعلي الهادي من بعدي وفي رواية ينسبونها لابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ أنا المنذر وعلي الهادي من بعدي يا علي بك يهتدي المهتدون[3].

ومن رواياتهم المكذوبة على رسول الله ﷺ أنهم رووا عنه أنه قال لعلي: لولا أني أتخوف عليك أن يقول الناس فيك ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ منهم إلا ويأخذون من تراب تحت قدميك ويشربون من فضل طهورك. رواه الشيرازي[4].

ومن أكاذيبهم على علي ـ وما أكثرها ـ أنهم رووا عنه أنه قال: لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً هم أساس الدين وعماد اليقين إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص لولاته وفيهم الوصية. ورووا عنه أيضاً قول شيعته: بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن الأسرار نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة إن أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ولا يعي حديثنا إلا صدور أمينة وأحلام رزينة نحن أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته العليا[5].

ورووا عن علي أنه قال: أنا ومحمد من نور واحد من نور الله تعالى.

وإنه قال أيضاً: نحن نور من نور الله وشيعتنا منا[6]. وما أكثر رواياتهم المكذوبة

---

(١) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٧٢ ـ ٧٣.

(٢) سورة الرعد: ٧.

(٣) ديوان المؤيد الشيرازي لمحمد كامل حسين ص٧٤.

(٤) المجالس المؤيدية للشيرازي ١/ ١٤٧، انظر ديوان المؤيد ص٧٩ لمحمد كامل حسين.

(٥) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص١٦ ـ ١٧.

(٦) ديوان داعي الدعاة الاسماعيلية المؤيد ص٧٦.

على الرسول ﷺ وعلى علي بن أبي طالب والأئمة من بعده وحسبهم عقوبة قول الصادق الصدوق ﷺ: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**» رواه مسلم[١].

ومن الجدير بالذكر أن علماء الشيعة المتقدمين أقروا واعترفوا بوضع الأحاديث ونسبتها إلى الرسول ﷺ أو الأئمة. يقول ابن أبي الحديد ـ وهو من علماء الشيعة المتقدمين المعتبرين ـ واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم[٢].

أما علماء السنة والجماعة فقد أطبقوا على وصفهم بالكذب على رسول الله ووضع الأحاديث وحينما سأل الإمام مالك رحمه الله عن الرافضة ومروياتهم قال: لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون.

وقال الشافعي رحمه الله: لم أر أحداً أشهر بالزور من الرافضة.

وقال الأعمش رحمه الله: أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين.

وقال ابن تيمية رحمه الله: إن من تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفيها بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف. والخوارج مع مروقهم من الدين هم من أصدق الناس حتى قيل أن حديثهم من أصح الحديث، والرافضة يقرون بالكذب حيث يقولون: ديننا التقية وهذا هو النفاق[٣].

ويقول ابن القيم رحمه الله: إن ما وضعه الرافضة في فضائل علي أكثر من أن تعد ونقل عن الحافظ أبي يعلى قوله: إن الرافضة وضعت في فضائل علي رضي الله عنه وأهل البيت نحو ثلاث مائة ألف حديث.

ويعلق ابن القيم على قول أبي يعلى: بأن ذلك لا يستبعد حيث لو تتبعنا ما عندهم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٦٧.

(٢) شرح نهج البلاغ لابن أبي الحديد ١١/ ١٧.

(٣) انظر المنتقى للإمام الذهبي ص٢١ ـ ٢٣.

من ذلك لوجدنا الأمر كما قال أبو يعلى[١].

ومعلوم أن الاسماعيلية أكثر غلواً وانحرافًا من الرافضة المشهورين بوضع الأحاديث والكذب في الرواية وما في كتبهم ومؤلفاتهم أشر وأكذب مما كتب في كتب الرافضة.

(٣) ومن أدلة الاسماعيلية على انحصار الإمامة في علي وأبنائه ما يروون من الأحاديث في فضائله ومناقبه ومناقب الأئمة من بعده ومع صحة القليل منها فقد أولوها تأويلاً باطنيًا وصرفوها عن معناها الصحيح إلى معان باطنية مخالفة للأصول الشرعية والدلالات اللغوية وهي مع ذلك لا تدل على معتقدهم في انحصار الإمامة في علي ونسله من بعده وذلك كقول النبي ﷺ: **«الدنيا ملعونة وملعون كل ما فيها إلا ما أريد به وجه الله»**[٢].

حيث يؤولون وجه الله بأنه هو الإبداع الأول التام الكامل الذي من عداه مفتقر إليه وهالك كل من لم يكن له به علاقة وهذا في العالم الروحاني «القلم».

ويقابله في العالم الجسماني رسول الله وهذه الصفة أيضًا لعلي بن أبي طالب الذي قال عن نفسه أنا وجه الله الذي ذكره بقوله: ﴿ ... فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ... ﴾[٣].

ومما هو داخل في هذا النوع من الاستدلال عند الاسماعيلية استدلالهم لحادثة وقعت لعلي بن أبي طالب مع الرسول ﷺ ومع أنها في أصلها صحيحة فإنهم زادوا عليها من الألفاظ والعبارات بل من القصص والروايات ما هو أضعاف الصحيح منها واستدلوا بها على إمامة علي ووصايته وأن الأئمة من ذريته لهم نفس الخصائص

---

(١) المنار المنيف لابن القيم ص١١٦.

(٢) الحديث رواه الترمذي في سننه ٦/ ٦١٣ ـ ٦١٤ انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي وقال عن الحديث أنه حديث حسن غريب مع اختلاف طفيف في بعض ألفاظه.

(٣) المجالس المؤيدية للشيرازي ١/ ٢١١، سرائر النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ص٥٧، وانظر ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٨١. والآية من سورة البقرة رقم ١١٥.

والميزات وذلك كحادثة «غدير خم» فمع صحة أصلها وثبوته[1] إلا أنهم أضافوا الكثير المكذوب عليها ـ كما ذكرنا ـ ليبنوا معتقدهم في انحصار الإمامة في علي على دليل أو أدلة مهما كان السند فرووا عن النبي ﷺ أنه قال لعلي: لم أزل أنا وأنت يا علي من نور واحد ننتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية كلما ضمنا صلب ورحم ظهر لنا قدرة وعلم حتى انتهينا إلى الجد الأفضل والأب الأكمل عبدالمطلب فانقسم ذلك النور نصفين في عبدالله وأبي طالب. فقال الله تعالى كن يا هذا محمداً. ويا هذا كن عليًا. ولكن عبدالله توفى فاستودع عبد المطلب مرتبة النبوة والرسالة لمحمد ثم استودع أبو طالب مرتبة الوصاية والإمامة أيضًا. وبعد وفاة أبي طالب اجتمعت لمحمد هذه المراتب فكان محمد مجمعًا للرتب جميعها وهي النبوة والرسالة والإمامة والوصاية فكان باجتماعها فيه أعلى من جميع المخلوقات حتى كان يوم «غدير خم» سلم فيه النبي مرتبة الاستقرار لعلي ومنه إلى الأئمة من ولده حتى تجتمع هذه المراتب مرة أخرى في

(١) حديث الغدير رواه مسلم ولفظه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فقال: أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ربي وأني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي ١٥/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

وأجاب ابن تيمية على هذا الحديث بأنه صحيح بهذا اللفظ ودلالة لفظه الصحيح أن الذي أمرنا بالتمسك به وجعل المتمسك به لا يضل هو كتاب الله. انظر منهاج السنة النبوية ٧/ ٢٩٣ ـ ٣٩٤.

وأما أهل البيت فإن دلالة الحديث لا تدل على إمامة علي ولا غيره من آل البيت والذي يدل عليه هو الوصية بهم من إعطائهم حقوقهم والامتناع من ظلمهم ولا يدخل في ذلك الإمامة. انظر منهاج السنة ٧/ ٣١٨ ـ ٣١٩.

وروى الحديث أيضًا الترمذي بسننه بلفظ مقارب من ألفاظ مسلم وفيه قوله ﷺ: «وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». رواه الترمذي في كتاب المناقب. باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ١٠/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠. وقال الترمذي عنه هذا حديث حسن غريب وأجاب ابن تيمية عنه بأن هذا الحديث رواه الترمذي وقد سئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فضعفه وضعفه غير واحد من أهل العلم وقالوا لا يصح. منهاج السنة ٧/ ٣٩٤.

والذين قالوا بصحة هذه الرواية قالوا: إنما يدل على أن مجموع العترة الذين هم بنو هاشم لا يتفقون على ضلالة وهذا قاله طائفة من أهل العلم وهو من أوجوبة القاضي أبي يعلى. منهاج السنة ٧/ ٣١٨.

قائم القيامة[١].

فهذه الرواية المليئة بالأكاذيب ذكروا فيها حادثة الغدير ـ مع صحة أصلها ـ وأضافوا إليها من الكلام الساقط الغث ما هو باطل معنىً ومبنىً.

هذا مع العلم بأن للصحابة الآخرين من المناقب والفضائل ما هو أكثر من علي بن أبي طالب وذلك كإخوانه الخلفاء الراشدين قبله أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم، وثبت في ذلك نص صحيح صريح عن علي رضي الله عنه. ففي صحيح البخاري عن محمد ابن الحنفية قال قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر وخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. رواه البخاري وأبو داود وابن ماجة وأحمد بن حنبل في مسنده[٢]. وغيرهم من علماء الملة الحنيفية.

ولذا يقول ابن تيمية: أنه تواتر عن علي رضي الله عنه من وجوه كثيرة أنه قال على منبر الكوفة وقد أسمع من حضر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وحينما سأل سائل شريك بن عبدالله أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له أبو بكر فقال له السائل: أتقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقالك نعم إنما الشيعي من قال مثل هذا والله لقد رقى علي هذه الأعواد فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. أفكنا نرد قوله؟ أكنا نكذبه؟ والله ما كنا كذابًا[٣]. بل إنه روى عن علي رضي الله عنه أنه قال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد الفرية أو المفتري ثمانين جلدة[٤].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن عمرو بن العاص رضي الله عنه سأل النبي ﷺ

---

(١) ديوان المؤيد الشيرازي ص٨٠ ـ ٨١ لمحمد كامل حسين.

(٢) فتح الباري ٧/ ٢٠، سنن أبي داود ٥/ ٢٦ باب في التفضيل كتاب السنة، سنن ابن ماجه ١/ ٣٩ فضل عمر رضي الله عنه حديث رقم ١٠٦ وفي المسند ورد الأثر ٢٤ مرة عن أبي جحيفة والهمداني وغيرهما.

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق محمد رشاد ١/ ١١ ـ ١٤.

(٤) مناج السنة النبوية لابن تيمية ٦/ ١٣٨، الحسام المسلول للحضرمي ص٣٩ ـ ٤٠.

قال قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من؟ قال عمر وسمى رجالاً. رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد بن حنبل[١].

وكان السلف متفقين على تقديم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى شيعة علي رضي الله عنه ومما روي من الآثار في هذا ما رواه ابن بطة بسنده عن عبدالله بن زياد قال قدم أبو اسحاق السبيعي الكوفة. قال لنا شمر بن عطية قوموا إليه فجلسنا إليه فتحدثوا فقال أبو اسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ولا والله ما أدري ما يقولون.

وحدثنا النيسابوري بسنده إلى سعيد بن حسن قال سمعت ليث بن أبي سليم يقول: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدا.

وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا سفيان بن عيينة بسنده إلى مسروق التابعي الكوفي قال: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة.

وروي مثل ذلك عن طاووس وقبلهما روي مثل ذلك ابن مسعود رضي الله عنه[٢].

أن هذه الأحاديث الصحيحة والآثار الثابتة تدل على أن عليًا رضي الله عنه ليس بأفضل الصحابة وأكثرهم مناقب فأبو بكر وعمر أفضل منه كما ثبت ذلك بروايته ورواية غيره فالإمامة ثابتة لأفضل الصحابة رضوان الله عليهم وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ومن ثم فإن فضائل علي ومناقبه الثابتة ليست بأكثر ولا أفضل من أبي بكر وعمر الثابت لهما من الفضائل والمناقب أحاديث كثيرة[٣].

وأما الادعاء بأن أولاد علي بن أبي طالب كالحسن والحسين رضي الله عنهما أئمة

---

(١) فتح الباري ٧/١٨، صحيح مسلم ١٥/ ١٥٣، سنن الترمذي ٥/ ٣٦٥، المسند لأحمد بن حنبل ٤/ ٢٠٣.

(٢) منهاج السنة النبوية ٦/ ١٣٥ ـ ١٣٧.

(٣) في معظم كتب الحديث المعتبرة باب خاص بمناقب وفضائل كل منهما وفي الباب أحاديث كثيرة.

منصوص عليهم فادعاء باطل أنكره وكذبه آل البيت أنفسهم. يقول ابن تيمية: والذي علمناه من حال أهل البيت علمًا لا ريب فيه أنهم لم يكونوا يدعون أنهم منصوص عليهم كجعفر الصادق وأبيه وجده زين العابدين علي بن الحسين وأبيه[١].

والأدلة على ما ذكره ابن تيمية كثيرة ثابتة ومن ذلك ما رواه البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه أنه قال سمعت النبي على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين. وفي رواية للبخاري «بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٢].

وروى الإمام أحمد في مسنده نص هذا الحديث وفيه فقال الحسن ـ وهو أحد الرواة ـ فوالله بعد أن ولي لم يهرق في خلافته ملء محجمة من دم[٣].

ويقول الخطابي: إنه خرج مصداق هذا الحديث بما كان من إصلاح الحسن بين أهل العراق وأهل الشام وتخليه عن الأمر خوفًا من الفتنة وكراهية لإراقة الدماء ويسمى ذلك العام عام الجماعة أو سنة الجماعة[٤] كما قال بذلك ابن بطال فيما نقل عنه ابن حجر في شرحه لحديث أبي بكرة يقول: سلم الحسن لمعاوية الأمر وبايعه على إقامة كتاب الله وسنة نبيه ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس فسميت سنة الجماعة لاجتماع الناس وانقطاع الحرب. وبايع معاوية بعد ذلك كل من كان معتزلاً للقتال كابن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة رضوان الله عليهم أجمعين[٥].

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص٥٣٣.

(٢) رواه البخاري في مواضع عدة من صحيحه انظر فتح الباري كتاب الصلح ٥/ ٣٠٦، كتاب المناقب ٦/ ٦٣٨، كتاب فضائل الصحابة ٧/ ٩٤، كتاب الفتن ١٣/ ٦١.
كما رواه أبو داود ٥/ ٤٨ ـ ٤٩ ولفظه وإني أرجو أن يصلح الله به بين فئتين من أمتي. كما أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٦٥٨ في كتاب المناقب. كما أخرجه النسائي في سننه ٣/ ٨٧ ـ ٨٨ في كتاب الجمعة باب مخاطبة الأمير رعيته وهو على المنبر. كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) انظر المنتقى للذهبي ص٥٣٣.

(٤) معالم السنن للخطابي حاشية سنن أبي داود ٥/ ٤٨ ـ ٤٩.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/ ٦٣.

فهذا الحديث النبوي ـ والذي يعتبر من معجزاته ﷺ[1] يبطل دعاوئ الشيعة حول نصية الإمامة سواء من الرافضة أو الاسماعيلية. فالحسن رضي الله عنه تنازل عن الإمامة لمعاوية رضي الله عنه وأصبح معاوية هو الإمام لجميع المسلمين وبعد تنازل الحسن بايعه بقية الصحابة رضي الله عنهم ثم بعد ذلك أهل الكوفة. وتنازل الحسن رضي الله عنه هذا يعتبر من فضائله ومناقبه التي مدحه الرسول بها وأثنى بها عليه من أخباره ﷺ بسيادته وإصلاحه وحقنه دماء المسلمين. ومن المعلوم دينًا أن الحسن رضي الله عنه لو كان يعلم أن الإمامة ثابتة له نصًا ولمن بعده ما تنازل عنها ولا اعتبر ذلك من مناقبه وفضائله رضي الله عنه فدل ذلك على بطلان زعم الشيعة نصية الإمامة في علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأبنائه من بعده.

ومن الأدلة على بطلان نصية الإمامة في علي وأبنائه ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن سبع قال سمعت عليًا رضي الله عنه يقول: لتخضبن هذه من هذا فما ينتظر بي الأشقي. قالوا يا أمير المؤمنين فأخبرنا به نبير عترته قال إذا تالله تقتلون بي غير قاتلي. قالوا: فاستخلف علينا قال: لا ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته قال أقول اللهم تركتني فيهم ما بدا لك ثم قبضتين إليك وأنت فيهم فإن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم. وروى الإمام أحمد أيضًا مثله عن أسود بن عامر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عبدالله بن سبع وذكر أنه سيقتل. ثم قال الناس: استخلف إذا قال لا ولكن أكلكم إلى ما وكلكم إليه رسول الله

(١) يقول ابن تيمية رحمه الله: إن هذا الحديث يعتبر من أعلام نبوة نبينا محمد ﷺ حيث ذكر في الحسن ما ذكره وحمد منه ما حمده فكان ما ذكره وما حمده مطابقًا للحق الواقع بعد أثر من ثلاثين سنة، فإن إصلاح الله بالحسن بين الفئتين كان سنة إحدى وأربعين من الهجرة. وكان علي رضي الله عنه استشهد في رمضان سنة أربعين والحسن حين مات النبي كان عمره نحو سبع سنين فإنه ولد عام ثلاث من الهجرة وأبو بكرة ـ راوي الحديث ـ أسلم عام الطائف، والطائف كانت بعد فتح مكة فهذا الحديث الذي قاله النبي ﷺ في الحسن كان بعد ما مضى ثمان من الهجرة وكان بعد موت النبي ﷺ بثلاثين سنة التي هي خلافة النبوة فلابد أن يكون قد مضى له أكثر من ثلاثين سنة فإنه ﷺ قاله قبل موته. منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣.

صلى الله عليه وسلم[١].

إن هذه الأحاديث الصحيحة نصوص ثابتة وصريحة في بطلان دعوى نصية الإمامة في علي وأبنائه من بعده ولذا يقول ابن العربي: إن قول الرافضة إن علي بن أبي طالب عهد إلى ابنه الحسن قول باطل وأنه ما عهد إلي أحد[٢].

ومع بطلان دعوى الشيعة نصية الإمامة في علي وأبنائه بدلالة الأحاديث الصحيحة الصريحة ودلالة الواقع عليه فإنهم بنوا على دعواهم هذه التهجم على الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم واعتبروهم مغتصبين للخلافة وإن خلافتهم باطلة وتطاولوا بعد ذلك عليهم سبًا وتجريحًا وافتروا عليهم العظائم وجعلوا حسناتهم سيئات حتى أن المسلم إذا قرأ كتب الشيعة على تعدد فرقهم وتشعبها يربأ بنفسه عن قراءتها ومتابعة ألفاظهم الشنيعة فضلاً عن كتابتها وتسطيرها.

والحقيقة أن القدح في جيل الصحابة - ولا سيما الخلفاء الثلاثة - يعتبر قدحًا في الله عز وجل وفي رسوله ﷺ وفي دينه، فإن الصحابة نقلة هذا الدين وأثنى الله عز وجل عليهم في مواضع كثيرة من القرآن كما قال فيهم المصطفى ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[٣].

والخلاصة فإن أصل الشيعة في موضوع الإمامة سواء كانوا رافضة أو اسماعيلية ليس لديهم عليه أدلة صحيحة يعتد بها وما كان منها صحيحًا - وهو قليل - فهي مؤولة تأويلاً متعسفًا أو تأويلاً باطنيًا يخرج بهذه الأدلة الصحيحة عن مدلولها الشرعي ومقتضاها اللغوي. يقول ابن خلدون: إن ما استدل به الشيعة من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة[٤].

---

(١) المسند للإمام أحمد بن حنبل ١/ ١٣٠، ١٥٦.

(٢) العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي ص١٩٨.

(٣) رواه البخاري. فتح الباري ٧/ ٢١، ورواه مسلم بشرح النووي ١٦/ ٩٢.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص١٤٧ - ١٤٨.

ويقول ابن حزم: إن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة موضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها[1].

ومن أقوى الردود على الاسماعيلية بعد الأدلة الشرعية ما يؤخذ من تاريخهم وواقعهم المليء بالتناقض والاضطراب وإذا ما نظرنا في ذلك فسوف نصل إلى النتائج الواقعية التالية:

(١) أن الاسماعيلية يعتقدون معتقدات نظرية غير قابلة للتطبيق فهم ينصون على أن الإمامة نص على الابن بعد أبيه والنص لا يرجع القهقهري.

ففي هذه الحالة كيف يفسرون إمامة الحسين بعد أخيه الحسن رضي الله عنهما وكيف يفسرون انقطاع النسل بعد محمد بن اسماعيل وكيف يفسرون انقطاع النسل بعد نزار بن المستنصر أو انقطاع النسل بعد الآمر بن المستعلي ثم كيف يفسرون دعوى أبناء الحسن الصباح أنهم أئمة وهم ليسوا من نسل الأئمة كما هو ثابت من مؤسس دولتهم الذي سمى نفسه حجة الإمام المستور ثم كيف يفسرون انقطاع نسل الأئمة القضاء على آخر حاكم في الألموت عام ٦٥٤هـ إلى ظهور حسن علي شاه الذي لقب بأغاخان عام ١٢١٩هـ وجاهر بإمامته للاسماعيلية النزارية. هذا بالنسبة للنزاريين أما المستعليين فكيف يفسرون انقطاع نسل الطيب بن الآمر من القرن الخامس الهجري حتى الآن فهل الستر يستمر تسعة قرون أم ماذا... إلخ التناقضات والاضطرابات التي تدل على حماقاتهم وقحتهم ومجاهرتهم بالكذب وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن القوم لا قواعد لهم ولا ضوابط وإن أثبتنا لهم شيئًا من ذلك فهم يقولون ما لا يفعلون وجزاءهم ما ذكره الله عز وجل في كتابه بقوله تعالى: ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ③﴾[2]، ولا مناص لهم من لزوم أحد هذين الأمرين.

(٢) أن الاسماعيلية نظريًا يقولون بأن النص لا يرجع القهقرى وعمليًا طبقوا رجوع النص القهقهري فهدموا مبدأهم الأساسي بواقعهم وتاريخهم فماذا عساهم

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤/١٤٨.

(٢) سورة الصف: ٣.

يقولون أيضًا عن إمامة الحسين بعد أخيه الحسن رضي الله عنهما.

وماذا يقولون عن إمامة اسماعيل بن جعفر مع إجماع المؤرخين على وفاته في عهد أبيه[1] فهل هو إمام منصوص عليه أم أن والده طرده وتبرأ منه نتيجة فسوقه وصلته بأبي الخطاب؟

ثم ماذا يقولون عن دور الاستتار وهل الإمامة في هذه الفترة تنتقل من أب لابنه أم غير ذلك؟ هذا ما لا نعلمه والكثير من الاسماعيلية لا يعلمه[2]. ثم ماذا يقولون عن إمامة القائم وهل هو ابن لعبيد الله المهدي أم غير ذلك؟

ومن الغرائب والعجائب أن المعز ـ وهو الإمام الاسماعيلي الرابع من أئمة الظهور ـ نص على ابنه عبد الله وأعلن على الملأ أنه الإمام بعده ثم مات عبدالله في حياة أبيه ثم نقل المعز النص إلى أخيه الأصغر الملقب بالعزيز دون نقل النص إلى أحد أبناء عبدالله بموجب قاعدة الشيعة وأصلها في انتقال الإمامة من الأب إلى ابنه. وهكذا ـ وكما يقول إحسان إلهي ـ هدم المعز العبيدي ذلك المبدأ الأساسي الذي قام عليه المذهب الاسماعيلي والديانة الاسماعيلية ولا أدري كيف يستسيغ الاسماعيلية بعد ذلك أن يردوا على الشيعة الآخرين ما دام انهدم دعامة مذهبهم الأصلية من نقل الإمامة في الأعقاب وعدم رجوع النص القهقرى؟

وكيف يحق لهم إثبات إمامة محمد بن اسماعيل دون الآخرين من أعمامه من ولد جعفر بن محمد الباقر؟ وأحواله تتشابه تمامًا مع العزيز بن المعز.

وهذا التناقض والتعارض وحده كاف للقضاء على المذهب الاسماعيلي والحكم عليه بالبطلان. كيف لا وداعي الدعاة الاسماعيلي ادريس عماد الدين يرد على الفرق

---

(١) سبق الحديث بالتفصيل عن ثبوت وفاة اسماعيل بن جعفر قبل والده وإجماع المؤرخين على ذلك، وذلك في القسم الأول من الرسالة ص٣١٣ ـ ٣١٤.

(٢) سبق أن ذكرنا أن الاسماعيليين أنفسهم اختلفوا في الأئمة المستورين عددهم وأسماءهم وألقابهم وذلك في القسم الأول من الرسالة ص٣٣٥ ـ ٣٣٦، وما داموا مختلفين في هذه الأمور وهي ثانوية ولم يثبتوا أمرًا مرجحًا فيها فكيف يقطعون بأن الإمامة كانت تسير في المستورين مسلسلة من الآباء إلى الأبناء مع أهمية ذلك في عقيدتهم.

الشيعية الأخرىٰ في هذه المسألة بقوله: تشتت شيعة جعفر الصادق وتمزقت وقالت كل فرقة منها بإمامة واحد من آله فزلت عن سفينة النجاة وفي طوفان جهلها غرفت سوىٰ من اعتقد إمامة اسماعيل بن جعفر ومحمد بن اسماعيل وعلمت أن محمداً بعد أبيه وجده هو الإمام[١].

ومن الملاحظ أن الاسماعيلية وقعوا في تناقض واضطراب ولابد لهم من تخطئه أحد الإمامين المعصومين! جعفر الصادق أو المعز العبيدي حيث أن تصرف أحدهما في نقل الإمامة نقض لتصرف الآخر ويستحيل الجمع بينهما لتضادهما. فإذا صح تصرف المعز فقد بطل تصرف جعفر وبطلان تصرف جعفر يهدم مذهب الاسماعيلية كلية حيث لا تثبت إمامة محمد بن اسماعيل بعد وفاة والده اسماعيل وإذا صح تصرف جعفر بطل تصرف المعز وسارت الإمامة في الواقع في غير أهلها وبذا تكون الإمامة باطلة من ذلك الوقت حتىٰ آخر إمام لهم ولا مناص لهم من إحدىٰ الحالتين. وهذا من أبين الردود عليهم في نصية الإمامة وتسلسلها من الآباء إلىٰ الأبناء.

هذا وقد نقض الاسماعيلية أصلهم النظري مرة أخرىٰ عندما عين المستنصر العبيدي ابنه الأصغر المستعلي وأبعد نزاراً وهو ولده الأكبر الذي يستحق الإمامة ـ كما يدعون ـ ومن جراء ذلك حصل الخلاف بين الاسماعيلية عندئذ وانقسموا إلىٰ طائفتين النزارية القائلين بإمامة نزار والمستعلية القائلين بإمامة المستعلي وسبق أن ذكرنا ذلك[٢].

والخلاصة أن الاسماعيلية بأصلهم هذا (الإمامة والأئمة) ابتعدوا كثيراً عن الهدىٰ والصواب حتىٰ لم يبق عندهم من الإسلام سوىٰ بعض النصوص القرآنية التي لعب بها أئمتهم ودعاتهم تأويلاً وتحريفًا بحجة أن الأئمة اختصوا بمعرفة الباطن وحق التأويل.

هذا وقد آثرت عدم مناقشة ألفاظهم الإلحادية ومعتقداتهم الكفرية[٣] فحكايتها

---

(١) انظر كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد لإحسان إلهي ص٦٥٧ ـ ٦٥٩.

(٢) انظر القسم الأول من الرسالة ص

(٣) وذلك كتأليه الأئمة والسجود لهم والقول بأفضلية الأئمة علىٰ الأنبياء والرسل وتفوههم بأفضلية إمامهم محمد بن اسماعيل علىٰ الرسول ﷺ وزعمهم بأنه ناسخ لشريعته تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وتصورها كاف في بيان ضلالها وبطلانها ومما له مدلول مهم أن هذه المعتقدات ثابتة بنصوصهم هم وليست مما نقله عنهم غيرهم وكأني بعلماء الفرق والمقالات أعرضوا عن ذكرها ونقلها لأنها من الكفر البواح الذي لا يحتمل التأويل ولا يستحق الرد والمناقشة. وعندما يشيرون إلى شيء منها فإنهم يكتفون بالقول بأنه لا يتفوه بمثل هذه الأمور إلا الملاحدة والكفار وأهل الردة والنفاق.

يقول ابن تيمية رحمه الله: إن الغلاة من الرافضة كالاسماعيلية الذين يقولون بإلهية الحاكم ونحوه من أئمتهم ويقولون: إن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد ابن عبدالله وغير ذلك من المقالات التي هي من مقالات الغالية من الرافضة فهؤلاء شر من أكثر الكفار من اليهود والنصارى والمشركين وهم ينتسبون إلى الشيعة ويتظاهرون بمذاهبهم[1].

وفي ختام الحديث عن أصل الإمامة عند الاسماعيلية أجمل بعض النتائج الخطيرة التي نتجت عن معتقدهم في الإمامة ومنها:

(١) اللعب بالأصول الشرعية عن طريق الأئمة وإخضاع هذه الأصول للتأويلات والتفسيرات الباطنية ولذا أصبحت حقائق الدين وأحكامه عند الاسماعيلية مبنية على التأثر بالأهواء والأغراض الشخصية التي لاضوابط لها ولا قواعد.

(٢) استغلال نظرية الإمامة حيث كانت مدخلاً للكثير من البدع وتربة صالحة للآراء والمعتقدات الاسماعيلية الباطلة.

(٣) اعتبر الاسماعيلية الإمامة جسراً يعبرون عليه لاستمرار نشاطهم وتحقق أهدافهم الهدامة حيث أحاطوا الأئمة بهالة من التقديس والتعظيم وادعت كل طائفة أن إمامها هو الذي يفيض عليه نور المعرفة وتتكشف له الحقائق ويعرف أصل الشريعة الذي يعبرون عنه بالباطن الحقيقي وعن ذلك يقول الحميري:

وقد أمسكت كل طائفة برئيس وعدت حسنًا منه كل بئيس ولكل محاسن ومساو

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية تحقيق محمد رشاد ١/ ٤٨٢.

وقول ليس بمتساو[١].

كما يقول المستشرق اليهودي جولد تسيهر: إن فكرة الإمامة عند الاسماعيلية لم تكن إلا قناعًا ستروا وراءه برامجهم الهدامة ولم تكن إلا تكأة إسلامية المظهر اعتمدوا عليها كأداة للتقويض والتدمير[٢].

* * * * *

(١) الحور العين لنشوان الحميري ص٢٤٨.

(٢) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص٢٣٩.

الأصل الثاني
التأويل الباطني

تمهيد:

التأويل الباطني أصل من أصول الاسماعيلية. وسبق أن تحدثنا عن تعريف التأويل الباطني وبيان أصله ومنشأه، ومن ثم تسربه إلى المجتمع الإسلامي عن طريق السبأية وفرق الغلاة[١] حتى تبنته الاسماعيلية ونشرته أكثر من غيرها وبنت جميع معتقداتها عليه ولذلك أجمع كتاب الفرق والمقالات على أنهم إنما سموا بالباطنية لقولهم بالظاهر والباطن واتخاذهم التأويل الباطني أصلاً من أصولهم.

يقول الإمام الغزالي: إنهم لقبوا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية وهي عند العقلاء والأذكياء صور وإشارات إلى حقائق معينة وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها مسارعًا إلى الاغترار كان تحت الأواصر والأغلال معنى الأوزار والأثقال[٢].

ويتفق ابن الجوزي مع الغزالي في سبب التسمية حتى أنه ليخيل للقاريء أن الأول نقل من الثاني وذلك للتشابه بينهما في العبارات والمدلولات[٣].

أما الشهرستاني فيقول: إنه لزمهم لقب الباطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا ولكل تنزيل تأويلاً[٤].

---

(١) وذلك في القسم الأول من الرسالة ص -

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص ١١ ـ ١٢.

(٣) تلبيس ابليس لابن الجوزي ص١٠٢. ولتأكيد أن ابن الجوزي نقل من الغزالي فإن سنة وفاة ابن الجوزي عام ٥٩٧هـ أما الغزالي فتوفي عام ٥٠٥هـ فالمتأخر نقل عن المتقدم.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢.

ويقـول يحيىٰ العلوي : إنهم لقبوا بـالباطنيـة لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرىٰ اللب من القشر واعتقدوا أنه من ارتقىٰ إلىٰ علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح منه وأن الجهال هم المنكرون للباطن[١] .

ويشارك الديلمي من سبقه من العلماء في سبب التسمية فيقول : إنهم لقبوا بالباطنية لأنهم ينسبون لكل ظاهر باطنًا ويقولون إن الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللب المطلوب[٢] .

ويقول صاحب الفرق الإسلامية : إنهم لقبوا بالباطنية لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره فقالوا : إن للقرآن باطنًا وظاهراً والمراد منه باطنه دون ظاهره ونسبة الباطن إلىٰ الظاهر كنسبة اللب إلىٰ القشر والمتمسك بظاهره معذب بالمشقة بالاكتساب وباطنه مؤد ترك العمل بظاهره[٣] . ينفرد ابن خلدون عمن سبق ذكرهم من العلماء حول سبب تسميتهم بالباطنية حيث يقول : إن تسميتهم بذلك لقولهم بإمامة اسماعيل بن جعفر الصادق وأنه الإمام الباطني أي المستور[٤] .

وما ذكره ابن خلدون لا يخرج في حقيقة الأمر مع ما أجمع عليه علماء الفرق لأن باطنية الاسماعيلية تعم كل شيء في حياتهم من نصوص شرعية ومعتقدات وأعمال وبالطبع يدخل في ذلك القول بباطنية أئمتهم وأنهم مستورون عن عامة الناس .

(١) أهمية التأويل الباطني عند الاسماعيلية:

اعتقد الاسماعيلية أن كل شيء ظاهر محسوس في هذا الكون له معنىٰ آخر خفي يعرف بالمعنىٰ الباطن فألفاظ القرآن مثلاً لها معنىٰ باطن غير المعنىٰ الحرفي الظاهر حتىٰ أنهم في ذلك نسبوا إلىٰ رسول الله ﷺ حديثين موضوعين فروىٰ قاضي الاسماعيلية

(١) الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام للعلوي ص٢٢ .

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٢١ .

(٣) مخطوطة الفرق الإسلامية لمؤلف مجهول ورقة ٦٨ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص٢٠١ .

ابن حيون أن رسول الله ﷺ قال: «ما نزلت علي آية من القرآن إلا ولها ظهر وبطن»[١].

وروىٰ أبو حاتم الرازي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما نزلت علي آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع[٢].

ومن منطلق التأويل الباطني قالوا: إنه لابد لكل محسوس من ظاهر وباطن فظاهره ما تقع الحواس عليه وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأن فيه وظاهره مشتمل عليه[٣].

ولأهمية التأويل الباطني وتأصيله عندهم قالوا: إن الذي يقف علىٰ ظاهر القرآن ولا يقف علىٰ تأويله الباطني مثله مثل الحمار الذي يحمل أسفاراً فقوله تعالىٰ: ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ يعني ظاهرها ﴿ثم لم يحملوها﴾ يعني باطنها ﴿... كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥﴾[٤].

وفرقوا بين الظاهر والباطن بقولهم: إن الظاهر هو الشريعة والباطن هو الحقيقة وصاحب الشريعة هو الرسول ﷺ وصاحب الحقيقة هو الوصي علي بن أبي طالب[٥] ثم قسموا الظاهر والباطن بين الرسول ﷺ والوصي فقالوا: كانت الدعوة الظاهرة قسط الرسول ﷺ والدعوة الباطنة قسط وصيه الذي فاض منه عليه جزيل الأنعام[٦] ورووا حديثًا مكذوبًا إلىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: أنا صاحب التنزيل. وعلي صاحب التأويل[٧].

---

(١) أساس التأويل للقاضي ابن حيون ص٢٩ ـ ٣٠.

(٢) أعلام النبوة لأبي حاتم الرازي الاسماعيلي.

(٣) أساس التأوي لابن حيون ص٢٨.

(٤) سورة الجمعة: ٥.

(٥) الافتخار للسجستاني ص٧١.

(٦) الذخيرة للداعي علي بن الوليد ص١١٣.

(٧) السيرة المؤيدية لمحمد كامل حسين ص١٧.

فعلي عند الاسماعيلية مثل الرسول ﷺ وتبليغ الدين مقسوم بينهما للرسول ﷺ نصف ولعلي مثل ذلك يقول داع اسماعيلي: إن علي بن أبي طالب هو مثل الليل لكونه صاحب التأويل. ومنزلة الرسول منزلة النهار؛ لأنه صاحب التنزيل الظاهر. ولما كان الدين ظاهراً وباطناً قام النبي ﷺ بتبليغ الظاهر وصرف إلى وصيه نصف الدين وهو الباطن[1].

كذلك قسموا المعرفة إلى ظاهر وباطن واعتبروا الإسلام ظاهراً والإيمان باطناً وأن المعرفة لا تقوم إلا بهاتين الفكرتين. وضربوا أمثلة للظاهر والباطن بالإنسان فإن جسمه يشتمل على ظاهر وهو الجسد أو الجثة وباطن وهي النفس والروح ولذلك فإن عالم المحسوسات ينقسم إلى قسمين. عالم الظاهر وعالم الباطن ويستتبع ذلك وجود نوعين من العلم هما علم الظاهر وعلم الباطن ومن خلال هذا النص لجعفر بن منصور اليمن يظهر لنا تركيبهم الفاسد حيث ركبوا الظاهر والباطن على المخلوق واشتماله على أمرين الجسد والروح. يقول جعفر: إن حجة محمد وهو على صاحب التأويل صلوات الله عليه ينفخ الروح في الأجسام ومعناه في الباطن أنه يلقي العلم الباطن على العلم الظاهر فيثبت بذلك الدين القيم ويكمل بإذن الله ويحيى بذلك العلم الأموات بالجهل. والروح مثل العلم والعمل مثل الجسم وكل جسم لا روح فيه فهو ميت وكل عمل لا علم معه هو جسد لا روح فيه فالجاهل ميت حتى يجيبه صاحب الحق بعلم الحق[2].

وفي رسائل إخوان الصفا ـ والتي تعتبر قاموساً للباطنية ـ قولهم إن العلم والروح هو الباطن والعمل هو جسد بلا روح واعتقاد بلا علم[3].

وعلى ذلك قال الكرماني: إن أهل الظاهر العابدون بالعمل فقط وإن أهل الباطن

---

(١) مسائل مجموعة من الحقائق العالية بعنوان أربعة كتب اسماعيلية ص٢٩ ـ ٣٠.

(٢) كتاب الكشف والقرانات لجعفر بن منصور اليمن ص٦٨.

(٣) رسائل إخوان الصفا ١/ ٧٨.

هم العالمون بالعلم[1]. وكذلك قال المؤيد الشيرازي: من اعتقد أن الباطن قوامًا دون الظاهر وللعلم قبولاً من دون العمل كان كمن أوجب للروح قوامًا من دون الجسد[2].

ولتثبيت هذا الأصل عند الاسماعيلية رموا غيرهم المخالفين لهم بالجهل لتمسكهم بالظاهر وعدم إلمامهم بعلم الباطن وذهبوا إلى أن توحيد أهل الظاهر هو إلى الشرك أقرب[3].

بل إنهم كفروا من يعتقد بالظاهر دون الباطن ولطالما رددوا في كتبهم عبارتهم المشهورة «من عمل بالظاهر دون الباطن فليس منا ومن عمل بالباطن والظاهر فهو منا وما فاز عند الله إلا من عمل بالحالتين جميعًا ظاهراً وباطنًا».

وفي عبارة أخرى «من عمل بالباطن والظاهر فهو منا. ومن عمل بالظاهر دون الباطن فالكلب خير منه وليس منا»[4].

وللوصول إلى الباطن استخدموا نظرية فلسفية قديمة هي نظرية «المثل والممثول» والمقصود منها. تفسير الأمور العقلية غير المحسوسة. وهذه النظرية تلقفوها من الفلاسفة القدماء وقد ذكرها أفلاطون مراراً في كتبه وهذا مما يؤكد ما ذكرناه من قبل[5] من تأثر الاسماعيلية بالفلاسفة الإغريق وأخذ كثير من معتقداتهم واعتبارها معتقدات اسماعيلية وبهذه النظرية استطاع الاسماعيليون أن يلعبوا بالنصوص الشرعية تأويلاً لها بما يتفق ومعتقداتهم وأغراضهم.

ومما قال المؤيد في مجالسه: إن الله تعالى أجرى نظام الحكمة على أن يكون جميع ما خلق من خلقه محسوسًا ومعقولاً ومثلاً وممثولاً. وأهل بيت رسول الله هم الذين يستنطقون السن عالم الطبيعة بأسرار الشريعة ويخرجون أمثلة هذه من هذه وأمثلة هذه

---

(١) انظر راحة العقل للكرماني ص٢٧٥.

(٢) المجالس المؤيدية للشيرازي/ ١٩٢.

(٣) تأويل دعائم الإسلام لابن حيون ١/ ٣.

(٤) كتاب الفترات والقرانات لجعفر بن منصور اليمن ص٦٦ ـ ٦٧.

(٥) انظر ص من الرسالة في أول القسم الثاني.

من هذه فيدلون به على كون صدور الدين من حيث صدر عنه خلق السموات والأرض مثلاً بمثل كما قال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ۝﴾[1].

(٢) نماذج من تأويل الاسماعيلية للآيات القرآنية:

أكثر الاسماعيلية من تأويل الآيات تأويلاً باطنيًا حتى أن لهم كتبًا خاصة مستقلة لتأويل الآيات القرآنية وذلك ككتاب الكشف للداعية الاسماعيلية جعفر بن منصور اليمن ومما أول به التسمية أنه قال: إن (بسم الله) سبعة أحرف يتفرع منها اثنا عشر ويتلوها اثنا عشر حروف (الرحمن الرحيم) والسورة سورة الحمد وهي سبع آيات فالسبع التي هي (بسم الله) تدل على النطقاء السبعة ويتفرع منها اثنا عشر تدل على أن لكل ناطق اثني عشر نقيبًا ثم الاثنا عشر التي هي (الرحمن الرحيم) يتفرع منها تسعة عشر. فدل ذلك على أن النطقاء يتفرع منهم بعد كل ناطق سبعة أئمة واثنا عشر حجة فذلك تسعة عشر. والسبع آيات التي هي سورة الحمد أمثال لمراتب الدين السبع فسورة الحمد يستفتح بها كتاب الله كذلك مراتب الدين يستفتح بها أبواب علم دين الله[2].

وعن الحروف في أوائل السور قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿آلم﴾ في سورة البقرة أن الألف فيها تدل على الناطق واللام على الوصي والميم على الإمام المتم وبهذا الأسلوب أولوا جميع الحروف المقطعة في أوائل السور[3].

وفي تأويل آية الكرسي قال أحد دعاة الاسماعيلية: إن حروف المعجم لما كانت محدثة لم تدل إلا على محدث مثلها وإنما يضطرنا العجز إلى أن نكنى (كذا) عنه بما يستحقه أسماؤه العليا لعدمنا ما نصفه به. فكان المكنى عنه ـ حقيقة ـ بالحي القيوم وسائر النعوت المذكورة في الآية هو أول مبدع أبدعه الله تعالى وهو اسمه الأعظم

(١) الآية القرآنية من سور الذاريات: ٢٠ ـ ٢١، ونص المؤيد الشيرازي من كتاب ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص١٠٧.

(٢) كتاب الرشد والهداية لابن حوشب ص١٩٠.

(٣) انظر نماذج كثيرة نقلها الشيخ إحسان إلهي عن كتبهم في كتابه الاسماعيلية تاريخ وعقائد ص٥٣٩.

وقوله: ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾ هو تنزيه له تعالى عما يعتري أبناء الطبيعة من السنة التي هي الغفلة والنوم وقوله تعالى: ﴿**له ما في السموات وما في الأرض**﴾ هو إخبار أن من لا تجاسره الخواطر ملكه لما خصه به وأنعم عليه من المدة الأزلية التي كانت جزاء عن تنزيهه لمبدعه عن جميع ما في العوالم الروحاني والطبيعي والديني وما احتوت عليه سمواتهم وأرضهم. والسموات الطبيعية هي الأفلاك، والأرض هي المركز في عالم الكون والفساد. والسموات في عالم الروحاني والديني هم المفيدون والأرض هم المستفيدون. فكل واحد منهم سماء لتأليه وأرض لعاليه. والمبدع الأول تعالى مبدعه مالك للجميع ممد للكل وبأمره الساري إليهم قاموا وبمادته الأزلية المتصل بهم داموا واستقاموا.

وقوله تعالى: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ معناه أنه لا يقدر على الشفاعة ويقبل منه إلا من قام في مرتبة من مراتب العالمين الروحاني والديني بإذنه وأفاد وهدى بأمره بوساطة من سبق عليه الحدود.

وقوله تعالى: ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**﴾ فالذي بين أيديهم هي الآخرة والذي خلفهم هي الدنيا وعلمه محيط بالكل.

وقوله تعالى: ﴿**ولا يحيطون بشيد من علمه إلا بما شاء**﴾ إخبار منه سبحانه أن أحداً من هذه العوالم لا يحيط بعلم إلا بما أفاضه عليه وشاء أن يهديه إليه.

وقوله تعالى: ﴿**وسع كرسيه السموات والأرض**﴾ فكرسيه في العالم الروحاني هو تأليه الذي أقامه لهداية أهل عالم الإبداع وسعهم رحمة وإفادة. وكرسيه في العالم الديني هو كل مقام في عصره من نبي ووصي وإمام وهو الذي وسع من في ضمنه من سموات الدين وأرضه هداية ورحمة وكرسيه في العالم الحسي الطبيعي النفس الفلكية والحياة المحركة لها العناية الإلهية التي وسعت كل ما في عالم الطبيعة تجربة ونقلاً لك شيء من جزئياتها إلى ما يليق به من كون أو فساد.

وقوله تعالى: ﴿**ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم**﴾ معناه لا يثقله ولا يشغله ما صرف إليه مبدعه تعالى عمن حفظ العوالم بأمر لكونه عالياً في شريف منزلته عظيماً

في تدبيره للخلائق بأمر موجده وقدرته فاعلم[١].

وفي تأويل قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) ﴾[٢].

نجد أن المؤيد الشيرازي أحد دعاة الباطنية يتهكم بتفسير أهل السنة لهذه الآية ويؤولها تأويلاً باطنيًا حسب منهجهم في تأويل النصوص يقول: فيا لها من غشاوة تمتد علىٰ بصر من لا يتدبر فحوىٰ هذه الآية حق التدبر ولا يتفكر في معناها واجب التفكر من الذي جهل فيما مضىٰ من الأزمنة وغابرها وغائب الأوقات وحاضرها أن الأبواب علىٰ البيوت من أجل الدخول فيها منصوبة وإليه علىٰ علاته منسوبة فما وجه تأديب الله سبحانه لخلقه بشيء يتساوىٰ في علمه العالم والجاهل والغني والفقير من البصيرة. ولولا أنه سبحانه عني بالبيت غير المبني من الطين والحجارة وكنىٰ عن سواه بهذه الكناية والإشارة ولم لا يكون هذا البيت بيت الله الحي الناطق الذي أغاث به سبحانه الخلائق وهو رسول الله ﷺ في عصره باديًا. وكل إمام في زمانه ثانيًا بيوت الله المعمورة بالحكم ومعالم الدين التي هي منجاة الأمم.

ولم لا يكون باب البيت أمير المؤمنين الذي هو باب النجاة وسبب دائم للحياة فعند ذلك يخلص من الآية المذكورة الزبدة وتسقط عنها في النقص إذا حملت علىٰ جهة ظاهرها العهدة ويكون كلام رسول الله ﷺ عليها دليلاً وبما تكلفت به كفيلاً: أنا مدينة العلم وعلىٰ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب[٣].

ولكون هذه التأويلات الباطنية للآيات القرآنية غير مبنية علىٰ حدود وضوابط أو قيود نجد أنهم كثيراً ما يتهجمون علىٰ علماء المسلمين ـ ولا سيما المفسرين منهم ـ

---

(١) أربع كتب اسماعيلية جمع شتروطمان ضمن مسائل مجموعة من الحقائق العالية والأسرار السامية ص٣٥ـ٣٦.

(٢) سورة البقرة: ١٨٩.

(٣) كتاب المجالس المؤيدية للشيرازي ص٢٠٣. أما الحديث الذي في آخر النص فهو حديث مكذوب موضوع.

فيصفونهم بالعامة حينًا وبالجهال حينًا آخر فهذا قاضي الاسماعيلية النعمان بن حيون يقول عند تأويله لإحدى الآيات القرآنية: إن العامة الجاهلين المسمون بالعلماء قد عمهم الجهل حيث فسروا قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم...﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ (٨٢)﴾[2] بأن المراد بالدواب ذوي الحوافر والأظلاف... إلخ ويتهكم بهذا التفسير ثم يقول والله منزه عما يقولون ومبرأ من إفكهم وضلالتهم (أي مفسري المسلمين) ثم يفسر الآية حسب منهجهم في التأويل الباطني باللعب بألفاظ القرآن يقول: إن المراد بالدواب هم الدعاة. والأرض في الآية الثانية مثل الحجة والدابة الجناح والطائر يدل على الداعي لأن هناك جناحًا أيمن وجناحًا أيسر. وهو ما تدل عليه الآية الأولى: ﴿وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ومما يؤيد ذلك ـ حسب زعمه ـ قوله تعالى حكاية عن عيسى ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾[3] يعني أقيم لكم داعيًا من الإمام[4].

وفي تأويل قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾[5] يقول داع باطني معاصر أن معناها: إني وجهت وجهي للذي فطر الأنبياء العظام وأرسلهم بالظواهر في الأنام وأرسل حججهم بتأويل ما أتو به وبحقائقه وأسراره ودقائقه وما أنا من القائلين إنه يحل في الأجسام بل هو يتجلى في كل زمان ومكان بكل مقام وذلك هو العقل العاشر والمدبر الظاهر[6].

وفي تأويل قصة ابني آدم الواردة في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ

---

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

(٢) سورة النمل: ٨٢.

(٣) سورة المائدة: ١١٠.

(٤) مخطوطة الرسالة المذهبة للقاضي الاسماعيلي النعامن بن حيون ورقة ٩٢ ـ ٩٣.

(٥) سورة الأنعام: ٧٩.

(٦) مخطوطة حياة الأحرار لعلي المكرمي ورقة ٢٤.

﴿قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ . . . إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿. . . قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)﴾[1]، ذكر الداعي الباطني الكرماني تأويلات باطنية فجة لجميع الألفاظ والأعلام الواردة في هذه الآيات الخمس فابني آدم هما الضد الذي اعتقد أن العبادة ليست إلا بالظاهرة من الأعمال. والولي الذي اعتقد أن العبادة بالظاهر والباطن وأن الخلاص بهما جميعًا والقربان هو اعتقاد كل منهما فتقل من أحدهما وهو الولي ولم يتقبل من الآخر وهو الضد والمتقين هم الذين يجمعون بين العلم والعمل أي الظاهر والباطن والقتل هو دفع من يستحق مرتبة من مراتب الدعوة عنها إلىٰ أقل منها، والغراب عبارة عن رجل من أصحاب الناطق ليوضح للضد أمره ومنزلته وبعد ذلك لا يستنكف هذا الباطن أن يطبق ذلك في حق أبي بكر رضي الله عنه وابنه محمد حيث يعتبره من المختصين بالولي (أي محمد) وهو الغراب.

وهذا من جهة الدين أما من جهة النسب فيعبر عنه بالضد. . . إلخ هذه التأويلات الغثة الركيكة مبنىٰ ومعنىٰ[2].

(٣) تأويل الاسماعيلية للتكاليف الشرعية:

نظرًا لأصالة التأويل الباطني عند الاسماعيلية فإنه يسري في جميع أمورهم الاعتقادية والعملية وسبق أن ذكرنا نماذج من تأويلاتهم الاعتقادية أما العبادات العملية عند المسلمين كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد فقد أولوها كذلك تأويلاً باطنيًا وحسيًا في ذلك موسوعتهم الباطنية «تأويل دعائم الإسلام» لقاضي الاسماعيلية ابن حيون حيث أول جميع شرائع الإسلام من منطلق الظاهر والباطن فهو يقول عن الصلاة: إن مثلها مثل الدعوة والمؤذن الذي ينادي للصلاة هو الداعي الذي يدعو إلىٰ باطن الدعوة فظاهر الصلاة إتمام ركوعها وسجودها وفروضها ومسنونها وباطنها إقامة

---

(١) سورة المائدة: ٢٧ ـ ٣١.

(٢) نص هذا الباطني حول تأويله لهذه الآيات يصل إلىٰ خمس صفحات لكني ذكرت النقاط التي تبين منهجهم في التأويل من دون نقل للنص بتمامه مخافة تسويد البياض به. وانظر النص كاملاً في كتاب الرياض لأحمد حميد الدين الكرماني ص١٨٢ ـ ١٨٥.

دعوة الحق في كل عصر. ويقول إن مثل الصلوات الخمس في عددها مثل الدعوات الخمس لأولي العزم من الرسل الذين صبروا على ما أمروا به ودعوا إليه فكل صلاة منها مثل لدعوة كل واحد من أولي العزم الخمسة فصلاة الظهر مثل لدعوة نوح والعصر مثل لدعوة ابراهيم والمغرب مثل لدعوة موسى والعشاء الآخرة مثل لدعوة عيسى والفجر وهي الصلاة الخامسة مثل للدعوة الخامسة وهي دعوة خامس أولي العزم من الرسل محمداً ﷺ[1].

وعن تأويل الزكاة يقول: إن المراد منها في الظاهر إخراج ما يجب على الأغنياء في أموالهم ودفع ذلك إلى أئمة الذين تعبد الله عز وجل الناس بدفع ذلك إليهم وأما في الباطن فمثلها مثل الأسس والحجج الذين يطهرون الناس ويصلحون أحوالهم وينقلونهم في درجات الفضل بما يوجبه أعمالهم فيكون على هذا قوله: لا صلاة إلا بزكاة يعني أنه لا تقوم الدعوة إلا بمعرفة الأسس الذين هم أوصياء النبيين والحجج الذين هم أوصياء الأئمة. وحينما تحدث عن وضع الزكاة في غير موضعها قال وتأويل ذلك في الباطن. إن طهارة أهل كل عصر وزمان إنما يكون عند إمام زمانهم أو عند من أقامهم ونصبهم لطهارتهم فما كان من أعمالهم التي توجب الطهارة لهم لم يجزهم دفعها إلا إلى من يلي طهارتهم وتزكيتهم[2].

وعن تأويل الصوم قال إن له معنيين: المعنى الظاهر هو المتعارف عند عامة الناس الإمساك عن الطعام والشراب والجماع وما يجري مجرى ذلك، وأما المعنى الباطن للصوم فهو كتمان علم باطن الشريعة عن أهل الظاهر والإمساك عن المفاتحة به ممن لم يؤذن له في ذلك. ومما قال: إن مثل أيام شهر رمضان التي أمر الله عز وجل بصومها ما يقابلها من عشرة أئمة وعشرة حجج وعشرة أبواب وذلك في التأويل كتمان أمرهم وما يلقونه من التأويل إلى من عاملوه إلى أن يأذنوا في ذلك لمن يرونه.

وقال إن الأيام أمثالها في الباطن أمثال النطقاء والليالي أمثالها أمثال الحجج فكما

---

(١) تأويل الدعائم لابن حيون الاسماعيلي ١/ ١٧٧ ـ ١٧٩.

(٢) المرجع السابق ٣/ ٥٨ ـ ٥٩.

أنه لابد لكل يوم من ليلة فكذلك لابد لكل ناطق من حجة فمثل ليلة القدر مثل حجة خاتم الأئمة وحجته يقوم قبله لينذر الناس بقيامه ويبشرهم به ويحضهم على الأعمال الصالحة قبل ظهوره واغتنام ذلك لأنه إذا قام انقطع العمل ولم يقبل ولم ينفع[١].

وعن الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج قال قاضي الاسماعيلية: إن للحج ظاهراً وباطنًا فظاهره الإتيان إلى البيت العتيق بمكة لقضاء المناسك عنده وباطنه الذي جعل الظاهر دليلاً عليه. إتيان إمام الزمان من نبي وإمام لأن إمام الزمان مثله في الباطن مثل البيت الحرام. وقال عن الاستطاعة الواردة في قوله تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً...﴾[٢] بأن لها معنيين الظاهر وجود الزاد والراحلة وأمن السبيل. وأما المعنى الباطن المراد من الزاد فهو العلم والحكمة اللذين بهما حياة الأرواح الحياة الدائمة. والراحلة مثلها في الباطن أولياء الله وأسبابهم الذين يحملون أثقال العباد دينًا ودنيًا. فإذا وجد من وقف لطلب معرفة إمام زمانه من أسباب أولياء الله والدعاة إليهم من يدله عليه ويعرفه به ويفاتحه من العلم والحكمة بما يشهد لصحة قوله ويبين له ما دعاه إليه فذلك في الباطن وجود الزاد والراحلة. وأما أمن السبيل فمثله في باطن التأويل أن يكون دليله على ذلك وحامله عليه وهاديه إليه ومفيده من العلم والحكمة ما يثبت ذلك عنده مأمونًا غير متهم بالكذب وسوء المذهب ولا معروفًا بذلك[٣].

وعن تأويل الجهاد الذي يعتبرونه الدعامة السابعة من دعائم الإسلام[٤] أولوه تأويلاً باطنيًا لصالح مذهبهم والدعاية له ونشره بين الناس. فمما قال قاضي الاسماعيلية عن المعنى الباطن للجهاد: أنه الاستجابة لدعوتهم ومجاهدة النفس على

---

(١) تأويل الدعائم لابن حيون الاسماعيلي ٣/ ١٠٧ فما بعد.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧.

(٣) تأويل الدعائم لابن حيون الاسماعيلي ٣/ ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٤) عند الاسماعيلية أن دعائم الإسلام سبع وهي الولاية ـ أي ولاية أئمتهم ـ والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وعليها بني قاضي الاسماعيلية الباطني كتابيه المشهورين في مراجع الاسماعيلية وفقههم وهما دعائم الإسلام مجلدين وتأويل الدعائم ثلاثة مجلدات.

الإيمان بها وردع من يمتنع من القيام بنشرها. وقال عن تأويل النفقة في الجهاد أن معناها ما يتلقاه المستفيدون من المفيدين من علم أولياء الله حيث أنهم يفيدون نقباءهم من علم ظاهر الشريعة وعلم باطنها حسبما ينبغي لهم ويفيد النقباء من ذلك من يستفيد منهم بقدر قسطه وكذلك يفيد أهل كل طبقة من دونهم من المستفيدين فهم بقدر احتمالهم وما توجبه حدودهم[1].

إن كل هذه التأويلات سواء للنصوص الشرعية أو للتكاليف العملية ليست مما نسبه أهل الفرق والمقالات إلى الباطنيين ولكنه مما في كتبهم الباطنية فحسب وهي أمثلة لما تفيض به كتبهم الباطنية الكثيرة والتي تبين لنا حقيقة الفرقة الباطنية عمومًا والتأويل الباطني لديها خصوصًا.

(٤) تصوير علماء الفرق التأويل الباطني عند الاسماعيلية:

وأما أهل المقالات من علماء المسلمين فقد نقلوا نماذج كثيرة من مثل هذه التأويلات ـ التي قررها الباطنيون لأنفسهم مستخلصين بعد ذلك هدفًا خطيراً ويسعى إليه أهل هذا التأويل. فمما قال البغدادي: إنهم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلاً يورث تضليلاً فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم والحج زيارته وإدمان خدمته والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء السر للإمام دون الإمساك عن الطعام. وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[2] واليقين معرفة التأويل ونقل البغدادي رسالة متبادلة بين باطنيين ومما جاء فيها: وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها. وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج[3].

وقال الحمادي اليماني ـ وهو ممن دخل مذهبهم واطلع على أسرارهم[4] ـ أنهم في

---

(١) تأويل الدعائم للقاضي الاسماعيلي ابن حيون ٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢.

(٢) سورة الحجر: ٩٩.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٨٠، ٢٨١.

(٤) ذكر المؤلف ذلك عن نفسه في أول كتابه ص١١ من كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وفي آخر الكتاب كذلك ص٤٤.

أول الدعوة يلبسون على المدعو فيحضونه على شرائع الإسلام لكنهم يخدعونه بروايات محرفة وأقوال مزخرفة ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرفون الكلم عن مواضعه فإذا رأوا منه قبولاً وانقياداً قالوا له لا تقنع لنفسك بما قنع به العوام من الظواهر وتدبر القرآن ورموزه واعرف مثله وممثوله واعرف معاني الصلاة والطهارة والزكاة والصوم والحج فإن لهذه ممثولات محجوبة وهو باطنها فالصلاة صلاتان والزكاة زكاتان وكذلك الحج والصوم. وما خلق الله سبحانه من ظاهر الأدلة باطن. فالظاهر ما تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به فلا يعرفه إلا القليل فلا يزال الداعي ينقل مدعوه من درجة إلى أخرى حتى يحط عنه جميع التكاليف الشرعية ويقع ذلك من المستجيب موقع الاتفاق والموافقة لأنه مذهب الراحة والإباحة يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله[1].

ويقول الغزالي: إن من ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿... وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ...﴾[2].

وفي موضع آخر قال: إن معتقد الباطنية في التكاليف الشرعية الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها وإنكار الشرائع. وبناء على هذا المعتقد صنفوا الخلق إلى صنفين:

الصنف الأول: المستجيبون لدعوتهم وهؤلاء في نظرهم أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الأمور وأطلعوا على بواطن الظواهر حتى وصلوا إلى رتبة الكمال في العلوم وعندئذ تنحط عنهم التكاليف العملية وتنحل عنهم قيودها؛ لأن المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم فإذا ناله استعد للسعادة القصوى وسقط عنه تكليف الجوارح.

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي ١١ ـ ١٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

الصنف الثاني: الجهال والأغبياء - أي المسلمون في زعمهم - الذين يجهلون بواطن الأمور وتأويلاتها فهؤلاء لا يمكن رياضة نفوسهم إلا بالأعمال الشاقة ولذا يكلفون بتأدية العبادات وأعمال الجوارح عقوبة ونكالا لهم، ويضيف الغزالي إلى أن هذا فن من الإغواء شديد على الأذكياء والغرض منه هدم قوانين الشرع[١].

ويقول ابن تيمية رحمه الله في معرض رده على مبتدعة أهل الكلام: أنهم لما فتحوا باب القياس الفاسد في العقليات والتأويل الفاسد في السمعيات صار ذلك دهليزاً للزنادقة الملحدين... حتى انتهى الأمر بالقرامطة الباطنيين إلى إبطال الشرائع المعلومة كلها كما قال رؤسائهم بالشام: قد أسقطنا عنكم العبادات فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة[٢].

وقال المرتضي: إن الباطنية يقولون إن فائدة الظاهر من الأعمال أن يتوصل بها إلى فهم الباطن فمتى فهمه العبد سقطت عنه الأعمال إذ قد حصل المقصود بها[٣].

ونقل الديلمي والمرتضى ما كتبه أبو القاسم القيرواني في كتابه البلاغ إلى وصيف المحمدي أنه حلله من عقاله وأطلقه من وثاقه فلا صوم عليه ولا صلاة ولا حج ولا جهاد ولا يحرم عليه شيء من طعام وشراب ونكاح[٤].

ويقول الشاطبي إن هدف الباطنيين من تأويلهم: أنهم أرادوا باعتقادهم هذا إبطال الشريعة جملة وتفصيلاً وإلقاء ذلك فيما بين الناس لينحل الدين في أيديهم فلم يمكنهم إلقاء ذلك صراحًا فيرد ذلك في وجوههم وتمتد إليهم أيدي الحكام فصرفوا أعناقهم إلى التحيل ومن جملتها صرف الهمم من الظواهر إحالة على أن لها بواطن هي المقصودة[٥].

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص١٢، ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/ ٥٥٢.

(٣) مخطوطة المنية والأمل للمهدي لدين الله المرتضي ورقة ٣٨.

(٤) المرجع السابق ورق ٢٣٨ وبيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٨١.

(٥) الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٥٢.

وهكذا ومن خلال ما نقلناه سابقًا عن الاسماعيلية من تأويلات باطنية وما نقلناه آنفًا عن علماء الفرق وتصويرهم لهذه التأويلات يتضح لنا الإجماع على أن هدف الاسماعيليين الخطير التحلل من الشرائع وإسقاط العمل بالظاهر الذي هو في حقيقة الأمر جميع شرائع الإسلام وأركانه العملية. وليست هذه تهمة أو مجرد رد بدون تثبت وأدلة من جانب علماء المسلمين بل إن المتتبع لمثل هذه النتائج يجدها بكل دقة وأمانة في كتب الباطنيين أنفهسم وهذا عدد من نصوصهم على هذه النتيجة أو ذلك الهدف الأساسي من التأويل مقارنة بما أسلفنا من نقول لعلماء المسلمين. فمن أدعية المعز العبيدي[1] دعاء أسموه «دعاء يوم السبت» ومما جاء فيه قوله: وعلى القائم بالحق الناطق بالصدق التاسع من جده الثامن من أبيه الكوثر السابع من آبائه الأئمة سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيث وسابع الأئمة من البررة... إلى قوله الذي شرفته وعظمته وكرمته وختمت به عالم الطبيعة وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ﷺ كل ذلك بالقوة لا بالفعل[2].

وفي بعض مصادر الاسماعيليين إفصاح عن سقوط العمل بالظاهر لبعض الدعاة في مرحلة من مراحل سلم العدوة يقول أحد دعاتهم: من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر. وإنما وضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين. أما من بلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأتها عليك فقد أعتقته من الرق ورفعت عنه الأغلال والأصفاد وإقامة الظاهر[3].

ويقول داعيهم الباطني سنان راشد الدين: إن الإنسان متى عرف الصورة الدينية

---

(١) سبق أن ذكرنا ترجمة مفصلة للمعز في القسم الأول من الرسالة ص٣٤١ فما بعد.

(٢) الحقائق الخفية للداعي طاهر الحارثي ص١٢٩ ـ ١٣٠.

(٣) الهفت الشريف ص٦٥.

فقد عرف حكم الكتاب ورفع عنه الحساب وسقط عنه التكليف وسائر الأسباب[١].

وفي كتاب الحقائق الخفية: أن حجج الليل هم أهل الباطن المحض المرفوع عنهم في أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم[٢].

وعند المطارمة ـ وهم فرع من فروع الاسماعيلية ـ أن لكل إمام اثنى عشر حججًا في حضرته السامية وهم أهل الحقائق السانية لا يدخلون تحت التكاليف لأنهم قاموا بذلك قبل التصاريف[٣].

هذه هي نصوص القوم ـ وكما نلاحظها ـ ناطقة بنفسها على الإقرار والاعتراف على غرضهم من التأويل الباطني ـ وهو إسقاط الجانب العملي من دين الإسلام بتأويلات ساقطة وهذا هو أهم هدف يرنون إليه ولهم مع ذلك أغراض أخرى أجملها في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: التشكيك في المصادر الأصلية للمسلمين وهما كتاب الله عز وجل وسنة المصطفى ﷺ ومن وصايا أحد أئمتهم إلى داع من دعاته قوله: وأوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع وإبطال المعاد[٤].

الأمر الثاني: إن الإمامة أصل من أصولهم ـ كما سبق أن ذكرنا ـ فمن دعواها ومن طريقها يشرع أئمتهم حسبما يهوون ويريدون لأنهم هم أصحاب التأويل الذين يعرفون بواطن النصوص والأدلة ولذا فهم يؤولون حسب أغراضهم ومعتقداتهم.

الأمر الثالث: الدخول إلى الناس من عدة وجوه للدعوة إلى مذهبهم فمن كان

---

(١) كتاب شيخ الجبل الثالث لمصطفى غالب ص١٤١.

(٢) الحقائق الخفية للأعظمي ص١٠٢.

(٣) حياة الأحرار لمحمد علي المكرمي مخطوطة ورقة ٦١.

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٧.

مـائلاً إلى التـحلل من العـبـادات والتكاليف أولوا له النصـوص على الوجـه الذي يستطيعون به جذبه إليهم. ومن كان مائلاً إلى الشهوات فتحوا له باب الانغماس فيها. ومن كـان مـائلاً إلى الزهد حملوه على العبادات. وهكذا يعتبر التأويل الباطن أصلاً من أصول الباطنية على تعدد فرقها وتشعب سبلها؛ لأنها يؤدي إلى هذه الأهداف والغايات التي يسعى إليها كل باطني هدمًا وتخريبًا. وفي استدلاله بالآيات القرآنية وما صح من الأحاديث القليلة جدًا يحققون أمورًا أربعة ـ كما ذكر كاتب معاصر ـ هي:

(١) عدم رفض القرآن ـ في الظاهر ـ ككتاب ديني مقدس.

(٢) التخلي ـ في الباطن ـ عن أحكامه وملزماته وفروضها من خلال تأويلها.

(٣) وفي نفس الوقت دعم حركتهم وعقائدهم ـ الباطنية ـ وتعزيزها بآيات قرآنية وأحاديث كثيرة جدًا الصحيح منها أقل القليل.

(٤) وفي نفيهم ـ أو تجاوزهم ـ المعاني الظاهرية للقرآن يبرز الفراغ الفكري الذي كانت تملأه تلك المعاني ومن هنا يفتح المجال لنزعاتهم وتطلعاتهم كي تتحرك وتؤثر بحرية بعيدة المدى[١].

هذه هي أهم أهداف الاسـمـاعـيليين من أصلهم هذا الذي لا يقل خطورة عن أصهلم الأول (الإمامة) وكلا الأصلين يمثلان تجاوزًا خطيرًا لكل العقائد والمفاهيم الإسلامية بل أنهما في حقيقة الأمر محاولة جادة يائسة لنسف الإسلام بعظمته وشموله وواقعيته وإحلال المفاهيم الباطنية الإلحادية ـ بقزامتها وضآلتها ـ محله. ورحم الله الإمام الغزالي الذي عرف أهدافهم وفضحهم بكتابه «فضائح الباطنية» ومما قال عنهم: إن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملة ولا معتقدة لنحلة معتضد بنبوبة فإن مساقها ينقاد إلى الإنسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين[٢].

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص١٣٣ لمحمد أحمد الخطيب.

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص١٨.

(٥) إبطال أصل التأويل الباطني عند الاسماعيلية:

تصدي علماء المسلمين لأصل الاسماعيلية هذا بالرد والإبطال على الرغم من رداءة آراءهم وخلوها من الحجة والدليل. يقول ابن حزم: إن القائلين بالظاهر والباطن لا تعلق لهم بحجة أصلاً وليس بأيديهم إلا دعوى الإلهام والقحة والمجاهرة بالكذب... إلخ ثم قال: اعلموا أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجهر لا سر تحته كله برهان لا مسامحة فيه وكل من ادعى للديانة سراً وباطنًا فهي دعاوى ومخارق. واعلموا أن رسول الله ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ولا اطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة أو عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر الأسود ورعاة الغنم ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعى الناس كلهم إليه ولو كتمهم شيئًا لما بلغ كما أمر[١].

أما ابن تيمية فيقول: إن تأويلات الباطنية وتفسيراتها مما يعلم بطلانها فكل مؤمن بل كل يهودي ونصراني يعلم علمًا ضروريًا أنها مخالفة لما جاءت به الرسل كموسى وعيسى ومحمد ﷺ أجمعين.

فكلام هؤلاء عن الباطن ومعانيه مخالف لأصول الدين حيث أن المعاني الباطنية التي تفوهوا بها باطلة وما كان في نفسه باطلاً فلا يكون الدليل عليه إلا باطلاً؛ لأن الباطل لا يكون عليه دليل يقتضي أنه حق[٢].

ثم بعد ذلك بين ابن تيمية حكمه على من أول الكتاب والسنة سواء بالرموز الباطنية كما هو مذهب القرامطة والفلاسفة أو بالأذواق والمواجيد كما هو مذهب الصوفية. يقول عن هؤلاء ومن سلك سبيلهم: أن من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد وهو معلوم البطلان

(١) الفصل لابن حزم ٤/ ١١٤ ـ ١١٦.

(٢) رسالة الظاهر والباطن لابن تيمية ص٢٣٥.

بالاضطرار من دين الإسلام[١].

تتبع ابن تيمية دعوىٰ الباطنية هذه وفندها وأبطلها بأسلوب علمي قائلاً: إن مذهبهم في الباطن يهدم بعضه بعضًا وذلك من وجوه:

الأول: أنهم حينما أبطنوا خلاف ما أظهروه للناس وسعوا في ذلك بكل طريق وتواطؤ عليه التبس أمرهم علىٰ كثير من أتباعهم وحينما ظهرت حقيقة أمرهم لبعض موافقيهم ومخالفيهم ـ حيث صنفت الكتب في كشفهم ـ أصبح لا حرمة لهم ولا ثقة بما يخبرون به ولا التزام طاعة فيما يأمرون حيث عرف باطنهم بكشف أسرارهم ورفع أستارهم.

الثاني: إن مخالفة الباطن للظاهر ليس له حد محدود بل إذا علمه هذا علمه هذا وعلمه هذا فيشيع هذا ويظهر حتىٰ يصبح ظاهراً يعرفه كل أحد وهذا يخالف مبدأهم من أن علم الباطن خاص بالأئمة ومع انتشار ذلك ينتقض علىٰ مذهبهم جميع ما خطابوا الناس به.

الثالث: أنه ما من خطاب يخاطب به الباطني أتباعه إلا ويجوزون عليه أن يكون أراد غير ما أظهره لهم فلا يثقون بأخباره وأوامره فيختل عليه الأمر كله فيكون مقصوده صلاحهم فيعود ذلك بالفساد عليه بل كل من وافقه لابد أن يظهر خلاف ما أبطن ولذا لا نجد أحداً من موافقيهم إلا ولابد أن يبين أن ظاهره خلاف باطنه ويحصل للباطنية بذلك من كشف الأسرار وهتك الأستار ما يصيرون به من شرار الكفار[٢].

أما الغزالي ـ في نقده لأصلهم التأويل الباطني ـ فسلك معهم ثلاثة مسالك وهي: الإبطال، والمعارضة، والتحقيق.

أما الإبطال فهو أن يقال لهم:

بم عرفتم أن المراد من هذه الألفاظ ما ذكرتم؟ فإن أخذتموه من نظر العقل فهو

---

(١) المرجع السابق ص٢٣٦.

(٢) انظر رسالة الظاهر والباطن لابن تيمية ص٢٤٠ ـ ٢٤١ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية.

عندكم باطل وإن سمعتموه من لفظ الإمام المعصوم فلفظه ليس بأشد تصريحًا من هذه الألفظ التي أولتموها فلعل مراده أمر آخر أشد بطونًا من الباطن الذي ذكرتموه حتى يتسلسل الباطن إلى حد يبطل التفاهم والتفهيم.

أما المعارضة فيعارض الفاسد بالفاسد وهو أن يتناول جميع الأخبار على نقيض مذهبهم فيقال مثلاً أن قوله ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة**»[1] أي لا يدخل العقل دماغًا في التصديق بالمعصوم. وقوله ﷺ: «**إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعًا**»[2].

أي إذا نكاح الباطني بنت أحدكم فليغسلها عن درن الصحبة بماء العلم وصفاء العمل بعد أن يعفرها بتراب الإذلال.

والمقصود من ذكر هذا معارضة الفاسد بالفاسد وتعريف الطريق في فتح هذا الباب حتى إذا اهتديت إليه لم تعجز عن تنزيل كل لفظة من كتاب أو سنة على نقيض معتقدهم.

وهكذا نأخذ كل لفظ ذكروه ونأخذ ما نريده من هذا اللفظ ونطلب منهم المشاركة بوجه ما. ونؤوله على هذا الوجه فيكون دليلاً بموجب قولهم ومن هذا الباب نطلع على وجه حيلهم في التلبيس لنزع موجبات الألفاظ للتوصل إلى إبطال الشرع.

أما التحقيق فهو أن يقال لهم: هذه البواطن والتأويلات التي ذكرتموها أيجب إخفاؤها أم افشاؤها؟ فإن قلتم يجب إفشاؤها إلى كل أحد قلنا:

فلم كتمها محمد ﷺ فلم يذكر شيئًا من ذلك للصحابة ولعامة الخلق وكيف استجاز كتمان دين الله وقد قال تعالى: ﴿... لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ...﴾[3].

وإن زعموا أنه يجب إخفاؤ فنقول:

---

(١) متفق عليه من حديث أبي طلحة رياض الصالحين للإمام النووي ص٥٩٤ ـ ٥٩٥.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ١٨٢.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٧.

ما أوجب على الرسول ﷺ إخفاؤه كيف حل لكم إفشاؤه؟

مع العلم أن الجناية في السر بالإفشاء ممن اطلع عليه من أعظم الجنايات فلم أفشيتم هذا السر وخرقتم هذا الحجاب؟

وهل هذا إلا خروج عن الدين ومخالفة لصاحب الشرع وهدم لجميع ما أسسه؟

وهذا لا مخرج لهم عنه[١].

وعلى سبيل التهكم والاستخفاف بتأويلات الباطنية التي ليس له أصل من شرع أو لغة ذكر العلوي بعضاً من تفسيراتهم لبعض الآيات وذكر ما يناقض مذهبهم وسمى ذلك «معارضة الفاسد بالفاسد».

ومن ذلك قوله: «إن المراد من قوله تعالى: ﴿... سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ...﴾[٢] أن السفهاء هم الباطنية لأنهم تركوا الظاهر وسألوا عن أمر الباطن. والمراد من قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ...﴾[٣] أن الشيطان هو الإمام المعصوم ومعناه كمثل الناطق وهو الإمام وسوسه وهو الصامت والمراد من قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ...﴾[٤] معناه واظبوا على التكذيب بالأصول الخمسة التي هي السابق والتالي والناطق والأساس والإمام.

وأن المراد بقوله عليه الصلاة والسلام «أيما أهاب دبغ فقد طهر»[٥] معناه إذا باطني تاب عن ردته فقد طهر بالإسلام وهلم جرا إلى سائر التأويلات المستهجنة والتهويسات المستقبحة اللائقة بعقولهم المستخفة بأحلامهم، وهكذا نأخذ كل لفظ ذكروه ونأخذ نقيضه ونطلب المشاركة بينهما بوجه ما تأولته عليه فيكون دليلاً عليهم بموجب مذهبهم

(١) انظر كتاب فضائح الباطنية للغزالي ص٥٨ ـ ٦٢.

(٢) سورة البقرة: ١٤٢.

(٣) سورة الحشر: ١٦.

(٤) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٥) حديث صحيح رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما سبل السلام ١/ ٤٠.

ومن هذا الباب نطلع على سبب تلبسهم بمعاني الألفاظ توصلاً منهم إلى إبطال الشرع وهدم مناره[١].

قال ابن عقيل: هلك الإسلام بين طائفتين الباطنية والظاهرية.

فأما أهل البواطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التي لا برهان لهم عليها حتى لم يبق شيء من الشرع إلا وضعوا وراءه معنى حتى أسقطوا إيجاب الواجب والنهي عن المنهي.

وأما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لابد من تأويله فحملوا الأسماء والصفات على ما عقلوه[٢]الحق بين المنزلتين وه أن نأخذ بالظاهر ما لا يصرفنا عنه دليل ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع[٣].

إن حقيقة مذهب الاسماعيلية عن الظاهر والباطن يعتبر قدحًا في الرسول ﷺ وصحابته الكرام والقرون المفضلة كما أنه قدح في كتاب الله عز وجل وبيان ذلك أن رسول ﷺ أرسله الله عز وجل مبينًا كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾[٤]، وكما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾[٥].

وكما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾[٦].

إن هذه الايات توضح وتبين أن الرسول ﷺ أرسله الله مبينًا ومعلمًا فبين للناس

(١) انظر كتاب الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام للعلوي ص٧٦ـ٧٨.

(٢) ليس هذا الحكم من ابن عقيل عفا الله عنه على إطلاقه فإن السلف رحمهم الله يأخذون النصوص الشرعية على ظاهرها من غير تأويل لا سيما نصوص الأسماء والصفات.

(٣) كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٩.

(٤) سورة ابراهيم: ٤.

(٥) سورة مريم: ٩٧.

(٦) سورة المائدة: ٦٧.

البيان الناصع والبلاغ الواضح فما مات ﷺ إلا وقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ومع هذه الآيات الواضحة الدلالة يزعم الاسماعيليون أن جميع تعاليم الإسلام باطنية وأنه لا يجب إفشاء وإظهار هذه التعاليم إلا لطبقة خاصة من الناس وهم الأئمة وحججهم.

أما القدح في كتاب الله عز وجل فإنهم يقولون إن جميع آيات القرآن لها باطن لا يعرفه إلا الأئمة والله عز وجل يقول عن كتابه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣)﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢)﴾[3].

إن هذه الآيات صريحة الدلالة على أن كتاب الله عز وجل ميسر لكافة الخلق حيث يقرأه العالم وطالب العلم والعامي فيفقه مراد الله عز وجل من الآيات، ولذا نجد أن المسلمين يتأثرون به في قراءتهم على اختلاف طبقاتهم ومفاهيمهم وهذا يرد على من يزعم أن للآيات القرآنية ظاهر وباطن.

أما القدح في جيل الصحابة والأجيال من بعدهم من المسلمين فإنهم (أي الباطنية) يقول عن هؤلاء أنهم تمسكوا بالقشور «الظاهر» وتركوا اللباب (الباطن) فهم يصلون ويزكون ويصومون ويحجون ويجاهدون كما أمرهم الله عز وجل وأمرهم الرسول ﷺ وهذه ما تسمى عند الباطنية بالقشور وبالتالي فهي تكاليف ساقطة عند الاسماعيلية ومن نحا نحوهم من الفلاسفة وغلاة الصوفية لأن المقصود عندهم من الأوامر والنواهي هو الباطن الذي يعبرون عنه باللباب.

ومن نسب الأنبياء إلى الكذب أو الكتمان أو تعرض لكتاب الله عز وجل بالتحريف والتأويل الباطل فلا شك أنه شر من المنافقين واليهود والنصارى.

---

(١) سورة الزخرف: ٣.

(٢) سورة النحل: ١٠٣.

(٣) سورة القمر، والآية ذكرت في أربعة مواضع من السورة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: إن الباطنية شر من المنافقين لأن المنافقين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ومع هذا لا يدعون أن الباطن الذي أبطنوا، هو الإيمان. أما الباطنية فهم يدعون أن الباطن هو حقيقة الإيمان فهم يجمعون بين إبطان الكفر وبين دعواهم أن ذلك الباطن هو الإيمان فلا يظهرون للمستجيب لهم أن الأيمان بالباطن الذي يقولون به وينادون عليه أن ذلك يعتبر طعنًا في الرسول وتكذيبًا له بل أنهم يجعلون ذلك من كمال الرسول وتمام حاله[١].

وأخيرًا أن أصل الاسماعيلية الظاهر والباطن تجاهل كل مقتضيات اللغة العربية وقواعدها وأصولها المعتبرة ولم يعد لديهم في تأويلاتهم الباطنية أي صلة أو تحاكم إلى هذه الأصول والقواعد اللغوية فأولوا كما يريدون واحتالوا على النصوص الشرعية وسخروها لمبادئهم تحت غطاء الظاهر والباطن لا سيما مع طرح جميع القواعد والضوابط في مثل هذا المبدأ وغيره من المبادئ.

يقول الإمام الغزالي ـ مشيراً إلى هذا المبدأ ـ وينبغي أن يعرف الإنسان أن رتبة هذه الفرقة هي أخس من رتبة كل فرقة من فرق الضلال.

إذ لا تجد فرقة تنقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه التي هي الباطنية. إذ مذهبها إبطال النظر وتغيير الألفاظ عن موضوعها بدعوى الرمز. وكل ما يتصور أن تنطق به ألسنتهم فأما نظر أو نقل أما النظر فقد أبطلوه وأما النقل فقد جوزوا أن يراد باللفظ غير موضوعه فلا يبقى لهم معتصم[٢].

وأخيراً فهذه بعض نصوص أهل العلم في حكم الاسماعيلية بالنسبة لهذا الأصل:

يقول ابن تيمية: إن معتقد مثل هذه التأويلات الباطنية مما لا شك في زندقته وكفره وإلحاده ومن سلك مثل هذا المسلك فهو سالك لطريق الشيطان مع بعده

(١) انظر رسالة الظاهر والباطن لابن تيمية ص٢٤٨ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية.

(٢) كتاب فضائح الباطنية للغزالي ص٥٢، ٥٣.

عن طريق الرحمن[١].

ويقول الديلمي: إن تأويلات الباطنية الاسماعيلية كلها تأويلات فاسدة رديئة لا يدل عليها سنة ولا كتاب وهي باطلة عند أولي الألباب خارجة عن الحق والصواب... ثم يضيف قائلاً: إن تأويلاتهم نهاية الاختلاف لأنها على غير أصل معلوم بل هي عوارض خواطر رديئة وسوانح أفكار فاسدة[٢].

ويقول النسفي في عقائده: النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد.

وفي شرح العقائد النسفية للتفتازاني قال: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم في ذلك نفي الشريعة بالكلية[٣].

وفي موضع آخر لابن تيمية قال: إن الظاهر لابد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطنًا يخالف ظاهراً فهو كافر منافق بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه وظاهره يوافق باطنة ويصدقه ويحققه[٤].

* * * * *

---

(١) انظر كتاب الإمام ابن تيمية وموقفه من التأويل للجليند ص٢٩٩.

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٤٣.

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيواطي ٢/ ٢٣٦.

(٤) رسالة الظاهر والباطن لابن تيمية ص٢٥١ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج١.

الفصل الثاني
معتقد الاسماعيلية عن الله سبحانه وتعالى

تمهيد:

للاسماعيلية منهج في اعتقادهم في الله عز وجل لإثبات وجوده ونعته - يختلف عن مناهج الفرق كلها حيث أن لهم تصوراً للوجود بنوا عليه معتقدهم هذا.

يتلخص تصورهم هذا بأن الموجودات صادرة عن عقول فاعلة في هذا الكون سموها بالعقول العشرة وزعموا أنها هي المحركة لجميع المخلوقات من العالم اسفلي حتى العالم العلوي وهما ما سموهما بعالم الإبداع وعالم الكون والفساد. ومن هنا نرى أن فلسفة الاسماعيلية فيما يتعلق بالذات الإلهية مؤسسة على الإيمان بهذه العقول المدبرة - كما زعموا - ووصل الأمر بهم إلى إسباغ أوصاف وأفعال على هذه العقول هي من خواص الباري عز وجل ولا سيما على العقلين الأول والثاني منها اللذان نسبوا إليهما جميع ما في الكون من خلق وإيجاد وتدبير وتحريك لجميع الموجودات والكائنات.

فالعقل الأول - والذي أطلقوا عليه لفظ المبدع - قالوا عنه أنه جوهر محض صادر عن الله عز وجل ولا يدرك شيئًا عن صدوره وعمن أبدعه سوى حرفين هما (كن) وهذا العقل هو المحرك الأول لجميع المتحركات. ومن هذا العقل صدرت النفس الكلية (العقل الثاني) إبداعًا وانباعثًا وهي جوهرية محضة بالنسبة لمصدرها واتصالها به ولها مع ذلك جانب آخر هو جانب صوري تتصل به مع من تحتها من عالم الكون والموجودات ففيها منبعثان منبعث أول ومنبعث ثانٍ اعتبر المنبعث الثاني عقلاً ثالثًا وعن طريق هذه العقول الثلاثة وجدت الموجودات وانفطرت المخلوقات واستحقت جميع الأوصاف والأسماء الثابتة لله عز وجل عند المسلمين.

وكما هو واضح من فلسفتهم وتصورهم لوجود هذه العقول وأثرها في المخلوقات الأخرىٰ فإنها ـ أي العقول الثلاثة ـ تحل محل الرب الخالق الرازق المعبود المألوه الموصوف بصفات الكمال.

ومن هنا فالحاجة ماسة وضرورية للحديث مفصلاً عن هذه العقول الثلاثة وما بعدها؛ لأنه من خلال ذلك يتضح معتقدهم في الله عز وجل.

وترتيب الحديث عن معتقدهم في هذا الفصل كالآتي:

(أ) المبدِع ـ بكسر الدال ـ ويشمل ذلك أمرين.

الأول: وجود المبدع وإطلاق ذلك عليه نفيًا أو إثباتًا.

الثاني: أسماء المبدع وصفاته نفيًا أو إثباتًا.

(ب) العقل الأول (السابق) وطبيعته ومهماته.

(ج) العقل الثاني والتالي وطبيعته ومهماته.

(د) بقية العقول العشرة وطبيعتها.

وأخيراً استخلاص معتقدهم عن الله عز وجل من خلال تصويرهم لهذه العقول وصدور الكائنات عنها.

(هـ) ثم بعد ذلك تصوير علماء الفرق والمقالات معتقدهم هذا من خلال مصادر ومؤلفات هؤلاء العلماء.

(و) وأخيراً نقد وإبطال معتقداتهم في هذا الأصل بالأدلة الشرعية والعقلية.

(أ) المبـــدع:

يعبر الاسماعيلية ـ كما قدمنا ـ بالمبدع عن قمة الوجود ومبدأه الأول وهو الله عز وجل. كما يعبرون عنه أحيانًا بقولهم. من لا تتجاسر نحوه الخواطر. ذلك أن ذات المبدع ـ كما يقول الكرماني ـ لا تسم ولا تكنىٰ فحروف المعجم غير قادرة علىٰ التعبير عنه وهي محدثة لا تقع إلا علىٰ محدث مثلها.

وهنا نتساءل هل يطلق الاسماعيلية علىٰ المبدع لفظ الوجود أو ينفونه عنه؟ وهل

يطلقون عليه ألفاظًا أخرىٰ أو حتىٰ مجرد عبارات تدل علىٰ إيمانهم بأسماء وأوصاف له عز وجل؟ وللإجابة علىٰ السؤال الأول نعرض فيما يلي لبيان عقيدتهم في وجود الله عز وجل ومدىٰ صحة إطلاق هذا اللفظ عليه وذلك من مصدرين أساسيين لديهم وهما كتاب الينابيع للسجستاني وراحة العقل للكرماني.

(١) لفظ الوجود وصحة اطلاقه علىٰ المبدع سبحانه وتعالىٰ.

نفىٰ الاسماعيلية إطلاق لفظ الوجود عن الله عز وجل نفيًا قاطعًا مع تظاهرهم بنفي ضده كذلك واستخدموا بديلاً لذلك مصطلحات غريبة ابتدعوها وروجوها وهي لا تدل علىٰ شيء معين. فالسجستاني عبر في ينبوعه الثاني عن الله عز وجل (بالمبدع) بكسر الدال ووضع عنوانًا للحديث عنه وعن وجوده قائلاً: «في هوية المبدع المحضة».

وفي ينبوعه هذا انتهىٰ إلىٰ تقرير الحقيقتين التاليتين عن المبدع سبحانه وتعالىٰ وهما:

الأولى: نفي الهوية عن المبدع.

الثانية: نفي اللاهوية عنه كذلك.

وقد استدل علىٰ الحقيقة الأولىٰ بأمرين هما:

(١) إنه لو كانت له هوية قائمة به لأدركها المبدع بحقيقته العقلية ولو كان ذلك كذلك لكان المبدع عقلاً فيكون المبدع هو المبدع وهذا باطل بداهة وما أدىٰ إلىٰ الباطل فهو باطل فالمبدع إذا ليست له هوية.

(٢) أن هذه المعرفة هي ـ فقط ـ إدراك السابق أنه صادر عن المبدع بإبداعه إياه لا أن للمبدع هوية موجودة.

أما الحقيقة الثانية وهي نفي اللاهوية عنه فيستدل عليها بأن نفي الشيء فرع عن قبوله وما دام المبدع لا يقتضي هوية فلا تنفىٰ عنه فكما لا يقال المبدع له هوية فكذلك لا يقال المبدع لا هوية له.

والخلاصة أن ما يثبته السجستاني في هذا المقام هو: أن المبدع إنما يدرك من المبدع

مجرد صدوره عنه وهذه هي غاية معرفته به فهو يدرك أنه مصدره فقط وهذا هو غاية ما يضاف إلى المبدع من الهوية المحضة وإذا كان هذا هو مدى معرفته بالمبدع فكيف معرفة غيره به. وهذا هو نص السجستاني الدال على ما استخلصناه آنفًا عن إطلاق لفظ الوجود وعدمه يقول في كتابه الينابيع: الينبوع الثاني تحت عنوان «في هوية المبدعة المحضة»:

إن الهوية المحضة التي تضاف إلى المبدع سبحانه عن هو ولا هو إنما هي ايسية السابق من ايسية الإبداع المجود به عليه يعني أن المبدع هو الذي عرفه السابق بأيسيته فصارت معرفته لمن أبدعه بأيسيته هوية المبدع لا أن هناك هوية موجودة ولا هوية معدومة سوى ما أظهر للسابق من ايسيته بأن المبدع لا هو هو كهويات المبدعات ولا هو لا هو كلا هوية الايسيات بل هويته إظهار نفي الهويات واللاهويات عن المبدع سبحانه ولو كانت للمبدع سبحانه هوية مثبتة عند المبدع سوى نفي الهويات والاهويات فبأي شيء أثبتها المبدع بأيسيته التي هي العقل أم بأيسيته التي هي الابداع؟ فإن كان بأيسيته أثبت هوية المبدع وأيسيته العقل كان المبدع إذًا عقلاً والعقل هو المبدع فنتيجته إذا أن المبدع هو المبدع وهذا محال ظاهر.

فإياك أن تطلب وراء السابق هوية بعد ظهور السابق فإن الكلمة علته وإذا كانت هي العلة الأولى لظهور السابقة فمتى ظهر السابق اتحدت به فصارت كهوية السابق وهي التي تفرد بها السابق ولم يفضها على معلوله - الذي هو التالي - وما دون الهوية المحضة المتحدة لهويته فقد أفاضها إلى معلوله سبحان الله عن جميع المعلولات - الهويات واللاهويات وتعال يعنها علوًا كبيرًا.

وإنما نفينا الهويات عن المبدع الحق لأن كل هوية تقتضي علة كما وجدنا أشرف ذوات الهويات العقل فقد اقتضى هويته علة وهي أمر الله جل جلاله وهو المبدع الحق غير ذي علة تعالى عن ذلك فلم يقتض هوية وإذا لم يقتض هوية لم يقتض نفيها - وهو لا هو - إذ ليس وراء اللاهويات إثبات شيء لهو.

أما المصدر الثاني لمعتقد الاسماعيلية في وجود المبدع نفيًا أو إثباتًا فهو كتاب راحة

العقل للكرماني حيث تناول ذلك بلفظ يختلف عن شيخه السجستاني[1]. وذلك باستخدام عبارتي الأيس والليس: ففي السور الثاني الذي تحته سبعة مشارع ذكر المشرع الأول بعنوان: «في الله الذي لا إله إلا هو وبطلان كونه ليسا» أي معدومًا. ثم ابتدأ بقانون من قوانين الموجودات وهو قانون العلية فكل معلول له علة يستند إليها في وجوب الوجود وإلا لما وجد. أي إن هذا القانون مبني على أمرين:

أولهما: وجود العلة.

وثانيهما: اقتضاء العلة لوجود المعلول وضرب لجريان هذا القانون خمسة أمثلة يجري فيها وهي: الحرارة والحركة والمركبات الجسمية والاستقصات والمادة والصورة فهذه كلها لها علة ومعلول. فعلة الحرارة الحركة ولولا وجودها ما وجدت الحرارة وهكذا جميع الأمثلة التي بنى بعضها على بعض ثم استخلص النتيجة من هذا القانون وأمثلته بقوله: فلما ثبت أنه لا وجود لهذا إلا بذاك كان منه العلم بأن الذي تنتهي إليه الموجودات التي به توجد وإليه تستند وعنه توجد هو الله الذي لا إله إلا هو محال عدميته باطل نفي الهوية عنه إذ لو كان ليسا لكانت الموجودات أيضًا ليسا فلما كانت الموجودات موجودة كانت ليسيته باطلة.

والخلاصة في هذا المشرع إبطال كونه تعالى ليسا ـ أي معدومًا ـ وهذا هو نص الكرماني في تقرير هذه الحقيقة. يقول في مشرعه الأول من السور الثاني تحت عنوان: «في الله الذي لا إله إلا هو وبطلان كونه ليسا»:

إن من القوانين أنه لا وجود لمعلول إلا بما يوجب وجوده من علته التي وجوده بها يتعلق وإليها في وجوده يستند ولولاها لما وجد. كالحرارة مثلاً التي لا وجود لها إلا بما يوجد وجودها من علتها التي وجودها بها يتعلق واليها في وجودها تستند وهي الحركة التي لولاها لما وجدت. وكالحركة التي لا وجود لها إلا بما يوجب وجودها من علتها

---

(١) أبو يعقوب السجستاني أستاذ وشيخ للكرماني حيث توفي السجستاني عام ٣٣١هـ، أما الكرماني فقد توفي عام ٤١٢هـ.

التي بها يتعلق وجودها وإليها في الوجود تستند وهي المحرك الذي لولاه لما وجدت.

وكالمركبات من الجسمانيات من المواليد التي لا وجود لها إلا بوجود الاستقصات التي بها يتعلق وجودها وإليها تستند في وجودها ولولاها لما وجدت. وكالاستقصات التي لولا وجود ما تستند إليه في وجودها من المادة والصورة اللتين لولاهما لما كانت ولا وجدت.

وكالمادة والصورة اللتين لولا وجود ما تستندان إليه في وجودهما من الأسباب التي من شأنها أن يوجد عنها ذلك من الأجسام العالية السماوية والصور المتعالية الخارجة لما وجدتا. ولما كانت الموجودات بعضها في وجوده مستند إلى بعض. وكان لو كان ذلك البعض الذي يستند هذا البعض في وجوده إليه وبه يتعلق وجوده غير ثابت في الوجود ولا موجوداً لكان وجود هذا البعض محالاً. فلما ثبت أنه لا وجود لهذا إلا بذاك كان منه العلم بأن الذي تنتهي إليه الموجودات، التي به توجد وإليه تستند ومنه توجد هو الله الذي لا إله إلا هو محال ليسيته باطل لاهوتيه إذ لو كان ليسا لكانت الموجودات أيضًا ليسا. فلما كانت الموجودات موجودة كانت ليسيته باطلة. ثم لما كان من شأن الأضداد أن لا يكون لها وجود إلا بفقد أضدادها وكانت الموجودات متضادة وأعيانها مختلفة متنافرة وهي على ما هي عليه من تضادها موجودة لا يفقد شيء منها بوجود ضده وكلها تحت الوجود محفوظة كان من ذلك العلم بأن الذي به بطلت طبيعة الضد في الخروج من حيز الوجود بوجود ضده وأن نحفظ الضد عن ضده الذي هو الله الذي لا إله إلا هو الذي ليسيته محال إذ لو كان ليسا لكان وجود المتضادات ليسا ولما كانت المتضادات موجودة أعيانها كانت ليسيته باستناد وجودها إلى سياسة باطلة.

فسبحان الذي به انحفظ وجود الأشياء على تضاد أعيانها واختلاف صورها به ولا إله إلا الله إله خرست الألسن عند نهوض الأنفس لتتناوله بصفة النطق فوقفت متيقنة بالعجز متحيرة ولا حول ولا قولة إلا بالله العلي العظيم[1].

إنه بعد هذا النص للكرماني والذي يثبت فيه بطلان ليسية الله (أي وجوده) هل

---

(١) راحة العقل للكرماني ص١٢٩ ـ ١٣٠.

هذه النتيجة ستدفعه إلى إثبات نقيض ذلك لله تعالى وهو الوجود وإثبات أنه تعالى موجود لا سيما وأنه أبطل كونه تعالى معدومًا أو على أقل تقدير أبطل إطلاق لفظ العدم عليه؟

إن الإجابة على ذلك نستخلصها مما ذكره في مشرعه الثاني والذي عنون له بقوله: «بطلان كونه أيسا» أي موجودا.

وقد استدل على ذلك بثلاثة أدلة عقلية خلاصتها:

الأول: إن الايس محتاج إلى ما يستند إليه في الوجود والله يتعالى عن الاحتياج فيستحيل كونه أيسا.

الثاني: بناه على فرضين وهما أنه لو كان الله أيسا لكان إما جوهراً أو عرضًا. **فإن كان جوهرا** فلا يخلو من أحد أمرين:

إما أن يكون فاعلاً في ذاته بحيث لا يحتاج في فعله إلى غير يظهر فيه فعله أو فاعلا في غيره بحيث يحتاج إلى ذلك الغير في ظهور فعله. فإن كان الثاني كان محتاجًا في فعله إلى غيره والاحتياج محال في حق الله تعالى. وإن كان الأول لزم التركيب في ذاته بكونه فاعلاً ومفعولاً وكل مركب يرجع في وجوده إلى البسيط الذي لا كثرة فيه ولا قلة بوجه من الوجوه. والتركيب محال في حق الله تعالى وإذن بطل أن يكون جوهراً لما لزم عن ذلك من الاحتياج والتركيب والانقسام وهذه كلها محالة في حق الباري.

وإن كان عرضًا: فكل عرض مستند إلى وجود ما يتقدم عليه من الجوهر الذي يقوم به وهذا باطل في حقه تعالى؛ لأن فيه احتياج وفيه تقدم عليه وهما باطلان في حقه تعالى فبطل ببطلانهما كونه عرضًا وببطلان كونه جوهرا أو عرضا ـ الذي لا يخلو الايس من أحدهما ـ بطل أن يطلق عليه لفظ الأيس.

ويفترض الكرماني بعد ذلك صورة ثالثة تعتبر متممة لأنواع الايس وهي: افتراض أن يكون من الأيس ما هو لا جوهر ولا عرض ويكون ذلك هو الله تعالى وأبطل ذلك الافتراض بأنه لابد أن يكون مشاركًا للجوهر والعرض فيما تشاركا فيه

كمشاركة أحدهما الآخر فتكون ذاته جزأين أحدهما مشارك للجوهر والعرض والآخر مخالف لهما وبالتالي يكون متكثراً لتعدد أجزائه وهذه الأجزاء أقسام ويسبق بعضها بعضا. وإذا جاز أن يكون في الممكن تعدد وانقسام وسبق من بعض أجزائه للبعض الآخر فذلك في حقه تعالى باطل وببطلان هذه الصور الثلاث يكون الأيس باطل في حقه تعالى بأي وجه من الوجوه.

وفي نهاية حديثه ذكر الدليل الثالث وخلاصته: أن الله تعالى لا يوصف بالأيس لأنه لا يخلو أن يكون إما هو أيس ذاته أو غيره أيسه وباطل أن يكون مؤيسا لذاته إذ يقتضي ذلك التغير والحدوث وأنه كان معدوماً ثم وجد وذلك يستحيل في حقه تعالى.

وباطل أن يكون غيره أيسه لما يلزم ذلك من حاجته إلى غيره وسبق العدم عليه وإذا بطل الوجهان - أن يكون مؤيسا لذاته أو غيره أيسه - فالنتيجة بطلان كونه أيسا ومفترضة هويته وراء الايسيات فلا يكون مثلها أو واحداً منها؛ لأن وجودها جميعًا متعلق باختراعه.

وهذا نص الكرماني على تلك الخلاصة الموجزة لاستدلاله يقول في مشرعه الثاني تحت عنوان: «في بطلان كونه تعالى أيسا»:

لما كان الأيس في كونه أيسا محتاجًا إلى ما يستند إليه في الوجود على ما سبق الكلام عليه. وكان هو - عز كبرياؤه - متعاليًا عن الحاجة فيما هو هو. إلى غير به يتعلق ما به هو هو. كان من ذلك الحكم بأنه تعالى خارج عن أن يكون أيسا لتعلق كون الأيس أيسا بالذي يتأول عليه الذي جعله أيسا واستحالة الأمر في أن يكون هو تعالى أيسا. ولا هو يحتاج فيما هو هو إلى غير به هو هو فيتنسد إليه تكبر عن ذلك وتعزز وتعالى علواً كبيرا وإذا كان هو عز وعلا غير محتاج فيما هو هو إلى غير به يتعلق ما به هو هو فمحال كونه أيسا.

ثم أن الله تعالى إن كان أيسا فلا يخلو أن يكون إما جوهراً وإما عرضًا فإن كان جوهراً فلا يخلو أن يكون إما جسمًا أو لا جسما. فإن كان جسمًا فانقسام ذاته إلى ما به وجودها يقتضي وجود ما يتقدم عليه يكون كل متكثر مسبوقًا متأولا عليه وهو يتعالى بسبحانيته عن أن يتأول عليه غيره.

وإن كان لا جسمًا فلا يخلو أن يكون إما قائمًا بالقوة مثل الأنفس. أو قائمًا بالفعل مثل العقول.

فإن كان قائمًا بالقوة فحاجته إلىٰ ما به يخرج إلىٰ الفعل تقتضي ما يتقدم عليه وهو يتعالىٰ عن ذلك.

وإن كان قائمًا بالفعل فلا يخلو من أن يكون:

إما فاعلاً في ذاته من غير حاجة إلىٰ غير به يتم فعله.

أو فاعلاً في غير به يتم فعله. فإن كان فاعلاً في غير به يتم فعله فلنقصانه في فعله. وحاجته إلىٰ ما يتم به فعله تقتضي ما يتأول عليه وهو يتعالىٰ عن ذلك.

وإن كان فاعلاً في ذاته من غير حاجة إلىٰ غير به يتم فعله فلاستيعاب ذاته النسب المختلفة بكثرة المعاني المتغايرة بكونه في ذاته فاعلاً ومفعولاً بذاته يقتضي ما عنه وجوده الذي لا تكون فيه كثرة ولا قلة بهذه النسب وهو يتعالىٰ عن ذلك. ولما كان إذا كان جوهرًا لا يخلو من هذه الأقسام وبرئت ساحته من أنحاء الحاجة والكثرة اللازمة للجوهر فقد بطل أن يكون جوهرًا وإن كان عرضًا وكان وجود العرض مستندًا إلىٰ وجود ما يتقدم عليه من الجوهر الذي به وجوده وهو يتعالىٰ ويتكبر عن أن تتعلق هويته بما يتأول عليه بطل أن يكون عرضا.

وإذا كان لا يخلو الأيس من أن يكون إما جوهرًا أو عرضًا وبطل كونه تعالىٰ جوهرًا وعرضًا بطل ببطلان كونه جوهرًا أو عرضًا أن يكون أيسًا فباطل إذن كونه أيسا.

ثم لا يجوز أن يكون من الأيس ما هو لا جوهر ولا عرض فيكون ذلك الأيس هو تعالىٰ. فإنه يجب بذلك مما يتأول عليه تعالىٰ ما وجوده محال. وذلك أنه إن كان من الأيس ما هو لا جوهر ولا عرض كما كان الجوهر أيسا وهو لا عرض. والعرض أيسا وهو لا جوهر. وهو هو لا جوهر ولا عرض فإنه نوع من أنواع جنس الأيس وواقع تحته.

ويستحق كل ذلك من الجوهر وهو يتعالىٰ والعرض منه أعنى الايس ما يستحقه الآخر ويكون مباينًا عن الجوهر والعرض بما يختص به كمباينة الجوهر العرض والعرض الجوهر بما اتصف به كل واحد منهما ومشاركًا لهما فيما تشاركا فيه كمشاركة الجوهر العرض والعرض الجوهر فيما تشاركا فيه فتكون ذاته بما باينت به غيرها وشاركت فيه غيرها جزأين بهما وجودها. وما يكون بهذه المثابة من انقسام ذاته إلىٰ ما به وجودها فهو متكثر وله ما يتقدم عليه ويستند في وجوده إليه. فإن من جهة تكثره يفترض تقدم ما لا يكون متكثرا بكون الذي ليس بمتكثر متقدما علىٰ المتكثر.

ومن جهة كونه نوعًا من أنواع الأيس الذي إذا رفع في الوهم بطل وجود الأنواع يقتضي ما به هو هو. وهو تعالىٰ متكبر عن التكثر الموجب ما يتقدم عليه متعال عن النوعية الموجبة ما به هويته هو. وإذا كان متعاليًا عن ذلك فباطل كونه أيسا. ثم إنه تعالىٰ إن كان أيسا فلا يخلو إن يكون إما هو أيس ذاته أو غيره أيسه وباطل أن يكون هو مؤيسا لذاته إذ يقتضي ذلك أنه لم يكن أيسا وذلك آية الاستحالة والحدوث بأنه لم يكن فكان. هذا علىٰ امتناع الأمر في هذه القضية. فإن ما لا عين له في الوجود علىٰ قسميه ممتنع أن يصير ذا وجود ولما يكون وراءه فاعل يرتبط به وجوده.

وباطل أن يكون غيره أيسه فيتأول عليه وإذا بطل الوجهان فباطل كونه أيسا ومفترضة هويته وراء الايسيات المتعلق وجودها باختراعه إياها[1].

فالخلاصة في هذين المشرعين عند الكرماني إبطال اطلاق لفظ الايس والليس ـ أي الوجود والعدم ـ علىٰ المبدع (الله) فلا يطلقان عليه وإذا لم يطلقا عليه فغيرهما من الألفاظ والعبارات من باب أولىٰ وبالتالي لا يعبر عن المبدع أو يطلق عليه أي لفظ أو عبارة سلبًا ان أو إيجابًا وهذا ما سنفصل القول فيه في الفقرة التالية والتي تعتبر إجابة علىٰ السؤال الثاني.

---

(١) راحة العقل للكرماني ص١٣١ ـ ١٣٣.

(٢) أسماء المبدع وصفاته نفيًا أو إثباتًا.

إن توقف الاسماعيلية أو تحريمهم إطلاق لفظ الوجود على المبدع سوى على معتقد لا يقل عن الاعتقاد بربوبية الله والهيته وهو الاعتقاد بأسمائه الحسنى وصفاته العليا حيث جردوا المبدع من كل اسم أو صفة أو حتى مجرد اطلاق لفظ أو عبارة عليه بل واعتبروا من وصفه بشيء من ذلك ملحدا وكافرا.

وعند التأمل في كتب القوم ومصطلحاتهم نجد أن الأسماء والصفات الثابتة لله عز وجل في القرآن والسنة نقلوها من الذات الإلهية إلى الموجودات عندهم في العالم العلوي وهي ما أطلقوا عليها (بالعقول العشرة) وخصوا منها العقلين الأول والثاني المعبر عنهما بالسابق والتالي أما ما فوقهما في سلسلة الوجود ويعنون به المبدع (الله) فإن البشر لا يدركون شيئًا عنه البتة ولا يستطيعون التعبير عنه أو حتى مجرد توهمه ولذا جزم معظم كتاب الفرق والمقالات بناء على فلسفة الاسماعيلية هذه بأن العقل الأول والثاني هما إله الاسماعيلية ومن ثم فإنهم قائلون بالاثنينة ومعتقدون لها كالمجوس[1].

وهذه نصوص الاسماعيلية الدالة على نفيهم جميع الأسماء والصفات عن المبدع وإلحاقها بمن دونه من الموجودات. يقول الكرماني في مشرعه الثالث تحت عنوان (أنه تعالى لا ينال بصفة من الصفات وأنه لا بجسم ولا في جسم ولا يعقل ذاته عاقل ولا يحس به محس) إنه تعالى محتجب بسبحانيته عن الأشياء إلى إدراك الموجودات والتي لا قدرة لذواتها على النهوض لتناوله بصفة حيث لا تعتوره إحاطة العقل والحس بما هو عليه من القدرة الباهرة التي تعجز فيها قدرة ما سواه فهو من حيث هو يختم على الأفواه أن تتحرك وعلى اللسان أن ينطق وعلى العقل أن يحيط وعلى النفس أن تتوهم ولا يوسم بشيء يقال عليه.

ثم يقرر الكرماني بعد ذلك نقل كل صفة كمال وجلال بعد نفيها عن المبدع إلى من دونه من الموجودات بقوله:

---

(١) انظر عن ذلك ردود العلماء عليهم في باب الإلهيات وذلك كالغزالي والبغدادي وابن تيمية والديلمي والعلوي وغيرهم.

وإن كـان من الكمـال علىٰ الغـاية ومن الجـلال علىٰ النهـاية إلا وذلك يليق بما هو دونه ما لا يخلو أن يكون إما جوهراً أو عرضًا وهو سبحانه متعال عن ذلك بريء من أنحاء النقصان والتمام وأن ينال بصفة أو يقال عليه شيء من الصفات؛ لأنها مأخوذة مستعارة من الموجودات التي هي واقعة تحت الوجود المخترع ومختصة بها الذوات التي لا تنفك من آية الكون المبدع . . . ثم ينتهي إلىٰ القول: بأن ما يقال علىٰ الله تعالىٰ من صفات هو صفة لغيره منقولة عنه إليه تعالىٰ. فقد تبين أن من وصفه فقد كذب عليه بكون ما وصفه به صفة لغيره وظهر أن الاستطاعة تعدم فيها القدرة التي تأتي بما يستحقه تعالىٰ[1].

ومعنى ذلك ـ كما هو واضح من فلسفة الكرماني ولفظه ـ أن الأسماء والصفات هي في أصلها للعقل الأول (السابق) ومن نقلها إلىٰ من فوقه ويقصدون به المبدع سبحانه فقد كذب عليه ـ وهذا غاية السلب والتعطيل عندهم ـ وعلة ذلك أن قدرة الإنسان واستطاعته تعجز عن التعبير عن المبدع بما يستحقه بل إن الكرماني في مشرعه السابع اعتبر قمة التوحيد للمبدع هو في نفي الأسماء والصفات عنه ـ وليس مجرد عدم اطلاقها عليه ـ لأنها عنده صفات لمن دونه من الموجودات وعن ذلك يقول بوضوح سافر في مشرعه السابع تحت عنوان (أصدق قول في التوحيد والتسبيح والتمجيد والإثبات ما يكون من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالىٰ):

وخلاصة ما ذكره في هذا المشرع قوله: إن معاشر الدعاة الموحدين المتبعين للأئمة الطاهرين (ويقصد بذلك الاسماعيليين) طريقهم في التوحيد والتسبيح نفي الصفات عن الله بكونه حقًا وصدقًا. (وفسر الصدق بأنه نفي الصفات عن الله والكذب هو إثبات الصفات له) يقول: إننا إذا أثبتنا له تعالىٰ صفة وكانت الصفة لا إله بل لغيره بكونها مختصة بالموجودات عنه التي هي غيره تعالىٰ الله كنا فيه كاذبين إذ الكذب هو إثبات شيء لما هو ليس له أو نفي شيء عما هو له.

وإننا إن نفينا عنه صفة وكانت تلك الصفة ليست له بل لغيره كنا في ذلك صادقين

(١) انظر راحة العقل للكرماني ص١٣٥ ـ ١٣٦.

فلزمنا هذه الطريقة على ما رسمت الأدلة المنصوبون للهداية إلى طريق الحق في التوحيد (ويقصد بذلك الأئمة).

وفي آخر مشرعه هذا يصف المثبتين لله تعالى الأسماء والصفات بالعناد تارة وبالأبالسة تارة أخرى وبالتلبيس والتمويه والتضليل. وأخيراً يحكم على منهج المثبتين بالإلحاد يقول: وليس لمعاند أن يعكس فيجري الذات في إيجاب ثبوتها مجرى الصفات التي تكلمنا عليها توصلا إلى التلبيس وسلوكًا طريق الأبالسة في التمويه والتضليل بناء للمحال والكلام عليه لما عليه الأمر الضروري في ثبوت الذات المتعالية عن الصفات سبحان الله وتعالى وقيام الحاجة في وجود الموجودات إلى ما به تتثبت من الله تعالى الذي إليه تستند الموجودات في وجودها. وتنسد معه أبواب الإلحاد[1].

وكأن الكرماني أدرك أن هناك حكمًا واقعًا عليه. وعلى الاسماعيلية وهو (التعطيل لصفات الله بنفيها عنه) فأراد أن يبرئ نفسه واتباع مذهبه بقوله زاعمًا: أن التعطيل إنما تنقدح تارة ويعتلي في الإلحاد مفاده إذا اعتمد حرف (لا) في القول قصدا بفعله الذي هو النفي نحو الهوية المتعالية لتعطيلها ونفيها بأن يقال: لا هو أو لا إله فقط الذي يدل على التعطيل الصريح الذي يكسب النفس بوارا ويضرم عليها في سواد الجحيم نارا. فأما حرف لا فيتوجه فعله نحو الصفات لنفيها من دون الهوية سبحانها فالصفات هي المعطلة المنفية لا الهوية سبحانه وذلك مثل قولنا في الله سبحانه أولاً بأنه إل لاموصوف الذي صار فعل حرف (لا) موجهًا نحو الصفات والموصوفات من الأجسام لنفيها عنه سبحانه المشار إليه بقولنا: إنه. والمشار إليه ثابت والصفات هي المعطلة المنفية فهو سبحانه لا موصوف ولا لا موصوف... وينتهي الكرماني بعد ذلك إلى القول بأن هذا (أي سلب الصفات ونفيها عن الله) هو أصل مذهبنا وعليه قاعدة دعوتنا وهو المعتمد في توحيد معبودنا والمقصود في أنحاء كلامنا وإيرادنا[2].

ويقرر الداعي الاسماعيلي ابن الوليد معتقد الاسماعيلية بنفي الأسماء والصفات

---

(١) انظر المرجع السابق ص١٤٧ ـ ١٤٨، ١٥٣.

(٢) المرجع السابق ص١٤٨ ـ ١٤٩.

عن المبدع سبحانه بقوله: ويعتقد الاسماعيلي أن نفي الصفات عن الله معتقد صحيح لا يسوغ تركه لأن الصفات تلحق الجوهر إما في الأجسام وإما في النفوس وتكون في الأجسام كيفيات من خارجها كالأقدار[1] والألوان وما يجري مجراها.

وفي النفوس كيفيات من داخلها كالعلم والجهل وما يجري هذا المجرى وهو يتعالى عن أن يكون له داخل أو خارج . . . وينتهي بعد ذلك إلى الزعم بأن التوحيد نفي الصفات عن المتعالي سبحانه فإذا أثبتها فلا توحيد. . . فمنع الصفات الموجودة في الخلقة عن أن تكون تضاف إليه معتقد صحيح[2].

ولخص المؤيد داعي دعاة الاسماعيلية عقيدتهم هذه بقوله: إن توحيد الله هو أن ينفي عنه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية من الأسماء والصفات والحدود ويتصور أنه ما كاد ينقدح لأحد فكر فيه جل جلاله إلا وذلك الفكر مثل المفكر مصنوع ومحدث وأن الله سبحانه صانعهما ومحدثهما ولا يناسب شيئًا منهما وأن نفي المعرفة هو حقيقة المعرفة وسلب الصفة هو نهاية الصفة.

ونتيجة لهذا المعتقد في النفي وصل الحال بهم إلى الحكم على أن الذي يدين بصفات الله مشرك شركًا خفيًا وأن قوله ﷺ: «**الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على صخرة صماء في ليلة ظلماء**» بأن إثبات الصفات لله عز وجل هو هذا الشرك الخفي.

ورووا عن علي بن أبي طالب ـ كذبًا ـ قوله عن ربه: وصفته تشبيه ونعته تمويه والإشارة إليه تمثيل والسكوت عنه تعطيل والتوهم له تقرير والإخبار عنه تحديد. وقوله أيضًا: أولى الديانة لله تعالى معرفته وكمال معرفته توحيده ونظام توحيده نفي الصفات عنه وإقامة حدوده[3].

---

(١) يعني بذلك الأحجام ذات القدر المعين.

(٢) تاج العقائد ومعادن الفوائد لعلي بن محمد الوليد ص٢٧ ـ ٢٨.

(٣) انظر ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص٨٩ ـ ٩٠.

وفي مقدمة كتاب كنز الولد للحامدي تصريح بعقيدة النفي والسلب المطلق حيث افتتح كتابه بقوله: الحمد لله لا يدركه من لا تدركه الأبصار ولا يحصره من لا تحصره الأفكار الذي دون تناوله للأفكار أستار أو لإقدام الأوهام زلل وعثار[١]، فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة ولا يومأ إليه بالإشارة مكيفة ولا يقال عليه حيًا ولا قادراً ولا عالمًا ولا عاقلاً ولا كاملاً ولا تامًا ولا فاعلاً؛ لأنه مبدع الحي القادر العالم العاقل التام الكامل الفاعل ولا يقال له ذات ولا أنه جوهر أو عرض أو أنه علة... إلخ[٢].

وفسروا معرفة المبدع سبحانه بأنها نفي الصفات عنه وهذه هي رسالة العقل الأول إلىٰ من دونه. يقول السجستاني: إن العقل إنما قام أولاً بإبداع المبدع ليعرف من دونه أولاً سبحانيته عن صفات كل موصوف، وسمات كل منعوت فكان نفي الصفات والإضافات عن المبدع جوهرية العقل التي حدثت عن الإبداع وإثباته لمن أبدعه وتعريفه لمن دونه من التالي والحدود العلوية والسفلية بأن جوهريته التي هي النفي لم تكن لتعطيل الإلهية عن المبدع بل تثبيته مجرداً عن صفات المبدعات والمخلوقات فلم يسبق هذا التعريف في العقل شيء بل هو أول رسالة يؤديها عن المبدع إلىٰ الخلق ليعبدوه حق عبادته وينزهوه عن سمات بريته ولا يشركوا به من دونه في ربوبيته[٣].

واستدل الحامدي علىٰ مبدأ النفي الذي يعتبر أساس عقيدة الاسماعيلية في أسماء المبدع وصفاته بأكذوبة نسبها إلىٰ علي بن أبي طالب وأنه قال لكميل بن زياد وقد سأله عن توحيد مجرد بلسان صدق مفرد: ويحك يا كميل من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ومن أشار إليه فهو ثنوي ومن نطق به فهو جاهل ومن سكت عنه فهو غافل ومن ظن أنه واصل فليس له حاصل وكل ما ميزتموه في أوهامكم في أصدق معانيه فهو مصروف عنه مردود إليكم مصنوع محدث وقال شعراً:

العـــــجـــــز عن درك الإدراك إدراك

---

(١) هكذا نص الكتاب والصواب ـ فيما يظهر ـ علىٰ النحو الآتي: «الحمد لله لا تدركه الأبصار ولا تحصره الأفكار الذي دون تناوله بالأفكار أستار ولا قدام الأ وهام ذلل وعثار».

(٢) كنز الولد للحامدي ص١٣ ـ ١٤.

(٣) إثبات النبوات للسجستاني ص١٢٣.

والبحث عن سر كنه الذات إشراك

والكشف عن مستجنات الغيوب عمت

عليه من ظلمات العجز أفلاك[(١)]

وحينما ينفون عن المبدع أسماءه الحسنىٰ يقولون عنها أنها إشارة إلىٰ حدوده الروحانية العلوية والجسمانية السفلية ففي تأويل قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[(٢)] أي هؤلاء الحدود ادعوه بها واطلبوا الوصول إلىٰ توحيد الله تعالىٰ من جهتهم وتدرعوا من مدارع النجاة برسالتهم. ومما ذكر صاحب كنز الولد: أن توحيد الله معرفة أسمائه فمن عرفهم ووحده من قبلهم نجا ومن جهلهم ولما يتصل بهم ضل وغوىٰ[(٣)].

ويلخص اسماعيلي معاصر عقيدتهم في أسماء الله وصفاته بقوله: إن الاسماعيلية يقولون ليس له أسماء لأن الأسماء من موجوداته ولا صفات لأن الصفات من ايسياته. وإن حروف اللغة لا يمكن أن تؤدىٰ إلىٰ لفظ اسمه أو أن يطلق عليه شيء منها لأنها جميعها من مخترعاته وإن كافة الأسماء التي أبدعها جعلها أسماء لمبدعاته[(٤)].

وأختم نصوصهم عن هذا المعتقد بحكم الحامدي علىٰ من يصف الله عز وجل أو يسميه بأسمائه الحسنىٰ يقول: من وصف الله فقد كفر ولحد ومن نعته فقد شبه وعند غاية المعرفة به الإقرار بالعجز عن وصفه والحصر وتساوي البصيرة عن إدراكه والبصر[(٥)].

فالخلاصة في معتقدهم عن الله عز وجل التوقف والسلبية ومن ثم التصور الذهني

---

(١) كنز الولد للحامدي ص١٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٣) ديوان المؤيد الشيرازي ص٩٠ ـ ٩١.

(٤) الإمامة لعارف تامر ص٦٦.

(٥) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدي ص١٥٧ ضمن منتخبات اسماعيلية.

الممتنع ومع استحالة هذا فإن مؤلفاتهم الفلسفية ونظرياتهم الاعتقادية تدور على هذا الفكر وتقوم عليه. وبالتالي فإن ترتيبهم للموجودات متفرع من ذلك حيث بعد المبدع ـ بكسر الدال ـ يأتي المبدع ـ بفتح الدال ـ وهو ما أسموه بالعقل الأول والسابق ووصفوه بصفات الله وأسمائه بعد نفيها عن الله عز وجل وذلك حرصًا منهم على التنزيه!!

إن هذا يستلزم استقصاء ما لدى الاسماعيلية من تصورات ومعتقدات عن العقل الأول وأسمائه وأوصافه وطبيعته ومهماته في العالمين العلوي والسفلي.

(ب) العقل الأول أو السابق:

يطلق على العقل الأول ـ عند الاسماعيلية ـ أسماء وأوصاف وتسند إليه أفعال وأحكام على نحو ما نرى ذلك عند السجستاني والكرماني:

(١) أسماء العقل الأول وصفاته.

خصص السجستاني ثمانية ينابيع من كتابه لبيان ما يطلق على العقل ولطولها[١] نستخلص منها الجوانب التسعة التالية والتي تعتبر خلاصة موجزة لأسماء العقل وأوصافه وأفعاله وأحكامه:

(١) أن الله أمر العقل بقوله «كن» فلا يضاف لأمر الله سوى هذين الحرفين وهما الكاف والنون ولا يدرك العقل شيئا عمن قبله وهو المبدع سوى ذلك.

(٢) أنه لا يعبر عن العقل بأنه داخل العالم الطبيعي أو خارجا منه وله جوهرية خاصة لا يزيلها شيء من الأشياء كما أنه لا يخالف العالم الطبيعي في باب القوة

---

(١) ابتدأ السجستاني بحديثه عن العقل الأول من الينبوع الثالث حتى الينبوع الحادي عشر ومقدار ذلك ثلاثا وعشرين صفحة يصعب نقلها حرفيا، ولذا وجب التلخيص.
أنظر كتاب الينابيع ص ٧٣ـ٩٦. ومن الجدير بالذكر أن الدكتور عبد الرحمن بدوي لخص هذه الينابيع التي توضح خصائص العقل الأول في كتابه مذاهب الإسلاميين ٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٧ مبتدئا بالينبوع الثالث ثم السادس والسابع بالترتيب حتى الحادي عشر تاركا ينبوعين هما الرابع وعنوانه «بيان عالم العقل وعالم النفس وكيفيتهما» والخامس وعنوانه «العقل الأول أول مبدع». ومن الملاحظ ـ كما أسلفنا ـ أن الينبوع الثاني يتعلق بالحديث عن الله عز وجل والذي أطلق عليه «هوية المبدع المحضة»، أما الينبوع الأول فخصصه لمعنى الينبوع فهما خارجان عن العقل الأول أو السابق. انظر كتاب الينابيع ص٦٢ ـ ٧٢.

والفعل.

(٣) أن العقل الأول أول مبدع حيث لم يسبقه في الإبداع شيئ حيث أنه جوهر محيط بالأشياء كلها ومن هنا حكم عليه بالسبق في الوجود قبل كل محاط به.

(٤) ليس قبل العقل الأول شيئ إذ هو شيئية الأشياء كلها ولو جاز توهم شيئية قبل العقل ـ والعقل شيئيته الأشياء كلها كان العقل إذن قبل ذاته والشيئ لا يكون قبل ذاته فإذن توهم شيئية قبل العقل ممتنع.

(٥) أن العقل لا يبيد فكل شيء يبيد يدخل الفساد عليه أما من ذاته وأما من غيره ولبطلانهما في العقل يستحيل فساد العقل الذي لم يتلق أمراً ممن فوقه سوىٰ «كن».

(٦) أن العقل ساكن لأنه لم يسبقه شيء والحركة التي هي ضد السكون إنما تكون لطلب موضع أو لطلب حاجة وليس للعقل حاجة لأنه غير محتاج إلىٰ أحد وليس له الزوال عن موضعه لأن المواضع كلها بالنسبة لجوهرية العقل موضع واحد.

ويفترض أيضًا أنه تحرك لطلب مبدعه لإدراكه والإحاطة به ولكن جوهريته تخالف ذلك فإن العقل لايتوهم إدراك من أبدعه ولو توهم ذلك لم يكن عقلاً.

(٧) والعقل تام بالفعل والقوة معًا إذ العقل يشبه الواحد من الإعداد. والواحد عدد تام بالقوة والفعل معًا. لم يكن في عدد آخر ككون جميع الأعداد بعضها من بعض فإنه لايمكن أن يسبق الواحد عدد يكون ذلك العدد سببًا لظهور الواحد كما يكون سببًا لظهور الاثنين وكما امتنع أن يسبق الواحد عدد يكون ظهور الواحد منه امتنع أن يكون العقل من شيء بالقوة حتىٰ ظهر بالفعل. كما امتنع أن يسبق الواحد عدد يكون فيه الواحد بالقوة فإذا ظهور العقل تام بالقوة والفعل معًا.

(٨) والعقل يوجد مجرداً عن المادة ولا يحتاج إلىٰ الجسدانية لأن العقل جوهر روحاني غير مركب بينما الجسد مركب من الطبائع الأربع.

(٩) إن العقل يخاطب النفس خطابين خطابًا علويًا وخطابًا سفليًا.

فالخطاب العلوي خطاب العقل للنفس من جهة الروحانيات وأوله الشوق الدائم الذين أفاض عليها فتراها أبداً مشتاقة متحننة إلىٰ علتها. والخطاب السفلي هو المتوجه إلىٰ الأشياء الجسمية للتخلص من الجسمانيات واللحاق بعالمها فتطلب الفوائد العقلية

المحضة التي بها خلاصها وفوزها وراحتها[١].

أما الكرماني فإنه يسمي العقل ويصفه بأنه: هو الحق وهو الحقيقة وهو الوجود الأول والموجود الأول وهو المعقول الأول وهو العلم وهو العالم الأول وهو القدرة وهو القادر الأول وهو الحياة وهو الحي الأول ذات واحدة تلحقها هذه الصفات يستحق بعضها لذاته وبعضها بإضافته إلى غيره من غير أن تكون هناك كثرة بالذات[٢].

ومما يطلق الكرماني على العقل الأول: أنه النهاية في الكمال والزينة والجمال بكونه هو أولاً في الوجود وعلة تنتهي إليها الموجودات ولم يكن في الكمال والجمال مثل ذاته ولا شيء أوفق له من ذاته وكان مدركًا لذاته بذاته[٣].

(٢) أعمال العقل الأول:

أما ما ينسب للعقل من أعمال فيوضحه بقوله: إنه هو المحرك الأول لجميع المتحركات وأنه العلة في وجود ما سواه وأنه لا يحتاج في الفعل إلى غير ذاته وأنه عقل في ذاته وعاقل لذاته ومعقول بذاته[٤].

ولتوضيح هذه المزية للعقل الأول وبدايتها عندهم يقول الحامدي: إن الله أبدع عالم الأمر دفعة واحدة بلا زمان بل أوجدهم دفعة واحدة لا شرف لأيهم على غيره عند الإبداع بل الكل في الكمال واحد متساوون فكان من واحد منهم أنه فكر في ذاته بذاته لا من معلم ولا من ملهم بل جعل له من ذاته تصوراً وعلم أن له ولجميع ما معه من أبناء جنسه مبدعًا وخالقًا ليس هو كهم فنفى حينئذ عن نفسه الألوهية وأقر لمبدعه بالوحدانية وهو قوله تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...** ﴾[٥] فكان هو الشاهد بالغيب سبحانه فلم يسم ولم يكنى بل قال: ﴿ **ألا**

---

(١) انظر كتاب الينابيع للسجستاني ص٧٣ ـ ٩٦.

(٢) راحة العقل للكرماني ص١٨٩.

(٣) المرجع السابق ص١٩٣.

(٤) المرجع السابق ص١٩٧.

(٥) سورة آل عمران: ١٨.

هو ﴾ لقلة إحاطته بمبدعه وقصوره عن ذلك[١].

ولهذه المزية الخاصة بالعقل الأول ـ وهي أنه أول من اكتشف المبدع دون غيره من الموجودات ـ استحق جميع الأوصاف والأسماء التي تطلق على الباري عز وجل عند غيرهم.

وعند الاسماعيلية أن العقل الأول هو الذي رمز إليه تعالى بالقلم في قوله: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾[٢] وعلى هذا فالقلم هو الخالق المصور وهو الذي أبدع النفس الكلية التي رمز إليها القرآن باللوح المحفوظ ووصفت بجميع الصفات التي للعقل الكلي إلا أن العقل كان أسبق إلى توحيد الله وأفضل فسمي بالسابق وسميت النفس بالتالي وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية من جماد وحيوان ونبات وإنسان وما في السموات من نجوم وكواكب[٣].

لذلك نجد شهاب الدين الاسماعيلي يبدأ رسالته بقوله: الحمد لله الذي ظهر لخلقه واحتجب عن خلقه بخلقه وأبدع بأمره الكريم وسره العظيم السابق الأول ثم اخترع منه التالي الثاني فصبغ جوهرهما بنور وحدته وجعلهما أصلين للخلق والدين ببديع قدرته[٤].

(٣) أحكام العقل الأول:

أما ما ينسبه الاسماعيلية للعقل من أحكام فكثيرة جداً حسبنا أن نعلم أن جميع الأسماء والصفات والأفعال الإلهية مصروفة عندهم إلى العقل الأول أو السابق ولذا فقد خصص الكرماني له سوراً كاملاً في سبعة مشارع استغرقت أربعين صفحة من كتابه راحة العقل. وخلاصة هذه المشارع السبعة مايأتي:

---

(١) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدي ضمن منتخبات اسماعيلية لعادل العوا ص١٦١.

(٢) سورة القلم: ١.

(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٥٨.

(٤) رسالة مطالع الشموس لشهاب الدين ضمن أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر ص١١.

(١) أن الموجود الأول وجوده لا من ذاته وأنه علة تنتهي إليها الموجودات وأنه لا جسم ولا قوة في جسم وأنه خارج عن الجسم.

(٢) إن وجوده عن طريق الإبداع ـ وهي الكلمة كن كما مر معنا في نص السجستاني ـ لا عن طريق الفيض كما يقول الفلاسفة[١]. وأن طلب الإحاطة بكيفية هذا الوجود محال.

(٣) إن الموجود الأول الذي لايتقدمه شيء ولا يسبقه في الوجود سواه.

(٤) أنه كامل وأزلي الأخر لا أزلي الأول وأنه واحد لا مثيل له ولا يعقل إلا ذاته فقط.

(٥) أنه حامل للصفات ومتوحد من جهة كونه إبداعًا وشيئًا واحداً ومتكثر من جهة الموجود فيه من الصفات الإضافية.

(٦) أن الموجود الأول مع كونه موصوفًا بأوصاف كثيرة فإن من دونه لا يدرك جماله ومجده وبهاءه ومسرته؛ لأن هذه الأمور أعظم من أن تنال بوصف كما أنه هو يمتنع أن يحيط بما هو خارج عنه ممن فوقه كما أنه الاسم الأعظم والمسمى الأعظم.

(٧) أنه المحرك الأول لجميع المتحركات وأنه العلة في وجود ما سواه وأنه لا يحتاج في الفعل إلى غير ذاته كما أنه عقل في ذاته وعاقل لذاته ومعقول بذاته[٢].

---

(١) هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها الاسماعيلية مع الفلاسفة ولاينبني على ذلك اعتبار إخوان الصفا لهم مذهب مستقل عن الاسماعيلية لقولهم بالفيض كما قرر الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه مذاهب الإسلاميين ٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ لأن من المسلم به أن حركة إخوان الصفا حركة مزامنة لظهور الاسماعيليين وأن مؤلفي رسائلهم اسماعيليون قلبا وقالبًا ولا يمنع مع ذلك تأثير الاسماعيلية بالفلاسفة في كثير من المسائل الاعتقادية مع اختلافهم معهم في مسألة كالإبداع أو الفيض.
وقد ذكر الأستاذ أحمد جلي جملة أدلة ونصوص تدل على أن إخوان الصفا ورسائلهم اسماعيليون ونتاجهم نتاج اسماعيلي وما ذكره بحق يعتبر ردًا قويًا وجامعًا لأدلة تدحض رأي من ينفي رسائل اخوان الصفا عن الاسماعيلية. انظر دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص٢٧٣ ـ ٢٧٤ من الهامش، طبعة جديدة.

(٢) انظر راحة العقل للكرماني ص١٥٥ ـ ١٩٧.

هذه هي أوصاف العقل الأول وأحكامه عند السجستاني والكرماني وبمثل ذلك تحدث سائر دعاة الاسماعيلية وعلمائها.

يقول الحارثي عن العقل الأول: إن جميع صفات الشرف والجلالة وما يعبر به في جميع اللغات من الإشارات بنعوت الإلهية فإنها واقعة على العقل الأول[1] وعلة ذلك كما قال الحارثي: أنه لما كانت حروف المعجم محدثة لم تكن تدل إلا على محدث مثلها وإذا كان القول كذلك كانت هذه الأسماء والصفات منفية عنه - أي المبدع - تعالى وتكبر وكانت واقعة على إبداعه الذي هو العقل الأول والموجود الأول والسابق وهو سبحانه متنزه متعال عما يقول الظالمون علواً كبيراً[2].

ولخص أحد شعراء الاسماعيلية هذه الفكرة تحت عنوان القول في التوحيد ومما قال:

فكل ما يجري على اللسان … من سائر الأفكار والأديان

وسائر الأسماء والصفات … للمبدع الأول لا للذات[3]

وحينما وجه سؤال إلى الحامدي - الداعي الاسماعيلي - عن سورة الإخلاص ومعناها أجاب بقوله:

إن الأوصاف الواردة في هذه السورة إنما هي لبيان خصائص العقل الأول والموجود الأول وأضاف قائلاً: إنه قد سبق القول في الأجوبة المقدمة أنه لما كان من لا تجاسر نحوه الخواطر في حجاب من الجلالة والعظمة ممتنعًا أن يعبر عنه بلفظ قول أو عقد ضمير كانت الصفات المتعالية والسمات المتناهية في الشرف واقعة على أشرف مبدعاته وأفضل مخترعاته فلذلك أوحى إلى نبيه ﷺ بقوله (قل) يا محمد (هو الله أحد) عني به الإقرار للمبدع الأول برتبة الوحدة التي امتاز بها عمن سواه وتفرد بها عن

(١) رسالة المبدأ والمعاد ضمن الحقائق الخفية للأعظمي ص١٠١.

(٢) الأنوار اللطيفة للحارثي ص٧٩ - ٨٠.

(٣) القصيدة الصورية للصوري ص٢٤.

جميع من تلاه ثم قال (الله الصمد) في اللغة هو السند المصمود إليه في قضاء الحوائج فأمره بالاعتراف بكون الإبداع مقصد أهل العوالم وإليه تمتد رغباتهم ومنه تطلب حاجاتهم وهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه ثم قال (لم يلد ولم يولد) تعليمًا لنبيه ﷺ بتنزيه هذا الحد الشريف ـ العقل الأول ـ وتجريده عن أن يكون له سبب أو علة من جنسه بها وجد كما يكون الوالد علة لولده (ولم يولد) أن يكون هو علة لظهور مولد عنه اضطر إلى إيجاده لغرض يدعوه إليه فيقوم مشابهًا له كما يكون الولد من عالم الطبيعة مشابهًا لوالده وحائزًا لمرتبته من بعده إذ ليس أحد من العقول ينال مرتبة العقل الأول[1].

وفي رسالة مطالع الشموس تتضح ماهية العقل الأول وأثره في الوجود وأنه هو مبدأ الكائنات وأصلها، يقول شهاب الدين:

واعلم أن هذا العالم إنسان كبير أصله ومبدأه السابق المشرق من أنوار الوحدة وهو العقل فمنه تأسست الموجودات وتأثرت وظهرت بعجائبها وأنجبت بعضها من بعض وهو أصل مبدئها ومنشئها وإليه معادها وهو سبب إظهار الوجود بأسره وأنه أصل له نسبتان عليا وسفلى وهما الكاف والنون فالكاف درجة العليا وتسمى الجود والنون درجة السفلى وتسمى الدين ومن هاتين النسبتين ظهر عالمان الخلق والدين فالخلق من نسبة العليا وبه يمد والدين من نسبة الدنيا وبها يستمد[2].

زاد الاسماعيلية على ذلك حتى أطلقوا لفظ الله على العقل الأول. يقول الكرماني: ثم إن العقل الأول هو الاسم الأعظم والمسمى الأعظم وذلك إن كانت الأسماء التي تقدس بها المتعالي سبحانه ويدعي بها كثيرة في عالم الجسم الذي هو دار الطبيعة وكان أعظمها الذي لا يستحقه وينفرد به عن الغير (الله) وكان أحق الأسماء بما تسمى به ما يطابق معناه الذي يؤديه الموجود منه في المسمى به وينطق عنه بما عليه طبيعته ويدل عليه بما عليه حاله وكان هذا الاسم مؤديًا من معناه الإلهانية التي هي

---

(١) كنز الولد للحامدي ص١٥٧.

(٢) رسالة مطالع الشموس لشهاب الدين ص١٩ ـ ٢٠ ضمن أربع رسائل اسماعيلية.

الشوق والوله الذي هو الحيرة على ما يقال أله فلان يأله الهانية إذا اشتاق ووله فلا يأله إذا تحير. كان هذا الاسم بهذين المعنيين اللذين أداهما حقًا للمبدع الذي هو الموجود الأول لوجود المعنيين فيه من الاشتياق إلى ما عنه وجوده والحيرة فيه ولما كان هذا الاسم له بمعناه الموجود فيه حقًا وكان هذا الاسم أعظم اسم والمسمى به أعظم مسمى كان الاشتياق والحيرة ثابتين فيه[1].

وفي رسائل وصفوها بأنها حقائق عالية ودقائق وأسرار سامية ومما جاء فيها دعاء ومناجاة للاسماعيلية يقولون: يا خالق يا رازق يا من في قبضته قلوب الإنس والجن. والإشارة في هذه المناجاة إلى العقل الأول إذ هو مستحق لإضافة أسماء العظمة والجلالة إليه وهي واقعة عليه[2].

ويقول الداعي ابن الوليد: إن الله في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ...﴾[3] اسم واقع على العقل الأول السابق في عالم الإبداع. والملائكة تلك العقول المجردة المبادرة إلى الإجابة لدعوته الشاهدة بما شهد به وأولوا العلم هو هذا الشخص الفاضل صاحب الجثة الإبداعية آدم وحدوده السبعة والعشرون المجيبون لدعوته[4].

إن نصوص الاسماعيلية هذه عن الله عز وجل أو كما يقولون عن أول مبدع نستطيع أن نستخلص منها أن التوحد والتمجيد والتقديس عندهم بأن ينفي عن الله سبحانه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية فلا يطلق عليه أي عبارة أو لفظ أوحتى إشارة ومما قالوا ذريعة لهذا الإلحاد في أسماء الله وصفاته أن حروف المعجم لما كانت محدثة لم تدل إلا على محدث مثلها وإنما يضطرنا العجز إلى أن يكنى عنه بما يستحقه أسماؤه العليا لعدمنا ما نصفه به.

---

(١) راحة العقل للكرماني ص١٩٥ ـ ١٩٦.

(٢) أربعة كتب اسماعيلية جمع شتروطمان ص٧١.

(٣) سورة آل عمران: ١٨.

(٤) رسالة المبدأ والمعاد ص١١٣.

واستخلص الدكتور محمد كامل حسين عقيدة الاسماعيلية عن الله وعن نفي الأسماء والصفات عنه وإلحاقها بما سموه السابق بقوله: إن الاسماعيلية جردوا الله سبحانه وتعالى من كل صفة حتى أصبح توحيد الله عندهم نفي جميع الأسماء والصفات عنه وإلحاقها بمبدعاته ومخلوقاته وأصبح عندهم نفي المعرفة هو حقيقة المعرفة وسلب الصفة هو نهاية الصفة. فأسماء الله الحسنى التي نسبها الله تعالى لنفسه في القرآن الكريم لا تقال لله تعالى بل جعلوها للعقل الكلي الذي تحدث عنه الفلاسفة ووصفوا العقل الكلي بكل صفات الكمال على نحو ما ذكره الفلاسفة الأقدمون تمامًا وصبغوا هذه الآراء والأقاويل بالصبغة الإسلامية فنسبوا أسماء الله الحسنى إلى العقل الكلي وأطلقوا على العقل الكلي أيضًا اسم «المبدع الأول» وإن هذا المبدع الأول أو العقل الكلي هو الذي رمز إليه تعالى (بالقلم) في الآية القرآنية ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾[1] وعلى هذا فالقلم أو المبدع الأول أو العقل الكلي هو الخالق المصور الواحد القهار الجبار العزيز المذل العلي القدير... إلخ وأنه هو الذي أبدع النفس الكلية أو المبدع الثاني الذي رمز إليه في القرآن الكريم (باللوح المحفوظ) وجعلوا للنفس الكلية جميع الصفات التي للعقل الكلي إلا أن العقل الكلي كان أسبق في الوجود وإلى توحيد الله وتنزيهه فبذلك كان العقل الكلي أسبق من النفس الكلية وأفضل فسمي (بالسابق) وسميت النفس الكلية (بالتالي) وبواسطة العقل الكلي والنفس الكلية وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية، بل كل ما نشاهده في هذه الدنيا من جماد ونبات وحيوان وإنسان وما في السموات من نجوم وكواكب، فالخالق عند الاسماعيلية إذن هو العقل الكلي والنفس الكلية وبمعنى آخر أن ما يقوله المسلمون عن الله سبحانه وتعالى خلعه الاسماعيلية على العقل الكلي فهو الإله عند الاسماعيلية. وإذا ذكر الله عند الاسماعيلية فالمقصود هو العقل الكلي[2].

(ج) العقل الثاني (التالي) أو النفس الكلية:

يعتبر هذا العقل عند الاسماعيلية أصلاً ثانيًا مع العقل الأول ويأتي في الوجود

---

(١) سورة القلم: ١.

(٢) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٥٧ ـ ١٥٨.

والرتبة بعد السابق ولذلك أطلقوا عليه التالي ؛ لأنه تلى العقل الأول في الأفضلية والوجود والأهمية وكثيراً ما أطلق الاسماعيلية على هذا العقل (النفس الكلية) وطبيعتها عقلية محضة وهي أقرب الموجودات من العقول العشرة إلى عالم الكون والمخلوقات وهذه صورة مفصلة عنها :

(١) أسماء الناس وصفاتها.

للنفس الكلية أسماء متعددة في مصادر الاسماعيليين منها العقل الثاني والتالي والمنبعث الأول والعقل القائم بالفعل وأول العقول المنبعثة في عالم القدس عن العقل الأول ومن أجمع نصوص الاسماعيلية عن أسمائها وعلة تسميتها بها ما ذكره الداعي الاسماعيلي السجزي في كتابه تحفة المستجيبين بقوله :

ثم أوجد الموجود الأول من العقل أثراً منفعلاً هي النفس الكلية وإنما سميت نفساً لأنها تتنفس دائمًا للاستعادة ليكون بتواتر تنفسها قوام الخلقة وتسمى أيضًا باللوح؛ لأن الذي انفطر من العقل من أنوار الكلمة يتسطر في النفس ومن النفس يتصل جريانها المنبعث منها على مقدار صفاتها ولطافتها .

وتسمى النفس بالملك ومعنى ذلك أن النفس هي ملك العقل وعبدته ؛ لأن بالنفس ظهرت فضيلة العقل كما أن بالملك تظهر فضيلة الملك .

وتسمى بالنفس الكلية ؛ لأنها الحال الثاني لجميع المخلوقين . ويقال لها التالي أي أنها تتلو العقل في قبول أثار الحكمة . ويقال للنفس القدر ومعنى هذه التسمية أن الذي يتحد بالنفس من فوائد العقل فإن التقدير والتحديد محاطان به . وتسمى النفس الصورة ومعنى هذا أنها تصورت من جوهر العقل الذي به تقف على فوائد العقل وهي القمر فتستفيد من أنوار العقل وضيائه وأنها متى همت أن تلحق به لتنزل منزلته محق نورها كما أن القمر يستفيد نوره من نور الشمس وإذا اجتمع مع الشمس في المنزلة محقت نوره[١] .

أما تسمية النفس بالمنبعث الأول والعقل القائم بالقوة فيوضحه الكرماني بقوله :

---

(١) تحفة المستجيبين للسجزي ص١٤٦ ـ ١٥٥ .

ولما كان الأمر في كون العقل الأول على نسبتين إحداهما أشرف من الأخرىٰ. كان الموجود عن النسبة الأشرف قائمًا بالفعل عقلاً فردًا محضًا في نوعيته صورة مجردة وهو مع كونه ثانيًا في الوجود عند الترتيب أول بالانبعاث. كما أن المبدع الأول أول بالإبداع. وكان الموجود عن النسبة الأخرىٰ دون ذلك منزلة عقلاً قائمًا بالقوة يسمىٰ الهيولي والصورة مزدوجًا في ذاته كالنسبة التي عنها وجد[1].

وأما صفات النفس الكلية فيوضحها الكرماني أيضًا بقوله وهو ـ أي العقل الثاني ـ كالأول في باب كونه جامعًا للكمالين وذلك أن جميع ما يختص المبدع ـ الذي هو العقل الأول ـ به من الأمور العشرة التي بها هو ما هو من كونه حقًا وموجودًا أولاً وواحدًا تامًا وكاملاً أزليًا وعاقلاً وعالمًا وقادرًا وحيًا بالإضافات والذات واحدة فإن المنبعث منه يستحقه بالمعاني الموجودة فيه.

ثم يبين الكرماني بعد ذلك علة كل صفة للعقل الثاني بقوله:

فأما كونه حقًا فلكونه نهاية المنبعثات من طريق الإبداع.

وكونه موجودًا أولاً فلكونه موجودًا أولاً من الانبعاث.

وكونه واحدًا فلكونه عقلاً محضًا واحدًا من نوع الانبعاث الأول.

وكونه تامًا فلوجوده عن التمام.

وكونه كاملاً فلوجوده عن الكمال.

وكونه أزليًا فلكونه متعلقًا بما يحفظ عليه وجوده.

وكونه عاقلاً فلعقله ذاته بذاته.

وكونه عالمًا فلعلمه بذاته وذات ما تقدمه.

وكونه قادرًا فلوجود الإحاطة منه بذاته.

وكونه حيًا فلوجود الفعل منه. فهو تام كامل ووجوده عن السابق عليه

(١) راحة العقل للكرماني ص٢١٣.

لا بقصد منه أول[1].

(٢) النسبة بين النفس الكلية وبين العقل الأول وبينها وبين الهيولي والصورة من العقل الأول انبعثت النفس الكلية ذلك أن ما للعقل من خصائص ومقدرة فائقة جعلته يغتبط ويسر ويبتهج حتى سطح نور عنه وانبعث وذلكم هو العقل الثاني أو المنبعث الأول الذي صدر عن العقل الأول ذلكم أن العقل يخاطب النفس خطابين:

خطابًا علويًا من جهة الروحانيات وصورته الشوق الدائم الذي أفاض عليها فتراها أبداً مشتاقة متحننة إلى علتها فتكتسب من فوائد العقل ما يمكنها.

والخطاب الآخر خطابًا سفليًا من جهة الجسمانيات لتعلق النفس بها ورحمة العقل عليها فالعقل خطاب النفس أولاً عند كون الهيولي والصورة منها[2].

فالنفس الكلية لها اعتباران ونسبتان فهي عقل قائم بالفعل بالنظر إلى ما فوقها وهو العقل الأول وهي بجانب ذلك عقل قائم بالقوة وذلك بالنظر إلى الجسمانيات التي بعدها والمسماة بالهيولي والصورة. ومن الاعتبار الأول تسمى النفس قلما كالعقل الأول الذي يعبر عنه بالقلم، ومن الاعتبار الثاني تسمى لوحًا؛ لأنها موضع تأثير العقل الأول فيها كما يكون اللوح موضع تأثير القلم.

وأما الهيولي والصورة فهي النسبة الدنيا للنفس الكلية وهي عقل قائم بالقوة ولذلك تسمى بالمنبعث الثاني؛ لأن الأول عقل قائم بالفعل وهو يمثل النسبة العليا للنفس والتي تتصل بالعقل الأول مباشرة فمسمى القلم يشمل العقل الأول والعقل الثاني بنسبته العليا والتي تسمى بالمنبعث الأول.

ومسمى اللوح يشمل العقل الثاني بنسبته الدنيا وهي ما يسمى بالمنبعث الثاني والذي يطلق عليه أحيانًا الهيولي والصورة. فكل عقل قائم بالفعل فهو قلم وكل عقل قائم بالقوة فهو يسمى لوحًا.

---

(١) المرجع السابق ص٢١٧ ـ ٢١٨ وانظر أيضًا ديوان المؤيد الشيرازي ص٩٦.

(٢) انظر الينابيع للسجستاني ص٩٣ ـ ٩٥.

ومن نصوص الاسماعيلية التي تدل على ما قدمنا قول الكرماني: إنه لما كان الموجود الأول الذي هو العقل الأول مختصًا باسم الابداع لكونه في وجوده لا من شيء وكان في الوجود موجودًا اختص الموجود الثاني التالي له في الوجود الذي هو العقل الثاني باسم الانبعاث الأول ولزم من هذا الانبعاث و جود شيئين عنه بحسب ما عليه ذاته من النسبتين إحداهما أشرف من الأخرى. ولما كان الأمر في كون العقل الأول على نسبتين إحداهما أشرف من الأخرى كان الموجود عن النسبة الأشرف قائمًا بالفعل عقلاً فردا محضًا في نوعيته صورة مجردة وهو مع كونه ثانيًا في الوجود عند الترتيب أول بالانبعاث. كما أن المبدع الأول أول بالإبداع وكان الموجود عن النسبة الأخرى دون ذلك منزلة عقلاً قائمًا بالقوة يسمى الهيولي والصورة مزدوجًا في ذاته كالنسبة التي عنها وجد[1].

ويقول الكرماني أيضًا في توضيح النسبة بين العقل والنفس: أنه هو أول العقول المنبعثة في عالم القدس وهو عقل قائم بالفعل مثل ما عنه وجد كالإشعاع الموجود عن الشمس وكماله أقل مرتبة من كمال العقل؛ لأنه ثان في الوجود. كما أن المنبعث الأول كامل الاغتباط من جهة السابق عليه في الوجود وهو قائم بالتسبيح والتهليل مشتاق وله حيران كالأول مقدس ذلك الملك المقرب المعرب عنه في النسة الإلهية بالقلم وإنما سمى ذلك بالقلم لكونه والأول من جنس واحد[2].

(٣) التأثير المشترك في الكون بين العقل والنفس.

من الملاحظ كما سبق في نصوص الاسماعيلية أن هناك تأثيراً مشتركًا في الكون بين العقل والنفس حيث أنهما ـ حسب معتقدات الاسماعيلية ومنطوق نصوصهم ـ الأصلان في وجود الموجودات وخلق الكائنات وإليهما جميعًا مرجع الأشياء روحيًا وجسميًا. فالنفس تستمد قدرتها من العقل الأول ثم تتصل بحكم اعتبارها الثاني بالموجودات والكائنات، ثم بعد ذلك وجد العالمين العلوي والسفلي بتأثيرهما المشترك.

---

(١) راحة العقل للكرماني ص٢١٢ ـ ٢١٣.

(٢) راحة العقل للكرماني ص٢١٩.

ونجد هذا المعتقد واضحًا جليًا في رسالة أفردها الداعي الاسماعيلي أبو فراس وسماها «حدوث العالم ومبتدأ العوالم» يقول فيها: وإن موجد العالم أوجده ـ أي العقل الأول ـ إبداعًا لا من شيء وأنه سبحانه وتعالى قال له كن فكان فيضًا واحداً فهو العقل الفعال الأول والموجود الأكمل والحجاب المفضل وظهر عنه التالي مخترعًا من نوره ثم ظهرت جميع الموجودات منهما وبهما. فالفيض الأول هو أصل الإيجاد وهو المبدأ وإليه المعاد وهو السابق صاحب التمام والكمال وأشعته جواهر أفراد إبداعية عقلية وأشعة التالي جواهر أزواج تركيبية منها الهيولي الأولى والجسم المطلق الكوكبي والفلكي وهم الأمهات الأربع والمتولدات الثلاث. واعلم أيها الأخ البار أن جميع المركبات الجرمانية ثنائية من أشعة الأمر بوساطة السابق وجميع المركبات الجسمانية المتوالدة جواهر رباعية تركبت من تلك الجواهر الثنائية بوساطة الأمهات الأربع وروحانيتها المحركة لها وهي جواهر إفراد من أشعة السابق بوساطة التالي وأن مواد التالي من الأمر بوساطة السابق ومواد السابق إلهية بوساطة الأمر. واعلم أن العالم كله بسيط ومركب ظهر من العدم إلى الوجود بوساطة الأصلين العقل والنفس فوجود حركاته من التالي بوساطة الهيولي ووجود روحانيتها المحركة له من السابق بواسطة التالي وعلته الموجودة أصل هذا العالم ـ وهما الكاف والنون ـ أما الأمر فهو السر الإلهي المكنون بين هذين الحرفين فالكاف السابق المحدود المكمل بفيض الجود وهو علة النون.

والتالي أصل تركيب الوجود بمواد السابق والخلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام عالم روحاني، وعالم جرماني، وعالم جسماني[1].

ويرتب أحد الاسماعيلية تكوين الخلق ومراتبه مبينًا أثر العقل والنفس في وجودها يقول: إن الله أبدع أول الأمر العقل الأول وهو تام بالفعل ثم بتوسط هذا العقل أبدع النفس والنفس غير تامة ونسبة العقل إلى النفس نسبة النطفة إلى تمام الخلقة. ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال والحركة

---

(١) رسالة مطالع الشموس ص١٩ ـ ٢٠ ضمن كتاب أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر.

تحتاج إلىٰ وسيلة فوجدت وسيلة أو حدثت وهي الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس فحدثت الطبائع البسيطة بعد حدوث الأفلاك وتحركت هذه الطبائع بفعل النفس فتركبت عن تلك الحركة المركبات من المعادن والنبات والحيوان والإنسان والحركة فيما نعلم كثرة وتعدد وفاضت من النفس نفوس جزئية سرعان ما اتصلت بالأبدان، وهنا كان نوع الإنسان وحده متميزاً بالاستعداد لفيض تلك الأنوار العليا عليه؛ لأن مادته من مادة النفس العاشقة التي تتجه نحو المعشوق بحركات مختلفة تتفاوت كمالاً ونقصًا[1].

وقال أيضًا: ولما ابتدأ الأمر فاض علىٰ عالم العقل بأمر الله وفاض العقل علىٰ عالم النفس بأنواره وفاضت النفس علىٰ من دونها فامتلأ عالما من فيض العقل الممتلئ من فيض الله فأفاضت أقطار السموات بالسموات وبدأت الحركات من الحركات والمدبرات من الأوامر فقبلت فيض الزر بما دونه من عالم الكون والفساد حتىٰ ظهر الإنسان[2].

وبناء علىٰ ما تقدم من خاصية للنفس الكلية وتأثيرها المشترك مع العقل الأول فإن حركات العالم بزعمهم تأتي من الأول بواسطة الثاني وروحانيته تكون من السابق بواسطة التالي.

وختامًا للحديث عن الأصلين السابق والتالي أو العقل الأول والثاني كما صورهما الاسماعيلية نتحدث بإيجاز عن ترتيب العقول بعدهما حيث أن الفكر الاسماعيلي قائم علىٰ الإيمان بعقول عشرة وأن الموجودات تسلسلت عن طريقها.

(د) بقية العقول العشرة وطبيعتها:

تقدم لنا آنفًا الحديث عن العقل الأول وطبيعته وأفعاله وأحكامه. وكذلك العقل الثاني وبيان ما بينهما من اتصال مشترك ويأتي بعدهما في الرتبة والوجود بقية العقول

---

(١) رسالة في الأصول والأحكام لحاتم بن عمران بن زهرة ص١٠٣، انظر نشأة الفكر الفلسفي لعلي سامي النشار ص٤١٢ ـ ٤١٣.

(٢) المرجع السابق ص١٠٧، وانظر نشأة الفكر الفلسفي ص٤١٨ ـ ٤١٩.

الفاعلة وهي ثمانية عقول مرتبة ترتيبًا عدديًا حتىٰ العقل العاشر ولها ما يقابلها من الأفلاك .

(١) العقل الثالث ويقابله من الأفلاك فلك زحل .

(٢) العقل الرابع ويقابله من الأفلاك فلك المشترىٰ .

(٣) العقل الخامس ويقابله من الأفلاك فلك المريخ .

(٤) العقل السادس ويقابله من الأفلاك فلك الشمس .

(٥) العقل السابع ويقابله من الأفلاك فلك الزهرة .

(٦) العقل الثامن ويقابله من الأفلاك فلك عطارد .

(٧) العقل التاسع ويقابله من الأفلاك فلك القمر .

(٨) العقل العاشر ويقابله من الأفلاك ما دون فلك القمر .

ويتحدث الكرماني عن كيفية وجودها بقوله : وبالإبداع والانبعاث يوجد من العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها عشرة عقول يتم بها عالم الإبداع والانبعاث الذي هو المبادئ الشريفة . وقام العاشر منها لعالم الجسم مقام المبدع الأول في عالم الإبداع الأول والانبعاث الأول كما أن الموجود في الدور من الحدود العشرة . أولها الناطق والوصي وسبعة من الأئمة الذين يتمون الأدوار الصغار . والعاشر هو الذي يقوم مقام الناطق في دوره ثم يظهر بأمر جديد في دور جديد . ولما كان وجود ما بعد العشرة علىٰ صيغة الأحاد إلىٰ المثين . كان ذلك موجبًا أن يكون الموجود في عالم الجسم من المؤثرات بعدد الأعداد الموجودة في عالم الإبداع من العقول وعلىٰ تلك الصيغة علىٰ ما ذكرناه من فلك الأفلاك وفلك الكواكب والأفلاك السبعة وما دون فلك القمر الوازن للموجود في عالم الوضع[1] .

كما يقول أيضًا عن هذه العقول : أن الموجود عن العقل الأول والمنبعث الأول سبعة عقول ووجود كل منها عن الآخر صاعداً إلىٰ المنبعث الأول وأن كلا منها ساطع

---

(١) راحة العقل للكرماني ص٢٤٢، وانظر مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٢/ ٢٦٥ .

سار فيما وجد عن الأول من الهيولي والصورة التي منها وجود السموات والأرض وحركاتها ومراتب هذه العقول السبعة شيء واحد في كونها برية من الأجسام والمواد[١].

أن هذه العقول السبعة ـ التي تدبر أمر الكواكب السبعة السيارة ـ يسميها الاسماعيليون بالكروبيين السبعة[٢]، وهذا الاسم حسب المصطلحات الشرعية عند أهل السنة لمجموعة من الملائكة الذين يعملون في السماء.

يقول أحد دعاة الباطنية عن مهمات هؤلاء: إن كل واحد منهم ناظر إلى فلك من الأفلاك الجرمانية متول لتدبيره وإدارته لاحظ لكل ذي مرتبة من رتب الدين مقبل عليه بإمداده وإفادته فهذا هو فعلهم في العوالم الروحاني والجسماني والديني. وأما أسماؤهم فهم الموسومون بالكروبية وبالعقول المجردة بلسان الدعوة وبالملائكة في لسان الشريعة[٣].

أما العقل العاشر ـ وهو عقل مادون فلك القمر ـ فإنه يقوم منها من عالم الأجسام مقام المبدع الأول في عالم الإبداع الأول والانبعاث الأول كما قال الكرماني: والعقل الزول مركز لعالم العقول إلى العقل الفعال، والعقل الفعال عاقل للكل وهو مركز لعالم الجسم من الأجسام العالية الثابتة إلى الأجسام المستحلية المسماة عالم الكون والفساد وعالم الجسم جامع لفيض العقول وهو مركز لوجود الأنفس الطاهرة التي هي أنفس النطقاء إلى القائم والقائم جامع للكل الذي انتهى إليه ما سرى من بركة الإبداع[٤].

ويقول أحد الباطنيين: بعد أن ذكر تكون الإنسان وخلقه ـ قال: إن ذلك التدبير والعناية بالإنسان من قدرة مدبر عالم الطبيعية ـ العقل العاشر ـ التي تسير بها في كل

---

(١) راحة العقل للكرماني ص٢٤٠.

(٢) انظر مسائل مجموعة من الحقائق جمع شتروطمان بعنوان أربعة كتب اسماعيلية ص٦٢، ١٣٢.

(٣) المرجع السابق ص١٣٢ ـ ١٣٣.

(٤) راحة العقل للكرماني ص٢٤٥.

لحظة إلى عالم الكون والفساد والنفس مجبورة على ذلك الفعل بتلك القدرة لا تختار أن تفعل ذلك ولا تشعر به بل هي مثل الفضة التي يصورها الصائغ أي صورة أراد بالآلات صياغته كذلك مدبر عالم الطبيعة يصور كل مادة من المتكونات من معدن ونبات أو حيوان أي صورة شاء بحسب ما يستحقه بآلاته التي هي القوة الفلكية والأمهات الطبيعية . . . إلخ[1].

وفي تأويل أحد الباطنية لقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾[2] قوله: إني وجهت وجهي للذي فطر الأنبياء العظام وأرسلهم بالظواهر في الأنام وأرسل حججهم بتأويل ما أتوا به وبحقائقه وأسراره ودقائقه وما أنا من القائلين إنه يحل في الأجسام بل هو يتجلى في كل زمان ومكان بكل مقام وذلك هو العقل العاشر والمدبر الظاهر[3].

وإذا كان هذا هو عمل العقل العاشر أو المدبر الظاهر فلا شك أن من فوقه من العقول إلى العقل الأول أعظم منزلة وأكبر قدراً وبالتالي لها من الخلق والإنشاء والتدبير في الكون ما هو أكثر مما نسب إلى العقل العاشر. تعالى الله عما يقول الكافرون والمشركون والظالمون علواً كبيراً.

وهذه العقول العشرة أو الحدود العلوية ـ كما يسمونها ـ لها ما يقابلها ويناظرها في عالم الكون من الحدود السفلية مثلاً بمثل، فالعقل العاشر من الموجودات في عالم العقل هو نهاية العقول كالعاشر من الحدود السفلية يعتبر نهايتها، فالموجود من العقول العلوية في عالم الإبداع مثل الموجود من الحدود في عالم الدين لم يغادر منه شيئًا[4]. وهذا جدول رسمه الكرماني لبيان التناظر والمقابلة بين هذين العالمين أو هذين الحدين:

---

(١) مسائل مجموعة من الحقائق لمجهول ص٢٣ ـ ٢٤.

(٢) سورة الأنعام: ٧٩.

(٣) حياة الأحرار لعلي المكرمي ورقة ٢٤.

(٤) انظر راحة العقل للكرماني ص٢٥٥ ـ ٢٥٧.

جدول توضيحي[١]

الحدود العلوية	الحدود السفلية
(١) الموجود الأول (الفلك الأعلى)	الموجود الأول (رتبة التنزيل)
هو المبدع الأول	هو الناطق
(٢) الموجود الثاني (الفلك الثاني)	الموجود الثاني (رتبة التأويل
هو المنبعث الأول	هو الأساس
(٣) الموجود الثالث	الثالث هو الإمام
الفلك الثالث (زحل)	رتبة الأمر
(٤) الموجود الرابع	الرابع الباب
الفلك الرابع (المشتري)	رتبة فصل الخطاب
(٥) الموجود الخامس	الخامس الحجة
الفلك الخامس (المريخ)	رتبة الحكم
(٦) الموجود السادس	السادس داعي البلاغ
الفلك السادس (الشمس)	رتبة الاحتجاج
(٧) الموجود السابع	السابع الداعي المطلق
الفلك السابع (الزهرة)	الحدود العلوية.
(٨) الموجود الثامن	الثامن الداعي المحدود
الفلك الثامن (عطارد)	تعريف الحدود السفلية
(٩) الموجود التاسع	التاسع المأذون المطلق
الفلك التاسع (القمر)	رتبة أخذ العهد
(١٠) الموجود العاشر ـ ما دون	العاشر المأذون المحدود
الفلك من الطبائع	رتبة جذب الأنفس المستجيبة

(١) راحة العقل للكرماني ص٢٥٦.

وأخيراً وحينما نتأمل في نصوص الاسماعيلية السابقة عن المبدع سبحانه وتعالىٰ ثم عن العقلين الأول والثاني وبقية العقول المدبرة بعدهما نستخلص المعتقدات الآتية كما تنطق بها مصادرهم ومؤلفاتهم:

(١) أن الاسماعيلية - نظريًا - يؤمنون بالله مع حصرهم ذلك الإيمان في تسميته بالمبدع وقولهم بإبداعه للعقل الأول فقط وما سوىٰ ذلك من خلق الخلق وإيجاد الكائنات وتدبير الكون . . . إلخ فهو ينسب إلىٰ العقل الأول وخلاصة فكرهم واعتقادهم عن الله عز وجل أنه إله سلبي لا ينسب إليه شيء.

(٢) أن الكائنات والمخلوقات وجميع ما في الكون خالقها ومدبرها وموجدها هو ما أسموه بالعقلين الأول والثاني أو السابق والتالي.

(٣) سلب جميع الأسماء والصفات والألفاظ والعبارات عن الله عز وجل وتحريم إطلاق أي لفظ أو عبارة عليه بل ولا مجرد التوهم والتفكير.

(٤) نقل جميع ما ثبت لله عز وجل من الأسماء الحسني والصفات العليا إلىٰ ما أسموهما بالسابق والتالي حيث ينسب إليهما جميع ما نفوه عن الله عز وجل بحجة التنزيه؟

(٥) الإيمان بعقول عشرة لها من التدبير والتأثير والقوة ما ليس لغيرها وهي بحسب ما ينسب إليها تحل محل الرب الخالق القادر المعبود المألوه.

(٦) الإيمان بتعدد الآلهة المدبرين لهذا الكون وهذه نتيجة حتمية لتصويرهم الموجودات وما ينسب لها من أعمال مع سلبهم عن الله عز وجل أي عمل أو تأثير مباشر في الكون والمخلوقات ونسبة ذلك إلىٰ العقول المدبرة.

(٧) تحريف وتبديل المصطلحات الشرعية وذلك كالقلم واللوح والملائكة وإطلاقها علىٰ العقول العشرة.

(٨) وأخيراً وكما يستخلص الدكتور النشار فإن مذهب الاسماعيلية في الإلهيات

مزيج من المجوسية والثنوية والفلسفة اليونانية والعقائد اليهودية والنصرانية[١].

(هـ) تصوير علماء الفرق والمقالات معتقد الاسماعيلية في الإلهيات:

تقدمت نصوص الاسماعيلية الدالة على معتقدهم عن الله عز وجل وهي كافية في بيان خطورة معتقداتهم في هذا الأصل العظيم وناطقة بنفسها على غلو الاسماعيلية وانحرافهم عن المعتقد المستقيم وتأكيداً لهذه الحقيقة وبيان دور علماء الفرق والمقالات في كشف هذا المعتقد وأمانتهم في نقله نستعرض ما سطره أولئك العلماء الأفذاذ.

يقول العلامة ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر منهج السلف في الإيمان بالله وأسمائه وصفاته: وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب ومن دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والجهمية والقرامطة والباطنية ونحوهم فإنهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون إلا وجوداً مطلقًا لا حقيقة له عند التحصيل وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان. فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات فغلاتهم يسلبون عنه النقيضين فيقولون: لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين وهذا ممتنع في بداهة العقول وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب وما جاء به الرسول فوقعوا في شر مما فروا منه فإنهم شبهوه بالممتنعات إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من الممتنعات[٢].

وفي موضوع آخر يقول: وإنما ينكر أن تكون هذه الأسماء حقيقة النفاة من القرامطة الاسماعيلية الباطنية ونحوهم من المتفلسفة الذين ينفون عن الله الأسماء الحسنى ويقولون: ليس بحي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا موجود ولا معدوم فهؤلاء ومن ضاهاهم ينفون أن تكون له حقيقة ثم يقول بعضهم: إن

---

(١) انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار ٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١.

(٢) مجموع الفتاوى لابنتيمية ٣/ ٧ ـ ٨.

هذه الأسماء لبعض المخلوقات وأنها ليست له حقيقة ولا مجازًا. وهؤلاء الذين يسميهم المسلمون الملاحدة لأنهم ألحدوا في أسماء الله وآياته وكانوا عند المسلمين أكفر من اليهود والنصارى[1].

ويقول أيضًا: إن الاسماعيلية وضعوا لأنفسهم اصطلاحات روجوها على المسلمين ومقصودهم بها مقصود الفلاسفة الصابئون والمجوس الثنوية كقولهم السابق والتالي ويعنون به العقل والنفس ويقولون هو اللوح والقلم وأصل دينهم مأخوذ من دين المجوس والصابئين.

ويضيف ابن تيمية إلى أن هذه المعتقدات مما وجدها في كتبهم وذكرها أيضًا الكاشفون لأسرارهم والهاتكون لأستارهم كالقاضي أبي بكر بن الطيب والقاضي أبي يعلى[2].

ونقل الشهرستاني صورة شاملة لمعتقدهم في الإلهيات ومما قال عنهم أنهم قالوا في الباري عز وجل: إنا لا نقول عنه موجود ولا لا موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز. وكذلك في جميع الصفات فإن الإثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليها وذلك تشبيه فلم يكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق. بل هو إله المتقابلين وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين ونقلوا في هذا نصًا عن محمد الباقر أنه قال: (لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر فهو عالم قادر بمعنى أنه وهب العلم والقدرة لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة أو وصف بالعلم والقدرة).

فقيل فيهم أنهم نفاة الصفات حقيقة معطلة الذات عن جميع الصفات قالوا: وكذلك نقول في القدم. انه ليس بقديم ولا محدث بل القديم أمره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته.

أبدع بالأمر العقل الأول الذي هو تام بالفعل ثم بتوسطه أبدع النفس التالي الذي

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/ ١٩٧.

(٢) مخطوطة بغية المرتاد لابن تيمية ورقة ٦.

هو غير تام. ونسبة النفس إلى العقل أما نسبة النطفة إلى تمام الخلقة والبيض إلى الطير وأما نسبة الولد إلى الوالد والنتيجة إلى المنتج وأما نسبة الأنثى إلى الذكر والزوج إلى الزوج.

قالوا: ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة فحدثت الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس وحدث الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس أيضًا فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والإنسان واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان وكان نوع الإنسان متميزاً عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار وكان عالمه في مقابلة العالم كله. وفي العالم العلوي عقل ونفس كلي فوجب أن يكون في هذا العالم عقل مشخص هو كل وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق وهو النبي. ونفس مشخصة وهو كل أيضًا وحكمه حكم الطفل الناقص المتوجه إلى الكمال. أو حكم النطفة المتوجهة إلى التمام أو حكم الأنثى المزدوجة بالذكر ويسمونه الأساس وهو الوصي.

قالوا: وكما تحركت الأفلاك والبائع بتحريك النفس والعقل كذلك تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي في كل زمان دائراً على سبعة سبعة حتى ينتهي إلى الدور الأخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع. وإنما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس إلى حال كمالها، وكمالها بلوغها إلى درجة العقل واتحادها به ووصولها إلى مرتبته فعلاً وذلك هو القيامة الكبرى[1].

ويقارن البغدادي بين معتقد الاسماعيلية في الإلهيات ومعتقد المجوس الثنوية القائلين بالنور والظلمة وأنهما صانعان قديمان وهما الأصلان في تدبير العالم ويصل بعد ذلك إلى أن هذا المعتقد هو أساس دين الباطنية ومنه استمدوا معتقدهم في الله عز وجل ونقل بعد ذلك عن زعماء الباطنية هذه الخلاصة الموجزة عن معتقدهم في

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٣ ـ ١٩٤.

الإلهيات بقوله: وذكر زعماء الباطنية في كتبهم أن الإله خلق النفس فالإله هو الأول والنفس هو الثاني وهما مدبراً هذا العالم وسموهما الأول والثاني وربما سموهما العقل والنفس ثم قالوا إنهما يدبران هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأولى.

ثم يضيف البغدادي إلى إن قولهم أن الأول والثاني يدبران العالم هو بعينه قول المجوس بإضافة الحوادث لصانعين أحدهما قديم والآخر محدث إلا أن الباطنية عبرت عن الصانعين بالأول والثاني وعبر المجوس عنهما بيزدان واهرمن.

ويستدل أيضًا بأن هذا المعتقد هو بعينه معتقد المجوس أن داعيهم النسفي قال في كتابه المعروف بالمحصول: أن المبدع الأول أبدع النفس ثم أن الأول والثاني مدبرا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربع وهذا في التحقيق معنى قول المجوس أن اليزدان خلق اهرمن وانه مع اهرمن مدبران للعالم.

ويخلص البغدادي بعد ذلك إلى أن معتقد الاسماعيلية هذا نتيجته جحد الصانع والاعتقاد بقدم العالم وأنهم دهرية زنادقة ويستدل على ذلك بما قرأه واطلع عليه في كتابهم المترجم بالسياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأعظم وفيه قولهم ونحن مجمعون مع الفلاسفة على القول بقدم العالم لو ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبرا لا يعرفونه[1].

ويفصل الغزالي الحديث عن معتقد الاسماعيلية في الإلهيات ـ وكأني به وقد اطلع على جل كتبهم في هذا الباب ـ بصورة أكثر تفصيلاً وبصيغة الإجماع كذلك يقول عنهم: وقد اتفقت أقاويل نقلة المقالات من غير تردد أنهم قائلون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني واسم العلة السابق واسم المعلول التالي وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه وقد يسمي الأول عقلاً والثاني نفسًا ويزعمون أن الأول هو التام بالفعل والثاني بالإضافة إليه ناقص لأنه معلوله وربما لبسوا على العوام مستدلين بآيات من القرآن عليه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٦٩ ـ ٢٧٠، ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾[١]، ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا﴾[٢] وزعموا أن هذه إشارة إلىٰ جمع لا يصدر عن واحد ولذلك قال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ①﴾[٣]، إشارة إلىٰ السابق من الإلهين فإنه الأعلىٰ ولولا أن معه إلهًا آخر له العلو أيضًا لما انتظم إطلاق الأعلىٰ وربما قالوا: الشرع سماهما باسم القلم واللوح والأول هو القلم فإن القلم مفيد واللوح مستفيد متأثر والمفيد فوق المستفيد. وربما قالوا اسم التالي القدر في لسان الشرع وهو الذي خلق الله به العالم حيث قال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ㊾﴾[٤].

ثم قالوا: السابق لا يوصف بوجود ولا عدم فإن العدم نفي والوجود سببه فلا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول ولا هو موصوف ولا غير موصوف وزعموا أن جميع الأسامي منتفية عنه. وكأنهم يتطلعون في الجملة لنفي الصانع فإنه لو قالوا إنه معدوم لم يقبل منهم بل منعوا الناس من تسميته موجودًا وهو عين النفي مع تغيير العبارة لكنهم تحذقوا فسموا هذا النفي تنزيهًا وسموا مناقضة تشبيهًا حتىٰ تميل القلوب إلىٰ قبوله ثم قالوا: العالم قديم أي وجوده ليس مسبوقًا بعدم زماني بل حدث من السابق: التالي وهو أول مبدع[٥]. وحدث من المبدع الأول النفس الكلية الفاشية جزئياتها في هذه الأبدان المركبة وتولد من حركة النفس الحرارة ومن سكونها البرودة ثم تولد منهما الرطوبة واليبوسة ثم تولدت من هذه الكيفيات الاستقصات الأربع وهي النار والهواء والمال والأرض ثم إذا امتزجت علىٰ اعتدال ناقص حدثت منها المعادن. . . إلخ ثم قال: إن هذا ما حكىٰ من مذهبهم إلىٰ أمور أخرىٰ هي أفحش مما ذكرناه لم نر تسويد البياض بنقلها ولا تبيان وجه الرد عليها؛ لأنه هذيان ظاهر

---

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) سورة الزخرف: ٣٢.

(٣) سورة الأعلىٰ: ١.

(٤) سورة القمر: ٤٩.

(٥) التالي لا يعتبر أول مبدع بل يقال عنه أول منبعث ويسمىٰ المنبعث الأول وأول مبدع هو العقل ولعل الغزالي قصد أول مبدع بعد العقل الزول وذلك ما يدل عليه نص عباراته بعد هذه العبارة.

البطلان. ويخلص الغزالي بعد ذلك إلى أن معتقدهم هذا كفر مسترق من الثنوية والمجوس في القول بالإلهين مع تبديل عبارة (النور والظلمة) ب (السابق والتالي) إلى ضلال منتزع من كلام الفلاسفة في قولهم إن المبدأ الأول علة لوجود العقل على سبيل اللزوم عنه لا على سبيل القصد والاختيار وأنه حصل من ذاته بغير واسطة سواه نعم! يثبتون موجودات قديمة يلزم بعضها عن بعض ويسمونها عقولاً ويحيلون وجود كل فلك على عقل من تلك العقول في خبط لهم طويل[1].

ويقول الكوفي عنهم في معرض الرد عليهم: إن هؤلاء القوم ـ أي الاسماعيلية ـ زعموا أن التوحيد الذي دعوا إليه من أجابهم، وعظموه[2] عند أتباعهم، وافتخروا بمعرفته، وتشرفوا بإجابته ـ أن زعموا أن الإله عدهم اثنان والمعبود إلهان وأن هذين الإلهين خالقان وربان للأنام وزعموا أن أحدهما أكبر قدراً من الآخر وأحق بالتعظيم وأولى بجلالة المرتبة والتكبير[3].

ويقول الديلمي: إن مذهب الاسماعيلية الرديء قولهم بالهين هما السابق والتالي ويقولون: إنهما المراد بقوله الرحمن الرحيم والعلي العظيم والقلم واللوح، فالقلم السابق لأنه يفيد واللوح التالي لأنه يستفيد، بل قالوا بآلهة عدة وهي العقول العشرة وأن كل واحد منها يعلم ما كان وما سيكون وهذه صفة الإله. وكذلك فإن عندهم أن آدم عند وفاته ارتفع وبقي في رتبة العاشر وهو المبديء لعالم الكون والفساد وأن العاشر ارتفعت رتبته عن ذلك المقام الأول وأن الإمام الذي تلاه لما توفى ارتفع إلى رتبته العاشر التي نقل إليها آدم وارتفع آدم إلى رتبة أرفع من تلك الرتبة، وكلما مضت سبعة أئمة كان السابع منهم يرتفع إلى مقام العاشر ويرتفع العاشر إلى رتبة أرفع من تلك حتى تناهى الأمر إلى علي بن أبي طالب فارتفع فكان مقام العاشر وصار مدبر عالم

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص٣٨ ـ ٤٠.

(٢) مخطوطة الرد على الاسماعيلية والقرامطة ورقة ١٢٣.

(٣) الضمير هنا وفي الجملتين التاليتين عائد على التوحيد في الجملة السابقة وليس على اسم الموصول في قوله (من أجابهم).

الكون والفساد وكذلك إذا قلنا إن عليًا يحيي ويميت ويغني ويفقر كنا صادقين وأن بعد علي السابع اسماعيل بن جعفر وأنه ارتفع حتى صار العاشر يدبر عالم الكون والفساد وعلى هذا القياس يقولون في الأئمة[1].

وفي موضع آخر يتحدث الديلمي عن معتقد الاسماعيلية في الله عز وجل وعن صفاته وأسمائه ويبين من خلال ذلك عدة وجوه تدل على ضلالهم وكفرهم وهي:

الوجه الأول: أنهم ينفون الصانع في التحقيق لاعتقادهم في العالم أنه قديم وإذا كان قديمًا فلا صانع في الحقيقة وقد صرح بهذا المعنى مؤلف كتاب البلاغ في مواضع من كتابه، ومما قال بعد ذكره ضربًا من الحيل يستعملها دعاة الباطنية في دعوتهم قال: فإن ذلك مما يعينك على تسهيل التعطيل لله والقول بقدم العالم.

الوجه الثاني: قولهم في الله تعالى بأنه لايوصف بنفي ولا إثبات أي لا يقال أنه موجود ولا معدوم ولا قادر ولا غير قادر ولا عالم ولا غير عالم وكذلك في باقي الصفات ومقصودهم بهذا جحد الصانع وإنما تستروا بهذه العبارات عند العامة حتى لا يفهم مقصودهم فإنه لا نفي أبلغ من القول أنه ليس بشيء ولا موجود ولا معدوم.

الوجه الثالث: قولهم بالهين اثنين وهما السابق والتالي على غرار مذهب الثنوية ولذا فمن جملة وصاياهم قول الداعي فإن وقع إليك ثنوي فبخ بخ فقد ظفرت بمن يقل معك بعده والمدخل عليه بابطال التوحيد والقول بالسابق والتالي[2].

وينقل أحد الكتاب المعاصرين خلاصة لمعتقد الاسماعيلية عن الله عز وجل وأسمائه وصفاته فيقول:

إن الاسماعيلية جردوا الله تعالى من كل صفة ونفوا عنه جميع الأسماء بحجة التنزيه!! ومما قالوا تبريرًا لتعطيلهم أن نفي المعرفة هو حقيقة المعرفة وسلب الصفة هو نهاية الصفة فأسماء الله الحسنى التي نسبها الله تعالى لنفسه في القرآن الكريم لا تقال لله

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٣٤ ـ ٣٥.

(٢) المرجع السابق ص٧٢ ـ ٧٣.

تعالىٰ بل جعلوها للعقل الكلي الذي تحدث عنه الفلاسفة ووصفوا العقل الكلي بكل صفات الكمال علىٰ نحو ما ذكره الفلاسفة الأقدمون تمامًا وصبغوا هذه الآراء والأقاويل القديمة بالصبغة الإسلامية فنسبوا أسماء الله الحسنىٰ إلىٰ العقل الكلي وأطلقوا علىٰ هذا العقل اسم المبدع الأول وقالوا إنه هو الذي رمز الله إليه بقوله ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾[1] وعلىٰ هذا فالقلم أو المبدع الأول أو العقل الكلي هو الخالق المصور الواحد القهار الجبار العزيز المذل العلي القدير . . . إلخ الصفات. وأنه هو الذي أبدع النفس الكلية أو المبدع الثاني الذي رمز إليه في القرآن الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾[2] وجعلوا للنفس الكلية جميع الصفات التي للعقل الكلي إلا أن العقل الكلي كان أسبق في الوجود وإلىٰ توحيد الله وتنزيهه فبذلك كان العقل الكلي أسبق من النفس الكلية وأفضل فسمي بالسابق وسميت النفس الكلية بالتالي، وبواسطة العقل الكلي والنفس الكلية وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية بل كل ما نشاهده في هذه الدنيا من جماد ونبات وحيوان وإنسان وما في السموات من نجوم وكواكب فالخالق لها عند الاسماعيلية هو العقل الكلي والنفس الكلية، وبمعنىٰ آخر أن ما يقوله المسلمون عن الله سبحانه وتعالىٰ خلعه الاسماعيلية علىٰ العقل الكلي فهو الإله عند الاسماعيلية، وإذا ذكر الله عند الاسماعيلية فالمقصود هو العقل الكلي[3].

إن هذ النصوص المتعددة من علماء الفرق والمقالات ـ إلىٰ جانب ما نقلناه من نصوصهم وما ذكرناه عن معتقدهم في الله ـ تتفق جميعًا علىٰ أن مذهب الاسماعيلية ومعتقدهم في الله عز وجل قائم علىٰ عدة ضلالات بل كفريات وهي:

(١) الإشراك بالله عز وجل وأن لهذا الكون آلهة متعددة.

(٢) تعطيل الله عز وجل وذلك بنفي أسمائه وصفاته عنه جملة وتفصيلاً.

---

(١) سورة القلم: ١.

(٢) سورة البروج: الآية الأخيرة.

(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٥٧ ـ ١٥٨.

(٣) تأليه الكواكب والموجودات العلوية ونسبة جميع الأعمال الإلهية إليها وهذا واضح في معتقدهم وقولهم بالعقول العشرة المدبرة.

وبالتأمل في هذه الضلالات الثلاث نجد أنها أيضًا مما دلت عليه مصادرهم كما سبق وأن ذكرنا ذلك فتكون هذه مما أجمعت عليها المصادر سواء مصادر أهل السنة أو مصادر الشيعة الاسماعيلية وإن كانوا يزعون أنها من باب التوحيد والتنزيه!! والذي يهمنا في هذا المقام هو إقرارهم واعترافهم الصريح فيها مع صرف النظر عن هدفهم وقصدهم وذلك بتأويلها وقلبها في صورة الحق. ومن الجدير بالذكر أن جميع انحرافاتهم وضلالاتهم ـ على كثرتها في هذا الباب ـ تؤول إلى هذه الضلالات الثلاث ولذا سنقتصر في الرد والإبطال عليها.

(و) نقد وإبطال معتقد الاسماعيلية عن الله سبحانه وتعالى:

يزعم الاسماعيلية إيمانهم بالله عز وجل وإقرارهم بوجوده ولا يجدون غضاضة في رفع هذه الدعوى في وجوه خصومهم وربما استدل أحدهم أو ممن ينافح ويدافع عنهم من الجهلة أو ذوي الأهواء بأن كتبهم مبدوءة بالحمدلة أو البسملة كما أن لفظ الجلالة (الله) يتكرر كثيراً في كتبهم ومصادرهم. فهل ذلك دليل على اعتقادهم بالله وإثبات وجوده ووصفه بأنه موجود فضلاً عن الاعتقاد بأسمائه الحسنى وصفاته العليا؟

وللإجابة على هذا السؤال أقول: إن ما يوجد في كتبهم الفلسفية والباطنية من إطلاق لفظ على الله أو إقرار باسم من أسمائه وصفة من صفاته كل ذلك ليس على ظاهره لأنهم النفاة على الحقيقة معطلة الذات وما يرد ـ مخالفًا لهذه القاعدة ـ فهو مبني على الأصل الثاني من أصولهم[1]، فباطن هذه الكلمة (الله) أو الرحمن أو الرحيم لا يدل بالضرورة عندهم على الرب الخالق الرازق المعبود حيث إذا أطلق شيء من ذلك فالمراد منه ما اخترعوه وسموه بالعقل الأول وهذه نصوصهم على تلك الحقيقة. يقول فيلسوفهم الكرماني: أن اسم الإلهية لايقع إلا على المبدع (بفتح الدال) الأول وأن

(١) وهو التأويل الباطني حيث أن ما يرد عندهم مما يظهر منه الإثبات فله وباطن غير ما يظهر، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل عند الحديث عن الأصل الثاني، انظر القسم الثاني من الرسالة ص ـ

ذلك اشتق له من الوله الذي هو التحير في إدراك مبدعه، ومن الهانية التي هي الاشتياق إلى الإدراك. والعجز يمنعه عن ذلك لجلالة مبدعه تعالى أن يدرك[١].

وفي موضع آخر يقول عن العقل الأول: أنه الاسم الأعظم والمسمى الأعظم وأن لفظ (الله) من أعظم الأسماء التي تقع على المبدع الذي هو الموجود الأول فبذلك استحق إطلاق لفظ الله عليه[٢]!!!

ويقول داع باطني آخر عن العقل الأول: وترادفت عليه - أي على العقل الأول - الأسماء المذكورة في القرآن وهو أيضًا يستحق اسم الله وذلك لوله العقول فيه وولهه في مبدعه فبذلك قيل «شهد الله أنه لا إله إلا هو»[٣].

وهناك نصوص أخرى تدل على هذه الحقيقة المؤلمة والتي تصل إلى إنكار اسم الله وعدم إطلاقه عليه، وهذا مسلك باطني يصل إلى الإنكار أو يؤول إليه.

وبالمقابل نجد أنهم إذا أرادوا التعبير عن الذات الإلهية أطلقوا هذه العبارات عليه وهي قولهم (من لا تتجاسر نحوه الخواطر)[٤]؛ لأن الذات الإلهية - بزعمهم - لا تسم ولا تكنى فحروف المعجم غير قادرة على التعبير عنه وهي محدثة لا تقع إلا على محدث مثلها.

وإيغالاً في الإلحاد والتعطيل ومجاهرة بدرجة أكثر من الاسماعيلية القدامى نجد أن الاسماعيلية المتأخرين المستعلية وبالتحديد المكارمة يصرحون بأن لفظ الله يطلق على

---

(١) أربعة كتب اسماعيلية جمع شتروطمان ص٨٠.

(٢) انظر راحة العقل للكرماني ص١٩٥ - ١٩٦.

(٣) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدي ضمن منتخبات اسماعيلية جمع عادل العوا ص١٦٢.

(٤) انظر أربعة كتب اسماعيلية في مواضع متعددة من الكتاب الذي يشتمل على الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية كما زعموا. انظر الصفحات الآتية ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٧ وغيرها من الصفحات، ومما جاء في ص٤٧ قول الكرماني: ليس فوق العقل شيء البته غير من لا تجاسر نحوه الخواطر. وانظر كتاب كنز الولد للحامدي ص١ وكذلك رسالة المبدأ والمعاد لابن الوليد ص١٠١، وغيرها من مصادر الاسماعيلية.

علي بن أبي طالب وأبيه وهذه ألفاظهم :

يقول علي بن سليمان المكرمي في كتابه المخطوط (حياة الأحرار) إن قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾[١] يعني الإمام علي على ذكره السلام الذي ولهت فيه العقول وتبلبل في حقيقة أمره السائل والمسئول هو الرب الراب للدعوة العظيمة والمقامات الفخيمة وأن أبا طالب العظيم هو مربي محمد الكريم بل هو مقيم أمير المؤمنين فهو مقام العرش العظيم فهو رب العرش العظيم والنبأ العظيم[٢].

إن هذه النصوص الاسماعيلية ترد على زعمهم الإيمان بالله عز وجل وتؤكد بأنهم خلو من هذه العقيدة الضرورية لكل مسلم ومسلمة، وتظل القاعدة الأساسية لديهم في هذا الباب هي : السلب المحض لله عز وجل والنفي القاطع عن إطلاق أي لفظ أو عبارة على الباري عز وجل مستخدمين بديلاً لأسماء الله وصفاته وإطلاقها عليه مصطلحات وعبارات هائمة ابتدعوها وروجوها وهي عند التحقيق جوفاء لا تدل على شيء معين[٣].

وجميع ما ذكروه في هذا الباب حصيلته ونهايته كما قال ابن تيمية : لا يصلح لإفادة ظن ولا يقين وإنما هو كلام طويل بعبارات طويلة وتقسيمات متنوعة يهابه من لم يفهمه وعامة من وافق عليه تقليداً لمن قاله قبله لا عن تحقيق عقلي قام في نفسه[٤].

والآن وبعد دحض هذه الدعوى وردها ننتقل إلى ضلالة الاسماعيلية الأولى وبيان كفرهم الصريح من خلالها .

الضلالة الأولى: إشراكهم بالله عز وجل الشرك الأكبر وذلك باعتقادهم آلهة متعددة لها من التأثير والتدبير في الكون ما ثبت لله وحده وهم وإن لم ينطقوا بذلك

---

(١) سورة النمل : ٢٦.

(٢) مخطوطة حياة الأحرار لعلي المكرمي ورقة ١٣.

(٣) ومن ذلك وعلى سبيل المثال الهوية المحضة عند السجستاني أو الإيس والليس عند الكرماني أو من لا تتجاسر نحوه الخواطر عند الحامدي وابن الوليد.

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٤٥٤.

صراحًا ويظهروا به أمام الخلق إلا أن فلسفتهم وفكرهم يؤول إلىٰ هذا الاعتقاد المخرج من الملة الإسلامية بل من الملل السماوية كلها. ولذا اتفق نقلة المقالات ـ كما قال العلوي ـ عنهم من غير تردد علىٰ أنهم يعتقدون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني واسم العلة السابق واسم المعلول التالي وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي[1].

إن هذا المعتقد لدىٰ الاسماعيلية لم يكن جديداً أو مبتكراً من عندهم بل هو من الركام المتناثر الذي كان منتشراً قبل الإسلام لدىٰ الأم المختلفة ما بين فلسفات اليونان ومعتقدات المجوس وتحريفات اليهود والنصارىٰ، حيث لفق الاسماعيلية من هؤلاء وأولئك تصوراتهم المنحرفة المحرفة وسرقوا هذه التصورات والأفكار وأضافوا إليها ما هو أشد كفراً وإلحاداً واعتبروها ـ مع ذلك ـ عقيدة ومنطلقًا لهم ولذا يقارن أحد المؤلفين الذين ردوا عليهم وكشفوا باطنهم يقارن بينهم وبين مذهب المجوس ويقول إنه ـ أي مذهب الاسماعيلية ـ يضاهي مذهب المجوس من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن الباطنية قالوا بالاثنينية كما قالت المجوس وعبروا عنها بالسابق والتالي كما عبر المجوس عن الاثنين بيزدان، واهرمن.

الوجه الثاني: أن الباطنية قالوا بقدم السابق وحدوث التالي كما قال المجوس بقدم يزدان وحدوث اهرمن.

الوجه الثالث: إن الباطنية أضافوا النقص إلىٰ التالي كالمجوس أضافوا النقائص كلها إلىٰ اهرمن.

الوجه الرابع: أن من مقولات الباطنية الاعتقاد بأن التالي معلول عن السابق ومتولد عنه كالمجوس فإنهم قالوا إن اهرمن حصل عن يزدان وتولد من فكرته.

الوجه الخامس: أن المجوس قالوا إن حدوث هذه التراكيب عن يزدان والباطنية قالوا إن حصولها عن السابق بوسائط ومن هنا يعلم مشابهة معتقد الاسماعيلية لمذهب المجوس بل يقول المؤلف: إن الباطنية أسوأ حالاً منهم لأمرين:

---

(١) الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ص٣٨.

الأمر الأول: أن المجوس لما أثبتوا يزدان إلهاً واعتقدوا إلهيته وصفوه بصفات الكمال من القدرة والعلم والحياة، بينما الباطنية الاسماعيلية سلبوا عن إلههم جميع صفات الكمال.

الأمر الثاني: إن الباطنية لم يقنعوا بسلب الصفات الإلهية عنه بل ضموا إليه جهالة أخرىٰ فقالوا عنه: أنه قادر ولا قادر وعالم ولا عالم وموجود ولا موجود فخرجوا به عن جميع القضايا العقلية كما اعتقدوا خروجه عن حكم السلب والإيجاب معاً وهذا فيه من فحش المقال والجهالة ما غطىٰ علىٰ معتقد المجوس(١).

والاعتقاد بتعدد الآلهة فضلاً عن كونه اعتقاداً باطلاً في ذاته فإنه يعتبر أمراً خطيراً له أثر كبير في الضمير البشري وفي الحياة الإنسانية كلها ولذا عني الإسلام عناية كبرىٰ بتحرير أمر العقيدة الصحيحة خالية من جميع الشوائب والمؤثرات. وحدد الصورة الصحيحة التي لابد أن يستقر عليها الضمير البشري في حقيقة الألوهية وعلاقتها بالخلق وعلاقة الخلق بها فتستقر عليها نظمهم وأوضاعهم وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وآدابهم وأخلاقهم كذلك، مما يمكن أن تستقر هذه الأمور كلها إلا أن تستقر حقيقة الألوهية. وإلىٰ جانب تحديد الصورة الصحيحة لعقيدة الألوهية لم يغفل الإسلام الرد علىٰ جميع الانحرافات والأخطاء التي وقعت فيها الديانات المحرفة والفلسفات الخابطة في الظلام ـ سواء ما كان منها قبل الإسلام وما جود بعده كذلك ـ حول عقيدة الألوهية(٢).

وبعد هذا العرض نصل إلىٰ أن النصوص الشرعية بأجمعها بينت ضلال من يعتقد بتعدد الآلهة وسلكت في ذلك مسلكين:

الأول: عرض الصورة الصحيحة لعقيدة الألوهية وهذا كثيراً ما ورد في الآيات القرآنية علىٰ ألسنة الرسل وذلك بالدعوة إلىٰ التوحيد وإفراد الله عز وجل بالعبادة، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

---

(١) المرجع السابق ص٤٤ ـ ٤٥.

(٢) انظر خصائص التصور الإسلامي لسيد قطب ص٤٤.

عذاب يوم عظيم ﴿٥٩﴾﴾[1].

وكذلك يتكرر الأمر بتوحيد الله في قصة كل رسول ومن الآيات الصريحة في هذا الباب قول الله عز وجل مخاطبًا نبيه عيسىٰ عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[2].

وكذلك قول الله عز وجل مخاطبًا الرسول ﷺ بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[3].

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[4]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾﴾[5].

المسلك الثاني: الرد علىٰ جميع الانحرافات والتصورات الضالة في حقيقة الألوهية وهذا النوع كثير في القرآن، وما ذاك إلا لأن هذه التصورات منطلق للكفر والضلال، قال تعالىٰ في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾.

ومن أبلغ الأدلة في الرد علىٰ معتقد الاسماعيلية القائلين بإلهين اثنين قول الله عز وجل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[6]. وقول الله عز وجل ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ

---

(١) سورة الأعراف: ٥٩.

(٢) سورة المائدة: ١١٦ ـ ١١٧.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٤) سورة البقرة: ١٦٣.

(٥) سورة الصافات: ٤ ـ ٥.

(٦) سورة المؤمنون: ٩١.

إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾[1]. وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿ ... وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾[3]. وقال تعالىٰ: ﴿ ... أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[4].

والآيات تدل علىٰ بطلان هذا المعتقد كثيرة جداً ومع ذلك ذكر بعض أهل السنة أدلة عقلية تناقش هذا الانحراف وأمثاله وتبين أن هذا الزعم ساقط من تلقاء نفسه كما تبين بوضوح استحالة وجود إلهين اثنين تصوراً وواقعاً، ومن هذه الأدلة ما ذكره شارح الطحاوية وسماه دليل التمانع يقول فيه أن الإله الحق لابد أن يكون خالقًا فاعلاً يوصل إلىٰ عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشاركه في ملكه لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضىٰ تلك الشركة بل إن قدر علىٰ قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلهية دونه فعل وإن لم يقدر علىٰ ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المتفرد منهم علىٰ قهر الآخر والعلو عليه، فلابد من أحد ثلاثة أمور: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه. وإما أن يعلو بعضهم علىٰ بعض. وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره كله من أدل دليل علىٰ أن مدبره إله واحد

---

(١) سورة النحل: ٥١.

(٢) سورة الفرقان: ٢ ـ ٣.

(٣) سورة الإسراء: ٣٩ ـ ٤٣.

(٤) سورة الأنعام: ١٩.

وملك واحد ورب واحد لا إله للخلق غيره ولا رب لهم سواه كما قد دل دليل التمانع على أن خالق العالم واحد[1]، لا رب غيره ولا إله سواه فذلك تمانع في الفعل والإيجاد وهذا تمانع في العبادة والإلهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان كذلك يستحيل أن يكون له إلهان معبودان، فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته مستقر في الفطرة معلوم بصريح العقل بطلانه فكذا تبطل إلهية اثنين، فالآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذا لذهب كل إله بم خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ موافقة لما ثبت واستقر في الفطر من توحيد الربوبية دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الألوهية[2].

ويتعجب ابن حزم كثيراً ممن يعتقد بإلهين أو أكثر ويقول ولولا أن الله تعالى وصف قولهم في كتابه ـ إذ يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ وإذا يقول تعالى حاكيًا عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ وإذا يقول تعالى: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[3] ـ لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلاً يسع هذا الجنون ونعوذ بالله من الخذلان[4].

---

(١) هناك أيضًا ما يسمى عند أهل النظر بدليل التمانع وذلك لإثبات ربوبية الله وهو: أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته فأما أن يحصل مرادهما أو مراد أحدهما أو لا يحصل مراد أحدهما. والأول ممتنع لأنه يستلزم الجمع بين الضدين والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع ويستلزم أيضًا عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلهًا وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر والآخر عاجز لا يصلح للإلهية. شرح الطحاوية لأبي العز الحنفي ص٢١، ٢٢.

(٢) شرح الطحاوية لأبي العز الحنفي ص٢٦، ٢٧.

(٣) الآيات الثلاث من سورة المائدة: ١٧، ٧٣، ١١٦.

(٤) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١/ ٤٩.

ويناقش ابن تيمية هذا المبدأ نقاشًا عقليًا بقوله: إن صدور العالم عن فاعلين ممتنع سواء كانا مشتركين في جميعه أو كان هذا فاعلاً لبعضه وهذا فاعلاً لبعضه. فإنه لم يثبت أحد من العقلاء أن العالم صدر عن اثنين متكافئين في الصفات والأفعال. ولا قال أحد من العقلاء: أن أصول العالم القديمة صدرت عن واحد وحوادث صدرت عن آخر. فإن العالم لايخلو من الحوادث وفعل الملزوم بدون لازمه ممتنع ولو كان الفاعل للوازمه غيره لزم أن لا يتم فعل واحد منهما إلا بالآخر ولا يعتبر قادراً إلا بالآخر ولا يصير فاعلاً إلا بالآخر فلا يصير هذا قادراً حتى يجعله الآخر قادراً فيمتنع والحال هذه أن يصير واحد منهما قادراً[1].

ويقول أحد الكتاب معلقًا على هذا الرد من ابن تيمية: أنه ليس هناك أبدع من هذا الرد على تعدد الفاعل عند المشائين وإلزامهم بالتناقض في هذا حيث يلزم منه حدوث العالم كله بلا سبب حادث[2].

ومن الجدير بالذكر أن الاسماعيلية بفلسفتهم عن الله عز وجل لا سند لهم فيها من دين أو عقل ولا يملكون أدنى حجة فضلاً عن دليل يعتد به وغاية ما يستندون إليه ويتعلقون به كبديل للأدلة الشرعية الصحيحة الصافية غثاء الفلاسفة وسفسطاتهم. والفلاسفة ـ كما يقول ابن تيمية عنهم ـ ليس لهم مذهب معين ينصرونه ولا قول يتفقون عليه في الإلهيات والمعاد والنبوات والشرائع وإنما عامة علمهم في الطبيعيات فهناك يسرحون ويتبجحون وبه عظم من عظم أرسطو واتبعوه كثرة كلامه في الطبيعيات وصوابه في أكثر من ذلك. فأما الإلهيات فهو وأتباعه من أبعد الناس عن معرفتها، بل إن اليهود والنصارى خير منه في الإلهيات والنبوات والمعاد[3].

إذاً فتعدد الآلهة ـ كما يقول الغزالي ـ خرافة نبذها الإسلام بقوة، وحمل عليها

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ١/ ٢٣٤.

(٢) كتاب الله والعالم والإنسان لمحمد جلال ص١٢٨.

(٣) منهاج السنة لابن تيمية ١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤، ٢٥٧.

بإلحاح وتتبع أوهام الناس فيا وهما وهمًا ليكشف ظلمته ويدحض شبهته[١].

ويحسن والحالة هذه أن أضيف ـ كرد من جانب آخر ـ إلى ما سبق بعض الآثار المترتبة على التصور الإسلامي الصحيح لعقيدة الألوهية بعيداً عن الانحرافات والأساطير سواء كانت إغريقية أو باطنية، وعن ذلك يقول سيد قطب رحمه الله: إن هذا التصور ينشأ في العقل والقلب آثاراً متفردة لا ينشأها تصور آخر، كما أنه ينشأ في الحياة الإنسانية مثل هذه الآثار كذلك.

إنه ينشأ في القلب والعقل حالة من الانضباط لا تتأرجح معها الصور ولا تهتز معها القيم ولا يتميع فيها التصور والسلوك فالذي يتصور الألوهية على هذا النحو ويدرك حدود العبودية كذلك يتحدد اتجاهه كما يتحدد سلوكه ويعرف على وجه الضبط والدقة من هو؟ وما غاية وجوده؟ وما حدود سلطانه؟ كما يدرك حقيقة كل شيء في هذا الكون وحقيقة القوة الفاعلة فيه ومن ثم يتصور الأشياء ويتعامل معها في حدود مضبوطة لا تميع فيها ولا تأرجح وانضباط التصور ينشأ انضباطًا في طبيعة العقل وموازينه وانضباطًا في طبيعة القلب وقيمه والتعامل مع سنن الله بعد ذلك والتلقي عنها يزيد هذا الانضباط ويحكمه ويقويه.

ندرك هذا حين نوازن بين المسلم الذي يتعامل مع ربه الواحد الخالق الرازق القادر القاهر المدبر المتصرف، وبين غيره من أصحاب التصورات التي أشرنا إليها سواء من يتعامل مع إلهين متضادين إله للخير وإله للشر ومن يتعامل مع إله موجود ولكنه حال في العالم ومن يتعامل مع إله لا يعنيه من أمر الكون شيء ومن يتعالم مع إله المادة الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يثبت على حال إلى آخر الركان الذي لا يستقر العقل أو القلب منه على قرار[٢].

الضلالة الثانية: اعتقاد الاسماعيلية بالسلب المحض لله عز وجل ومنهجهم في ذلك نفي الأسماء والصفات عن الله عز وجل جملة وتفصيلاً وتصوير الله عز وجل بصورة

---

(١) كتاب هذا ديننا لمحمد الغزالي ص١٣.

(٢) خصائص التصور الإسلامي لسيد قطب ص٢٢٨، ٢٢٩.

خيالية لا حقيقة لها ولا وجود ويصبح الإله عندهم إلهًا سلبيًا لا يمكن وصفه بشيء حتى لفظ الوجود وذلك الموقف من الاسماعيلية شبيه بموقف جان اسكوت اريجين (المتوفى حوالي سنة ٨٧٧م) حيث أثبت لاهوتًا سلبيًا ومن المسائل التي ذكرها عن لاهوته السلبي قوله: هل يمكن وصف الله بالوجود؟ وأجاب أننا لا نستطيع أن نقول عن الله أنه موجود وإنما يمكن أن نقول أنه فوق الوجود[1].

وأصل هذا الاعتقاد عند الاسماعيلية وسائر فرق النفاه للأسماء والصفات ـ كما يقول ابن تيمية ـ مأخوذ من المشركين والصابئين من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلاً وهؤلاء أعداء ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهم يعبدون الكواكب[2].

وقل رد هذه الضلالة عند الاسماعيليين وبيان ما تحمله من تصورات خاطئة قبل ذلك لابد من بيان المنهج السليم التلقي أسماء الله وصفاته والاعتقاد بها عند أهل السنة والجماعة فهم يتلقون هذه المعتقدات من منابعها ومصادرها الأصلية (الكتاب والسنة) مع البعد عن كل ما يتعارض معهما سواء كان فلسفة أو ذوقًا أواجتهاداً عقليًا وعن ذلك كله يقول سيد قطب رحمه الله: والتصور الإسلامي الصحيح لا يلتمس عند ابن سينا أو ابن رشد أو الفارابي وأمثالهم ممن يطلق عليهم وصف (فلاسفة الإسلام) ففلسفة هؤلاء إنما هي ظلال للفلسفة الإغريقية غريبة في روحها عن روح الإسلام وللإسلام تصوره الأصيل الكامل يلتمس في أصوله الصحيحة. القرآن والحديث وفي سيرة الرسول ﷺ وسننه العملية وهذه الأصول هي حسب أي باحث متعمق ليدرك التصور الإسلامي الكلي الذي يصدر عنه في كل تعاليمه وتشريعاته ومعاملاته[3].

أما الفرق الباطنية بما فيها فرقة الاسماعيلية فأصولهم ـ التي يستقون منها أمثال هذه المعتقدات ـ لا تخرج عن غثاء الفلاسفة وأساطير اليونان، وعن ذلك يقول أحد

---

(١) انظر مذاهب الإسلاميين للدكتور عبدالرحمن بدوي ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/ ٩.

(٣) العدالة الاجتماعية في الإسلام ص٢٠، ٢١.

كتابهم المعاصرين متبجحًا بهذه المصادر وأنها عمدتهم يقول: إن الفلسفة هي الوسيلة لتقييم العقيدة في نظر الاسماعيليين وهي الطريق إلىٰ تكشف جوهر الخالق والدين[١].

وما دام أن مصادرهم التي يبنون عليها معتقداتهم غريبة بعيدة عن مصادر المسلمين بل مخالفة لها ومناقضة لما ثبت فيها من أدلة فإن نسبتهم ـ والحالة هذه إلىٰ الإسلام لا تعدو كونهم وجدوا في بيئة إسلامية ويحملون أسماء إسلامية مع ما يضاف إلىٰ ذلك من أنهم ـ تمويهًا ـ استعملوا بعض الألفاظ القرآنية والأحاديث النبوية صحيحة كانت أو مكذوبة للوصول إلىٰ غاياتهم وتأويلاتهم الباطنية التي لا حدود لها ولا قيود.

والواقع أن منهج الاسماعيلية في التلقي ومصادرهم التي بنوا عليها معتقداتهم ـ الواقع أن ذلك كاف في بطلان جميع أصولهم ومعتقداتهم وضلالاتهم فهم أخذوا العلوم الشرعية ـ إن جاز إطلاق ذلك ـ علىٰ غير وجهها وتلقوها من غير أهلها مع ما عندهم من الجهل وقصور الفهم. يقول ابن تيمية عن هؤلاء وأمثالهم: اعلم أن الضلال والتهول إنما استولىٰ علىٰ كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وإعراضهم عما بعث الله به محمد ﷺ من البينات والهدىٰ وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره وبشهادة الأمة علىٰ ذلك[٢].

ومن الملاحظ أن نفاة الصفات عن الله عز وجل ترجع أصولهم إلىٰ ديانات متعددة ومباديء غريبة علىٰ أفكار المسلمين، فالجهمية التي تعتبر أصلاً لنفاة الصفات أو مؤولوها إنما ترجع أصولها إلىٰ زعيمها ومؤسس بدعتها جهم بن صفوان الذي أجمعت أصناف الأمة علىٰ تكفيره[٣].

وكانت كل آرائه الغريبة عن الحس الإسلامي إنما وفدت إليه من عناصر فلسفية

---

(١) مقدمة كتاب الينابيع لمصطفىٰ غالب ص١٢، وسبق أن بينا هذه المسألة بالتفصيل في القسم الثاني من البحث ص٥٠٢ فما بعد.

(٢) الفتوىٰ الحموية لابن تيمية ص٩٢.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٠٠.

إغريقية وبوذية في مدن كانت هذه الآراء والديانات منتشرة فيها وذلك كالكوفة وترمذ وحران ومما يؤكد ذلك ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل عن تاريخ الجهم بن صفوان وبدايته بقوله: فكان مما بلغنا من أمر الجهم - عدو الله - أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ وكان صاحب خصومات وكلام وكان أكثر كلامه في الله تعالى فلقي أناسًا من المشركين يقال لهم السمنية [1]، فعرفوا الجهم وأخذوا يناظرونه حتى شككوه في الله عز وجل ودخل الشك والحيرة في قلبه وبقي متحيراً لايدري من يعبد أربعين يومًا حتى خرج ببدعته وتؤول القرآن على غير تؤويله وكذب بأحاديث الرسول ﷺ وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافراً [2].

وإلى جانب ذلك تذكر المصادر أن شيخ الجهم وأستاذه - الجعد بن درهم - أخذ آراءه وبدعه كالقول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته أخذ ذلك عن أبان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ مع ما يضاف إلى أن الجعد عاش في وسط الصابئة والفلاسفة من أهل حران [3].

فالاعتقاد بنفي الأسماء والصفات عن الله عز وجل - في منبعه وأصوله - سواء كان أصحابه الاسماعيلية أو الجهمية أو وسائر النفاة يعتبر اعتقاد وافد وغريب عن المنهج والمجتمع الإسلامي، وهو بالطبع يتعارض مع الإسلام ويصطدم بنصوصه ومع ذلك لابد أولاً - وكما أشرنا سابقًا - من بيان الحق في هذه المسألة.

وثانيًا رد ونقد ضلال الاسماعيلية والحادهم في أسماء الله عز وجل وصفاته فأما الأول فالأصل في هذا الباب: أن يوصفه الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفيًا وإثباتًا فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم أن طريقة سلف

---

(١) سموا بهذا الاسم نسبة إلى بلدة بالهند يسكنون فيها وتسمى «سمنات» وديانتهم البوذية ومن أظهر آرائهم القول بالتناسخ وجحد العلوم كلها سوى الأمور المحسوسة ومن أصولهم عدم الإيمان بالغيبيات والأمور التي لا يقع عليها الحس.

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل ص٦٥، ٦٦، كتاب عقائد السلف جمع الدكتور علي سامي النشار.

(٣) الفتوى الحموية لابن تيمية ص٩٨.

الأئمة وأئمتها: إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ...﴾[٢].

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتًا بلا تشبيه وتنزيهًا بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾[٣]، ففي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد للتشبيه والتمثيل وفي قوله وهو السميع البصير رد للإلحاد والتعطيل[٤].

ومن ميزات مذهب السلف في أسماء الله وصفاته أنهم وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل. فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسماءه الحسنىٰ وصفاته العليا ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء الله وآياته[٥].

ويقول ابن تيمية أيضًا: أن سبيل المؤمنين في الاعتقاد الإيمان بصفات الله تعالىٰ وأسمائه التي وصف بها نفسه وسمىٰ بها نفسه في كتابه وتنزيله أو علىٰ لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ولا تأويل بما يخالف ظاهرها ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين بل تمر كما جاءت ويرد علمها إلىٰ قائلها ومعناها إلىٰ المتكلم بها ويروىٰ عن الشافعي: آمنت بما جاء عن الله

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٢) سورة فصلت: ٤٠.

(٣) سورة الشورىٰ: ١١.

(٤) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص٦.

(٥) الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ ص١٠٢.

وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ[١].

كما يقول ابن القيم رحمه الله: إن الله هدىٰ سلف الأمة للسبيل السوي والطريقة المثلىٰ فأثبتوا حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنها مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهبًا بين مذهبين وهدىٰ بين ضلالتين يثبتون له الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا بحقائقها ولا يكيفون شيئًا منها، فإن الله تعالىٰ أثبتها لنفسه وإن كان لا سبيل لنا إلىٰ معرفة كنهها وكيفيتها فإن الله تعالىٰ لم يكلف عباده فوق طاقتهم وهذه أرواحهم التي هي أدنىٰ إليهم من كل دان قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها وقد أخبرنا سبحانه عن تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته عقولهم ولم يعرفوا كنهه وهكذا الأسماء والصفات لم يمنعهم انتفاء نظيرها ومثالها من فهم حقائقها ومعانيها بل قام بقلوبهم معرفة حقائقها وانتفاء التمثيل والتشبيه عنها.[٢]

وبمقابل هذا المنهج الأصيل الجامع بين العقل والنقل يعرض لنا ابن تيمية منهجًا مستوردًا متناقضًا وهو منهج النفاة، يقول عنه وعن أصحابه: وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب ومن دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والجهمية والقرامطة الباطنية ونحوهم فإنهم علىٰ ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية علىٰ وجه التفصيل ولا يثبتون إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة لها عند التحصيل وإنما يرجع إلىٰ وجود في الأذهان يمنع تحققه في الأعيان، فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات[٣].

وفساد معتقد الاسماعيلية في أسماء الله وصفاته وتناقضهم معلوم بصحيح المنقول وصريح المعقول ويتضح ذلك من خلال الأمور الآتية:

(١) الفتاوىٰ لابن تيمية ٤/ ٢.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ١/ ٨٣ ـ ٨٤.

(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص٩.

الأمر الأول: أنهم قدموا دعاوىٰ مجردة من الأدلة وإذا استدلوا فإما بأدلة مكذوبة موضوعة ولا سيما الأحاديث أو مؤولة تأويلاً باطنيًا يخرجها عن المدلول الصريح لألفاظها، وبجانب ذلك تطاولوا بعقولهم الصغيرة المحدودة في بحوث لا قبل للعقل بها ولا طاقة له عليها وعن ذلك يقول الغزالي: إن العقل قد يملك البحث في كومة تراب أو قطعة سحاب ولكن أنىٰ للمرء بحث روحه التي بين جنبيه. فإن كان عن ذلك عاجزًا فهو عن البحث في الذات العظمىٰ أعجز.

ويقول أيضًا: إن العقل النظيف منته حتمًا إلىٰ أن الله حق وأنه متصف بكل كمال ومستحق لكل خضوع لكن الحديث عن الله وصفاته مرجعه إلىٰ الله وحده. ومعنىٰ هذا في جلاء أن نشاط التفكير الإنساني فيما وراء المادة باطل وكذلك نشاطه في اختراع مراسم وصور لطاعة الله عز وجل وحري بالعقل أن ينشط حيث امتداد سعيه منتج وأن يقنع بعد بتلقي ما تولت السماء تعليمه[1].

الأمر الثاني: أن الاسماعيلية وسائر الفرق الباطنية جحدوا ما ورد في القرآن والسنة من ذكر صفات الله وأسمائه الحسنىٰ وعلوه علىٰ خلقه واستوائه علىٰ عرشه وتكلم الله وتكليمه للرسل وإثبات الوجه واليدين والسمع والبصر والحياة والمحبة والغضب والرضا... إلخ الأسماء والصفات الثابتة لله عز وجل عن طريق الكتاب والسنة ولو ذهبنا نستعرض الآيات والأحاديث الواردة الدالة علىٰ إثبات أسماء الله وصفاته التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله لطال بنا الحديث وحسبنا أن نذكر بعضًا من ذلك:

قال تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾[2].

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة للشيخ محمد الغزالي ص١٢١ ـ ١٢٥ ولفظ السماء تعبير مجازي والأولىٰ أن يعبر بلفظ الجلالة فيقول (ما تولىٰ الله تعليمه).

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾. وقال سبحانه: ﴿... وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ۝٥٤﴾[1]، وقال: ﴿... وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾[2]، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾[3]، وقال: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾[4]، وقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾[5]. وقال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٢٨﴾[6]، وقال تعالى: ﴿... رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝٨﴾[7]، وقال تعالى: ﴿... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾[8]. وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤﴾[9] ... إلى أمثال هذه الآيات الدالة والمثبتة لأسماء الله عز وجل وصفاته.

أما الأحاديث فمنها على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ ما أخرج البخاري في صحيحه

---

(١) سورة الروم: ٥٤.

(٢) سورة الشورى: ١١.

(٣) سورة الفاتحة: ١، ٢.

(٤) سورة البروج: ١٤ ـ ١٦.

(٥) سورة الحديد: ٣ ـ ٤.

(٦) سورة محمد: ٢٨.

(٧) سورة البينة: الآية الأخيرة.

(٨) سورة النساء: ١٦٤.

(٩) سورة الحشر: ٢٣ ـ ٢٤.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: لما خلق الله الخلق كتب في كتابه ـ وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش ـ إن رحمتي تغلب غضبي.

وما رواه أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العليم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم.

وما رواه البخاري أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل أن الله قد أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء أن الله قد أحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض.**

وما رواه البخاري أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجب له، من يسألني فأعطه، من يستغفرني فأغفر له[1].

والأحاديث الدالة على ثبوت أسماء الله وصفاته كثيرة جدًا، وحسبنا ما ذكرناه.

ومن هذه الأدلة يتبين لنا بيقين إلحاد وضلال الاسماعيلية وسائر فرق النفاة الجاحدين والمعطلين لما دلت عليه هذه الآيات والأحاديث وأمثالها في هذا الباب فهم كما قال ابن القيم رحمه الله: إنهم استراحوا من كلفة النصوص وخلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم[2].

الأمر الثالث: أن جميع ما تفوه به الاسماعيلية في أسماء الله عز وجل وصفاته معلوم فساده وتناقضه بالضرورة العقلية حيث أنهم جمعوا بين النقائض التي لا يمكن تحققها حتى ولو في الذهن فضلاً عن إمكان وقوعها في الأعيان فهم يقولون عن الله عز وجل لا موجود ولا معدون ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل. وهذا الغثاء ممتنع

---

(١) هذه الأحاديث جميعها صحيحة ثابتة رواها البخاري في صحيحه. انظر فتح الباري ١٣/ ٣٨٤، ٤٠٥، ٤٦١، ٤٦٤.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ١/ ١٦٢.

في بداهة العقول لامتناع أن يكون الشيء موجوداً معدومًا أو لا موجود ولا معدوم، حيث يلزم من رفع أحدهما ثبوت الآخر[1]. ويقول ابن تيمية: إن هؤلاء الغلاة فروا بزعمهم من تشبيه الله عز وجل بالمخلوقات فوقعوا فيما هو أشد وهو تشبيه الله عز وجل بالمعدومات والممتنعات وذلك أقبح من التشبيه بالموجودات، هذا من وجه.

ومن وجه آخر أن ما لا يقبل الاتصاف بالحياة والموت والعمى والبصر ونحو ذلك من المتقابلات أنقص مما يقبل ذلك، فالأعمى الذي يقبل الاتصاف بالبصر أكمل من الجماد الذي لا يقبل واحداً منهما.

ومن وجه ثالث أن ما لا يقبل الوجود والعدم أعظم امتناعًا من القابل لهما بل ومن اجتماعهما ونفيهما جميعًا فما نفي عنه قبول الوجود والعدم كان أعظم امتناعًا مما نفي عنه الوجود والعدم. وإذا كان هذا ممتنعًا في طرائح العقول كان هذا أعظم امتناعًا حين يؤول الأمر إلى جعل الوجود والواجب الذي لا يقبل العدم هو أعظم الممتنعات، وهذا غاية التناقض والفساد[2].

وفي موضع آخر يقول ابن تيمية في الرد على المتفلسفة والباطنية: أنكم نفيتم أسماء الله عز وجل فراراً من التشبيه فإن اقتصرتم على نفي الإثبات شبهتموه بالمعدوم وأن نفيتم الإثبات والنفي جميعًا فقلتم: ليس بموجود ولا معدوم شبهتموه بالممتنع فأنتم فررتم من تشبيهه بالحي الكامل فشبهتموه بالحي الناقص ثم شبهتموه بالمعدوم ثم شبهتموه بالممتنع فكنتم شراً من المستجير من الرمضاء بالنار[3].

وملخص الرد في هذا الوجه: أن وجود شيء في الخارج لا يكون له صفات ولا قدر يتميز به شيء عن شيء يعتبر من أعظم المستحيلات التي لا يمكن تصورها فضلاً عن وقوعها.

---

(١) من معتقدهم هذا اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما وهو باطل فلابد من ارتفاع أحدهما إذا ثبت الاخر وبالعكس.

(٢) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص١٨.

(٣) كتاب الصفدية لابن تيمية ١/ ٩٦.

الأمر الرابع: عند التأمل في جميع كتب الاسماعيلية الفلسفية نجد أنهم يطلقون الأسماء والصبغات ويكررونها عشرات المرات، فالسجستاني أو الكرماني مثلاً نجد أنهما ـ وكما سبق بيان ذلك[1] ـ يستميتان في عدم إطلاق لفظ أو عبادة على الله عز وجل حتى لفظ الوجود مع ذلك وكما لا يخفى على مطلع على كتبهم نجد تناقضهما مع قاعدتهم في السلب المحض وعدم قدرتهما على تطبيق هذه القاعدة حيث يطلقون على الله عز وجل بعض الألفاظ والعبارات التي تصفه وتطلق عليه أسماء حسنى. فالكرماني عند نفيه لإطلاق لفظ الوجود على الله عز وجل ذكر لفظ (الله) عشر مرات وصفه (المتعالي) كررها ستة عشر مرة ولا سيما في مشرعه الثاني، وكذلك (العلي) و (العظيم) و (الرب) و (الوهاب) و (الباري) و (الحق) و (البصير)[2] بل إن كل مشرع من مشارعه يختمه بجملة مليئة بالأسماء والصفات[3].

أما السجستاني فإنه ذكر لفظ (المبدع) بكسر الدال اثنى عشر مرة، ولفظ (الله) ثلاث مرات وكذلك لفظ (الحق) و (جل جلاله) وصفة (العلو والمتعالي)[4]. وفي موضع آخر من كتابه الينابيع ذكر اسم (الباري) وصفة (الوهاب)[5]، وفي كتابه الافتخار وصفه بصفتي (الواحد والأحد) وكررهما وأكد عليهما بقوله: قلنا ـ أي الاسماعيلية[6] ـ.

---

(١) في بداية الفصل الثاني من الباب الثالث وذلك عند الحديث عن المبدع ((بكسر الدال ـ ص.

(٢) انظر راحة العقل للكرماني ص١٢٩ ـ ١٣٤.

(٣) المرجع السابق، انظر آخر كل مشرع من هذا الكتاب والذي يشتمل على ستة وخمسين مشرعًا مقسمة على سبعة أسوار في كل سور سبعة مشارع عدا السور الأخير فإنه يشتمل على أربعة عشر مشرعًا، ومن أكثر هذه المشارع ذكرا للأسماء والصفات المشرع الرابع من السور الخامس ص٢٣٥، والمشرع السادس من السور الخامس ص٢٥٧.

(٤) انظر كتاب الينابيع للسجستاني ص٧١ ـ ٧٢.

(٥) المرجع السابق ص٨٤.

(٦) كتاب الافتخار للسجستاني ص٢٦.

وهكذا نجد أن كتب الاسماعيلية مليئة بهذه الإطلاقات والعبارات التي هي في حقيقتها ومدلولها وألفاظها أما أسماء لله عز وجل أو صفاتًا له سبحانه وتعالىٰ. فهل هذه الإطلاقات والعبارات خارجة عن قاعدتهم في السلب المحض والنفي المفصل. أم أنه التناقض والاضطراب. أم أن لهذا تأويلاً ولا سيما أنهم أصحاب التأويل الباطني؟؟ وللإجابة علىٰ ذلك أقول:

إن تناقض الاسماعيلية واضطرابهم في ألوهية الله وأسمائه وصفاته لا يخفىٰ علىٰ مطلع فضلاً عن عالم بأسرارهم وهاتك لأستارهم فهم كدوا أذهانهم واتبعوا عقولهم للوصول إلىٰ معتقد ملفق يجمع بزعمهم بين الشريعة والفلسفة ـ مع تضادهما ـ ولذا كانت أهم صفة لمعتقدهم هذا التضاد والاضطراب. وقد يحاول بعض مؤلفي الاسماعيلية التلفيق للخروج عن هذا التضاد والتناقض وذلك بتأويل هذه العبارات والإطلاقات تأويلاً باطنيًا وسبق أن أشرنا إلىٰ ذلك[1].

والحقيقة التي مرية فيها أن الفطرة التي فطر الله الخلق عليها جميعًا تأبىٰ وإن شوهت وغولبت إلا أن تنطق بالحق وتعبر عنه أحيانًا مهما حاول الملحدون والجاحدون مضادتها وكتمانها في نفوسهم، ولذلك فإن فرعون أعتىٰ خلق الله كفراً وأكثرهم عناداً قال الله عنه وعن أتباعه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ...﴾[2].

فالاسماعيلية مهما حاولوا وعاندوا في تشويه الفطرة وقلبها في قلوبهم وقلوب أتباعهم إلا أن هذه الفطرة عند بعضهم تعبر عن الحق وتتجه إلىٰ الباري ولو في فلتات لسانية أو اتجاهات قلبية في حالة الشعور أو اللاشعور وهذا ما أرجحه وأفسر به ما نجده في كتبهم مما يتعارض مع قاعدتهم في سلب الألفاظ والعبارات ونفي الأسماء والصفات عن الله عز وجل. وهذا بالطبع يدل علىٰ أن معتقد الاسماعيلية في الله عز وجل أمر نظري فقط يستحيل تطبيقه في عالم الواقع ولذا يقول ابن تيمية عنهم: أنهم يصفون الله عز وجل بالصفات السلبية علىٰ وجه التفصيل ولا يثبتون إلا وجوداً مطلقًا

---

(١) انظر القسم الثاني من الرسالة ص

(٢) سورة النمل: ١٤.

لا حقيقة له عند التحصيل وإنما يرجع إلىٰ وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان[١].

وفي موضع آخر نقل ابن تيمية نصًا من كتاب الافتخار للسجستاني وفيه ذكر لأسماء الله عز وجل وصفاته ورد عليه بقوله: إن ذكره لهذه الأسماء والصفات مع قاعدته في السلب والنفي عن الله كل اسم أو صفة يدل علىٰ التناقض، وهذا يبطله وهكذا هو في نفس الأمر فإن قولهم متناقض في نفسه ولابد لهم بأي حال من الأحوال أن يعبروا عن إله عز وجل بنوع ما من العبارات المتضمنة للمعاني فيكون ذلك ناقضًا لما ادعوه من التجريد والسلب العام[٢].

هذا ومن المشهور بين علماء المسلمين شدة نكيرهم علىٰ الجهمية لإنكارهم صفات الله عز وجل وجحدها فكيف بمن هم أشد إنكاراً وجحداً منهم كالاسماعيلية الذين جحدوا الأسماء والصفات معًا.

ومما أجمع عليه المسلمون حاربة الجهمية وقتل زعمائهم ووصفهم بالإلحاد والزندقة حتىٰ أن الإمام المجاهد عبدالله بن المبارك يقول: إن لنحكي كلام اليهود والنصارىٰ ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

وقال سعيد بن عامر: الجهمية أشر قولاً من اليهود والنصارىٰ قد أجمعت اليهود والنصارىٰ وأهل الأديان أن الله تعالىٰ علىٰ العرش وقالوا هم: ليس علىٰ العرش شيء[٣].

ولهذا نجد الأئمة الكبار كأحمد بن حنبل والبخاري والدارمي يصفون الجهمية النفاة في مصنفاتهم بالزندقة والإلحاد ومما قال الإمام أحمد رحمه الله في أول رده عليهم بعنوان (باب بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه آي القرآن)[٤].

(١) انظر مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٣/ ٧ ـ ٨.

(٢) انظر كتاب الصفدية لابن تيمية ٢/ ٦ ـ ٨.

(٣) كتاب عقائد السلف جمع النشار ص١٢٠، والنص للسجستاني بعنوان ملحق في الرد علىٰ الجهمية.

(٤) كتاب الرد علىٰ الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل ص٥٣.

كما أورد البخاري من طريق عبدالعزيز بن سلمة قوله : كلام جهم صفة بلا معنى وبناء بلا أساس ولم يعد قط في أهل العلم وأورد آثار كثيرة عن السلف في تكفير جهم[1] .

أما الدارمي فيقول : وما ظننا أن نضطر إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة في آيات الله فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا وإلى الله نشكو ما أوهت هذه العصابة من عرى الإسلام وإليه نلجأ وبه نستعين[2] .

وأبان أبو الحسن الأشعري أن الجهمية لا يؤمنون بشيء وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد والتكذيب بأسماء الله عز وجل فأعطوا لذلك لفظًا ولم يحصلوا قولاً في المعنى ولولا أنهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم ولكن خوف السيف منهم من إظهار زندقتهم[3] .

وبالنظر إلى هذه الأحكام من أئمة الإسلام وعلمائه على الجهمية فكيف الحال والحكم على الاسماعيلية وسائر الفرق الباطنية الذين ينفون عن الله كل صفة وكل اسم ويصرفونها إلى بعض الموجودات كالذي اصطلحوا على تسميته بالعقل الأول أو السابق، أو العقل الثاني، أو التالي ولذا لقبهم ابن تيمية رحمه الله «الجهمية المحضة»[4]، حيث زادوا على الجهمية ضلالاً وإلحادًا وانحرافًا فهم النفاة لكل شيء ولا وجود عندهم لله عز وجل إلا وجودًا ذهنيًا لا يعبر عنه في الواقع تعالى الله عن إفكهم وضلالهم وتقدس عما يقوله الظالمون .

وعلى هذا فالاسماعيلية يعتبرون أشد كفرًا وإلحادًا وتعطيلاً لله عز وجل من الجهمية الذين صرح السلف بالنكير عليهم وتكفيرهم وإخراجهم من فرق الأمة الإسلامية .

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٤٥_٣٤٦.

(٢) الرد على الجهمية للدارمي ص٢٦٣ ضمن كتاب عقائد السلف جمع الدكتور النشار .

(٣) الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص٤٠ .

(٤) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص٢٧ .

الضلالة الثالثة: اعتقاد الاسماعيلية بالعقول العشرة وأنها مدبرة للكون فاعلة فيها

إن هذا المعتقد من ضلالات الفلاسفة اليونان الذين قالوا بهذه العقول العشرة وأنها تدبر الكون ولا يخفى أنها لوثة فكرية شركية بعيدة كل البعد عن معتقدات الإسلام الصافية النقية، لأن الاعتقاد بتأثير شيء في الكون غير الله عز وجل اعتقاد باطل وهو الشرك بعينه الذي لا يغفره الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ...﴾[1].

ومن المعلوم بالفطرة الصحيحة واللغة العربية ودلالتها فساد هذا التقسيم والتركيب للموجودات العلوية وفي رد ومناقشة لهؤلاء ومصطلحاتهم حول هذه العقول وأسمائها يقول ابن تيمية: ومن زعم أن العقل يسمى قلمًا لأنه ينقش العلوم في لوح النفس وسمى النفس لوحًا فأول ما في هذا أن هذا يعلم بالاضطرار أنه ليس من لغة العرب ولا قاله أحد من مفسري القرآن والحديث ثم يقال: قد أخبر أنه كتب ما يكون إلى يوم القيامة فقط وعندهم هو المبدع للعالم كله وهو رب كل شيء بعد الأول.

وأيضًا فإنه أخبر أنه قدر ذلك وكتبه قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة وأنه بعد أن كتب في الذكر كل شيء خلق السموات والأرض وعندهم أنه ومفعوله قديمان أزليان وأنه لم تزل معه السموات والأرض وأنها متولدة عنه معلولة لم تتأخر عنه لحظة فضلاً عن خمسين ألف سنة.

وأيضًا فالعقل الأول عندهم تولد عنه العقل الثاني والنفس والفلك وإبداع العقل أعظم من إبداعه للنفس والفلك وإبداعه لذلك أعظم من مجرد نقشه في النفس، والنفس الفلكية جمهورهم يقولون: إنها عرض في الفلك ولكن ابن سينا وطائفة قليلة يقولون: إنها جوهر قائم بنفسه فكيف يعبر عن العقل الأول بأضعف أفعاله ولا يعبر عنه بأجل أفعاله وأعظمها؟ وإن شاع هذا شاع تسمية الواجب بنفسه قلمًا أيضًا لأنه علم العقل الأول ما يعلمه للنفس.

---

(١) سورة النساء: ٤٨.

وأيضًا يقولون: إن العقول هي الملائكة التي أخبرت بها الرسل فإذا كانت العقول تسمىٰ أقلامًا لنقشها العلم في النفوس فالملائكة تسمىٰ أقلامًا، ومن قال: إن الملائكة هي أقلام فهو أخس من بهيمة الأنعام وكذلك ينبغي أن يسمي كل معلم قلمًا وهذا ليس في لغة العرب لا حقيقة ولا مجازًا.

وأيضًا فإنه قد قال في القلم: اكتب ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة لا كتابة ما يكون بعد ذلك. ودلائل فساد قول هؤلاء كثيرة[1].

وفي موضع آخر هاجم ابن تيمية هذه النظرية (العقول العشرة) هجومًا عنيفًا وبين أن أصحابها لا يثبتون لله عز وجل قدرة ولا مشيئة ولا اختيارًا ويخلص إلىٰ أن قول هؤلاء أعظم كفرًا من قول من قال من مشركي العرب: إن الملائكة بنات الله ذلك لأن هؤلاء المشركين كانوا يقولون: إن رب السموات والأرض خلق الملائكة بمشيئته وقدرته[2].

ويفند الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله هذه النظرية الإغريقية الأفلاطونية بالأدلة الشرعية والعقلية قائلاً عن الأدلة النقلية أولاً:

إن أهل الملل يعلمون بالاضطرار من دين الرسل أنه ليس عندهم أحد غير الله يخلق جميع المبدعات ولا إنهم أثبتوا ملكًا من الملائكة أبدع كل ما تحت السماء بل الملائكة عندهم عباد الله ليس فيهم من هو مستقل بإحداث جميع الحوادث فضلاً عن أن يكون مبدعًا لكل ما سوىٰ الله وسواه كما يقول هؤلاء في العقل الأول.

ثم يورد الإمام ابن تيمية بعض الآيات الكريمة والتي فيهما رد صريح علىٰ أصحاب هذه النظرية سواء كانوا فلاسفة اليونان والاسماعيليون الباطنيون، ومن هذه الآيات:

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ

(١) كتاب الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٨٠ ـ ٨٢.

(٢) المرجع السابق ١/ ٢ ـ ١٠.

مُشْفِقُونَ (٢٨) ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ عن الملائكة وسائر المخلوقات وبيان خضوعها لله تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠) ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) ﴾[٤].

ومثل هذه الآيات التي تدل علىٰ خضوع هذه الكائنات وخشيتها وخوفها من الله عز وجل كثير وهي تخالف تمام المخالفة الصورة التي رسمها الاسماعيلية للعقول العشرة وتأثيراتها في الكون والمخلوقات.

وأما الأدلة العقلية ثانيًا فهي تبطل هذه النظرية لأنها لا تستند إلىٰ دعائم عقلية ثابتة علىٰ الرغم من أن أصحاب هذه النظرية هم الفلاسفة ذوو النزعة العقلية فنظريتهم هذه باطلة من وجوه:

(١) إذا سلمنا مع أصحاب النظرية بثبوت العقول العشرة وهي عندهم قديمة لأنها لازمة لذات الله متولدة عنه معلولة له فكيف تفسر حدوث الحوادث؟ والحوادث ـ كما هو معلوم بالضرورة ـ لابد لها من محدث ولا يمكن أن يكون محدثها أحد العقول القديمة لأن محدث الحوادث لا يجوز أن يكون علة أزلية فالعلة الأزلية مستلزمة لمعلولها.

(١) سورة الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨.

(٢) سورة النساء: ١٧٢.

(٣) سورة النحل: ٤٩ ـ ٥٠.

(٤) سورة النجم: ٢٦.

(٢) إن الواحد البسيط الذي يذكرونه إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان فإنه وجود مطلق والمطلق لا يوجد في الذهن لا في الخارج والوجود الحقيقي في الخارج لا يوجد إلا للموجودات المعينة المشخصة.

(٣) إن الواحد البسيط الذي فرضوه ـ إذا قدر وجوده في الخارج ـ يمتنع صدور المختلفات عنه بوسط أو بغير وسط؛ لأن الواحد إذا كان الصادر عنه واحداً لم يصدر عن الآخر إلا واحد وهلم جرا فيلزم أن لا يكون في العالم كثرة، فلما تيقن وجود الكثرة المختلفة الحادثة كان هذا مناقضًا لقولهم.

وإذا قالوا: إن الصادر الأول ـ أي العقل الأول ـ واحد ولكن فيه جهات كالوجوب والإمكان وعقله لمبدعه وعقله لنفسه ونحو ذلك بحيث يصدر عنه باعتبار وجوبه عقل وباعتبار إمكانه جسم فهذا أولاً من الهذيان، وثانيًا إن تلك الأمور إما أن تكون وجودية وإما أن تكون عدمية. فإن كانت وجودية وقد اتصف بها الصادر الأول فقد صدر عن المبدع الأول أكثر من واحد، وإن كانت عدمية كان الواحد صدر عنه أكثر من واحد وحينئذ فالواجب يتصف بالأمور العدمية وعلى كلا الاعتبارين فالواجب الوجود أحق من الصادر الأول الذي هو العقل الأول في صدور أكثر من واحد عنه.

(٤) أن حركة الفلك الأعلى حركة واحدة متشابهة بسيطة لا توجب بنفسها آثاراً مختلفة إلا لاختلاف القوابل كالشمس تبيض جسمًا وتسود جسمًا وتلين جسمًا وتيبس جسمًا بحسب القوابل المختلفة وبما أنه وجدت الحركات المختلفة غير محصورة علم بالضرورة أنها ليست صادرة عن عدد محصور في البسائط.

(٥) إن تلك الحركات والمتحركات والعقول المعلومة أمور مختلفة متعددة فإن صدرت عن واحد بطل قولهم (لا يصدر عن الواحد إلا واحد) وإن صدرت عن موصوف بالصفات والأفعال القائمة بطل قولهم بالموجب بالذات وعلى التقديرين يبطل مذهبهم.

وبالجملة ـ وكما ينتهي إليه ابن تيمية في نقد هذه النظرية ـ فالأدلة الدالة على بطلان قولهم كثيرة جداً. والمقصود هنا أن أقوال هؤلاء ليست مطابقة لما أخبرت به

الرسل كما أنها ليست مطابقة لما دل عليه العقل الصريح، فلا هي موافقة للمنقول الصحيح ولا للمعقول الصريح ولكنهم يسفسطون في العقليات ويقرطون في السمعيات كما ظهر ذلك في الباطنية من القرامطة والاسماعيلية وأمثالهم[1].

وبالنظر إلىٰ أدلة الاسماعيلية التي استدلوا بها وزعموها أدلة علىٰ نظرية العقول فأهمها حديث العقل[2] الذي يعتبر حديثًا موضوعًا مكذوبًا كما نص علىٰ ذلك جهابذة العلماء من أهل الجرح والتعديل حيث بينوا واضعه واستقصوا جميع رواياته لفظًا وسندًا ثم بينوا أنه لا يصح عن رسول الله ﷺ حديث بهذه الألفاظ والروايات[3].

وعلىٰ الرغم أن هذا الحديث موضوع ومكذوب فإن ابن تيمية رحمه الله يذكر أن هذا الحديث الذي يحتجون به من جهة الشريعة يدل علىٰ نقيض مقصودهم من وجوه كثيرة منها:

(١) أن قوله: (أول ما خلق الله العقل قال له) يقتضي أنه خاطبه في أول أوقات خلقه لا أنه أول المخلوقات كما تقول: أول ما لقيت زيدًا سلمت عليه.

(٢) أن هذا يقتضي أنه خلق قبل العقل غيره لقوله: ما خلقت خلقًا أكرم علي منك. وعند الاسماعيلية والفلاسفة أن العقل أول المبدعات.

(٣) أن هذا الحديث يقتضي أن العقل مخلوق وحقيقة الخلق منتفية عندهم عن

---

(١) كتاب الصفدية لابن تيمية ١/ ١٥٦ ـ ١٦٠، وانظر كتاب ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي للدكتور عبدالفتاح أحمد فؤاد ص١٨٧ ـ ١٩٥.

(٢) نص هذا الحديث كما يروونه «أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أجل منك بك أثبت وبك أعاقب». انظر المجالس المؤيدية للمؤيد الشيرازي ١/ ٢ ديوان المؤيد داعي الدعاة ص٩٢ تقديم وتحقيق محمد كامل حسين وكذلك ذكر لفظه كاملاً الإمام ابن تيمية في رسالته الصفدية ١/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٣) لقد استقصىٰ الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله معظم كلام المحدثين عن الحكم علىٰ إسناد هذا الحديث وصحة روايته بما لا مزيد عليه فليراجع في تحقيقه وتعليقه علىٰ رسالة الصفدية لابن تيمية ١/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

وانظر هامش كتاب الدكتور أحمد محمد جلي ص٢٧٦ رقم دراسة عن الفرق تاريخ المسلمين.

العقل الأول بل عن العالم وإنما العقل عندهم معلول ومبدع.

(٤) أنه قال في هذا الحديث (فبك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وبك العقاب) فأخبر أنه يفعل به هذه الأمور الأربعة وهذا ينطبق على عقل الإنسان الذي هو عرض فيه، وأما العقل الذي يدعونه فهو عندهم رب جميع العالم، أبدع السموات والأرض وما بينهما فأين هذا من شيء يفعل الله به أموراً أربعة.

ويختم ابن تيمية رحمه الله نقده لدليلهم هذا بقوله: والمقصود هنا أن قول هؤلاء هو من أفسد أقوال أهل الأرض. وأن قول جمهور الصابئين والمشركين والمجوس خير من قولهم فضلاً عن اليهود والنصارى[١].

وبالتأمل في الآيات القرآنية الدالة على توحيد الألوهية المستلزمة توحيد الربوبية وهي كثيرة مبسوطة في كتاب الله عز وجل نجد أنها ترد على هذه الضلالة وغيرها من الضلالات المنتشرة في أرجاء الأرض قديمًا وحديثًا، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١)﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧)﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١)﴾[٤].

---

(١) الرسالة الصفدية ١/ ٢٣٩ ـ ٢٤١.

(٢) سورة العنكبوت: ٦١.

(٣) سورة الزخرف: ٨٧.

(٤) سورة المؤمنون: ٨٤ ـ ٩١.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ (٣٦)﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)﴾[١].

ويقول تعالىٰ عن الملائكة الذين يعتبرون عند الاسماعيلية عقولاً مدبرة للكون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١)﴾[٢].

وقوله تعالىٰ عن الملائكة أيضًا: ﴿... بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾[٣].

وأخبر الله تعالىٰ في آيات كثيرة أن الخلق والأمر له وحده كما أخبر أنه غني عن العالمين ـ وكل ما سوىٰ الله عالم من الإنس والجن والملائكة والكواكب والعقول ـ فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩)﴾[٥].

وقال تعالىٰ: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)﴾[٦].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة العظيمة والتي تدل علىٰ أن خلق المخلوقات

---

(١) سورة الطور: ٣٤ـ٤٣.

(٢) سورة الأعراف: ١١.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٦ـ٢٩.

(٤) سورة الأعراف: ٥٤.

(٥) سورة فصلت: ٩.

(٦) سورة العنكبوت: ٦.

وأمرها وتدبيرها له وحدها لا يشركه أحد من مخلوقاته سواء كانوا ملائكة أو عقولاً أو كواكب أو سائر المخلوقات ثم بعد ذلك يكون الله وحده هو المستحق للألوهية والعبودية ومن خالف ذلك فقد أشرك مع الله شريكًا ووقع في الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة ولا يغفره الله وجزاءه في الآخرة هو الحرمان من الجنة ونعيمها والخلود في النار وعذابها وشقائها.

يقول شارح التوحيد: الشرك في الربوبية نوعان: أولهما أقبح أنواع الشرك وهو شرك التعطيل وذلك كشرك فرعون إذ قال: وما رب العالمين؟ ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته وأنه لم يكن معدومًا أصلاً بل لم يزل ولا يزال والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلىٰ أسباب ووسائط اقتضت إيجادها يسمونها العقول والنفوس ..... ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب وأوصافه من غلاة الجهمية والقرامطة[1].

ويقول شارح الطحاوية: إن توحيد الربوبية لا يحتاج إلىٰ دليل فإنه مركوز في الفطر وأقرب ما ينظر المرء فيه أمر نفسه لما كان نطفة وقد خرج من بين الصلب والترائب. ثم صارت تلك النطفة في قرار مكين في ظلمات ثلاث وانقطع عنها تدبير الأبوين وسائر الخلائق ولو كانت موضوعة علىٰ لوح أو طبق واجتمع حكماء العالم علىٰ أن يصوروا منها شيئًا لم يقدروا ومحال توهم عمل الطبائع فيها؛ لأنها موات عاجزة ولا توصف بحياة ولن يتأتىٰ من الموات فعل وتدبير فإذا تفكر في ذلك وانتقال هذه النطفة من حال إلىٰ حال علم بذلك توحيد الربوبية فانتقل منه إلىٰ توحيد الإلهية فإنه إذا علم بالعقل أن له ربًا أوجده كيف يليق به أن يعبده غيره؟ وكلما تفكر وتدبر ازداد يقينًا وتوحيداً والله الموفق لا رب غيره ولا إله سواه[2].

وهكذا من خلال تتبع ضلالات الاسماعيلية ونقدها وذلك في معتقدهم عن الله

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص٤٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص٢٧٤.

سبحانه وتعالىٰ يتضح لنا أنهم كفروا بالله عز وجل وأشركوا معه غيره من سائر المخلوقات وبالتالي انحرفوا عن أصول الإسلام وأسسه الأساسية وأصبحت بعد ذلك نسبتهم إلىٰ الإسلام مجرد ادعاء متهافت كاذب لا حقيقة له في الواقع ولا وجود له عند التحصيل ويجب رد هؤلاء وأمثالهم إلىٰ الإسلام من جديد أو إقامة حد الردة عن الإسلام عليهم لقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» رواه البخاري[1].

* * * * *

(١) فتح الباري ١٢/ ٢٦٧.

الفصل الثالث
معتقد الاسماعيلية عن النبوة والأنبياء والرسل

اهتم الاسماعيلية بمعتقد النبوة والرسالة اهتماماً ملحوظاً حسب فكرهم الشيعي الباطني وأفردوا له الكتب والمؤلفات[١]، وربطوا معتقدهم هذا بأصولهم السابقة وهي الإمامة والتأويل الباطني وكذلك عقيدتهم في الله حيث صدور الكائنات وتقسيمها إلى علوية وسفلية مع التقابل بينها.

وسوف نتحدث في هذا الفصل إن شاء الله عن معتقدهم هذا ونستبينه من مصادرهم تفصيلياً.

(١) تعريف النبوة.

يعرف السجستاني النبوة بقوله: النبوة قوة ثابتة من جهة الكون والفساد تحدث في نفس النبي تدرجاً جزءاً بعد جزء وعملاً بعد عمل وزيادة بعد نقصان إلى أن يكمل تكوينها فتظهر مصورة محلاة فلا تزال في ارتفاع إلى أن تبلغ المنتهى في الرفعة[٢].

وتبعاً لذلك التعريف بأن النبي عندهم: عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالية قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنتقش عن الاتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجزئيات.

فلذلك يدرك النبي الكليات العقلية عند شروق ذلك النور وصفاء القوة النبوية كما ينطبع مثال المحسوسات في القوة الباصرة من العين عند شروق نور الشمس على

---

(١) من ذلك وعلى سبيل المثال كتاب إثبات النبوات للسجستاني حيث اشتمل على سبع مقالات كل مقالة اثني عشر فصلاً وكلها في النبوة والنبوات، والكتاب يقع في مائتي صفحة، وكذلك كتابه الافتخار خصص أربعة أبواب للحديث عن النبوة والرسالة وما يتعلق بهما. انظر كتاب الافتخار ص٤٣ ـ ٧٠.
كما أفرد الرازي المتوفى عام ٣٢٢هـ كتاباً عن النبوة وسماه أعلام النبوة إلى غير ذلك من الكتب والمؤلفات الاسماعيلية.

(٢) إثبات النبوات للسجستاني ص١١١.

سطوح الأجرام السفلية[1] ويعرف ابن الوليد الرسول: بأنه هو مبعوثه ـ أي الله ـ إلى الخلق وحجته على أهل زمانه وهو لسانه فيهم وترجمانه في العالم السفلي بأسره والمتبحر أبدًا في الحكمة والمبين لها، ولولاه لما وصل الناس بمجرد عقولهم إلى باب واحد من أبواب الحكمة[2].

وعند التأمل في هذه التعاريف نجد أنها تدل على خصال وصفات للنبي أو الرسول لابد من توفرها في شخصه ليكون نبيًا أو رسولاً وهي في الحقيقة شروط للنبوة.

(٢) شروط النبوة.

تحدث الكرماني عن هذه الشروط في آخر كتابه راحة العقل وذلك بالمشرع الرابع عشر من السور السابع فقال: إن المؤيد المبعوث لابد أن يكون:

(١) جيد الفهم والتصور.

(٢) جيد الحفظ لمايراه الخاطر والعين ويدركه السمع.

(٣) جيد الفطنة والذكاء والتوقد.

(٤) جيد الذكر والتلخيص عن المراد بالألفاظ الجامعة.

(٥) جيد العبارة والخطابة والقدرة عليها.

(٦) سلامة الأعضاء والقدرة على أمور الحرب ومباشرتها والصبر عليها.

(٧) جودة الفطرة والطبع في استفادة المعارف من كل جهة.

(٨) جودة النحيزة في السلامة والانقياد لكل خير والخلو من الرذائل.

(٩) عظيم النفس كريمًا محبًا للعدل مبغضًا للظلم والجور.

(١٠) مؤثرًا لما يعود على النفس منفعته من العبادة.

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص٤٠ ـ ٤١.

(٢) تاج العقائد ومعدن الفوائد لابن الوليد ص٥٠، وانظر مذاهب الإسلاميين لبدوي ٢/ ٢٩٠.

(١١) كارهًا لكل ما يهجن ويشين.

(١٢) مقدامًا في الأمور جسوراً عليها.

ذلك كلأه بأن النار القدسية أضاءت جوهر نفسه فأصحبت في معالي القدس تطلع على ما دونها في عالم الدين وتتعلق بها فصالح النفس في وجودها وسعادتها. . . . ولذلك كان النبي معصومًا لا يظهر منه أمر منكر ومن يكون بهذه المنزلة من الوجود فهو تام مؤيد فاصل ولا يجتمع معه فيكون تابعًا له وخادمًا إلا كل فاضل ولا ينفرد عن جملته فيكون معانداً له ومناوئًا إلا كل راذل[١].

إن هذه الشروط إذا اجتمعت في واحد من البشر في دور من أدوار القرانات فإن ذلك الشخص ـ عند الباطنيين والفلاسفة كذلك ـ هو المبعوث وصاحب الزمان والإمام للناس ما دام حيًا فإذا بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ودون التنزيل ولوح التأويل وأحكم الشريعة وأوضح المنهاج وأقام السنة وألف شمل الأمة ثم توفى ومضى إلى سبيله بقيت تلك الخصال في أمته وراثة منه وإن اجتمعت تلك الخصال في واحد من أمته أو حلها فهو الذي يصلح أن يكون خليفة في أمته بعد وفاته[٢].

إن هذه الشروط التي وضعها الاسماعيلية للنبي أو الرسول تؤول إلى هدف واضح في فلسفتهم وإن لم يفصحوا عنه وهو أن النبوة كسبية ينالها من اتصف بهذه الصفات وجاهد نفسه للتحلي بها ومزاولتها في حياته، ومما يدل على صحة ذلك أن اخوان الصفا ـ وهم اسماعيلية إن لم يكونوا أئمتهم ـ صرحوا بهذا الهدف في رسائلهم، ومما قالوا: إن من تصفو نفوسهم وتتهذب أخلاقهم تصير نفوسهم بعد ذلك متهيئة لقبول الوحي والإلهام.

وبما قال دعاتهم لأتباعهم: إن من تعبد منكم على ما رسم له في هذا الهيكل ـ والمقصود منه تطبيق تعاليمهم ومجاهداتهم ـ أربعين سنة مخلصاً جاءه الوحي من الله

---

(١) انظر راحة العقل للكرماني ص٥٧٢ ـ ٥٧٤.

(٢) رسائل اخوان الصفا، الرسالة السادسة في شرائط النبوة ٤/ ١٢٩ ـ ١٣٠ عن كتاب الاسماعيلية لإحسان إلهي ص٣٢٢.

عز وجل ونزلت عليه الملائكة بالروح[١].

(٣) منزلة النبوة والنبي من الإمامة والإمام.

مما يعتقده الاسماعيلية في هذا الباب أن رتبة الوصاية والإمامة أعظم قدراً وأفضل منزلة من رتبة النبوة والرسالة ومن نصوصهم الدالة على ذلك قول أحد دعاتهم: إن ابراهيم عليه الصلاة والسلام اجتمعت عنده النبوة والرسالة والوصاية السنة وألف شمل الأمة ثم توفى ومضى إلى سبيله بقيت تلك الخصال في أمته وراثة منه وإن اجتمعت تلك الخصال في واحد من أمته أو حلها فهو الذي يصلح أن يكون خليفة في أمته بعد وفاته[٢].

إن هذه الشروط التي وضعها الاسماعيلية للنبي أو الرسول تؤول إلى هدف واضح في فلسفتهم وإن لم يفصحوا عنه وهو أن النبوة كسبية ينالها من اتصف بهذه الصفات وجاهد نفسه للتحلي بها ومزاولتها في حياته، ومما يدل على صحة ذلك أن اخوان الصفا ـ وهم اسماعيلية إن لم يكونوا أئمتهم ـ صرحوا بهذا الهدف في رسائلهم، ومما قالوا: إن من تصفو نفوسهم وتتهذب أخلاقهم تصير نفوسهم بعد ذلك متهيئة لقبول الوحي والإلهام.

وبما قال دعاتهم لأتباعهم: أن من تعبد منكم على ما رسم له في هذا الهيكل ـ والمقصود منه تطبيق تعاليمهم ومجاهداتهم ـ أربعين سنة مخلصاً جاءه الوحي من الله عز وجد ونزلت عليه الملائكة بالروح[٣].

(٣) منزلة النبوة والنبي من الإمامة والإمام.

مما يعتقده الاسماعيلية في هذا الباب أن رتبة الوصاية والإمامة أعظم قدراً وأفضل رتبة النبوة والرسالة ومن نصوصهم الدالة على ذلك قول أحد دعاتهم: أن ابراهيم عليه

---

(١) المرجع السابق ص١١٦ ـ ١١٧، كتاب الاسماعيلية ص٣٢٤.

(٢) رسائل اخوان الصفا، الرسالة السادسة في شرائط النبوة ٤/١٢٩ ـ ١٣٠ عن كتاب الاسماعيلية لإحسان إلهي ص٣٢٢.

(٣) المرجع السابق ص١١٦ ـ ١١٧، كتاب الاسماعيلية ص٣٢٤.

الصلاة والسلام اجتمعت عنده النبوة والرسالة والوصاية والإمامة فابنه اسماعيل سلمه رتبة الوصايا والإمامة بزر من الله تعالىٰ إذ هو مقام إلهي وهيكل نوراني، وسلم إلىٰ ولده اسحاق رتبة النبوة والرسالة وجعله خادمًا بين يدي أخيه اسماعيل وحجابًا عليه وداعيًا إليه؛ لأن اسماعيل وأولاده مقامات إلهية ذو هياكل نورانية إذ هم أهل الاستقرار واسحاق وأولاده حجج ودعاة ظاهرة لاسماعيل وأولاده وحجب عليهم[1].

ومما قال الاسماعيلية: إن النبي قبل أن يصل إلىٰ مرتبة النبي المرسل أو الرسول ينبغي عليه أن يمر بمرتبة الولي. علىٰ أن النبي الرسول يجمع في نفسه بين الصفات الثلاثة الولاية والنبوة والرسالة ولذا فهم يعرفون الولاية بأنها سر النبوة وباطنها ويقولون إنها تجلت في كل أولياء الله الذين سموا أنبياء[2].

ونقل ابراهيم الحامدي عن جعفر بن منصور اليمن أنه قال عن علي وولايته: أن الله لا يقبل توبة نبي ولا اصطفاء وصي ولا إمامة ولي ولا عمل طاعة من عامل ولو تقطع بالعبادة واجتهد إلا بولاية علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله. فمن أتىٰ بغير ولاية علي بن أبي طالب أسقطت نبوته! ووصايته وولايته وصالح عمله ولم يقبل الله منه ولا زكي عمله[3].

وقال الحارثي: ولما كان أمير المؤمنين بهذه الحالة التي لم يبلغها أحد غيره اتصل به العقل العاشر اتصالاً كليًا ولحظته العقول الإبداعية لحظًا سرمديًا ورمته بأشعتها واتصلت به المواد الإلهية فوق ما اتصلت بكل فقام قبله[4].

(٤) تعريف الوحي وأقسامه وكيفية تلقيه.

يعرف الاسماعيلية الوحي بأنه: ما قبلته نفس الرسول من العقل وقبله العقل من

---

(١) الحقائق الخفية للأعظمي ص١٢٢، وصاحب القول هو الداعي الاسماعيلي طاهر الحارثي.

(٢) مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٤/ ٢٩٤.

(٣) كنز الولد للحامدي ص٢١٨.

(٤) الأنوار اللطيفة للداعي الحارث ص١٢٥ ضمن كتاب الحقائق الخفية للأعظمي.

أمر باريه ولم يخالفه علم في تؤالفه[1] النفس الناطقة بقواها. والفرق بين الوحي وغيره من سائر العلوم أن الوحي يرد على من يوحى إليه مفروغًا منه قد استغنى عن الزيادة فيه والنقصان منه.

ويعرفه الكرماني بأنه: اسم لما يعلم كليًا من غير تفسير وتفصيل.

وأما أقسامه فينقسم إلى قسمين:

أحدهما ما يعلم لا بواسطة[2]، والثاني ما يعلم بواسطة محسوبة، فالذي يعلم لا بواسطة محسوسة هو الذي يكون بعلو الجد[3] فيحصل للنفس بما يجيؤها من نور دار القدس من جهة الملك المتمثل بشرر النار وذلك أعلى المراتب كلها من وجوه المعارف[4].

وأما الذي يعلم بواسطة محسوسة فينقسم إلى قسمين:

أحدهما: خاص وهو ما يعلم من جهة تختص بالنفس المبعوثة صورة بإدراكها إياها حسا من غير مشاركة غير فيها مثل الملك الذي يتمثل لها صورة عن حصول المعاني الكلية المعراة من المواد من خارجها وحيًا في الذات فتراها بالحس وتخاطبها وغيرها لا يراها ولا يحس بها وذلك هو الخيال.

وثانيهما: وهو ما يعلم من وجوه تشترك فيها بالإحساس النفس المؤيدة المبعوثة وتنفرد بمعرفة المنطوي فيها من المعالم كلها المبعوثة والمقتفون آثارها مثل الذي يعلم من جهة المحسوسات بالموجود فيها من آثار الحكمة والصنعة وأحكامها اللازمة لها والطارئة

---

(١) تاج العقائد لابن الوليد ص٤٧ نقلاً عن مذاهب الإسلاميين لبدوي ٢/ ٢٨٨.

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب تؤلفه بحذف الألف بمعنى تجمع بنيه.

(٣) النص هكذا ولعل الصواب (لا بواسطة محسوسة) كما يدل عليه بقية النص في قوله (فالذي يعلم لا بواسطة محسوسة. . .) إلخ النص.

(٤) الجد والفتح والخيال مصطلحات اسماعيلية يعبرون بها عن أقسام الوحي الثلاثة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ سورة الشورى: ٥١ وتفصيل قولهم في ذلك توضحه النصوص التالية في صلب البحث.

الناطقة عن ذاتها وإن كانت ساكتة . المنبئة له وإن كانت صامتة . المعرفة به وإن كانت بها غير عارفة وذلك هو الفتح[١] .

وبتفصيل وتقسيم آخر لأقسام الوحي يقسم الكرماني الوحي أيضًا إلىٰ ثلاثة أقسام محاولاً تطبيق هذه الأقسام وتركيبها علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** (٥١)﴾[٢] يقول إن هذه الآية بينت واستوعبت أقسام الوحي الثلاثة فقوله ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ**﴾ أي ما كان لمن يصطفىٰ بالبعث في دار الطبيعة ليعلم غيره من أبناء جنسه ودعوته إلىٰ توحيد الله وعبادته ممن يخرج إلىٰ الكون من البشر بواسطة الأمور المنصوبة علىٰ الأمر المقدر .

وقوله : ﴿**أَن يُكَلِّمَهُ**﴾ أي ما كان لمن ينصب لذلك ويختار أن يكلمه الله ويجعله عقلاً كاملاً منبعثًا من طريق المخاطبة خطاب البشر بعضهم مع بعض ما كان ذلك كله إلا عن طريق الأقسام الثلاثة في الآية وهي :

القسم الأول: المعروف بالحد وهو ما أوجبه بعد النفي بقوله : ﴿**إِلاَّ وَحْيًا**﴾ والمعنىٰ. نعلمه بأن نضيء جوهره بنور القدس فتلمع في ذاته في حال يقظته منه صور هي معارف كلية شبه ما يرىٰ في المنام ويتعلق بالأكوان والأحداث فيما سبق وجوده وانتظر كونه .

القسم الثاني: المعروف بالفتح وهو ما جاء بعد (أو) حرف التبديل وهو قوله : ﴿**مِن وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ والمعنىٰ أن تلقىٰ الوحي في هذا القسم كالأمثال المضروبة والأمور القائمة المنصوبة للأغراض المعلومة التي هي كالكتابة الدالة للعارف بها علىٰ ما يتضمنها من معانيها الناطقة له وإن كانت ساكتة والمكلمة له وإن كانت صامتة .

القسم الثالث: المعروف بالخيال وهو ما جاء أيضًا بعد حرف (أو) الثانية وهو قوله (يرسل رسولا) والمعنىٰ يعلمه من جهة الخيال الذي يتمثل له بشرًا سويًا عن القوة التي واصلته من دار القدس الذي هو الملك أما قولاً بالسمع أو تشخصًا برؤية العين .

---

(١) راحة العقل للكرماني ص٥٥٩ .

(٢) سورة الشورىٰ : ٥١ .

فهذه الثلاثة الوجوه هي التي تجمع جميع وجوه التعليم الإلهي[١].

وبعد أن يركب هذه الأقسام الثلاثة عندهم على الآية القرآنية المبينة لأنواع الوحي عند أهل السنة يفصل بعد ذلك هذه الأقسام تقسيمًا لا يخلو من فائدة في استبيان معتقدهم في هذا الفصل يقول:

(١) فأما القسم الأول الذي هو الوحي الذي يفيده معرفة الأصول ومثلناه بالشرر المعروف بالجد فهو الذي يحصل للمؤيد في اليقظة والإغفاء فيدرك أولاً.

أما بأن يرى في ذاته شخصًا يخاطبه أو يسمع خطابًا لا من شخص مثل هتف هاتف فيقف بذلك على ما في الأنفس ويطلع على الاعتقادات فيكون ذلك كليًا مثل ما يفرض من إيجاب الصلاة والزكاة جملة، أو مثل ما يرى الرائي في المنام حنطة قد حصلت له وتفصيل ذلك يحصل بشيء آخر يتبعه من معرفة تفسير إقامة الصلاة وأداء الزكاة وتأويل هذه الحنطة ومعرفة مقدارها ومن أين أتت. . . إلخ حيث أنه بعد هذا التفصيل يتضح الأمر.

وفي هذا القسم لا يشارك المبعوث المؤيد في زمانه غيره[٢].

(٢) أما القسم الثاني الذي هو الخطاب من وراء حجاب الذي هو الفتح.

فهو ما يكون من جهة قيام آثار الصنعة الإلهية في الموجودات مثل الخطاب الإلهي بالأمثال. ومثل الخطاب الإلهي من جهة ذوات الموجودات بآثار الصنعة. ومثل ما يوجبه تأويل قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا...**﴾[٣] إلخ الآية.

فهذه الوجوه وأمثالها كلها خطاب يوقف منها على المعارف ويستفاد والمؤيد الذي

---

(١) انظر راحة العقل للكرماني ص٥٦١ ـ ٥٦٢.

(٢) واضح من هذه العبارة الأخيرة إمكانية مشاركة النبي أو الرسول ـ الذي سماه بالمؤيد المبعوث ـ غيره في النبوة والرسالة عن طريق غير هذا القسم فليتأمل.

(٣) سورة الحج: ٤٦.

قد أضاء له من دار القدس يحوي أمثال ذلك كله مما لا يعلمه غيره.

(٣) أما القسم الثالث الذي هو إرسال رسول يتمثل بشراً سوياً ويعرف بالخيال فهو الذي يكون شرحًا وبيانًا كله فلا يشارك المؤيد في رؤية ذلك غيره وهو الروح الأمين المسمى بجبرائيل.

وبالجملة فالمؤيد له من كل شيء يدركه بحسب حظه من المعارف الدينية وما يتعلق بها فلا يفوته شيء ولو حركة بعوضة فما فوقها، وحاله في رؤية الأشياء وهو يقظان حال الأنفس النائمة المتفردة بذاتها الرائية في المنام ما يراه رجوعه إلى ذاته فكراً فيما يريده وإضاءة من التحف به من نور دار القدس. وقيام الصور متمثلة له مخاطبة فهي مجيء الوحي إليه. فإنه في ذلك كله يخاطب الملائكة المقربين ويخاطبونه بكونه مثلهم في الذات كمالاً وانبعاثًا وإضاءة وإذا خاطب البالغ ذاته فكأنه قد خاطب الحد الأعلى. وهذه هي الحال التي قد تتعقب ما يجيء به قبل نسخ التنزيل بالوحي[١].

أما كيفية تلقي الرسول للوحي في أقسامه فقالوا: إن جميع الأنبياء لم يأخذوا التأييد ولا اتصل بهم الوحي إلا عن طريق الحدود الروحانية غير المتشخصة وهي الجد والفتح والخيال.

وأضافوا: بأن السابق أفضى إلى التالي الذي أفضى بدوره إلى الجد بما يجري في هذا العالم الروحاني فأفضى هذا بدوره إلى الفتح الذي أبلغه إلى الخيال ـ أي جبرائيل ـ فبلغه هذا إلى الناطق الحي الذي يمثل في دوره السابق كما يمثل الحجة ـ أي الأساس ـ دور التالي. ويمثل الداعي الجد. والمأذون الفتح. والمكاسر الخيال. في كلا الدورين[٢]. ويستدل الاسماعيلية على تصويرهم هذا المصدر الوحي ومراحل تلقيه بحديث مكذوب نسبوه إلى النبي ﷺ وفيه أنه قال: إني آخذ الوحي من جبرائيل وجبرائيل يأخذه من ميكائيل وميكائيل عن اسرافيل واسرافيل يأخذه عن اللوح واللوح

---

(١) انظر راحة العقل للكرماني ص٥٦٢ ـ ٥٦٧ باختصار وتصرف.

(٢) كنز الولد للحامدي ص٧٦، مقدمة كتاب الينابيع ص١٨.

يأخذ عن القلم[1].

وهذا يعني ـ حسب المعتقد الاسماعيلي ـ أن المبعوث المؤيد أخذ الوحي عن الخيال الذي أخذه عن الفتح عن الجد عن التالي عن السابق فيكون أخذه عن خمسة حدود علوية لها ما يقابلها من الحدود السفلية الأرضية وهم النطقاء والأوصياء والدعاة والمأذونون والمكاسرون. فالعقل يقابله الناطق. والنفس يقابلها الإمام أو الوصي. والداعي يقابله الجد. والمأذون يقابله الفتح. والمكاسر يقابله الخيال[2].

(٥) معجزات الأنبياء والرسل.

مما يدخل في معتقدات الاسماعيلية في باب النبوات معجزات الأنبياء والرسل وقد تناولها بالتأويل الباطني واعتقدوا أن لكل معجزة من معجزات الأنبياء والرسل باطن غير ظاهرها سواء في ذلك المعجزات الحسية أو المعنوية، وبلغ بهم تأويلها أن أصبحت خالية من مفهومها والمقصود منها مما يتساوي في ذلك سائر الناس وتصبح المعجزة بعده أمراً عادياً لا تأثير لها في النفوس والقلوب، ومما قالوا في ذلك: أن ثعبان موسىٰ معناه حجته. ومعنىٰ أن المسيح لا أب له أنه لم يأخذ العلم عن إمام. وأن إحياءه الموتىٰ إشارة إلىٰ علمه الذي يهدي به. ونبع الماء بين أصابع النبي ﷺ إشارة إلىٰ كثرة علمه . . . إلخ[3] المعجزات التي يؤولونها علىٰ هذا المنوال.

وعند التأمل في هذه التأويلات وما تنتهي إليه نجد أن ذلك يصل إلىٰ إبطال المعجزات وإنكار النبوات وتجريد أنبياء الله تعالىٰ من دلائل صدقهم وما أجراه الله علىٰ أيديهم من علامات النبوة. ولم يكتف الاسماعيلية بهذا التأويل للمعجزات بل ضموا إلىٰ ذلك ضلالة أخرىٰ وهي الزعم بأن أوصياءهم وأئمتهم يأتون بمثل هذه المعجزات وتجري علىٰ أيديهم كما يجري الله عز وجل المعجزات لأنبيائه.

ومما قال المؤيد في مجالسه: إن الله سبحانه اقتضىٰ أن يقيم من البشر من يناسب

---

(١) أساس التأويل للقاضي النعمان بن حيون ص٧٠.

(٢) انظر مقدمة كتاب الينابيع لمصطفىٰ غالب ص١٨.

(٣) كتاب الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ص٢٠.

الملائكة مناسبة تامة بلطفائهم ويناسب البشر مناسبة تامة بكثائفهم وهؤلاء يعكفون على النفوس البشرية فينزعون عنها الكثافة. ومعجزة الوصي والأئمة هي علوم الباطن التي اختصوا بها دون غيرهم من البشر وبهذه المعجزة يرتقي المؤمن بعد مماته إلى ما يناسبه من الحدود العلوية فتصبح نفسه مؤثرة في عالم الكون والفسادة بعد أن كانت خاضعة لتدبير العقول الروحانية، وبهذه المعجزة يحيي المؤمن بعد موت الجهالة، فالإعجاز إذن أن يلقب الإنسان ملكًا وهو دون ما يقول به جمهور العلماء من ذكر تسبيح الحصى وكلام الذئب وما يجري هذا المجرى[1].

(٦) النطقاء ودرجاتهم وأدوارهم.

أطلق الاسماعيلية مصطلح النطقاء على أولي العزم من الرسل ويعنون بهم من يأتي لينسخ شريعة من قبله بإظهار شريعة جديدة[2]. وعلى الرغم من غرابة هذا المصطلح وابتداعه فإنهم عللوا هذه التسمية بأن النطق قسمان:

أحدهما: مايتميز به الإنسان عن البهائم وهو النطق عما في الدنيا والآخر النطق عما في الدار الآخرة المتميز به أهل التأييد الذين يتكلمون عما وراء الحجاب وهو الذي لا يستطيع الإتيان به الإنسان العادي بل يأتي من الأنبياء[3].

وتبعًا لذلك عرفوا النطقاء بأنهم: هم الذين أرسلوا لهداية المخلوقات وتنظيم المبدعات وسن الشرائع والأحكام والتبليغ والإنذار والشهادة، فهم العباد المكرمون الذين لا يسبقون بالقول وهم بأمره يعملون[4].

ويرى الاسماعيلية أن لهؤلاء النطقاء درجات يتفاوتون فيها بتفاوت درجة

---

(١) ديوان المؤيدة لمحمد كامل حسين ص١٣٦ نقلاً عن المجلس المؤيدية.

(٢) ثبات النبوات للسجستاني ص١٩١.

(٣) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص١٣٥.

(٤) رسالة مطالع الشموس للداعي الاسماعيلي أبو فراس ص٣٣ ـ ٣٤، ضمن كتاب أربع رسائل اسماعيلية لعارف تامر ومن الملاحظ أن الوصف الأخير في هذا النص ينطبق على الملائكة كما ذكر الله في سورة الأنبياء آية ٢٧.

الناطقية فيهم وشبهوا هذه الدرجات بأطوار خلق الإنسان وركبوا كل طور على ناطق من النطقاء ابتداء من السلالة من الطين وانتهاء بإنشاء الله لهذا الإنسان خلقًا آخر وهم يقابلون في ذلك بين درجات هؤلاء النطقاء وأطوار الخلق التي ذكرها الله بقوله:
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾[١].

فيقولون إن آدم مثل السلالة وممثوله المؤمنون. ونوح مثل النطفة وممثوله المكاسر، وابراهيم مثل العلقة وممثوله المطلق، وموسى مثل المضغة وممثوله الداعي، وعيسى مثل العظام وممثوله الحجة، ومحمد مثل اللحم وممثوله الباب والقائم مثل الخلق الآخر وممثوله الإمام[٢].

ويقابل الباطنية بين أيام الأسبوع وبين النطقاء السبعة وذلك عندهم دلالة على بيان درجاتهم وتفاضلهم فيما بينهم وما زعموا أن الأحد عندهم مثل آدم، ونوح مثل الاثنين، وابراهيم مثل الثلاثاء، وموسى مثل الأربعاء، وعيسى مثل الخميس، ومحمد ﷺ مثل الجمعة والقائم المنتظر مثل السبت. وعن ذلك يقول الداعي جعفر بن منصور اليمن: والجمعة مثل محمد ﷺ فلهذا أمرنا بتعظيم يوم الجمعة وتشريفه فاتخذناه عيداً تعظيماً لنبينا محمد ﷺ. والسبت مثل القائم من آل محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين فهو سابع النطقاء والسبت سابع الأيام وهو اليوم الآخر[٣].

ونلحظ التفاضل بين النطقاء عندهم كذلك حينما يقسمون الشرائع بينهم لكل نبي شريعة معينة، يقول الداعي شهاب الدين: أن أول هؤلاء النطقاء آدم وقد جاء بالولاية لأنها أصل الدين والبداية وأتى بعده نوح بالطهارة ولأجلها وضعت الكناية والإشارة. ثم أتى ابراهيم بالصلاة لأنها صلة العبد بمولاه، وجاء موسى بالزكاة؛ لأن فيها

(١) سورة المؤمنون: ١٢ـ١٤.

(٢) رسالة جلاء العقول لابن الوليد ص١٣٧.

(٣) مخطوطة الشواهد والبيان ورقة ٤٠.

امتحان في العطاء والهبات. وبعده أتى عيسى بالصوم تنبيهًا للغافل المتكاسل في النوم. ثم أتى محمد ﷺ بالحج تنبيهًا لكل من كفر بالدين ولبح. وسوف يأتي قائم الزمان بالجهاد حثًا على المواظبة على فروض الدين والاجتهاد[١].

أما أدوار هؤلاء النطقاء فإن الاسماعيلية يرون أن لكل واحد منهم دوراً وتبتديء هذه الأدوار بدور آدم عليه السلام وتنتهي بدور الناطق السابع محمد بن اسماعيل ويسمى ما بين هذين الدوري (دوار كبيرا)، أما ما بين كل ناطق وناطق فيسمى (دواراً صغيراً) يتخلله سبعة أئمة، وعن ذلك يقول السجستاني: إن أدوار النطقاء سبعة تبدأ من آدم صاحب الدور الأول وتنتهي بالقائم صاحب الدور السابع، وهذا الدور يسمى الدور الكبير، أما بين كل ناطق وناطق فيسمي دوراً صغيراً ويكون فيه سبعة أئمة إلا في الفترات[٢].

فآدم هو الناطق الأول للدور الأول وأساسه الصامت شيث وبعده ستة أئمة. وبعده نوح صاحب الدور الثاني وأساسه الصامت سام وبعده ستة أئمة. وبعده ابراهيم صاحب الدور الثالث وأساسه الصامت اسماعيل وبعده ستة أئمة. وبعده موسى صاحب الدور الرابع وأساسه الصامت هارون وبعده ستة أئمة. وبعده عيسى صاحب الدور الخامس وأساسه شمعون الصفا ومن بعده ستة أئمة. ومن بعده محمد صاحب الدور السادس وأساسه علي ومن بعده أئمة كثيرون حتى القائم الذي هو صاحب الدور السابع وصاحب الكشف والظهور[٣].

(٧) استمرار النبوة والرسالة عندهم.

من أبرز معتقدات الاسماعيلية في هذا الفصل اعتقادهم الصريح استمرار النبوة

---

(١) رسالة مطالع الشموس للداعي أبي فراس ص٣٣ ـ ٣٤.

(٢) فسر السجستاني هذا الاستثناء في الفصل قبل هذا ووضع عنوانًا لذلك قوله (الفترة التي تقع في الأدوار) وقال: إن الفترة مشتقة من الفتور أو الإعياء أو الملل، والمقصود منهاانقطاع دور الإمامة وزوال التأييد عن أصحاب هذه الفترة لعصيانهم وتمردهم!! انظر إثبات النبوات ص١٩٢.

(٣) إثبات النبوات للسجستاني ص١٩٣.

والرسالة وعدم إيمانهم ختمهما بالنبي الخاتم نبينا محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام فهم يعتقدون صراحة بنبوة ورسالة قائمهم محمد بن اسماعيل الذي يسمونه بالناطق السابع ولايجدون غضاضة في القول بأنه أتى ناسخًا لشريعة الرسول السادس بل ناسخًا لجميع الشرائع كلها والتي أتى بها النطقاء الستة قبله وهذه عباداتهم ـ بل كفرياتهم ـ في هذا المعتقد.

يقول السجستاني: إن من وقف على حد ابراهيم وآمن به وصدقه في دعواه ولم يعبره إلى حد موسى فقد فرق بينه وبين موسى والذي أوصل الله حده بحده. ومن وقف على حد موسى وآمن به وصدقه ولم يعبره إلى حد عيسى فقد فرق بينه وبين عيسى والذي أوصل الله حده به. ومن وقف على حد عيسى وآمن به وصدقه ولم يعبره إلى محمد ﷺ فقد فرق بينه وبين محمد والذي أوصل الله حده بحده. ومن وقف على محمد ﷺ وآمن به وصدقه ولم يعبره إلى حد القائم كما قال: بعثت أنا والساعة كهاتين فقد فرق بينه وبين صاحب القيامة والذي أوصل الله حده بحده[1].

ويقول أيضًا تحت عنوان (في دور القائم ورسومه وقدرتها):

إن القائم سلام الله على ذكره في الولادة والاغتذاء وظهور النسل عنه كآبائه عليهم السلام ولا فرق بينه وبينهم من هذه الجهة إلا بشرف الرتبة وهو متمم النطقاء، فإذا ظهر ظهرت الآيات وتكشفت المستورات وأفطر المؤمنون من صيامهم وأن القائم هو نهاية الكل من الرسل وهو يجمع بين النواميس المختلفة المتفرقة المتباينة بالكشف عن حقائقها فتصير مجموعة كأنها شريعة واحدة وكأن أممها أمة واحدة[2].

ويقول الداعي طاهر الحارثي: أن محمد بن اسماعيل يعتبر متمًا للدور وخاتمًا للرسل المنتهية إليه غاية الشرائع المختومة به المشتمل على مراتب حدودها المحيط بعلومهم وهو القائم بالقوة صاحب الكشفة الأولى قائم القيامة الكبرى.

ومما يقول الاسماعيليون عن نبيهم المزعوم: إن قيامه يعتبر تمام دور الستر واعتقاد

---

(١) إثبات النبوات للسجستاني ص٤٢ ـ ٤٣.

(٢) المرجع السابق ص١٩١.

دور الكشف ونسخ شريعة الرسول السادس ـ ويقصدون بذلك محمد ﷺ ـ ومن أدعية الحاكم العبيدي المعز قوله: وعلى القائم بالحق الناطق بالصدق التاسع من جده الثامن من أبيه الكوثر السابع من آبائه الأئمة سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيث وسابع الأئمة من البررة... إلى قوله الذي شرفته وعظمته وكرمته وختمت به عالم الطبيعة وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ﷺ كل ذلك بالقوة لا بالفعل[1].

ومن عباراتهم عنه قولهم إنه المحدد للنسخ بخروجه بالسيف وظهوره وقلة استتاره وقتله الأضداد وقهره لهم وكونه أقوى من الناسخ وأعظم قدرة وأظهر أمراً[2].

ومما قالوا أيضاً عن قائمهم هذا: إن ما ورد من خبر الرسول ﷺ من صفة العرش واستواء الرب عليه ومجيئه في ظل من الغمام والملائكة للمجازاة والمحاسبة والإثابة والمعاقبة إن ذلك كله يصح ظاهره في قائم القيامة على ذكره السلام المستوفي قوي السموات والأرض الستة الذين هم النطقاء الستة في مدة أدوارهم الستة المكنى عنهم بخلق السموات والأرض في ستة أيام وكان معنى استوائه على العرش في اليوم السابع هو أنه على ذكره السلام محيط بهم إحاطة العلم مالك لأمرهم ملكا[3].

ومن تأويلاتهم الباطنية للآيات القرآنية لتأكيد معتقدهم هذا أن الداعي الاسماعيلي جعفر بن منصور اليمن أول المقصود بمن آمن بالله واليوم الآخر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[4] بأن المقصود منه القائم سابع النطقاء فمن آمن به من كل فرقة وعمل صالحًا بطاعته كان لهم أجر ذلك عند ربهم ولا خوف عليهم حتى من كان منهم في التكذيب لمن قبله في الرسل؛ لأنه خاتم الرسل وصاحب الفضل

(١) الحقائق الخفية للأعظمي ص١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) المرجع السابق ص١٣١.

(٣) جلاء العقول لابن الوليد ص١٤٣ ضمن كتاب منتخبات اسماعيلية لعادل العوا.

(٤) سورة المائدة: ٦٩.

صلى الله عليه وسلم[١].

ولا يخفى ما في هذا النص من الطعن بالرسول ﷺ ومن قبله من الأنبياء والرسل كما لا يخفى أيضًا التصريح برسالة ونبوة قائمهم!

وفوق ذلك كله ادعوا أن لفظ شهادة أن محمداً رسول الله التي ترد في الأذان إنما المقصود بها محمد بن اسماعيل وأن رسول الله ﷺ حينما يقول تلك العبارة إنما يعني محمد بن اسماعيل أيضًا إذ لا يمكن أن يقول ذلك عن نفسه[٢].

وفي كتاب باطني آخر علل كون الشهادة مثناة في الأذان أن الأولى للرسول ﷺ والثانية لمحمد بن اسماعيل الذي هو متم دوره وهو سابع الرسل. بل إن هذا الباطني قال ما هو أغلظ كفراً وإلحاداً مما سبق حيث اعتبر قائم القيامة أمره فوق هؤلاء الرسل فكل واحد منهم لا يعدو سوى عضو من أعضائه فهو القائم الكلي الذي صار عقلاً كليًا كأحد العقول الإبداعية المجردة فهو القائم بتدبير العالم[٣].

ويذهب بهم التأويل الباطني شأوا بعيداً حينما زعموا أن الرسول المذكور في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٤]، بأن المقصود منه القائم السابع حيث أن النبي محمد ﷺ انتقل إلى جوار ربه واليهود والنصارى لا زالوا على دينهم فلم يتم ظهور هذا الدين إلا في عهد القائم فالضمير في (رسوله) (ويظهره) المقصود منه القائم المنتظر[٥].

وأخيراً ففي نصوصهم ما يدل دلالة يقينية على أن قائمهم أفضل وأكمل من صفوة الخلق وأفضلهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

---

(١) مخطوطة كتاب الشواهد والبيان ورقة ٤٢.

(٢) انظر مسائل مجموعة من الحقائق جمع شتروطمان ص٩٩.

(٣) انظر كتاب الأنوار اللطيفة للداعي الحارثي ص١٦١ ضمن كتاب الحقائق الخفية للأعظمي.

(٤) سورة التوبة: ٣٣، سورة الفتح: ٢٨، سورة الصف: ٩.

(٥) مخطوطة الشواهد والبيان لجعفر بن منصور اليمن ورقة ٣٢ ـ ٣٣.

يقول الداعي أبو فراس في كتابه الإيضاح: إن كل خلف يكون أفضل من كل سلف فنوح أفضل من آدم، وابراهيم أفضل من نوح، إلىٰ أن تهيأ ظهور من هو أفضل من ابراهيم وهو موسىٰ ثم ظهر من هو أفضل من موسىٰ وهو عيسىٰ إلىٰ أن تهيأ ظهور من هو أفضل من عيسىٰ وهو محمد إلىٰ أن تهيأ ظهور من هو أفضل من محمد وهو القائم[1]!

وبهذه العبارات المختارة من مؤلفاتهم ومصادرهم والتي تصور مذهبهم في هذا الأصل انتقل بعد ذلك إلىٰ ما سطره علماء الفرق والمقالات حيث كشفوا عن سرائرهم وباطنيتهم وبينوا معتقدهم عن النبوة والأنبياء وما فيه من زيغ وضلال وانحراف.

تصوير علماء الفرق لمعتقد الاسماعيلية عن النبوة والأنبياء:

يقول الملطي إن القرامطة ـ وهم فرقة من فرق الاسماعيلية ـ قالوا: إن الأنبياء والأئمة تولدوا من النور الشعشعاني المتولد من النور العلوي فهم بخلاف طبائع الناس والأنبياء لديهم يعلمون الغيب ويقدرون علىٰ كل شيء ولا يعجزهم شيء ويقهرون ولا يُقهرون ويَعلمون ولا يُعلمون ولهم علامات ومعجزات وأمارات ومقدمات قبل مجيئهم وظهورهم وبعد ظهورهم يُعرفون بها وهم مباينون لسائر الناس في صورهم وأطباعهم وأخلاقهم وأعمالهم[2].

ويقول الإمام الغزالي: إن مذهبهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة وهو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق ـ بواسطة التالي ـ قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنتقش ـ عند الاتصال بالنفس الكلية ـ بما فيها من الجزئيات كما قد يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام حتىٰ تشاهد من مجاري الأحوال في المستقبل إما صريحًا بعينه أو مدرجًا تحت مثال يناسبه مناسبة ما فتفتقر فيه إلىٰ التعبير إلا أن النبي هو المستعد لذلك في اليقظة فلذلك يدرك النبي الكليات العقلية عن شروق ذلك النور وصفاء القوة النبوية كما ينطبع مثال المحسوسات في القوة الباصرة من العين عند شروق

---

(١) كتاب الإيضاح للداعي أبي فراس ص٤٣.

(٢) التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي ص٢٠.

نور الشمس على سطوح الأجرام السفلية.

وزعموا أن جبرائيل عبارة عن العقل الفائض عليه ورمز إليه لا أنه شخص منسجم متركب عن جسم لطيف أو كثيف يناسب المكان حتى ينتقل من علو إلى سفل.

وزعموا أن هذه القوة القدسية الفائضة على النبي لا تستكمل في أول حلولها كما لا تستكمل النطفة الحالة في الرحم إلا بعد تسعة أشهر فكذلك هذه القوة: كمالها في أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت وهكذا تنتقل إلى أشخاص بعضهم بعد بعض حتى يكمل في السابع.

ثم ينقل عنهم أيضًا أنهم قالوا: كل نبي لشريعته مدة فإذا انصرمت مدته بعث الله نبيًا آخر ينسخ شريعته ومدة شريعة كل نبي سبعة أعمار وهو سبعة قرون فأولهم هو النبي الناطق ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله. ومعنى الصامت: أن يكون قائمًا على ما أسسه غيره ثم أنه يقوم بعد وفاته ستة أئمة. إمام بعد إمام فإذا انقضت أعمارهم ابتعث الله نبيًا آخر ينسخ الشريعة المتقدمة وزعموا أن أمر آدم جرى على هذا المثال وهو أول نبي ابتعثه الله في فتح باب الجسمانيات وحسم دور الروحانيات.

وبعد نقل الغزالي لجميع مزعمهم في النبوات يؤكد على أن هذه المعتقدات مستخرجة من مذاهب الفلاسفة في النبوات مع تحريف وتغيير[1].

ويحكم البغدادي على الباطنية ـ والاسماعيلية فرقة منهم ـ بأنهم دهرية زنادقة لقولهم بقدم العالم وإنكارهم للرسل والشرائع ويستدل على ذلك بكتاب السياسة والبلاغ الأكيد وفيه رسالة متبادلة بين عبيد الله المهدي ـ أول أئمة دور الظهور عند الاسماعيلية ـ وداعية من دعاته ومما ورد في هذه الرسالة قول الداعية: وأنا والفلاسفة مجمعون على أن الأنبياء ما هم إلا أصحاب نواميس وحيل ساسوا بها الناس طلبًا للزعامة بدعوى النبوة والإمامة. وكل واحد من هؤلاء صاحب دور مسبع إذ انقضى دور سبعة تبعهم سبعة في دور آخر ومما جاء في هذا الكتاب أيضًا الوصية التالية من الإمام الاسماعيلي لأحد دعاته قائلاً: وينبغي أن تحيط علمًا بمخاريق الأنبياء

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص٤٠ ـ ٤٣.

ومناقضاتهم في أقوالهم كعيسى ابن مريم قال لليهودي لا أرفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الأحد بدلاً من السبت وأباح العمل في السبت وأبدل قبله موسى بخلاف جهتها ولهذا قتلته البلاد لما اختلفت كلمته.

ثم قال له: ولا تكون[1] كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال: الروح من أمر ربي لما لم يحضره الجواب ولا تكون كموسى التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة ولما لم يجد المحق ـ فرعون ـ في زمانه عنده برهانًا قاله له: لئن اتخذت إلهًا غيري. وقال لقومه: أنا ربكم الأعلى لأنه كان صاحب الزمان في وقته[2].

ونقل البغدادي أيضًا عن بعض من دخل في دعوى الباطنية وتاب من ضلالهم أنهم لما وثقوا منه بإيمانه بدعوتهم قالوا له: إن المسمين بالأنبياء، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نواميس ومخارق أحبوا الزعامة على العامة فخدعوهم بنيرنجات واستعبدوهم بشرائعهم[3].

أما الديلمي فيقول إن الباطنية ـ والاسماعيلية فرقة منهم ـ يجحدون النبوات وينكرون المعجزات ويزعمون أنها من قبيل الشعبذة والطلسمات ويقولون إن النبوة مادة ترد عن السابق على قلب من وقعت به للتالي عناية وأنه إنما يأتي من ما يقال أنه معجز لمعرفته بخواص الأشياء وطبائعها ويطعنون على الأنبياء صلوات الله عليهم جميعًا خصوصًا محمداً ﷺ ويسمونه زعيم الأمة المنكوسة[4].

ويصور العلوي مذهب الاسماعيلية في النبوات فيقول: وقولهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة ولكنهم ضعفوا عن معقول كلام الفلاسفة فخبطوا فيه وقالوا: إن النبي عبارة عن شخص فاض عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية

---

(١) والصواب قوله: ولا تكن.

(٢) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٨ ـ ٢٨١.

(٣) المرجع السابق ص٢٨٢.

(٤) بيان مذهب الباطنية وبطلنه للديلمي ص٣٥ ـ ٣٦.

صافية مهيأة لأن تنقش عند الاتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجريان كما يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام حتى تشاهد في مجاري الأحوال في المستقبل لذلك في اليقظة، فلذلك يدرك النبي الكليات عند صفاء القوة النبوية كما سطع مثال المحسوسات في القوة الباصرة من العين عند شروق الشمس على سطوح الأجسام الصقيلة[١].

وفي معرض الرد على الاسماعيلية من الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى يصور مذهبهم في النبوات بقوله: إن هؤلاء القوم ما قدروا الله حق قدره ولا قدروا الأنبياء قدرهم لما ظنوا أن الإنسان إذا كان فيه استعداد لكمال تزكية نفسه وإصلاحها فاض عليها بسبب ذلك المعارف من العقل الفعال كما يفيض الشعاع على المرآة المصقولة إذا جليت وحوذى بها الشمس. وإن حصول النبوة ليس هو أمراً يحدثه الله بمشيئته وقدرته وإنما حصول هذا الفيض على هذا المستعد كحصول الشعاع على هذا الجسم الصقيل... ثم يضيف ابن تيمية إلى أن هؤلاء الملاحدة يدعون أن خطابه لموسى بن عمران ليس هو إلا ما حصل في نفس موسى من الإلهام والإيحاء والواحد من أهل الرياضة والصفاء قد يخاطب كما خوطب موسى بن عمران وأعظم من ذلك. وأنه قد يسمع نفس الخطاب الذي سمعه موسى. ومن هؤلاء من يقول إن الخطاب الذي يحصل لهم أفضل مما حصل لموسى وغيره وهذا مذهب ابن عربي صاحب الفتوحات المكية[٢].

وأمثاله ممن يدعي أن ما حصل لموسى ومحمد إنما كان بواسطة الخيال النفساني الذي هو عنده جبريل وأن ما يحصل لابن عربي هو فوق ذلك فإنه يأخذ من المعدن العقلي المحض الذي يأخذ منه الملك الذي هو عندهم خيال في نفس النبي ومرتبة العقل فوق مرتبة الخيال فلما اعتقدوا أن الملائكة التي تخاطب الأنبياء إنما هي خيالات تقوم

---

(١) الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ليحيى العلوي ص٥٣.

(٢) من المعروف أن مذهب الفلاسفة الاسماعيلية في النبوات مذهب واحد كما نقل ذلك عن علماء الفرق والمقالات فابن عربي واحد من فلاسفة الصوفية الذين يعبرون عن معتقدهم في النبوات.

بنفس الأنبياء زعموا أنهم إذا أخذوا عن العقل المحض كانوا قد أخذوا من المعدن الذي تأخذ منه الملائكة الذين أخذ عنهم الأنبياء فكانوا أفضل من الأنبياء عند أنفهسم وعند أتباعهم[١].

وينقل الشهرستاني مذهبهم عن الأفلاك وحركاتها ومن خلالها أوجبوا ما يسمونه بالناطق وهو النبي يقول عنهم أنهم قالوا:

ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة فحدثت الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس وحدثت الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس أيضًا فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والإنسان واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان وكان نوع الإنسان متميزاً عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار وكان عالمه في مقابلة العالم كله وفي العالم العلوي عقل ونفس كلي فوجب أن يكون في هذا العالم عقل مشخص هو كل وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق وهو النبي ونفس مشخصه وهو كل أيضًا وحكمه حكم الطفل الناقص المتوجه إلى الكمال أو حكم النطفة المتوجهة إلى التمام أو حكم الأنثى المزدوجة بالذكر ويسمونه الأساس وهو الوصي.

قالوا: وكما تحركت الأفلاك والطبائع بتحريك النفس والعقل كذلك تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوحي في كل زمان دائراً على سبعة سبعة حتى ينتهي إلى الدور الأخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع[٢].

وهكذا وكما استنبط أحد الكتاب المعاصرين من كتابات المتقدمين نجد أن النبوة عندهم عبارة عن مادة ترد من السابق فتقع على حقائق الأشياء وبواطنها وخاصيتها فيحصل من خلال ذلك معرفة تركيب الأفلاك وطبائع الأجسام فالأنبياء بنوا شرائعهم

---

(١) انظر كتاب الصفدية لابن تيمية ١/ ٢٢٩ ـ ٢٣١.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ص١٩٣ ـ ١٩٤.

على حقائق تركيب الأفلاك[1].

ومن خلال هذه النصوص التي تقدمت ـ سواء كانت اسماعيلية أو سنية ـ نستطيع أن نرسم المنطلقات الأساسية لمعتقد الاسماعيلية عن النبوة والأنبياء فهم:

أولاً: اعتبروا النبوة رتبة يمكن لأي مدعي الوصول إليها ولا سيما المستجيبين لفكرتهم ودعوتهم ومن أبرز ذلك ما يسمونه بالناطق وهذا اللفظ يطلق في بعض عباراتهم على النبي أو الرسول، وفي البعض الآخر رتبة عالية من رتب المرتقين في سلم الدعوة يصل إليها المستجيب.

وتبعًا لذلك عرفوا النبوة تعريفًا يعتبرها قدرًا مشتركًا بين سائر البشر كسائر العلوم والمدركات التي تنال بالجهد والكسب.

وثانيًا: اعتبروا رتبة الولاية والوصاية أعظم قدرًا وأفضل منزلة من رتبة النبوة والرسالة ومن هذا المنطلق اعتقدوا أن بعض أئمتهم وزعمائهم أندادًا ومماثلين للأنبياء والرسل بل فضلوهم في بعض الحالات ويبدوا هذا واضحًا من خلال عباراتهم عن محمد بن اسماعيل.

وثالثًا: أنكروا معجزات الأنبياء والرسل واعتبروها من جملة المخاريق والشعبذة وما ورد من هذه المعجزات مما لا سبيل إلى رده فسروه حسب تأويلاتهم الباطنية.

ورابعًا وأخيرًا لا يؤمنون بختم النبوة وانقطاع الوحي وانتهاء الرسالات بل اعتقدوا خلاف ذلك مما جعل المجال مفتوحًا أمام المشعوذين والدجالين سواء منهم أو من غيرهم.

إن هذه الضلالات الأربع التي استخلصتها آنفًا من نصوصهم ونصوص علماء الفرق تعتبر من أظهر معتقداتهم وأبرزها عن النبوات والأنبياء وهي كافية لإيضاح ضلالهم وإلحادهم في هذا الأصل، ولو ذهبنا نستقصي كل ما قالوا وسطروا لوجدنا الكثير من الغثاء الذي لا قيمة له لفظًا ومعنى وحسبنا أن انحرافاتهم في هذا الأصل

---

(١) مقدمة كتاب الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام للنشار ص٢١.

جميعًا راجعة إلى هذه الضلالات الأربع ومتفرعة عنها.

الضلالة الأولى: أن النبوة عند الاسماعيلية أمر كسبي ينال بالجهد والتعلم والرياضات النفسية ويمكن الوصول إلى درجة النبوة من هذه الطرق أو غيرها ولذا ـ وكما سبق بيانه في رتب المستجيبين ـ يصل المستجيب إلى رتبة الناطقية بعد تدرجه في مراحل الدعوة وبلوغه الغاية القصوى في المذهب حتى يصبح ناطقًا من النطقاء الذين هم الأنبياء والرسل. إن هذه الضلالة والمنطلق لديهم يعتبر من أعظم المداخل التي استند إليها المتنبئون ومدعو الرسالات ولا سند لهم فيه من دين أو عقل، وبيان ذلك من وجهين:

الأول: القرآن الكريم حيث وردت الآيات الكثيرة التي تنسف هذا المنطلق وتبين بوضوح وجلاء أن النبوة اصطفاء وتفضل ومنه من الله عز وجل وليست مكتسبة كما يزعم الباطنية وأساتذتهم من الفلاسفة.

قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** (٧٥) ﴾[1].

يقول سيد رحمه الله على هذه الآية: إن الله القوي العزيز يختار رسله من الملائكة إلى الأنبياء ويختار رسله من البشر إلى الناس وذلك عن علم وخبرة وقدرة وعن صاحب القوة العزيز الجناب يصدر الاختيار للملائكة والرسل ومن لدن القوي العزيز جاء محمد ﷺ الذي اختاره واصطفاه[2].

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ** (١٢٤) ﴾[3].

---

(١) سورة الحج: ٧٥.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ٥/ ٦٣٠.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٤.

يقول الشوكاني على هذه الآية: والمعنى إذا جاءت الأكابر آية قالوا هذه المقالة فأجاب الله على ذلك بقوله: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه ﴾ أي أن الله أعلم بمن يستحق أن يجعله رسولاً ويكون موضعًا لها وأمينًا عليها وقد اختار أن يجعل الرسالة في محمد صفيه وحبيبه فدعوا طلب ما ليس من شأنكم[١].

ويقول سيد عن هذه الآية أيضًا: والله وحده سبحانه هو الذي يعلم أين يضع رسالته ويختار لها الذات التي تنتدب من بين ألوف الملايين ويقال لصاحبها: أنت منتدب لهذا الأمر الهائل الخطير. والذين يتطلعون إلى مقام الرسالة أو يطلبون أن يؤتوا مثل ما أوتي الرسول هم أولا من طبيعة لا تصلح أساسًا لهذا الأمر فهم يتخذون من ذواتهم محوراً للوجود الكوني والرسل من طبيعة أخرى طبيعة من يتلقى الرسالة مستسلمًا ويهب لها نفسه وينسى فيها ذاته ويؤتاها من غير تطلع ولا ارتقاب. ثم هم بعد ذلك جهال لا يدركون خطورة هذا الأمر الهائل ولا يعلمون أن الله وحده هو الذي يقدر بعلمه على اختيار الرجل الصالح لذلك يجبههم الرد الحاسم ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه ﴾ وقد جعلها الله سبحانه حيث علم واختار لها أكرم خلقه وأخلصهم وجعل الرسل هم ذلك الرهط الكريم حتى انتهت هذه الرسالات إلى محمد خير خلق الله وخاتم النبيين[٢].

وقال تعالى: ﴿ ... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ... ﴾[٣] إلخ الآية.

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) ﴾[٤].

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٢/ ١٥٩.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ٣/ ٣٧٨، ٣٧٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٩.

(٤) سورة الشورى: ٥٢.

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾[1].

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾. أي بالرسالة والنبوة فالنبوة[2]. إذًا ليست أمرًا كسبيًا إنما هي منه من الله عز وجل يمن بها على من شاء من عباده.

وقال تعالى في شأن نبوة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[3].

وقال تعالى في شأن نبينا محمد ﷺ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ...﴾[4].

والآيات التي تنص على أن النبوة والرسالة اصطفاء واختيار من الله عز وجل كثيرة جدًا وهي ترد على مزاعم الاسماعيلية ومن حذا حذوهم من فرق الباطنية الأخرى والفلاسفة القائلين بأن النبوات تنال بالجهد والكسب والمزاولة وغير هذه الأمور.

الوجه الثاني:

إن هذا المنطلق - وهو اعتقاد كسبية النبوة - يخالف ما أجمع عليه المسلمون على تعدد مقالاتهم وفرقهم ولم يشذ بهذا القول سوى الفلاسفة وفرق الباطنية وهي جميعًا خارجة من فرق الأمة سواء بهذا المعتقد أو غيره من المعتقدات الأخرى وهذه بعض نصوص علماء العقيدة على دلالة هذا الوجه الذي ذكرناه آنفًا.

يقول ابن تيمية: وهؤلاء عندهم النبوة مكتسبة وكان جماعة من زنادقة الإسلام (كذا) يطلبون أن يصيروا أنبياء.

---

(١) سورة ابراهيم: ١١.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٢٥.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٤.

(٤) سورة النساء: ١٦٣.

والحاصل أن النبوة فضل من الله وموهبة ونعمة يمن بها سبحانه ويعطيها لمن يشاء من عباده أن يكرمه بالنبوة فلا يبلغها أحد بعلمه ولا يستحقها بكسبه ولا ينالها عن استعداد ولايته بل يخص بها من يشاء من خلقه ومن زعم أنها متكسبة فهو زنديق يجب قتله؛ لأنه يقتضي كلامه واعتقاده أن لا تنقطع وهو مخالف للنص القرآني والأحاديث المتواترة؛ لأن نبينا ﷺ خاتم النبيين عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام[١].

ويقول في موضع آخر: والنبوة الحق هي إنباء الله لعبده ونبي الله من كان الله هو الذي ينبأه ووحيه من الله وأما هؤلاء المتنبئين فإن وحيهم من الشيطان ولهذا كان من أصولهم أن النبوة مكتسبة[٢].

ويعبر الآمدي عن أن النبوة اصطفاء واختيار من الله عز وجل يعبر عن ذلك بقوله: وليست النبوة معنى يعود إلى ذاتي من ذاتيات النبي ولا إلى عرض من أعراضه استحقها بكسبه وعمله ولا إلى العلم بربه فإن ذلك مما يثبت قبل النبوة ولا إلى علمه بنبوته إذ العلم بالشيء غير الشيء ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ فليست إلا موهبة من الله تعالى ونعمة منه على عبده وهو قوله لمن اصطفاه واجتباه: إنك رسول ونبي[٣].

ويقول الشهرستاني: والنبوة ليست صفة راجعة إلى نفس النبي ولا إلى درجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه ولا استعداداً لنفسه يستحق به اتصالاً بالروحانيات بل رحمة من الله تعالى ونعمة يمن بها على من يشاء من عباده[٤].

وإذا كانت هذه نصوص العلماء في نفي القول باكتساب النبوة فإنه حتى العلماء المتأثرين بالفلسفة أكدوا بأن النبوة وحي من الله عز وجل ولا دخل للكسب والتعلم الإنساني في بلوغ رتبتها.

يقول ابن رشد: إن الصنف الذين يسمون رسلاً وأنبياء هم الذين يضعون الشرائع

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/ ٢٦٨.

(٢) انظر كتاب النبوات لابن تيمية ص١٧٠.

(٣) غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص٣١٧.

(٤) نهاية الإقدام للشهرستاني ص٤٦٢.

للناس بوحي من الله لا بتعلم الإنسان ومن وجد عنه هذا الفعل ـ الذي هو وضع الشرائع ـ بوحي من الله تعالى فهو نبي[١].

أما المنطلق الثاني أو الضلالة الثانية في معتقد الاسماعيلية في النبوة والأنبياء فهو اعتبارهم الأولياء والأئمة أعظم قدراً وأفضل رتبة من الأنبياء والرسل وهذا المنطلق الخطير من منطلقات فرق الغلاة والملاحدة من فرق الصوفية والباطنية واشتهر به أكثر أصحاب وحدة الوجود الذين اشتهر عنهم هذا البيت:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي[٢]

ولا يخفى أن هذا الاعتقاد من الأهواء المضلة التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي عن طريق أصحاب الديانات الوضعية من صوفية الهند مع ما هو واضح مع فساد وبطلان هذا المعتقد نقلاً وعقلاً.

فمن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن الأنبياء والرسل أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ولا رسلاً والنصوص التي تدل على هذه الأفضلة كثيرة جداً سواء من القرآن أو السنة أو حتى من ناحية العقل فإنه لا يتصور وصول إلى رتبة الولاية إلا باتباع الرسل وما جاءوا به فالولي ـ كما هو معروف ـ مستفيد من النبي وتابع له فكلما قرب من النبي كان أفضل وكلما بعد عنه كان بالعكس ولذا كان للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار من الفضل والأجر ما ليس لغيرهم فأفضل أولياء الله من هذه الأمة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم جميعاً وأمثالهم من السابقين الأولين كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة ومع عظم منزلة هؤلاء كونهم أفضل أولياء الله تعالى بعد الأنبياء والمرسلين لم يدعى أحد منهم البتة أنهم ـ كالأولياء ـ أفضل من الأنبياء فكيف بمن يدعي الولاية وهو من أبعد البشر عنها وعن الأسباب الموصلة إليها فولاية أئمة الاسماعيلية ومن ضاهاهم من غلاة الصوفية تعتبر ولاية موهومة لا حقيقة لها ولا وجود ومن ثم فإنها دعوة كاذبة كغيرها من أكاذيبهم وادعاءاتهم الزائفة كيف لا

(١) منهاج الأدلة لابن رشد ص٢١٥.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٤/ ٥٨.

ولديهم ما يناقض ولاية الله ولهم من فساد في العقائد وانحراف عن المفاهيم الأساسية للإسلام وترك للعبادات وإعراض عما جاءت به الرسل من الخير والصلاح فولايتهم أقرب إلى أن تكون ولاية شيطانية بل هي كذلك لا صلة لها بالله ولا رسله أو كتبه.

ونلاحظ أن القرآن والسنة ينظران في الأولياء إلى معال سامية وأهداف عظيمة من وجدت فيه استحق أن يكون من أولياء الله فقد أخبر القرآن الكريم بأن أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وبين الله المتقين في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾[١].

وبينت السنة أن الطريق إلى الولاية هو أداء الفرائض والتقرب إلى الله بالنوافل[٢] والفرائض تشمل كل الواجبات المطلوبة من الإنسان. والنوافل تشمل كل الأعمال الصالحة التي رغب فيها الشرع فمن أجل هذه المعاني العملية التي في تلك الأعمال أطلقت كلمة ولي على الصحابة رضوان الله عليهم ولذا يقول الشوكاني: إن صحابة رسول الله ﷺ وهم الصنف الذي تتمثل فيه صفات الأولياء أتم تمثيل بعد الأنبياء وذلك لأن لهم النصيب الوافر من طاعة الله سبحانه ومن التقرب إليه بما يحبه ويرضاه ومن العمل بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ وقد جمعوا بين الجهاد بين يدي رسول الله ﷺ والعلم والعمل بما جاء به والوقوف معه في السراء والضراء. ولهذا فهم خير العالم بأسره لا يفضلهم أحد إلا الأنبياء والملائكة فإذا لم يكونوا رأس الأولياء وصفوة الأتقياء فليس لله أولياء ولا أتقياء فقول الله تعالى ـ كما جاء في الحديث القدسي ـ: «من عادىٰ لي وليًا» يصدق عليهم صدقًا أوليًا ومن يأتي بعدهم ممن يقال له أنه من الأولياء فليس يصدق عليه هذا الاسم إلا إذا كان متبعًا لرسول الله في أقواله وأفعاله ومحصلاً

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) وذلك كما في حديث أبي هريرة الذي أورده البخاري في صحيحه انظر فتح الباري ١١/ ٣٤٠ـ٣٤١.

من الأعمال ما حصله أصحاب رسول الله ﷺ في حياته وبعد موته[1].

وبهذا يتبين لنا بُعد فرق الباطنية ـ والاسماعيلية فرقة منهم ـ والصوفية عن الولاية ومدولاتها وأنهم من أبعد الناس عنها ولا يملكون من ذلك سوىٰ الإدعاء الكاذب الذي بنوا عليه معتقدهم بأفضلية أئمتهم وأوليائهم ـ إن كان لهم أولياء ـ علىٰ أنبياء الله ورسله.

هذا فضلاً عن أن معتقدهم هذا فيه من التنقيص بالأنبياء والرسل والازدراء بهم والتقدم عليهم بالدعاوىٰ الكاذبة التي ليس عليها حجة بل هي معلومة الفساد بأدنىٰ عقل وإيمان وأيسر ما يسمع من كتاب وقرآن.

أما المنطلق الثالث أو الضلالة الثالثة للاسماعيلية في باب النبوات فهو إنكار المعجزات التي أجراها الله عز وجل علىٰ أنبيائه ورسله وسبيلهم في ذلك أحد أمرين:

الأمر الأول: تأويل هذه المعجزات تأويلاً باطنيًا لا يتفق في كثير ولا قليل مع أدلة الشرع ونصوص اللغة.

الأمر الثاني: وصف هذه المعجزات بالأوصاف السيئة والشائنة كقولهم عنها طلسمات أو شعابيذ أو مخاريق وقد وردت هذه العبارات في وسط الرسالة المتبادلة بين إمام العبيديين وأبي طاهر القرمطي[2].

وكلا المسلكين باطل ومردود فالأول منهما لعب بالألفاظ حسب أمزجتهم وأهواءهم وسبق أن بينا بطلان التأويل وذلك في الفصل الأول من هذا الباب.

والثاني طعن صريح في القرآن والرسل وبيان ذلك من وجهين:

الأول أن الله عز وجل ذكر معجزات الأنبياء والرسل في مواضع كثيرة من القرآن فقال عن معجزة صالح ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ

---

(١) ولاية الله لابراهيم هلال ص١١٠ ـ ١١٢.

(٢) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٨ ـ ٢٨١.

عذابٌ أليمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[1].

وقال عن معجزتي موسىٰ وهما انقلاب العصا حية، وإخراج يده بيضاء من غير سوء ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾[2].

وقال تعالىٰ عن معجزة عيسىٰ ﴿ ... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي... ﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[4].

وأما معجزة الرسول ﷺ فهي من أعظم المعجزات وأدومها وهي معجزة باقية للأجيال المتتابعة تقرؤه وتؤمن به إلىٰ يوم القيامة بخلاف المعجزات المحسوسة والتي تخاطب جيلاً واحداً. إن معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام هي إنزال القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ولم يقاربوا وقد تحدىٰ الله العرب مع ما أتوا من فصاحة وبلاغة أن يأتوا بمثل هذا القرآن ثم تدرج بعشر سور مثله ثم بسورة من مثله[5].

ولم يزل يتحداهم بما كانوا يعتقدون في أنفسهم القدرة عليه والتمكن منه حتىٰ استكانوا وذلوا وصاروا حيال فصاحته في أمر مريج وما ذاك إلا لحسن بيانه وروعة معانيه ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه[6].

---

(١) سورة الأعراف: ٧٣.

(٢) سورة طه: ١٨ ـ ٢٢.

(٣) سورة المائدة: ١١١.

(٤) سورة المائدة: ١١٤.

(٥) الإشارة في ذلك إلىٰ سورة الإسراء: ٨٨، هود: ١٣، البقرة: ٢٣.

(٦) انظر مقدمة إعجاز القرآن للسيد صقر ص٥ ـ ٦.

إن وصف هذه المعجزات التي ذكرها الله في القرآن في مواضع متعددة بالشعبذة والمخرقة يعتبر من أعظم الإلحاد في آيات الله والطعن في كتابه الذي وصفه الله بقوله: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) ﴾[١].

الوجه الثاني: أن من لازم وصفهم معجزات الأنبياء والرسل بالأوصاف السيئة والشائنة الطعن في الأنبياء والرسل حيث أن أصحاب الشعبذة والمخرقة هم شياطين الإنس والجن من السحرة والكهنة والمشعوذين فهم بذلك يسوون بين هؤلاء وبين الأنبياء والرسل ولا ريب إن هذا طعن صريح في أنبياء الله ورسله الذين فضلهم الله وأكرمهم بالنبوة والرسالة وهذا الطعن من الاسماعيلية أشبه بطعن الكفار في الرسول ﷺ وفي معجزته الباقية القرآن حيث قالوا عنه ساحر أو مجنون وقالوا عن القرآن أنه سحر أو شعر أو قول كاهن وقد رد الله عليهم ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) ﴾[٢].

فالطعن في المعجزات سواء بإنكارها أو ما يؤول إلى الإنكار من تأويل أو تحقير يعتبر في الحقيقة هدم للنبوات وطعن أصحابها وما أرسلوا به من الوحي. ومن الواضح ـ كما ذكر أحد العلماء ـ أن الذي ينكر المعجزة لغرابتها وشذوذها عن المألوف خليق أن ينكر الوحي نفسه؛ لأنه أمعن في الغرابة وفي الشذوذ عن المألوف، والذي يعتقد حقًا أن النبي ﷺ ينزل عليه جبريل مرسلاً من عند الله سبحانه وتعال يكيف يكبر عليه أن يسلم بما يجري الله على يديه من غرائب وما يحفه به من أسباب الرعاية التي تخالف مألوف العادة[٣]؟

وخلاصة القول فإن طائفة الاسماعيلية بآرائها هذه تعتبر من أبعد الناس عن نور النبوة وضيائها وذلك لأنهم عمدوا إلى النصوص الواردة عن النبوة فتصرفوا فيها تأويلاً

(١) سورة فصلت: ٤٢.

(٢) سورة الحاقة: ٤١ ـ ٤٣.

(٣) اتجاهات هدامة، د. محمد حسين ص٢٤ ـ ٢٥.

أو تكذيبًا أو إعراضًا. وكذلك خالفوا الحس والعقل فأصولهم مبنية على مخالفة السمع والعقل والحس.

فحصيلة ما لديهم في هذا الباب مجموعة انحرافات مركبة وملفقة ولذا قال ابن تيمية: ومن أبعد المنحرفين عن النبوات المتفلسفة الباطنية والملاحدة فإن هؤلاء لم يعرفوا النبوة إلا من جهة القدر المشترك بين بني آدم وهو المنام وليس في كلام أرسطو وأتباعه كلام في النبوة والفارابي جعلها من جنس المنامات فقط ولهذا يفضل هو وأمثاله الفيلسوف على النبي[1].

أما الضلالة الرابعة للاسماعيلية فهي اعتقادهم الصريح بأن النبوة والرسالة لم تختم فهم لا يؤمنون بختم النبوة وانقطاع الوحي وانتهاء الرسالات بنبوة ورسالة الخاتم نبينا محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام. إن هذا الانحراف مناقض لعقيدة أساسية من معتقدات المسلمين والأدلة من القرآن والسنة تؤكد على هذه العقيدة وترد على من زعم أن النبوة لم تختم وذلك بصور متعددة:

أولاً: التصريح بالختم. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...﴾[2]. ففي هذه الآية الكريمة التصريح بخاتميته ﷺ للأنبياء قبله فلا نبي بعده ولا رسول وهذا هو ما فهمه المفسرون لكتاب الله سبحانه وتعالى من صدر الإسلام إلى يومنا هذا.

يقول الإمام الطبري: على قوله تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾ الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة. ثم ذكر عن قتادة في قوله: ﴿وخاتم النبيين﴾ أنه قال: أي آخرهم. ونقل القرطبي قول ابن عطية على قوله تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾ هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفًا وسلفًا متلقاة بالقبول على العموم التام مقتضية نصًا أنه لا نبي بعده ﷺ.

---

(١) كتاب النبوات لابن تيمية ص١٦٨.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.

ويقول الألوسي والمراد بكونه ﷺ خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه عليه الصلاة والسلام بها في هذه النشأة.

ثانيًا: عموم الرسالة المحمدية فالله عز وجل يقول: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...** ﴾[١] فهذه الآية الكريمة تدل على عموم رسالة محمد ﷺ إلى الناس جميعًا وهذه من الخصائص التي انفرد بها عن الأنبياء قبله إذ كان النبي إنما يبعث إلى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجًا إلى من يبلغهم أمر الله عز وجل ولئلا يتوهم هذا في رسولنا عليه الصلاة والسلام بين الله سبحانه وتعالى عموم رسالته إلى الناس جميعًا. يقول ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية:

يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ قل يا محمد يا أيها الناس وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي أني رسول الله إليكم جميعًا أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ﷺ أنه خاتم النبيين ومبعوث إلى الناس كافة ثم ساق الآيات والأحاديث الدالة على ذلك وقال بعدها والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصى وهو معلوم من دين الإسلام بالضرورة[٢].

ومن الأدلة على عموم رسالته ﷺ قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ...** ﴾[٣] وقوله: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)** ﴾[٤] وبذلك العموم يتضح أن رسالة محمد ﷺ خاتمة الرسالات وآخرها إذ لا تحتاج البشرية إلى دين جديد أو رسول جديد ما دام هذا الدين خاطبهم ووسعهم جميعًا.

ثالثًا: الإخبار بكمال الدين يقول تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾[٥].

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٢) تفسير القرآن لابن كثير ٢/ ٤٨٨.

(٣) سورة سبأ: ٢٨.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٥) سورة المائدة: ٣.

يقول ابن كثير رحمه الله على هذه الآية: إن هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق.

رابعًا: أن القرآن حجة على كل من بلغه قال تعالى: ﴿ ... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ... ﴾[1].

يقول صاحب مجمع البيان: وفي قوله تعالى ومن بلغ دلالة على أنه خاتم الأنبياء ومبعوث إلى الناس كافة. وقال مقاتل رحمه الله على هذه الآية: ومن يبلغ القرآن من الجن والإنس فهو نذير لهم يعني القرآن إلى يوم القيامة ومن صريح هذه الآية يظهر التأكيد لعقيدة ختم النبوة بنبوة نبينا ورسولنا محمد ﷺ؛ لأن القرآن الكريم سيبقى حجة الله عز وجل على خلقه إلى يوم القيامة.

أما السنة فالأحاديث كثيرة ومتعددة فبي بيان وإيضاح عقيدة ختم النبوة حتى أن بعض العلماء أكد التواتر في ذلك.

يقول البغدادي: وقد تواترت الأخبار عنه بقوله لا نبي بعدي ومن رد حجة القرآن والسنة فهو الكافر[2].

ويقول ابن حزم: وقد صح عن رسول الله بنقل الكواف التي نقلت نبوته وإعلامه وكتابه أنه أخبر أنه لا نبي بعده[3].

ويقول ابن كثير رحمه الله: وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب

---

(١) سورة الأنعام: ١٩.

(٢) أصول الدين للبغدادي ص١٦٣.

(٣) الفصل لابن حزم ١/ ٧٧.

أفاك دجال ضال مضل ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الألباب[١].

وذكر السيوطي أن حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من الأحاديث المتواترة[٢] ومن ألفاظ هذا الحديث قول الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي**» رواه البخاري وفي رواية لمسلم «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»[٣].

ومن الأحاديث الواردة في هذا المعنى قول الرسول ﷺ: «**وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**». رواه أبو داود والترمذي وأحمد[٤]. وقوله ﷺ: «**إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي**» رواه أحمد والترمذي[٥].

وقوله ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». رواه البخاري ومسلم[٦].

والأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة جدًا[٧]، و كلها ترد على الدجالين

---

(١) تفسر القرآن لابن كثير ٣/ ٤٩٤.

(٢) الأزهار المتناثرة للسيوطي ص٣٦.

(٣) فتح الباري ٨/ ١١٢، صحيح مسلم ٦/ ٤٦٦.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٤٥٢، سنن الترمذي ٦/ ٤٦٦، المسند لأحمد بن حنبل ٥/ ٢٧٨.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٣/ ٢٦٧، سنن الترمذي ٦/ ٥٥١.

(٦) انظر فتح الباري ٦/ ٥٥٨، صحيح مسلم ١٥/ ٥١.

(٧) سبق أن نقلنا نصًا للبغدادي ذكر فيه أن الأحاديث في ختم النبوة بلغت درجة التواتر، وذكر الطالب أحمد سعد حمدان في رسالته للماجستير وعنوانها عقيدة ختم النبوة ذكر في ص٦٥ أن الأحاديث الواردة لتأكيد عقيدة ختم النبوة تقارب الخمسة والستين حديثًا.

والمتنبئين سواء من الاسماعيلية أو من غيرهم من الفرق الضالة المنحرفة عن هذا الأصل من الأصول الإسلامية .

وبالجملة فإن انحرافات الاسماعيلية وغلوها في هذا الأصل له مظاهر كثيرة وحسبنا ما أشرنا إليه وبينا الأدلة الشرعية على بطلانه .

* * * * *

الفصل الرابع
معتقد الاسماعيلية في الآخرة

تقوم معتقدات الاسماعيلية في الأخرويات ـ كبقية معتقداتهم على أساس التأويل الباطني فما من أمر من أمور الآخرة إلا وأولوه تأويلاً باطنيًا يصل به إلى الجحد والإنكار مع تظاهرهم بعدم الإنكار والجحد.

وفي هذا الفصل سوف نستعرض ـ إن شاء الله ـ جميع ما يتعلق بهذه الأخرويات حسب ترتيب وقوعها ابتداء من الموت والنقلة من هذه الدار إلى وقوع الجزاء والثواب وذلك بالاستقرار في الجنة أو النار. وعند كل مسألة أخروية ننقل نصوصهم الدالة على هذا المعتقد لنصل بعد ذلك إلى حقيقة مذهبهم في هذا الركن الإسلامي العظيم وهو «الإيمان باليوم الآخر».

وقبل الدخول في تفصيل هذه المسائل الأخروية لابد أولاً من بيان مفهومهم لقيام قائمهم وصلته بقيام القيامة حيث أن تصورهم هذا هو القاعدة والأساس لهذا الركن الإيماني مع ما أشرنا إليه آنفًا من تأثير أصل التأويل الباطني في اعتقاداتهم في هذا الفصل.

أولاً: مفهوم قائم القيامة.

إن كلمة القائم تضاف في فكر الاسماعيلية إلى القيامة فلا يخلو كتاب من كتبهم التأويلية من عبارة «قائم القيامة» بل إنه حسب مدلول الفكر الاسماعيلي تعتبر كلمتا القائم وقيام القيامة تقعان على مدلول واحد فهم يعتقدون أن ظهوره هو قيام القيامة وبظهوره ينتهي دور الستر الذي كان واقعًا على من سبقه من النطقاء ويبتدىء دور الكشف والظهور، فإذا ظهر ألغيت الشرائع والتكاليف وبطلت الأعمال وانتهت دورة الحياة الاعتيادية وبعد ذلك يتولى القائم الحساب والجزاء في الدورة الجديدة فمعنى قيام القيامة ظهور القائم وبدء هذه المرحلة الجديدة من الحياة. وهذه نصوصهم التي تدل

على هذه المهزلة والأضحوكة.

يقول السجستاني: القائم من القيامة وهي موسومة بيوم الفصل؛ لأن الفصل إنما يكون بعد الخصومة والمنازعة وهكذا القائم يفصل بين أهل الأديان ويظهر الحقائق. فيلزمهم جميعًا بالرجوع إلى هذه الحقائق والقرار عليها(١).

ويقول الحارثي: فإذا اجتمعت الخلائق بين يدي القائم وتشخص كل حد من الحدود والأئمة والأوصياء والنطقاء لأهل زمانه وعصره ووافقهم على جميع أفعالهم وأعمالهم واستقر كل واحد منهم بما صنع أمر بهم فضربت أعناقهم جميعًا وأرسلت عليهم نار فأحرقت جميعهم واستحالوا في الوقت والحال فصاروا بخاراً ثم يصعد ذلك البخار إلى العقدتين... إلخ(٢).

ويقول أيضًا: إن القائم إذا ظهر وقع الحساب واستقبل بأهل العقاب العذاب وضوعف ثواب أهل الثواب وأقام الدعوة إلى أن يستخرج منها من يقوم مقامه في إقامة الدعوة وانتقل بمن في ضمنه إلى رتبة العقل العاشر عقلاً تامًا كاملاً نورانيًا كأحد العقول الإبداعية وصعد العقل العاشر إلى رتبة العقل التاسع وصار هذا القائم في رتبة العقل العاشر مدبراً لجميع عالم الطبيعة جرمانيها وجسمانيها إلى أن يستخلص قائمًا يقوم في مقامه... إلخ(٣).

ومما يدل دلالة قوية على أن محور عقيدة الاسماعيلية في القيامة والمعاد تدور على قائمهم السابع ما ذكره ابن الوليد بقوله: إن ما حكى القرآن وما أخبر به الرسول ﷺ من صفة العرش واستواء الرب عليه ومجيئه في ظل من الغمام والملائكة للمحاسبة والمجازاة والإثابة والمعاقبة ذلك كله يصح ظاهره في قائم القيامة المستوفى قوي السموات والأرض الستة الذين هم النطقاء الستة في مدة أدوارهم الستة.

ومعنى مجيئه في ظلل من الغمام والملائكة بروزه بمن في ضمنه من الصور

---

(١) إثبات النبوات للسجستاني ص١٩١.

(٢) الأنوار اللطيفة للحارثي ص١٤٣ ضمن الحقائق الخفية للأعظمي.

(٣) المرجع السابق ص١٤٥.

القدسانية والهياكل النورانية لكافة الخلق يوم فصل القضاء والمحاسبة لهم على سوابق أفعالهم والمجازاة لهم على سوالف مقدماتهم.

ونقل عن المؤيد قوله: إن المراد بالنبأ العظيم ويوم القيامة وما يحصل في ذلك من الجلوس على العرش لفصل القضاء والقيام بثواب المحسنين وعقاب المسيئين أن المراد بذلك هو قائم القيامة المجموعة له قوى الأنبياء والأوصياء والأئمة وأرباب التأييد كلهم... وبهذا يصح ما حكاه الكتاب من المجيء والذهاب والرضوان والزبانية ووقوع الرؤية والمحاسبة وإحصاء النقير والقطمير فيكون ذلك ظاهراً مثلاً لا إعوجاج فيه ولا ميل[1].

وفي كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن تأويلاً لآيات القرآن الواردة في القيامة وأحوالها يؤيد هذا التأويل الاسماعيلي لمعنى القيامة والبعث. فيوم الفصل الذي ذكره الله بقوله: ﴿**إن يوم الفصل كان ميقاتا**﴾ هو القائم الذي يفصل الله به بين الحق والباطل والمؤمن والكافر وهو ميقات أمر الله ونهايته وسابع النطقاء السبعة. ويوم النفخ في الصور الذي ذكره الله بقوله: ﴿**يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا**﴾ يعني يعلن بالدعوة إليه وقد ظهر أمره فتأتون أفواجًا فوجًا بعد فوج رغبة ورهبة[2].

وفي كتابه الرشد أول أيضًا جميع أسماء يوم القيامة بيوم قيام القائم فقال: إن ظهور القائم هو يوم التناد ويوم التلاق ويوم الآزفة ويوم التغابن والساعة والصاخة والغاشية وغيرها من الألفاظ فكلها تنبيء عن يوم ظهور الناطق السابع القائم[3].

وصرح الحامدي بأن البعث الحقيقي والنشور لأهل الحق ولأهل الباطل للجزاء إنما يكون عند قيام القائم على ذكره السلام[4].

وبمثل هذا أول قاضي الاسماعيلية ابن حيون في رسالته التي سماها بالرسالة

---

(١) انظر جلاء العقول لعلي بن الوليد ضمن منتخبات اسماعيلية ص١٤٣ ـ ١٤٦.

(٢) كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن ص١٧٠.

(٣) كتاب الرشد والهداية ص١٩٣.

(٤) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدي ص١٧٧ ضمن منتخبات اسماعيلية.

المذهبة فعند قوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ...﴾[1] قال إن النفخ في الصور هو ما يأتي به سابع النطقاء عليه السلام والصور الشرعية وسماها صور لأنها محيطة بجميع الشرائع. ومعن قوله: ﴿ونفخ في الصور...﴾ إلخ. فالسموات هم النطقاء ومن فيها من أهل الظاهر. والأرض في منزلة الأسس. ومن فيها من أهل الباطن الذين ستروا الأمر. ثم استأنف بعد ذلك بقوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ وهم المؤمنون الصابرون علىٰ البأساء والضراء فهذه الكشفة الأولىٰ التي تجري علىٰ يد القائم. وأما الثانية فهو قوله: ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون...﴾ إلخ فذلك عند اتصاله في النفس وهي المنزلة التي بها الكمال والتمام وفي المنزلة يظهر له جميع الحدود العلوية الكروبية ولذلك قيل إن له منزلتين يظهر بهما في الجسمانية والروحانية وإذا ظهر بهذه المنزلة حاسب أهل الجسمانية وأهل الروحانية وهو ظهوره في العالم السفلي والعالم العلوي... إلخ النص.

وفي آخره قال: إن العرض ويوم الفصل ويوم الحساب واليوم المعلوم التي ذكرها الله في القرآن أنها إشارة إلىٰ القائم[2].

وهكذا نجد أن أقوال دعاة الاسماعيلية وعلمائها تدور حول قائم الزمان الذي أسموه بقائم القيامة وتنطلق من القيامة الصغرىٰ الخاصة بخلاص النفس من الجسد بعد الموت والقيامة الكبرىٰ المتعلقة بعودة النفس الكلية إلىٰ مبدعها تمهيداً لقيام القائم وانتهاء الدور حيث يجري الحشر الأكبر والحساب، فالمؤمن العارف الذي يقف علىٰ حقائق الأشياء ينتقل من العالم الطبيعي بعد الموت إلىٰ العالم الروحاني مغتبطًا مثابًا لما اكتسبه من علوم ومعارف بنور التأييد من جهة المؤيد المفيد[3].

---

(١) سورة الزمر: ٦٨.

(٢) الرسالة المذهبة للقاضي النعمان ص٧٤ ـ ٧٥ ضمن خمس رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر.

(٣) في رحاب إخوان الصفا لغالب ص٢٥٨.

ثانيًا: تأويل القيامة وما بعدها.

إن التتبع لكتب الاسماعيلية وتأويلها مراحل الإنسان من قيامته حتى بعثه وحشره ثم حسابه وجزاءه بالجنة أو النار يجد مفاهيم عجيبة غريبة عن هذه المراحل وكلها تنبع من حقيقة واحدة لديهم هي الإنكار الكامل والمخالفة التامة لما أجمعت عليه الأمة الإسلامية من معنى القيامة وهي بعث الأموات من قبورهم وقيامهم مرة أخرى لحياة أخرى يثاب فيها المحسن ويعاقب المسيء. وفيما يلي تفصيل هذه المراحل وبيان معناها ومدلولها عند الاسماعيلية وتوثيق ذلك بأقوالهم ونصوصهم.

(١) المـوت:

يؤول الاسماعيلية الموت بأنه مفارقة الروح للجسم ورجوع كل شيء إلى جنسه، فالروح تصعد إلى العوالم الروحانية وتسبح في تلك العوالم، فإن كانت صالحة مؤمنة انضمت إلى العقول الإبداعية وإن كانت غير ذلك رجعت إلى العوالم السفلية وأصبحت تظهر في النفوس الشريرة من الجن والشياطين والهوام وغيرها.

أما الجسد فإنه يعود إلى أصله وعنصره التراب ويؤول كل عنصر منه إلى أصله وما يجانسه[1].

ويعرف الحامدي الموت بأنه النقلة إلى حده ومصير الإنسان بتلك النقلة إلى عالم ثان غير الأول[2].

(٢) الحياة البرزخية:

وهذه المرحلة تشمل القبر ونعيمه أو عذابه.

فعرف الاسماعيلية القبر بأنه الصورة الجسمانية والهياكل الجرمانية، وعذاب القبر هو تأثر النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطباع وذلك على

(١) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص١٧١ ـ ١٧٢.

(٢) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدي ص١٧٧ من منتخبات اسماعيلية.

سبيل التغير[١].

وقالوا: إن البرزخ على ضربين محمود ومذموم. فالأول ما يصل إليه المؤمنون بعد نقلهم من المراتب ويكونون فيها إلى أوان البعث الكلي الذي هو ظهور القائم.

وأما الثاني فهو ما يصير إليه أضداد الحق وسائر العصاة بعد موته من برازخ الهبوط وقناطر العذاب كل منهم بقدر استحقاقه موقوفون إلى أوان البعث[٢].

وقالوا عن حقيقة الملكين اللذين يأتيان الميت في قبره أن المراد منهما ناطق كل دور ووصيه فهما الملكان المشار إليهما في عصرهما بمبشر وبشير لأوليائهما، وبمنكر ونكير لأضدادهما وكذلك كل إمام زمان وحجته فهو مبشر وبشير لأوليائه ومنكر ونكير لأضداده وعلى هذا القول ينطوي الأمر في كل وقت وزمان.

أما حقيقة مبشر وبشير فهو خيال يحرك عمود النور الذي هو الساري من عالم القدس المتصل بصورة كل ولي عهد صاحب الزمان ويتخيل للمنتقل عند آخر دقيقة من عمره بصورة شخص نوراني يسر به ويبتهج بسببه ويغتبط عند معاينته ويعلم حينئذ أنه صائر إلى خير ويفارق في الوقت والحين وذلك هو صورته التي أثبتت من ولاية أهل الحق.

وأما الضد فإن المغناطيس الخبيث المظلم الذي هو العقدتان بحركة المقام لهما يحركان علمه الإبليسي وعمله الخبيث الذي كان يعمله ويعتقده في أهل الحق فيتخيل له في آخر دقيقة من عمره شخصًا مظلمًا مشوهًا على أقبح ما يكون وأشوهه فينكره ويفزعه ويقلقه ويهوله ثم يفظع عند ذلك وقد علم أنه من أهل الشر وهذه حقيقة منكر ونكير[٣].

ويقول ابن الوليد في كتابه الذخيرة في الحقيقة: إن كل ناطق ووصيه هما الملكان

---

(١) رسالة الدستور للداعي الاسماعيلي شمس الدين الطيبي ص٩٣ ضمن أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر.

(٢) أربعة كتب اسماعيلية جمع شتروطمان ص١٣٤.

(٣) الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والمعاد للحارثي ص١٤٨، ضمن كتاب الحقائق الخفية للأعظمي.

المشار إليهما بمبشر وبشير للأولياء ومنكر ونكير للأضداد اللعناء الأشقياء[١].

(٣) البعث والمعاد:

عرف الاسماعيلية البعث بأنه فعل الله تعالىٰ من جهة الملائكة المقربين في المبعوث الطبيعي كمالاً له ليكون منبعثًا الانبعاث الثاني ومعناه هو المعرب عنه بالنفخ المخصوص بالقوة التي هي إفاضة علىٰ المفاض عليه الذي كان من قبل خاليًا منها فيحيا الحياة الأبدية. . . ذلك أن ثم نوعين من البعث:

الأول: هو النفخ الأول ويكون في عالم الطبيعة وينقسم إلىٰ ما يكون بتعليم وإلىٰ ما يكون بتأييد إلهي. والذي يكون بتأييد إلهي هو إسراء القوىٰ الإلهية من عالم الملكوت في نفس المبعوث الكائن في عالم الطبيعة وسريانها فيها فيتيسر لها جميع الأمور المتعلقة بالسعادات الأبدية والكمال الثاني وقد أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن ذلك بإلقاء الروح حيث يقول: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...﴾[٢]، فوضع الدرجات هو القائم بالفعل الذي هو الإلقاء بأمر الله سبحانه، والروح هو بركات القدس والملكوت الفائضة من أمره الذي هو المبدع الأول والموجود الأول. وعلىٰ من يشاء من عباده هم عباده المصطفون الذين كانت أنفسهم في ظلمات الطبيعة خالية وهي فيها غير مكتسبة فشبه تعالىٰ وتكبر الإسراء والتسريب بالنفخ وذلك من جهة المنصوبين للعناية بموجودات عالم الطبيعة في نفس المبعوث تأثيراً وهو الذي به يصعق من في السموات والأرض ليكون المبعوث في الكمال منبعثًا قائمًا بالفعل الذي يقتضيه كماله.

أما القسم الثاني من النفخ الأول وهو ما يكون بتعليم من جهة من يكون طبيعيًا فلكون ما يعلم من جهة المبعوث المرقي إلىٰ درجة الكمال المنبعث الانبعاث الثاني القائم بالتعليم مما يتم فيه البعث ولذلك سمي بعثًا وهو: إقامة النعمة علىٰ البشر بالمبعوث المؤيد فيكون ما يعلمهم ويدعوهم إليه ثم يقومون به سببًا لهم في نيل السعادة في الدنيا

---

(١) كتاب الذخيرة في الحقيقة لعلي بن الوليد ص١٤٤.

(٢) سورة غافر: ١٥.

وطريقًا إلىٰ الفوز بالحياة الأبدية في الأخرىٰ وأمراً يجري مثلاً من أنفسهم مجرىٰ النفس النامية التي هي سبب لحصول القوة الحسية فيكون ذلك بعثهم. وبالجملة فإن هذا البعث يكون بواسطة المؤيدين من الله من الأنبياء والأوصياء والأئمة.

والنوع الثاني من البعث: وهو النفخ الثاني الخصوصي بالقيامة عند تكامل الأدوار واستكمال قيام العلم بالفعل حين تتجرد الصورة بكمالها فتسطع فيها أنوار الملكوت[1].

وبتعبير آخر قسم الحامدي البعث إلىٰ نوعين: فالبعث الأول هو بعث الصورة الحاصلة للمستفيد حيث تبعث له العلوم الإلهية والمعارف الربانية.

وأما البعث الثاني فهو النقلة إلىٰ حد وبها يصير في عالم ثان وبعث وذلك عند قيام القائم وذلك هو البعث الحقيقي[2].

ويفسر الكرماني الآيات القرآنية التي تتحدث عن البعث وفق ذلك المعتقد فيقول عن قوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[3] وقوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾[4] أن فيهما إشارة إلىٰ صاحب الدور السابع الذي يحصل في الوجود آخر دور حين يبعث في عالم الطبيعة أو لا كما يبعث أصحاب الأدوار فيطيعونه أمة بعد أمة وبه يتم الخلق الجديد فينفخ أولاً في دار الطبيعة باب الجزاء وفي دار الآخرة ثانيًا وهو النفخ الأول فالبعث يتم لصاحب الدور السابع[5].

هذا ومن الملاحظ أنهم فرقوا بين البعث والمعاد واعتبروهما لفظان متغايران معنىٰ ومدلولاً ومما قالوا في إثبات الثاني: أنه ليس في العالم شيء أجمع للصلاح من إثبات المعاد الذي جمع المصالح كلها من سكون أهل العالم ودفع بعضهم من بعض من جهة

(١) انظر راحة العقل للكرماني ص٥١١ ـ ٥١٣.

(٢) زهر بذر الحقائق للحامدي ص١٧٧.

(٣) سورة الزمر: ٦٨.

(٤) سورة عم: ١٨.

(٥) انظر راحة العقل للكرماني ص٥١٤ ـ ٥١٥.

الرغبة والرهبة فإنه لولا خوف المعاد لهلك الحرث والنسل[١].

فالنامي يعود إلىٰ الحيوان، والحيوان يعود إلىٰ الإنسان ومعنىٰ يعود يغتذىٰ به فيكون معاداً له[٢].

وبأسلوب أكثر تفصيلاً تحدث الداعي شهاب الدين ـ مبيناً معرفة المعاد ـ فقال: اعلم أيها الأخ البار الرشيد بأن لانفس لما تفارق الجسد تعود إلىٰ موطنها الأول حيث الأنوار الجلية أوصلها إياها معارفها المرقية لها إلىٰ هذه الدرجات العلية فحينئذ أطلق عليها النفس المطمئنة حسب قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾[٣] فهذا معاد النفس المؤمنة المطمئنة الباصرة.

أما النفس الجاحدة فإنها عند مفارقتها الجسد تعود إلىٰ موطن الظلام؛ لأنها بأعمالها القبيحة مظلمة محجوبة عن نور باريها لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾[٤].

فإذا عرف المؤمن هذه المرتبة ينبغي عليه أن يكون كالمرشد والدليل لمن هو في نوم الغفلة ورقدة الجهالة[٥].

ومن منطلق الظاهر والباطن قسموا معاد الخلق إلىٰ قسمين:

(١) معاد أهل دعوتهم:

وسموه معاد المؤمنين وأرادوا به أن كل محدود يعود إلىٰ حده ويكون نقلته إليه إذا أطاعه فيما يرضي الله كان ابتدأوه منه، وذلك ما يلقيه إليه من علوم أولياء الله تعالىٰ

---

(١) رسائل اخوان الصفا ٣/ ٣٩٢.

(٢) زهر بذر الحقائق للحامدي ص١٧٢.

(٣) سورة الفجر: الآيات الأربع الأخيرة.

(٤) سورة المطففين: ١٤.

(٥) مطالع الشموس لأبي فراس ص٥٣.

أو معاده إليه وذلك أن النفس المحدودة الحسية تنصبغ بما يلقيه الحد من العلوم الشريفة فتعود ناطقة كما يرد الاكسير الصفر ذهبًا حذو الحذو فيعود حينئذ إلى ذلك الحد بذلك المغناطيس الذي ألقاه على المحدود من العلم النبوي فيجذبه إليه لما ألقاه إليه ولم يسم المعاد معاداً إلا أنه يعود إليهما ألقاه إلى المحدود.

(٢) القسم الثاني:

وهو معاد أهل الظاهر ـ ويقصد بهم من لا يؤمن بمذهبهم ـ فلا معاد لهم وذلك أن من كان منهم مناصبًا لأهل الحق معانداً وطاعنًا عنهم فإنه عند موته لا تفارق نفسه جسمه البتة بل تبقى معاقبة فيه يكون العذاب على الكل ولا يفارق منه شيء غير ذلك التصور دون النفس وهذا التصور يريد الصعود فتركبه أشعة الكواكب فيعود إلى البيوت المظلمة فإذا مات ذلك الذي مازجه فارقه حينئذ وعاد إلى مغناطيس مظلم[١].

ويصف أحد دعاتهم المعاد المحمود بقوله:

حتى إذا ما دنت الوفاة	**مازجت الصورة تلك الذات**
فمستقر المؤمن الرشيد	**في أفق المكاسر المحدود**
ومنتهى الكل بلا ارتياب	**جميعهم إلى مقام الباب[٢]**
وهو مقر الأنفس اللطيفة	**ومركز الهياكل الشريفة[٣]**

وخلاصة رأيهم في المعاد أن الإنسان بعد موته يستحيل عنصره الترابي وجسمه إلى ما يجانسه من التراب وتصعد روحه إلى الملأ الأعلى فإذا كان مؤمنًا بالإمام حشر في زمرة الصالحين وأصبح ملكًا مدبراً كسائر العقول المدبرة لهذا الكون، وإن كان شريراً مناصبًا للإمام حشر مع الأبالسة والشياطين وهم أعداء الإمام[٤].

---

(١) زهر بذر الحقائق للحامدي ص١٧٣ ـ ١٧٥.

(٢) مرتبة من مراتب الأئمة عندهم كما سبق وأن ذكرنا ذلك في مراتب الأئمة.

(٣) سمط الحقائق للداعي علي بن حنظلة ص٤٦.

(٤) الحركات الباطنية لغالب ص١٠٦.

وهكذا يؤول أمر النفوس الشريفة ـ كما يسمونها ـ إلى هياكل نورانية قدسانية تدبر العالم فمن هذه النفوس من يستحق أن يكون موضع القلب ومنها من يكون موضع الدماغ ومنها في موضع العين والأذن واليد والرجل كل بقدر عمله واستحقاقه لا ظلم لأحد ولا محاباة بل كل نفس تجزىٰ بقدر ما اكتسبت[1].

(٤) الحساب:

عرف الكرماني الحساب بأنه: فعل يحدث عنه من النفس للنفس الثواب ـ الذي هو الملاذ والمسار ـ والعقاب ـ الذي هو الألم والعذاب ـ وينقسم هذا الفعل إلى ما يكون وجوده في الدنيا. وإلى ما يكون وجوده في الآخرة.

فأما ما يكون وجوده في الدنيا فينقسم إلى قسمين:

(١) ما يكون وجوده في الأنفس للأنفس عاجلاً لا في كل الأوقات وهو خاص.

(٢) مايكون وجوده في الأنفس للأنفس عاجلاً في كل الأوقات وهو عام.

فأما القسم الثاني وهو العام فهو ما يكون من جهة الأنفس في كل وقت وكل مكان عند مقاصد النفس في أعمالها بالمناسك الدينية المتقنة من جهة أنبياء الله ورسله عليهم السلام من طلب عز وجاه وصيت في الناس بأنها ـ أي النفس ـ سخية أو غنية أو تتصور بصورة الأخيار فيجعل لها ذلك بما تعمله من التحلي بسنن العبادتين مثل المجتهد في أعمال الصلاة الذي يكون قصده المسجد الجامع لا للتقرب إلى الله ولطلب وجهه والتذلل لكبريائه ولا لإقامة رسوم الملة وقضاء ما فرض عليه من مناسكها بل لأن يمشي في زي حسن ولأن يقال عنه أنه من حاله وصفته فيما يريده ويتمناه في نفسه فيحصل له بذلك ما أراده عاجلاً فذلك ثوابه.

ومثل المتهاون بأمر العبادتين المنجيتين له بالإخلال لأوامر الله سبحانه وتعالى وسننه والإقرار بأوليائه وأنبيائه ورسله فيشمله بذلك من الذل والصغار عاجلاً ما يحصل له من الغم والعذاب الدائم. فذلك عقابه عاجلاً دون عقابه الآجل.

---

(١) انظر في رحاب اخوان الصفا لمصطفى غالب ص٢٥٦ نقلاً من رسالة المبدأ والمعاد للحسين بن الوليد.

وأما القسم الأول وهو الخاص فهو الذي يكون وجوده فيها لا في كل الأوقات فهو خاص بوقت دون وقت وهذا هو الذي يكون من جهة المبعوث المؤيد بروح القدس الذي هو صاحب الدور السابع عند اتصال القوىٰ الملكوتية به المعرب عنه بالنفخ الثاني في يوم القيامة.

وأما ما يكون وجوده في الآخرة فهو من جهة العقول الابداعية والانبعاثية بما يسري من روح القدس في الأنفس الحاصلة من حضانة التعليم بظهور النفس الزكية صاحب الدور السابع في العالم الطبيعي واستكمال الأسباب، أسباب السعادات له طبيعيًا وملكوتيًا قيامًا بحكم العلم بكل صورة بمالها وعليها بحسب ما جرىٰ به الحكم من جهة الله في دار حكمته مثلاً بمثل فيسعد السعيد ويشقىٰ الشقي[1].

(٥) الجزاء والثواب أو الجنة والنار:

يثبت الاسماعيلية ثوابًا وجزاء وجنة ونارًا.

ولكن حقيقة هذا الثواب الذي أثبتوه أو ذلك العقاب؟ وما حقيقة الجنة أو النار اللتين أثبتوهما؟؟

إن علماء الدعوة الاسماعيلية ودعاتها أجابوا عن ذلك ومما قالوه:

إن الثواب علىٰ وجهين: ثواب أدنىٰ وثواب أكبر، والعقاب علىٰ وجهين عقاب أدنىٰ وعقاب أكبر ولما كان الثواب والعقاب كذلك كان ما وصفه الله تعالىٰ من الأنهار الجارية والحور والأطعمة والأشربة إشارة في الثواب الأدنىٰ إلىٰ ما يحصل للنفوس من الفوائد العلمية في الدعوة التأويلية، فكأن الأنهار أمثال ما يجري من العلماء من نشر الفوائد العلمية في مستفيديهم. وأما الحور فأمثال ما يصورونهم به من الصور القدسية التي تحار في حسنها الأفكار وتقصر عن وصفها الألسن ولا تكتنفها الحدود والأفكار وهي التي تزاوج النفوس فتصفها وتشرف عليها وترفع قدرها في أهل عليين وتعليها والفوائد التي تشتهي الأنفس وتلذ الأعين هو ما يطلعونا عليه من الحقائق الشاهد

(١) انظر راحة العقل للكرماني ص٥١٦ ـ ٥١٩، وانظر مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٢/٣٠٩ ـ ٣١٠.

محسوسها لمعقولها ومثلها لممثولها وتبرهن فروعها على صحة أصولها وهي ما تشتهيه الأنفس التي هي حدود الدين وتلذ الأعين الذين هم أعين الحق للناظرين وكذلك قالت الحدود إن الدعوة جنة بالقوة تؤدي إلى الجنة بالفعل فأما الثواب الأكبر فهو مالا سبيل إلى وصفه وما تقصر عقول من في عالم الطبيعة عن تصوره، كما يقصر الجنين الكائن في بطن الأم عن تصور ذات عالم الحس تقريبًا مع كون ذلك في البعد الأبعد بالشرف والفضل عن النسبة إلى هذا.

وأما العقاب الأدنى فهو ما يدخل على النفوس المخالفة للحق من الشكوك والشبهات وما يحل بها من الألم عند الاستفهامات والسؤالات إذا سمعت آي الكتاب والتبس عليها فيه نهج الصواب ونظرت في مختلف آياته وتفاوت عبارته وعجائب موضوعاته تلاطمت بها أمواج الشكوك في زاخر بحره ورمت بها الحيرة والظلام إلى أسفل قصره فهي تارة تهب طالبة حل مشكلة وتارة تجحد وحينًا تخمد فهي تتعجل من آلام وتخلدها جنادس الظلام حتى يهجم عليها الموت وهي أغفل ما كانت عنه ونفسها أوحش ما كانت منه ثم ترد قناطر العكوس وصراط الهبوط وإدراك النحوس إلى أوان اليوم المعلوم وحضور الأجل المحتوم ويكون حصول العقاب الأكبر لها عند قيام القائم على ذكره السلام وهو ما لا سبيل إلى وصفه؛ لأن أول ذلك وأهونه أنهم يذبحون كما تذبح الضحايا بمنى ويطرحون على وجوه الصحراء طرحًا ثم يستأنف لهم عقاب لا سبيل إلى عبارته لهوله وعظيم خطره وكونه محجوب أسرار أولياء الله تعالى وإذا كان في هذا القول ما يوجب عقابًا محسوسًا وهو ذبح المخالفين كان يجوز ويمكن أن لأهل دور الكشف الأخيار الذين هم أهل دور القائم ثوابًا في الأرض الحسية محسوسة هو لهم أدنى. به يصح قوله تعالى إذا قال: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴿٧٤﴾﴾[1].

تلك مجازاة أجسام الصالحين وتلك لهم جنة بالقوة تفضي إلى الجنة بالفعل التي هي العالم المقدس كما أن الدعوة التأويلية جنة بالقوة تفضي إلى أهلها إلى الجنة بالفعل

---

(١) سورة الزمر: ٧٤.

وكما أن دعوة الأضداد نار بالقوة لما فيها من الشكوك والشبهات تفضي بأهلها بالنار بالفعل التي هي العذاب.

وهذا القول مما دعت إليه النطقاء في شرائعهم وضربت به الأمثال في أوضاعهم فيكون ظاهر ذلك يصحح باطنه وباطنه يصحح ظاهره وبذلك امتازت أمثالهم عن أمثال سائر المخلوقين وعم الانتفاع بدعوتهم كافة السامعين وتحقق الظاهر والباطن والبارز والكامن[1].

ومن هذا المنطلق والتأويل نجد السجستاني يقرر في كتابه الينابيع أن الثواب هو العلم ويبرر ذلك بقوله: «لما كان قصارى الثواب إنما هي اللذية وكانت اللذة الحسية منقطعة زائلة وجب أن تكون التي ينالها المثاب أزلية غير فانية باقية غير منقطعة وليست لذة بسيطة باقية على حالاتها غير لذة العلم فكان من هذا القول وجوب لذة العلم للمثاب في دار البقاء[2].

يضاف إلى ذلك أن العلم لا يبيد بل يزيد وينمو عند كل استنباط ويتكثر بينما الحس يفسد وينقص ويضمحل عند الاستعمال ويستحيل لهذا كان الثواب في دار البقاء هو العلم لا الحس ولا الأشياء الحسية[3].

أما نصوصهم عن الجنة والنار فكثيرة جداً ولكن نقتصر على بعض منها؛ لأن الهدف من نقل هذه النصوص بيان مرادهم وقصدهم من هاتين الدارين.

وبالنظر في مصادرهم نجد أنهم يصفون الجنة بأنها دار سرمدية أبدية وفيها كل الملاذ ولا تستحيل ولا تتغير ولا يطرأ عليها تبدل. وما كان بهذه الأوصاف فهو النهاية الأولى من الموجودات عن الله تعالى. وأسماء الجنة كثيرة حسب مراتبها حول العرش فتسمى جنة المأوى باعتبارها مأوى المثابين من العقول المنبعثة في دار الطبيعة والأنفس العاقلة المتخيلة وهي مجمعهم وفيها المتقون.

---

(١) كتاب جلاء العقول لعلي بن الوليد ص١٥١ ـ ١٥٣.

(٢) الينابيع للسجستاني ص١٣٥.

(٣) المرجع السابق ص١٣٦.

وتسمى كذلك سدرة المنتهى كما تسمى دار القدس[١].

ومن العجيب أنهم مع هذه المسميات وتل الأوصاف للجنة أولوها تأويلاً روحيًا لا مجال للذات الجسدية في نعيمها ذلك أن النفس بعد أن تصل إلى الجنة بصفائها وتنزهها تبطل منها أفعال ومعارف كانت لها في دنياها لأجل جسمها الذي فارقته وتكون أفعالها ما تقتضيه ذاتها بكمالها من تعظيم الله وتسبيحه ولا يكون لها فعل من نوع ما كان لها في دار الطبيعة فإن ذلك كان لها من كونها في دار الطبيعة لها زيادة التكثر به والتجوهر والتهذب فأما وهي قد خلصت وانتهت مع المتهين من دار الطبيعة فحسبها كونها نهاية في جوار النهاية الأولى وجوهراً باقيًا ملتذاً بثمرة اكتسابها مناسبة لتلك العقول وتلك المناسبة لها في الذات لا في الفعل[٢].

فالجنة لدى الاسماعيلية عبارة عن التمييز والعلم والفوائد العقلية التي تصل من النطقاء والأسس والأئمة للمستجيبين للدعوة والكرماني وإن لم يصرح بذلك إلا أنه يدور حول هذا المعنى، غير أن السجستاني هو الذي صرح بذلك بعبارات أكثر إيضاحًا. يقول: إن العلوم الجارية من قبل النطقاء والأسس والأئمة واللواحق[٣] لا تكون إلا للصور الخفية وفيها من السلوة والسرور والراحة والأنس ولا ينبيء عن هويتها إلا الوقت المقرر لها فإذا بلغت غاياتها واستقرت في هويتها ورمت بثقلها استقرت بأحسن هيئة وأشرف رتبة بمالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

والنار عبارة عن الشرائع الناموسية المعراة عن العلوم المستعملة لإصلاح العالم الطبيعي وصورة العذاب في هذه الشرائع و الاصطلاء بها والاستعمال لها وعندئذ تفسد الصورة اللطيفة ويقع للشخص فيها الشبهة والالتباس وإذا برزت بهويتها تراها

---

(١) انظر راحة العقل للكرماني.

(٢) مذاهب الإسلاميين ص٣١١، نقلاً من راحة العقل للكرماني بتصرف.

(٣) رتب للمستجيبين والدعاة في المذهب الاسماعيلي.

في غاية الإيلام للأنفس المتعلقة بها[١].

وحينما يتحدث السجستاني عن وجود الجنة والنار يتضح مرادهم أكثر من ذي قبل فهو يقول: إن النار موجودة في كل موضع ولا يخلو منها مكان والجنة غير موجودة في كل مكان بل في مكان دون مكان وفي الأمكنة التي توجد فيها الجنة عليها موكل لا يأذن لكل واحد في الدخول فيها وأما النار فإنها ظاهرة نيرة مبذولة لكل أحد وهي الشرائع المقلدة موجودة في كل مكان لا يخلو منها قوم من الأقوام والجنة هي العلوم المخصوصة لأقوام معينين لا يتهيأ لأحد الوصول إليها إلا بإذن الهادي العالم الموكل بها[٢].

ويقولون إن الجنة التي أهبط منها آدم هي رتبة ارتقىٰ إليها حتىٰ صار في حد البلوغ وأن الشجرة التي نهي عنها المراد بها تطلع نفسه إلىٰ رتبة حضر عليها الارتقاء إليها فلما تطلع هذا التطلع رد حينئذ إلىٰ حد التربية وأخذ العهد عليه بالتجديد فهذا هو إهباطه من العلو إلىٰ السفل[٣].

ونقل الحامدي عن المؤيد قوله: إن حدود دار الجسم جنان بالقوة داعون إلىٰ جنان بالفعل وإن الحد جنة المحدود إذا هو أطاعه وعمل بما يرضي الله تعالىٰ فهو له بالقوة عند نقلته وهما يعودان إلىٰ الفعل عند نقلتهما جميعاً.

وأما النار فإن الإنسان إذا أنكر إمام زمانه أو حداً من حدوده أظلمت صورته وصارت نفسه أكثف من جسمه ولم تفارق حينئذ جسمها ولا تعدوه وكان معادهما إلىٰ النيران السبعة[٤].

وبهذا النص من كتاباتهم ومؤلفاتهم نكتفي ببيان اعتقادهم في البعث والجزاء والمعاد.

---

(١) انظر الينابيع للسجستاني ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) المراد من الهادي العالم هو إمام العصر صاحب التأويل والمكلف بإظهار الحقائق التي تنير الطريق للمعرفة السرمدية الحقة، انظر الينابيع للسجستاني ص١٣٩.

(٣) زهر بذر الحقائق للحامدي ص١٦٨ ـ ١٦٩.

(٤) المرجع السابق ص١٧١ ـ ١٧٢.

ومن أجمع نصوص الاسماعيلية التي تتعلق في هذا الفصل ما ذكره الداعي الاسماعيلي الطيبي في رسالته التي سماها «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» ننقله بطوله لما يشتمل عليه من صورة تفصيلية لبيان رأيهم ومعتقدهم في الأخرويات يقول: والقبر هو الصورة الجسمانية والهياكل الجرمانية وعذابه هو تأثر الناس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطباع وذلك على سبيل التغير. وأما إتيان منكر ونكير فهو استيلاء القوة الشهوانية والغضبية الداعيتين إلى الهلاك. وأما الحشر فهو انحطاط النفوس في سلك انقيادها وانجبارها إلى ما فيه ذاتها وحقيقة (يوم ندعو كل أناس بإمامهم). وأما النشر فهو ظهور النفوس في عالم بعد عالم على وفق مكتسباتها. وأما تأويل القيامة فقيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية والآلات الجسدانية وقيام الشرائع والأديان بظهور صاحب الزمان وقيام الدور ببروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية. وقيام القيامة كمال الإخلاص والنجاة واستراحة النفوس بأجمعها من الإيراد والإصدار واتصالها بعالم القدس ومحل الأنوار وانقضاء مدة الساعات الكبيرة واجتماع السيارات بعد افتراقها في نقطة الاعتدال الأول بقيامة الكل وانقضاء البعثتين وانطبقاء المنطقتين وحصول العلم والقدرة للنفس في العالمين وفقدان التفاوت في الأصول وخلع الهيولي لباس الصورة والاستغناء عن موجبات الضررة واتخاذ العالم بنوعه وأصله وتحقيق قوله وإليه يرجع الأمر كله. وأما الكتاب فهو لوح الضمير ومحل ما حرمنا به النفس من التصديق والتصوير، وقراءته هي المعاينة والمشاهدة النفسية لمعلوماتها المكتسبة، فإذا كانت العلوم البرهانية والحقائق القطعية مأخوذة من قبل النفس باليمين تكون من الطرف الأعلى من الهدي واليقين، وإذا كانت التصورات الوهمية والتصديقات الظنية والشكوك الجدلية والاعتقادات التقليدية مأخوذة من قبل النفس بالشمال تكون في الطرف الأدنى من الضلال والتخمين، وأما الحساب فهو أن توقف النفس الكلية العالية النفوس الجزئية على ما صدر منها من الأقوال والأفعال والأعمال. عند استعمالها آلات الصورة والأشكال، بالقوى الأربعة المركبة منها القوى الإنسانية وهي الملكية، فإن تغلبت عليها استحقت حسن الثواب وأمنت من سوء العقاب، وارتقت نفسك سائحة في فضاء الأفلاك متصرفة في العوالم التي

دونها، واندرجت في العروج إلى مستقرها الروحاني وعالمها النوراني وإن تغلبت عليها القوى الثلاثة منعتها من الانبعاث وسارت بها إلى موضع العقاب، عندئذ تكون قد رجعت بخيبة المآب وأطلقت إلى ظل ذي ثلاث شعب وسجنت في قبور الذل والتعب، وأما الميزان فهو الآلات التي يستعملها العقل الدراك، والوزن هو الآراء والاعتقادات الراسخة من الأقوال والأفعال والعلوم والأعمال، والوازن جوهر العقل الدراك المحيط مميز المركب من البسيط، وأما الصراط فهو البرزخ ومعبر النفس إلى العالم الأعلى من الأدنى. وأما معنى الجنة فهي العوالم الثمانية أولها جنة الميراث وهي رتبة الإنسانية والثانية جنة عدن وهي الرتبة الملكية وثالثها جنة الخلد وهي العوالم الفلكية ورابعها الجنة العالية وهي العوالم الروحانية المجردة من العوالم الجرمانية وخامسها جنة الفردوس وهي النفسانية وسادسها جنة النعيم وهي عالم العلم وسابعها جنة رضوان وهي عالم العقل وثامنها جنة الماء وهي عالم الأمر الذي منه بدت العوالم وإليه معادها. وأما درجات الجنة فهي مراتب العلوم ومقادير الفهوم في كل مقام وأما اللذات والنغمات فهي جولان النفوس في قضاء معارجها وابتهاجها عند الحصول في مشاهدها ومواقعها، وأما الأرائك والظل والنمارق والحلل فهي مظاهر النفوس في الصور المتفاضلة وخلعها للصور المخالفة وتلبسها بالأشخاص المشاكلة، وأما الأبارق والأكواب، والساقي والكأس والشراب فهي آلات المدارك وأدوات المخالطة بعلوم الملكوت والملائكة والساقي إمام الدور الدائر والكأس ما ألفه الناطق من الظواهر، والشراب المظهور من تأويل التنزيل وكشف المستور. وأما النار فهي العوالم السبعة المتولدة من الثلاثة الأركان أولها لظى نزاعة وهي كرة الأثير، ثم الجحيم مركز الهواء والزمهرير، ثم السعير مقر الماء، ثم الهاوية مكان الغبرة، ثم جهنم عالم الحيوان غير الإنسان، ثم سقر مرتبة النبات، ثم سجيل منزلة المعدن ودركاتها وأجرامها الكثيفة والثقيلة وأهلها هم النفوس الجزئية القائلة في الآيات بالباطل والاعتقادات الردية. وأما العذاب والعقاب مما تجده من الآلام والأوجاع والأسقام، ومفارقة المؤلفات بهجوم الحوادث والنكبات، والزبانية فهي صور أهل الشكوك والجهالات وأشخاص أهل الضلالات والخيالات ومظاهر الآراء الباطلة والاعتقادات الردية، وشجرة الزقوم

الانتساب إلى الأضداد والاجتناء من ثمرة الكفر والعناد، وطعام غسلين اعتقاد ما لا يطيق العقل والدين وتقليب أصحاب الشبهات والتخمين، وشراب الحميم الأحكام والمخالفة للحق اليقين. وأما المصير والرجوع إلى الله تعالى فهو انتهاء جميع النسب والإضافات التي بين البسائط والمركبات من العوالم الروحانية والجسمانية واللطائف والكثائف إلى الأربعة الحاملة إشارة الكلمة على المرتبة المشار إليها بحروف الله المتصل بالأمر الذي هو معنى رجوع المركبات العددية تعالى أو معرفة مرتبة الإمام ومشاهدة أنواره المحيطة بالخاص والعام ومطالعة آثار البسيط على المعاني والأجسام[1].

وبهذا النص من نصوص الاسماعيلية ننتقل إلى ما سطره علماء الفرق والمقالات عنهم حيث صوروا مذهبهم في الأخرويات أدق تصوير، وبينوا ما تؤول إليه تأويلاتهم وتصوراتهم لدورات الحياة ونهايتها.

نصوص علماء الفرق عن معتقد الاسماعيلية في الأخرويات:

كشف الإمام الغزالي عن تأويلات الاسماعيلية في معتقداتهم الأخروية وبين ما في هذه التأويلات من هدم للإيمان وجحد لما أعده الله للبشر من ثواب وعقاب فقال: وقد اتفقوا ـ أي الباطنية ـ عن آخرهم على إنكار القيامة وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار وحصول الإنسان من نطفة والنطفة من إنسان وتولد النبات وتولد الحيوانات لا ينصرم أبد الدهر وأن السموات والأرض لا يتصور انعدام أجسامها وأولوا القيامة وقالوا إنها رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر وربما قال بعضهم إن للفلك أدواراً كلية تتبدل أحوال العالم تبدلاً كليًا بطوفان أو سبب من الأسباب. وأما المعاد فأنكروا ما ورد به الأنبياء ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد ولا الجنة والنار ولكن قالوا معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله فالإسنان مركب من العالم الروحاني والجساني أما الجسماني منه وهو الجسد فينحل ويعود كل خلط إلى طبيعته وأصله وذلك هو معاد الجسد وأما الروحاني وهو

(١) رسائل الدستور للداعي شمس الدين الطيبي ص٩٣ ـ ٩٦ ضمن أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر.

النفس فإنها إن صفيت بالمواظبة على العبادات وزكيت بمجانبة الشهوات وغذيت بغذاء العلوم والمعارف المتلقاة من الأئمة الهداة اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني الذي منه انفصالها وتسعد بالعود إلى وطنها الأصلي ولذلك سمي رجوعًا فقيل لها: ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) ﴾[١] وهي الجنة وإليه وقع الرمز في قصة آدم وكونه في الجنة ثم انفصاله عنها ونزوله إلى العالم السفلاني ثم عوده إليها بالآخرة.

وأما النفوس المنكوسة المغمورة في عالم الطبيعة المعرضة عن رشدها من الأئمة المعصومين فإنها تبقى أبد الدهر في النار على معنى أنها تبقى في العالم الجسماني تتناسخها الأبدان فلا تزال تتعرض فيها للألم والأسقام فلا تفارق جسداً إلا ويتلقاها آخر ولذلك قال تعالى: ﴿ ... كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ... ﴾[٢] فهذا مذهبهم في المعاد وهو بعينه مذهب الفلاسفة[٣].

ونقل البغدادي رسالة عبيد الله المهدي ـ أحد أئمة الاسماعيلية ـ إلى أحد أتباعه ودعاته ومما جاء في آخرها قوله: إن صاحبهم ـ أي الرسول محمد ﷺ ـ حرم عليهم ـ أي على المسلمين ـ الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الإله الذي يزعمونه وأخبرهم بكون مالا يرو أنه أبداً من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدهم بذلك عاجلاً وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولاً واستباح بذلك أموالهم بقوله: ﴿ ... لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ... ﴾[٤]. فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج[٥].

(١) سورة الفجر: ٢٨.

(٢) سورة النساء: ٥٦.

(٣) انظر فضائح الباطنية للغزالي ص٤٤ ـ ٤٦.

(٤) سورة الشورى: ٢٣.

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٨١ ـ ٢٨٢.

وعبر الشهرستاني عن مراد الاسماعيلية بالقيامة الكبرىٰ بأنه كمال النفس وبلوغها إلىٰ درجة العقل عن طريق الحركات الفلكية والسنن الشرعية وإذا وصلت النفس إلىٰ مرتبة العقل فعلاً فهذا إيذان بانحلال تراكيب الأفلاك والعناصر والمركبات وانشقاق السماء وتناثر الكواكب وتبدل الأرض. . . إلخ وهنالك يحاسب الخلق ويتميز الخير عن الشر والمطيع عن العاصي وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلي وجزئيات الباطل بالشيطان المضل المبطل فمن وقت الحركة إلىٰ وقت السكون هو المبدأ ومن وقت السكون إلىٰ ما لا نهاية له هو الكمال[1].

ويقسم الإمام ابن تيمية المنكرين للمعاد فيقول: إن طوائف من الكفار والمشركين ينكرون المعاد بالكلية فلا يقرون لا بمعاد الأرواح ولا الأجساد. وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فإنهم يحرفون الكلام عن مواضعه ويقولون هذه أمثال ضربت لفهم المعاد الروحاني وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلىٰ الإسلام وطائفة ممن ضاهاهم من كاتب أومتطبب أو متصوف كأصحاب رسائل اخوان الصفا وغيرهم أو منافق هؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان فإن محمداً ﷺ قد بين ذلك بيانًا شافيًا قاطعًا للعذر، وتواتر ذلك عند أمته خاصها وعامها وقد ناظره بعض اليهود في جنس هذه المسألة وقال يا محمد أنت تقول أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ومن يأكل ويشرب لابد له من خلاء فقال النبي ﷺ: رشح كرشح المسك ويجب علىٰ ولي الأمر قتل من أنكر ذلك ولو أظهر التصديق بألفاظه فكيف بمن ينكر الجميع[2].

ويعدد الديلمي الوجوه الدالة علىٰ كفر الفرق الباطنية وانسلاخهم من شريعة الإسلام ومن خلال ذلك يقول: إن مما يدل علىٰ كفرهم اعتقادهم في المعاد والقيامة وذلك لأنهم يعتقدون إبطال القيامة علىٰ الوجه الذي يعتقده المسلمون ويعلم من دين النبي ﷺ فهم قد اتفقوا علىٰ إنكار القيامة والبعث والنشور والجنة والنار علىٰ ما ورد به

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٤.

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٤/ ٣١٤-٣١٥.

القرآن وما عرف من دين محمد ﷺ ضرورة ويقولون إن معنى القيامة قيام قائم الزمان وهو خروج إمامهم السابع ومعنى المعاد عود كل شيء إلى أصله من الطبائع الأربع ويقولون إن المراد من الموت خروج الروح من الجسد ونقله إلى مكان آخر ولا يموت أبدا[1].

ويشارك العلوي من سبقه في نقل مذهب الاسماعيلية عن القيامة وأحوال المعاد فيقول: إنهم اتفقوا من عند آخرهم على إنكار القيامة ولم يثبتوا الحشر والنشر وإعادة الأجساد ولا الجنة والنار على حد ما وردت به الشريعة ونطق به الأنبياء. وتأولوا القيامة وقالوا إنها إشارة إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر[2].

وتحدث الملطي عن معتقدهم في الأخرويات بشيء من التفصيل والبيان فقال: إنهم زعموا أنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور وأن من مات بلى جسده ولحق روحه بالنور الذي تولد منه حتى يرجع كما كان.

وزعموا أن كل ما ذكره الله عز وجل في كتابه من جنة ونار وحساب وميزان وعذاب ونعيم فإنما هو في الحياة الدنيا فقط من الأبدان الصحيحة والألوان الحسنة والطعوم اللذيذة والروائح الطيبة والأشياء المبهجة التي تنعم فيها النفوس والعذاب هو الأمراض والفقر والآلام والأنصاب وما تتأذى به النفوس وهذا عندهم الثواب والعقاب على الأعمال[3].

إن هذه النصوص تعتبر صورة واضحة لمعتقد الاسماعيلية في القيامة والمعاد وسائر أمور الآخرة وهذه المصادر ملزمة لأنها مصادرهم ومؤلفاتهم مباشرة وتتأكد أكثر حينما نجد علماء المسلمين الكاشفين لأسرارهم يصلون إلى النتائج الثابتة في مصادر الاسماعيلية ومن خلال هذه النصوص مجتمعة نستخلص معتقدهم في هذا الفصل بالصورة التالية:

---

(١) انظر بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٧ـ٨٧.

(٢) الأنعام لأفئدة الباطنية الطغام ص١١٦.

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٢٠ـ٢١.

أن معتقد الاسماعيلية في أمور الآخرة مبني على بعض أصولهم الإلحادية ومن هذه الأصول التي انطلقوا منها عن أمور الآخرة:

أولا: القول بالظاهر والباطن حيث اعتبروا جميع ما ورد في القرآن وعلى لسان الرسول ﷺ من الموت وعذاب القبر والجنة والنار كل هذه الأمور لها باطن غير المعروف والواضح لدى المسلمين.

ثانيًا: القائم السابع حيث اعتبروا ظهوره إيذانًا بقيام القيامة وخراب الأفلاك وبدء الحساب والجزاء، ولتشبثهم بهذه الأصول التي لا أساس لها ولا بقاء ذهبوا مذهبًا عجيبًا وسلكوا مسلكًا فريداً فقالوا: إن المراد من البعث درجة معينة يصل إليها المستجيب ويكون مؤهلاً لأن تبعث له العلوم والمعارف وبذلك يصير في عالم آخر وذلك هو البعث الحقيقي.

وأما الموت فإنهم اعتبروه انتقال التصور الموجود عند الإنسان فإن كان موافقًا لعقيدتهم انتقل هذا التصور إلى هياكل نورانية - كما يسمونها - وانضمت إلى العقول المدبرة لهذا الكون وهذا هو معاد أهل الباطن وإن كان مخالفًا لهم فإنه عند الموت لا تفارق نفسه جسمه. وإنما الذي يفارقه تصوره الفاسد - كما يزعمون -.

ومن هذا السفه والعبث الذي لا نهاية له عند الاسماعيلية في ركن من أركان الإسلام العظيمة يتضح لنا أنهم لا يؤمنون ببعث ولا جزاء ولا عقاب، ولا معاد ولا يثبتون سوى الدنيا داراً ولذا أولوا جميع ما ورد في القرآن عن الآخرة فقالوا إن معنى القيامة قيام قائم الزمان فلا آخرة إذا ومعنى الجنة العلوم الجارية من قبل نطقائهم وأئمتهم والتي لا يحصل عليها إلا القليل حيث أن على هذه العلوم - الجنة - مؤكلاً لا يأذن لكل واحد في الدخول إليها.

وأما النار فالمراد منها - عندهم - الشرائع التي يعمل المسلمون بها وصورة العذاب فيها هو مزاولتها واستعمالها وإجهاد البدن في تطبيقها حيث لا ثواب ولا عقاب.

إن المتأمل وصاحب الفطرة السليمة يعتبر هذه التأويلات الباطنية رد صريح وواضح لنصوص الشريعة الإسلامية الغراء في ركن من أركان الإيمان ومن المجمع عليه

بين المسلمين قاطبة أن من رد نصًا واحدًا سواء من نصوص القرآن أو الأحاديث الثابتة الصحيحة فهو كافر لرده ما جاء عن الله وما جاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف بمن رد نصوصًا كثيرة وذلك كنصوص البعث والمعاد والحساب والجنة والنار.

ونظرًا لأن الاسماعيلية بمعتقداتهم هذه عن اليوم الآخر خالفوا جميع المسلمين بل وسائر الملل والديانات السماوية المثبتة للمعاد فلابد من إيضاح هذا الأصل من أصول الدين[1] مع بيان الأدلة من القرآن والسنة حول تقريره وإثباته وبطلان تأويلات الباطنية له ومن ثم حكم المنكرين له سواء كان ذلك إنكارًا صريحًا أو مؤولاً.

إن الاعتقاد باليوم الآخر من أهم عناصر الإيمان وأصول الدين ولذا نجد أن القرآن الكريم اهتم بهذه القضية اهتمامًا بالغًا وقرر حقيقة اليوم الآخر وما يكون فيه من بعث وحساب وجزاء ثم ما يتبعه من دار نعيم ودار عذاب ودعم ذلك كله بوصفه ركنًا من أركان العقيدة الإسلامية.

يقول سيد قطب رحمه الله: لقد عنى القرآن بمشاهد اليوم الآخر فلم يعد ذلك العالم الذي وعده الناس بعد هذا العالم موصوفًا فحسب بل عاد مصورًا محسوسًا وحيًا متحركًا وبارزًا شاخصًا وعاش المسلمون فيه فرأوا مشاهده وتأثروا بها وخفقت قلوبهم تارة واقشعرت جلودهم وسرى في نفوسهم الفزع مرة وعاودهم الاطمئنان أخرى ولفحهم من النار شواظ ورف إليهم من الجنة نسيم، ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم قبل اليوم الموعود وقد أضحى لديهم واضحًا وضوح العقيدة الإسلامية. موت وبعث ونعيم وعذاب لأن هذه الحقيقة الواضحة يعرضها القرآن في صور شتى وترتسم في

---

(١) ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى ص٢٩٥ أن أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها قولاً. أو قولاً وعملاً كمسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد وفي المجلد التاسع من مجموع الفتاوى ص٣٢ ـ ٣٤ ذكر أن الأصول ثلاث وهي متلازمة:

١ ـ توحيد الله.

٢ ـ الإيمان برسله.

٣ ـ الإيمان باليوم الآخر.

وهذه الأمور الثلاثة متلازمة ولا يتم للعبد سعادة ونجاة من عذاب الله إلا بالإيمان بها قولاً وعملاً واعتقادًا.

عالم حافل بالمشاهد المنتزعة من عالم الأحياء[١].

ومما يدل أيضًا على أهمية المعاد أن الله تعالى ربط الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر فقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾[٢]، وقوله الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾[٣].

فاعتبر الإيمان باليوم الآخر رتبة ثانية بعد الإيمان بالله وهذا مما يدل على أهمية هذا المعتقد الذي أنكره الاسماعيلية ومن ضاهاهم من الماديين والطبائعيين.

أما الأدلة من القرآن والسنة في إثبات القيامة والمعاد فأكثر من أن تحصر وحسبنا أن نشير إلى جملة منها: قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾[٥] وقا لتعالى مخبراً عن الكفرة ومعتقدهم عن المعاد: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ...﴾[٦]. وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾[٧].

فجميع هذه الآيات تدل على وقوع المعاد وليس ذلك بطريق الإخبار فقط بل بالقسم الذي أمر الله نبيه أن يقسم بوقوعه وهذا من أنواع الأدلة القرآنية لإثبات المعاد.

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب ص٣٨ـ٣٩.

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

(٣) سورة البقرة: ٦٢.

(٤) سورة التغابن: ٧.

(٥) سورة النحل: ٣٨.

(٦) سورة سبأ: ٣.

(٧) سورة يونس: ٥٣.

ومن الأنواع الأخرى أن الله عز وجل ذم المكذبين بالمعاد وأخبر أنهم من الخاسرين، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا...﴾[1].

وقال تعالى: ﴿... أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨)﴾[2]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩)﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨)﴾[4].

وأخبر الله عز وجل عن أهل النار أنهم إذا سئلوا يوم القيامة عن اليوم الآخر اعترفوا بأن الرسل أنذرتهم هذا اليوم قال تعالى مبينًا ذلك ﴿... أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)﴾[5].

ومن أنواع الأدلة على البعث أيضًا أن الله عز وجل أثبت إمكان الحشر والمعاد من خلال أمور مسلمة لدى الكفار والمشركين وذلك كالخلق والإنشاء حيث هم مقرون بذلك.

فتكذيبهم بالمعاد من باب التناقض والتفريق بين المتماثلات والآيات من هذا النوع كثيرة جدًا منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ

(١) سورة الأنعام: ٣١.

(٢) سورة الشورى: ١٨.

(٣) سورة الإسراء: ٩٩.

(٤) سورة الإسراء: ٩٨.

(٥) سورة الزمر: ٧١.

مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧) ﴾[١].

فالقادر على خلق الإنسان وإحياء الأرض ابتداء بطبيعة الحال يكون قادراً على إعادة الحياة إليهما مرة أخرى. فوجود الشيء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه[٢].

ولذا قال في الآية الأخرى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ﴾[٣].

وفي آيات أخرى بين الله سبحانه قدرته على خلق ما هو أعظم وأشمل من الإنسان وذلك كخلق السموات والأرض قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾[٥].

ومن المعلوم ببداهة العقول أن القادر على خلق السموات والأرض والتي هي أعظم من خلق الإنسان وغيره من المخلوقات قادر على ما هو أيسر وأولى وهو خلق الإنسان ابتداء فكيف بإعادته وبعث جسمه مرة أخرى؟

فالمكذبون بالبعث والمنكرون لمعاد الأجسام مكابرون لعقولهم ومخالفون للسنن

---

(١) سور الحج: ٥ ـ ٧.

(٢) انظر تعارض العقل والنقل لابن تيمية ص٣٢.

(٣) سورة الروم: ٢٧.

(٤) سورة الأحقاف: ٣٣.

(٥) سورة العنكبوت: ٢٠.

الكونية والفطر البشرية.

ومن أنواع الأدلة القرآنية لإثبات المعاد ما قصه الله علينا في عدة آيات من إحياء الموتى في الدنيا وذلك كما في قصة الرجل الذي مر على قرية وتساءل عن إمكان بعثها وإعادة الحياة إليها مرة أخرى، وكان الجواب أن ضرب الله له المثل من نفسه بأسلوب عملي يعتبر غاية في الإقناع، قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾[١].

وكما في قصة أصحاب الكهف الذين أماتهم الله ثم أحياهم ليكونوا عبرة للأجيال بعدهم وآية على قدرة الله لبعث الأجساد وإرجاع الحياة إليها بعد الموت ولذا عقب الله ـ بعد سياق قصتهم ـ بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا... ﴾[٢].

يقول ابن كثير إن بعض السلف ذكروا أنه حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك ونقل عن عكرمة أن طائفة منهم قد قالوا تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد[٣] فرد الله عليهم بهذا الأسلوب العملي الذي لا يقبل بعده أي جحد أو إنكار أو تأويل.

ومنها قصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت حيث أن الله عز وجل أماتهم ثم أحياهم في الدنيا مرة أخرى وذلك عين القدرة على بعث الأجساد وإعادة الحياة إليها في الدار الآخرة. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٢) سورة الكهف: ٢١.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٧.

يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾[١].

ومنها قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام حينما طلب من الله عز وجل أن يريه كيفية إحياءه للموتى قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾[٢].

ومن أنواع الأدلة القرآنية لإثبات المعاد الاستدلال على وقوع الحشر بأنه لابد من إثابة المحسن وتعذيب العاصي ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وتمييز أحدهما من الآخر[٣].

قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ... ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[٥]. وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[٦].

إن هذه الآيات تبين أنه لابد من جزاء حسن للمؤمنين، ولابد من عقاب وعذاب للكافرين والملحدين وأن زمان هذا العقاب وذلك الجزاء بعد قيام الساعة والرجوع إلى الله تعالى في الدار الآخرة ولو لم يحصل بعث ولا نشور لاستوى البر والفاجر

(١) سورة البقرة: ٢٤٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٣) نير البرهان للشرفي ٢/ ٥٢.

(٤) سورة يونس: ٤.

(٥) سورة طه: ١٥.

(٦) سورة ص: ٢١، ٢٢.

والمسلم والكافر[١].

ومن أبلغ الأدلة وأكثرها إفحامًا للمعاندين والجاحدين حول قضية البعث ما ذكره الله بأسلوب الرد والمحاورة بحيث يخاطب العقل البشري بأوجز العبارات وأدلها وأخصها وأقطعها للعذر وألزمها للحجة.

قال تعالىٰ حكاية عن الكفار: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢)﴾[٢].

فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال عن التفصيل فإنهم قالوا أولاً: ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ فقيل لهم في جواب هذا السؤال إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم فهل كنتم خلقًا لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم من ذلك. فإن قلتم كنا خلقًا علىٰ هذه الصفة التي لا تقبل البقاء فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقًا جديدًا وللحجة تقرير آخر وهو لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلقًا أكبر منهما فإنه قادر علىٰ أن يفنيكم ويحيل ذواتكم وينقلها من حال إلىٰ حال ومن يقدر علىٰ التصرف في هذه الأجسام مع شدتها وصلابتها بالافتاء والإحالة فما الذي يعجز ـ فيما دونها ـ ثم أخبر أنهم يسألون آخرًا بقولهم من يعيدنا إذا استحالت جسومنا وفنيت فأجابهم بقوله ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فلما أخذتهم الحجة ولزمهم حكمها انتقلوا إلىٰ سؤال آخر يتعللون به بعلل المنقطع وهو قولهم «متىٰ هو؟» فأجيبوا بقوله: «عسىٰ أن يكون قريبًا».

ومن هذه الأدلة العقلية قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ

---

(١) استفدت في جميع بعض هذه النصوص من رسالة الطالب سويلم التوم وعنوانها عقيدة البعث الآخر ص٨٩ ـ ١٢٧.

(٢) سورة الإسراء: ٤٩ ـ ٥٢.

وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ...﴾[1] الآية. فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز موضوح الأدلة وصحة البرهان لما قدر فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جوابًا فكان في قوله ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ ما يعنى بالجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة ولما أراد سبحانه تأكيد الحجة وزيادة تقريرها جاء الرد ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالإنشاء الأول على النشأة الأخرى. إذ كل عاقل يعلم ضروريًا أن من قدر على هذه - أي النشأة الأولى - قدر على هذه - أي النشأة الأخرى - وأنه لو كان عاجزًا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز. ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه اتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته وموارده وصورته فكذلك الثاني فإذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم. ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جوابًا عن سؤال ملحد آخر يقول: العظام إذا صارت رميمًا عادت طبيعتها باردة يابسة والحياة لابد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث ففيه الدليل والجواب فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ من الرطوبة والبرودة فالذي يخرج الشيء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه من إحياء العظام وهي رميم. ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر فإن من يعلم أن كل من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر فمن قدر على حمل قناطر كان على حمل أوقية أيسر اقتدارًا فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ فأخبر أن الذي أبدع السموات والأرض على حالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على أن يحيي عظامًا قد صارت رميمًا فيردها إلى حالتها الأولى كما قال في موضع آخر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ

---

(١) سورة يس: ٧٨ إلى آخر السورة.

(٥٧)﴾[١]. وقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)﴾[٢].

ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببينات أخرىٰ وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره الذي يفعل بالآلات والكلفة والنصب والمشقة ولا يمكنه الاستقلال بالفعل بل لابد معه من آلة ومعين بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرداته وقوله للمكون كن فإذا هو كائن كما شاءه وأراده. ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده فيتصرف فيه بفعله وقوله ومن هذه الأدلة العقلية قول الله تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)﴾[٣].

فاحتج سبحانه علىٰ أنه لا يتركه هملاً عن الأمر والنهي والثواب والعقاب وأن حكمته وقدرته تأبىٰ ذلك أشد الإباء[٤].

وكم في القرآن من مثل هذا الاحتجاج الذي قطع دابر المكذبين بالمعاد والمنكرين له. ومع كثرة النصوص القرآنية عن المعاد والقيامة فإن السنة أيضًا لم تغفل هذه العقيدة الأساسية بل جاءت حافلة بذكرها مقررة لها بشتىٰ الصور والأساليب.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بارزًا يومًا للناس فأتاه رجل فقال ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث. وفي رواية مسلم وتؤمن بالبعث الآخر**[٥].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: **أخبرني عن الإيمان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه**

(١) سورة غافر: ٥٧.

(٢) سورة يس: ٨١.

(٣) سورة القيامة: ٣٦ إلىٰ آخر السورة.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص٣٥٥-٣٥٨.

(٥) فتح الباري ١/ ١١٤، صحيح مسلم مع النووي ١/ ١٦٢.

ورسله وباليوم الآخر والقدر خيره وشره[١].

فالاعتقاد بالبعث واليوم الآخر يعتبر ركنًا من أركان الإيمان الستة المنصوص عليها في الحديث الثاني ولذا قرن الله الإيمان بالبعث بالإيمان بالله ورسله وكتبه وحيثما تخلف ركن من هذه الأركان بحيث لا يتم الإيمان إلا به ولا يوجد بغيره.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة.

وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: يبعث كل عبد على ما مات عليه[٣].

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: خر رجل عن بعيره فوقص فمات فقال النبي ﷺ: «**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيا**.

وفي رواية «**فإنه يبعث يوم القايمة ملبدا**». وفي رواية «**فإنه يبعث يوم القيامة وهو يهلل**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة قال أبيت قالوا أربعون شهرًا قال

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٧.

(٢) فتح الباري ٣/ ٢٤٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ١٤٩ ـ ٢١٠.

(٤) المرجع السابق ٨/ ١٢٨ ـ ١٢٩.

أبيت ويبلىٰ كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فبه يركب الخلق[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع»**[٢] .

إن هذه الأحاديث النبوية تقرر ما قرره القرآن من ثبوت المعاد ووقوعه يوم القيامة. فالتكذيب بالمعاد واليوم الآخر سواء بإنكاره أو تأويل نصوصه الثابتة يعتبر تكذيب ورد لكلام الله وكلام رسوله ﷺ وجحد للمعلوم من الدين بالضرورة.

ومن الأحاديث الواضحة والصريحة في ثبوت المعاد الجسدي قصة الرجل الذي أساء عمله وخاف من لقاء الله ولفظ هذه القصة كما رواها البخاري ومسلم: أن النبي ﷺ ذكر رجلاً فيمن كان قبلكم أعطاه الله مالاً وولداً فلما حضرته الوفاة قال لبنيه أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب قال: فإنه لم يبتئر عند الله خيراً وإن يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا مت فاحرقوني حتىٰ إذا صرت فحمًا فاسحقوني فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها فقال نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم: فأخذ مواثيقهم علىٰ ذلك[٣] وربىٰ ففعلوا ثم اذروه في يوم عاصف فقال الله عز وجل كن. فإذا هو رجل قائم.

(وفي رواية مسلم فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه. وفي رواية أخرىٰ قال الله عز وجل لكل شيء أخذ منه شيئًا أد ما أخذت منه). قال الله أي عبدي ما حملك علىٰ أن فعلت ما فعلت؟ قال مخافتك قال فما تلافاه أن رحمه عندها[٤] .

يقول ابن حجر رحمه الله: إن في هذا الحديث دلالة واضحة علىٰ عظم قدرة الله

---

(١) فتح الباري ٨/ ٥٥١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ٣٧.

(٣) ورد هذا اللفظ بصيغة الماضي كما في البخاري وهو مأخوذ من التربية ومعنىٰ ربىٰ أخذ المواثيق بالتأكيدات والمبالغات. انظر فتح الباري ١١/ ٣١٥.

(٤) الحديث منقول بتمامه من صحيح البخاري انظر فتح الباري ١٣/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧. أما الروايات الأخرىٰ فهي في صحيح مسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ٧١ ـ ٧٣.

تعالىٰ حيث جمع جسد المذكور بعد أن تفرق ذلك التفريق الشديد[١] .

ولهذا الحديث روايات وألفاظ متعددة ومجموع رواته يبلغون درجة التواتر كما ذكر ذلك صاحب العواصم[٢] .

والحديث كما هو واضح من ألفاظه ومعانيه يعتبر مثالاً حيًا وواقعيًا لجمع جسد الإنسان وبعث الحياة إلىٰ ذلك الجسد المتفرق مرة أخرىٰ بعد حرق العظام وسحقها وذرها في يوم عاصف نصفها في البر ونصفها في البحر. وإنما يصعب الإيمان بمثل هذا عند أصحاب التصورات الضيقة الذين لا يؤمنون بقدرة الله وعلمه وإحاطته بكل شيء.

ومن الأحاديث أيضًا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه وأخرجه البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحه بأسانيد متعددة عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالىٰ كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد[٣] .

إن إنكار البعث والمعاد بعد هذه الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية يعتبر من أعظم الكفر والإلحاد؛ لأنه رد صريح وواضح لآيات الله وأحاديث رسول الله التي يجب علىٰ كل مسلم الوقوف عندها والتسليم لها كما أنه جحد وإنكار لقدرة الله ودلائله البينة في الأنفس والآفاق.

لقد حكم الله في كتابه الكريم علىٰ منكري البعث بالكفر والخلود في النار كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٥﴾[٤] .

---

(١) فتح الباري ١١/ ٣١٥.

(٢) مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن ابراهيم الوزير واسم الكتاب العواصم والقواسم وهو مخطوط.

(٣) انظر فتح الباري ٦/ ٢٨٧، ٨/ ١٦٨، ٧٣٩، المسند لأحمد بن حنبل ٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٤) سورةالرعد: ٥.

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أن تعجج من قولهم: ﴿**أئذا كنا ترابًا أئنا لفي خلق جديد**﴾ فعجب قولهم إذ كيف ينكرون هذا وقد خلقوا من تراب ولم يكونوا شيئًا.

الثاني: إن تعجب من شركهم مع الله غيره وعدم انقيادهم لتوحيده وعبادته وحده لاشريك له فإنكارهم للبعث وقولهم ﴿**أئذا كنا ترابًا أئنا لفي خلق جديد**﴾ أعجب وعلى كلا التقديرين فإنكار المعاد عجب من الإنسان وهو محض إنكار الرب والكفر به والجحد لإلهيته وقدرته وحكمته وعدله وسلطانه[1].

ومن الآيات التي تدل على كفر منكر البعث ما ذكره الله بقوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨)**﴾[2].

ولهذه الآيات وغيرها أجمع علماء المسلمين على تكفير المنكرين للبعث والمعاد واعتبروهم من الفرق الخارجة عن الإسلام.

يقول ابن حزم: اتفق أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيامة الكبرى وعلى تكفير من أنكر ذلك[3].

وحينما تحدث الإمام الغزالي ْن أصناف الفلاسفة قال: إنهم أصناف ثلاثة. دهريون وطبيعيون والهيون وبين آراء كل صنف منهم وقال: إن الصنف الثاني ذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب فانحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك الأنعام وهؤلاء زنادقة لأن أصل الإيمان هو:

---

(١) العقيدة الإسلامية لكمال عيسى ص٣٩٤ـ٣٩٥.

(٢) سورة الكهف: ٣٥ـ٣٨.

(٣) الفصل لابن حزم ٤/ ٧٩.

الإيمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وأن آمنوا بالله وصفاته[١].

ويقول الديلمي: إن مما يدل على كفر الباطنية اعتقادهم في المعاد والقيامة وذلك لأنهم يعتقدون إبطال القيامة على الوجه الذي يعتقده المسلمون ويعلم من دين النبي ﷺ ضرورة[٢].

ويحدد ابن تيمية أصناف المنكرين للمعاد ويبين حكمهم وفق الأدلة الشرعية بقوله: وجميع هؤلاء الأصناف ـ والباطنية منهم ـ كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان حتى ولو أظهر أحدهم التصديق بألفاظه[٣].

وأخيراً فإن الاسماعيلية بنصوصهم هذه عن المعاد يعتبرون من المنكرين للمعاد والمكابرين للحس والواقع والفطرة ولا غرو وحالتهم هذه أن يجزم العلماء الكاشفين لإسرارهم والهاتكين لأستارهم كفرهم وردتهم لإنكارهم الإيمان بالحساب والجزاء، وتأويلهم إياها تأويلاً باطنيًا يساوي الجحد والإنكار.

* * * * *

---

(١) المنقذ من الضلال للغزالي ص١٠٩ ـ ١١١.

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٧٨.

(٣) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٤/ ٣١٤ ـ ٣١٥، وسبق أن نقلنا هذا النص بطوله قبل بضع صفحات.



الفصل السادس

معتقد الاسماعيلية في التكاليف الشرعية

تعتبر التكاليف الشرعية ـ من صلاة وزكاة وحج وصوم وجهاد ـ صورة عملية تطبيقية لعقيدة المسلم التي يدين بها ويعتقدها، وذلك لأن الفكر والسلوك في حس المسلم مرتبط أحدهما بالآخر لا إنفصال بينهما ولا انفصام ومتى حدث شيء من ذلك فهو صورة من صور الانحراف من الصراط المستقيم.

كما أن التكاليف الشرعية أيضًا تعتبر أركانًا أساسية يقوم عليها هذا الدين، فلا يصح إسلام إلا بتطبيقها والعمل بها جميعًا. ومن الأدلة الواضحة على ذلك ما ورد في حديث جبريل حينما سأل الرسول ﷺ عن الإسلام أجابه بقوله: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**»[1]. ومن هذين الاعتبارين يتضح لنا أن الاعتقاد بوجوب أداء التكاليف الشرعية جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم، وأن الإخلال بهذه التكاليف ـ تركًا أو تأويلاً أو تكذيبًا ـ يعتبر هدمًا لأركان هذا الدين وأسسه.

ومن أبرز الفرق الغالية التي هدمت ركن التكاليف الشرعية فرقة الاسماعيلية وسائر الفرق الباطنية حيث نهجوا منهجًا غريبًا في بيان حقيقتها وحكمها فأسقطوها واعتبروا مزاولتها من جنس العذاب والعقاب. ولذا فإن معتقدهم عن التكاليف الشرعية مبني على أمرين سبق الحديث عنهما في الفصل الأول والفصل الرابع.

الأمر الأول: القول بالظاهر والباطن فما من نص ورد عن الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج أو الجهاد إلا وجعلوا له معنيين المعنى الظاهر وهو ما فهمه المسلمون والمعنى الباطن وهو ما اكتشفوه واعتبروه من خواص أئمتهم.

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٧ ـ ١٦٠.

الأمر الثاني: معتقدهم عن البعث والجزاء والثواب والعقاب حيث اعتبروا مزاولة الأعمال الشرعية التكليفية عقابًا وعذابًا لمخالفيهم وبالمقابل فإن اتباعهم المؤمنين بدعوتهم وصلوا ـ بزعمهم ـ إلىٰ مرتبة تحط عنهم فيها جميع التكاليف والأعمال البدنية، وهذا هو خلاصة معنىٰ الثواب والجزاء الذي يؤمنون به. ومما يدل علىٰ هذين الأمرين وأنهما الأصل الحقيقي لمعتقدهم عن الشرائع الإسلامية ما نقل عنهم من تأويلات باطنية لهذه الشرائع ومعتقدات خاصة في أحكامها. أما الأمر الأول فقد أُلفت فيه موسوعة كبيرة تعتبر أصلاً وأساسًا لتأويلاتهم للتكاليف الشرعية ألفها قاضيهم المشهور بابن حيون الاسماعيلي قاضي المعز، واسم هذه الموسوعة دعائم الإسلام وتقع في مجلدين وتعتبر القسم الأول، أما القسم الثاني فاسمها تأويل الدعائم وتقع في ثلاثة مجلدات ولو تتبعنا ما فيها من تأويلات باطنية لشرائع الإسلام الأساسية لوجدنا هذه الموسوعة تفيض بالباطل في تأصيل التأويلات الباطنية في مذهب الاسماعيلية. فالصلاة قال عنها في التأويل أن مثلها مثل الدعوة ـ ويقصد بذلك دعوة الاسماعيلية ـ والمؤذن الذي ينادي للصلاة هو الداعي الذي يدعو إلىٰ باطن الدعوة وظاهر الصلاة إتمام ركوعها وسجودها وفروضها ومسنونها. وباطنها إقامة دعوة الحق في كل عصر. ويقول إن مثل الصلوات الخمس في عددها مثل الدعوات الخمس لأولي العزم من الرسل الذين صبروا علىٰ ما أمروا به ودعوا إليه، وكل صلاة منها مثل لدعوة كل واحد من أولي العزم الخمسة، وصلاة الظهر مثل لدعوة نوح، والعصر مثل لدعوة ابراهيم، والمغرب مثل لدعوة موسىٰ، والعشاء الآخرة مثل لدعوة عيسىٰ، والفجر وهي الصلاة الخامسة مثل للدعوة الخامسة ـ وهي دعوة خامس أولي العزم من الرسل محمد ﷺ[1].

وأما الزكاة فقال في تأويلها: **أن المراد منها الظاهري إخراج ما يجب على الأغنياء** في أموالهم ودفع ذلك إلىٰ الأئمة الذين تعبد الله عز وجل الناس بدفع ذلك إليهم. وأما في الباطن فمثلها مثل الأسس والحجج الذين يطهرون الناس ويصلحون أحوالهم وينقلونهم في درجات الفضل بما يوجبه أعمالهم يكون علىٰ هذا قوله: **لا صلاة إلا بزكاة**

(١) تأويل الدعائم للقاضي ابن حيون ١/ ١٧٧ ـ ١٧٩.

يعني أنه لا تقوم الدعوة إلا بمعرفة الأسس الذين هم أوصياء النبيين والحجج الذين هم أوصياء الأئمة، وحينما تحدث عن وضع الزكاة في غير موضعها قال: وتأويل ذلك في الباطن أن طهارة أهل كل عصر وزمان إنما يكون عند إمام زمانهم أو عند من أقامهم ونصبهم لطهارتهم، فما كان من أعمالهم التي توجب الطهارة لهم لم يجزهم دفعها إلا إلىٰ من يلي طهارتهم وتزكيتهم[1].

وأما الصوم فإن له معنيين أيضًا: المعنىٰ الظاهر هو المتعارف عند عامة الناس بالإمساك عن الطعام والشراب والجماع وما يجري مجرىٰ ذلك.

وما المعنىٰ الباطن للصوم فهو كتمان علم باطن الشريعة من أهل الظاهر والإمساك من المفاتحة به ممن لم يؤذن له في ذلك.

ومما قالوا: إن مثل أيام شهر رمضان التي أمر الله عز وجل بصومها ما يقابلها من عشرة أئمة، وعشرة حجج وعشرة أبواب، وذلك في التأويل كتمان أمرهم وما يلقونه من التأويل إلىٰ عامله إلىٰ أن يأذنوا في ذلك لمن يرونه.

وحينما تحدث النعمان بن حيون عن مفسدات الصوم وكفارة ذلك ذكر قصة الرجل الذي باشر أهله في رمضان، وقال مؤولاً لها أن تأويل ذلك في الباطن هو مفاتحة من لا يجوز مفاتحته في تأويل الباطن، وعن كفارة ذلك فإن كان المفاتح بذلك يقدر علىٰ أن يؤدي عن مؤمن فكاك رقبته من أن يستحق ذلك وأد يعنه فكه، فإن لم يجد ذلك كان عليه الرجوع بالتوبة إلىٰ مفيده وبابه وإن لم يفاتح أحدا.

ومعنىٰ صيام شهرين متتابعين الكتمان علىٰ الأصلين، ومن التأويلات الباطنية في هذا الباب قوله: إن المعنىٰ الباطني لتقبيل الرجل زوجته أو مباشرتها في نهار رمضان أن يفاتح المفاتح من لا تجب له المفاتحة بمعاريض من الكلام الذي يكون سببًا وداعية إلىٰ كشف الباطن وبيان التأويل وينبغي له أن يتنزه عن ذلك كما يخاف عليه ألا يكون ضابطًا لنفسه من أن يبدي ذلك أو يدل عليه بشيء يفهم عنه من يفاتحه به ذلك من أجل دلالته.

وقال إن الأيام أمثالها في الباطن أمثال النطقاء والليالي أمثالها أمثال الحجج،

---

(١) المرجع السابق ٣/ ٥٨ ـ ٦٧.

وكما أنه لابد لكل يوم من ليلة فكذلك لابد لكل ناطق من حجة، ومثل ليلة القدر مثل حجة خاتم الأئمة وحجته يقوم قبله لينذر الناس بقيامه ويبشرهم به ويحضهم على الأعمال الصالحة قبل ظهوره واغتنام ذلك لأنه إذا قام وانقطع العمل ولم يقبل ولم ينفع وتأول آيات القرآن الواردة في ليلة القدر بناء على هذا المعنى فقال في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ بأن هناك يعني خاتم الأئمة وذلك بقيام آخر دعوة لحجته وقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1] بأن حجة خاتم الأئمة خير من ألف نقيب ولو قاموا في الأرض ولم يقوموا مقامه وقال في تأويل معني قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾[2] بأن المراد بذلك حجة خاتم الأئمة الذي يفترق الحكمة في الأرض وعند ذلك تشمل جميع أهل الأرض البركة، ويجمع الله عز وجل لهم جميع أهل الأديان ويكون الدين كله لله ويؤمن جميع الناس[3].

وعن الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج قال قاضي الاسماعيلية: إن للحج ظاهراً وباطناً. فظاهره الإتيان للبيت العتيق لقضاء المناسك عنده وتعظيمه وباطنه الذي جعل الظاهر دليلاً عليه إتيان أمام الزمان من نبي وإمام لأن إمام الزمان مثله في الباطن مثل البيت الحرام.

وقال عن الاستطاعة الواردة في قوله تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً...﴾[4] بأن لها معنيان الظاهر وجود الزاد والراحلة وأمن السبيل، وأما المعنى الباطني المراد من الزاد فهو العلم والحكمة اللذين بهما حياة الأرواح الحياة الدائمة والراحلة مثلها في الباطن أولياء الله، وأسبابهم الذين يحملون أثقال العباد دينًا ودنيا فإذا وجد من وقف لطلب معرفة إمام زمانه من أسباب أولياء الله والدعاة إليهم من يدله

---

(١) سورة القدر: ١، ٢.

(٢) سورة الدخان: ٣، ٤.

(٣) تأويل الدعائم لابن حيون ٣/ ١٠٧ ـ ١٢٥.

(٤) سورة آل عمران: ٩٧.

عليه ويعرفه به ويفاتحه من العلم والحكمة بما يشهد لصحة قوله ويبين له ما دعاه إليه فذلك في الباطن وجود الزاد والراحلة.

وأما أمن السبيل فمثله في باطن التأويل أن يكون دليله على ذلك وحامله عليه وهاديه إليه ومفيده من العلم والحكمة ما يثبت ذلك عنده مأمونًا غير متهم بالكذب وسوء المذهب ولا معروفًا بذلك.

وقال في تأويل أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة بأن المراد بالشهرين الإمام والحجة، ففي طلب معرفتهما يفرض الحج والأيام من ذي الحجة مثلها مثل السبعة النطقاء والأئمة السبعة الذين بين كل ناطقين مع معرفة الداعي وبابه اللذين عن طريقهما يصل إلى معرفة هؤلاء النطقاء والأئمة، فذلك تسعة حدود على عدد الأيام التسعة ومن طلب معرفة الإمام والحجة فلابد له من معرفة هؤلاء التسعة ففرض الحج في الباطن إنما يكون في طلب معرفة هؤلاء[1].

وقال في تأويل مواقيت الإحرام: إن المراد منها في الباطن حدود الشرائع فكما أن عدد المواقيت خمسة فكذلك الشرائع حدودها خمسة. شريعة نوح وشريعة ابراهيم وشريعة عيسى وشريعة موسى، وشريعة محمد ﷺ. وأول الطواف بأن المراد منه تمسك أهل دعوة الحق بإمام زمانهم ولواذهم به وإقبالهم عليه وابتغائهم فضل ما لديه من العلم والحكمة وطواف الحجيج بالبيت سبعًا في الظاهر مثل إقرار أهل الدعوة بالنطقاء السبعة والأئمة السبعة الذين يتعاقبون الإمامة بين كل ناطقين سبعة منهم بعد سبعة[2].

وهكذا تأولوا جميع مناسك الحج وفق هذا المنطلق.

وأما الجهاد فيعتبره الاسماعيلية الدعامة السابعة[3] من دعائم الإسلام وأولوا المراد

---

(١) تأويل الدعائم للقاضي النعمان ٣/ ١٤٣ ـ ٤٤، ١٥١.

(٢) المرجع السابق ص١٥٧ ـ ١٥٨، ٢١٢.

(٣) دعائم الإسلام عندهم سبع دعائم وهي الولاية، والطهارة والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد وعليها بني قاضي الاسماعيلية كتابيه المشهورين، دعائم الإسلام وتأويل الدعائم.

منه لصالح مذهبهم فقالوا:

إن معناه الاستجابة لدعوتهم ومجاهدة النفس على الإيمان بها وردع من يمتنع من القيام بنشرها.

وحينما تحدث قاضي الاسماعيلية وفقيهها عن جهاد المسلمين الذين لم يستجيبوا لدعوة الحق[١] ولم يستحقوا اسم الإيمان ببيعة ولاة الأمر ـ سماهم بالأعراب وقال عنهم ـ: إن هؤلاء لا جهاد عليهم لأن من لم يستجب لدعوة الحق لم يجب عليه أن يجادل عنها أهل الخلاف وهو لا ينتحلها فإن دعت الضرورة إليه في أن يجادل أهل الأديان من دعوة الإسلام الظاهر، لاستتار القائمين بدعوة الحق في ذلك الوقت أو لغير ذلك مما يمنع من مظاهرتهم بجدال أهل الباطل جادلهم في ذلك من هو على ظاهر دعوة الإسلام ممن لم يستجب لدعوة الحق ولم يعرف إمام الزمان. وكذلك لا تقبل منهم نفقاتهم في الجهاد إلا أن تدعو الضرورة إلى قبولها.

وقال بأن تأويل النفقة في سبيل الله هو ما يتلقاه المستفيدون من المفيدين من علم أولياء الله حيث أنهم يفيدون نقباءهم من علم ظاهر الشريعة وعلم باطنها حسبما ينبغي لهم ويفيد النقباء من ذلك من يستفيد منهم بقدر قسطه وكذلك يفيد أهل كل طبقة من دونهم من المستفيدين منهم بقدر احتمالهم وما توجبه حدودهم[٢].

وقال عن الجزية أنها في الظاهر ما يأخذه المسلمون من أموال المشركين إذا ظهروا عليهم وامتنعوا من الإسلام. وتأويل ذلك في الباطن أن المال مثل العلم فإذا ظهر أهل الحق على أهل الباطن فامتنع أهل الباطن من الدخول في دعوة الحق وكان السلطان لأهل الحق منعوا أهل الباطل من الأحكام بما يعتقدونه من علمهم وحالوا بينهم وبين ذلك. وذلك مثل أخذ الجزية في الظاهر من المشركين[٣].

ومن أجمع نصوصهم عن تأويل الشرائع ما ذكره الداعي الاسماعيلي الطيبي

---

(١) المقصود منها دعوة الاسماعيلية القائمة على الظاهر والباطن.

(٢) تأويل الدعائم ٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢، ٢٨١.

(٣) المرجع السابق ١/ ١٦٥.

بقوله: إن الحلال هو الواجب إظهاره وإعلانه والحرام هو الواجب ستره وكتمانه.

فالصلاة هي صلة الداعي إلىٰ دار السلام بصلة الأبوة في الأديان إلىٰ الإمام. والزكاة إيصال الحكمة إلىٰ المستحق. والصوم الإمساك عن كشف الحقائق لغير أهلها والحج القصد إلىٰ صحبة الأئمة والإحرام الخروج من مذهب الأضداد، وأما الزنا فهو اتصال المستجيب من غير شاهد والربا الرغبة في الإكثار وطلب الحطام وإفشاء الأسرار. والمسكر الحرام ما يصرف العقل عن التوجه إلىٰ طلب معرفة الإمام[1].

هذه هي التأويلات الباطنية عند الاسماعيلية للتكاليف الشرعية في مقال معانيها الظاهرة وهذا هو الأمر الأول في منهجهم فيما يتعلق ببيان حقيقة التكاليف الشرعية.

أما الأمر الثاني وهو اعتقادهم أن مزاولة الأعمال التكليفية بمعناها الظاهر مشقات يزاولها غير المستجيبين للدعوة وأغلال يكبلون بها وأن أتباعهم المؤمنين بدعوتهم وصلوا ـ بزعمهم ـ إلىٰ مرتبة تحط عنهم فيها جميع التكاليف الشرعية والأعمال البدنية. أما اعتقادهم هذا فإنه يدل عليه أقوال دعاتهم حيث يقول الحارثي: إن حجج الليل هم أهل الباطن المحض المرفوع عنهم في أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم[2].

ويقول داعيهم سنان راشد الدين: إن الإنسان متىٰ عرف الصورة الدينية فقد عرف حكم الكتاب ورفع عنه الحساب وسقط عنه التكليف وسائر الأسباب[3].

بل وصل الغلو والإلحاد بهم مبلغًا أن أولوا التكاليف الشرعية بأنها هي النار الأخروية والتي خلقها الله للعقاب والعذاب فزعموا أن مزاولة الأعمال التكليفية

---

(١) رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور للداعي الطيبي ص٧٠ ـ ٧١ ضمن أربع رسائل اسماعيلية جمع عارف تامر.

(٢) الحقائق الخفية للأعظمي ص١٠٢.

(٣) كتاب شيخ الجبل الثالث لمصطفىٰ غالب ص١٤١.

الشرعية من جانب المسلمين الذين يؤمنون بهذه الأعمال ويطبقونها إنما هو العذاب والنكال والأصفات والأغلال ومزاولتها وتطبيقها هو الاصطلاء بالنار ويشهد لهذا المفهوم الخطير والهذيان الحقير ما سبق أن نقلناه عن السجستاني في الفصل السابق عند تأويله النار ومفهومها يقول: والنار عبارة عن الشرائع الناموسية المعراة عن العلوم المستعملة لإصلاح العالم الطبيعي وصورة العذاب في هذه الشرائع هو الاصطلاء بها والاستعمال لها وعندئذ تفسد الصورة اللطيفة ويقع للشخص فيها الشبهة والالتباس وإذا برزت بهويتها تراها في غاية الإيلام للأنفس المتعلقة بها.

ويضيف قائلاً: إن النار موجودة في كل موضع ولا يخلو منها مكان فهي ظاهرة نيرة مبذولة لكل أحد وهي الشرائع المقلدة موجودة في كل مكان لا يخلو منها قوم من الأقوام[1].

ويقول أحد الدعاة الباطنيين: من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر وإنما وضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين. أما من بلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأتها عليك فقد أعتقته من الرق ورفعت عنه الأغلال والأصفاد وإقامة الظاهر[2].

وهكذا أولوا جميع التكاليف الشرعية تأويلاً ينتهي إلى إبطالها أو على أقل تقدير عدم الاعتداد بظاهرها؛ لأن المقصود الحقيقي عندهم هو أدائها بالمعنى الباطني ويصبح الظاهر جسداً هامداً لا حياة فيه ولا روح.

ومن تعاليمهم المذهبية قول الداعي للمدعو: إن معرفة صاحب الحق ـ أي الإمام ـ تغني عن كل شيء ولا يخاف معها إثم ولا عذاب، وأن جميع الفرائض موضوعة عن المستجيبين لدعوة الاسماعيلية والباطنية[3].

---

(١) انظر كتاب السجستاني ص١٣٨ ـ ١٣٩.

(٢) الهفت الشريف ص٦٥.

(٣) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزي ١/ ١٥٨.

نصوص علماء الفرق عن معتقد الاسماعيلية في التكاليف الشرعية:

يقول الملطي: أن القرامطة ـ وهم فرقة من الفرق الاسماعيلية ـ يزعمون أن الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض نافلة لافرض وإنما هو شكر للمنعم وأن الرب لا يحتاج إلى عبادة خلقه وإنما ذلك شكرهم فمن شاء فعل ومن شاء لم يفعل والاختيار في ذلك إليهم[1].

ويقول البغدادي: إنهم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلاً يورث تضليلاً فزعموا أن معنى الصلاة موالاة أمامهم والحج زيارته وإدمان خدمته، والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام، وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها واستدل البغدادي على إسقاط التكاليف الشرعية عندهم بالرسالة المتبادلة بين إمام الاسماعيلية «عبيد الله المهدي» وبين أحد دعاتهم ومما جاء في هذه الرسالة قوله: وله الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج[2].

ويقول الحمادي اليماني: ـ وهو ممن دخل مذهبهم واطلع على أسرارهم ـ أنهم في أول الدعوة يلبسون على المدعو فيحضونه على شرائع الإسلام لكنهم يخدعونه بروايات محرفة وأقوال مزخرفة ويتلون عليه القرآن على غيره وجهه ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه قبولاً وانقياداً قالوا له لا تقنع لنفسك بما قنع العوام من الظواهر وتدبر القرآن ورموزه واعرف مثله وممثوله، واعرف معاني الصلاة والطهارة والزكاة والصوم والحج فإن لهذه منقولات محجوبة وهو باطنها، فالصلاة صلاتان والزكاة زكاتان وكذلك الحج والصوم وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن، فالظاهر ما تساوي به الناس وعرفه الخاص والعام وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به فلا يعرفه إلا القليل، فلا يزال الداعي ينقل مدعوه من درجة إلى أخرى حتى يحط عنه جميع التكاليف الشرعية ويقع ذلك من المستجيب موقع الاتفاق والموافقة؛

(١) كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي حسين الملطي ص٢٠.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٨٠ ـ ٢٨٢.

لأنه مذهب الراحة والإباحة يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله[١].

ويوضح الإمام الغزالي أن معتقدهم في التكاليف الشرعية الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحظورات واستحلالها وإنكار الشرائع ويقول أنهم صنفوا الخلق وفق هذا المعتد إلى صنفين.

الصنف الأول:

المستجيبون لدعوتهم وهؤلاء في نظرهم أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الأمور واطلعوا على بواطن الظواهر حتى وصلوا إلى رتبة الكمال في العلوم، وعندئذ تنحط عنهم التكاليف العملية وتنحل عنهم قيودها؛ لأن المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم فإذا ناله استعد للسعادة القصوى وسقط عنه تكاليف الجوارح.

الصنف الثاني:

الجهال والأغبياء ـ أي المسلمون في زعمهم ـ الذين يجهلون بواطن الأمور وتأويلاتها فهؤلاء لا يمكن رياضة نفوسهم إلا بالأعمال الشاقة ولذا يكلفون بتأدية العبادات وأعمال الجوارح عقوبة ونكالاً لهم.

ويضيف الغزالي إلى أن هذا فن من الاغواء شديد على الأذكياء والغرض منه هدم قوانين الشريعة[٢].

وللعلامة ابن تيمية رحمه الله عدة إشارات إلى هذا المعتقد لدى الاسماعيلية المتمثل في إسقاط التكاليف الشرعية ومما قاله في ذلك أنهم اعتبروا الشرائع المأمور بها والمحظوات المنهي عنها من الأمور المنفية، وأن لها تأويلات باطنية تخالف ما يعرفه المسلمون منها فالصلوات الخمس معرفة أسرارها وصيام رمضان كتمانها وحج البيت

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص١١ ـ١٢.

(٢) انضر فضائح الباطنية للغزالي ص٤٦ ـ ٤٧.

السفر إلىٰ شيوخهم[١].

ونقل عن بعض رؤساء الباطنية أنه قال لأتباعه:

قد أسقطنا عنكم العبادات فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة[٢].

ويقول في موضع آخر أن الاسماعيلية خرجوا من التكليف بدعوىٰ كمال التحقيق حيث يقول أحدهم أن العبد يعمل حتىٰ تحصل له المعرفة وعندئذ يصل إلىٰ الغاية وتسقط عنه العبادات التي تجب علىٰ العامة كالصلوات الخمس وصيام رمضان وحج البيت وتحل له المحرمات التي لا تحل لغيره.

وينقل بعد ذلك اتفاق أئمة الإسلام علىٰ كفر من اعتقد هذا أو قاله لأن الأمر والنهي قائم علىٰ كل بالغ عاقل إلىٰ أن يموت لقوله تعالىٰ: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[٣]، والمراد باليقين هنا هو ما بعد الموت لقول النبي ﷺ الحديث الصحيح عن عثمان بن مظعون: «أما عثمان فإنه أتاه اليقين من ربه»[٤].

هدف الاسماعيلية من تأويل التكاليف ونقدهم.

كشف علماء المسلمين منطلق الاسماعيلية وهدفهم من تأويلاتهم الباطنية ومما نقل عنهم في ذلك نصوص كثيرة نقتصر علىٰ نماذج منها:

يقول الشاطبي: إن جميع التأويلات الباطنية ـ بما فيها التكاليف ـ يقصد من ورائها إبطال الشريعة جملة وتفصيلاً والقاء ذلك بين الناس لينحل الدين في أيديهم[٥].

ويقول البغدادي: أن غرض الباطنية الدعوة إلىٰ دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٢٩٢.

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٥/ ٥٥٢.

(٣) سورة الحجر: ٩٩.

(٤) انظر مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ١١/ ٥٣٩، ٥٤٠، ٤/ ١٦٣.

(٥) انظر الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٥٢.

ويعبر ابن تيمية عن هدفهم من التأويل مع بيان خطورته واستغلال الفرق له بقوله: إن التأويل الفاسد في السمعيات صار دهليزاً للزنادقة الملحدين وذلك كفرق الباطنية من القرامطة والاسماعيلية وغيرهم الذين انتهىٰ بهم الأمر إلىٰ إبطال الشرائع المعلومة كلها[١].

وهنا لابد من الإشارة إلىٰ أن تأويلاتهم للتكاليف الشرعية ساقطة وسخيفة لخروجها عن مألوف الألفاظ ودلالات المعاني التي نزل بها القرآن الكريم وجاء بها الرسول ﷺ حسب قواعد وأصول اللغة العربية، كما أن هذه التأويلات تخالف الأصول الإسلامية والأدلة الشرعية التي أمرت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد إقامة عملية محسوسة وليست كما زعم الاسماعيلية إشارات ورموز إلىٰ أمور معنوية ومما له مدلول لهم أن الاستجابة لهذه العبادات ومزاولتها عمليًا دلالة علىٰ إسلام المسلم ودخوله في دين الله عز وجل ومن ثم عصمة ماله ودمه كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[٢].

وكما في قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**». رواه البخاري ومسلم[٣].

ولذا يقول ابن تيمية إن هذه التأويلات الباطنية مما علم بالاضطرار أنها كذب وافتراء علىٰ الرسل صلوات الله عليهم وتحريف لكلام الله ورسوله عن مواضعه وإلحاد في آيات الله[٤].

ويقول في موضع آخر أن وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواش

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٥/ ٢٥٢.

(٢) سورة التوبة: ٥.

(٣) فتح الباري ١/ ٧٥، صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٢١٢.

(٤) مجموع الفتاوىٰ لابنتيمية ٣/ ٣٠.

والخمر هذه الأمور مسائل عملية والمنكر لها يكفر بالاتفاق[١].

كما يقول الديلمي: والعجب من عاقل نشأ في دار الإسلام وعرف أحوال النبي ﷺ وشدة اجتهاده في عبادة الله تعالى من الصلاة والصوم وغير ذلك فإنه صلى حتى تورمت قدماه ثم ينخدع بكلام هؤلاء الجهلة القائلين بأن هذه العبادات لها تأويلات وبواطن وهي المقصود في الحقيقة[٢].

ولغرابة تأويلات الاسماعيلية وإمعانها في الغلو المخرج من الملة فإنه حتى المستشرقين الكفرة المشهورين بحقدهم على الإسلام عابوا وانتقدوا هذا المنطلق عند الشيعة واعتبروه من أخطر المباديء، والتي عملت لهدم الشريعة الإسلامية ومن ذلك ـ وعلى سبيل المثال ـ ما قاله المستشرق اليهودي جولد تسيهر: أن آيات الكتاب سهلة يسيرة ولكنها على سهولتها تخفي وراء ظاهرها معنى خفيًا مستترًا ويتصل بهذا المعنى الخفي معنى ثالث يحير ذوي الأفهام الثاقبة ويعييها، والمعنى الرابع ما من أحد يحيط به سوى الله واسع الكفاية من لا شبيه له. وهكذا نصل إلى معان سبعة الواحد تلو الآخر. ففي كل مرحلة أو درجة أعلى من سابقتها يصبح المعنى الباطني والرمزي المتعلق بالمرحلة السابقة أساسًا للقيام بتأويلات أخرى أعظم دقة والتواء إلى أن تبخر تبخرًا تامًا موضوع التفسير الإسلامي الذي كان الأساس الأول منذ البداية[٣].

وأختم هذا الفصل بنصين مهمين فيهما رد ونقد لأصل الاسماعيلية هذا وبيان أهدافهم من القول فيه:

يقول البغدادي: أن الباطنية يخرجون المستجيب لهم بحيلة أن المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها ومن هنا يترك العمل بإحكام الشريعة. فإذا اعتاد ترك العبادة واستحل المحرمات كشفوا له القناع وقالوا له: لو كان لنا إله قديم غني عن كل شيء لم يكن له فائدة في ركوع العباد وسجودهم ولا في طوافهم حول بيت من حجر ولا في

(١) المسائل الماردينية لابن تيمية ص٦٧.

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٦١.

(٣) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص٢٤٣.

سعي بين جبلين فإذا قبل منهم ذلك فقد انسلخ عن توحيد ربه وصار جاحداً له زنديقاً[١].

ويقول العراقي في معرض رده على فرق الباطنية القائلين بسقوط التكاليف الشرعية: «على أنا قد تأملنا ولم نجد أرفع قدراً ولا أكرم منزلة ولا أحكم محبة لله تعالى من الأنبياء عليهم السلام فلم نسمع أن أحداً منهم وضع عنه التكليف أو دخل في فرائضه أدنى تخفيف بل عكس ذلك أولى وأصوب وإلى التحقيق أدنى وأقرب ألا ترى أن النبي ﷺ قام حتى تورمت قدماه وكان التهجد فرضاً في حقه دون أمته قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ...﴾[٢]. وقال النبي ﷺ: **«إنا معشر الأنبياء يضاعف علينا البلاء»** فإذا كان الأنبياء مع جلال قدرهم وكمال محبتهم لله عز وجل وكرامتهم عليه لم يسامحوا بترك الخدمة والإخلال بظاهر الشريعة فكيف يجوز لمن لم يبلغ درجتهم في الكرامة والاختصاص أن يدعي هذه الدعوى المنكرة الشنيعة؟ فالحاصل راجع إلى أن القائل به والمائل إليه ضال مضل نصب شبكة توافق طباع البطالين ليعيرهم بها ويخرجهم عن الدين[٣].

* * * * *

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٩٣.

(٢) سورة الإسراء: ٧٩.

(٣) الفرق المفترقة لعثمان العراقي ص٥.

الفصل السابع
حكم الإسلام في طائفة الاسماعيلية

إن الحكم على طائفة الاسماعيلية هل هي فرقة من الفرق الإسلامية أو هي فرقة من الفرق الخارجة عن الإسلام مبني على أمرين هامين:

أولهما: النظر والتأمل في معتقدات القوم وتصوراتهم ومن ثم سلوكهم وواقعهم. وهذا الأمر من الوضوح بمكان حيث انه ما من فصل من فصول البحث ـ ولا سيما الباب الخاص بأصول الاسماعيليلة ومعتقداتها ـ إلا وفيه الحكم البين الواضح الدال على كفرهم وردتهم وخروجهم من الإسلام جملة وتفصيلا وهذا الحكم نستطيع أن نقول بسهولة أنهم هم الذين قرروه على أنفسهم، فمعتقدهم بالله مبني على تعدد الآلهة حيث أناطوا خلق الخلق وإدارة الكون وتدبير أمر العالم علويه وسفليه على العقلين الأول والثاني أو السابق والتالي. مع الالحاد في أسماء الله وصفاته بجحدها ونفيها عن الله بالكلية. وفي باب النبوات اعتبروا النبوة رتبة من مراتب دعوتهم يتمكن المستجيب لهذه الدعوة من الوصول إليها ومن جراء ذلك أصبحت النبوة مقاما يحق إدعاءه لسائر الخلق.

كما أنهم لم يؤمنوا بختم النبوة وانقطاع الوحي مع إنكارهم لمعجزات الرسل والأنبياء وزعمهم بأفضلية الولاية والوصاية على النبوة والرسالة وأي واحد من هذه المزاعم كفر مخرج من الملة الإسلامية فكيف بها وقد اجتمعت عندهم.

وفي باب الأخرويات يبطلون الإعتقاد بالقيامة والمعاد على الوجة المتفق عليه بين علماء الملة الإسلامية حيث يعتقدون بأن القيامة هي قيام قائمهم وأن الثواب والعقاب إنما هو في الدنيا. ومما لا شك فيه أن من أنكر أو أول معتقداً وركناً أساسيًا من أركان الإيمان أنه يعتبر كافراً ومرتداً.

وفي باب الأعمال التكليفية الشرعية نجد أنهم قد أسقطوا هذه الأعمال وأولوها

حتى انتهى بهم الأمر إلى تركها وإهمالها، بل أنهم أولوا مزاولتها على أنها صورة من صور العذاب. ومن اعتقد ذلك أو عمله فلا شك بكفره وردته لمعارضة ذلك للأدلة الشرعية الموجبة أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج، فمن لم يقم بها ويؤيدها فإنه قد أخل بأركان الإسلام وقواعده ومن ثم لا يعتبر مسلماً فكيف بمن لم يقم بهامع اعتقاده خلافها والدعوة إلى تركها لا شك أن كفره أغلظ من الجنس الأول، وهذا هو حال الاسماعيلية كما رسم ذلك دعاتهم وسطره علماؤهم.

والخلاصة في هذا الأمر أن معتقدهم في أمر واحد من هذه الجوانب الأربعة كاف في الحكم عليهم بأنهم فرقة خارجة عن الفرق الإسلامية جملة وتفصيلاً وأن نسبتهم إلى الإسلام تعتبر مخالفة للأدلة ومغالطة للواقع الذي عاشوه والمنهج الذي رسموه ـ إذا كان ذلك في أمر واحد فقط فكيف بهذه الأمور الأربعة وقد اجتمعت بهم نعوذ بالله من الكفر المغلظ ونعوذ بالله من عاقبة ومصير أصحابه دنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)﴾[1].

الأمر الثاني: بين علماؤنا من أهل السنة والجماعة حقائق طائفة الاسماعيلية وأهدافها ومعتقداتها ومن ثم استخلصوا الحكم عليها بناء على الأدلة الشرعية وبناء على واقع الاسماعيلية حتى غدت وأصبحت ـ ولله الحمد ـ صورتهم واضحة ومنطلقاتهم معلومة وهذه هي نصوص العلماء:

يقول الإمام الغزالي ـ وهو من مشاهير أهل العلم الذين خبروهم وعرفوا أسرارهم ـ أن مذهب الباطنية ـ والاسماعيلية فرقة منها ـ مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض... ثم يضيف إلى أنهم يوافقون اليهود والنصار يوالمجوس على جملة معتقداتهم ويقرونهم عليها[2]

ونقل المحبي في خلاصة الأثر ما يلي: وأما القول فيهم ـ الباطنية ـ من جهة الاعتقاد منهم والنصيرية والاسماعيلية على حد سواء والجميع زنادقة وملاحدة. ثم

---

(١) سورة النساء: ١٤٥.

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص٣٧.

نقل عن كثير من كبار أهل العلم في المذاهب نص قولهم: إن كفر هذه الطوائف مما اتفق عليه المسلمون وأن من شك في كفرهم بعد العلم بحالهم فهو كافر مثلهم وأنهم أكفر من اليهود والنصارىٰ[١].

وحينما تحدث البغدادي في الباب الرابع من كتابه الفرق بين الفرق وضع عنوانًا لهذا الباب قائلاً: بيان الفرق التي انتسبت إلىٰ الإسلام وليست منه ثم ذكر من هذه الفرق الباطنية وقال: إن ضررها علىٰ فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارىٰ والمجوس، بل أعظم مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان، لأن الذين ضلوا لا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلىٰ يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها علىٰ أربعين يومًا وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر. . . إلىٰ أن قال: الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها إلىٰ استباحة كل ما يميل إليه الطبع، ثم ذكر أدلة كثيرة نقلها من رسائلهم وكتبهم تدل علىٰ أنهم دهرية مجوس زنادقة.

وفي آخر الباب قال: وقد بينا خروج فرق الباطنية ـ والاسماعيلية كبرىٰ فرقهم ـ عن جميع فرق الإسلام بما فيه كفاية والحمد لله علىٰ ذلك[٢].

وفي كتابه أصول الدين ذكر أن طائفة الباطنية خارجة عن فرق الأهواء وداخلة في فرق الكفر الصريح؛ لأنها لم تتمسك بشيء من أحكام الإسلام في أصوله ولا في فروعه وأن دعاتهم خالفوا المسلمين في التوحيد والنبوات وفي تأويل الآثار والآيات وأنهم كانوا دعاة المجوس بالتمويه إلىٰ دين الثنوية.

وبعد أن يستعرض عقائدهم يقول: واختلف أصحابنا في حكمهم. فمنهم من قال هم مجوس وأجاز أخذ الجزية منهم وحرم ذبائحهم ونكاحهم ومنهم من قال حكمهم حكم المرتدين إن تابوا وإلا قتلوا وهذا هو الصحيح عندنا. ثم ساق البغداي

(١) مقدمة كشف أسرار الباطنية للكوثري ص٩.

(٢) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٢٠، ٢٦٥ ـ ٢٦٦، ٢٧٨ ـ ٢٩٩.

بعد ذلك فتوى الإمام مالك في الباطني والزنديق وأنه قال عنهما: إن جاءا تائبين ابتداء قبلنا التوبة منهما وإن أظهرا التوبة بعد العثور عليهما لم تقبل التوبة منهما وأن هذا هو الأحوط فيهم[١].

وتحدث ابن حزم عن دار الإسلام ودار الحرب واعتبر أن الأراضي التي حكمها بعض الفرق الباطنية تعتبر دار كفر وذلك لصريح كفرهم وذلك كالقرامطة مثلاً وهم من فرق الاسماعيلية. وأما ديار العبيديين لظهور الإسلام فيها فإنها وإن حكمها العبيديون تعتبر دار إسلام وإن كان حكامها في حقيقة أمرهم كفاراً. يقول ابن حزم عن ذلك: إن من سكن في طاعة أهل الكفر من الغالية كالعبيديين ومن جرى مجراهم لا يعتبر كافراً لأن أرض مصر والقيروان وغيرهما الإسلام فيها هو الظاهر وولاتهم على كل ذلك لا يجاهرون بالبراءة من الإسلام بل إلى الإسلام ينتمون وإن كانوا في حقيقة أمرهم كفاراً. وأما من سكن في أرض القرامطة مختاراً فكافر بلا شك لأنهم معلنون بالكفر وترك الإسلام[٢].

وفي موضع آخر يقول عن الاسماعيلية: أنها طائفة مجاهرة بترك الإسلام جملة وقائلة بالمجوسية المحضة[٣].

فابن حزم يجزم بكفر القرامطة والعبيديين وهما من الاسماعيلية حيث الأولى فرقة من فرقهم، وأما العبيديون فإنهم أئمة الاسماعيلية في فترة الظهور وعددهم اثنا عشر حاكمًا.

ويفصل الديلمي حكمه على طائفة الباطنية وفرقها فيقول إن الذي يدل على كفر الباطنيين وجوه كثيرة وذكر منها عشرين وجهًا ثم قال: إن دلائل كفرهم مترتبة على أمور ثلاثة اعتقادات وأقوال وأفعال ومتى حصل واحد منها كفى في كون مرتكبه كافراً وإن اجتمعت فأجدر أن يكون كافراً فالباطنية على هذا من أكفر الكفار لاجتماع هذه

(١) أصول الدين للبغدادي ص٣٢٩ ـ ٣٣١.

(٢) كتاب المحلى لابن حزم ١٣/ ١٣٩.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٢/ ١١٦.

الأمور الثلاثة[1].

ويصف الشاطبي الباطنية بأنهم ثنوية دهرية إباحية ينكرون النبوة والشرائع وأمور المعاد بل إنهم ينكرون الربوبية[2].

ومن أهم الأحكام في هذا الباب ما نقل عن ابن تيمية رحمه الله من الفتوىٰ المشهورة في موسوعة مجموع الفتاوىٰ حيث سئل عن الفرق الباطنية ما حكم الإسلام فيها وما حكم التعامل مع هذه الطوائف فأجاب إجابة طويلة[3] نقتصر منها علىٰ ما يتعلق بالاسماعيلية.

يقول: إن جمهور المصنفين من المتقدمين والمتأخرين ذكروا بطلان نسبهم حتىٰ صنف العلماء في كشف أسرارهم وهتك أستارهم ومن ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني ألف كتابه المشهور في كشف أسرارهم وهتك أستارهم وذكر أنهم من ذرية المجوس وذكر من مذاهبهم ما بين فيه أن مذاهبهم شر من مذاهب اليهود والنصارىٰ بل ومن مذاهب الغالية الذين يدعون الألوهية علىٰ أو نبوته فهم أكفر من هؤلاء. وكذلك القاضي أبو يعلىٰ في كتابه المعتمد ذكر فصلاً طويلاً في شرح زندقتهم وكفرهم وكذلك أبو حامد الغزالي ذكر في كتابه الذي سماه «فضائل المستظهرية وفضائح الباطنية» بأن ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض. وكذلك القاضي عبدالجبار بن أحمد وأمثاله من المعتزلة المتشيعة يجعلون هؤلاء ـ أي الاسماعيلية ـ من أكابر المنافقين الزنادقة، فهذه مقالة المعتزلة في حقهم فكيف تكون مقالة أهل السنة والجماعة والرافضة الإمامية ـ مع أنهم من أجهل الخلق وأنهم ليس لهم عقل ولا نقل ولا دين صحيح ولا دنيا متصورة ـ يعلمون أن مقالة هؤلاء مقالة الزنادقة المنافقين ويعلمون أن مقالة هؤلاء الباطنية شر من مقالة الغالية الذين يعتقدون إلهية علي رضي الله عنه . . . ثم يضيف قائلاً: إن علماء الأمة المأمونون علمًا ودينًا يقدحون في نسبهم ودينهم لا يذمونهم

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٧١.

(٢) الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٥٣.

(٣) تشتمل هذه الفتوىٰ علىٰ اثنين وأربعين صفحة من المجلد الخامس والثلاثين ص١٢٠ ـ ١٦٢.

بالرفض والتشيع فإن لهم في هذا شركاء كثيرين بل يجعلونهم من القرامطة الباطنية الذين منهم الاسماعيلية والنصيرية ومن جنسهم الخرمية المحمرة وأمثالهم من الكفار المنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، ولا ريب أن اتباع هؤلاء باطل وقد وصف العلماء أئمة هذا القول بأنهم الذين ابتدعوه ووضعوه وذكروا ما بنوا عليه مذاهبهم وأنهم أخذوا بعض قول المجوس وبعض قول الفلاسفة فوضعوا لهم السابق والتالي والأساس والحجج والدعاوىٰ وأمثال ذلك من المراتب التي آخرها البلاغ الأكبر والناموس الأعظم. وإذا كان كذلك فمن شهد لهم بصحة نسب أو إيمان فأقل ما في شهادته أنه شاهد بلا علم قاف ما ليس له به علم وذلك حرام باتفاق الأمة، بل ما ظهر عنهم من الزندقة والنفاق ومعاداة ما جاء به الرسول ﷺ دليل علىٰ بطلان نسبهم الفاطمي . . . ثم يقول: إن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارىٰ وأن ما نقل عنهم وفي رسائلهم الخاصة مخالف للملل الثلاث دين الإسلام، ودين النصارىٰ، ودين اليهود، فهولاء خارجون عن الملل الثلاث.

وبالجملة فعلم الباطن الذي يدعون مضمونه الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بل هو جامع لكل كفر لكنهم فيه علىٰ درجات فليسوا مستوين في الكفر إذ هو عندهم سبع طبقات كل طبقة يخاطبون بها طائف من الناس بحسب بعدهم من الدين وقربهم منه. . . ثم يبين ابن تيمية رحمه الله آثار كفرهم في البلاد التي حكموها بقوله: ولأجل ما كان أئمة الاسماعيلية عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم نحو مائتي سنة قد انطفأ نور الإلام والإيمان حتىٰ قالت فيها العلماء: إنها كانت دار ردة ونفاق كدار مسيلمة الكذاب[1].

وفي موضع آخر بعد أن ذكر ألقابهم وأسمائهم ومنها الاسماعيلية والباطنية قال: إن شرح مقاصدهم يطول وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين لا بنوح ولا إبراهيم ولا موسىٰ ولا عيسىٰ ولا محمد ﷺ وعلىٰ أخوانه من الأنبياء والمرسلين. كما

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٣٥/ ١٢٩ ـ ١٣١ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤، ١٣٥ ـ ١٣٩.

أنهم لا يؤمنون بشرع من الكتب المنزلة من الله عز وجل لا التوراة ولا الانجيل ولا القرآن. ولا يقرون بأن للعالم خالقًا خلقه ولا بأن له دينًا أمر به، ولا أن له دارًا يجزي الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار. وهؤلاء اتفق علماء المسلمين على أنه لا تجوز مناكحتهم ولا تباح ذبائحهم وأوانيهم وملابسهم كأواني المجوس وملابس المجوس. ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا يصلى على من مات منهم كما قال تعالى عن النافقين ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**﴾[1]، فكيف بهولاء الباطنية فهم مع زندقتهم ونفاقهم يظهرون الكفر والإلحاد[2].

ومن علماء أهل السنة والجماعة الذين بينوا حال الاسماعيلية وحكموا عليها الإمام ابن القيم رحمه الله. يقول: ومن أشر طوائف المجوس الذين لا يقرون بصانع ولامعاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام الخرمية أصحاب بابك الخرمي وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والاسماعيلية والنصيرية والدرزية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية وهم من أكفر الكفار فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفاوتون في التفصيل فالمجوس شيوخ هؤلاء كلهم وأئمتهم وقدوتهم، وإن كان المجوس قد يتقيدون بأصل دينهم وشرائعم وهؤلاء لا يتقيدون بدين من ديانات العالم ولا بشريعة من الشرائع[3].

ويقول الكوفي - وهو ممن عاصرهم[4] - إن دعوة الاسماعيلية في الكوفة ترجع إلى مذاهب الثنوية وتهدف إلى تحقيق مذاهب المجوسية في مواضع أخر ويحوم حولها

---

(١) سورة التوبة:

(٢) المرجع السابق ص١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٥.

(٣) إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٢٤٧ - ٢٤٩.

(٤) في المخطوطة ما يثبت أن المؤلف عاصر الاسماعيلية ولا سيما قيام دولة العبيديين، فيكذر المؤلف أنه ابتدأ عمله في هذا الكتاب سنة ٣٣٦هـ وهذا مذكور في مقدمة كتابه «الرد على الاسماعيلية القرامطة»، وفي ورقة ٨٤ من المخطوطة آنفة الذكر قال عن أحد فصولها: وهذا فصل زدته في هذا الموضع في سنة ٣٤٧هـ.

أمور مختلطة من نحل كثيرة. ثم يذكر الكوفي عن رجل اسمه أبو عبدالله بن اسماعيل دخل دعوة الباطنية ثم خرج منها تائبًا بعد أن عرف أسرارها، يقول هذا الرجل: أشهد على أن القصد بمبتدأ هذه الدعوة لم يكن للتشكيك في الإسلام ونقل المملكة عن العرب خاصة. وإنما كان القصد فيه إثبات دين المجوسية من بين سائر الأديان المختلفة.

وفي موضع آخر يقول: إن غرضهم من دعوتهم هو الخلع من الإسلام والشرائع المعروفة وديانات الرسل المشهورة[1].

ويذكر العراقي أنهم بدعوتهم إلى ترك العمل بالظاهر ودعوتهم إلى القول بالباطل إنما يقرعون باب الفتنة والفساد ويؤيدون الكفر والإلحاد. ثم يضيف: إلى أنه لا يوجد طائفة من الكفرة أخبث ولاأكثر فساداً منهم، ثم يقول: إن غرضهم تعطيل الرسل وإبطال الحكم بالظاهرة والمدعو لديهم يتدرج في دعوتهم حتى يصل إلى النهاية التي إذا بلغها انسلخ من الإسلام ودخل في الكفر[2].

وينقل الديلمي في موضع غير ما تقدم الإجماع على كفرهم يقول: إن الأمة قد أجمعت على كفرهم فلا ترى أحداً اليوم من علماء المسلمين من المشرق إلى المغرب أنه يتوقف في كفرهم ولا شك أن الإجماع من آكد الدلائل النقلية[3].

ونقل الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله إجماع أهل العلم على كفر أئمة الاسماعيلية (العبيديين) وقال: إن بني عبيدة لماأظهروا الشرك ومخالفة الشريعة وظهر منهم ما يدل على نفاقهم وشدة كفرهم أجمع أهل العلم على أنهم كفار يجب قتالهم وأن دارهم دار حرب ولذلك غزاهم المسلمون واستنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين[4].

---

(١) انظر الرد على الاسماعيلية القرامطة في المواضع التالية: ورقة ٣٣، وورقة ٣٥، وورقة ١٧٣.

(٢) انظر الفرق المفترقة بينأهل الزيغ والزندقة لعثمان العراقي ص١٠٤ ـ ١٠٥، ١٠٨، ١١٤.

(٣) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٩٩.

(٤) نص هذه الفتوى في كتاب مختصر سيرة الرسول ﷺ لمحمد بن عبدالوهاب ص٣٣، وفي كتاب جموعة التوحيد النجدية ص٢٢٩.

هذه هي نماذج من أقوال أهل العلم قديمًا وحديثًا وحكمهم الواحد في هذه الطائفة الباطنية (الاسماعيلية) وأنها من الفرق المنتسبة للإسلام انتسابًا فهي خارجة عن الفرق الإسلامية بل خارجة حتىٰ عن الاثنين والسبعين فرقة الهالكة كما ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ[١].

ومن الملاحظ ـ بل المؤكد ـ حسب ما اطلعت عليه الإجماع القولي المسطر من علماء الأمة الإسلامية علىٰ اختلاف الأزمان والأعصار والديار والأماكن علىٰ كفر وردة هذه الطائفة ولم أجد من اعتبرها أو تحدث عنها كفرقة من الفرق الإسلامية حتىٰ علماء بعض الفرق المخالفة وافقوا أهل السنة علىٰ القو بكفر هذه الفرقة وعظم بدعتهاوخطرها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الطيبات والصالحات وسبحانك اللهم وبحمدك نستغفرك اللهم ونتوب إليك ونصلي ونسلم علىٰ أكرم الخلق أجمعين نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

*****

(١) نص الحديث كما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارىٰ علىٰ إحدىٰ أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة».

وفي رواية عن معاوية رضي الله عنه قوله ﷺ: «ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة». رواه أبو داود. انظر سنن أبي داود ٥/ ٤ ـ ٦.

نتائج البحث

في ختام هذا البحث أحمد الله عز وجل وأشكره على إتمامه وإنجازه وهذه أهم النتائج فيه:

(١) بالنسبة للباب الأول وهو «التشيع وأثره في فرقة الاسماعيلية» توصلت إلى أن:

(أ) مصطلح الشيعة مصطلح عام يندرج تحته فرق عديدة ولابد من تطبيق المراحل الزمنية التي مرت بها هذه الفرقة، وتطبيق التعريفات المتعددة على هذه المراحل. كما توصلت إلى أن فرق الشيعة سلسلة متصلة الحلقات يأخذ بعضها بزمام البعض وتظل الأفكار والمعتقدات واحدة وإن تغيرت المسميات، وهذا واضح في فرق الغلاة التي ابتدأت بالسبأية حتى الخطابية والاسماعيلية.

(ب) ومن نتائج البحث في هذا الباب ثبوت شخصية ابن سبأ حقيقة مع ثبوت الأعمال التي قام بها وأثبتتها المصادر المتعددة، وإن أعماله هذه هي أساس التشيع وبدايته، بل إنه هو المؤسس الحقيقي لهذا المذهب كما ثبت ذلك بنصوص السلف.

(ج) أن للتشيع جذوراً ومصادر أجنبية سواء كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية، وهذا ثابت من جانبين. الجانب التاريخ والجانب الاعتقادي فما جاهر به ابن سبأ من معتقدات مما لا ينكر أصلها اليهودي، كما أن تاريخه يدل على يهوديته.

(د) أن أصول التشيع الأولى من الإمامة والغيبة والرجعة والتقية وسب الصحابة ودعوى تحريف القرآن تعتبر أساسًا لفرق الشيعة كلها وكل فرقة أخذت منها بنصيب فغلا البعض فيها كالاسماعيلية وسائر الفرق الباطنية، وخفف البعض كالزيدية.

(هـ) ومن ثم كان للتشيع بعد ذلك أثراً في ظهور ونشأة الاسماعيلية وذلك من جانبين:

والجانب الثاني: تاريخ الشيعة المتصل بعضه ببعض ولا سيما فيما يتعلق بالأئمة وتعلق كل طائفة بهم وبإمامتهم.

(٢) أما بالنسبة للباب الثاني وهو «تاريخ فرقة الاسماعيلية» فقد توصلت فيه إلىٰ :

(أ) أن الاسماعيلية مصطلح علىٰ فرقة غالية جمعت شتات فرق الغلاة وتبنت جميع غلو الفرق قبلها، وأصبحت فيما بعد أصلاً وأساساً لجميع الغلاة بعدها وهذا واضح في تاريخها ونشأتها.

(ب) كما توصلت إلىٰ أن أهمل جذورها فرقتان غاليتان هما الخطابية والباطنية، وكل فرقة غرست مبادئها في الاسماعيلية، فالخطابية غرست مبدأ تأليه الأئمة ودعوىٰ النبوة والباطنية غرست التأويل الباطني مع الهدم والتخريب في المجتمع الإسلامي.

(ج) ومما توصلت إليه في البحث أن سلسلة أئمة الاسماعيلية مر بفترة غامضة أسموها «دور الاستتار» ويقصدون من ورائها التمويه والتغطية لانقطاع نسل محمد بن اسماعيل ومنها ثبت بالأدلة وأقوال المعاصرين لهم انقطاع نسبهم والذين ادعوا بعد ذلك نسبًا فاطميًا اعتبروا مغالطين للواقع، ومخالفين للأدلة والأحداث التاريخية.

(د) ومن نتائج هذا البحث أن الانفصام والتناقض في تارخ أئمة الاسماعيلية مما لا ينكر، ففي التعاليم المذهبية رسموا نظريات خالفوها عمليًا فنقضوا ما أبرموا، يتضح هذا جليًا في إنتقال الإمامة من شخص لآخر، فمن أصولهم أن الإمامة من الأب إلىٰ ابنه وهكذا ولكنهم خالفوا هذا المبدأ عددًا من المرات، ولا تفسير لذلك سوىٰ المطامع والمصالح الدنيوية مع نبذ المباديء والمعتقدات حتىٰ ولو كانت خاطئة.

(هـ) وفي جانب نظم الاسماعيلية وصلت إلىٰ أنهم وضعوا نظامًا جذابًا للمدعو ومراحل تشويقية تشد المستجيب إلىٰ ما فوق كل مرحلة هو فيها، وكان لذلك دور في انتشار هذا المذهب مع رداءته وخلوه من الأصول الثابتة.

(و) وفي آخر هذا الباب توصلت إلىٰ أن تفرق الاسماعيلية كان بسبب خرقهم قاعدتهم في الإمامة حيث انقسموا إلىٰ طائفتين كبيرتين امتدتا حتىٰ عصرنا الحاضر، وكان لهذا أثر في كثرة أتباعهم وقيام دول عديدة لهم كدولة الحشاشين أصحاب القلاع

في الألموت والشام، ودولة الصليحيين والبهريين فيما بعد.

(٣) أما بالنسبة للباب الثالث وهو «أصول الاسماعيلية ومعتقداتها» فتوصلت فيه إلى الآتي:

(أ) أن للاسماعيلية أصولاً أساسية ترجع وتتصل جميع معتقداتهم بها وهذه الأصول هي:

١ - الإمامة.

٢ - التأويل الباطني.

فما من عقيدة أو فكرة إلا وترجع إلى أحدهما أو هما جميعًا.

(ب) كما توصلت إلى أن الفكر الاسماعيلي مجموعة آراء ومذاهب ملفقة صيغت بأسلوب باطني بهدف احتواء ديانات متعددة ومذاهب متفرقة تحت غطاء أن مذهبهم يستوعب المذاهب والآراء كلها.

(ج) ومما توصلت إليه في هذا الباب أن جميع آرائهم ومعتقداتهم معظمها وجلها من الفلسفة الإغريقية صيغت بقالب عقلي معين لتبرير نشرها وقبولها بين الناس، مع التغيير في بعض القضايا الفلسفية الموروثة تغييراً شكليًا لايؤثر في الحقيقة والنتيجة الواحدة شيئًا.

(د) وفي باب الإلهيات توصلتُ إلى أن عقيدتهم في الله عز وجل عقيدة كفرية شركية، حيث نفى تدبير الله وخلقه للكون ونسبة ذلك إلى عقلين من العقول العشرة المستقاة من فلاسفة الإغريق واليونان.

(هـ) وفي باب النبوات استخلصت خلاصة مذهبهم وأنه يعود في أصله إلى القائلين بكسبية النبوة واستمرارها مع إنكار معجزات الأنبياء والرسل ووصفهم بالأوصاف السيئة والبذيئة.

(و) وفي باب الأخرويات توصلت إلى أن الاسماعيلية ينكرون البعث والمعاد ولا يؤمنون بالدار الآخرة وجزاءها وما فيها من ثواب أو عقاب وذلك بناء على

هذيانهم فيما أسموه قائم القيامة.

(ز) وفي التكاليف الشرعية أثبت ما يدل على محاربتهم للشرائع والهروب من مزاولة الأعمال التكليفية، وبالتالي إبطال جميع أركان الإسلام العملية وسعيهم لهدمها تحت ستار الظاهر والباطن.

(ح) وفيما يتعلق بمصادر المسلمين المعتمدة وهما (الكتاب والسنة) أثبت أن الاسماعيليين لا يؤمنون بهما، ولهم مصادر أخرى غيرهما وإن تظاهروا بالإيمان بأحدهما أو بهما، فإنما ذلك أخذاً بظاهر ألفاظهما مع تأويل معانيهما تأويلاً يخرجهما من دين الإسلام بالكلية.

(ط) وأخيراً بينت حكم الإسلام في هذه الطائفة الخطيرة من خلال واقعهم ومعتقداتهم من جهة، ومن جهة أخرى فتاوى علماء الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا، وكلها تجمع على كفر هذه الطائفة وإخراجها من فرق الأمة الإسلامية.

والحمد لله رب العالمين.

* * * * *

ملاحق البحث

إنه من خلال اطلاعي على مصادر الاسماعيلية الكثيرة لفت نظري بعض الوثائق المهمة فيما يتعلق بتاريخ هذه الطائفة ومعتقداتها، وإتمامًا للبحث وكشفًا لحقائق هذه الفرقة ومخططاتها أثبت هذين الملحقين في آخر البحث.

الملحق الأول: نص حفظه لنا النويري في كتابه نهاية الأرب ونقله من علوي عاش إبان فترة قيام الدولة العبيدية وظهور عبيد الله المهدي، ويشتمل هذا النص على وصية من وصايا أئمة الاسماعيلية إلى دعاتهم، وهذه الوصية مسطرة في كتابهم المفقود والمعروف بكتاب السياسة والبلاغ الأكيد، وموضوع هذه الوصيلة «كيفية الدخول على أصحاب الديانات المختلفة» وجذبهم للانخراط في حركة الباطنية والاسماعيلية.

الملحق الثاني: وهو نص رسالة بعثها الإمام الاسماعيلي عبيد الله المهدي إلى أهل اليمن، وتشتمل على أسماء الأئمة المستورين، ونشرت هذه الرسالة لأول مرة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة عل يد الشيعي الباطني حسين فيض الله الهمداني وذلك سنة ١٩٥٨م.

* * * * *

الملحق الأول

كيفية الدخول على أصحاب الديانات المختلفة

قال الشريف رحمه الله تعالىٰ:

ووجدت في كتاب من كتبهم يعرف «بكتاب السياسة» ما ينشرح به ذكر ما تقدم من أمر الدعوة، فيه وصايا الدعاء وهذا مختصر منه، يقول فيه:

من وجدته شيعيًا فاجعل التشيع عنده دينك، واجعل المدخل عليه من جهة ظلم الأمة لعلي وولده وقتلهم الحسين وسبيهم البنات، والتبري من تيم وعدي، ومن بني أمية وبني العباس وما شاكل ذلك من الأعاجيب التي تستهلك عقولهم. فمن كان بهذه الصورة أسرع إلىٰ إجابتك بهذا الناموس حتىٰ يتمكن ما يحتاج إليه.

ومن وجدته صابئًا فداخله بالأسابيع يقرب عليك جدًا.

ومن وجدته مجوسيًا فقد اتفقت معه في الأصل من الدرجة الرابعة: من تعظيم النار والنور والشمس. واتل عليه أمر السابق فإنه لهرمس الذي يعرفونه بالنور المكنون من ظنه الجيد، والظلمة المكنونة من وهمه الرديء، فإنهم مع الصابئين أقرب الأمم إلينا وأولاهم بنا لولا يسير صحفوه بجهلهم به.

وإن ظفرت بيهودي فادخل عليه من جهة المسيح، يعني مسيح اليهود الدجال، وأنه المهدي وأن عند معرفته تكون الراحة من الأعمال وترك التكليفات كما أمر بالراحة في يوم السبت، وتقرب من قلوهبم بالطعن علىٰ النصارىٰ والمسلمين الجهال وزعمهم أن عيسىٰ لم يولد ولا أب له. وقرر في نفوسهم أن يوسف النجار أبوه، وأن مريم أمه، وأن يوسف كان ينال منها ما ينال الرجال من نسائهم، وما شاكل ذلك، فإنهم لا يلبثون أن يتبعوك.

وادخل علىٰ النصارىٰ بالطعن علىٰ اليهود والمسلمين جميعًا، وبصحة عقدهم، وعرفهم تأويله، وأفسد ما قام بهم من حجة الفار قليط. وقرر عندهم أنه جائي، وأنك إليه تدعوهم.

ومن رفع إليك من المنانية فإنه بحرك الذي منه تغترف فداخهلم بوجه من الباب السادس، وأظهر من الدرجة السادسة من حدود البلاغ وامتزاج الظلمة بالنور، إلى آخر ما في الباب من ذلك فإنك تملكهم به وتخلبهم. فإن آنست من بعضهم رشداً كشفت له الغطاء.

ومن رفع إليك من الفلاسفة فقد علمت أن على الفلاسفة العمدة، وأنا قد اجتمعنا وهم على نواميس الأشياء وعلى القول بقدم العالم، ولولا ما يخالفنا بعضهم فيه من أن للعالم مدبراً لا يعرفونه. فإذا وقع الاتفاق على أنه لا مدبر للعالم، فقد زالت الشبهة فيما بيننا وبينهم.

وإن وقع لك ثنوي فبخ بخ! قد ظفرت ـ فالمدخل عليه بإبطال التوحيد، والقول بالسابق والتالي ووراثة إحداهما على ما هو مرسوم في أول درجة البالغ وثالثه.

وإن وقع لك سني فعظم عنده أبا بكر عمر واذكر فيهما فضائل، واثلب علياً وولده واذكر لهم مساويء. وصرح له أن أبا بكر وعمر قد كان لهما في هذا الأمر الذي تلقته إليه نسب. فإذا دخلت عليه بهذا المدخل درجته إلى ما تريده وملكته.

واتخذ غليظ العهود وكيد الإيمان وشديد المواثيق جنة لك وحصناً. ولا تهجم على مستجيبك بالأشياء التي تهز عقولهم حتى ترقيهم إلى المراتب حالاً فحالاً ودرجهم درجة درجة: فواحداً لا تزده على التشيع والإيمان بمحمد بن اسماعيل شيئاً، وأنه حي، لا تجاوز به هذا الحد. وأظهر لهم العفاف عن الدراهم والدينار. وخفف عليهم وطأتك، ومره بالصلاة السبعين، وحذره الكذب والزنا واللواط وشرب الخمر. وعليك في أمره بالرفق والتؤدة والمداراة يكن لك عوناً على دهرك وعلى من يعاديك أو يتغير عليك من أصحابك وينافسك، فلا تخرجه عن عبادة الهه، والتدثر بشريعته، والقول بإمامة علي ونبيه إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر، وأقم له دلائل الأسابيع فقط، ودقه بالصلاة دقًا، فإنك إن أومأت إلى كراعه فضلاً عن ما له لم يمنعك، فإن أدركته الوفاة وصى إليك بما خلف وورثك إياه ولم ير أن في العالم أوثق منك.

وآخر ترقيه من ذلك إلى نسخ شريعة محمد، وأن السابع هو الحكم للرسل، وأنه

ينطق كما نطقوا ويأتي بأمر جديد، وأن محمداً صاحب الدور السادس، وأن عليًا لم يكن إمامًا. وحسن القول، فإن هذا باب كبير وعلم عظيم يرجى الارتقاء إلى ما هو أكبر من، ويعينك على زوال ما جاء من قبله من وجود النبوات على المنهاج الذي هو عليه. وقليل من ترقيه من هذا الباب إلى معرفة أم القرآن ومؤلفه وسننه.

وإياك أن تغتر بكثير ممن يبلغ معك إلى هذه المنزلة فترقيه إلى غيرها ـ إلا من بعد طول المؤانسة والمدارسة واستحكام الثقة، فإن ذلك يكون عونًا لك عند بلاغه على تعطيل الكتب التي يزعمون أنها منزلة من عند الله. فيكون هذا نعم المقدمة ـ وآخر ترقيه من هذا إلى ما هو أعلى منه. فإن القائم قد مات، وأنه يقوم روحانيًا، وأن الخلق يرجعون إليه بصور روحانية، وأنه يفصل في العباد بأمر الله عز وجل: يشتفي من الكافرين للمؤمنين بالصور الروحانية، فإن ذلك يكون لك عونًا عند بلاغه على إبطال المعاد الذي يزعمونه والنشور من القبور.

وآخر ترقيه من هذا إلى إبطال الملائكة في السماء والجن في الأرض، فإنه قبل آدم بشر كثير، وتقيم على ذلك الدلائل المرسومة في كتب شيوخنا المتقدمين، فإن ذلك مما يعينك في وقت بلاغه على تسهيل التعطيل لله والإرسال بالملائكة إلى الأنبياء والرجوع به إلى الحق، والقول بقدم العالم.

وآخر ترقيه إلى أوائل درج التوحيد، وتدخل عليه بما تضمنه كتاب «الدرس الشافي للنفس» من أن لا إله، لا صفة ولا موصوف فإن ذلك مما يعينك على القول بإلهية تستحقها عند البالغ إلى ذلك. ومن رقيته إلى هذه المنزلة فعرفه ـ حسب ما عرفناك ـ حقيقة من أمر الإمام، وأن اسماعيل ومحمد ابنه من أبوابه. ففي ذلك عون لك على إبطال إمامة ولد علي بن أبي طالب عند البلوغ والرجوع إلى القول بالحق لأهله. ثم لا يزال شيئًا فشيئًا في أبواب البلاغ السبعة حتى يبلغ الغاية القصوى على تدريج. وكل باب يأتي يشهد للمتقدم قبله، والمتقدم يشهد للمتأخر. واستعمل في أمرك الكتمان والمتقدم يشهد للمتأخر، واستعمل في أمرك الكتمان، كما يوصي نبي القوم خاصة فقالك استعينوا على أموركم بالكتمان ولا تظهر أحداً على شيء مما يظهر

عليه من هو فوقه بوجه ولا سبب، وعليك بإظهار التقشف للعامة والوقار عندهم وتجنب ما هو منكر عندهم، ولا تنبسط كل الانبساط لاخوتك البالغين، كما فعل من كان قبلك فإنه أتى بالتشديد ثم حل الأمور.

فإذا تدبرت بهذا فإنه أتى بالتشديد ثم حل الأمور.

فإذا تدبرت بهذا التدبير وسلكت طريقه فقد سلكت طريق الأنبياء وأخذت حدودهم. وعليك بعد ذلك بالاجتهاد في معالجة خفة اليد والأخذ بالأعين والحذق بالشعبذة إلى إقامة المعجزات، كما نسبوا قومًا تقدموا. وعليك بمعرفة أحاديث الأولين وقصصهم وطرائقهم ومذاهبهم لتكون بينة أمرك في الأقاويل على قدر ما يصلح لأهل زمانك ـ ترشد وتوفق وتقدم على الإمام أمرك ويعلو ذكرك ويكون الداخل في أمرك بعد وفاتك أكثر من الداخل معك في حياتك فتنفع لك ـ ولمخالفيك من بعدك وعلى يديك ويرى أمثالك من أهل النجابة والعقل ـ دعوة الحق وتملك لك ولعقبك وذريتك ملكًا لا ينبغي لغيرك مثله.

فهذه وصيتي لك مشتملة على جمل من النواميس الطارقة للأنبياء على قدر عقولهم»[1].

*****

---

(١) مذاهب الإسلاميين ٢/ ١٧٦ ـ ١٨٠.

الملحق الثاني

ورد هذا المعنى المشروح في كتابنا إلى ناحيتنا باليمن مولانا الإمام عبدالله أمير المؤمنين صلوا الله عليه بعد نزوله في المهدية المباركة.

لما اشتدت المحنة وعظمت التقية في أيام جعفر بن محمد صلوات الله عليه كتم اسم الإمام من ولده تقية عليه. فلم يطلع عليه في حياة جعفر بن محمد ولا بعد وفاته صلوات الله عليه، إلا أوثق الثقاة من شيعته، وكان يقول: «التقية ديني ودين آبائي، ومن لا تقية له فلا دين له».

فتعلق كل فرقة من الشيعة بواحد من أربعة من ولد جعفر ابن محمد، وهم: موسى واسماعيل ومحمد وعبدالله، وكل منهم على غير عقد مؤكد منه. وكان صاحب الحق منهم عبد الله بن جعفر صلوات الله عليه، فلم يكن علم مقامه إلا عند الأبواب والثقاة تقية عليه. وقد تعلق به قوم (علي) غير هذه الحقيقة توهماً منهم

فلما أراد الأئمة من ولد جعفر إحياء دعوة الحق خافوا من نفاق المنافقين، فتسموا - صلى الله عليهم - بغير أسمائهم، فجعلوا أسماءهم للدعوة في مقام الحجج، وتسموا بمبارك وميمون وسعيد للفأل الحسن في هذه الأسماء.

وأشاروا بالإمامة إلى عبدالله، وتسمى باسماعيل، ودعوا إلى أن المهدي صلوات الله عليه اسمه محمد بن اسماعيل، لأنه محمد وهو من ولد عبدالله الذي تسمى باسماعيل، فنافق جماعة ممن دعى، فذكروا اسماعيل ومحمد بن اسماعيل، وهما لا يوجدان، وأصحاب الحق سالمون آمنون.

فكان كلما قام منهم إمام تسمى بمحمد، والإشارة في الدعوة إلى محمد بن اسماعيل. والمراد باسماعيل عبدالله والمراد بمحمد كل من كان في عصره إلى أن يظهر صاحب الظهور وهو محمد، فتزول التقية. والأمر منتظم بهذه التسمية.

فقال مولانا صلوات الله عليه في كتابه حين ذكر هذا المعنى من التقية في الأسماء،

قال: فجعل الله في ذلك خيراً كثيراً. فكان الإمام عبدالله بن جعفر، ثم بعده (محمد) بن عبدالله، (ثم عبدالله بن محمد)[1]، ثم أحمد بن عبدالله، ثم محمد بن أحمد. فكل هؤلاء تسمى بمحمد محمد، خلا عبدالله بن جعفر، فإنه تسمى باسماعيل. هكذا قال مولانا صلوات الله عليه في كتابه.

فكان ورد كتاب من محمد بن أحمد صلوات الله عليه، فيه رسالة أولها: من محمد بن محمد. فجعلها عند المؤمنين إشارة وحجة وتذكرة إلى وقت ظهور هذا البيان.

ثم أوصى محمد بن أحمد إلى ابن أخيه، وأعطاه باختيار الله أمره كله، وتسمى سعيد بن الحسين. فجرت الدعوة إليه زمانًا (بعد) ذلك[2]. فلما ظهر أظهر مقامه، وأظهر اسم عبدالله، فهو مولانا عبدالله الإمام صلى الله عليه.

وظهر معه مولانا أبو القاسم صلوات الله عليهما، اسمه محمد. فصحت الإشارة إلى القائم (بن)[3] المهدي محمد بن عبدالله أبي القاسم، الإمام المنتظر لعز دولة الدين والجهاد برايات المؤمنين.

فكتب مولانا عبدالله صلى الله عليه بمعنى هذا الشرح وإن كان لم يحفظ على انتظام الكلام على النسق. ثم نسب نفسه فقال: والولي الآن (يعني نفسه) علي بن الحسين بن أحمد بن عبدالله الثاني (بن محمد) بن عبدالله[4] بن جعفر ابن محمد بن علي

---

(١) في الأصل: ثم بعده عبدالله بن عبدالله. والظاهر أن العبارة ناقصة. وقد ذكر المؤلف فيما سبق اسم محمد بن عبدالله (= محمد بن اسماعيل)، فأضفنا إلى الأسماء التي وردت في الأصل اسمي محمد بن عبدالله، وابنه عبدالله بن محمد.

(٢) في الأصل: بذلك.

(٣) في الأصل: إلى القائم المهدي.

(٤) في الأصل: والولي الآن يعني نفسه علي بن الحسين بن علي بن أحمد بن عبدالله بن عبدالله ثانيه. نقول: إن الأسماء بهذا النسق لا توافق بما سبق من الأسماء المستورين. والظاهر أنه وقع الخلط في هذا الموقع.

ابن الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين. واسمه [1] الظاهر عبدالله بن محمد، لأنه ابن محمد ابن أحمد في الباطن. فهذا النسب هكذا كان في كتاب مولانا عليه السلام على هذا النسق.

ثم ذكر في كتابه هذه الرواية عن جعفر بن محمد عليه السلام، فقال: جاء رجل من الشيعة إلى جعفر بن محمد عليه السلام، فقال: يا ابن رسول الله، كان من بني أمية كذا وكذا من ملك، وبني العباس كذا وكذا من ملك، وليس يكون منكم إلا مهدي واحد تقوم الساعة منه. فقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه: لقد قلل الله آل محمد إن لم يكن منهم إلا مهدي واحد، وإنما نبشركم بالمهدي المنتظر الذي يعز الحق على يده، أول من يصعد على منبر جده. ، ويجاهد برايات المؤمنين على أخذ حقه، ويزول به المحنة عن أهل شيعته، ويعز جميع المؤمنين في دولته. ويكون بظهوره عز آل محمد إلى آخر الدنيا، ويكون ولده[2] هداة مهديين مؤيدين إلى أن تقوم الساعة. فمنا المهدي، ومنا الهادي، ومنا المهتدي به، ومنا من تطلع الشمس على رأسه. فإن كنت تريد الذي قال فيه رسول الله ﷺ وآله: تقوم القيامة وملك الدنيا في يدي رجل من ولدي من ولد الحسين، وهو الذي يصلي خلفه عيسى ابن مريم، فإنما يكون ذلك في زمان الزلزال وخداج الأعمال، فلا يتبعه[3] إلا واثق بعلمه، يعني أنه لا ينفع في أيامه عمل حادث ولا تقبل توبة، وهو آخر الدنيا.

وقال مولانا أيضًا في كتابه[4]: ولا بد بين كل ناطقين من إمام مملك يظهر بالسلطان الظاهر والسيف عند تقية الأئمة وعلو الظلمة. فكان إدريس بين آدم ونوح، وكان فالع بن عابر بين نوح وابراهيم، وكان يوسف بن يعقوب بين ابراهيم وموسى، وكان داود

---

(١) في الأصل: واسم.

(٢) في الأصل: ويكون من ولده.
وقد يكون القراءة: ويكون بعض أو جماعة من ولده.

(٣) في الأصل: فلا يتمنه، فيه تحريف وتصحيف.

(٤) في الأصل: كتاب.

وسليمان بين موسىٰ وعيسىٰ، وكان بخت نصر بين عيسىٰ ومحمد. فيعني أن المهدي بين محمد وبين صاحب القيامة.

ويروي عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه قال: يكون بعد السابع المهدي فترة تأرز العلم بين المسجدين، كما تأرز الحية في جحرها[١]، ثم لا يروعكم إلا صاحبكم يدعوكم إلىٰ نفسه بالسيف. فيعني تأرز يستخفي وينحجز، وبين المسجدين يعني بين الإمامين، بين جعفر بن محمد والإمام الذي يظهر بالسيف، وعدد[٢] هؤلاء السبعة من رسول الله صلىٰ الله عليه وآله. فالسابع جعفر بن محمد صلوات الله عليه.

وأجاب مولانا عبدالله وقد سئل عن الشرح[٣] الذي كان بين الناطق إلىٰ الناطق سبعة أئمة، وقد ذكر العدد في الأئمة الذين ذكروا[٤] من آبائه عليهم السلام بعدد أكثر من سبعة، فقال في كتابه[٥] صلوات الله عليه: إنما هي سبع مرات، تدور كما تدور الأيام، يكون فيها من الأئمة ما شاء الله، حتىٰ يظهر الناطق بغتة متىٰ أراد الله سبحانه.

فهذا المعنىٰ كتب به إلىٰ ناحيتنا باليمن مولانا أمير المؤمنين عبدالله صلوات الله عليه، بلا زيادة في معنىٰ الشرح ولا نقصان، وبالروايات التي فيها، إلا أن يكون لفظة زادت، أو لفظة نقصت، ولا تحيل المعنىٰ؛ لأن الكتاب لم يحفظ علىٰ النسق.

والحمد لله رب العالمين. وصلىٰ الله علىٰ النبي محمد والصفوة من آله وسلم تسليمًا.

---

(١) روىٰ في الحديث أن النبي ﷺ قال: إن الإيمان بدأ غريبًا وسيعود كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء. إذًا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده، ليزو أن الإيمان بين هذين المسجدين كما تاز الحية في جحرها.

(٢) في الأصل: وعد.

(٣) كذا في الأصل. وإنما نرجح أن يكون اللفظ نكرة.

(٤) في الأصل: ذكر.

(٥) في الأصل: في كتابه له ثاني.

فهرس المصادر والمراجع

(أ) (١) القرآن الكريم.

(ب) المصادر المخطوطة:

(٢) ادريس. عماد الدين بن الحسين بن عبدالله بن علي اليماني ت ٨٧٢هـ، زهر المعاني، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة تصوير إيفانوف.

(٣) ابنايبك. أبو بكر محمد الداوداري، كنز الدرر وجامع الغرر، مخطوطة بدارالكتب المصرية قسم تاريخ رقم ٢٥٧٨.

(٤) البكري. أبو عبدالله بن عبد العزيز القرطبي ت٤٨٧هـ، الممالك والمسالك، مخطوطة بمتكب الدراسات العليا ببغداد رقم ١٢٦٠.

(٥) ابن تيمية. شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم الحراني ت٧٢٨هـ، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الحلول والاتحاد، مخطوطة بجامعة الرياض رقم ١٢٨٤.

(٦) جعفر بن منصور اليمن عاش في القرن الرابع الهجري.

(أ) الشواهد والبيان، مخطوطة في الخزانة التيمورية بدارالكتب المصرية قسم عقائد رقم ١٨٤.

(ب) أسرار النطقاء، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة ضمن منتخبات اسماعيلية جمعها ايفانوف وحورها من الهند في عام ١٩٤٢م.

(ج) الفترات والقرانات، مخطوطة بمكتبة محمد كامل حسين.

(٩) الجندي أبو عبدالله بهاء الدين ت ٧٣٢هـ، السلوك في طبقات العلماء والملوك، معهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٦٩٨.

(١٠) الخزرجي. أبو الحسن علي بن الحسن ت ٨١٢ه. الكفاية والأعلام. مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية قسم تاريخ رقم ١٨٢.

(١١) سبط بن الجوزي. أبو المظفر قيزوغلي ت ٦٥٤هـ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، دار الكتب المصرية قسم تاريخ رقم ٥٥١.

(١٢) الطبرسي حسين تقي النوري ت١٣٢٠هـ. فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، مخطوط في مجلد واحد وطبع على الحجر في إيران.

(١٣) الكوفي أبو عبدالله محمد بن علي الرد على الاسماعيلية القرامطة، مخطوطة بالمكتبة الظاهرية رقم ٩٧١١ ولها نسخة مصورة بالميكرو فيلم في جامعة أم القرى بمكة مركز البحث العلمي.

(١٤) مجهول. لمؤلف مجهول كما ذكر في ظهر المخطوطة واسمها الفرق الإسلامية. في مكتبة الدراسات العليا ببغداد رقم ١٤٧١.

(١٥) المكرمي. علي بن سليمان ت بعد سنة ١٠٥٣هـ، حياة الأحرار، مخطوطة مصورة بمكتبة الدكتور أحمد محمد مغربي.

(١٦) النعمان. محمد بن منصور بن حيون ت ٣٦٣هـ.

(أ) الرسالة المذهبة. مخطوطة بمكتبة الدكتور سهيل زكار بدمشق.

(ب) المجالس والمسايرات في تاريخ الاسماعيلية وعقائدهم مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة.

(١٨) النويري شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ت ٧٣٣هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية قسم معارف عامة رقم ٥٤٩.

(١٩) العواصم والقواصم لمحمد بن ابراهيم الوزير، مخطوطة بمكتبة جامع صنعاء.

(٢٠) غاية المواليد ينسب للداعي الاسماعيلي أبو الخطاب مكتبة الأعظمي الخاصة.

(ج) المصادر والمراجع المطبوعة:

أولاً: مصادر ومراجع علماء المسلمين من غير الشيعة الإمامية والباطنية:

(أ)

(٢١) ابن الأثير. أبو الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري ت ٦٣٠هـ.

(أ) الكامل في التاريخ. نشر دار الكتب العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.

(ب) اللباب في تهذيب الأنساب. نشر دار صادر ببيروت.

(٢٣) الاسفرائيني ابراهيم بن محمد ت ٤١٨هـ.، التبصير في الدين، تحقيق الكوثري طبع في مصر عام ١٣٧٤هـ.

(٢٤) الأشعري أبو الحسن علي بن اسماعيل ت ٣٢٤هـ.

(أ) الإبانة عن أصول الديانة، المطبعة السلفية القاهرة، ١٣٨٥هـ.

(ب) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الطبعة الثانية عام ١٣٨٩هـ.

(٢٦) الألباني محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، طبع المكتب الإسلامي.

(٢٧) الآمدي. سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد ت ٦٣١هـ غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن محمود، طبع في القاهرة عام ١٣٩١هـ.

(٢٨) الأمين. عبدالله المين، دراسات في الفرق والمذاهب.

(٢٩) أمين. أحمد أمين.

(أ) ضحى الإسلام، نشر مكتبة النهضة عام ١٩٦٤م.

(ب) فجر الإسلام الطبعة العاشرة عام ١٩٦٥م.

(٣١) الأنصاري. محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ، ومطابع الرياض.

(ب)

(٣٢) بدوي. الدكتور عبدالرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، الطبع الأولى، نشر دار العلم بيروت عام ١٩٧١م.

(٣٣) البغدادي. عبدالقاهر بن طاهر التميمي ت٤٢٩هـ.

(أ) أصول الدين.

الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ، مطبعة الدولة في استانبول.

(ب) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، الطبعة الأولى عام ١٣٩٣هـ.

(٣٥) البلاذري. أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ. أنساب الأشراف، نشر مكتبة القدس عام ١٩٣٦م.

(٣٦) بناني. أحمد محمد بناني. موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية. رسالة ماجستير في العقيدة في جامعة أم القرى.

(٣٧) البيروني. أبو الريحان محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبع وتحقيق ادوارد عام ١٨٧٨م.

(ت)

(٣٨) الترمذي. محمد بن عيسى بن سورة السلمي ت ٢٧٩هـ، سنن الترمذي، تحقيق وشرح أحمد شاكر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، بمطابع الحلبي.

(٣٩) ابن تغري. أبوالمحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري ت ٨٧٤هـ، النجوم الزاهر في ملوك مصر والقاهر، نشر المؤسسة المصرية للتأليف.

(٤٠) التوم. سويلم عقاب التوم. عقيدة البعث الآخر. رسالة ماجستير مقدمة إلى الدراسات العليا فرع العقيدة بجامعة أم القرى.

(٤١) التونسوي. الشيخ محمد عبدالستار التونسوي، بطلان عقائد الشيعة وبيان زيغ معتنقيها، بدون ذكر مطبعة أو زمن.

(٤٢) ابن تيمية. شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم الحراني ت٧٢٨هـ.

(أ) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية الطبعة الأولى عام ١٣٩١هـ.

(ب) درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ.

(ج) الرسالة التدمرية ضمن كتاب نفائس، توزيع إدارة الكليات والمعاهد.

(د) رسالة في علم الظاهر والباطن. ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، نشر محمد أمين في بيروت ١٩٧٠م.

(هـ) العبودية، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ، نشر المكتب الإسلامي.

(و) الفتوى الحموية الكبرى ضمن كتاب نفائس.

(ز) مجموع الفتاوى، مطابع الرياض، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ، جمع عبد الرحمن بن قاسم.

(ح) مجموعة الرسائل والمسائل، تحقيق محمد رشيد رضا، نشر لجنة التراث.

(ط) المسائل المادرينية في فقه الكتاب والسنة تحقيق زهير الشاويش، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.

(ي) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، نشر مكتبة خياط ببيروت، والطبعة الثانية عشر مجلدات، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(ك) النبوات، نشر دار الفكر، طبع سنة ١٣٤٦هـ.

(ل) كتاب الصفدية، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ.

(ج)

(٥٢) جار الله. الشيخ موسى جار الله، الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، مطبعة إدارة ترجمان السنة في لاهور.

(٥٤) الجرجاني. علي بن محمد بن علي الجرجاني ت ٨١٦هـ، كتاب التعريفات، طبع القاهرة عام ١٣٨٣هـ.

(٥٥) جلال محمد. كتاب الله والعالم والإنسان طبع القاهرة.

(٥٦) جلي. أحدم محمد جلي. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، طبع في الرياض ضمن مطبوعات مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى والثانية.

(٥٧) جمال الدين محمد السعيد، دولة الاسماعيلية في إيران، نشر مؤسسة سجل العرب بالقاهرة ١٩٧٥م.

(٥٨) ابن الجوزي. جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ت٥٩٧هـ.

(أ) تلبيس إبليس، نشر دار الكتب العلمية ببيروت.

(ب) كتاب القرامطة، تحقيق محمد الصباغ، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي.

(ج) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، القسم الثاني، الطبعة الأولى عام ١٣٥٧هـ.

(٦١) الجويني. عطا ملك الجويني اغتاله اسماعيلية الموت تاريخ جهانكشاي، طبع ضمن كتاب دولة الاسماعيلية في إيران.

(ح)

(٦٢) ابن حجر الإمام أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ.

(أ) الإصابة في أسماء الصحابة، طبع القاهرة عام ١٣٩٦هـ، وبهامشه الاستيعاب.

(ب) تقريب التهذيب. الطبعة الأولى الهندية.

(ج) تهذيب التهذيب، دائرة المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٢٥هـ.

(د) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٨٠هـ.

(٦٦) الحضرمي. محمد بن عمر بن مبارك ت ٩٣٠هـ، الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول ﷺ، الطبعة الأولى عام ١٣٨٦هـ.

(٦٧) ابن حزم. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ.

(أ) جمهرة أنساب العرب، الطبعة الثالثة عام ١٣٩١هـ.

(ب) الفصل في الملل والأهواء والنحل، طبع دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

(ج) المحلى، نشر مكتبة الجمورية عام ١٣٩٢هـ.

(د) رسالة المفاضلة بين الصحابة.

(٧١) حسن. حسن ابراهيم حسن.

(أ) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الثامنة عام ١٩٧٤م.

(ب) تاريخ الدولة الفاطمية، الطبعة الثانية ١٩٥٨، مكتبة النهضة.

(ج) كتاب عبيد الله المهدي إمام الشيعة الاسماعيلية طبع القاهرة ١٩٤٧م.

(د) المعز لدين الله، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة عام ١٩٦٣م. والكتابين الأخيرين ألفهما بالاشتراك مع طه أحمد شرف.

(٧٥) حسين. الدكتور محمد محمد حسين، اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر. نشر دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.

(٧٦) حسين. محمد كامل حسين.

(أ) طائفة الاسماعيلية، الطبعة الأولى بالقاهرة عام ١٩٥٩م.

(ب) في أدب مصر الفاطمية، طبع القاهرة، دار الفكر العربي عام ١٩٦٣م.

(٧٨) الحمادي. محمد بن مالك اليماني ت في أواسط المائة الخامسة للهجرة، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق الكوثير، مطبعة الأنوار عام ١٣٥٧هـ.

(٧٩) حمدان. الطالب أحمد سعد حمدان، عقيدة ختم النبوة، رسالة ماجستير في العقيدة في الدراسات العليا بجامعة أم القرىٰ.

(٨٠) الحمودي. ياقوت بن عبدالله الرومي ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان، نشر دار الكتاب العربي في بيروت.

(٨١) ابن حنبل. إمام أهل السنة أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني ت ٢٤١هـ.

(أ) الرد على الزنادقة والجهمية، طبع ضمن كتاب عقائد السلف، تحقيق النشار والطالبي، الاسكندرية عام ١٩٧١م.

(ب) المسند والمشهور بمسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الثانية.

(٨٣) الحنفي. علي بن علي بن محمد بن أبي العز ت ٧٩٢هـ، شرح الطحاوي في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد شاكر، نشر مكتبة الرياض الحديثة، وكذلك الطبعة الثانية بتحقيق الألباني.

(٨٤) الحنفي أبو الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي ت ٢٥٠هـ كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، طبع مدينة غتنغة.

(٨٥) ابن حوقل. أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت ٣٨٠هـ. كتاب صورة الأرض، نشر دار مكتبة الحياة ببيروت.

(خ)

(٨٦) الخطابي. محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب، ت ٣٨٨هـ، معالم السنن، طبع ضمن سنن أبي داود، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ.

(٨٧) الخطيب. محب الدين الخطيب. الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية، طبع بمؤسسة مكة للطباعة.

(٨٨) الخطيب. الدكتور محمد بن أحمد بن الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ، مكتبة الأقصى.

(٨٩) ابن خلدون. ولي الدين عبدالرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ.

(أ) العبر وديوان المبتدأ والخبر، ونشر دار الكتاب اللبناني عام ١٩٥٧م.

(ب) مقدمة ابن خلدون، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.

(٩١) ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر.

(د)

(٩٢) الدارمي. عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني ت ٢٨٠هـ، كتاب الرد على الجهمية، طبع ضمن عقائد السلف، نشر منشأة المعارف عام ١٩٧١م.

(٩٣) أبو داود الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث الأزدي ت ٢٧٥هـ، سنن أبي داود، الطبعة الأولى عام ١٣٨٨هـ تعليق عزت الدعاس.

(٩٤) الدسوقي. عمر الدسوقي، كتاب اخوان الصفا، المطبع الكاثوليكية في بيروت عام ١٩٥٧م.

(٩٥) الدمشقي أبو الفضل، الإشارة إلى محاسن التجارة، طبع في القاهرة عام ١٣١٨هـ.

(٩٦) الدهلوي. شاه عبدالعزيز الدهلوي، مختصر التحفة الاثني عشرية، المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٧٣هـ، تحقيق محب الدين الخطيب.

(٩٧) الدوري. الدكتور عبدالعزيز.

(أ) دراسات في العصور العباسية المتأخرة، طبع في بغداد عام ١٩٤٥م.

(ب) مقمدة أصول الاسماعيلية، نشر مكتبة المثنى وطبع دار الكتاب العربي.

(٩٩) الديلمي. محمد بن الحسن توفي في أول القرن الثامن الهجري، بيان مذهب الباطنية وبطلانه، مطبعة الدولة في استانبول ١٩٣٨م.

(ذ)

(١٠٠) الذهبي. أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ.

(أ) دول الإسلام، تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى، نشر الهيئة المصرية عام ١٩٧٤م.

(ب) سير أعلام النبلاء، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ.

(ج) المنتقى من منهاج الاعتدال مختصر منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق محب الدين الخطيب، طبع عام ١٣٧٤هـ بالقاهرة.

(د) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي البجاوي، نشر دار المعرفة ببيروت، الطبعة الأولى عام ١٣٨٢هـ.

(١٠٤) الذهبي. الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، الطبعة الثانية في مطبعة السعادة سنة ١٣٩٦هـ.

(ر)

(١٠٥) الرازي. فخر الدين محمد بن عمر الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، طبع في القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

(١٠٦) ابن رشد. محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي ت ٥٩٥هـ، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، الطبعة الثاني عام ١٩٦٤م.

(أ)

(١٠٧) الزركلي. خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس الزركلي ت ١٣٩٦هـ. كتاب الأعلام. الطبعة الثالثة عام ١٣٨٩هـ.

(١٠٨) الزغبي. فتحي محمد الزغبي، غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.

(١٠٩) زكار. الدكتور سهيل، تاريخ العرب والإسلام، نشر دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى عام ١٣٩٥هـ.

(١١٠) أبو زهرة. ، محمد أحمد أبو زهرة.

(أ) تاريخ المذاهب الإسلامية، نشر مكتبة الآداب، طبع المطبعة النموذجية بالقاهرة.

(ب) محاضرات في النصرانية، طبع ونشر دار الفكر العربي.

(ج) الإمام الصادق، نشر دار الفكر العربي.

(١١٣) الزهري. أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري المشهور بابن سعد ت ٢٣٠هـ، الطبعات الكبرىٰ، طبعة دار صادر، بيروت.

(١١٤) السامر. الدكتور فيصل الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، الطبعة الأولىٰ في مطبعة الإيمان ببغداد عام ١٩٧٠م.

(١١٥) السامرائي. الدكتور عبدالله سلوم، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٣٩٢هـ.

(١١٦) السباعي. الشيخ مصطفىٰ السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، طبع المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الثانية عام ١٣٩٦هـ.

(١١٧) السجستاني. أبو داود سليمان بن الأشعث ت ٢٧٥هـ. ملحق الجهمية، طبع ضمن عقائد السلف عام ١٩٧١م بالاسكندرية، تحقيق النشار والطالبي.

(١١٨) سرور. محمد جمال الدين، سياسة الفاطميين الخارجية، نشر دار الفكر العربي عام ١٣٩٦هـ.

(١١٩) السفاريني. محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ت ١١٨٨هـ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، طبع علىٰ نفقة حاكم قطر.

(١٢٠) السكسكي. عباس بنمنصور السكسكي، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، الطبعة الأولىٰ عام ١٩٨٠م في بيروت.

(١٢١) ابن سنان. ثابت بن سنان بن ثابت بالاشتراك مع ابن العديم، تاريخ أخبار القرامطة، تحقيق الدكتور سهيل زكار، طبع دار الأمانة.

(١٢٢) السيوطي. جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ.

(أ) الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة، مطبعة دار التأليف.

(ب) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين، الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٩هـ.

(ج) حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة، طبع المطبعة الشرفية عام ١٣٢٧هـ.

(د) الإتقان في علوم القرآن، الطبعة الرابعة طبعة الحلبي عام ١٩٧٨م.

(ش)

(١٢٥) الشاطبي. أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ت ٧٦٠هـ، كتاب الاعتصام، مطبعة السعادة.

(١٢٦) شاكر، الدكتور محمود، القرامطة، طبع المكتب الإسلامي عام ١٣٩٩هـ.

(١٢٧) الشرفي. محمد علي، نير البرهان في توطيد عقائد الإيمان، طبع في القاهرة عام ١٣٨٧هـ.

(١٢٨) الشهرستاني . أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر ت ٥٤٩هـ.

(أ) الملل والنحل، تحقيق الوكيل، نشر مؤسسة الحلبي بالقاهرة عام ١٣٨٧هـ.

(ب) نهاية الأقدام في علم الكلام، تصحيح الفرد جيوم، مكتبة المثنى ببغداد.

(١٣٠) الشوكاني. محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الطبعة الثانية عام ١٣٨٣هـ.

(ص)

(١٣١) الصاوي. محمد صلاح، رسالة صغيرة في منزلة الصحابة في القرآن مكان الطبع وزمنه غير مذكورعليها.

(١٣٢) صبحي. أحمد محمود. نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، نشر دار المعارف بمصر.

(١٣٣) صقر. السيد أحمد، مقدمة كتاب إعجاز القرآن للباقلاني، الطبعة الثالثة، نشر دار المعارف.

(ط)

(١٣٤) ابن طباطبا. محمد بن علي المعروف بابن الطقطقا ت ٧٠٩ هـ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، نشر دار صادر في بيروت عام ١٣٨٦هـ.

(١٣٥) الطبري. الإمام أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ

(أ) جامع البيان في تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير، طبع دار المعارف بمصر، تحقيق الاخوان محمود وأحمد شاكر.

(ب) تاريخ الأمم والملوك، طبع القاهرة عام ١٣٥٨هـ ثمانية أجزاء.

(١٣٧) الطوسي. الوزير السلجلوقي نظام الملك سياسة نامة، ترجمة وتعليق العزاوي، نشر دار الرائد العربي.

(ظ)

(١٣٨) ظهير. الشيخ احسان الهي ت ١٤٠٧هـ.

(أ) الاسماعيلية تاريخ وعقائد، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ، طبع دار عالم الكتب.

(ب) الشيعة والسنة، الطبعة الثانية عام ١٣٩٥هـ، مطبعة وفاق.

(ع)

(١٤٠) عبد الوهاب. الإمام محمد بن عبد الوهاب ت ١٢٠٦هـ.

(أ) مجموعة التوحيد، طبعة على نفقة محمد العبيكان.

(ب) مختصر سيرة الرسول ﷺ، مطبعةالسنة المحمدية بالقاهرة.

(ج) الرسالةالسابعة من رسائل الشيخ، ضمن الجامع الفريد، الطبعة الثانية.

(١٤٣) العبد. عبداللطيف محم، الإنسان في فكر إخوان الصفا، نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة.

(١٤٤) عبده. الدكتور عيسى عبده، دراسات في الاقتصاد السياسي، نشر دارالفتح، الطبعةالأولى عام ١٣٨٨هـ.

(١٤٥) ابن العربي. أبوبكر محمد بن عبدالله المعافري، ت٥٤٣هـ، العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب.

(١٤٦) العرشي . القاضي حسين بن أحمد ت ١٣١٩هـ، كتاب بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام، طبع في القاهرة عام ١٩٣٩م .

(١٤٧) العش . الدكتور يوسف العش .

(أ) تاريخ عصر الخلافة العباسية، نشر دار الكتاب عام ١٩٦٨م .

(ب) الدولة الأموية، طبع دار الفكر بدمشق .

(١٤٩) العشيري . محمد رياض، التصور اللغوي عند الاسماعيلية، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية عام ١٩٨٥م .

(١٥٠) العقيقي . نجيب كتاب المستشرقون، نشر دارالمعارف، الطبعة الثالثة .

(١٥١) عليان . محمد عبدالفتاح، قرامطة العراق، نشر الهيئة المصرية عام ١٩٧٠م .

(١٥٢) ابن العماد . أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، نشر دار الآفاق الجديدة ببيروت .

(١٥٣) عنان . المحامي محمد عبدالله عنان .

(أ) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، نشر إدارة الهلال بمصر عام ١٩٢٦م.

(ب) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ.

(١٥٥) العودة . سليمان بن حمد العودة، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، دار طيبة .

(١٥٦) العوف . بشير العوف، كتاب اشتراكيتهم وإسلامنا، الطبعة الأولى عام ١٩٦٦م

(١٥٧) عيسى . الدكتور كمال محمد عيسى، العقيدة الإسلامية سفينة النجاة، نشر دار الشروق في جدة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ.

(غ)

(١٥٨) الغريب. عبدالله محمد الغريب، كتاب وجاء دور المجوس، دار الجيل للطباعة عام ١٩٨١م.

(١٥٩) الغزالي. أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد ت ٥٠٥هـ.

(أ) فضائح الباطنية.

تحقيق عبدالرحمن بدوي، نشر الدار القومية بالقاهرة ١٣٨٢هـ.

(ب) المنقذ من الضلال، مطبعة حسان.

(١٦١) الغزالي. الشيخ محمد.

(أ) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، الطعبة الرابعة ١٣٩٥هـ، مطبعة حسان.

(ب) نظرات في القرآن، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة ١٣٨٣هـ.

(ج) هذا ديننا، مطبعة حسان، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٥هـ.

(ف)

(١٦٤) أبو الفداء. عماد الدين اسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ، المختصر في أخبار البشر ويسمى بتاريخ أبي الفدا، نشر دار المعرفة ببيروت.

(١٦٥) الفيروز آبادي. مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ، القاموس المحيط، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه بالقاهرة.

(ق)

(١٦٦) قاسم. الدكتور محمود، دراسات في الفلسفة الإسلامية، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣، نشر دار المعارف بمصر.

(١٦٧) ابن القاسم. يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ت ١١٠٠هـ.

(أ) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، نشر دار الكاتب العربي ١٣٨٨هـ.

(ب) أنباء الزمن في أخبار اليمن، جمع حسن سليمان محمود.

(١٦٩) القاضي. وداد القاضي، الكيسانية في التاريخ والأدب، نشر دار الثقافة في بيروت عام ١٩٧٤م.

(١٧) ابن قتيبة. عبدالله بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦هـ. ، كتاب المعارف، نشر دار إحياء التراث العربي في بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.

(١٧١) القرطبي. غريب بن سعد ت ٣٦٦هـ، صلة تاريخ الطبري، مطبعة الاستقامة بالقاهرة عام ١٣٥٨هـ.

(١٧٢) القصيبي. عبدالله، الصراع بين الإسلام والوثنية، الطبعة الأولى.

(١٧٣) قطب. الأستاذ سيد قطب ابراهيم.

(أ) خصائص التصور الإسلامي، نشر دارالشروق، الطبعة الرابعة عام ١٣٩٨هـ.

(ب) العدالة الاجتماعية في الإسلام، مطبعة الحلبي، الطبعة السادسة.

(ج) في ظلال القرآن، دار إحياء التراث، الطبعة السابعة ١٣٩١هـ.

(د) مشاهد القيامة في القرآن، طبع في بيروت.

(١٧٧) قطب. محمد قطب ابراهيم، جاهلية القرن العشرين، طبع دار الشروق عام ١٣٩٤هـ.

(١٧٨) القفاري. الطالب ناصر عبدالله القفاري، فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠١هـ/ ١٤٠٢هـ.

(١٧٩) ابن القلانس. أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ، تاريخ أبي يعلي المعروف بذيل تاريخ دمشق، طبع في بيروت عام ١٩٠٨م.

(١٨٠) القلقشندي. أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، طبعة في القاهرة عام ١٣٨٣هـ.

(١٨١) ابن القيم. شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الحنبلي ت ٧٥١هـ.

(أ) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق محمد الفقي، مطبعة الحلبي عام ١٣٥٧هـ.

(ب) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، نشرة مكتبة الرياض.

(ج) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى.

(ك)

(١٨٤) الكتبي. محمد بن شاكر بن أحمد ت ٧٦٤هـ،

(أ) فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر في بيروت ١٩٧٣م.

(ب) نجوم التواريخ أو جامع التواريخ.

(١٨٦) ابن كثير أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ت، ٧٧٤هـ.

(أ) البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٥٨هـ.

(ب) تفسير القرآن العظيم، نشر دار الفكر.

(ج) استشهاد الحسين، تقديم محمد غازي، مطبعة المدني بالقاهرة.

(ل)

(١٨٩) اللالكائي. أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة في الرياض.

(م)

(١٩٠) مغربي. أحمد محمد، دور اليهود في الفرق الباطنية، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠١هـ، إشراف الشيخ محمد الغزالي.

(١٩١) مسكويه. أبو علي الخازن أحمد بن محمد ت ٤٢١هـ، تجارب الأمم، مطبعة الكردي بمصر سنة ١٣٣٢هـ.

(١٩٢) مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ت ٢٦١هـ، صحيح مسلم بشرح النووي، طبع ونشر المطبعة المصرية.

(١٩٣) المصري. محمد بن عبدالهادي، معالم الانطلاقة الكبرى، دار طيبة في الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.

(١٩٤) المعرى. أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان ت ٤٤٩هـ، رسالة الغفران، شرح كامل الكيلاني، طبع المكتبة التجارية ١٣٤٢هـ.

(١٩٥) المقدسي. أبو عبدالله محمد بن أحمد ت ٣٨٨هـ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر مكتبة خياط ببيروت.

(١٩٦) المقريزي. أحمد بن علي بن عبدالقادر ت ٨٤٥هـ،

(أ) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق الشيال، طبع في القاهرة عام ١٣٨٧هـ.

(ب) الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤هـ.

(ج) المقفى الكبير، طبعة دار الغرب الإسلامي في بيروت عام ١٤٠٧هـ

(١٩٩) الملطي. أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الشافعي ت٣٧٧هـ، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، طبع سنة ١٣٨٨هـ في القاهرة بتحقيق محمد زاهد الكوثري.

(٢٠٠) النسائي. أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن دينار ت ٣٠٣هـ. سنن النسائي المجتبى. طبع الحلبي، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣هـ.

(٢٠١) النشار. على سامي النشار، نشأة الفكرة الفلسفي في الإسلام، طبع دار المعارف، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩م.

(٢٠٢) النمر. الدكتور عبدالمنعم النمر، كتاب الشيعة المهدي الدروز تاريخ ووثائق الطبعة الثالثة عام ١٤٠٨هـ.

(هـ)

(٢٠٣) هلال . ابراهيم هلال، ولاية الله والطريق إليها، نشر دار الكتب الحديثة .

(٢٠٤) الهمذاني . القاضي عبدالجبار بن أحمد ت ٤١٥هـ، تثبيت دلائل النبوة . بتحقيق عبدالكريم عثمان، نشر الدار العربية للطباعة، بيروت ١٣٨٦هـ.

(٢٠٥) الهيثمي . أحمد بن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، نشر مكتبة القاهرة عام ١٣٧٥هـ.

(و)

(٢٠٦) الواسعي . عبدالواسع بن يحيى اليماني، تاريخ اليمن المسمى فرحة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، المطبعة السلفية عام ١٣٤٦هـ.

(٢٠٧) الوادعي . مقبل بن هادي الوادعي، الإلحاد الخميني في أرض الحرمين، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.

(ي)

(٢٠٨) اليعلاوي . محمد اليعلاوي . كتاب ابن هانئ المغربي الأندلسي، طبع دار الغرب الإسلامي في بيروت عام ١٤٠٥هـ.

(٢٠٩) مجلة المجتمع الكويتية وهي مجلة إسلامية أسبوعية تصدر في دولة الكويت صباح كل ثلاثاء عدد ٨١٢ عام ١٤٠٧هـ.

(ج) مصادر ومراجع الشيعة الإمامية الاثنى عشرية:

(ب)

(٢١٠) البحراني . هاشم سليمان، كتاب البرهان في تفسير القرآن، طبعة طهران عام ١٣٧٤هـ.

(ج)

(٢١١) الجزائري . نعمة الله الموسوي الجزائري ، كتاب الأنوار النعمانية ، الطبعة الأولى في طهران .

(ح)

(٢١٢) الحميري . أبو سعيد نشوان الحميري ت ٥٧٣هـ ، الحور العين ، الطبعة الأولى بمصر عام ١٣٦٧هـ .

(٢١٣) ابن أبي الحديد . أبو حامد عبدالحميد المدائني ، ت ٦٥٥هـ ، شرح نهج البلاغة ، طبع مصر ١٩٦٠م .

(خ)

(٢١٤) الخراساني . حسين الخراساني عالم شيعي معاصر ، كتاب الإسلام على ضوء التشيع ، خال من ذكر المطبعة وتاريخ الطبع .

(٢١٥) الخميني . آية الله روح الله .

(أ) كتاب الحكومة الإسلامية .

(ب) دروس في الجهاد والرفض .

(٢١٧) الخوئي . أبو القاسم الموسوي . معجم رجال الحديث ، مطبعة الآداب بالنجف ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٠هـ .

(ز)

(٢١٨) الزنجاني . ابراهيم الموسوي ، عقائد الإمامية الاثنى عشرية ، الطبعة الأولى في بيروت عام ١٣٩٧هـ .

(٢١٩) الزيد . يحيى بن حمزة ، طوق الحمامة في إثبات الإمامة (من كتب الشيعة الزيدية) .

(س)

(٢٢٠) السبيتي. عبدالله بن محمد عالم شيعي معاصر، كتاب تحت راية الحق، طبع طهران عام ١٣٤٩هـ.

(ش)

(٢٢١) الشيبي. مصطفىٰ كامل، الصلة بين التصوف والتشيع، نشر دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

(ص)

(٢٢٢) الصدر. محمد باقر شيعي معاصر، تاريخ الغيبة الصغرىٰ، الطبعة الأولىٰ في بيروت عام ١٣٩٢هـ.

(ط)

(٢٢٣) الطبرسي. أحمد بن علي، الاحتجاج، طبع دار النعمان بالنجف عام ١٣٨٦هـ.

(٢٢٤) الطبرسي. حسين شورىٰ، فصل الخطاب، المجمع العلمي العراقي.

(٢٢٥) الطبري. محمد بن جرير بن رستم الطبري، دلائل الإمامة، طبع النجف عام ١٣٦٩هـ.

(٢٢٦) الطهراني. محمد حسن اغابزرك، كتاب الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة، طبع النجف ١٣٩٦هـ.

(٢٢٧) الطوسي. محمد بن الحسين.

(أ) الغيبة، مطبعة النعمان بالنجف، الطبعة الثانية عام ١٣٨٥هـ.

(ب) تلخيص الشافي، الطبعة الثالثة في قم عام ١٣٩٤هـ.

(ج) الفهرست، الطبعة الثانية في النجف عام ١٣٨٠هـ.

(ع)

(٢٣٠) العاملي. محمد حسين الزين، الشيعة في التاريخ، مطبعة العرفان، بصيدا عام ١٩٣٨م.

(٢٣١) عبدالعال. محمد جابر، حركات الشيعة المتطرفين، مطابع السنة المحمدية عام ١٣٧٣هـ.

(٢٣٢) العلوي. علي بن محمد بن عبيد الله العلوي عاش في القرن الثالث، سيرة الهادي إلي الحق يحيىٰ بن الحسين، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولىٰ عام ١٣٩٢هـ.

(٢٣٣) العياشي. محمد بن مسعود، تفسير العياش، المطبعة العلمية بقم.

(ف)

(٢٣٤) فياض. عبدالله شيعي معاصر، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، طبع بيروت، مؤسسة الأعلمي.

(٢٣٥) القمي. سعد بن عبدالله بن أبي خلف ت ٣٠١هـ، كتاب المقالات والفرق، مطبعة حيدري بطهران عام ١٩٦٣م.

(٢٣٦) القمي. محمد بن علي بن بابويه:

(أ) إكمال الدين وإتمام النعمة، طبعة النجف ١٣٨٩هـ، المطبعة الحيدرية.

(ب) من لا يحضره الفقيه، الطبعة الخامسة عام ١٣٩٠هـ.

(ك)

(٢٣٨) الكاشاني. الفيض الكاشاني، كتاب الوافي، المكتبة الإسلامية بطهران.

(٢٣٩) آل كاشف الغطاء. محمد حسين شيعي معاصر، أصل الشيعة وأصولها، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(٢٤٠) الكشي. أبو عمرو محمد بن عبدالعزيز، معرفة أخبار الرجال، طبع الهند عام ١٣١٧هـ.

(٢٤١) الكليني. محمد بن يعقوب ت ٣٢٩هـ، أصول الكافي، طبع طهران ١٢٧٨هـ.

(٢٤٢) المامقاني. عبدالله المامقاني، كتاب تنقيح المقال، طبع النجف عام ١٣٤٨هـ.

(٢٤٣) المعري. أبو العلاء أحمد بن عبدالله ت ٤٤٩هـ، رسالة الغفران، طبع المكتبة التجارية سنة ١٣٤٢هـ.

(٢٤٤) المسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ، مروج الذهب، تحقيق محمد محيي الدين، نشر دار الفكر عام ١٣٩٣هـ.

(٢٤٥) ابن المطهر. الحسن بن المطهر الحلي، كتاب منهاج الكرامة في إثبات الإمامة، مطبوع على منهاج السنة بتحقيق محمد رشاد سالم.

(٢٤٦) المظفر. محمد رضا المظفر، كتاب عقائد الإمامية، طبع القاهرة.

(٢٤٧) المظفري. محمد حسين كتاب تاريخ الشيعة، طبع الزهراء عام ١٣٥٢هـ.

(٢٤٨) مغنية. محمد جواد شيعي معاصر، كتاب الشيعة في الميزان، دار التعارف للمطبوعات.

(٢٤٩) المفيد. محمد بن محمد النعمان البغدادي ت ٤١٣هـ.

(أ) شرح عقائد الصدوق، طبع تبريز عام ١٣٧١هـ.

(ب) أوائل المقالات في المذاهب المختارات، طبع النجف عام ١٣٩٣هـ.

(ج) الإرشاد، المطبعة الحيدرية في النجف عام ١٣٩٢هـ.

(٢٥٢) الموسوي. موسى الموسوي الأصبهاني شيعي معاصر، الشيعة والتصحيح.

(ن)

(٢٥٣) الناشيء الأكبر. عبدالله بن محمد، مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط، طبع بيروت عام ١٩٧١م.

(٢٥٤) النعماني. محمد بن ابراهيم، كتاب الغيبة، مطبعة النعمان عام ١٣٨٥هـ.

(٢٥٥) ابن النديم. محمد بن اسحاق البغدادي ت ٣٨٥هـ، كتاب الفهرست، طبع في طهران سنة ١٣٩١هـ.

(٢٥٦) النوبختي. الحسن بن موسى ت في أواخر القرن الثالث فرق الشيعة، الطبعة الرابعة عام ١٣٨٩هـ.

(ي)

(٢٥٧) اليعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ، تاريخ اليعقوبي، طبع النجف عام ١٣٥٨هـ.

(د) مراجع ومصادر الشيعة الباطنية الاسماعيلية:

(أ)

(٢٥٨) اخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء، دار صادر في بيروت، طبع عام ١٣٧٦هـ.

(٢٥٩) ادريس عماد الدين القرشي ت ٨٧٢هـ، عيون الأخبار وفنون الآثار، نشر دار التراث الفاطمي ببيروت، عام ١٩٧٣م.

(٢٦٠) الأعظمي. محمد حسن، الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية، الهيئة المصرية العام عام ١٩٧٠م.

(ت)

(٢٦١) تامر. عارف.

(أ) أربع رسائل اسماعيلية، نشر دار الكشاف ببيروت عام ١٩٥٢م.

(ب) الإمامة في الإسالم، نشر دار الكاتب العربي، بيروت.

(ج) القرامطة أصل نشأتهم، نشر دار مكتبة الحياة.

(د) عبقرية الفاطميين.

(هـ) مقدمة كتاب الهفت والاظله.

(ج)

(٢٦٦) جعفر. بن منصور اليمن.

(أ) كتاب الفرائض وحدود الدين، نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٥٨م.

(ب) كتاب تأويل الزكاة.

(ج) كتاب الكشف والقرانات.

(٢٦٩) الجوري. أبو علي منصور العزيز، سير الأستاذ جوذر، تقديم محمد كامل حسين، مطبعة الاعتماد بمصر.

(ح)

(٢٧٠) الحارثي. طاهر بن ابراهيم اليماني ت ٥٨٤هـ، الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والمعاد، طبع ضمن كتاب الحقائق الخفية.

(٢٧١) الحامدي. حاتم بن ابراهيم ت ٥٩٦هـ.

(أ) رسالة زهر بذر الحقائق. طبعت ضمن منتخبات اسماعيلية، جمع عادل العوا عام ١٣٧٨هـ في دمشق.

(ب) كنز الولد، طبع دار صادر ببيروت.

(٢٧٣) حسن بن نوح، كتاب الأزهار.

(٢٧٤) الحاجب جعفر، سيرة جعفر الحاجب، نشرة في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، نشر محمد كامل حسين.

(٢٧٥) حنظلة. داعي الدعاة علي بن حنظلة الوادعي ت ٦٢٦هـ سمط الحقائق في عقائد الاسماعيلية، تحقيق العزاوي، نشر المعهد الفرنسي.

(خ)

(٢٧٦) خسرو. الرحالة ناصر خسرو القبادياني ت ٤٨١هـ، سفر نامه، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، الطبعة الثانية عام، ١٩٧٠م.

(٢٧٧) أبو الخطاب، غاية المواليد، وهو مخطوطة في مكتبة الأعظمي نسخة منه، وطبع ضمن المجموع المنتخب لايفانوف.

(٢٧٨) الرازي. أبو حاتم أحمد بن حمدان ت ٣٢٠هـ.

(أ) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، طبع ضمن الغلو والفرق الغالية للسامرائي.

(ب) أعلام النبوة.

(س)

(٢٨٠) السجستاني. أبو يعقوب اسحاق بن أحمد ت ٣٣١هـ

(أ) إثبات النبوات، تحقيق عارف تامر، طبع عام ١٩٦٦م.

(ب) تحفة المستجيبين، طبع ضمن خمس رسائل، تحقيق عارف تامر.

(ج) الافتخار، طبع مستقلاً لوحده.

(د) الينابيع، تقديم وتحقيق مصطفى غالب، الطبعة الأولى عام ١٩٦٥م.

(ش)

(٢٨٤) شتروطمان، أربعة كتب اسماعيلية، طبع مكتبة المثنى ببغداد.

(٢٨٥) الشيرازي. هبة الله بن موسى بن داود ت ٤٧٠هـ.

(أ) ديوان المؤيد في الدين.

(ب) السير المؤيدية، وكلاهما بتحقيق وتقديم محمد كامل حسين، الطبعة الأولى عام ١٩٤٩م.

(ج) المجالس المؤيدية المائة الأولى، بتحقيق مصطفى غالب، نشر دار التراث الفاطمي.

(ص)

(٢٨٨) الصوري . محمد بن علي بن حسن ، القصيدة الصورية ، تحقيق وتقديم عارف تامر ، نشر المعهد الفرنسي بدمشق .

(ط)

(٢٨٩) الطيبي . شمس الدين بن أحمد الطيبي رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ، نشرت ضمن أربع رسائل اسماعيلية ، تحقيق عارف تامر ، نشر دار الكشاف ببيروت ، الطبعة الأولى .

(غ)

(٢٩٠) غالب . مصطفى اسماعيل معاصر .

(أ) أعلام الاسماعيلية . نشر دار اليقظة في بيروت عام ١٩٦٤م .

(ب) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، نشر دار الأندلس .

(ج) الثائر الحميري الحسن بن الصباح .

(د) الحركات الباطنية في الإسلام .

(هـ) الرسالة الجامعة من رسائل إخوان الصفا .

(و) شيخ الجبل راشد بن سنان .

(ز) في رحاب إخوان الصفا .

(ف)

(٢٩٧) أبو فراس . شهاب الدين بن نصر ت ٨٨٣هـ .

(أ) كتاب الإيضاح . تحقيق عارف تامر ، الطبعة الأولى عام ١٩٦٤م .

(ب) رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس ، ضمن أربعة رسائل اسماعيلية ، نشر دار الكشاف .

(ك)

(٢٩٩) الكرماني . حميد الدين أحمد بن عبدالله ت ٤١٢هـ .

(أ) راحة العقل ، تقديم مصطفى غالب ، نشر دار الأندلس ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م .

(ب) كتاب الرياضي ، تحقيق عارف تامر ، نشر دار الثقافة في بيروت .

(ج) المصابيح في إثبات الإمامة ، تحقيق مصطفى غالب ، الطبعة الأولى .

(م)

(٣٠٢) مجهول ، رسالة الاسم الأعظم ، طبعة ضمن أربعة كتب اسماعيلية .

(٣٠٣) المرتضى . عبدالله ، كتاب الفلك الدوار في فضائل الأئمة الأبرار .

(ن)

(٣٠٤) النجار . عبدالله ، مذهب الدروز والتوحيد ، طبع دار المعارف .

(٣٠٥) النعمان بن حيون قاضي الاسماعيلية .

(أ) افتتاح الدعوة .

(ب) دعائم الإسلام .

(ج) تأويل الدعائم .

(د) أساس التأويل .

(هـ) الرسالة المذهبة .

(و) المجالس والمسايرات .

(ز) الهمة في آداب اتباع الأئمة .

(٣١٢) النيسابوري . أحمد بن ابراهيم ت في أواخر القرن الرابع الهجري .

(أ) استتار الإمام .

(ب) إثبات الإمامة .

(و)

((٣١٤) ابن الوليد. علي بن محمد بن الوليد ت ٦١٢هـ.

(أ) رسالة الإيضاح والتبيين.

(ب) تاج العقائد.

(ج) تحفة المرتاد وغصة الأضداد.

(د) الذخيرة في الحقيقة.

(هـ) رسال جلاء العقول وزبدة المحصول.

المراجع الاستشراقية:

(٣١٦) برنارد لويس.

(أ) أصول الاسماعيلية.

(ب) الدعوة الاسماعيلية الجديدة (الحشيشية).

(٢٣١) براون. تاريخ الأدب في إيران.

(٣٢٢) جولد تيسهر.

(أ) العقيدة والشيعة.

(ب) مذاهب التفسير الإسلامي.

(٣٢٤) أرنولد توينبي، الدعوة إلى الإسلام.

(٣٢٥) ايفانوف. المنتخب من كتب الاسماعيلية.

(٣٢٦) فلهاوزن، الشيعة والخوارج.

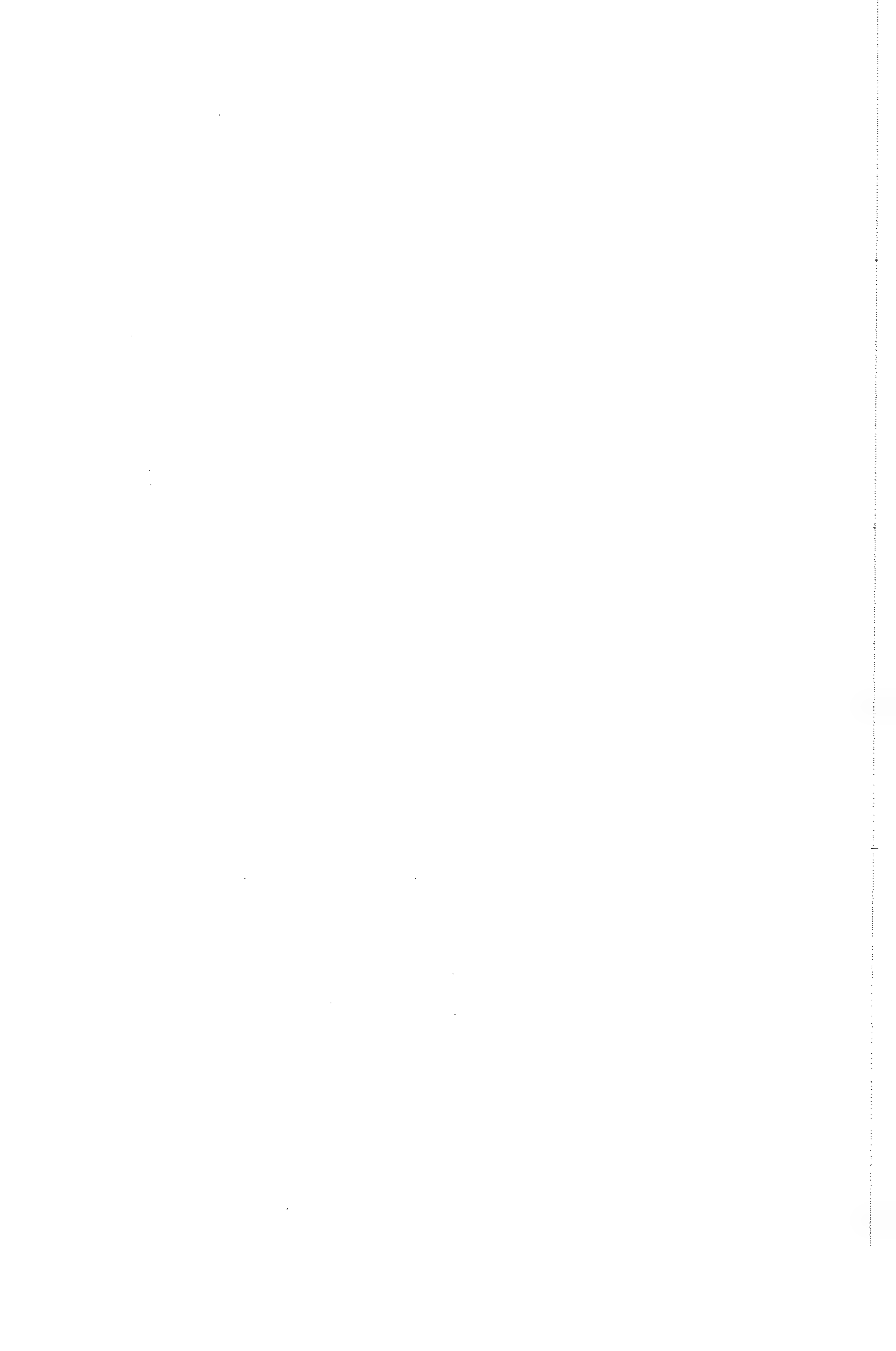
(٣٢٧) القرامطة لدئ خويه ميكال.

(٣٢٨) ول ديورانت، قصة الحضارة.

(٣٢٩) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام.

(٣٣٠) مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية.

(٣٣١) التوراة السامرية.



فهرس الموضوعات

القسم الثاني

*****